الدور اليمني في العصر العباسي

أعلام الولاة اليمنيين في العالم الإسلامي

محمد حسين الفرح



إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء



نبذة عن المؤلف:



محمد حسين الفرح (١٩٥٤-٢٠٠٥م) هو "محمد بن حسين بن محمد بن قائد بن سعد بن محسن بن محمد بن محمد بن محسن بن عبد الله بن حسين بن أحمد بن علي الفرح".

محمد حسين الفرح من آل الفرح بقرية الأحلب منطقة عمار بمحافظة إب. أنهى دراسته الثانوية بصنعاء عام ١٩٧٦م وتخرج من جامعة صنعاء كلية الشريعة والقانون بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف في مايو ١٩٨١م. تولى منصب مدير عام التعاونيات والجمعيات بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل من عام ١٩٧٧- ١٩٨٦م، ثم مدير عام الوحدات الإدارية والعمل الشعبي برئاسة الوزراء إلى عام ١٩٩٣م ورئاسة الفريق الفني باللجنة العليا للانتخابات عام ٩٢-٩٣م وعام ١٩٩٧م. ثم عين (مستشاراً للجنة العليا للانتخابات بدرجة وزير) بموجب القرار الجمهوري رقم ٢٨٣ في ١٩٩٩/٨/٨م. حصل على وسام التعاون من رئيس الجمهورية العربية اليمنية في ١٩٧٩/١/٢٥م وحصل على وسام المؤرخ العربي من (اتحاد المؤرخين العرب) في ٢٣/فبراير/١٩٨٧م. قام بنشر الكثير من المقالات والدراسات الأدبية والتاريخية في الصحف والمجلات اليمنية والعربية منذ عام ١٩٨١م.

الدور اليمني

في

العصر العباسي

الدَّوْرُ اليمني في العصر العبَّاسي

أعلام الوُلاة اليمنيِّين في العالم الإسْلامي

تأليف

محمَّد حسين الفرح

إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء



١٤٢٥هـ - 2004 م

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء

(٢٠٠٤/٨١٣)

الناشر

الجمهورية اليمنية

وزارة الثقافة والسياحة

صنعاء - ص.ب. (36)-(237)

هاتف: 235114 - فاكس: 235113

بريد الكتروني: moc@y.net.ye

من بهاء صنعاءَ... وتجليات عبقها.. في عام تتويجها عاصمةً للثقافة العربية.. يأتي هذا الاحتفاءُ بمجد الكلمة.. وجلال أنوارها.
في بدء الوعي الإنساني كانت الكلمة..
وعلى رأس فعاليات هذا العام الاستثنائي تأتي هذه الإصدارات.. حدثاً يتوج صنعاء فضاءً شاسعاً للثقافة والتاريخ والجمال والخصوصية.

خالد عبد الله الرويشان
وزير الثقافة والسياحة

الدور العربي
في تأسيس الخلافة العباسية

لقد كان للعرب بصفة عامة وللعرب اليمانيين بصفة خاصة الدور الأكبر في الدعوة العباسية ثم في تأسيس الخلافة العباسية وفي إدارة وحكم ولايات دولة الخلافة في العصر العباسي.

ولكن بعض الرواة والدارسين ذهبوا إلى تصنيف الدعوة والدولة العباسية بأنها (أعجمية خراسانية) واندفع الجاحظ في ذلك التصنيف الخاطىء فقال:

«دولة بني العباس أعجمية خراسانية ودولة بني مروان أموية عربية»[1].

وقد أثبتت العديد من الدراسات خطأ ذلك التصنيف والقول، وإن الدور الأكبر في الدعوة العباسية وفي تأسيس الخلافة العباسية كان عربياً. وقد أشار إلى تلك الحقيقة د. فاروق عمر في كتابه (التاريخ الإسلامي) وقال ما يلي نصه:

«لقد بانت أهمية العرب من أهل خراسان منذ أيام الدعوة العباسية ثم الثورة، وزادت أهميتهم أثناء الحروب التي خاضها الجيش العباسي ضد الجند الشامي في العراق. وكان سقوط الكوفة وواسط والموصل والبصرة ودمشق نتيجة مساعدة القبائل العربية التي انضمت إلى جانب العباسيين، ففي حصار واسط من قِبَل العباسيين أغراهم أبو جعفر المنصور بالتخلّي عن يزيد بن هبيرة والي واسط قائلاً للقبائل اليمانية:

(السلطان سلطانكم والدولة دولتكم).

بمعنى أن الحكم العباسي الجديد هو حكم العرب اليمانية والدولة دولتهم.

وفي حصار دمشق استغاث عبد اللّه بن علي العباسي بالقبائل اليمنية لتتخلى عن الأمويين قائلاً:

(إنكم وأخوتكم من ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وأنصارنا، وأنتم دفعتم إلينا دمشق وقتلتم الوليد بن معاوية، وأنتم منّا وبكم قوام أمرنا).

إن الأحداث الفاصلة التي وقعت في القرن الثاني الهجري تشهد على الأهمية الكبرى والدور الفاصل الذي قام به العرب.. ولذلك كان قادة الجيش من العرب،

---

(١) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص ٣٣٦ جـ ٣.

وفيما عدا المناصب العسكرية احتلّ العرب المناصب الإدارية والسياسية الحسَّاسة والعالية. وتحفل المصادر بأسماء الولاة العرب الذين أثبتوا كفاءة عالية في الإدارة مثل آل قَحْطبة وآل المهلَّب وغيرهم»[١].

* * *

إن الدور العربي في تأسيس الخلافة العباسية هو دور عربيٌّ يمانيٌّ وتتصل بذلك الحقائق التالية:

(١) التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ـ د. فاروق عمر ـ ص ٧٦.

الوجود والحكم العربي
بخراسان حتى ظهور الدعوة العباسية

إن العرب اليمانيين كانوا يمثلون الغالبية العظمى من العرب المقيمين ببلاد خراسان ومن الجيش العربي المرابط في ولاية خراسان بالعصر الأموي. وقد تعاقب على حكم بلاد خراسان في ذلك العصر كوكبة من الولاة اليمانيين ابتداءً بالصحابي الأمير الربيع بن زياد الحارثي المذحجيّ الذي تولّى خراسان في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة ٥١ ـ ٥٣هـ وأوطن فيها خمسين ألفاً من العرب بعائلاتهم، وكان أغلبهم من العرب اليمنيين الذين انتقلوا من اليمن إلى البصرة والكوفة ثم مضوا مع الربيع الحارثي إلى خُراسان فأوطنهم بها. ولذلك قال د. ناجي حسن في كتاب (القبائل العربية في المشرق):

«إن للربيع هذا أهمية كبيرة في استيطان العرب مناطق خُراسان»[١].

قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك:

«وُلّي الربيع بن زياد الحارثي خُراسان في أول سنة إحدى وخمسين، فنقل الناس بعائلاتهم إلى خُراسان، ووُطِّنُوا بها. قال المدائني: بعث زياد (بن أبي سفيان): الربيع الحارثي في خمسين ألفاً، من البصرة خمسة وعشرين ألفاً، ومن الكوفة خمسة وعشرين ألفاً»[٢].

وقال ابن خلدون: «ولّى زيادُ الربيع بن زياد الحارثي على خراسان سنة ٥١هـ وبعث معه من جند البصرة والكوفة خمسين ألفاً»[٣]. وقال البلاذري: «. . سار معه من البصرة والكوفة زهاء خمسين ألفاً بعائلاتهم، وأسكنهم الربيع دون النهر»[٤] أي في أقاليم خراسان الواقعة دون نهر جيحون.

وارتفع حجم الوجود العربي بخراسان في عهود ولاية آل المهلب لبلاد خراسان وامتد إلى أقاليم ما وراء نهر جيحون من ولاية خراسان والتي تم فتح أغلبها في عهود ولاية آل المهلب الأزديين اليمانيين الذين حكموا بلاد خراسان في خلافة

---

(١) القبائل العربية في المشرق ـ د. ناجي حسن ـ ص ١٧٧.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٦١ جـ ٥.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ٣٦٥.
(٤) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٤٠٠.

عبد الملك بن مروان سنة ٧٨ ـ ٨٦هـ ثم في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان سنة ٩٦ ـ ٩٩هـ وهُم: الأمير المُهلّب بن أبي صُفرة الأزدي (٧٨ ـ ٨٢هـ) ثم الأمير يزيد بن المهلَّب (٨٢ ـ ٨٤هـ) ثم الأمير المُفضّل بن المهلَّب (٨٥ ـ ٨٦هـ) ثم يزيد بن المهلَّب أمير العراق ومشارقها وخراسان في خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩هـ). وقال عنهم د. ناجي حسن: «أدرك آل المهلَّب طبيعة الأوضاع القبلية بخراسان نتيجة خبرتهم الواسعة في هذا الميدان فأكّدوا العلاقة الوثيقة مع ربيعة بحلف عُقِد لهذه الغاية (بين اليمانية وربيعة) حتى (كان المهلب وابنه يزيد يُنزلان هاتين القبيلتين في محلهما)، ويظهر من بعض الروايات أن آل المهلَّب بالغوا في إظهار الودّ نحو ربيعة حتى كانوا يُقلدونها الأعمال السَنية، وإن كانوا في الوقت نفسه قد اتّبعوا سياسة يمانية صَرْفة»[1].

وقد كان الجيش العربي الإسلامي بولاية خراسان زهاء ستين ألفاً من بينهم (٤٧٠٠٠ مقاتل من العرب) فقد ذكر المؤرخ المدائني أنه: «كان بخراسان مِن المقاتلة: مِن الأزد عشرة آلاف، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جَهْم بن زحر الجعفيّ المذحجيّ، ومِنْ أهل البصرة تسعة آلاف، ومن بكر بن وائل (ربيعة) سبعة آلاف، ومن عبد القيس (ربيعة) أربعة آلاف، ومِنْ تميم عشرة آلاف، والبقية من الموالي». ويتبيَّن من ذلك أن اليمنيين كانوا الغالبية في ذلك الجيش حيث كانوا زهاء (٢٢٠٠٠) وتليهم ربيعة (١١٠٠٠) ثم تميم (١٠٠٠٠) ثم من بقية القيسية المُضَريَّة نحو (٤٠٠٠)، وبتحالف اليمانية وربيعة صاروا القوة الرئيسية (٣٣٠٠٠ مقاتل). قال الشاعر نهار بن توسعة في المُهلّب:

تُطيفُ به قحطانُ قد عصبت به ... وأحلافُها من حيّ بكر وتغلب

وارتفع عدد الجيش العربي بخراسان في خلافة سليمان بن عبد الملك وولاية يزيد بن المهلَّب للعراق ومشارقها وخراسان سنة ٩٦ ـ ٩٩هـ حيث سار الأمير يزيد بن المهلَّب من العراق إلى خراسان سنة ٩٧هـ لفتح أقاليم دِهستان وجُرجان، وسار معه جيش من جند البصرة والكوفة والشام غالبيتهم من العرب اليمانيين. قال الطبري: « . . واستخلف يزيد بن المهلب على وَاسِط الجرّاح بن عبد اللّه الحكَميّ (المذحجي) وعلى الكوفة بشير بن حسان النهدي (الحميري) وكان عامل يزيد على البصرة سفيان بن عبد اللّه الكندي . . وأقام يزيد بن المهلّب بخراسان ثلاثة أشهر أو أربعة، واستخلف على خراسان مَخْلَد بن يزيد بن المهلّب، واستعمل على سمرقند

(١) القبائل العربية في المشرق ـ ناجي حسن ـ ص ١٩٩.

وكشّ ونَسَفْ وبُخارى معاوية بن يزيد بن المهلَّب، وعلى طخارستان حاتم بن قَبيصة بن المهلَّب. . وسار يزيد إلى دِهستان وجُرجان في عشرين ومائة ألف، منهم من أهل الشام ستون ألفاً. . قال هشام بن الكلبي: سار مع يزيد بن المهلَّب من أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل خراسان والريّ مائة ألف سوى الموالي والمماليك والمطَّوّعة». وقال ابن خلدون: «سار يزيد بن المهلَّب إلى جُرجان في مائة ألف من أهل العراق والشام وخراسان سوى الموالي والمتطوعة»[1]. ويتبين من ذلك أن العرب كانوا مائة ألف مقاتل في جيش يزيد بن المهلَّب بخراسان لما سار لفتح إقليم دهستان وإقليم جُرجان سنة ٩٨هـ وكانت غالبيتهم من اليمانية القحطانيين، وخاصة الأزد ومذحج وطيىء حيث قال الطرّماح بن حكيم الطائي:

وتَـقَـدّمَـتْ أزدُ الـعـراقِ ومَـذْحَـجٌ لـلـموت يـجـمـعـهـا أبـوهـا الأكـبرُ
قحطانُ. تضربُ رأس كل مُدّجج تـحـمـي بـصـائـرهـن إذْ لا تُـبـصـرُ
والأزدُ تـعـلـمُ أن تـحـت لـوائـهـا مَـلِـكٌ قَـراسِـيَـةٌ ومـوتٌ أحـمـرُ

والملك هو يزيد بن المهلَّب، فافتتح يزيد بن المهلَّب إقليم دهستان (في تركمنستان) بعد ملاحم باسلة، ثم افتتح بلاد جُرجان وطبرستان (بشمال إيران) بعد جهاد مرير في رجب سنة ٩٨هـ. قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك:

«وكتب يزيد بن المهلَّب إلى سليمان بن عبد الملك: أما بعد، فإن اللَّه قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً وصنع للمسلمين أحسن الصنع فلربنا الحمد على نِعمه وإحسانه، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جُرجان وطبرستان، وقد أعيا ذلك سابور وكسرى بن قباذ وكسرى بن هرمز وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومَنْ بعدهما من خلفاء اللَّه حتى فتح اللَّه ذلك لأمير المؤمنين كرامة من اللَّه له وزيادة في نِعَمِه عليه»[2].

وقام يزيد بن المهلَّب بتشييد مدينة عاصمة لبلاد جرجان وطبرستان ودهستان وهي مدينة جرجان وأسكن فيها فرقة من العرب غالبيتهم من الأزد ومذحج. وولّى على إقليم جُرجان الأمير جهم بن زَحْر الجعفي المذحجي. قال الطبري:

«بَنَىٰ يزيد بن المهلَّب مدينة جُرجان ولم تكن بُنيت من قَبْل، واستعمل على جُرجان جَهْم بن زحر الجعفي»[3]. وعاد يزيد بن المهلَّب إلى مدينة مرو عاصمة خُراسان، وبينما هو هناك مات سليمان بن عبد الملك وتولّى الخلافة عمر بن

(١) تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٤٠٨.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص.
(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص.

عبد العزيز ـ في صفر سنة ٩٩هـ ـ فاستمر يزيد بن المهلَّب والياً لخراسان فترة من خلافة عمر، ثم عزله عمر بن عبد العزيز فانتهت ولاية آل المهلَّب لخراسان حيث قال د. ناجي حسن:

« . . إن آل المهلَّب بالغوا في إظهار الودّ نحو ربيعة حتى كانوا يقلدونها الأعمال السَنِية وإن كانوا في الوقت نفسه قد اتّبعوا سياسة يمانية صَرْفة، غير أن مجيء عمر بن عبد العزيز وعزله لآل المهلَّب حال دون ـ استمرار ـ تمكُّن الأزد من خراسان. إلّا أن الروح اليمانية استمرت تتحكم بخراسان بعد آل المهلَّب إذْ تولاها الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي وهو من سعد العشيرة، تلك القبيلة اليمانية المعروفة. ولم يبق الجرّاح في منصبه سوى سنة وخمسة أشهر حيث عزله عمر ليتولاها يمانيٌّ آخر هو عبد الرحيم بن نعيم الغامدي الذي ينتمي في جده الأعلى إلى الأزد، وهكذا لم تخرج خراسان عن سيطرة الأزد خاصة واليمانية بوجه عام حتى سنة ١٠٢ هجرية»[١].

قال الطبري: «لم يزل عبد الرحمن بن نعيم والياً لخراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز ـ في رجب ١٠١هـ ـ ثم بعد ذلك حتى سنة ١٠٢هـ وكانت ولايته ستة عشر شهراً»[٢].

وننتهي من ذلك إلى أمرين، **أحدهما**: إن الذين تذكرهم الروايات باسم (أهل خراسان) وباسم (مقاتلة أهل خراسان) ـ في أخبار الدعوة العباسية ـ إنما هم العرب الذين كانوا بخراسان، والجيش العربي المرابط بخراسان، وكانوا زهاء مائة ألف من العرب غالبيتهم من اليمانية في عهد ولاية يزيد بن المهلَّب سنة ٩٦ ـ ٩٩هـ. **والأمر الثاني**: إن غالبية الولاة الذين حكموا ولاية خراسان كانوا من العرب اليمانيين فلم تخرج خُراسان عن حكم اليمانية حتى سنة ١٠٢هـ في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان، ولكن ذلك الخروج كان لفترة يسيرة ويتصل بثورة يزيد بن المهلَّب التي كان لإخفاقها أثر هام في انحراف القبائل اليمانية بخراسان عن بني أُمية واستجابتهم ـ فيما بعد ـ للدعوة العباسية.

ففي سنة ١٠١هـ ثار الأمير يزيد بن المهلَّب ضد الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك بن مروان، وسيطر يزيد بن المهلَّب على ولاية البصرة وخلع يزيد بن عبد الملك ـ في شعبان ورمضان سنة ١٠١هـ ـ وبويع يزيد بن المهلَّب بالخلافة في البصرة وتلقّب بالخليفة (القحطاني) وانضوت تحت لوائه وبايعته بالخلافة ولايات وأقاليم البصرة والبحرين وعُمان وبلاد فارس والسند وبعض أقاليم خراسان. وكان

(١) القبائل العربية في المشرق ـ ناجي حسن ـ ص ١٩٩.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٣٥ جـ ٨.

العرب ـ اليمانيون وربيعة ـ يمثِّلون غالبية الذين انضووا في الثورة وبايعوا يزيد بن المهلَّب. وبعث الشاعر ثابت قُطنة الأزدي أبياتاً من خراسان إلى يزيد بن المهلَّب بالبصرة قال فيها:

إنّ امرأً حَدَبَتْ ربيعةُ حوله ... والحيّ من يَمَنٍ وهاب كئودا
لضعيف ما ضمّت جوانح صدره ... إن لم يلفّ إلى الجنود جنودا
أيزيد كُنْ في الحرب إذ هيّجتها ... كأبيك لا رعشاً ولا رعديدا
. . إنّا لضاربون في حمس الوغى ... رأس الخليفة إذْ أراد صدودا

وقد انضوت أغلب العراق ومشارقها تحت لواء ابن المهلَّب « . . سيما وأن معظم القبائل القوية في العراق كانت قحطانية»[1]. ولكن الخليفة يزيد بن عبد الملك بعث جيشاً كبيراً من الشام والجزيرة الفراتية لقتال يزيد بن المهلَّب بقيادة مَسْلَمة بن عبد الملك في أوائل سنة ١٠٢هـ وكانت غالبيتهم أيضاً من اليمانية إذْ أنه كما ذكر الطبري: «كان اليمانية عِظم جند أهل الشام»[2]. والتقى جيش يزيد بن عبد الملك وجيش يزيد بن المهلَّب في معركة كبيرة بمنطقة (العقر) في العراق، فانهزم أغلب قبائل العراق الذين مع يزيد بن المهلَّب ولاذوا بالفرار، وقاتل يزيد بن المهلَّب قتالاً باسلاً حتى قُتِل في قلب المعركة ـ في ١٤ صفر سنة ١٠٢هـ ـ فقال الشاعر ثابت قُطنة الأزدي:

كل القبائل تابعوك على الذي ... تدعُو إليه وبايعوك وساروا
حتى إذا حضر الوغى وجعلتهم ... نُصُبَ الأسنة أسلموك وطاروا
إنْ يقتلوك فإن قتلك لم يكن ... عاراً عليك وبعض قتل عارُ

وانسحبت فرقة من أصحاب وجند يزيد بن المهلَّب إلى البصرة، وولّوا الأمير المفضَّل بن المهلَّب، فانسحب بهم إلى بلاد فارس وإلى السند، فبعث مَسْلَمة بن عبد الملك جيشاً من جند الشام بقيادة مُدرك بن ضبّ الكلبيّ اليماني، فحاربهم ببلاد فارس ـ في رجب ١٠٢هـ ـ قال الطبري: «أدرك مُدْركُ بن ضبّ الكلبيُّ المفضَّل بن المهلَّب وقد اجتمع إليه الفلول بفارس، فتبعهم، فأدركهم في عقبةٍ، فعطفوا عليه فقاتلوه واشتد قتالهم إياه، فقُتِل مع المفضَّل النعمان بن إبراهيم الأشتر النخعي (المذحجيّ) ومحمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكنديّ، وأُخِذ ابن صول دِهستان أسيراً، وجُرح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحة شديدة فهرب حتى انتهى إلى حُلوان فقُتِل بها. . ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلَّب فطلبوا

(١) القبائل العربية في المشرق ـ د. ناجي حسن ـ ص ١٤٧.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٣ جـ ٩.

الأمان فأُمّنوا منهم: مالك بن إبراهيم بن الأشتر النخعي والورد بن حبيب السعدي» [ص ١٥٨ جـ ٨]. ولجأ بقية آل المهلّب والذين معهم إلى مدينة قندابيل بالسند وتحصنوا بها حتى يأخذوا الأمان، وكان مَسْلمة بن عبد الملك قد أصبح والياً للعراق ومشارقها، ولم يكن يريد تأمينهم فقام باستدعاء مدرك بن ضبّ الكلبيّ وأسند قيادة الجيش الذي معه إلى هلال بن أحوز التميمي المُضَري ليقضي على من بقندابيل من آل المهلّب، فشنّ الحرب عليهم ووقعت معركة قُتِل فيها معاوية بن يزيد بن المهلّب وعبد الملك بن المهلّب ومروان بن المهلّب وغيرهم من آل المهلّب. وبعث هلال بجماعة من أولاد آل المهلّب أسرى إلى مسلمة بن عبد الملك. قال الطبري: «فبعث مسلمة بتسعة فتية أحداث من آل المهلّب إلى يزيد بن عبد الملك، فضرب أعناقهم». وقال جرير الخطفي في أبيات له:

فلم تبق منهم راية يعرفونها ... ولم يبق من آل المهلّب عسكرُ

ولكن الفتك بآل المهلّب ترك جراحات عميقة في نفوس الكثير من اليمانية، وخاصة قبائل الأزد بخراسان والعراق، وكان للشاعر ثابت بن قُطنة الأزدي قصائد كثيرة في التعبير عن ذلك. قال الأصفهاني: «لما قُتِل المفضّل بن المهلّب دخل ثابت قطنة إلى هند بنت المهلّب والناس جلوس يُعزّونها ـ بخراسان ـ فقال:

يا هندُ كيف بنصبٍ بات يُبكيني ... وعاثرٌ في سواد الليل يُؤذيني
. . إذا ذكرتُ أبا غسان أرّقني ... هَمٌّ إذا عَرّس السارون يشجيني
كان المفضّلُ عزاً في ذوي يَمَنٍ ... وعصمة وثمالاً في المساكين

(إلى آخر الأبيات) فقالت له هند: اجلس يا ثابت فقد قضيت الحق وما من المرزئة بدّ، وكم من ميتة ميتٍ أشرفُ من حياة حيّ، وليست المصيبة في قتل من استشهد ذابّاً عن دينه مطيعاً لربه، وإنما المصيبة فيمن قَلّتْ بصيرته وخَمَل ذكره بعد موته، وأرجو ألا يكون المفضّل عند اللّه خاملاً»[١].

وتتابعت قصائد ثابت في رثاء يزيد بن المهلّب وآل المهلّب. ونكتفي هنا بما ذكره عنها د. حسين عطوان في كتاب الشعر العربي في خراسان، قال د. حسين عطوان: «لقد خابت كل الآمال التي عقدها ثابتُ على الثورة والتي كان يرجُو أن تُتوّجَ بفوز ابن المهلّب بالخلافة، فتحوّل يرثيه ويرثي الهالكين من أسرته، وتتضح في مراثيه لهم عصبيته اليمانية الحادة، ويتضح فيها عداؤه السافر للأمويين، فهو لا ينفث فيها زفراته وأناته لمصرعهم بل يُحمّلها كذلك

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٥٢ جـ ١٣.

دفاعاً عن ثورتهم واعتداداً بماضيهم في الجاهلية وبحاضرهم في الإسلام مما يجعلهم أهلاً للخلافة. كما يُحمّلها وعيداً للأمويين أنّه لن يغتفر لهم ذنبهم مهما امتدّت بهم الأيام بل سينتقم منهم. .»(١).

وقد كان ثابت يُعبّر في ذلك عن مشاعر كثيرة من اليمانية الذين بات الثأر لبني المهلّب والقضاء على الخلافة الأموية المروانية مهما امتدت الأيام في صميم تفكيرهم، فَلَمَّا ثار الزعيم الأزدي جُديع بن علي الكرماني ضد السلطة المروانية بخراسان سنة ١٢٧هـ انضوت الأزد تحت لوائه حيث ـ كما ذكر الطبري ـ «كان جُديع الكرماني يقول: كانت غايتي في طاعة بني مروان أن تُقلدني السيوف فأطلبُ بثأر بني المهلّب». [ص ٤١ جـ ٩] وقال د. فاروق عمر: «إنّ كسب ابن الكرماني إلى الدعوة العباسية كان النقطة الفاصلة التي حددت مصير الثورة ووضَعتْها على طريق النجاح»(٢). وكذلك فقد انضوى آل المهلّب بخراسان والبصرة في الدعوة العباسية ـ سنة ١٢٩هـ ـ وكان لهم دور قيادي ـ كما سيأتي ـ في إسقاط الخلافة الأموية وتأسيس الخلافة العباسية.

ونعود إلى سنة ١٠٢هـ حيث قال د. ناجي حسن: « . . لم تخرج الأزد عن سيطرة الأزد خاصة واليمانية بوجه عام حتى سنة ١٠٢ هجرية». إذْ أنه «لم يزل عبد الرحمن بن نعيم الغامدي الأزدي والياً على خراسان حتى سنة ١٠٢هـ». وكان مَسْلمة بن عبد الملك قد بات والياً للعراق ومشارقها بعد إخفاق ثورة يزيد بن المهلّب فقام مَسْلَمة بعزل عبد الرحمن بن نعيم وتولية رجل من القيسية هو سعيد خُذينة في أواسط سنة ١٠٢هـ. فتعرّض اليمانيون للإقصاء من مناصب الدولة بخراسان، وقال د. ناجي حسن: «يظهر أن السياسة الجديدة كانت تقضي بتصفية الأزد بشتّى الطرق ومختلف الأساليب حتى أتّهم بعضهم باحتجان فيء المسلمين للتنكيل بهم، وتم رفع منزلة أعدائهم التقليديين من تميم بخراسان»(٣) ولم يقتصر التنكيل والإقصاء على الأزد، فقد ذكر الطبري «أن سعيد خُذينة رفع إليه: إن جهم بن زَحر الجعفيّ، وعبد العزيز بن عمرو الزُبيدي، والمنتجع بن عبد الرحمن الأزدي، والقعقاع بن الأعلم الأزدي، وُلّوا ليزيد بن المهلّب، وهم ثمانية، وعندهم أموال، فأرسل إليهم فحبسهم. . ومات في العذاب بالحبس جهم بن زحر، وعبد العزيز بن عمرو، والمنتجع بن عبد الرحمن» ـ وكان المنتجع من الأزد، وعبد العزيز من طيىء، وجهم من مذحج.

---

(١) الشعر العربي في خراسان ـ د. حسين عطوان ـ ص ٢٤٥.

(٢) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٥.

(٣) القبائل العربية في المشرق ـ د. ناجي حسن ـ ص ٢٠٢.

وما لبث أن عزل الخليفة يزيد بن عبد الملك أخاه مَسْلمة بن عبد الملك عن ولاية العراق ومشارقها وسعيد خذينة عن خراسان سنة ١٠٣هـ فولّى عمر بن هبيرة الفزاري القيسيّ على العراق ومشارقها وولّى سعيد بن عمرو الحُرشي المذحجيّ على خُراسان. وقد جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «سعيد بن عمرو الحُرشي، نسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة، من قيس مذحج: قائد من الولاة الشجعان، ولّاهُ ابن هبيرة خُراسان سنة ١٠٣هـ ثم بلغ ابن هبيرة أنه يكاتب الخليفة ولا يعترف بإمارته، فعزله وسجنه، ثم أخرجه خالد بن عبد اللّٰه القسري وأكرمه»[١]. وكان عمر بن هبيرة قد عزل سعيد بن عمرو الحرشي وولّى مسلم بن سعيد الكلابي القيسي على خراسان سنة ١٠٤هـ ثم مات يزيد بن عبد الملك وتولّى الخلافة هشام بن عبد الملك ـ في شعبان ١٠٥هـ ـ فولّى على العراق ومشارقها وخراسان الزعيم اليماني خالد بن عبد اللّٰه القَسْري. قال الطبري: «عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هبيرة الفزاري عن العراق وما كان إليه من عمل المشرق وولّى ذلك كله خالد بن عبد اللّٰه القسري في شوال سنة ١٠٥ هجرية»[٢]. وولّى خالد أخاه أسد بن عبد اللّٰه القسري على خراسان، وبذلك عاد واستمر الحكم العربي اليماني ببلاد خُراسان في الولاية الأولى لأسد بن عبد اللّٰه (١٠٦ ـ ١٠٩هـ). ثم الولاية الثانية لأسد بن عبد اللّٰه على خراسان (١١٦ ـ ١٢٠هـ). وبصفة عامة في ولاية خالد بن عبد اللّٰه القسريّ للعراق ومشارقها وخراسان سنة ١٠٥ ـ ١٢٠هـ. ولَمَّا مات أسد بن عبد اللّٰه أمير خراسان في ربيع الأول سنة ١٢٠هـ تولّى خراسان جعفر بن حنظلة البهراني وهو من بهراء القبيلة اليمانية التي كانت فرقة منها تسكن الشام، وانتهت ولايته بانتهاء ولاية خالد بن عبد اللّٰه القسري للعراق ومشارقها في جمادى الثانية سنة ١٢٠هـ ثم تولّى خراسان جُديع بن علي الكرماني الأزدي إلى رجب سنة ١٢١هـ، وبذلك فقد دام حكم اليمانية ببلاد خراسان إلى سنة ١٢١ هجرية. ثم تولاها نصر بن سيار القيسيّ وفي أيام ولايته انتشرت الدعوة العباسية وانضوى كثير من اليمانية بخراسان في الدعوة العباسية وأسسوا ـ منذ سنة ١٢٣هـ ـ التنظيم السري للدعوة العباسية بقيادة سليمان بن كثير الخزاعي الأزدي كما سيأتي تبيين ذلك بعد ذكر معالم الروابط بين اليمنيين وبني العباس ومعالم المرحلة الأولى من الدعوة العباسية قبل تأسيس تنظيمها السري بخراسان بقيادة سليمان الخزاعي.

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٢٣٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨٠ جـ ٨.

معالم الروابط بين اليمنيين وبني العباس قبل الدعوة العباسية

لقد كان بين اليمنيين وبين بني العباس بن عبد المطّلب بن هاشم روابط ومصاهرات تعود جذورها إلى ما قبل الإسلام ثم تعمّقت وتوسّعت بعد الإسلام.. وكان لبني عبد المطلب جدة يمانية من بني حُجر آكل المُرّار بن الحارث الكندي من حضرموت، وهي (أم كلاب بن مرّة) وإليها كان العباس بن عبد المطلب ينسب نفسه. قال ابن هشام في السيرة النبوية:

«كان العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحرْث بن عبد المطّلب رجلين تاجرين، وكانا إذا شاعا في بعض العرب فسُئلا مِمَّن هما قالا: نحن بنو آكل المُرَّار، يتعززان بذلك، وذلك أن كندة كانوا ملوكاً»[1].

ونذكر فيما يلي من معالم الروابط بين اليمنيين وبني العباس ما يلي:

١ ـ علاقة العباس بزعماء كندة وحضرموت:

كان العباس بن عبد المطلب تاجراً وكان إذا سار للتجارة إلى مناطق الجزيرة العربية والشام واليمن وسُئل مِمّن هو، لا ينتسب إلى قريش ولا بني هاشم، وإنما إلى جدته الكندية اليمانية فكان هو وربيعة بن الحرث يقولان: (نحن من بني آكل المُرَّار) يتعززان بذلك. وكان ملوك كندة وحضرموت من بني آكل المُرَّار، وكان منهم ـ قُبيل الإسلام ـ قيس بن معدي كرب الكندي ـ والد الأشعث بن قيس ـ وعفيف بن معدي كرب الكندي، وكان عفيف تاجراً يسير من حضرموت إلى مكة للتجارة في مواسم الحج فيقيم عند العباس بن عبد المطلب بمكة، فكان عنده في بداية البعثة النبوية.

قال الحافظ ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب: «.. قال عفيف بن معدي كرب الكندي: كنتُ امرأً تاجراً، فقَدِمتُ الحج، فأتيت العباس بن عبد المطلب، فوالله إنّي لعنده يوماً (أنظر إلى الكعبة) إذْ خرج رجلٌ من خباء قريب منه، فنظر إلى السماء، فَلَمَّا رأى الشمس زالت قام يُصلّي، ثم خرجت امرأةٌ فقامت خلفه تصلي، فقلت للعباس: من هذا يا أبا الفضل؟ قال: هذا محمد بن عبد الله بن

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٥٥ جـ ٤.

عبد المطلب، ابن أخي، فقلتُ: من هذه المرأة؟ قال: خديجة بنت خويلد زوجته. ثم خرج غلام فقام يصلّي معه، فقلتُ: ومن هذا؟ قال: علي بن أبي طالب، ابن عمه. قلتُ: فما هذا الذي يصنعُ (محمد)؟ قال: يُصلّي، ويزعم أنه نبيّ..»[١] وجاء في ترجمة عفيف بكتاب الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر أن عفيفاً كان بمنزل العباس ينظر إلى الكعبة فرأى الثلاثة يصلّون «..قال عفيف: فقلتُ يا عباس أمر عظيم؟ قال: أجل، قلتُ: من هذا؟ قال: محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب، ابن أخي، وهذا عليّ ابن أخي، وهذه المرأة خديجة. وقد أخبرني أن رب السموات والأرض أمره بهذا الدين. قال عفيف: ولا واللّه على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة، فتمنيتُ أن أكون رابعهم»[٢]. وقد أسلم عفيف في إحدى السنوات التالية وساهم في نشر الإسلام في قبيلة كندة وبقية قبائل حضرموت منذ وقت مبكر، فكان ابن أخيه الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي ملك كندة وحضرموت من السابقين إلى الإسلام في اليمن، ثم وَفَدَ الأشعث إلى رسول اللّه ﷺ بالمدينة المنورة سنة ٩هـ على رأس ثمانين راكباً من بيت ملوك كندة. قال ابن سيد الناس: «قَدِم الأشعث بن قيس في ثمانين راكباً من كندة وقد رجَّلوا جُمَمَهم [أي مشطوا شعرهم] وتكحلوا، وعليهم جُبَبُ الحبرة.. فدخلوا على رسول اللّه ﷺ مسجده..»[٣]. وقال الحافظ ابن حجر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة:

«قال ابن عباس: قَدِم ملوك حضرموت، فقَدِم وفد كندة وفيهم الأشعث بن قيس. فذكر قصة قدومهم. وقال: وفي ذلك يقول الجفشيش واسمه معدان بن الأسود الكندي:

جادت بنا العِيسُ من أعراب ذي يَمَنٍ ... تغور غوراً بنا من بعد أنجادِ
حتى أنخنَ بجنب الهضب من مللٍ ... إلى الرسول الأمين الصادق الهادي»[٤]

ودخل الأشعث بن قيس والذين معه إلى رسول اللّه ﷺ بالمسجد النبويّ وسلموا عليه، ثم ذكر ابن هشام ما يلي نصه: «قال الأشعث بن قيس: يا رسول اللّه نحن بنو آكل المُرَّار وأنت ابن آكل المُرَّار، فتبسم رسول اللّه! ﷺ وقال:

«ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحرث».

قال ابن هشام: وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين، وكانا إذا شاعا في بعض

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر ـ ص ١٦٣ جـ ٣.
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٤٨٨ جـ ٣.
(٣) عيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ ص ٣٠٨ جـ ٢.
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٢٤٠ جـ ١.

العرب فَسُئِلا مِمّن هُمَا، قالا: نحن بنو آكل المُرَّار، يتعززان بذلك، وذلك أن كندة كانوا ملوكاً.

ثم قال لهم رسول اللّه ﷺ:

«لا، بل نحن بنو النضر بن كِنَانَة، لا نقفوا أُمَّنَا ولا نتتفي من أبينا».

فقال الأشعث: «هل فرغتم يا معشر كندة، واللّه لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين»[١] قال ابن سيد الناس: «وللنبيّ ﷺ جدة من كندة وهي أمّ كلاب بن مرّة، فذلك أراد الأشعث»[٢]. وتلك الجدة هي التي كان ينتسب إليها العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحرث بقولهما (نحن بنو آكل المُرَّار).

وقد توسَّعت دائرة الروابط والمصاهرة بين بني العباس واليمنيين في ظل الإسلام، فتزوَّج أبو موسى الأشعري ابنة الفضل بن العباس، وتزوَّج عبد اللّه بن العباس ابنة مِشرح بن معدي كرب الكندي، وتزوج عبيد اللّه بن العباس ابنة عبد اللّه بن عبد المدان بن الديان الحارثي المذحجيّ، وتزوج معدي كرب بن الصبّاح ابنة معبد بن العباس..

٢ ـ مصاهرة أبي موسى الأشعري للفضل بن العباس:

تزوَّج الصحابي اليماني الجليل أبو موسى عبد اللّه بن قيس الأشعري ـ وهو بالمدينة المنورة ـ ابنةَ الفضل بن العباس بن عبد المطّلب بن هاشم، واسمها أم كلثوم. قال الحافظ ابن حجر في ترجمتها بكتاب الإصابة ما يلي نصه: «وقصة تزويج أبي موسى أم كلثوم بنت الفضل بن العباس ثابتة في طبقات ابن سعد. وولدت له موسى»[٣].

فبنو العباس أخوال موسى بن أبي موسى الأشعري، وقد كان لأبي موسى عدد من الأولاد منهم أيضاً أبو بكر، وأبو بردة. وقد كان أبو موسى الأشعري والياً لولاية البصرة في خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٩ ـ ٢٣هـ ثم في خلافة عثمان بن عفان (سنة ٢٤ ـ ٢٩هـ) وتزوج عبد اللّه بن عمر بن الخطاب ابنة أبي موسى الأشعري. وتولّى أبو بكر بن أبي موسى الأشعري القضاء بالكوفة في عهد ولاية يزيد بن المهلّب للعراق.. وكذلك تولّى القضاء أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، ثم كان بلال بن

---

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٥٥ جـ ٤.

(٢) عيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ ص ٣٠٨ جـ ٢.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ترجمة أم كلثوم بنت الفضل بن العباس ـ ص ٤٩٣ جـ ٤.

أبي بردة بن أبي موسى قاضي البصرة وأميرها لخالد بن عبد اللّه القسري والي العراق ومشارقها (١٠٥ ـ ١٢٠هـ) وفي بلال قال الشاعر ذو الرُّمة:

وأنت يابن القاضيين قاضي   مُعترم على الطريق ماضي

قال أبو العباس المُبرّد: «كان بلال بن أبي بُرْدَةَ أمير البصرة وقاضيها.. ومن أحسن ما امتدح به ذو الرُّمة بلالاً قوله:

..ولكنني أقْبَلْتُ من جانِبَيْ قسَا[1]   أزورُ فتىً نَجْداً كريماً يمانيا
مِنْ آل أبي موسى ترى القوم حوله   كأنَّهُمُ الكِرْوانُ أبْصَرْنَ بازيا[1]
مُرمِّينَ من لَيْثٍ عليه مهابةٌ   تَفادَى أسودُ الغاب مِنْهُ تفاديا[2]
وما الخُرْقَ منه يرهبون ولا الخَنَىٰ   عليهِمْ ولكن هَيْبَةٌ هي ما هِيَا»[3]

وكان بلال أميراً للبصرة من سنة ١٠٩ ـ ١٢٠هـ في إطار ولاية خالد بن عبد اللّه القسري اليماني للعراق والمشرقين وهي فترة المرحلة الأولى من الدعوة العباسية والتي سيأتي عنها النبأ اليقين.

٣ ـ مصاهرة عُبيد اللّه بن العباس لعبد اللّه بن عبد المدان الحارثي:

وتزوَّج عُبيد اللّه بن العباس بن عبد المطلب ابنة الزعيم اليماني الصحابي عبد اللّه بن عبد المدان بن الديان الحارثي المذحجي. قال الحافظ ابن حجر في ترجمته بكتاب الإصابة في تمييز الصحابة:

«عبد اللّه بن عبد المدان بن الديان الحارثي: قال ابن حِبان: له صُحبة. وقال ابن سعد: وَفَدَ على النبي ﷺ. وذكره المرزباني وقال: كان هو وابنه مالك صديقين لعبد اللّه بن جعفر. وكان عبيد اللّه بن العباس صاهر عبد اللّه بن عبد المدان على ابنته، واستعانه على اليمن لما أمَّرَه عليٌّ بن أبي طالب عليها..»[4] وكان لعبيد اللّه بن العباس ولدين أمهما بنت عبد اللّه بن عبد المدان وهما عبد الرحمن وقثم ابنا عبيد اللّه بن العباس.

٤ ـ نبأ ولاية عبيد اللّه بن العباس لليمن ومقتل ولديه بصنعاء (٣٦ ـ ٤٠هـ):

لما مات الخليفة عثمان بن عفان وتولّى علي بن أبي طالب الخلافة ولّى

(١) قسا: اسم منطقة بالدهناء. الكِرْوان: جمع كَرَوان وهو طائر معروف.
(٢) مُرمِّينَ: سكوتاً مُطرقين. تفادى أسود الغاب: تفتدي منه بعضها ببعض.
(٣) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرد ـ ص ١٦٨ جـ ١.
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٣٣٨ جـ ٢.

عبيد اللّه بن العباس على صنعاء ومخاليفها وسعيد بن سعد بن عُبادة الأنصاري على الجَنَد ومخاليفها. وفي ذلك قال ابن الديبع: «استعمل عليٌّ رضي اللّه عنه على اليمن: عبيد اللّه بن العباس على صنعاء وأعمالها، وسعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري على الجَنَدَ ومخاليفها»[١]. وقال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش قرة العيون: «عُمالة سعيد بن سعد بن عبادة لعليّ على الجَنَد باليمن يكاد أن يكون أمراً مجمعاً عليه عند المؤرخين. وفي ابن أبي الحديد: إن عامل عليّ على الجَنَد سعيد بن نمران الناعطي الهمداني»[١].

ويتبيَّن من ربط النصوص التاريخية أن سعيد بن نمران الهمداني كان قائداً للجُندِ ـ وليس عاملاً لمخاليف الجَنَد ـ فقد كان سعيد بن سعد بن عُبادة عاملاً على الجَنَد ومخاليفها (وتشمل بالتسميات الحالية محافظات ومناطق تعز، إب، تهامة، وصاب، عدن، لحج، الضالع، أبين، شبوة، حضرموت، المهرة) وكان عبيد اللّه بن العباس والياً لصنعاء ومخاليفها (وتشمل بالتسميات الحالية محافظات ومناطق صنعاء، ذمار، عمران، حجة، المحويت، صعدة، مأرب، الجوف، نجران.. إلخ) وكانت غالبية قبائل مخاليف صنعاء هي همدان بمدلولها الواسع القديم (حاشد وبكيل ويام حالياً) وقبائل مذحج وقضاعة، فكان سعيد بن نمران الناعطي الهمداني عاملاً لمناطق وقبائل همدان، وعبد اللّه بن عبد المدان الحارثي المذحجيّ عاملاً على مذحج ونجران حيث ذكر الحافظ ابن حجر: (إن عبيد اللّه بن العباس استعانه على اليمن لما أمَّرَه عليّ بن أبي طالب عليها». وكان عبيد اللّه بن العباس مقيماً بصنعاء وهي عاصمة ولاية اليمن، وربما كان يرتبط به أيضاً عامل الجَنَدَ ومخاليفها، فمكث عبيد اللّه والياً باليمن سنة ٣٦ ـ ٤٠هـ.

وفي تلك الفترة كان اليمنيون بالعراق ومشارقها يمثّلون غالبية أصحاب وجيش الإمام علي بن أبي طالب، بينما كان اليمنيون بالشام والجزيرة الفراتية ومصر مع أمير الشام معاوية بن أبي سفيان. وبينما كان الذين استقرّوا بالعراق من همدان مع الإمام عليّ، وقد اشتهر أنه قال:

ولو كنتُ بواباً على باب جنة لقلتُ لهمدان أدخلوا بسلام

فإن الذين استقرّوا بالشام من قبائل همدان كانوا مع معاوية، فكان حُمرة وسعد ابنا مالك العذري الحاشدي الهمداني من قادة معاوية في صِفّين ومن شهوده في وثيقة التحكيم بصفّين، وكان سعيد بن حمرة الهمداني قائد شرطة معاوية. قال الحسن بن

(١) قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ـ ابن الديبع ـ تحقيق الأكوع ـ ص ٨٥.

أحمد الهمداني في الإكليل: « . . وكان مُهَاجَر سعيد بن حمرة إلى الشام في ثلاثمائة أهل بيت، وولاه معاوية شُرطته . . »[١] وكان لأحد شخصيات همدان دور رئيسي فيما حدث باليمن وهو ـ كما جاء في الإكليل ـ (أبو معيد بن حُمَرَة بن يريم بن أحمد بن يريم بن مرّة بن عمرو بن الحارث بن أصبى بن دافع بن مالك بن جشم الحاشدي الهمداني. قال الحسن بن أحمد الهمداني في الإكليل: «كان أبو معيد بن حمرة مع عليّ عليه السلام فَلَمَّا صيّر راية همدانِ إلى سعيد بن قيس الهمداني غضب ثم لحق بمعاوية وكان عنده وجيهاً. وقَدِم أبو معيد اليمن فلزم بلد الأهنوم والمغرب حتى قَدِم بسر بن أرطأة من قِبَل معاوية فكان له رِجلاً ويداً في بلد همدان . . »[١].

وقد بعث معاوية القائد بسر بن أرطأة العامري على رأس فرقة من جند الشام إلى المدينة ومكة واليمن سنة ٤٠هـ فاستجاب أهل المدينة ثم أهل مكة لطاعة معاوية وبايعوا له دون قتال، ثم تقدم بسر بن أرطأة بجند الشام من مكة إلى اليمن. وقد ذكر كل من ابن الديبع وابن أبي الحديد وابن حَجَر والهمداني جانباً مما حدث، وبربط ما ذكروه تتبيّن الصورة الكاملة. قال ابن الديبع: «سيّر معاوية جيشاً إلى اليمن أَمَّرَ عليهم بسر بن أرطأة العامري. . فَلَمَّا قرب من (مخاليف) صنعاء جمع عبيد اللّه بن العباس أهل صنعاء فخطبهم وحثّهم على القتال، فقال له ابن الديلمي: احترز في نفسك. فَلَمَّا أيس من نصرهم استخلف عمرو بن أراك الثقفي على عمله وسار يريد عليّاً عليه السلام، وترك ولدين له حفيدين. فَلَمَّا قَدِم بسر انحازت عنه همدان إلى شبام. . »[٢] وجاء في هامش قرة العيون: «قال ابن أبي الحديد: لَمَّا قَدِم سعيد بن نمران الناعطي الهمداني على ـ الإمام ـ عليّ وهو بالكوفة عتب عليه وعلى عبيد اللّه بن العباس ألا يكونا قاتلا بسراً، فقال سعيد: قد واللّه قاتلتُ ولكن ابن عباس خذلني وأبىٰ أن يُقاتل. لقد خلوتُ به حين دنا بسر فقلتُ: ابن عمك لا يرضىٰ مني ومنك بدون الجدّ في قتالهم، فقال: لا واللّه ما لنا بهم طاقة. . »[٢]. وقرر عبيد اللّه بن العباس أن يتوجه إلى الإمام عليّ بالكوفة ـ حتى يبعث الإمام عليّ مدداً عسكرياً ـ قال الحافظ ابن حجر: «لمّا بلغ عبيد اللّه بن العباس مسير بسر بن أرطأة من قِبل معاوية إلى اليمن خرج عنها واستخلف صهره عبد اللّه بن عبد المدان. . »[٣].

وقد رابط بصنعاء عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي ومالك بن عبد اللّه الحارثي ومعهما جماعة من مذحج، وعمرو بن أراك الثقفي وجماعة من الأبناء (ذوي الأصول

---

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ٧٩ و٨٣ جـ ١٠.

(٢) قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ـ ابن الديبع ـ ص ٨٦.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٣٣٨ جـ ٢.

الفارسية) بينما رابط سعيد بن نمران الناعطيّ الهمداني في بلد همدان ـ بناعط وبيت ذي زود من بلاد حاشد ـ بينما أَقْبَلَ بسر العامري بالذين معه من جند الشام وانضمّ إليه أبو معيد بن حمرة الحاشدي الهمداني في جموع من قبائل همدان (بمحافظتيْ حجة وعمران حالياً) حيث ذكر الحسن بن أحمد الهمداني في الإكليل: « . . إن أبا معيد لزم بلد الأهنوم والمغرب حتى قَدِم بسر بن أرطأة فكان له رِجلاً ويداً في بلد همدان، فنال من شيعة عليّ في بلد همدان وصنعاء فأفرى ـ فيهم ـ وضرب من الأبناء على باب المصرع اثنتين وسبعين رقبة فسُمِّي الموضع المصرع، وتركت الأبناء التشيع من يومئذ»[1] وقاتل سعيد بن نمران الناعطي والذين أجابوه من همدان بسراً قتالاً ضعيفاً، وتفرق الناس عن سعيد بن نمران فانحاز إلى شبام ـ الغراس ـ ثم مضى إلى الإمام عليّ بالكوفة، بينما دخل بسر مدينة صنعاء. قال الحافظ ابن حجر: «وقتل بسرُ عبد اللّه بن عبد المدان وابنه مالكاً وولديْ عبيد اللّه بن العباس، ابنيْ أخت مالك، فَلَمَّا بلغ ذلك عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب قال يرثيهما:

ولولا أن تعنفني قريشٌ بكيتُ على بني عبد المدان
. . لهم أبوان قد علمت يمانٌ على آبائهم متقدمان»

[ص ٢/٣٣٨].

أما ابنا عبيد اللّه بن العباس فقال ابن الديبع: «كان الأكبر منهما ابن ثمان سنين. . فدُفن الولدان حيث قُتلا، وبُنِيَ عليهما مسجداً يعرف بمسجد الشهيدين» قال القاضي الأكوع: «وفي تاريخ الجَنَدي: إن الولد الكبير ابن عشر سنين والصغير ابن ثمان. وقيل: اسمهما عبد الرحمن وقثم. وقبرهما بصنعاء مشهور حتى اليوم، ويُسمَّى المسجد الذي فيه قبرهما مسجد الشهيدين». [ص ٨٦].

والظاهر أن بناء المسجد كان في أوائل العصر العباسي، إذْ أن أبا العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين كان خاله زياد بن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي. وولّى على اليمن محمد بن يزيد بن عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي.

وقد كان الإمام عليّ بن أبي طالب لَمّا بلغه أمر بسر بن أرطأة وأنه أخذ البيعة بمكة واليمن لمعاوية؛ بعث الإمام عليّ أربعة آلاف مقاتل بقيادة جارية بن قدامة السعديّ، فأقبل إلى اليمن وقتل بعض أنصار معاوية، وكان بسر قد سار إلى مكة، فبادر جاريه بالمسير إلى مكة، وكان بسر قد مضى إلى الشام، فدخل جارية مكة فبلغه موت الإمام عليّ ـ في رمضان سنة ٤٠هـ ـ فأخذ البيعة لمن سيبايعه أصحاب

---

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ٨٣ جـ ١٠.

الإمام عليّ بالكوفة، وقد بايعوا الحسن بن عليّ، ثم آل الأمر إلى قيام الحسن وأصحابه بمبايعة معاوية فاجتمع له أمر الخلافة سنة ٤١هـ.

٥ ـ مُصاهرة بني الصبّاح لبني العباس:

وتزوَّج يريم بن معدي كرب بن الصبَّاح بن شُرحبيل بن لُهيعة الحميريّ ابنة معبد بن العباس بن عبد المطّلب، قال الهَمْداني في أنساب آل الصباح بكتاب الإكليل ما يلي:

«فأولد معدي كرب: يريم، وقد رأس. فأولد يريم: النَضر سيّد أهل الشام. أُمُّه صفية بنت معبد بن العباس بن عبد المطلب. وهو المتوفى من بني العباس بإفريقيا. فالنضر ابن بنت ابن عم النبيّ ﷺ»[١].

قال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش الإكليل:

«وقال المرزباني في الاشتقاق: ومِنْ رجالهم النضر بن يريم بن معدي كرب سيّد حمير بالشام. أُمه بنت معبد بن العباس بن عبد المطلب.

وجاء في مختصر جمهرة ابن الكلبي: كان النضر سيد أهل الشام في زمانه. أُمه بنت معبد بن العباس بن عبد المطلب. وكانت عند النضر بنت عبيد اللَّه بن العباس فولدت له محمداً وسليمان ابنيْ النضر بن يريم بن معدي كرب»[١].

٦ ـ زواج عبد اللَّه بن العباس بابنة مِشْرَح الكندي.. وولده منها:

وتزوج عبد اللَّه بن العباس رضي اللَّه عنه السيدة زرعة بنت مِشْرَح بن معدي كربَ الكندي. وكان مِشْرَح رابع أربعة ملوك زعماء بحضرموت. قال صاحب أخبار الدولة العباسية:

«وُلد عبد اللَّه بن العباس: عليٌّ بن عبد اللَّه.. والعباس بن عبد اللَّه، كان أكبر ولده وبه كان يُكنى، وكان يُقال له الأعنق، وكان من أجمل ولده، وقد روى عنه ولا عقب له. ومحمد والفضل وعبد الرحمن ولبابة. أُمهم زرعة بنت مشرح بن معدي كرب بن وليعة بن شُرحبيل بن معاوية بن حُجر بن الحارث بن عمرو بن ثور بن مرتّع الكندي. ومِشْرح بن معدي كرب أحد الملوك الأربعة وهم: مِخْوس وجَمد ومِشْرح وأبْضَعة. ولهم يقول صاحب عكاظ:

أنشد باللَّه ملوكاً أربعة   من مِشْرح وجَمَد وأبْضَعة»[٢]

---

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ١٤٩ جـ ٢.

(٢) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق د. عبد العزيز الدّوري ـ ص ١١٧.

ويعني بصاحب عكاظ الشاعر أعشى قيس الجاهلي. وجاء في الهامش: «ذكر ابن الكلبي الملوك الأربعة ومقتلهم يوم النجير بحضرموت. ولهم تقول النائحة:

يا عين بَكِّيْ الملوكَ الأربعةْ ... مِخْوسٍ ومِشْرَحٍ وجَمَدٍ وأَبْضَعَةْ»(١)

ومات مِشْرح بن معدي كرب سنة ١١هـ. وبعد موته بنحو عشر سنوات تزوَّج عبد اللَّه بن العباس ابنته زرعة بنت مشرح بن معدي كرب. وكان ولِّي أمرها الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي. وكانت زرعة بنت مشرح موصوفة بالجمال، وأنجبت لعبد اللَّه بن العباس ستة أولاد، أكبرهم العباس بن عبد اللَّه وكان يُقال له الأعنق وكان من أجمل ولده، ثم محمد والفضل وعبد الرحمن ولبابة، ثم عليّ بن عبد اللَّه بن العباس. قال صاحب أخبار الدولة: «كان عليّ بن عبد اللَّه أصغر ولد عبد اللَّه سناً. وُلِد سنة ٤٠هـ، وكان أجمل قرشيّ وأَمْرَأَهُ. وكان يُقال له السجاد..»(١) ومات عبد اللَّه بن العباس بالطائف سنة ٦٨هـ في فترة الصراع على الخلافة بين عبد اللَّه بن الزبير بالحجاز وعبد الملك بن مروان بالشام، وأوصى عبد اللَّه بن العباس أولاده باللحاق بالشام والانضمام إلى عبد الملك بن مروان(١).

٧ ـ عليّ بن عبد اللَّه بن العباس.. وروابطه باليمانيين:

وُلد عليّ بن عبد اللَّه بن العباس في رمضان سنة ٤٠هـ من أبٍ عباسيّ قُرشي ـ هو عبد اللَّه بن العباس ـ وأم كندية حضرمية يمانية ـ هي زرعة بنت مِشْرح بن معدي كرب الكندي ـ فكانت كندة وحضرموت أخواله.

وفي حوالي سنة ٥٣هـ تزوَّج عليّ بن عبد اللَّه بن العباس بالعالية بنت عبيد اللَّه بن العباس. وأُم العالية هي بنت عبد اللَّه بن عبد المدّان الحارثي المذحجيّ. فأنجبت له ابنه محمد بن عليّ بن عبد اللَّه بن العباس. قال صاحب أخبار الدولة: «كان محمد بن عليّ من أجمل الناس، وأمّه العالية بنت عبيد اللَّه بن العباس. وكان بينه وبين أبيه أربع عشرة سنة». [ص ١٣٤].

وقد رحل عليّ بن عبد اللَّه بن العباس بأسرته من الحجاز إلى الشام وبايع عبد الملك بن مروان بالخلافة وسكن بمنطقة الشراة في البلقاء بالشام ـ سنة ٦٨هـ ـ وكانت بينه وبين الزعامات اليمانية بالشام روابط وعلاقات أخذت دائرتها في الاتساع. ومما يتصل بذلك: أن يريم بن معدي كرب بن الصبّاح الحميري كان من رؤساء القبائل الحِميرية اليمانية بالشام. قال الهمداني: «فأولد يريم: النضر سيّد أهل الشام. أُمّه صفية بنت معبد بن العباس..» وقال المرزباني: «كان النضر سيّد حميَر

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق د. عبد العزيز الدّوري ـ ص ١١٧.

بالشام. .» قال ابن الكلبي: « . .وكانت عند النضر بنت عبيد اللّه بن العباس فولدت له محمداً وسليمان ابنيْ النضر» وقد سلف النص بأن (محمد بن عليّ: أمّه العالية بنت عبيد اللّه بن العباس). وهذا يعني رابطة نسبية بقبائل حمير في الشام. وكذلك كان من اليمانيين الذين استقرُّوا في الأردن بالشام عشائر بني مالك بن عذر الهمدانيين وكان عميدهم سعيد بن حُمّرة. قال الهمداني في الإكليل: «وقد صاهر هذا البيت آل الحارث بن عبد المطلب بن هاشم. كانت بنت المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب تحت سعيد بن حُمرة، وكانت بنت سعيد تحت المطلب»(١).

وكان لعلاقة وروابط الصداقة أهميتها أيضاً، وكان عليّ بن عبد اللّه بن العباس صاحب عبد اللّه بن يزيد القَسْري البجليّ اليماني ـ والد خالد بن عبد اللّه القسري ـ وكان عبد اللّه بن يزيد من رؤساء اليمانية بدمشق وتولّى قيادة الشرطة بها، فاشترك في حركة عمرو بن سعيد الأشدق الأموي ضد عبد الملك بن مروان في دمشق سنة ٦٩هـ ففشلت الحركة ولحق عبد اللّه بن يزيد بمصعب بن الزبير في العراق ثم انضوت العراق في خلافة عبد الملك سنة ٧١هـ وسقط مصعب قتيلاً. قال صاحب أخبار الدولة: «لَمَّا ظفر عبد الملك بمصعب استجار عبد اللّه بن يزيد، والد خالد بن عبد اللّه القسري، بعليّ بن عبد اللّه بن عباس فأجاره وأمّنه وكلّم فيه عبد الملك فأنفذ ذلك له. فكان خالد في ولايته العراق قد استصحب داود بن عليّ وأكرمه ووَصَله حفظاً ليد عليّ عند أبيه»(٢).

وقد « . .مات عليّ بن عبد اللّه بن عباس في أيام الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦هـ) وقد عَهَدَ إلى محمد ابنه وألقى إليه أسراره». [ص ١٥٩/ أخبار الدولة العباسية].

٨ ـ مصاهرة محمد بن عليّ. . لبني الحارث ومَذْحِج:

كان محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن العباس ـ مؤسس الدعوة العباسية السرية ـ قد وُلِد سنة ٥٥هـ. وكانت أُمه العالية بنت عبيد اللّه بن العباس، وأم العالية هي بنت عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي المذحجيّ. وقد استقر محمد بن عليّ مع أبيه في الشام ـ سنة ٦٩هـ ـ ومات أبوه في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦هـ) وكان لأبيه ـ عليّ بن عبد اللّه بن العباس العديد من الأولاد، ولكنه عَهَدَ بأمره إلى ابنه محمد بالذات. وكان محمد بن عليّ يقول: إن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المدان

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ٧٩ جـ ١٠.
(٢) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق د. عبد العزيز الدوري ـ ص ١٥٥.

الحارثي خاليَ. لأن والدته العالية أمها بنت عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي. وبالتالي فإن بني الحارث كانوا أخوال والدته لا أخواله.

وقد جاء في هامش كتاب أخبار الدولة عن كتاب تاريخ الخلفاء ما يلي نصه: «كان يُقال إن الرجل الذي يزول على يده ملك بني أُمية تكون أمّه حارثية. فكانت بنو أُمية تمنع من الزواج بالحارثيات»[١].

وكانت ريطة بنت عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي قد تزوَّجها أحد أبناء عبد الملك بن مروان، ثم بعد خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩هـ) بفترة يسيرة وقعت مشادة ومفاخرة بين ريطة وزوجها فطلّقها وذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز ـ سنة ٩٩هـ ـ حيث جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية ما يلي نصه:

«إن ريطة بنت عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي كانت تحت ولد عبد الملك بن مروان فنازعها في شيء يوماً من الأيام ففخرت عليه وذكرت سلفها وأيامهم فأحفظه ذلك، فطلّقها. فأتى محمدُ بن عليّ عُمَر بن عبد العزيز وهو الوالي يومئذٍ، فقال: ابنة خالي كانت متزوجة فيكم وقد فرغت فأردتُ أن أتزوّجها وأحببتُ أن يكون ذلك بإذنك، فقال عمر: هي أَمْلكُ لنفسها، ومن يَحُولُ بينك وبين ذلك. فتزوَّجها محمد بن عليّ، واشتملت منه على أبي العباس. وُلِد في ولاية يزيد بن عبد الملك»[١].

وتتمثل أهمية زواج محمد بن عليّ بريطة بنت عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المدان بن الديان الحارثي المذحجيّ في أمرين، أحدهما أن بني عبد المدان بن الديان كانوا بيت الزعامة في قبائل مذحج اليمانية جميعها. قال الشاعر:

والبيتُ بيت بني الديان نعرفه في آل مذحج مثل الجوهر الغالي

والأمر الثاني: إن ريطة بنت عبيد اللّه أنجبت لمحمد بن عليّ ابنه أبا العباس وهو أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين وكان يُقال له (ابن الحارثية).

وقد كان لقبائل مذحج اليمانية ـ وبالذات في العراق ومشارقها وخراسان ـ دور هام في الاستجابة لمحمد بن عليّ والنهوض بأمر الدعوة العباسية منذ بداية مرحلتها الأولى وحتى سقوط رأس مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بسيف عامر بن إسماعيل المُسْلي المذحجيّ وصعود أبي العباس ـ ابن الحارثية ـ إلى كرسي الخلافة، وذلك في إطار الدور العربي اليماني الذي يأتي عنه في المباحث التالية النبأ اليقين.

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق د. الدّوري ـ ص ٢٠١.

معالم الدور العربي في المرحلة الأولى من الدعوة العباسية السرية (١٠٠ ـ ١٢٢هـ)

بداية الدعوة العباسية . . ودور سَلَمَة بن بجير المُسْلي :

في سنة ١٠٠هـ توجه من الكوفة ـ بالعراق ـ إلى محمد بن عليّ بن عبد اللَّه بن عباس ـ بالشام ـ سبعة رجال من المقيمين بالكوفة أبرزهم ـ ورئيسهم ـ سَلَمَة بن بجير بن عبد اللَّه المُسْلي المذحجيّ، وهو من رجالات بني مُسْلِية بن عامر بن عمرو بن عُلَةَ بن جَلْد بن مذحج[1]، وقد انتقلت فرقة منهم من منطقتهم في سرو مذحج[2] ـ بمحافظتي البيضاء وشبوة في اليمن حالياً ـ إلى الكوفة في الفتوحات واستقرُّوا بها. وجاء في ترجمتهم بكتاب الجامع ما يلي:

«بنو مُسْلِيَة بن عامر، بطنٌ من مذحج، منازلهم بالكوفة ولهم بها محلّةٌ تُنسب إليهم»[3] .

وجاء في أخبار الدولة العباسية: « . . سَلَمة بن بجير، من بني مُسْلية. كان أبوه بجير بن عبد اللَّه المُسلي من ذوي البصائر من أصحاب محمد بن الحنفية . . وذكر عمرو بن حُريث أن بجير بن عبد اللَّه المسلي قال: مرّ عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه ومعه الأشتر النخعيّ، فخرج إليه غلامٌ منّا بقدح فيه لبن وبكوز فيه ماء، فقال: اختر يا أمير المؤمنين، فتناول القدح والكوز وشرب حتى روي ثم قال: من الحيّ؟ قلنا: بنو مُسْلية، فقال: بخٍّ بخٍّ، بنو مُسلية تركوا الناس على ألوية شأنهم في آخر الزمان، يُقْتَلُ فرعون هذه الأمة على يدي رجل منهم، شعارهم يومئذ في عسكره أشدّ عليه من حريق النار»[4] .

---

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٤٧ جـ ٣.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ١٨١ و٢٠١ ـ وقد ذكر الهمداني مناطقهم في سرو مذحج بالتفصيل.

(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٥٧٣.

(٤) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق د. عبد العزيز الدّوري ـ ص ١٩١ ـ ١٩٣.

وقد انتقلت من اليمن أيضاً مجموعة ثانية من بني مُسْلية واستقرّوا مع إخوانهم بالكوفة وشهدوا فتح بلاد جُرجان مع يزيد بن المهلَّب أمير العراق ومشارقها في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨هـ فاستقر بعضهم بجرجان ومنهم أبو عامر إسماعيل المُسلي. . أما سلمة بن بجير المسلي فكان كبير بني مُسلية بالكوفة وكان من أصحاب أبي هاشم عبد اللّه بن محمد بن عليّ بن أبي طالب وهو عبد اللّه بن محمد بن الحنفية. فسار سلمة بن بجير وستة من أصحابه مع أبي هاشم عبد اللّه بن محمد بن الحنفية إلى الشام [سنة ١٠٠هـ] قال صاحب أخبار الدولة: «وكان سلمة بن بجير من ثقاة أبي هاشم، ورأس الشيعة [السبعة] الذين معه. ثم خلف أبو هاشم سَلَمَة في حاجة له بدمشق وقال له: اتبع أثرنا فإني آخذٌ على البلقاء مع ابن عمي محمد بن عليّ ولن أبرح حتى تلحق. . ومرض أبو هاشم في منزل محمد بن عليّ في الشراة بالبلقاء، ثم مات في منزله، ومعه عدة من شيعته، ورأسهم يومئذ سلمة بن بجير ولم يحضر وفاته لغيبته في دمشق. . فَلَمَّا مات أبو هاشم دعا محمد بن عليّ من كان معه من شيعته فعزّاهم به. . فتكلم ميسرة النبّال فقال: قد أوصى إليك صاحبنا الذي كنّا نأتمُّ به وذكر أنَّ هذا الأمر فيك وقد قبلنا ذلك فمُرنا بأمرك، فقال لهم محمد بن عليّ: أقيموا حتى يقدم ابن بُجير صاحبكم، فأقاموا. وأَقْبَلَ ابن بجير من دمشق، فألفى أبا هاشم قد تُوفي، فلقي محمد بن عليّ فعزّاه بأبي هاشم وخبّره بما ألقى إليه من أمره. فقال له ابن بجير: قد ألقىٰ أبو هاشم إليّ هذا الأمر وعَهَدَ إليّ فيه فابعث إلى أصحابه الذين كانوا معنا لننظر في أمرنا. ولم يكن ابن بجير قد لقيهم، فأرسلَ إليهم محمد بن عليّ فَلَمّا دخلوا ونظروا إلى ابن بجير بكوا وعزّاهم وعزّوه. ثم قال ابن بجير لأصحابه: قد مضى أبو هاشم ونحن نرى طاعَتَه واجبةً علينا وطاعته في مماته كطاعته في حياته، شمّروا في أمركم فإنّكم أيتها العصابة قد وجبتم عليكم الحجّةُ بما عرّفكم اللّه من حقّه.

ثم قال لمحمد بن عليّ: انهض في أمرك فقد تقارب ما كنّا ننتظره، وما أتاك اللّه من العلم بذلك أكثر. فقال له محمد بن عليّ: رحمك اللّهُ، أنت أخي دون الأخوة، ولستُ أقطعُ أمراً دونك، ولا أعملُ إلّا برأيك، وهذا الأمر لا تُنال حقيقتُهُ إلا بالتعاون عليه. . » [ص ١٩٣].

وكان ذلك اللقاء في منزل محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن العباس بمنطقة الشراة في البلقاء بالشام بداية تاريخ الدعوة العباسية السريّة. فقد بايع سلمة بن بجير المسلّي والستة الذين معه محمد بن عليّ ـ إماماً ـ بقول سلمة بن بجير لمحمد بن عليّ: انهض في أمرك. . وقول محمد بن عليّ لابن بجير: «أنت أخي دون الأخوة،

ولست أقطعُ أمراً دونك، ولا أعملُ إلا برأيك، وهذا الأمر لا تُنالُ حقيقتُهُ إلا بالتعاون». . وتم في ذلك اللقاء تكوين ما يمكن تسميته (الخليّة الأولى في الجماعة السرية للدعوة العباسية برئاسة سلمة بن بجير) حيث جاء في كتاب أخبار الدولة أنه:

«قال سلمة بن بجير لمحمد بن عليّ: إنّي قد كنت غرستُ بالكوفة غرساً لا تخلف ثمرتُهُ، استجاب لي عدّةٌ من رهطي وجيرتي وخلطائي. . وقد رأيتُ أن تثبت أسماءهم لتعرفهم وتستظهر بهم على أمرك. فتناول محمد بن عليّ قرطاساً، فجعل يكتب بخطه ويُملي عليه سَلَمَةُ بن بجير، فكان أول من ذكر له: سالم بن بجير المُسْليّ الذي يُقال له سالم الأعمى ـ أو سالم الأعين ـ وإنّما كفّ بصره فيما بعد. وبكير بن ماهان، فأما بكير فإن أباه كان مولى لرجل من بني مُسْلية سكن الشام بالأردن بعد، وكان بكير ابنه ينزله بنو مُسْلية من صَلِيبَتِهم وكان من أهل الديوان وغزا مع يزيد بن المهلَّب خُراسان ودخل معه جُرجان حين افتتحت، وكان هو في عدة من بني مُسلية قد شهدوا فتحها مع يزيد بن المهلَّب. وحَفْص بن سليمان وهو أبو سَلَمة الخلّال. وحفص الأسير مولى بني مُسلية. وميسره الرَّحال. وموسى السرَّاج. وزياد بن درهم الهمداني. ومَعْن بن يزيد الهمداني. والمنذر بن سعيد الهمداني. فكتب أسماءهم». [ص ١٩٣]

وذلك بالإضافة إلى الستة الذين كانوا مع سلمة بن بجير، وهُم «ميسرة النبّال مولى الأزد، أبو عمرو البزار مولى بني مُسلية، محمد بن خنيس مولى همدان، ومصقلة الطحان مولى بني الحارث بن كعب، وحيّان العطار مولى النخع. وإبراهيم بن سلمة». قال صاحب أخبار الدولة: «ويُقال إنه كان فيمن سمّى ابن بجير لمحمد بن عليّ أيضاً: أبا عمرو الأزدي، وأبا الهذيل حيّان السّراج، ومحمد بن المختار أخا زياد بن درهم لأمه، والوليد الأزرق». وبهم يكون مجموع الخلية الأولى للدعوة العباسية السرية تسعة عشر رجلاً.

ثم «قال لهم محمد بن عليّ [أي للحاضرين]: اختاروا رجلاً منكم أكتب إليه ويُلقي ما أكتب به إليكم، فقالوا: ابن بجير لك ولنا ثقة. فقال: جزاكم اللّه خيراً، نعم قد رضيت به فلا تخالفوه. وأمسكوا عن الجدّ في أمركم حتى يهلك أشج بني أمية (عمر بن عبد العزيز) وتنقضي سنة مائة، فهناك أظْهِروا أمرنا. . ثم تهيأ لابن بجير وأصحابه الشخوص، فشخصوا من طريق المدينة المنورة، وكان رئيسهم والمطاعُ فيهم سَلَمةُ بن بجير. فمرض واشتدّ به وجعه فمات في طريقه حيث شارف المدينة بذي خشب، فأوصى إلى ميسرة النبّال، وقَدِم أولئك الرهطُ الكوفة، وميسرة النبّال رئيسهم، وكان مجتمعهم في (محلة) بني مُسلية عند سالم بن بجير وأصحابه

وستروا أمرهم.. وما يعرف محمد بن عليّ باسمه ونسبه إلا أولئك الرهط وكانت دعوتهم إلى الرضا من آل محمد فإذا سُئلوا عن اسمه قالوا: أُمرنا بكتمان اسمه حتى يظهر..»[ص ١٩٣].

وقد ذكر الطبري رواية نقلها أيضاً ابن كثير وفيها بعض الالتباس والقصور. تقول الرواية: «في سنة ١٠٠هـ كان بدءُ دعوة بني العباس. وذلك أن محمد بن عليّ ـ وكان بأرض الشراة ـ بعث ميسرة إلى العراق. وأرسل طائفة أخرى وهم: محمد بن خُنَيس، وأبو عكرمة السرّاج وهو أبو محمد الصادق، وحيان العطار إلى خراسان، وعليها يومئذ الجراح بن عبد اللّه الحكمي مِن قبَل عمر بن عبد العزيز قَبْلَ أن يُعزل الجراح في رمضان. وأمرهم محمد بن عليّ بالدعوة إليه وإلى أهل بيته، فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب منهم إلى ميسرة بالعراق..»[1].

بينما الصواب أن محمد بن عليّ بعث الذين ذكرتهم الرواية إلى خراسان سنة ١٠٥هـ وليس في خلافة عمر بن عبد العزيز وقد ذكر ذلك الطبري نفسه كما سيأتي. وقد أمر محمد بن عليّ سلمة بن بجير والذين معه ومنهم ميسرة لَمَّا توجهوا من عنده إلى الكوفة أن (يمسكوا عن الجدّ في أمرهم حتى يموت عمر بن عبد العزيز) فستروا أمرهم، ولم يكن لهم أي نشاط سوى الاجتماع السري مع أصحابهم في محلة بني مسلية بالكوفة حتى وفاة عمر بن عبد العزيز في رجب ١٠١هـ. وقد زعمت الرواية أن محمد بن عليّ (أمرهم بالدعوة إليه وإلى أهل بيته) بينما الصواب أنه أمرهم بكتمان اسمه حتى عن أصحابهم (فما يعرف محمد بن عليّ باسمه ونسبه إلا أولئك الرهط (الستة) الذين التقوا به مع سلمة بن بجير (وكانت دعوتهم إلى الرضا من آل محمد فإذا سئلوا عن اسمه قالوا: أُمرنا بكتمان اسمه حتى يظهر). وجاء في الرواية: (أن محمد بن عليّ بعث ميسرة إلى العراق) والصواب أن ميسرة كان سابع سبعة لَمَّا توجهوا من عند محمد بن عليّ وكان رئيسهم سلمة بن بجير، فمات سَلَمَة في الطريق وأوصى ميسرة بالرئاسة، فَلَمَّا وصلوا الكوفة تولّى ميسرة رئاستهم بوصية سلمة بن بجير ـ ولم يعلم محمد بن عليّ بوفاة سلمة بن بجير ـ وكانوا يجتمعون في محلة بني مسلية عند سالم بن بجير ـ ولا يعلم سالم بأن الدعوة لمحمد بن عليّ ـ قال صاحب أخبار الدولة: «ولما انقضت سنة ١٠٠هـ مرض ميسرة النبّال فقال لسالم بن بجير: يا أخي إنّي لِمَا بي، وهذا الأمر إليك، وصاحبنا وإمامنا محمد بن عليّ، فكاتِبه بمثل ما كنا نكتبُ إليه وقُمْ من أمره بما كان ابن عمك ـ سَلَمَة ـ يقوم به. وقد رأيتُه يعتمدُ

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٩/١٨٩ ـ وتاريخ الطبري ـ ص ١٣٦ جـ ٨.

عليكم ويثق بكم. جمعنا اللّه وإياكم في جنة الخلد. وأُغمي عليه فما نهضوا من عنده إلا وهو ميت. وقام بأمرهم سالم بن بجير».

رئاسة سالم بن بجير المُسلِّي للدعوة العباسية:

لَمَّا أملى سَلَمَةُ بن بجير الأسماء التي أملاها على محمد بن عليّ وكتبها محمد بن عليّ في اللقاء التأسيسي ـ سالف الذكر ـ «كان أول اسم ذكره له: سالم بن بجير المُسلّي ـ الذي يُقال له سالم الأعين ـ ثم اسم بكير بن ماهان ـ الذي كان أبوه مولًى لرجل من بني مُسلية، وكان بكير ابنه يُنزله بنو مُسلية من صَلِبَتِهِم، وغزا مع يزيد بن المهلَّب خراسان ودخل معه جُرجان حين أُفتتحت سنة ٩٨هـ وكان هو في عدة من بني مُسلية قد شهدوا فتحها مع يزيد بن المهلَّب».

ولَمَّا مات سَلَمَةُ بن بجير وأوصى لميسرة النبال برئاسة الجماعة وعاد ميسرة مع الرهط الذي معه إلى الكوفة «كان مجتمعهم في محلة بني مسلية عند سالم بن بجير» ـ أي محل اجتماعاتهم السرية ـ «ولما انقضت سنة ١٠٠هـ ومرض ميسرة مرض الموت قال لسالم بن بجير: هذا الأمر إليك، وصاحبنا وإمامنا محمد بن عليّ.. وقُمْ من أمره بما كان ابن عمك يقوم به.. ومات ميسرة، وقام بأمرهم سالم بن بجير». فبدأت بذلك رئاسة سالم بن بجير المسلّي المذحجيّ لجماعة الدعوة العباسية السرية في أوائل سنة ١٠١هـ، حيث كما جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية:

«..قام بأمرهم سالم بن بجير. وكتب سالم وأولئك الرهط إلى محمد بن عليّ يخبرونه بموت ميسرة، وسألوا بكير بن ماهان أن يخرج بكتابهم، فأجاب إلى ذلك وتهيأ للشخوص إلى محمد، فورد عليه كتابٌ من ابن عم له بالسند يذكر أن أخاه يزيد بن ماهان تُوفِّي وترك مالاً كثيراً، وسأله تعجيل القدوم لقبضه. فقال سالم بن بجير لبكير: اذهب في طلب ميراثك ونبعث بكتابنا مع موسى السرّاج. فقال بكير: بل أمضي إلى محمد، وألقاه وأستأذنه في طلب ميراثي. فَشَخَص بكير حتى أتى دمشق ثم ابتاع بها عطراً، وسار حتى أتى الشّراة في هيئة عطار يبيع عطره.. فلقي محمد بن عليّ وأخبره بأمرهم، ودفع إليه كتاب سالم وأصحابه، فترحَّم على سلمة بن بجير وعلى ميسرة»[1].

وقد ذكر الطبري رواية لا مناص من التطرق إليها وتبيين ما وقع فيها من خطأ والتباس. تقول الرواية ما يلي:

«في سنة ١٠٥هـ قَدِم بكير بن ماهان من السند وكان بها مع الجنيد بن

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق د. عبد العزيز الدوري ـ ص ٢٠٠.

عبد الرحمن ترجماناً له.. فلقي بكير ـ بالكوفة ـ أبا عكرمة محمد الصادق، وميسرة، ومحمد بن خُنيس، وسالماً الأعين، وأبا يحيى مولى بني سلمة. فذكروا له أمر الدعوة، فقَبِل ذلك ورضيَه منهم، وأنفق ما معه عليهم، ودخل إلى محمد بن عليّ، ومات ميسرة، فوجّه محمد بن عليّ بكيراً إلى العراق مكان ميسرة وأقامه مقامه»[١].

لقد توهم صاحب تلك الرواية أن بكير بن ماهان دخل في الدعوة العباسية حين عاد من السند إلى الكوفة سنة ١٠٥هـ وأن ميسرة كان رئيس الجماعة فمات ميسرة فأقامه محمد بن علي مقامه. بينما الصحيح أن بكيراً كان في الدعوة منذ سنة ١٠٠ هجرية ومات ميسرة في أوائل سنة ١٠١هـ فقام مقامه سالم بن بجير المسلّي، وكان بكير هو مبعوث سالم بن بجير إلى محمد بن عليّ وقد سلف نبأ ذلك وأنه «..سار بكير حتى أتى دمشق ثم ابتاع عطراً، وسار حتى أتى الشراة في هيئة عطار يبيع عطره، فلقي محمد بن عليّ وأخبره بأمرهم، ودفع إليه كتاب سالم وأصحابه، فترحم ـ محمد بن عليّ ـ على سلمة بن بجير وميسرة. ثم قال لبكير: كم يبلغ أصحابكم بالكوفة؟ قال: لا يكونون ثلاثين رجلاً. قال: سيكونون وكثيرون.. وقال بكير لمحمد بن عليّ: أتاني عند شخوصي إليك نعيُّ أخي بالسند وترك لي مالاً كثيراً وأنا وارثه، فإن أذنتَ لي في الخروج في طلبه خرجت ووافيتك عند أوان حاجتك إليّ. فقال محمد: قد أذنتُ لك فامْض على بركة اللّه. ولا تُظهِرن جداً، ولتَكُن دعوتكم إلى الرضا من آل محمد.. وأبلغ أصحابك ما ألقيتُ إليك.. وقَدِم بكير الكوفة، ولقي سالماً وأصحابه فأبلغهم رسالة محمد بن عليّ..»[٢].

إن انقطاع أخبار الدعوة العباسية بعد ذلك ما بين أواسط سنة ١٠١هـ إلى الأشهر الأخيرة من سنة ١٠٥هـ يعود إلى أنه:

ـ في رجب سنة ١٠١هـ توفي الخليفة عمر بن عبد العزيز وتولّى الخلافة يزيد بن عبد الملك، وكان سيىء السيرة منذ ولايته للعهد، فثار وخلعه يزيد بن المهلّب، وانضوت تحت لواء ابن المهلّب أقاليم كثيرة واندلع صراع كبير، امتد من الكوفة غرباً إلى السند شرقاً وخراسان شمالاً. وأخفقت الثورة بانكسار جيش يزيد بن المهلّب ومقتله في صفر ١٠٢هـ وتولّى العراق ومشارقها مسلمة بن عبد الملك، وبلغت المعارك بلاد السند، ووقع ما وقع من عسف وتنكيل.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨٠ جـ ٨.

(٢) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٢٠٠ و٢٠١.

ـ وفي سنة ١٠٣هـ عزل يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة عن العراق ومشارقها فولّى مكانه القائد العسكري عمر بن هبيرة الفزاري القيسي، وولّى سعيد بن عمرو الحرشي خُراسان مما أتاح لبكير بن ماهان مغادرة الكوفة حيث كان يريد الذهاب إلى السند من أجل ميراث أخيه ولم يتمكن من ذلك إلا سنة ١٠٣هـ عند تولية سعيد الحُرشي خراسان حيث جاء في أخبار الدولة أنه: «توجّه بكير إلى خراسان مع سعيد الحرشي، ثم مضى إلى السند فصحب الجنيد بن عبد الرحمن وصار ترجماناً له، ولطفت حاله عنده، وكان الجنيد أمير السند من قِبل يزيد بن عبد الملك، وأصاب بكيراً مالاً من تركة أخيه وفي صحبة الجنيد»[1] بينما استمرت الأحوال الصعبة والتعسفية في العراق وغيرها حتى هلك يزيد بن عبد الملك في شعبان سنة ١٠٥هـ وتولّى الخلافة هشام بن عبد الملك، فعزل ابن هبيرة وولّى على العراق والمشرقين الأمير اليماني خالد بن عبد اللّه القَسري في شوال سنة ١٠٥هـ فانفرجت الأحوال. قال الشاعر جرير في قصيدة طويلة يثني على خالد القسري:

لقد كان داءٌ بالعراق فما لَقُوا طبيباً شَفَىٰ أدواءَهُمْ مِثْل خالِدِ
شَفاهُمْ بِحِلْم خالط الدينَ والتُّقا ورأفَةَ مَهْدِيٍّ إلى الحَقِّ قاصِدِ[2]

وقد أتاح انفراج الأحوال أن تعاود جماعة الدعوة العباسية السرية نشاطها برئاسة سالم بن بجير المسلّي وكانت الجماعة نحو ثلاثين رجلاً، وكانوا يجتمعون سرّاً بمحلة بني مسلية بالكوفة عند سالم وأصحابه. قال الطبري:

«وفي سنة ١٠٥هـ قَدِم بكير بن ماهان من السند، وكان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن ترجماناً له، فَلَمَّا عُزل الجُنيد قَدِم بكير الكوفة فلقي أبا عكرمة محمد الصادق، وميسرة، ومحمد بن خنيس، وسالماً الأعين، وأبا يحيى مولى بني سلمة فذكروا له أمر الدعوة فقبل ذلك ورضيَه منهم، وأنفق ما معه عليهم ودخل إلى محمد بن عليّ..»[3].

وقد وقع التباس في رواية الطبري إذْ أنه:

أ ـ كان بكير في الدعوة العباسية منذ سنة ١٠٠هـ. وقد سلف تبيين ذلك.

ب ـ إن قول رواية الطبري أنه (لما عُزل الجنيد قَدِم بكير الكوفة) فيه خلط والتباس فالجنيد لم يعزل سنة ١٠٥هـ وإنما استمر أميراً للسند في إطار ولاية خالد بن

(١) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٢٠٠ و٢٠١.
(٢) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص ٩٨٠ جـ ٢.
(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨٠ جـ ٨.

عبد اللّه القسري للعراق ومشارقها إلى أواخر سنة ١٠٧هـ. حيث قال البلاذري: «لما وُلِّي خالد بن عبد اللّه القسري العراق كتب هشام بن عبد الملك إلى الجنيد يأمره بمكاتبة خالد»[١]. وبذلك أصبح الجنيد عاملاً لخالد على السند منذ شوال سنة ١٠٥هـ وقال ابن الأثير: «استعمل خالد بن عبد اللّه القسري الجنيد بن عبد الرحمن على السند»[٢] فمكث الجنيد أميراً للسند ولم يُعزل إلا في أواخر سنة ١٠٧هـ. وبالتالي فإن قدوم بكير من السند كان مرتين الأولى بإذن الجنيد سنة ١٠٥هـ ثم عاد إلى السند عام ١٠٦هـ. والثانية عند عزل الجنيد في أواخر سنة ١٠٧هـ وقد دمجت رواية الطبري بين المرّتين ولم تُميز بينهما.

لقد كان قدوم بكير من السند عام ١٠٥هـ بإذن الجنيد ليؤدي فريضة الحج ـ أو بعذر أداء فريضة الحج ـ وجعل بكير طريقه عبر مدينة جُرجان. وقد سلف ذكر أنه كان من بني مُسلية بالولاء وكان كواحد منهم. قال إبراهيم بن سلمة: «وكان بكير يُنْزِله بنو مُسْلية من صَليبَتِهم، وكان من أهل الديوان وغزا مع يزيد بن المهلَّب خراسان ودخل معه جُرجان حين افتُتِحَتْ. وكان هو في عدة من بني مُسلية قد شهدوا فتحها مع يزيد بن المهلَّب»[٣] وقد قام يزيد بن المهلَّب آنذاك ـ سنة ٩٨هـ ـ ببناء مدينة جرجان وأسكن بها عشائر من الأزد ومذحج وكان منهم جماعة من بني مسلية منهم أبو عبيدة قيس بن السري المسلي وأبو عامر إسماعيل المسلي. وولّى يزيد بن المهلَّب على جُرجان يومئذ جهم بن زَحر الجعفي المذحجي. ولمَّا وقعت ثورة يزيد بن المهلَّب سنة ١٠١ ـ ١٠٢هـ انضوت جُرجان في الثورة، فَلَمَّا أخفقت الثورة تم حبس حمال بن زحر الجعفي ومات بالحبس في دمشق وتم حبس جهم بن زَحر في خراسان ومات بالحبس هناك سنة ١٠٣هـ، وكانت مشاعر الناس في جرجان وخراسان ساخطة على بني أمية. فَلَمَّا سار بكير من السند إلى جُرجان قاصداً الكوفة سنة ١٠٥هـ مكث أياماً بجرجان، حيث روى إبراهيم بن سلمة عن بكير قال: «لقيتُ رجلاً من الأعاجم عند قيس بن السري بجُرجان يقول: ما يمنعكم من رد الأمر في عترة النبي ﷺ فأنا لكم على أهل بلدي ضمين ينهضون معكم في ذلك. فقلت له: وتفعل؟ قال: نعم، ابسط يدك أبايعك على ذلك.. فَلَمَّا خرج، قلتُ: من هذا؟ فقال أبو عامر إسماعيل وكان حاضراً: هذا ابن نهيد.. ثم أقبلتُ من جرجان ومعي أبو عبيدة قيس بن السري وأبو عامر إسماعيل وهما يريدان الحج. فَلَمَّا صرنا إلى

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٤٢٩.
(٢) الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ١٩٧ جـ ٤.
(٣) أخبار الدولة العباسية ـ ص ١٩١ وص ١٩٩.

الرَّيّ سار معنا قومٌ من حجاج خراسان فنَازَلَنا رجل منهم يقال له سليمان بن كثير الخزاعي فتذاكرنا شيئاً من حديث آل محمد فرأيتُ له رقة شديدة عند ذلك. .»[1] .

ووصل بكير بن ماهان وأبو عبيدة قيس بن السري المسلي وأبو عامر إسماعيل المسلي وسليمان بن كثير الخزاعي إلى الكوفة ـ في حوالي ذي القعدة سنة ١٠٥هـ ـ وقد جاء في رواية الطبري أنه «لقي بكير أبا عكرمة محمد الصادق، وميسرة، ومحمد بن خنيس، وسالماً الأعين، وأبا يحيى مولى بني سلمة. فذكروا له أمر الدعوة، فقبل ذلك ورضيه منهم، وأنفق ما معه عليهم، ودخل إلى محمد بن عليّ. .» ويمكن القول أنهم دعوه إلى العودة إلى النشاط لأنه كان انقطع عن ذلك، فقبل ذلك ورضيه منهم، وكان رئيسهم سالم الأعين وهو سالم بن بجير المُسلي، أما ميسرة النبال فقد مات سنة ١٠١هـ. أما القول بأنه «أنفق ما معه من مال عليهم». فأصل ذلك أنهم جعلوه يتبرع ببعض المال للدعوة. وكذلك دعا سالم بن بجير أبا عبيدة قيس بن السري المسلي وأبا عامر إسماعيل المسلي وسليمان بن كثير الخزاعي إلى الدخول في الدعوة فأجابوه إلى ذلك وتبرعوا ببعض المال بحيث قال الحافظ ابن كثير: «في سنة ١٠٥هـ قوي أمر دعوة بني العباس في السر بأرض العراق وحصل لدعاتهم أموالٌ جزيلة يستعينون بها على أمرهم».

وتوجّه أبو عبيدة قيس بن السري وأبو عامر إسماعيل المسلي وسليمان بن كثير الخزاعي من الكوفة إلى مكة وأدّوا فريضة الحج. وتوجّه بكير بن ماهان إلى محمد بن علي بن عبد اللّه بن العباس في منزله بمنطقة الشراة في البلقاء بالشام فالتقى بمحمد بن عليّ، وطرح عليه فكرة نشر الدعوة في بلاد خُراسان. . فجاء في كتاب أخبار الدولة أنه: «قال بكير لمحمد بن عليّ: إنّي قد جوّلتُ الآفاق ودخلت خُراسان وشهدتُ فتح جُرجان مع يزيد بن المهلّب فما رأيتُ قوماً أرقَّ قلوباً عند ذكر آل رسول اللّه ﷺ من أهل المشرق» ـ ثم ذكر بكير لمحمد بن عليّ خبر قدومه عن طريق جرجان ولقائه بأبي عبيدة قيس بن السري وأبي عامر إسماعيل وابن نهيد، ولقائه بسليمان بن كثير الخزاعي في طريقهم إلى الحج ـ ثم «قال بكير لمحمد بن عليّ: فقد أرى أن تبثَّ دعوتك فيها وتكون دار هجرتك وشيعتك. فقال محمد بن علي لبكير: . . قد أذنتُ لك في بث الدعوة بخراسان، واكتُم ذلك فلا تُظهر شيئاً حتى ترد جُرجان، ولا تُلقِ أمرك إلا إلى الثقات من أهلها، فأنت بكر هذا الأمر وافتتاحه». [ص ٢٠٠].

وقد سبق تفنيد ما جاء في الرواية التي ذكرها الطبري من أنه «مات ميسرة،

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ ص ١٩١ وص ١٩٩.

فوجّه محمد بن عليّ بكيراً إلى العراق مكان ميسرة وأقامه مقامه». فالصواب أن ميسرة كان قد مات سنة ١٠١هـ وقام مقامه سالم بن بجير المسلي ولَمّا دخل بكير إلى محمد بن عليّ في موسم الحج سنة ١٠٥هـ أذن له محمد بن عليّ في بثّ الدعوة بخراسان وأن يبدأ بجرجان وقال له: «فأنت بكر هذا الأمر وافتتاحه». وعاد بكير إلى سالم بن بجير وأصحابه بالكوفة وأخبرهم بما أمره محمد بن عليّ من بثّ الدعوة بخراسان، فلم يحبذ سالم وأصحابه ذلك، وسيأتي رأي سالم في خبر لقائه بمحمد بن علي بعد موسم حج سنة ١٠٦هـ ولكنّ سالماً وأصحابه وافقوا على مسير بكير إلى أبي عبيدة المسلي بجرجان وسليمان بن كثير بخراسان وتكوين خلية للدعوة من أصحابهما هناك. وتأجيل (بث الدعوة بخراسان) ـ بمدلولها الواسع ـ حتى يلتقي سالم وأصحابه بمحمد بن عليّ في موسم الحج القادم. فسار بكير من الكوفة وأظهر أنه عائد إلى عمله بالسند، ولكنه جعل طريقه إلى السند عبر جُرجان وخراسان.

تكوين الخليّة الأولى للدعوة العباسية بخُراسان:

في الأشهر الأولى من سنة ١٠٦هـ توجّه بكير من عند سالم بن بجير المُسْلي رئيس جماعة الدعوة العباسية السِّرّية بالكوفة إلى خراسان ـ في طريق عودته إلى عمله بالسند ـ حيث جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية ما يلي: «ذكر عمر بن شبيب: أن بكيراً لَمّا أتى خُراسان بدأ بجُرجان فلقي بها أبا عامر إسماعيل المسلي وأبا عبيدة قيس بن السري المسلي، فأقام عندهم شهراً، ثم نَفَذَ إلى مرو ـ خراسان ـ ومعه أبو عبيدة فنزل على سليمان بن كثير الخزاعي للمعرفة التي كانت بينهم في طريقهم إلى العراق ـ للحج ـ قبل ذلك.. فأقام بكير بمرو نحواً من شهرين، وأتاه سليمان بن كثير بمالك بن الهيثم الخزاعي، وعمرو بن أعين الخزاعي، وزياد بن صالح، وطلحة بن زُريق، وأبي النجم، وخالد بن إبراهيم أبي داود الربعي، فبايعوه ـ وأتاه مالك بن الهيثم بموسى بن كعب التميمي فبايعه ـ وأتاه العلاء بن حريث الخزاعي في عدة من خزاعة فبايعوه». [ص ٢٠٢].

فكان أولئك بمثابة الخليّة الأولى للدعوة العباسية بخُراسان، وكان غالبيتهم من رجالات خزاعة الأزديين اليمانيين بمرو خُراسان ومن بني مُسلية المذحجيين بجُرجان، وكان رئيس مجموعة خراسان سليمان بن كثير الخزاعي ورئيس مجموعة جُرجان أبو عبيدة قيس بن السري المسلي. وكانوا يرتبطون بجماعة الدعوة العباسية في الكوفة بالعراق برئاسة سالم بن بجير المسلي. ومضى بكير بن ماهان من خراسان إلى السند حيث عاد إلى عمله ترجماناً للجنيد بن عبد الرحمن عامل خالد بن عبد اللّٰه القسري على ولاية السند، فمكث بها إلى أن عُزل الجنيد في أواخر سنة ١٠٧هـ.

لقاء سالم بن بجير بمحمد بن عليّ بشأن بثّ الدعوة بخراسان:

في موسم الحج سنة ١٠٦هـ توجّه سالم بن بجير المُسلي ـ بعد الحج ـ ومعه أبو عكرمة زياد بن درهم مولى همدان، وأبو محمد الصادق، ومحمد بن خنيس، وأبو حيّان العطار، وبقية أصحابهم، وكانوا عشرة، توجّهوا إلى محمد بن عليّ في منزله بمنطقة الشراة بالبلقاء في الشام، فالتقوا بمحمد بن عليّ حيث قرر توجيه أبي عكرمة مع جماعة من الدعاة إلى خراسان، وجرى بينه وبين سالم بن بجير حديث هام ذكره كتاب أخبار الدولة العباسية حيث جاء فيه ما يلي نصه:

«لمّا أجمع محمد بن عليّ على توجيه أبي عكرمة إلى خُراسان، قال له سالم بن بجير: ليس لنا أن نستبدّ بأمر دونك ولا نسبقك ونحن نأتمّ بك وقد أحببتُ أن أستأذنك في شيء قد كنا رأيناه فخَالَفَنَا فيه بكير إذْ نحن بالكوفة. قال محمد: فهاته، وما أحبّ أن تخالفوا بكيراً فهو ذو رأي. فقال سالم: كنّا نظرنا في أمرنا هذا فرأيناك قد حللتَ بين أهل الشام ورأينا لأهل الشام دولة وجماعة ونجدة فيهم ظاهرة، فرأينا أن نبثّ دعوتك فيهم، وندعو من طمعنا في إجابته. فقال محمد بن علي: أصاب بكير وأخطأتم فإنّ أهل الشام أعوان الظالمين وآفة هذا الدين وقد ابتعثوا بنُصرة بني أُميّة، وقد أُغري أكثر أهل العراق بمشايعة بني أبي طالب، وقد خصّنا اللّه بأهل خُراسان فهُم أنصارنا وأعواننا وذخائرنا.. فالْهُ ـ يا سالم ـ عن غير أهل خراسان فإنّه ليس لكم بغيرها دعوة ولا من غير أهلها مُجيب. ومن كلامه في هذا الجنس أنه قال لرجال الدعوة [وهم أبو عكرمة وأصحابه] حين أراد توجيههم: أما الكوفة فهناك شيعة عليّ وولده، وأما البصرة وسوادها فعثمانية.. وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، ولكن عليكم بخراسان فإنَّ هناك العدد الكثير والجلَد الظاهر وهناك صدورٌ سالمةٌ وقلوبٌ فارغةٌ لم تتقسّمها الأهواء ولم تتوزعها النِحَلُ..» [ص ٢٠٥].

ويتبيَّن من تلك النصوص التاريخية العباسية أمرين أساسيين، **أحدهما**: أن سالم بن بجير المسلي هو رئيس الدعوة العباسية السِّرِّية بالعراق حتى وقت هذا اللقاء ـ في أوائل سنة ١٠٧هـ ـ وبعد ذلك، وكان يرى بثّ الدعوة العباسية بين أهل الشام ـ الذين بالعراق ـ وكذلك بالشام، وكان أمير العراق آنذاك خالد بن عبد اللّه القسري وهو من يمانية الشام وكان أغلب رجال الدولة منهم. ولكن محمد بن عليّ لم يوافق على ذلك الرأي وقال فيما قال: «..فالْهُ ـ يا سالم ـ عن غير أهل خراسان فليس لكم بغيرها دعوة ولا من غير أهلها مجيب». فامتثل سالم وأصحابه لرأي وقرار محمد بن عليّ بتوجيه أبي عكرمة ومعه جماعة من الدعاة إلى خراسان لبث الدعوة

فيها. **والأمر الثاني**: أن محمد بن عليّ هو الذي وجّه أبا عكرمة والذين معه إلى خراسان وأمرهم بالتوجه إليها في ذلك اللقاء، وليس الذي وجههم بكير بن ماهان. فقد ذكر الطبري رواية تقول ما يلي: «في سنة ١٠٧هـ وجّه بكير بن ماهان أبا عكرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن خُنيس وعماراً العبادي وزياداً خال الوليد الأزرق في عدّة من شيعتهم دعاة إلى خراسان، فجاء رجلٌ من كندة إلى أسد بن عبد اللّه القسري فوشى بهم إليه.. إلخ». ثم ذكر الطبري رواية ثانية تتفق مع الصواب حيث قال ما يلي: «وذكر عليّ بن محمد أنّ أول من قَدِم خُراسان من دعاة بني العباس زياد أبو محمد مولى همدان، بعثه محمد بن عليّ في ولاية أسد الأولى لخراسان..» [ص ١٩٣ جـ ٨] وزياد مولى همدان هو أبو عكرمة فالذي بعثه مع أصحابه إلى خراسان سنة ١٠٧هـ هو محمد بن عليّ، أما بكير بن ماهان فكان بالسند ترجماناً لعاملها الجنيد بن عبد الرحمن، وكان سالم بن بجير هو رئيس منظمة ـ أو جماعة ـ الدعوة العباسية وكان أبو عكرمة وأصحابه مع سالم بن بجير في ذلك اللقاء بمحمد بن عليّ حيث قرر توجيه أبي عكرمة وعشرة من الدعاة معه إلى خراسان لبث الدعوة فيها، فامتثلوا لأمره.. قال صاحب أخبار الدولة العباسية:

«لمّا أراد محمد بن عليّ توجيه أبي عكرمة، واسمه زياد بن درهم، إلى خراسان قال له: ..لا تُظهرنّ شيئاً من أمرك حتى تَقْدِم جُرجان وتلقى أبا عبيدة، ثم تأتي مَرْو فتلقى أهلها بتجارتك، وتلقى سليمان بن كثير والنفر الذين استجابوا لبكير. وإن دعوت أحداً من العامة فلتكن دعوتك إلى الرضا من آل محمد ولْيكُن اسمي مستوراً عن كل أحد، وإن سُئلتم عن اسمي فقولوا: نحن في تُقيّة». [ص ٢٠٣].

❊ ❊ ❊

إخفاق الدعوة العباسية في ولاية أسد القسري لخُراسان وولاية خالد القسري للمشرقين:

في سنة ١٠٧هـ توجّه أبو عكرمة ومعه عشرة من رجال الدعوة العباسية في قافلة تجارية من الكوفة ـ بالعراق ـ إلى مدينة جُرجان ـ في إقليم جُرجان ـ فالتقى بأبي عبيدة قيس بن السريّ المسلّي وأصحابه بجُرجان، ثم سار إلى مدينة مَرْو ـ عاصمة خراسان ـ كما أمره محمد بن عليّ حيث قال له: «..ثم تأتي مرو فتلقى أهلها بتجارتك وتلقى سليمان بن كثير والنفر الذين استجابوا لبكير..» فوصل أبو عكرمة والذين معه إلى مدينة مرو تحت ستار التجارة، والتقوا بسليمان بن كثير الخزاعي وأصحابه، وبدؤُوا نشاطاً واسعاً لبثّ الدعوة العباسية بخراسان.

وكان الوالي على خُراسان آنذاك الأمير أسد بن عبد اللّه القَسْري اليماني، وكان

أخوه الأمير خالد بن عبد اللّه القَسْري اليماني والياً للعراق والمشرقين منذ شوال سنة ١٠٥هـ (مارس ٧٢٤م) ولاهُ الخليفة هشام بن عبد الملك، وكانت ولاية خالد بن عبد اللّه القسري تشمل بلدان المشرقين. قال الفرزدق في قصيدة أثنى فيها على خالد القسري:

وما الشمسُ ضوءَ المشرقين إذا انْجَلَتْ ولكنَّ ضوءَ المشرقين بخالد
ستعلمُ ما أثني عليك إذا انتهت إلى حضرموتٍ جامحاتُ القصائدِ[١]

وكانت ولاية خُراسان أحد المشرقين، وكانت تشمل بلدان آسيا الوسطى، وولّى خالد القسري أخاه أسد بن عبد اللّه القسري على خراسان سنة ١٠٦هـ فأرسى أسد القسري الأمن والاستقرار في البلاد، وكان الأزد بخراسان قد تعرَّضوا للتنكيل والإقصاء من مناصب الدولة بخراسان بعد إخفاق ثورة يزيد بن المهلّب وكان الشاعر ثابت قُطنة الأزدي قد اعتزل الحياة السياسية.. فَلَمَّا تولَّى خراسان أسد بن عبد اللّه القسري تغيَّرت الأمور فقد أعاد أسد للأزد مكانتهم في المناصب الإدارية والقيادية.. وقال د. حسين عطوان عن الشاعر ثابت قُطنة الأزدي ما يلي: «اعتزل ثابت الحياة العسكرية والأدبية بعد إخفاق ثورة المهالبة، وأصبح خائفاً ضائقاً من الولاة القيسيين.. حتى تولَّى أسد بن عبد اللّه القسري خراسان فلمعت شخصية ثابت واستردَّ مكانته وانحلّت عقدة لسانه»[٢].

ولَمَّا قَدِم أبو عكرمة والذين معه إلى مدينة مرو ـ عاصمة خراسان ـ وأقاموا يبثّون الدعوة العباسية في إقليم مرو ـ سنة ١٠٧هـ ـ كان الحسن بن شيخ الأزدي هو عامل ونائب أسد القسري في مرو، بينما كان أسد القسري قد سار بجند العروبة والإسلام لغزو وفتح جبال هَرَاة وبلاد الغَرْشِستان وغورين الممتدة فيما يلي أفغانستان إلى تخوم الصين. قال الطبري: «في سنة ١٠٧هـ غزا أسد بن عبد اللّه جبال نمرون ملك الغَرْشِستان مما يلي جبال الطالقان، فصالحه نمرون وأسلم على يديه، فَهُم إلى اليوم يتولون اليمن»[٣] قال ابن خلدون: «وسار أسد بن عبد اللّه إلى غورين وقاتلهم فانهزم المشركون وحوى المسلمون عسكرهم بما فيه». قال الطبري: «فقال ثابت قطنة الأزدي ـ يذكر فتوح أسد ـ:

أرى أسداً تَضَمَّنَ مُفْظِعاتٍ تهيَّبها الملوكُ ذوو الحِجابِ
سَما بالخيل من أكناف مَرْوٍ تَوفُزهُن بين هلًا وهابِ

(١) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص ٩٧٠ ـ ٩٨٠ جـ ٢.
(٢) الشعر العربي في خراسان ـ حسين عطوان ـ ص ٢٤٥.
(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨٨ جـ ٨.

إلـى غـوريـن حـيـثُ حـوى أزَبّ ... وصَـك بـالـسـيـوف وبـالـحـراب
مـلاحـمُ لـم تَـدَعْ لِـسَـرَاة كـلـبٍ ... مُـفـاخـرةً ولا لـبـنـي كـلاب
ألـم يـزُرِ الـجـبـالَ جـبـال مُـلـع ... تـرى مـن دونـهـا قِـطَـع الـسَّـحـابِ
بـأرعَـن لـم يـدع لـهـم شـريـداً ... وعـاقَـبَـهـا الـمُـمِـضّ مـن الـعـقـاب

وعاد الأمير أسد من تلك الفتوح إلى منطقة بَلْخ وبدأ في تشييد مدينة بَلْخ منذ أواسط سنة ١٠٧هـ.

بينما في مَرْو كان أبو عكرمة زياد بن درهم وأبو محمد الصادق وأبو موسى السرّاج ومحمد بن خنيس وعمار العبادي وبقية العشرة يبثّون الدعوة لمحمد بن عليّ دون ذكر اسمه وإنما يدعون إلى (الرضا من آل محمد) وكانوا يذمّون بني أمية والخليفة هشام بن عبد الملك ـ بالضرورة ـ قال الطبري: « . . فأقام زياد [وهو أبو عكرمة] بمرو شتوةً، وكان يختلف إليه من أهل مرو يحيى بن عقيل الخزاعي، وإبراهيم بن خطاب، ونزل برزن سويد الكتاب. وكان العامل على مرو الحسن بن شيخ الأزدي فبلغه أمره فأخبر به أسد بن عبد اللّه القسري»(١) ـ وكان أسد في بَلْخ فكتب إلى الحسن بن شيخ أن يأمر أبا عكرمة والذين معه بالقدوم إليه ـ وقد جاء في رواية للطبري أنه « . . أُتي أسد بأبي عكرمة ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه، ونجا عمار العبادي» ـ وقال الطبري في الرواية الأولى لَمَّا أبلغ الحسن بن شيخ أسداً بأمرهم ما يلي: «فدعا أسد زياداً وكان معه رجل يكنى أبا موسى فَلَمَّا نظر إليه أسد قال له: أعرفُك رأيتُك في حانوت بدمشق، فقال: نعم. ثم قال أسد لزياد: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: رُفع إليك الباطل إنّما قَدِمتُ خراسان في تجارة وقد فرّقت مالي على الناس فإذا صار إليّ خرجتُ، فقال له أسد: اخرج عن بلادي. فانصرف زياد إلى مرو، فعاد إلى أمره، فعاود الحسن بن شيخ أسداً (سنة ١٠٨هـ) وعظم عليه أمره . . »(١).

وكان الأمير أسد قد أنذر زياداً أبا عكرمة وقال له (اخرج عن بلادي) فقال (قد فرّقتُ مالي على الناس فإذا صار إليّ خرجت) فأذن له أسد بالعودة إلى مرو حتى يستوفي ماله، وحذره هو والذين معه من السعيّ إلى الفرقة والفتنة، فعاد زياد أبو عكرمة إلى مدينة مرو، واستمر في أمر الدعوة العباسية وأخذ كثير من الناس يجتمعون إليه، فكتب الحسن بن شيخ عامل مرو إلى الأمير أسد مرة ثانية، وعظم عليه أمر أبي عكرمة والذين معه. وكان الأمير أسد بن عبد اللّه قد سار بجند

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٩٣ جـ ٨.

العروبة والإسلام إلى أقاليم العدو فيما وراء نهر جيحون سنة ١٠٨هـ حيث «غزا أسد أرض السَبْل ملك الخُتَّل.. فلم يلبث المشركون أن انهزموا، وحوى المسلمون عسكرهم وظهروا على البلاد.. ورجع أسد إلى بلخ، فقال ثابت قُطنة:

أرى أسداً في الحرب إذْ نَزَلَتْ به وقَارَع أهل الحرب فازَ وأوجبا
تَنَاوَلَ أرضَ السَبْل، خاقان ردؤه، فحرّق ما استعصى عليه وخَرَّبا
أتتك وفود الترك ما بين كابُلٍ وغُوريان إذْ لم يهربوا منك مهربا»

وقد أتمّ الأمير أسد بناء مدينة بلخ سنة ١٠٨هـ وجعلها عاصمة لإقليم هراة وبَلخ. قال الطبري: «..فقال أبو البريد البكري في بنيان أسد مدينة بلخ:

إنّ المباركة التي حَصَّنْتَها عُصِم الذليل بها وقرَّ الخائفُ
فمضى لك الاسم الذي يرضى به عنك البصير بما نويت اللاطفُ
يا خير مَلْكٍ ساس أمر رعيّةٍ إنّي على صدق اليمين لحالِفُ
اللّهُ أمّنها بصنعك بعدما كانت قلوبٌ خوفهنّ رواجفُ»

وبينما الأمير أسد بمدينة بلخ ـ في شوال ١٠٨هـ ـ أتاه كتاب الحسن بن شيخ الأزدي عامل مرو يخبره بنشاط زياد أبي عكرمة والذين بقوا معه في مرو، وكان ستة من أصحاب أبي عكرمة قد توقفوا عن النشاط وعادوا إلى الكوفة ـ وهم: أبو محمد الصادق، وأبو موسى عيسى السرّاج، وحيان العطار، ومحمد بن خنيس، وزياد مولى الوليد الأزرق، وعمار بن يزيد العبادي ـ فكان الذي استمر بالدعوة في مرو زياد أبو عكرمة وأربعة أشخاص معه، فَلَمَّا كتب الحسن بن شيخ إلى الأمير أسد «عظَم عليه أمر زياد، ـ فأَقْبَلَ أسد من بلخ إلى مرو ـ فأرسل أسد إلى زياد، فَلَمَّا نظر إلى زياد قال له: ألم أنهك عن المقام بخراسان؟ فقال ليس عليك أيها الأمير مني بأس. وقال أبو موسى لأسد: إقض ما أنت قاض، فازداد أسد غضباً وقال: أنزلتني منزلة فرعون؟ قال: ما أنزلتُك ولكن اللّه أنزلك» ـ ونرى أن الذي قال ذلك هو زياد أبو عكرمة لأن أبا موسى السرّاج عاد إلى الكوفة ـ قال الطبري: «..وأمر أسد بقتل زياد والذين معه وكانوا عشرة من أهل الكوفة فلم ينج منهم يومئذ إلا غلامان استصغرهما أسد، وأمر بالباقين فقُتلوا بكشانشاه. وقال قوم: عرض عليهم أسد البراءة، فمن تبرأ منهم ـ مما رُفع عليه ـ خلّي سبيله. فأبى البراءة ثمانية منهم فقُتلوا، وتبرأ اثنان فَلَمَّا كان الغدُ أَقْبَلَ أحدهما وأسدُ في مجلسه المشرف على السوق بالمدينة العتيقة فقال له: أسألُك أن تُلحقني بأصحابي. فأمر به، فأشرفوا به على السوق، فضُربت عنقه قبل الأضحى بأربعة أيام..» [ص ١٩٤/٨] وقد ذكر الطبري في رواية ثانية قتل أبي عكرمة وقال إنه «..نجا أصحابه، فقَدِموا على بكير بالكوفة فأخبروه الخبر، فكتب بذلك إلى

محمد بن عليّ فكتب إليه في جواب كتابه: الحمد للّٰه الذي صدّق دعوتكم ونَجّىٰ شيعتكم وقد بقيت منكم قتلى ستُقتل». [ص ١٩٠ جـ ٨].

ويتبيّن من ربط الروايات أنه لم يُقتل إلا زياد أبو عكرمة وواحد من أصحابه لأنّ أسداً عفا عن اثنين لصغر سنهما، وعفا عن واحد لتبرُّئِهِ من التهمة، وكان ستة قد عادوا إلى الكوفة فنجوا، أما الذين تم الرفع بهم من أهل مرو خراسان ـ أمثال سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، ويحيى بن عقيل، وغيرهم، فقد تغاضى وعفا أسد عنهم جميعاً، فقال ثابت قطنة مشيراً إلى ذلك:

أسدُ ابن عبد اللّٰه جلّل عفوهُ أهل الذنوب فكيف مَنْ لم يُذنِبِ

وكان للإجراءات التي اتخذها الأمير أسد بن عبد اللّٰه أثرها الفعّال في توقف نشاط الدعوة العباسية بخراسان لسنوات عديدة امتدت إلى سنة ١١٦هـ.

* * *

ولَمَّا عاد الذين كانوا مع أبي عكرمة إلى الكوفة أخبروا سالم بن بجير وبكير بن ماهان بمقتل أبي عكرمة وما حدث بخراسان، وكان بكير قد عاد من السند بعد عزل الجنيد بن عبد الرحمن في أواخر سنة ١٠٧هـ فَلَمَّا عاد الذين كانوا مع أبي عكرمة إلى الكوفة أخبروا سالماً وبكيراً بما حدث، فكتبا بذلك إلى محمد بن عليّ بن عبد اللّٰه بن العباس، فكتب إليهم في جواب الكتاب (الحمد للّٰه الذي صدّق دعوتكم ونَجّى شيعتكم، وقد بقيت منكم قتلى ستُقتل). ثم في موسم الحج بالسنة التالية ـ وهي سنة ١٠٩هـ ـ سار سالم بن بجير وبكير بن ماهان وجماعة من رجال الدعوة إلى محمد بن عليّ للتشاور حول آفاق وضوابط العمل والاتصالات بعد الضربة التي قصمت نشاط الدعوة بخراسان. فالتقوا بمحمد بن عليّ في منزله بمنطقة الشراة بالبلقاء في الشام ـ منصرفهم من الحج ـ وقد جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية ما يلي نصه:

«قال محمد بن عليّ: سيقصمُ اللّٰه الجبارين من بني أُميّة ويصير الأمرُ إلى آل رسول اللّٰه ﷺ. يا سالم يفتتحُ الأمر منهم بابن الحارثية من ولدي ثم يتوارثونه..

وقال: أقلّوا لقائي إلّا في أيام المواسم، أو يحلّ بكم أمر تحتاجون إلى رأي فيه، فتبعثون إليّ به مع ثقةٍ من أصحابكم، أو ممّن يقدم عليكم من خواص شيعتنا من أهل خراسان بعد أن تكونوا قد خبرتم وفاءه وصحة نيته.

وتوقّوا علينا هذه الجبابرة من بني أُميّة فإنّهم مُطلّون علينا بسلطانهم وأشياعهم، وقد أُعطوا مدة لا بدّ بلغوها وما أقرب زوالها، إذا ابتز الأمرَ فيهم الفظّ القاسي سمّى

أبيهم فعند ذلك يحلّ بهم البلاء وتقعُ بهم المُثلات. وقبل ذلك علامات مُخبرات عمّا هو كائن فيهم إذا التقى قُتَقَا المغرب والمشرق فعند ذلك تنتهك دولتهم». [ص ٢٠٨].

ثم يمضي صاحب كتاب أخبار الدولة قائلاً: «فلم تزل الشيعة ـ شيعة بني العباس ـ تتوقع ذلك حتى هاج أهل المغرب مع ميسرة البربري وقتلوا كلثوم بن عياض. وهاج الحارث بن سُريج بخراسان فرُدّ إليها أسد بن عبد اللّه القسري وقد أجْلَبَ الحارث عليه بأصحابه وجموع الترك فلقيهم أسد فهزمهم» [ص ٢٠٨].

ويتبيّن من تلك النصوص التاريخية العباسية ما يلي:

أ ـ إن محمد بن عليّ أمر بتجميد نشاط الدعوة العباسية، وبحصر اللقاءات معه إلّا في الأحوال وبالطريقة التي ذكرها ـ في النص السالف ـ وأمرهم بالحذر الشديد في قوله: (توقّوا علينا هذه الجبابرة من بني أُمية فإنّهم مُطلّون علينا بسلطانهم وأشياعهم) أي عُمالهم وقادتهم بالعراق والشام. وقد حدد لهم محمد بن عليّ موعد استئناف نشاط الدعوة بالعلامات التي سلف ذكرها. فلم يزل رجال الدعوة يتوقعون تلك العلامات «حتى هاج أهل المغرب مع ميسرة البربري وقتلوا كلثوم بن عياض ـ [سنة ١٢٢هـ] ـ وهاج الحارث بن سُريج بخراسان [سنة ١١٦هـ] فرُدّ إليها أسد بن عبد اللّه القسري. .» ففي تلك الفترة سنة ١١٦ ـ ١١٧هـ عاد نشاط الدعوة العباسية بخراسان، ثم عاد مرة أخرى سنة ١٢٢هـ.

ب ـ إن سالم بن بجير المُسْلي استمرّ رئيساً لمنظمة ـ أو جماعة ـ الدعوة العباسية بالكوفة في العراق، وله قال محمد بن علي: «سيقصمُ اللّهُ الجبارين من بني أمية ويصير الأمر إلى آل رسول اللّه. . يا سالم يُفتتح الأمر منهم بابن الحارثية من ولدي. .» ـ وابن الحارثية هو أبو العباس عبد اللّه بن محمد بن عليّ، أُمّه ريطة بنت عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي، فكان يقال له (ابن الحارثية) وكان مولده سنة ١٠٣هـ وهذا اللقاء كان حوالي سنة ١٠٩هـ وقد يكون كلام محمد بن عليّ في آخر لقاء بينه وبين سالم بن بجير حوالي سنة ١١٤هـ. وقول محمد بن علي: «يا سالم يفتتح الأمر منهم بابن الحارثية من ولدي» يعني أن أول الخلفاء منهم سيكون ابن الحارثية أبو العباس السفاح بن محمد بن عليّ، وكذلك كان. فكيف يمكن أن يتوقع أو يتنبأ محمد بن عليّ بأن ابن الحارثة ـ أبا العباس ـ سيكون أول خليفة عباسي سنة ١٣٢هـ؟

أياً كان الأمر فإن أخبار سالم بن بجير المسلي قد انقطعت عند عودة نشاط الدعوة العباسية بخراسان سنة ١١٦ ـ ١١٧هـ وغالب الظّنّ أنه مات في أواخر سنة

١١٥هـ، فأقام محمد بن عليّ بكير بن ماهان مكانه في رئاسة جماعة الدعوة العباسية السِّرِّية بالعراق.

* * *

ولم يكن للدعوة العباسية وغيرها قدرة على النشاط والانتشار في عهد ولاية خالد بن عبد اللّه القسري للعراق والمشرقين حيث كان عهده الذي دام من سنة ١٠٥ ـ ١٢٠هـ أفضل العهود استقراراً ورخاء في تاريخ العراق ومشارقها. وقد جاء عن عهده في كتاب تاريخ العراق ما يلي نصه: «وقَّفَ خالد حياته على السعي لإقرار السلم والنهوض بالعراق من الناحية الاقتصادية فقد ساد السلام والأمن خلال عهده الطويل، واحتفل بالزراعة فجُففت البطائح واستصلح كثيراً من الأراضي البكر للزراعة، وشَقّ الأنهار، وحققت جهوده المثمرة الرفاهية للبلاد». وقال د. ناجي حسن: « . . إن العراق في تلك الفترة من تاريخه بدأ يميل إلى الهدوء. . واتّجه الناس إلى نوع من التعمير. . ولا يُخفى أن خالد بن عبد اللّه القسري وإن كان ذا نزعة يمانية إلا أن هذا الشعور لم يطغَ على سياسته بالشكل الذي يجعله منساقاً وراء الأهواء»[١].

وقد قام خالد القسري بشق ثمانية أنهار فرعية بالعراق أعظمها النهر المبارك في واسط، وقام بأعمال عمرانية واسعة في الكوفة منها بناء جامع كبير وصناعة أبواب مدينة الكوفة وتسويرها، وكان عامله على ولاية البصرة بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري (١٠٩ ـ ١٢٠هـ) فقام بشق عدة أنهار بالبصرة وبناء سوق مركزي في البصرة. وكان عامل خالد على إقليم الرَّي (في إيران) زياد بن عبيد اللّه الحارثي خال أبي العباس السفاح، وولَّى خالد القسري الحكم بن عوانة الكلبي اليماني بلاد السند (١١٠ ـ ١١٨هـ) فقام الحكم بن عوانة ببناء مدينة المنصورة في بلاد السند (باكستان) وأصبحت المنصورة عاصمة ولاية السند كما قام الحكم بن عوانة بفتوحات واسعة امتدت إلى الهند. بينما قام أسد بن عبد اللّه القسري أمير خراسان ببناء مدينة بَلْخ (في أفغانستان) وبلغت فتوحاته إلى تخوم الصين، ولما انتهت ولايته الأولى لخراسان أصبح نائباً لأخيه خالد بالعراق. . وفي أوائل سنة ١١٦هـ قام الخليفة هشام بن عبد الملك بفصل ولاية خراسان عن خالد القسري أمير العراق والمشرقين، وولَّى هشام على خراسان عاصم بن عبد اللّه الهلالي القيسي وكان عاصم يرتبط بالخليفة مباشرة، وما لبث أن اندلعت بخراسان حركة الحارث بن سريج التميميّ واستجابت له عشائر تميم ونفر من الأزد، وتحالف الحارث مع دهاقين العجم بأقاليم خراسان ومع بعض ملوك الترك الكفار بأقاليم ما وراء نهر جيحون، ولم يأت شهر رمضان ١١٦هـ إلا وقد «تغلب

---

(١) القبائل العربية في المشرق ـ د. ناجي حسن ـ ص ١٦٠.

الحارث بن سريج على بَلْخ، والجوزجان، والفارياب، وآمل، ومرو الرُّوذ، والطالقان. ولم يبق بيد الأمير عاصم من خراسان إلا مَرْو ـ العاصمة ـ وناحية أبْرَ شهر.. ولما بلغ هشام بن عبد الملك خبر الحارث بن سريج أعاد خُراسان إلى ولاية خالد بن عبد اللّه القسري وكتب إليه: ابعث أخاك أسداً يصلح ما فسد».

فعاد الأمير أسد بن عبد اللّه والياً لخراسان، وانطلق إليها في قوة من فرسان الجيش العربي بالكوفة والبصرة والشام ـ في رمضان ١١٦هـ ـ وبعث القوات من الرَّي، فدحروا أتباع الحارث ببعض المناطق، ثم دخل الأمير أسد مدينة مرو ـ عاصمة خراسان ـ في أوائل سنة ١١٧هـ، فانضوى الناس والجند تحت لوائه، ثم سار الأمير أسد إلى أقاليم مرو الرُّوذ، وآمل، وبَلْخ، فدحر الحارث بن سريج والذين معه، وعاد أغلب الذين كانوا مع الحارث إلى الطاعة فعفا أسد عنهم وضمّهم إلى الجيش، ثم عبر الأمير أسد نهر جيحون وتتبع الحارث بن سريج والترك المتحالفين معه بأقاليم ما وراء النهر فهزمهم ـ في ربيع ١١٧هـ ـ وهرب الحارث بن سريج إلى بلاد الخُتّل وأرض خاقان. وقد أوجز صاحب أخبار الدولة ما حدث قائلاً: «..هاج الحارث بن سريج بخراسان فرُدّ إليها أسد بن عبد اللّه القسري، وقد أجْلَبَ الحارث عليه بأصحابه وجموع الترك فلقيهم أسد فهزمهم». وقد أعاد الأمير أسد الأمن والاستقرار بأقاليم خراسان وما وراء النهر، وولّى الولاة وعاد من بلاد ما وراء النهر إلى مدينة بَلْخ، وفيه قال ابن السجف المجاشعي:

لو سرتَ في الأرض تقيسُ الأرضا ... تقيسُ منها طولَها والعرضا
لم تلق خيراً مِرّةً ونَقْضا ... من الأمير أسدٍ وأمضا
أفْضَىٰ إلينا الأمر حين أفْضَىٰ ... وجَمَعَ الشمل وكان رفْضَا

نبأ القبض على خِداش الكذاب ومقتله:

وفي تلك الفترة سنة ١١٦ ـ ١١٧هـ عاد نشاط الدعوة العباسية بخراسان، وكان بكير بن ماهان قد بات القائم بأمر الدعوة في العراق. وقد ذكر الطبري أنه «وجّه بكير بن ماهان عمار بن يزيد إلى خراسان والياً على شيعة بني العباس فنزل مرو، وغيّر اسمه وتسمى خِداش، ودعا إلى محمد بن عليّ فسارع إليه الناس وقبلوا ما جاءهم به وسمعوا له وأطاعوا، ثم غيّر ما دعاهم إليه وتكذّب وأظهر دين الخرَمية ودعا إليه ورخص لبعضهم في نساء بعض وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن عليّ. فبلغ أسد بن عبد اللّه خبره فوضع عليه العيون حتى ظفر به، فأُتي به وقد تجهز لغزو بَلْخ فسأله عن حاله فأغلظ له خِداشُ القول، فأمر أسد بقطع يده وقلع لسانه وسَمْل عينه. وذكر عليّ بن محمد عن أشياخه قال: لَمَّا قَدِم أسدٌ آمل في مَبدئِهِ [أي في

سنة١١٧هـ] أتوه بخداش فأمر به قرعة الطبيب فقطع لسانه وسَمَلَ عينه، فقال أسد: الحمد للّٰه الذي انتقم لأبي بكر وعمر منك [وكان خداش يشتمهما] ثم دفعه أسد إلى يحيى بن نعيم الشيباني عامل آمل ـ فحبسه ـ ولما قَفَلَ أسد من سمرقند كتب إلى يحيى بن نعيم فقتل خداشاً وصلبه»(١).

ولعل الأصوب أن الذي كتب أسد إلى يحيى بن نعيم فقتله وصلبه هو رجل من الموالي العجم أصحاب خِداش، أما خداش فقد بعث به أسد إلى أخيه الأمير خالد بالعراق سنة ١١٨هـ حيث قال الحافظ ابن كثير ما يلي نصه:

«قَصَدَ شخصٌ يُقال له عمّار بن يزيد ثم سُمي خِداش إلى بلاد خراسان ودعا الناس إلى خلافة محمد بن علي بن عبد اللّٰه بن عباس، فاستجاب له خلق كثير فَلَمَّا التفوا عليه دعاهم إلى مذهب الخرَمية الزنادقة وأباح لهم نساء بعضهم بعضاً وزعم لهم أن محمد بن عليّ يقول ذلك، وقد كذب عليه. فأظهر اللّٰهُ عليه الدولة، فأُخِذ فجيء به إلى خالد بن عبد اللّٰه القسري أمير العراق وخراسان فأمر به فقُطعت يده وسُلّ لسانه ثم صُلب بعد ذلك»(٢).

وكان خِداش هذا من الموالي العجم، مولى عبد القيس، وكان الذين استجابوا له بخراسان إلى مذهب الخرَمية بعض العجم الموالي، بينما أنكر سليمان بن كثير الخزاعي وأصحابه ذلك، فكان نشاط سليمان بن كثير وأصحابه في الدعوة العباسية بخراسان سنة ١١٦ ـ ١١٧هـ بمعزل عن خداش الذي أشار إليه د. عبد العزيز الدّوري في مقدمته لكتاب أخبار الدولة العباسية قائلاً: «إن ميول المؤلف عباسية واضحة.. وربما كان هذا سبب إغفاله الحديث عن خداش الداعية العباسي الذي يُمثّل خط الغلو في خراسان، والتوسع في أخبار تنكر محمد بن عليّ العباسي له بعد مقتله وجهوده في معالجة آثاره المربكة في خراسان»(٣).

نبأ عفو أسد عن سليمان بن كثير وأقطاب الدعوة بخراسان:

قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «في سنة ١١٧هـ أخذ أسد بن عبد اللّٰه القسري جماعة من دعاة بني العباس بخراسان.. [أي حبسهم] وكان ممّن أخذ سليمان بن كثير الخزاعي ومالك بن الهيثم الخزاعي وطلحة بن زُريق الخزاعي وخالد بن إبراهيم الربعيّ وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ جـ ٨.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٣٢٠ جـ ٩.
(٣) أخبار الدولة العباسية ـ ص ١٧.

التميميين، فأُتي بهم إليه، فقال أسد لهم: يا فَسَقَة، ألم يَقُل اللّه تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]؟ فقال سليمان بن كثير: أتَكَلّمُ أم أسكت؟ قال: بل تكلم، قال: نحن واللّه كما قال الشاعر:

لَوْ بغيرِ الماءِ حَلْقي شَرِقٌ   كُنْتُ كالغَصّانِ بالماءِ اعْتِصارِي

تدري ما قصّتنا، صِيدت واللّه العقاربُ بيدك، أيها الأمير، إنَّا أناس من قومك، وإن هذه المُضريّة إنما رفعوا إليك هذا لأنّا كنّا أشدّ الناس على قتيبة وإنما طلبوا بثأرهم»[1]. والأصوب أنه لم يذكر قتل قتيبة حيث جاء في كتاب القبائل العربية في المشرق ما يلي: «قال سليمان بن كثير لأسد بن عبد اللّه: أيها الأمير، إنَّا أناس من قومك اليمانية وأنّ هؤلاء المُضَريّة تعصبوا علينا فرفعوا إليك فينا الزور والبهتان»[2].

ثم كما جاء في تاريخ الطبري: «قال ابن شريك بن الصامت الباهلي: أيها الأمير إن هؤلاء القوم قد أُخِذوا مرّةً بعد مرّة. فقال مالك بن الهيثم: أصلح اللّه الأمير ينبغي لك أن تعتبر كلام هذا بغيره» ـ يعني أنه من المضريّة ـ «وقالوا: كأنّك يا أخا باهلة تطلبنا بثأر قتيبة نحن واللّه كنّا أشد الناس عليه. فبعث بهم أسد إلى الحبس. ثم دعا أسد عبد الرحمن بن نعيم فقال له: ما ترى؟ قال: أرى أن تمنّ بهم على عشائرهم. قال أسد: فالتميميان اللذان معهما؟ قال: تخلي سبيلهما، قال: أنا إذاً من عبد اللّه بن يزيد نَفِيٌّ. قال عبد الرحمن: فكيف تصنع بالربعيّ؟ قال: أخلي واللّه سبيله». اهـ. فأخلى أسد سبيل سليمان ومالك وطلحة وخالد، ربما لأن الذين رفعوا بهم كانوا من المضرية فوقعت شبهة التعصب عليهم، ووافق ذلك هوى في نفس أسد فأطلق سراحهم، بينما لم تكن هناك شبهة وقوع تعصب على موسى بن كعب ولاهز بن قريظ التميمي لأنهما من المُضرية ولأن الرفع بهما كان من بعض المضرية. قال الطبري: «ثم دعا أسد القسري بموسى بن كعب وأمر به فأُلجِم بلجام حمار، وأمر باللجام أن يُجذب، فجُذِب حتى تحطمت أسنان موسى، فدق أنفه ووجأ لحيته فندر ضرس له، ثم دعا بلاهز بن قريظ ـ في نفس المجلس ـ فقال لاهز: واللّه ما في هذا الحق أن تصنع بنا هذا وتترك اليمانيين والربعيّين، فأمر بضربه ثلاثمائة سوط ثم قال: اصلبوه، فقال الحسن بن زيد الأزدي: هو لي جار وهو بريء مما قُذف به. قال: فالآخر؟ قال: أعرفه بالبراءة. فخلّى أسد سبيلهم». [ص ٢٢٨/ جـ].

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ جـ ٨.
(٢) القبائل العربية في المشرق ـ د. ناجي حسن ـ ص ٢٠٤.

وبذلك شمل عفو أسد بن عبد اللّه القسري أولئك الستة وكان كبيرهم سليمان بن كثير الخزاعيّ، وقد أصبحوا فيما بعد من النقباء الاثني عشر للدعوة العباسية، أما في عهد أسد فقد توقفوا عن أي نشاط، والتزموا بالطاعة هم وبقية أصحاب سليمان بن كثير بمرو خراسان. وقد اعتقل أسد أيضاً ـ سنة ١١٧هـ ـ بعض الدعاة الذين جاؤوا من الكوفة وفيهم رجل يقال له حفص الأسير، فبعث بهم إلى أخيه الأمير خالد بالعراق فحبسهم بالكوفة ثم أطلق سراحهم فيما بعد. وقام الأمير أسد القسري سنة ١١٩هـ بأعظم الفتوحات فافتتح بلاد الخُتّل إلى أطراف الصين وافتتح بلاد خاقان إلى أقاصي ما وراء نهر جيحون من الأقاليم، وقام بأعمال عمرانية كثيرة، وأخبار فتوحاته وإنجازاته مذكورة في سائر كتب التاريخ، وقيلت فيه أشعار كثيرة. ومات الأمير أسد بخراسان في ربيع الأول سنة ١٢٠ هجرية، واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهراني اليماني فأقرّه خالد بن عبد اللّه القسري ومكث والياً إلى رجب سنة ١٢٠هـ.

بداية خبر أبي مسلم الخراساني وحبسه بالكوفة أيام خالد القسري:

قال جرجي زيدان في روايته عن أبي مسلم الخراساني: «إن أبا مسلم لا يعرف أباه.. وكان أبوه من أهل قرية (ماخوان) وتبعد عن (مرو) ثلاثة فراسخ، وكانت هذه القرية ملكاً له مع عدة قرى أخرى، وكان في بعض تجارته يجلب المواشي إلى الكوفة، ثم إنه ضَمَنَ خراج (رستاق فريدين) على عادة الدهاقين في أيام دولة بني أمية، فَلَمَّا حان الوفاء عجز عن تأدية ما عليه، فقبض عليه العامل وأرسل معه من يُشخصه إلى الديوان في الكوفة، وكان عنده جارية يحبها فأخذها معه وهي حامل، واحتال على حارسه في الطريق وفرّ إلى أذربيجان وهي معه فَلَمَّا بلغا (رستاق فايق) تركها عند رجل اسمه عيسى بن معقل وذهب إلى أذربيجان فمات بها. وولدت الجارية (أبا مسلم) فربّي في بيت عيسى بن معقل وهو يعدّ نفسه من أولاده. وكان عيسى هذا وأخوه إدريس في ضمان الخراج أيضاً فأصابهما تأخير الخراج فقبض عليهما عامل أصبهان وشكاهما إلى أمير العراقين خالد بن عبد اللّه القسري، فبعث من حملهما إلى الكوفة، وسجنهما فيها»(١).

وقال د. فاروق عمر: «في روايات التاريخ أخبار متضاربة حول أصل أبي مسلم الخراساني.. ومهما يكن من أمر فإن الرواية التي يتفق عليها العديد من المؤرخين ترى أن أبا مسلم وُلد في قرية من قرى أصفهان من أبٍ فارسي وأم

(١) أبو مسلم الخراساني ـ جرجي زيدان ـ ص ٢١.

جارية. وقد اضطر والده إلى بيع الجارية وهي حامل إلى عيسى بن معقل العجلي الذي كان يمتلك بعض الأرض في ضواحي أصفهان. وحينما وضعت الجارية ولداً سُمّي إبراهيم (وهو اسم أبي مسلم) ونشأ مع أولاد العجلي حتى شبّ.. ثم أصبح بعد ذلك مولى لهم»[١].

وجاء في كتاب أخبار الدولة العباسية ما يلي نصه: «كان أبو مسلم من أهل أصبهان، ولد في منزل عيسى بن معقل العجلي ونشأ مع ولده. فَقُطِع الطريق على قوم من التجار في ضياع عيسى بن معقل وذلك في إمارة خالد بن عبد اللّه القسري على العراق، فسأل خالد عن عيسى، فأُخْبِر أنّه يشتمل على اللصوص وأنّه لهم معقل يأوون إليه، فوجّه إليه خالد من أتى به، فتناوله بقضيب كان في يده وأمر بضربه وحبسه في السجن بالكوفة، وأبو مسلم معه يومئذ غلام يخدمه، وكان خالد قد حبس قوماً من شيعة بني العباس من أهل الكوفة وقوماً من شيعتهم من أهل خراسان بعث بهم إليه أسد بن عبد اللّه فيهم رجلٌ يُقال له حفص الأسير، وكان أبو مسلم يسمع الشيعة الذين في الحبس يتذاكرون الدعوة فيصغي لقولهم حتى وعىٰ بعضه فأعجبه وأخذ بقلبه، وكان يكثر لزوم أبي موسى عيسى بن إبراهيم الخرَاج وهو من أهل الكوفة.. وكان من في السجن بالكوفة يرسلون أبا مسلم في حوائجهم ويبلغ شيعة أهل الكوفة رسائلهم حتى وثقوا به واستأمنوا إليه»[٢].

وقد أطلق الأمير خالد القسري سراح عيسى بن معقل العجلي سنة ١١٩هـ وخرج أبو مسلم معه لأنه إنما كان يخدمه في الحبس، أما حبس عيسى بن معقل بسبب ضمّان الخرَاج فكان في ولاية يوسف الثقفي للكوفة ـ سنة ١٢٢هـ ـ وكان أبو مسلم يخدمه في الحبس أيضاً.. وكان الأمير خالد القسري قد أطلق أيضاً سراح المرتبطين بالدعوة العباسية السِّرِّية ولم يكن أحد يعرف بأن دعوتهم لمحمد بن عليّ العباسي لأنهم إنما كانوا يدعون إلى (الرضا من آل محمد) وكان حبسهم بتهمة الدعوة إلى الفرْقة وذمّ بني أمية والخليفة هشام ـ غالباً ـ فأطلق خالد سراحهم جميعاً سنة ١١٩هـ، فالتزموا بالطاعة ولم يكن لهم أي نشاط علني، بل إن محمد بن عليّ كان قد نهاهم عن أي نشاط بالكوفة والعراق منذ أوائل عهد ولاية خالد القسري للعراق والمشرقين. ولما وقعت قضية الداعية العباسي خِداش الكذاب وانحرافه عن الدعوة بخراسان والقبض عليه وإعدامه، وكذلك القبض على سليمان بن كثير وأصحابه وعفو أسد القسري عنهم توقف نشاط الدعوة العباسية بخراسان وانقطع الاتصال بين

---

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٠.
(٢) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدّوري ـ ص ٢٥٤.

رجالاتها بخراسان والكوفة وبين محمد بن عليّ العباسي حتى سنة ١٢٢هـ.

وكانت بين خالد بن عبد اللّه القسري وبين بني العباس وبني هاشم بصفة عامة علاقة ممتازة، وكان داود بن عليّ ـ أخو محمد بن عليّ ـ يأتي إلى خالد بالعراق فيكرمه بالعطايا الجزيلة «وقَدِم إلى الأمير خالد القسري بالعراق زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ومحمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، وداود بن عليّ بن عبد اللّه بن عباس فأجازهم خالد بمائة ألف درهم لكل واحد منهم. واشترى خالد من زيد بن عليّ أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار ثم ردّ الأرض له». [ص ٢٦٠ ـ ٨/٢٦١ ـ الطبري].

وفي جمادى الثانية سنة ١٢٠هـ انتهت ولاية خالد للعراق والمشرقين، والتي دامت ١٥ عاماً من سنة ١٠٥ ـ ١٢٠هـ، حيث عزله هشام بن عبد الملك بسبب تآمر واسع لعزله ومساعي وأكاذيب كثيرة، وولّى مكانه يوسف بن عمر الثقفي. وبانتهاء ولاية خالد القسري للعراق والمشرقين انتهت مرحلة مجيدة من التاريخ.

* * *

ما بين انتهاء ولاية خالد القسري.. وبداية المرحلة الثانية من الدعوة العباسية:

لقد كان من أهم أسباب إخفاق الدعوة العباسية في عهد ولاية خالد بن عبد اللّه القسري للعراق والمشرقين ولاء اليمنيين العميق للخلافة الأموية ولخلافة هشام بن عبد الملك. وقد كان غالبية أمراء ولايات وأقاليم العراق والمشرقين من اليمنيين في عهد ولاية خالد القسري، وساد العراق والمشرقين في عهده الطويل الأمن والاستقرار والرخاء.

ولَمَّا انتهت ولاية خالد وولّى هشام بن عبد الملك مكانه يوسف بن عمر الثقفي ـ في جمادى الثانية سنة ١٢٠هـ ـ أخذ يوسف الثقفي في عزل وحبس عمال خالد القسري، وكان يوسف الثقفي قد عزل جعفر بن حنظلة البهراني عن ولاية خراسان ولكنه ولّى مكانه جُديع بن علي الكرماني الأزدي ـ وكان جُديع من عمال وقادة أسد بن عبد اللّه القسري ـ ثم قام يوسف الثقفي بعزل جُديع الكرماني ـ في رجب سنة ١٢١هـ ـ وولّى نصر بن سيار القيسي على خراسان وجعل غالبية العمال من القيسية.. وقام يوسف الثقفي بالتآمر على خالد القسري وكتب إلى هشام بن عبد الملك بأن خالداً ويزيد بن خالد القسري أودعا أموالاً كثيرة عند زيد بن عليّ ومحمد بن عمر وداود بن عليّ فاستقدمهم هشام من المدينة وبعث بهم إلى يوسف الثقفي لمواجهتهم بخالد ويزيد بن خالد، فحبسهما يوسف أياماً فنفيا أنهما أودعا زيداً والذين معه أموالاً، وكذلك نفى زيد ومحمد بن عمر وداود ذلك، ثم أخرجهم

يوسف جميعاً إلى المسجد فاستحلفهم فحلفوا له، وكتب إلى هشام يخبره بذلك، فكتب إليه هشام: أن خلّ سبيلهم، فخلّى عنهم. فسار خالد وأسرته إلى (القريّة) بأعالي العراق قاصداً الشام، وكتب إلى هشام بالرُّصافة ـ رصافة الشام ـ يستأذنه فلم يأته الجواب فأقام بالقريّة. بينما أقام زيد بن عليّ بالكوفة فبايعته الشيعة وغيرهم بالكوفة، ثم انقسمت عليه الشيعة وخالفه أكثرهم. وفي صفر سنة ١٢٢هـ ثار الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة وبعث إليه يوسف الثقفي جيشاً فانهزم أصحاب زيد وأصيب زيد بسهم فَلَمَّا مات دفنه أصحابه سراً بالكوفة، فعلم يوسف الثقفي بذلك فأمر باستخراجه من قبره، فأخرجوه، وقطعوا رأسه، وبعث يوسف الثقفي برأس زيد إلى هشام وقام بصلب بدنه في كناسة الكوفة. قال الطبري: «وكتب يوسف بن عمر الثقفي إلى هشام: أنّ أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت همّة أحدهم قوت عياله، فَلَمَّا وُلِّي خالد العراق أعطاهم الأموال فقوّوا بها حتى تاقت أنفسهم إلى الخلافة، وما خرج زيد إلا عن رأي خالد والدليل على ذلك نزول خالد بالقريّة على مدرجة العراق يستنشيء أخبارها. وأرسل يوسف الكتاب مع ابن حزن القيني فَلَمَّا قرأ هشام الكتاب سكت برهة، ثم قال للقيني: كذبت وكذب من أرسلك ومهما اتهمنا خالداً فلسنا نتهمه في طاعة»(١).

ونشر يوسف الثقفي الخوف والاعتقالات بالعراق وانتهى الأمن والاستقرار، وهرب يحيى بن زيد بن عليّ مع جماعة إلى إقليم هراة بخراسان، فكتب يوسف إلى نصر بن سيار عامل خراسان بمطاردتهم والفتك بهم.. وكان خالد بن عبد اللّه القسري قد استقر بدمشق، ثم سار خالد بأهله وأصحابه في غزوة الصائفة إلى بلاد الروم سنة ١٢٢هـ ووقعت حرائق في بعض المنازل بدمشق كان يشعلها بعض اللصوص ثم يغيرون على البيوت ويسرقون، وكان عامل دمشق كلثوم بن عياض القشيري فكتب إلى هشام بأن الحرائق من صنع موالي خالد، فأمره هشام بحبس آل خالد ومواليه، فحبسهم. ثم قبض الوليد بن عبد الرحمن عامل خراج دمشق على اللصوص وكتب إلى هشام بأسمائهم وأن ليس فيهم أحد من موالي خالد. قال ابن خلدون: «فكتب هشام إلى كلثوم بن عياض يوبخه ويأمره بإطلاق آل خالد ـ فأطلقهم ـ فَلَمَّا قَدِم خالد من الصائفة دخل منزله ـ بدمشق ـ وأذن للناس، فاجتمعوا ببابه فوبّخهم وقال: إن هشاماً يسوقنا إلى الحبس كل يوم، ثم قال: خرجتُ غازياً سامعاً مطيعاً فحُبس أهلي مع أهل الجرائم، ولم يُغير ذلك أحدُ منكم، أخفتم القتل أخافكم

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨ ـ ١٩ جـ ٩.

اللّه، واللّه ليكفنّ عني هشام أو لأدعونّ إلى عراقي الهوى شامي الدار حجازي الأصل، يعني محمد بن علي بن عبد اللّه بن عباس، وبلغ ذلك هشاماً فقال: خرف أبو الهيثم»[١]. وجاء في تاريخ الطبري أنه «قال خالد ـ للناس لَمَّا اجتمعوا إليه في منزله بدمشق ـ: خرجتُ غازياً في سبيل اللّه سامعاً مطيعاً، فخلفت في عقبي وأهل بيتي فحُبسوا كما يُفعل بأهل الجرائم، فما منع عصابة منكم أن تقوم وتقول: علامَ هذا، أخفتم القتل أخافكم اللّه. ثم قال: ما لي ولهشام، ليكُفَنَّ عني هشام أو لأدعونّ إلى عراقيّ الهوى شاميّ الدار حجازيّ الأصل، يعني محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن عباس، وقد أذنتُ لكم أن تبلغوا هشاماً، فَلَمَّا بلغه ما قال، قال هشام: خَرِفَ أبو الهيثم. وذكر أبو زيد عن أبي الخطاب قال: قال خالد: أَمَا واللّه لئن ساء صاحب الرُّصافة ـ يعني هشاماً ـ لننصبنّ لنا الشاميَّ الحجازيّ العراقيّ، ولو نخرتُ نخرة تداعت من أقطارها. .»[٢] وكان هشام بن عبد الملك حكيماً فتغاضى عن ذلك وقال (خَرِفَ أبو الهيثم). وبعث هشام كلثوم بن عياض إلى المغرب لقتال جماعة من البربر تمردوا بالمغرب فسار إليهم فقتلوه سنة ١٢٢هـ، وفي تلك السنة بدأت المرحلة الثانية من نشاط الدعوة العباسية.

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٤٦٣.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨ ـ ١٩ جـ ٩.

مرحلة التنظيم السري للدعوة العباسية بخراسان (١٢٢ ـ ١٢٩هـ) والدور العربي اليماني في تنظيم الدعوة العباسية برئاسة سليمان الخزاعي

في سنة ١٢٢هـ دخلت الدعوة العباسية مرحلة ثانية وهامة بتكوين تنظيم للدعوة العباسية في خراسان برئاسة سليمان بن كثير الخزاعي اليمانيّ. ففي المرحلة الأولى لم يكن للدعوة تنظيم وقيادة في خراسان وإنما كان الذين يدخلون في الدعوة يرتبطون كأفراد بالمنظمة ـ أو الجماعة ـ السِّرِّية للدعوة العباسية بالكوفة، ولذلك بعث بكير بن ماهان خِداشاً ليكون مسؤولاً عليهم، فانحرف بالدعوة وتركت قضيته تأثيراً سيئاً لم يندمل إلا سنة ١٢٢هـ.

وقد ذكر الطبري أنه: «في سنة ١٢٠هـ وجهت شيعة بني العباس بخراسان إلى محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن العباس سليمان بن كثير الخزاعيّ ليعلمه أمرهم وما هم عليه. وكان السبب في ذلك موجدة كانت من محمد بن عليّ عليهم من أجل طاعتهم لخداش الذي ذكرنا خبره وقبولهم منه ما رُوي عليه من الكذب فترك مكاتبتهم، فَلَمَّا أبطأ عليهم كتابه اجتمعوا فذكروا ذلك بينهم فأجمعوا على الرضا بسليمان بن كثير ليلقاه بأمرهم ويخبره عنهم ويرجع إليهم بما يردّ عليهم. فقَدِم سليمان بن كثير على محمد بن عليّ [في موسم الحج] فأخبره عنهم، فعنَّفهم ـ محمد بن عليّ ـ في إتباعهم خداشاً وما كان دعا إليه وقال: لعن اللّه خداشاً ومن كان على دينه، ثم صرف سليمان إلى خراسان وكتب إليهم معه كتاباً فقَدِم عليهم ومعه الكتاب مختوماً ففضّوا خاتمه فلم يجدوا فيه شيئاً إلا بسم اللّه الرحمن الرحيم، فغلظ ذلك عليهم وعلموا أن ما كان خداش أتاهم به لأمره مخالف»[1]. وقد كانوا يريدون كتاباً من محمد بن عليّ يتبرأ فيه صراحة من خداش وأن لا علاقة له ولا رضاء بما قام به خداش، فكتب إليهم محمد بن عليّ كتاباً مختوماً مع سليمان بن كثير، فَلَمَّا عاد سليمان

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٤٩ جـ ٨.

ـ في أوائل سنة ١٢١هـ ـ وفتحوا الكتاب لم يجدوا فيه شيئاً إلا بسم اللّه الرحمن الرحيم، ولم يكن ذلك ما يريدون.

قال الطبري: «وفي هذه السنة وجّه محمد بن عليّ بكير بن ماهان إلى شيعته بخراسان بعد منصرف سليمان بن كثير من عنده إليهم وكتب معه كتاباً يعلمهم أن خداشاً حمل شيعته على غير منهاجه فقَدِم عليهم بكير بكتابه فلم يصدّقوه واستخفّوا به فانصرف بكير إلى محمد بن عليّ..»[1] ولعل الأصوب أن محمد بن عليّ بعث بكيراً برسالة شفوية فلم يقبلوا ذلك منه.

وفي سنة ١٢٢هـ قَدِم قَحْطَبة بن شبيب الطائي من خراسان إلى محمد بن عليّ في منزله بمنطقة الشراة في البلقاء بالشام، فالتقى قَحْطَبَةُ بمحمد بن عليّ وحضر اللقاء بكير بن ماهان. وفي ذلك اللقاء تبلورت فكرة تكوين تنظيم للدعوة العباسية بخراسان ومناقشة تفاصيل ذلك، وأن يتوجه بكير للإشراف على تكوين التنظيم، وأن يكتب محمد بن عليّ الرسالة المطلوبة بشأن قضية خداش، فكتبها وسار بكير مع قحطبة إلى خُراسان، حيث كما جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية:

«قَدِم بكير بن ماهان خراسان، ولقيه سليمان بن كثير فعظّمه وعظّمته الشيعة ودفع إليهم كتاب محمد بن عليّ.. ثم دفع إليهم كتاباً آخر صغيراً من محمد بن عليّ وهو: أما بعد، عَصَمنا اللّه وإياكم بطاعته وهدانا وإياكم سبيل الراشدين، قد كنتُ أعلمتُ إخوانكم رأيي في خداش وأمرتهم أن يبلغوكم قولي فيه. وإنّي أُشهدُ اللّه الذي يحفظ ما تلفظ به العباد من زكيّ القول وخبيثه أنّي بريء من خِداش وممن كان على رأيه ودان بدينه، وآمركم ألّا تقبلوا مِنْ أحد ممّن أتاكم عني قولاً ولا رسالة خالفتُ فيها كتاب اللّه وسنة نبيّه ﷺ. والسلام.

وقد كان محمد بن عليّ كتب مع قَحْطَبة كتاباً صغيراً، فَلَمّا تخلّف عن أصحابه لمرض أصابه، قرأه أبو صالح كامل بن المظفر عليهم وكانت نسخته: وفقنا اللّه وإياكم لطاعته، قد وجّهتُ إليكم شقّةً منّي بكير بن ماهان، فاسمعوا منه وأطيعوا، وهو لساني إليكم وأميني فيكم فلا تخالفوه.. والسلام»[2].

فأقام بكير بين أظهرهم في منزل وقرية سليمان بن كثير ـ للإشراف على تكوين التنظيم ـ قال الطبري: «قرية سليمان بن كثير هي سيفذنج» قال ياقوت الحمويّ: «

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٤٩ جـ ٨.
(٢) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدّوري ـ ص ٢١٠ ـ ٢١٣.

سيفدنج: قرية تبعد عن مرو بأربعة فراسخ»[١] ـ أي عن مدينة مرو الشاهجان عاصمة ولاية خراسان، وكان المتولي لخراسان يومئذ نصر بن سيار القيسي عامل يوسف بن عمر الثقفي أمير العراق ومشارقها ـ فأرسل سليمان بن كثير وبكير الرُّسل سراً إلى أقاليم خراسان لدعوة أصحابهم ومن أجابهم من ذوي الثقة إلى اجتماع موسع بمنزل سليمان بقرية سيفذنج فأقبلوا من طرق شتى حتى اكتمل عددهم سبعون رجلاً واجتمعوا بمنزل سليمان لتكوين التنظيم واختيار قياداته في أواسط سنة ١٢٢هـ.

نبأ تكوين تنظيم الدعوة العباسية بخراسان واختيار قياداته:

وفي ذلك الاجتماع قام السبعون باختيار قيادة التنظيم من اثني عشر رجلاً يقال لهم (النقباء) ثم اختيار المستوى القيادي الثاني وهم (نظراء النقباء) وهم عشرون رجلاً، وتسمية بقية السبعين (دعاة) وكانوا هم والنظراء بمثابة أعضاء الخلايا الأساسية بمناطق وأقاليم خراسان.

المستوى الأول: النقباء. دعا بكير بن ماهان السبعين إلى أن «يختاروا منهم اثني عشر رجلاً فيكونوا نقباء على من يجيب دعوتكم وضمناء عليهم، مَنْ رضوا إيمانه وعرفوا صحته أخذوا بيعته، ومن اتّهموه حذروه واحترسوا منه، ويكونوا هم الضمناء على أصحابهم والمتوثقين منهم، وليس للنقيب أن يدّعي الفضل على غيره بالنقابة وإنما الفاضل بالعمل.. فقال طلحة بن رزيق: ما نحن إلى شيء بأحوج منّا إلى ما ذكرت. وقال العلاء بن حريث الخزاعي: إنْ وَقَفْتَ أمر مَنْ في الكُور ولم تقبلهم حتى يعرف من تَنَقَّبَ اليوم قَلَّ تبعنا، وقال موسى بن كعب: صدق واللّه وبرّ. فقال بكير: القول على ما قلتما ولكن النقباء إنّما هم على مَنْ بمرو ومَنْ أتاها مجيباً لمن فيها من دعاتكم، وأما سائر الكُور فكل داعية بها نقيبٌ يختار لنفسه أمناء من أهلها، فقالوا: رضينا وسمعنا وأطعنا.. فأجمعوا على اختيار الاثني عشر نقيباً من أهل مرو»[٢] قال ابن خلدون: «النقباء الذين اختارهم محمد بن عليّ حين بعث دعاته إلى خراسان، وكانوا اثني عشر رجلاً، فمن خُزاعة: سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، وزياد بن صالح، وطلحة بن زريق، وعمرو بن أعين. ومن طيىء: قَحْطَبة بن شبيب بن خالد بن سعدان. ومن تميم: موسى بن كعب ولاهز بن قريظ والقاسم بن مجاشع، ومن بكر بن وائل: أبو داود خالد بن إبراهيم الشيباني وأبو علي الهروي. ويقال: شبل بن طهمان ـ مولى الأزد ـ وكان عمرو بن أعين

---

(١) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ص ٢٩٨ جـ ٣.

(٢) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدّوري ـ ص ٢١٠ ـ ٢١٣.

مكان موسى بن كعب، وأبو النجم إسماعيل بن عمران مكان أبي علي الهرويّ». [ص ٤٩٠] وجاء في أخبار الدولة أن من النقباء العلاء بن حريث الخزاعي.

وبالتالي كانت غالبية النقباء من العرب، وكان اليمانيون من النقباء ستة وهم: سليمان بن كثير، وحُميد بن قحطبة، ومالك بن الهيثم، وعمرو بن أعين، والعلاء بن الحريث، وكان طلحة بن زريق من خزاعة بالولاء. وكذلك شبل بن طهمان مولى الأزد. وكان من ربيعة (حلفاء اليمانية) أبو داود خالد الشيباني وأبو علي الهروي. وثلاثة من تميم وهم من أصحاب سليمان بن كثير.

المستوى الثاني: نظراء النقباء. وتم في ذلك الاجتماع اختيار وتسمية نظراء النقباء. قال صاحب أخبار الدولة: «فأمّا نظراء النقباء فقد أُختلف فيهم. وهذه تسمية العشرين وهم نظراء النقباء وقد رُوي أنهم أحد وعشرون، وهم: أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي، مقاتل بن حكيم العكّي، خازم بن خزيمة التميمي، أبو مالك أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي، محمد بن الأشعث الخزاعيّ، أبو الجهم بن عطية، عمر بن نهيك العكّي، خالد بن برمك، المسيب بن زهير، ومحمد بن سليمان بن كثير، حُميد بن قَحْطبة، الحسن بن قَحْطبة، الحسن بن حمدان، أُمية بن أعين الخزاعي، مصعب بن زريق الخزاعي، عمرو بن الأشعث البارقي الأزدي، العلاء بن حريث الخزاعي، عثمان بن نهيك العكّي، عيسى بن ماهان، قريش بن شقيق، مصعب بن قيس الحنفي، خالد بن أبي العوراء التميمي، . . وقد ذكروا أن خالد بن أبي العوراء كان فيمن سمّي للنقابة فصرفها عنه سليمان بن كثير إلى ختنه لاهز بن قريظ. . وكان العلاء بن حريث ممن سُمّي للنقابة، ثم جُعل مكانه عمرو بن أعين الخزاعي. .» [ص ٢١٩ ـ ٢٢٠].

وكانت غالبية نظراء النقباء العشرين من اليمنيين، حيث كان ١٣ من النظراء يمنيون، وهم: أبو عون الأزدي، مقاتل بن حكيم العكّي، أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي، محمد بن الأشعث، عمر بن نهيك، محمد بن سليمان بن كثير، حميد بن قحطبة الطائي، الحسن بن قحطبة، أُمية بن أعين، مُصعب بن زريق، عمرو بن الأشعث البارقي، العلاء بن حريث، عثمان بن نهيك العكّي.

المستوى الثالث: الدُعاة. وهم خلايا التنظيم بمناطق وأقاليم ولاية خُراسان، قال صاحب أخبار الدولة:

أ ـ «منهم من أهل نسا ستة رجال: أبو مالك أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي، الأحجم بن عبد اللّه الخزاعي، مقاتل بن حكيم العكّي، الحريش بن سليمان، غيلان بن عبد اللّه الخزاعي، محقن بن غزوان العبدي»، فاليمنيون منهم أربعة:

ب ـ «ومنهم من أهل أبيورد سبعة رجال: عثمان بن نهيك العكي، الفضل بن سليمان الطائي، عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، يزيد بن عبد الرحمن الأزدي، الهيثم بن معاوية العكي، زهير بن محمد الأزدي الغامدي»، جميعهم من اليمنيين.

جـ ـ «ومنهم من أهل خوارزم: العلاء بن حريث الخزاعي. ومنهم من أهل مرو الرُّوذ: الأخيم بن عبد العزيز».

د ـ وكان أغلب بقية الدعاة من مدينة وإقليم مرو الشاهجان، فمنهم، من اليمانية: أبو حميد محمد بن إبراهيم الحِمْيري، نصر بن مالك بن الهيثم، عبد الحميد بن ربعي الطائي، نصر بن عبد الحميد الخزاعي، محمد بن سَلَمَة الطائي، الحجاج بن سليمان الجهضميّ الأزدي، هاشم بن العقاد الخزاعي، الأشعث بن يحيى الطائي، الهيثم بن زياد الخزاعي، عمر بن معبد الخزاعي، سعيد بن نحا الطائي، النضر بن غانم الطائي، سيف بن نحا الطائي، المهاجر بن زياد الخزاعي. وهم أربعة عشر.

هـ ـ وكان من مجموعة جُرجان: أبو عون عبد الملك الأزدي، أبو عبيدة قيس بن السري المُسْلي، أبو عامر إسماعيل المسلي، عامر بن إسماعيل المسلي، حسن بن زرارة المسلي. وجميعهم من اليمانية.

رئاسة سليمان الخزاعي لتنظيم الدعوة العباسية بخراسان:

قال صاحب أخبار الدولة: «وأخذ بكير يومئذ البيعة على من حضره منهم على مناصحة إمامهم في السر والعلانية وألّا يُطلِعوا على أمرهم أحداً لم يثقوا به. وأمرهم أن إذا حزبهم أمرٌ أن يجتمعوا إلى سليمان بن كثير. ثم خَلَفَ بكيرُ سليمان بن كثير على شيعة بني العباس بخراسان». [ص ٢٢٤].

وقال د. فاروق عمر: « . . كان سليمان الخزاعي نقيب نقباء الدعوة في خراسان». وقال: « . . سليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء وأهمّ شخصية في الدعوة العباسية»[١].

فكان سليمان بن كثير الخزاعي هو رئيس تنظيم الدعوة العباسية بخراسان ونقيب النقباء في هذه المرحلة التي استمرت إلى سنة ١٢٩هـ.

* * *

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٢ و٩٤.

ما بين تكوين التنظيم.. وإظهار الدعوة العباسية:

بعد تكوين تنظيم الدعوة العباسية بخراسان انصرف بكير بن ماهان ـ في أواخر سنة ١٢٢هـ ـ وبعث معه سليمان بن كثير أموالاً إلى محمد بن علي وجماعة من رجال الدعوة من مرو خراسان للقاء محمد بن عليّ. فجاء في كتاب أخبار الدولة أنه «شَخَص بكير من مرو، وسار معه من أهل مرو أبو حميد محمد بن إبراهيم الحميري وأبو إسماعيل والأزهر بن شعيب، فسار إلى جُرجان وشَخَصَ معه من جرجان أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي وحسن بن زرارة ابن عم عامر بن إسماعيل المُسلي وأبو نصير الجرجاني، وسار بكير فيمن سمينا حتى قدم الكوفة وأقام بها يسيراً، ثم توجّه إلى محمد بن عليّ وصحبه أبو سلمة الخلال، فقدِم على محمد بن عليّ فدفع إليه ما قَدِم به من مال»[1]. وعاد أبو حميد وأبو عون وأصحابهما إلى جُرجان ومرو خراسان ـ سنة ١٢٣هـ ـ وأخبروا سليمان بن كثير بلقائهم مع محمد بن عليّ وبأن يقدم إليه سليمان وقحطبة في العام القادم.

وفي سنة ١٢٤هـ توجّه سليمان بن كثير وقحطبة الطائي ومالك بن الهيثم الخزاعي ولاهز بن قُريظ إلى مدينة الكوفة في طريقهم إلى محمد بن عليّ، وقد ذكر الطبري ما يلي: «توجّه سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قُريظ وقَحْطَبة بن شبيب من خراسان وهم يريدون مكة سنة ١٢٤هـ فَلَمَّا أتوا الكوفة أتوا عاصم بن يونس العجلي وهو في الحبس قد أُتهم بالدعاء إلى ولد العباس ومعه عيسى وإدريس ابنا معقل حبسهما يوسف بن عمر فيمن حبس من عمال خالد بن عبد اللّه ومعهما أبو مسلم (الخراساني) يخدمهما، فقالوا: من هذا؟ قالوا: غلام معنا، وقد كان أبو مسلم يسمع عيسى وإدريس يتكلمان في هذا الرأي فإذا سمعهما بكى فَلَمَّا رأوا ذلك دعوه إلى ما هم عليه فأجاب»[2].

ثم توجه سليمان وقحطبة ولاهز ومالك بن الهيثم، وقد انضم إليهما بكير بن ماهان وأبو سلمة الخلال، إلى محمد بن عليّ. وقد ذكر الطبري ما يلي نصه: «في سنة ١٢٥هـ قَدِم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قُريظ وقحطبة بن شبيب مكة فلقوا في قول بعض أهل السير محمد بن عليّ فأخبروه بقصة أبي مسلم وما رأوا منه، فقال لهم: أحُرٌّ هو أم عبد؟ قالوا: أما عيسى فيزعم أنه عبد وأما هو فيزعم أنه حرٌّ، قال: فاشتروه وأعتقوه. وأعطوا محمد بن عليّ مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين

(١) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٢٢٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٨٣ و٢٩٩ جـ ٨.

ألف درهم. فقال لهم: ما أظنُّكم تلقوني بعد عامي هذا فإن حدث بي حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد فإني أثق به وأوصيكم به خيراً فقد أوصيتُه بكم»[١].

وكان لقاؤهم بمحمد بن عليّ في منزله بمنطقة الشرّاة بالبلقاء في الشام بعد الحجّ فساروا إليه من مكة والتقوا به وحضر ذلك اللقاء الهام والأخير أيضاً إبراهيم بن عليّ وأبو العباس عبد اللّه بن محمد بن عليّ (ابن الحارثية) وكان معهم بكير بن ماهان، بحيث ذكرت النصوص التاريخية ما يلي:

أ ـ قال البلاذري: «قَدِم على محمد بن عليّ سليمان بن كثير ولاهز بن قُريظ وقَحْطبة بن شبيب ومعهم أموالٌ وكِسى، فأوصلوا ذلك إليه..»[٢] وقال صاحب أخبار الدولة: «قَدِم بكير بن ماهان على محمد بن عليّ بأموال من خُراسان وحُليّ وثياب فدفعها إليه»[٣] وهي الأموال التي أحضرها سليمان بن كثير وأصحابه حيث ذكر الطبري أن سليمان وقحطبة ومالك ولاهز «أعطوا محمد بن عليّ مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم»[١].

ب ـ قال البلاذري: «فقال محمد بن عليّ لهم [أي لسليمان وقحطبة ولاهز] ما أظنكم تلقوني بعد عامي هذا، فإن حدث بي حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد وأنا أوصيكم به خيراً فقد أَوصيتُهُ بكم»[٢] وقال صاحب أخبار الدولة: «قال محمد بن علي لبكير بن ماهان: استكثر مني يا أبا هاشم فما أوشك فراقي إياكم وسيأتي عليَّ ما أتى على من كان قبلي من البشر وهذا إبراهيم ابني فلكم فيه خلف صَدق مني. ودعا إبراهيم فقال له: يا بنيّ اتقِ اللّه فيما قلّدتُك من هذا الأمر ولا تُؤثر على العمل في إحياء الحق شيئاً من عَرض الدنيا. وعليك بهذا ـ يعني بكيراً ـ فإنّه ثقة في المشهد والمغيب، فإن هذا الحيّ من بني مُسْلية خاصتي وموضع سري.. وذكر أُسيد بن دغيم المُسلّي قال: سمعتُ بكيراً يقول: إني لجالسٌ عند محمد بن عليّ حين أقبل أبو العباس ابنه فدفع إليه كتاباً فقرأه فقال لي: أتدري مِمّن هذا الكتاب؟ قلتُ: لا، قال: من خال هذا، زياد بن عبيد اللّه الحارثي سيّد قومه، ثم أشار إلى أبي العباس وقال: هذا المجلّي عن بني هاشم القائم المهديّ.. وبلغنا أن أبا العباس مرّ به يومئذ وهو في حديثه مع إبراهيم وبكير فَلَمّا أتاه قال لهما: قد خبّرتكما بأمر هذا فصونوه لأعظم أيامكم»[٣]. وكان ذلك الكلام بحضور سليمان بن كثير وقحطبة الطائي

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٨٣ و٢٩٩ جـ ٨.

(٢) أنساب الأشراف ـ البلاذري ـ ص ٣٨٢ جـ ٣.

(٣) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٢٣٨.

ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ، حيث قال الطبري والبلاذري: «فقال لهم محمد بن عليّ: ما أظنكم تلقوني بعد عامي هذا، فإن حدث بي حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد وأنا أوصيكم به خيراً فقد أوصيته بكم. ثم صدروا من عنده. وتوفي محمد بن عليّ. .» قال صاحب أخبار الدولة: « . . توفي محمد بن عليّ سنة ١٢٤هـ في إمرة هشام بن عبد الملك. ويُقال إنه توفي سنة ١٢٥هـ وذلك بالشراة من أرض الشام وهو ابن ستين سنة»[١] ويجمع القولين أن محمد بن عليّ مات في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥هـ قبل موت هشام حيث مات هشام في ربيع الثاني سنة ١٢٥هـ وتولّى الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

* * *

ولَمَّا مات محمد بن عليّ قام مقامه إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد اللّٰه بن العباس وهو إبراهيم الإمام، لأنّه إمام الدعوة العباسية، وكتب إبراهيم كتاباً إلى سليمان بن كثير الخزاعي ونقباء الدعوة العباسية بخُراسان يخبرهم بوفاة أبيه وبقيامه مقامه، وبعث الكتاب مع بكير بن ماهان. وذلك في الأشهر الأولى من سنة ١٢٥هـ حيث قال صاحب أخبار الدولة: « . . شَخَصَ بكير إلى خُراسان، فبدأ بجُرجان، فلقيه بها أبو عون عبد الملك الأزدي، وأبو عامر إسماعيل المسليّ، وعامر بن إسماعيل، وخالد بن برمك، فنعى إليهم محمد بن عليّ وأخبرهم أن الإمام بعده إبراهيم، ودفع إليهم كتاب إبراهيم، فسلموا لأمره ورضوا به. . [ثم سار إلى مرو فلقيه سليمان بن كثير وقحطبة وأصحابهما نقباء الدعوة. فدفع إليهم كتاب إبراهيم، فسلموا لأمره ورضوا به وبايعوه إماماً لهم]. وأقام بكير نحواً من شهرين ثم عزم على الانصراف، وقال لهم: ليتوجّه عدةٌ منكم إلى إبراهيم ليلقوه وتعرّفوه أنفسكم وتخبروه بطاعتكم، فَشَخَصَ معه من مَرْو قَحْطبة بن شبيب الطائي، ومالك بن الهيثم الخزاعي، وأبو حميد محمد بن إبراهيم الحِميريّ، وأبو سيف، والأزهر بن شعيب، فأقبل معهم حتى قَدِم جرجان، فَشَخَصَ معهم من أهل جرجان أبو عون وأبو بصير. فأقْبَلَوا حتى قَدِموا الكوفة، فبلغهم بها موت هشام بن عبد الملك واستخلاف الوليد بن يزيد بن عبد الملك. فلم يلبثوا بالكوفة إلا يسيراً حتى مضوا إلى مكة، وشَخَصَ معهم أبو سلمة، فلقوا إبراهيم بمكة». [ص ٢٤٢] وكان مسيرهم إلى مكة تحت ستار أداء العمرة، وكذلك قَدِم إبراهيم بن محمد بن علي من منطقة الشراة بالشام إلى مكة تحت ستار أداء العمرة، فالتقوا بمكة ـ في شعبان أو رمضان ١٢٥هـ

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٢٣٨.

ـ وقد مَثّل قيادة تنظيم الدعوة العباسية بخراسان في ذلك اللقاء ثلاثة قادة يمانيين هم النقيب قحطبة بن شبيب الطائي، والنقيب مالك بن الهيثم الخزاعي، وأبو عون عبد الملك الأزدي نقيب مجموعة جُرجان، فنقلوا إلى إبراهيم مبايعة تنظيم الدعوة العباسية إياه وطاعتهم له، وكذلك «دفعوا إلى إبراهيم مالاً كثيراً كانوا قَدِموا به» قال صاحب أخبار الدولة: «قال أبو سَلَمة: انصرفنا مع إبراهيم من مكة فَلَمَّا صار إلى منزله بالشراة أتاه خبر مقتل يحيى بن زيد، وما صُنع بزيد حيث أُحرق» [ص ٢٤٢] وكان ذلك في حوالي شوال سنة ١٢٥هـ.

وكان يوسف بن عمر الثقفي أمير العراق صَلَب بدن الإمام زيد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب في كناسة الكوفة، وكان يحيى بن زيد قد لجأ إلى إقليم بَلْخ بخراسان مع سبعين رجلاً فأقاموا لاجئين هناك لا يتعرض لهم أحد، فَلَمَّا مات هشام بن عبد الملك وتولّى الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ـ في شهر ربيع ١٢٥هـ ـ كتب يوسف الثقفي إلى نصر بن سيار القيسي أمير خراسان بشأن يحيى بن زيد وأصحابه فبعث نصر بن سيار الجنود وتعقّبهم من منطقة إلى أخرى فأدركوهم في أرض الجوزجان فقتلوا يحيى بن زيد والذين معه، وقطع نصر بن سيار رأس يحيى بن زيد وبعث برأسه إلى الوليد بن يزيد، ولَمَّا بلغ الوليد مقتل يحيى بن زيد كتب إلى يوسف الثقفي أمير العراق يأمره بإحراق بدن زيد بن عليّ المصلوب بالكوفة. قال الطبري: «لَمَّا قُتِل يحيى بن زيد وبلغ خبره الوليد كتب إلى يوسف بن عمر: إذا أتاك كتابي هذا فانظر عجل العراق فأحرقه ثم انسفه في اليمّ نسفاً، فأمر يوسفُ خراشَ بن حوشب فأنزل بدن زيد من جذعه وأحرقه بالنار ثم ذراه بالفرات» وقد علم إبراهيم الإمام والذين معه بذلك وهم بمنزله في الشراة بالشام حيث (قال أبو سلمة: انصرفنا مع إبراهيم من مكة فَلَمَّا صار إلى منزله بالشراة أتاه خبر مقتل يحيى بن زيد، وما صُنع بزيد حيث أُحرق». ثم انصرف أبو سلمة وبكير إلى الكوفة، وقَحْطبة ومالك بن الهيثم وأبو عون وأصحابهم إلى خراسان ثم وقع حَدَث هام كان له أثر إيجابي على الدعوة العباسية.

مَقْتل خالد القَسْري وابتداء العصبية والغضب اليماني وقتل الخليفة الوليد:

في ذي القعدة سنة ١٢٥هـ كتب الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ـ وكان برُصافة الشام ـ إلى خالد بن عبد اللّه القسري ـ وكان بدمشق ـ يأمره بالقدوم إليه. وكان خالد بعد انتهاء ولايته للعراق والمشرقين سنة ١٢٠هـ لم يتولّ أي عمل إلا أنه كان زعيم اليمانية بدمشق والشام وكبير قبائل قحطان اليمانية جميعها. وكان الوليد بن يزيد قد أراد أخذ البيعة لابنيه الغلامين الحكم وعثمان بولاية العهد والخلافة بعده

وكان قد شاور رجلاً يقال له سعيد بن بيهس فنهاه عن ذلك فغضب عليه وحبسه حتى مات، واستقدم الوليد خالداً القسريّ لأنه كبير اليمنيين وإذا بايع لابنيه تمّت لهما البيعة، فاليمانيون هم عماد الدولة. وقد ذكر الطبري ما يلي نصه: «حدّثني أحمد بن زهير عن عليّ بن المنهال بن عبد الملك قال: أراد الوليد البيعة لابنيه الحكم وعثمان فشاور سعيد بن بيهس بن صهيب فقال له: لا تفعل فإنهما غلامان لم يحتلما فغضب عليه وحبسه حتى مات في الحبس، وأراد الوليدُ خالد بن عبد اللّه القسري على البيعة لابنيه، فأبىٰ، فقال له قوم من أهله: أرادك أمير المؤمنين على البيعة لابنيه فأبيت؟ فقال خالد: وَيْحكُم كيف أبايع مَنْ لا أصلي خلفه ولا أقبل شهادته، قالوا: فالوليد تقبل شهادته مع مجونه وفسقه؟ قال: أمرُ الوليد غائب عني ولا أعلمه يقيناً إنّما هي أخبار الناس. فغضب الوليد على خالد»[1].

وكان خالد قد نزل في منزل بالرُّصافة، فدعاه الوليد مرة ثانية حيث «قال له الوليد: أين ابنك يزيد بن خالد؟ قال: ببلاد قومه في السَرَاة (باليمن) وما أوشكه (أن يأتي)، قال: لا ولكنك خلفته طلباً للفتنة، لتأتين به أو لأزهقن نفسك، فقال خالد: واللّه لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما لك عنه فاصنع ما بدا لك. فأمر الوليد صاحبَ حرسه غيلان بحبس خالد عنده» ـ وما لبث أن قَدِم يوسف بن عمر الثقفي أمير العراق ومشارقها إلى الوليد بن يزيد، واستجاب يوسف وغيره إلى السعة لابنيْ الوليد، وقام الوليد ويوسف بتلفيق تهمة على خالد القسري بأن عليه أموالاً من خراج العراق حين كان والياً عليها، بينما ولاية خالد انتهت قبل ست سنوات ولم يكن عليه درهم واحد، فقاما بتلفيق التهمة، وقام الوليد بتسليم خالد إلى يوسف وأمره بحبسه وتعذيبه، فأخذ يوسف خالداً معه إلى الحيرة بالعراق ـ في ذي الحجة ١٢٥هـ ـ وكان خالد يومئذ ابن ستين سنة، فحبسه بالحيرة، فقال أبو الشَّغْب العَبْسي المذحجيّ أبياتاً ذكرها أبو تمام في ديوان الحماسة، وقد ذكرها الجاحظ في البيان والتبيين قائلاً: «قال أبو الشَّغْب:

ألا إنَّ خيرَ الناسِ قد تعلمونه ... أسيرُ ثقيفٍ موثقاً في السلاسلِ
لعَمْري لئِنْ أعمرتُم السِّجنَ خالداً ... وأوطأتُموهُ وطأة المُتَثاقلِ
لقد كان نَهّاضاً بِكُلِّ مُلِمَّةٍ ... ومُعطي اللُّهى غَمراً كثير النوافلِ[2]
فإن تسجنوا القَسْريّ لا تسجنوا اسمه ... ولا تسجنوا معروفه في القبائل»[3]

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٠ جـ ٩ وص ٣ جـ ٩.
(٢) مُعطي اللهى: اللهى جمع لُهوة، بالضم، وهي العطاء، والغَمر، بالفتح، واسع العطاء.
(٣) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص ٢٣٦ جـ ٣.

وجاء في هامش البيان والتبيين ما يلي: «يُفهم من صُنع أبي تمام في ديوان الحماسة أن هذا الشعر في رثاء خالد فقد ساقه في باب المراثي، وليس كذلك وإنما قاله الشاعر تمجيداً لخالد وتنويهاً به»[١]. وأقول إن أبا تمام فعل ذلك لأن خالداً لم يلبث في الحبس إلا يسيراً حتى قتله يوسف الثقفي بأمر الوليد. قال الطبري: «دعا يوسف الثقفي بخالد القسري وبإبراهيم ومحمد ابنيْ هشام ـ من حبس الحيرة ـ فبسط التعذيب على خالد فلم يكلمه، وصبر إبراهيم وخَرِع محمد بن هشام، فمكث خالد يوماً في العذاب ثم وضع على صدره المضرَّسة فقتله بالليل وذلك في شهر المحرم سنة ١٢٦هـ». فاندلع بسبب حبس وقتل خالد غضب يمانيّ واسع. قال الطبري: « . . كان من أعظم ما جنى الوليد على نفسه حتى أورثه هلاكه إفساده على نفسه بني عمّيه ولد هشام وولد الوليد ابني عبد الملك مع إفساده على نفسه اليمانية وهُم عظم جند الشام»[٢]. قال ابن خلدون: «فَسَدَتْ اليمانيةُ على الوليد بما كان منه لخالد القسري وقالوا: إنما حبسه ونَكَبَهُ لامتناعه عن مبايعة ولديه. . وصنعوا على لسان الوليد قصيدة معيرة لليمانية بشأن خالد» ـ ويعني ابن خلدون القصيدة التي ذكر الطبري بشأنها ما يلي: «قال الوليد فيما زعم الهيثم بن عديّ شعراً يوبخ به أهل اليمن في تركهم نصرة خالد. وأما أحمد بن زهير فإنّه حدثني أن هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد يحرض عليه اليمانية». (اهـ) ثم أورد الطبري تلك القصيدة وتدل أبياتها على صحة ما ذكره الهيثم بن عديّ بأن قائلها هو الوليد لأنه إنما يفتخر بالقيسية المُضرية على اليمانية ويتباهى بأنه حبس خالد القسري عظيم اليمنيين ولم يصنعوا شيئاً، وقال في القصيدة:

وهــذا خــالــدُ فــيــنــا أسـيـراً ... ألا مـنـعـوه إن كـانـوا رجـالا
عـظـيـمُـهُـمُ وسـيّـدهـم قـديـمـاً ... جـعـلـنـا الـمـخـزيـات لـه ظِـلالا
فـلـو كـانـوا قـبـائـل ذات عـزّ ... لـمـا ذَهَـبـتْ صـنـائِـعُـهُ ضـلالا
ولا تـركـوه مـسـلـوبـاً أسـيـراً ... يُـسـامِـرُ مـن سـلاسـلـنـا الـثـقـالا

إلى أن قال:

فـأصـبـحـتُ الـغـداة عـلـيّ تـاجٌ ... لـمُـلـك الـنـاس مـا يـبـغـى انـتـقـالا

قال الطبري: «فازداد الناس حنقاً على الوليد لَمّا رُوي هذا الشعر» ـ وما لبث أن قُتِل خالد في الحبس، فقال الشاعر عمران بن هلباء الكلبيّ القُضاعيّ

---

(١) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص ٢٣٦ جـ ٣.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٠ جـ ٩ وص ٣ جـ ٩.

الحميريّ يرد على قصيدة الوليد ويستنفر اليمانيين ويتوعد الوليد:

قِفِي صدر المطِيَّة يا حلالا ... وجذِّي حَبْل من قَطَعَ الوصالا
ألم يَحْزُنك أن ذوي يمانٍ ... يُرى مَنْ حاذَ قَيْلهُم حلالا
.. أعِدّوا آل حِمير إذْ دُعِيتُم ... سُيُوفَ الهند والأسل النهالا
سنبكي خالداً بِمُهَنَّداتٍ ... ولا تذهب صنائعُهُ ضلالا
ألمْ يَك خالداً غيث اليتامىٰ ... إذا حضروا، وكنتَ لهم هزالا
يُكَفِّنُ خالدٌ موتى نزارٍ ... ويُثري حيّهم نشباً ومالا
.. ستلقى ما بَقيتُ مُسَوَّماتٍ ... عوابسَ لا يُزايلن الجِلالا
متى تلق السكون وتلق كلباً ... بعبسٍ تخش من مُلك زوالا

وأخذ قادة اليمانية بالشام يعقدون الاجتماعات وكان فريق من يمانية الشام يرى القضاء على حكم الوليد بن يزيد بن عبد الملك لأنه الذي أظهر العصبية القيسية المضريّة على اليمانية وقتل خالداً، وإقامة خليفة آخر من بني مروان، ووصل يزيد بن خالد القسري من منطقة السراة بأعالي اليمن إلى بادية الشام وانضمّ إلى مشاورات القادة بالشام، وامتد الغضب اليماني من الشام إلى العراق وإلى خراسان، وكان من معالم ذلك بداية ظهور المعارضة اليمانية في خراسان بزعامة جُديع بن عليّ الكرماني الأزدي ضد نصر بن سيار القيسيّ أمير خراسان، وكان جُديع من عُمال خراسان في ولاية أسد بن عبد اللّه القسري لخراسان وولاية خالد القسري للعراق والمشرقين حيث كان جديع أميراً لإقليم بَلْخ ثم أميراً لإقليم مرو الرُّوذ، ثم كان والياً لخراسان سنة ١٢٠ ـ ١٢١هـ ثم عزله يوسف الثقفي وولّى نصر بن سيار القيسي، فمكث جديع زعيماً لقبائل الأزد اليمانية بخراسان، ثم بدأ في تكوين وقيادة المعارضة اليمانية هناك بعد مقتل خالد القسري، وكتب يوسف الثقفي أمير العراق إلى نصر بن سيار يأمره بقتل جديع ولكن نصر بن سيار خشي مغبة ذلك. وقد ذكر الطبري في أحداث سنة ١٢٦هـ أنه: «أخذ جُديع الكرمانيّ في جمع الرجال واتخاذ السلاح وكان يحضر الجمعة في ألف وخمسمائة مقاتل أو أكثر أو أقل..» وقال الحارث الجعديّ وكان بخراسان:

أبِيتُ أرعى النجوم مُرْتَفِقاً ... إذا استَقَلّتْ يجري أوائِلُها
مِن فِتْنَةٍ أصبحتْ مُجلِّلةً ... قد عَمَّ أهل الصَّلاة شامِلُها
مَنْ بِخُراسانَ والعراق ومَنْ ... بالشام كلُّ شَجاهُ شاغِلُها

***

وفي ذلك المناخ بعث إبراهيم بن محمد بن عليّ ـ إمام الدعوة العباسية ـ بكير بن ماهان إلى أقطاب الدعوة العباسية بخراسان لإظهار الدعوة إذا انفجر الموقف وتهيأت الأمور وأعطاه إبراهيم ثلاث رايات سوداء لتسليمها لهم، والرايات السوداء هي التي أصبحت شعار الدعوة العباسية، وكان مع بكير أبو سَلَمة الخلّال وهو من أصحاب سَلَمة بن بجير المُسْليّ، فتوجّه بكير وأبو سلمة من عند إبراهيم إلى الكوفة في الأشهر الأولى من سنة ١٢٦هـ حيث جاء في كتاب أخبار الدولة ما يلي:

«أمر إبراهيم بن محمد بكير بن ماهان بالمضيّ إلى خُراسان ودفع له ثلاث رايات سوداء لدفعها إلى أصحابهم بخراسان. . فانصرف بكير ومعه أبو سَلَمة إلى الكوفة، فَلَمَّا قَدِمها تَعلّق به غرماء له فحبسوه في دينٍ كان لهم عليه، فبعث بكيرُ أبا سلمة إلى خراسان ودَفَع له ثلاث رايات سوداء ـ لدفعها لأصحابهم ـ فبدأ أبو سَلَمة بجُرجان فدفع راية سوداء إلى أبي عون عبد الملك بن يزيد الأزدي وهو يومئذ رئيس القوم (بجُرجان)، ثم نَفَذَ أبو سَلَمة إلى مرو فدفع إلى سليمان بن كثير الخزاعيّ راية سوداء، وبعث براية إلى ما وراء النهر مع مجاشع بن حريث الأنصاري، وقيل مع عمرو بن سنان المرادي، وأقام أبو سلمة بمرو. ونصر بن سيار يومئذ الوالي، فاضطرب أمر العرب بخُراسان، وتعصّبوا وتحزّبوا ـ مع نصر بن سيار وجُديع الكرماني ـ وهُم متحيرون، وقد قُتِل الوليد بن يزيد (الخليفة) ولم يأتهم الخبر باجتماع الأمر لغيره، فتمكّن أبو سلمة في تلك الأيام مما أراد واستثارت الدعوة وقوي أهلها، وكان سليمان بن كثير هو صاحب أمر الدعوة بخراسان». [ص ٢٤٩].

* * *

وأثناء ذلك كان قادة اليمانية بالشام قد أجمعوا على القضاء على الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ومبايعة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بالخلافة. . قال القاضي سعدي أبو جيب:

«كان معاوية مؤسس الدولة الأموية يعتمد في تدعيم عرشه على اليمانية. . وبقيت السيادة لليمنية حتى (أيام) هشام بن عبد الملك. وجاء الوليد بن يزيد وقرّبَ القيسية مما حدا بالقبائل اليمنية أن تجتمع وتتكاتل وتبايع يزيد بن الوليد وتقضي على الوليد وتقتله»(١).

فقد ثار القادة اليمانيون بالشام وسيطروا على دمشق يوم الجمعة ٢١ جمادى الثانية ١٢٦هـ وبايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك وخلعوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وكان الوليد في حصن بخراء بمنطقة حمص فسارت إليه فرقة منهم

(١) مروان وأسباب سقوط الدولة الأموية ـ القاضي سعدي أبو جيب ـ ص ١١١.

فهزموا عسكره بمشارف الحصن وسيطروا على المعسكر فرابط يزيد بن خالد القسري بالمعسكر واقتحم بقية القادة حصن وقصر البخراء الذي كان الوليد داخله. قال ابن زهير: «ضَرَبَ بشر بن هلباء الكلبي باب قصر البخراء بالسيف وهو يقول:

سنبكي خالداً بِمُهنداتٍ ... ولا تذهب صنائعه ضلالا»

قال الطبري: « . . وكان أول من علا حائط القصر يزيد بن عنبسة السكسكي فنزل إلى الوليد، وسيف الوليد إلى جنبه، فقال له: نحّ سيفك، فقال الوليد: لو أردتُ السيف لكانت لي ولك حالة غير هذه، فأخذ السكسكي بيده وهو يريد أن يحبسه ويُؤامر فيه، بينما نزل من الحائط عشرةٌ، فيهم منصور بن جمهور الكلبي، وحبال بن عمرو الكلبي، وحُميد بن نصر اللخمي، والسريّ بن زياد السكسكي، وعبد السلام بن بكير بن شمّاخ اللخميّ، فضرب عبد السلام اللخميّ الوليد على رأسه بالسيف، وضربه السريّ على وجهه. وأقْبَلَ أبو الأسد مولى خالد القسري فسلخ من جلد الوليد قدر الكفّ فأتى بها يزيد بن خالد القسري وهو بالمعسكر. . وكان قتل الوليد يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ».

فبعث نصر بن سعيد الأنصاري إلى يزيد بن خالد بن عبد اللّه بن يزيد بن كرز القَسْري قصيدة منها قوله:

أبْلغ يزيدَ بني كرْزٍ مُغَلْغَلةً ... أنّي شُفِيتُ بغيبٍ غير موْتورِ
حَكّمْتَ سَيْفكَ إذْ لم ترض حُكْمَهُمْ ... والسيفُ يحكمُ حكماً غير تعذير
لم تَرْضَ من خالدٍ إذْ كنْتَ مُتّئراً ... إلّا بكلِّ عظيم المُلْكِ مَشهورِ

وقال أبو محجن القسري:

سائل وليداً وسائلْ أهْلَ عَسْكَره ... غداة صَبّحَهُ شُؤبُوبُنا البرَدُ
هل جاء من مُضَرٍ نفسٌ فتَمْنَعَه ... والخيلُ تحت عجاج الموت تطّرِدُ

ووصل خبر قتل الوليد إلى خراسان فقال خَلَف بن خليفة ـ وهو من أصحاب جُديع الكرماني ـ :

لَقَدْ سَكّنَتْ كَلبُ وأسباقُ مَذْحَجٍ ... صَدًى كان يَزْقو لَيْلَه غير راقِدِ
تَرَكْنَ أمير المؤمنين بخالدٍ ... مُكِبّاً على خَيْشُومِه غير ساجِدِ

وقال دِعْبل بن عليّ الخزاعي في قصيدته الدامغة:

قَتَلْنا بالفتى القسريّ مِنّا ... وليدكم أمير المؤمنينا

وما لبث أن وصل إلى خراسان خبر اجتماع أمر الخلافة ليزيد بن الوليد بن

عبد الملك، وكان مروان بن محمد بن مروان أمير الجزيرة الفراتية وأذربيجان قد أظهر المطالبة بدم الوليد ومعارضة خلافة يزيد، فكتب إليه يزيد يدعوه إلى الطاعة وأنه سيبقيه والياً للجزيرة الفراتية وأذربيجان فاستجاب مروان ودخل في الطاعة، وولّى الخليفة يزيد بن الوليد الأمير منصور بن جَمْهور الكلبيّ اليماني على العراق والمشرقين، فقَدِم منصور بن جمهور العراق في أوائل شهر رجب ١٢٦هـ وهرب يوسف بن عمر الثقفي فتم القبض عليه بمنطقة البلقاء وهو في ملابس امرأة، وتم حبسه بدمشق.

وولّى منصور بن جَمهور الكلبيّ على ولاية البصرة وأقاليمها حتى تخوم بلاد السند الأمير جرير بن يزيد بن جرير البَجَلي اليماني، وعلى بلاد السند الأمير محمد بن غزّان الكلبيّ، وعلى الكوفة وأقاليمها عبيد اللّه بن العباس الكندي.

وكان بكير بن ماهان محبوساً في الكوفة بسبب مطالبة غرمائه إياه بدَيْن كان عليه مما أدى إلى قيامه ببعث أبي سَلَمَة الخلال برسالة إبراهيم الإمام إلى سليمان بن كثير وأصحابه بخراسان ـ وقد تقدم خبر ذلك ـ ومرض بكير في الحبس ـ غالباً ـ وقد جاء في كتاب أخبار الدولة ما يلي: «قال عمرو بن شبيب وأُسيد بن دغيم المُسلي: بَيْنا نزورُ بكيراً عائدين له في مرضه، وقد أتانا قتل الوليد، وقَدِم منصور بن جمهور والياً على العراق وهرب يوسف بن عمر، فإنّا لعند بكير إذْ دخل عليه جار له من بني الحارث يُقال له مدرك ورجلان من همدان يزورونه، فقالوا له: يا أبا هاشم قُتِل الوليد. وهو مغلوب لشدة مرضه. فكرّروا ذلك عليه حتى فهم قولهم، فقال: أوَ قُتِل الوليد؟ قالوا: نعم، قال: كنتُ أتوقع ذلك فالحمد للّه على قضائه، أما لو كانت بي حياةٌ لقرّت عيني وعظم سروري». [ص ٢٦٦].

وهدأ التوتر الذي كان بخراسان أيضاً. . قال الطبري: « . . كان الذي كتب إلى جُديع الكرماني بقتل الوليد وقدوم منصور بن جمهور والياً على العراق صالح الأثرم الحرار. . » [ص ٣٩ جـ ٩].

وكان أبو سلمة الخلال عند سليمان بن كثير في خراسان فرجع إلى الكوفة في رجب أو شعبان ١٢٦هـ حيث جاء في كتاب أخبار الدولة ما يلي: «انصرف أبو سَلَمة إلى الكوفة وألْفَىٰ بكيراً محبوساً على ما خلفه عليه، فَصَالَحَ أبو سَلَمة عنه غرماءه، وخرج بكير من الحبس. وكان أبو سَلَمَة يومئذٍ مُوسراً حسن الحال وكانت له حوانيت يُباع فيها الخلّ. وفي أيام حبس بكير عُرِف أبو مسلم الخراساني وانقطع إلى بكير وعرف الدعوة واختلط بأهلها. فلم يلبث بكير إلا نحواً من شهرين حتى مرض واشتد وجعه. . قال عمرو بن شبيب وأُسيد بن دغيم المُسْلي: قال بكير لأبي سَلَمَة يومئذ: يا أبا سَلَمة، شمّر في أمرك فقد فتح اللّه البلاء على بني أُمية إن قَتَل الوليد

أحدُ أوقاتهم ثم العصبيّة. وجعل يتكلّم فلا يُفهم حتى غُلب، فما برحنا حتى مات، وصار إلى أبي سَلَمَة أمر الدعاة. وكان لَمَّا قُتِل الوليدُ أُستخلِف يزيد بن الوليد فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات، ووثَبَ على أمرهم مروان بن محمد فابتزّهم غصباً واقتساراً، فَوَهَنَ أمر بني أُمية، وانتقضت عليهم البلاد». [ص ٢٦٦].

المعارضة اليمنية للخلافة المروانية واتساع الدعوة العباسية بخُراسان برئاسة سليمان الخزاعيّ:

في أواخر ذي الحجة سنة ١٢٦هـ مات الخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك وبويع أخوه إبراهيم بن الوليد بالخلافة، وكان سلطان دولة الخلافة الأموية راسخاً في الآفاق في ظل التحالف الأموي اليماني، فقد كان الولاة الأمراء على الولايات والأقاليم مِنْ بني مروان ومِنَ اليمانيين، حيث كان الوالي على الأندلس أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبيّ اليماني منذ سنة ١٢٤هـ وكان الوالي على إفريقيا الشمالية حنظلة بن صفوان الكلبيّ (١٢٣ ـ ١٢٩هـ) وكان والي مصر حفص بن الوليد الحضرمي، وكان من أمراء أقاليم الشام ضَبْعان بن رَوْح الجذامي اليماني أمير فلسطين سنة ١٢٦هـ ثم ثابت بن نعيم الجذامي أمير فلسطين، ومعاوية بن يزيد السكوني اليماني أمير إقليم حِمْص، وكانت دمشق عاصمة دولة الخلافة ومقر الخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك وكان من مستشاريه وقادته بدمشق يزيد بن خالد القسري ومنصور بن جمهور الكلبي، وقد تولّى منصور بن جمهور العراق والمشرقين ثلاثة أشهر (رجب ـ رمضان ١٢٦هـ) ثم عاد إلى دمشق، وتولّى العراق ومشرقيها عبد اللّه بن عمر بن عبد العزيز بن مروان، واستمر جرير بن يزيد البجلي أميراً للبصرة وأقاليمها، ومحمد بن غزان الكلبيّ أميراً لولاية السند، وكان الوالي على اليمن الضحاك بن وائل السكسكي اليماني، بينما كان مروان بن محمد بن مروان والياً للجزيرة الفراتية وأذربيجان وأرمينية، فَلَمَّا تولّى إبراهيم بن الوليد الخلافة انتقض مروان بن محمد وأظهر ـ مرة أخرى ـ المطالبة بدم الوليد بن يزيد وادّعى أن الخلافة للحَكَم وعثمان ابني الوليد وكانا في الحبس بدمشق مع يوسف بن عمر الثقفي أمير العراق السابق الذي قتل الإمام زيد بن عليّ والأمير خالد بن عبد اللّه القسري. وزحف مروان من مدينة حرّان (في جنوب تركيا) إلى حِمْص، وهزم جيشاً وجّهه إليه الخليفة إبراهيم بن الوليد بحمص ـ في صفر سنة ١٢٧هـ ـ وعاد قادة الجيش من حمص إلى دمشق وكان فيهم إسماعيل بن عبد اللّه القسري ويزيد بن خالد القسري. قال ابن خلدون: «رجع يزيد بن خالد القسري إلى دمشق فاجتمع مع إبراهيم بن الوليد

(الخليفة) وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وتشاوروا في قتل الحَكَم وعثمان خشية أن يطلقهما مروان، وولوا ذلك يزيد بن خالد القسري فبعث مولاه أبا الأسد فقتلهما، وأخرج يوسف بن عمر الثقفي فقتله». (اهـ) وبعث إبراهيم بن الوليد إسماعيل بن عبد اللّه القسري أميراً للكوفة فتولاها في إطار ولاية عبد اللّه بن عمر بن عبد العزيز للعراق ومشارقها. وزحف مروان بن محمد إلى دمشق فانهزم إبراهيم بن الوليد وخرج هارباً وأخذ سليمان بن هشام بن عبد الملك بيت المال وخرج بمن معه من الجند وأهله ومواليه إلى تدمر، وهرب أغلب القادة والرؤساء إلى تدمر والعراق، وتوارى يزيد بن خالد القسري في قرى غوطة دمشق، بينما دخل مروان بن محمد وجنوده مدينة دمشق ـ في أواخر ربيع الثاني ـ قال الطبري: «فأتى مروان بأبي محمد السفياني فسلّم عليه بالخلافة، وسمع الناس فبايعوه وكان أول من بايعه معاوية بن يزيد السكوني ثم بايعه الناس» (اهـ) وبذلك بدأت خلافة مروان الذي جاء في أخبار الدولة أنه: «وثب على أمرهم مروان بن محمد فابتزّهم غصباً واقتساراً، فوهَنَ أمر بني أُمية».

وما لبث مروان بن محمد أن أظهر التعصب للقيسية المضريّة وإزاحة اليمانية من مناصب الولايات مما ساهم في اندلاع معارضة يمانية واسعة لخلافة مروان وإشعال ما تسميه الروايات (العصبية بين اليمانية والقيسية) أو (العصبية بين المُضريّة واليمانية) وقد حاول القاضي سعدي أبو جيب تبرير تعصب مروان للقيسية قائلاً ما يلي:

« . . اعتمد الخليفة السابق (يزيد بن الوليد) على اليمانية. . وكان بديهياً أن يعتمد مروان اعتماداً كلياً على القيسية لسببين، **أولهما**: أنه قام يطالب بدم الوليد، وأخوال الوليد من القيسية. **وثانيهما**: أن قيساً كانت تتمركز بالجزيرة (الفراتية) ومروان أمير الجزيرة، ولهذا فإنه لَمَّا أتاه نعي يزيد دعا قيساً فاستجابت له وسار على رأسها يريد دمشق». وقال القاضي سعدي: «كانت القيسية دعامته الكبرى في الوصول إلى الخلافة». وقد عَقّب القاضي سعدي نفسه على ذلك التبرير قائلاً: «إن هٰذا العذر غير مقبول لأن مروان كان يقدر أن يضم تحت جناحه اليمانية بأي أسلوب كان دون أن يُغضب أصدقاءه القدامى من قيس، وبهذا تعود للشعب وحدته»[١].

وقد فات القاضي سعدي بأن القول بمطالبة مروان بدم الوليد إنما كان محله عند مقتل الوليد في جمادى الثانية ١٢٦هـ. وقد تخلّى مروان عن ذلك في وقته ومكث والياً ليزيد بن الوليد على الجزيرة الفراتية حتى وفاة يزيد واستخلاف إبراهيم بن الوليد، ولما انتقض مروان لم يدع قيساً فقط وإنماساير من بولاية

---

(١) مروان وأسباب سقوط الدولة الأموية ـ القاضي سعدي أبو جيب ـ ص ١١٩ وص ١٤٧.

الجزيرة وأذربيجان وكانوا من القيسية واليمانية والأكراد وغيرهم وقد أجابوه لأنه أميرهم ولَمَّا وصل إلى حمص انضم إليه أميرها معاوية بن يزيد السكوني اليماني وجنود حمص وغالبيتهم يمانية، ثم كان معاوية بن يزيد السكوني هو أول من بايع مروان بالخلافة في دمشق، وكان ممن بايعه بدمشق أيضاً ثابت بن نعيم الجذامي أمير فلسطين وكان ثابت كبير اليمانية بالشام في ذلك الوقت. ثم أخذ مروان في التعصُّب للقيسية وهو التعصُّب الذي قال القاضي سعدي في التعبير عنه: «اعتمد مروان على القيسية اعتماداً كلياً». وكان من مظاهر ذلك ما يلي:

ـ قام مروان بإزاحة معاوية بن يزيد السكوني أمير حمص، وولَّى على دمشق وأعمالها زامل بن عمرو الحرّاني (القيسي) وعلى إقليم نهر الأردن الوليد بن معاوية بن مروان، وأقرّ ثابت بن نعيم الجذاميّ على فلسطين (حتى تأتي فرصة أنسب لعزله فيما بعد). وقام مروان بعزل الضحاك بن وائل السكسكي أمير ولاية اليمن، وولَّى على اليمن أشد الناس حقداً على اليمانية وهو قاسم بن عمر الثقفي أخو يوسف الثقفي الذي قتل خالد القسري وقتله يزيد بن خالد القسري. وقد سار قاسم الثقفي في اليمن سيرة قبيحة[١]، وأعفى مروان الأمير حَفْص بن الوليد الحضرمي من ولاية مصر.. وبعث النضر بن سعد والياً إلى العراق ومعه قوة من القيسية.. وكتب مروان إلى نصر بن سيار القيسي بولايته على خراسان.

ـ وقام مروان بنقل العاصمة من مدينة دمشق إلى مدينة حرّان بالجزيرة الفراتية (في جنوب تركيا حالياً). وقد ذكر القاضي سعدي عن الدينوري ما يلي نصه: «نقل مروان البلاط وإدارة الحكومة إلى حرّان بحيث أخذت قلوب أهل الشام تنصرف عنه»[٢] وقال فيليب حتي: «نقل مروان أيضاً كل الأعمال مع بيت المال من دمشق إلى حرّان، وآلى به هذا إلى نتائج خطيرة فقد شعرت الشام بأجمعها مع دمشق بأنها سُلبت الحكم»[٣]. وقد ذكر القاضي سعدي تبريراً لذلك ما يلي: «ربما كان عذر مروان في نقل العاصمة إلى حرّان أنها كانت مركز القيسية وهؤلاء هم دعامته الكبرى في الوصول إلى الخلافة وبين ظهرانيهم عاش.. وهؤلاء هم الذين بايعوه قبل غيرهم ولا يمكن أن يبقى عند سواهم، وهو من جهة أخرى لا يثق بالجيش الشاميّ واليمانيون فيه أكثرية». ثم قال القاضي سعدي: «جَنَىٰ مروان ثمرة نقل العاصمة بنفسه إذْ اضطره ذلك لخوض معارك متعددة على أرض الشام دامت فترة من الزمن،

(١) ثارت ولاية اليمن بقيادة طالب الحق عبد اللّه بن يحيى الحضرمي وقتل القاسم بن عمر الثقفي وبويع طالب الحق في عموم اليمن سنة ١٢٩هـ.
(٢) مروان وأسباب سقوط الدولة الأموية ـ القاضي سعدي أبو جيب ـ ص ١١٩ وص ١٤٧.
(٣) تاريخ العرب ـ فيليب حتي ـ ص ٣٥٥ جـ ٢.

في وقت كانت فيه خُراسان ترتجف بنصر بن سيار، وقد بدت سحائب دخان كثيف تدل على ثورة بركان يمكن أن يجتثّ الحكم الأموي بأكمله»[1].

لقد أفردت الروايات أنباء المعارضة اليمانية باسم (العصبية بين القيسية المُضرية وبين اليمانية) ولم تتنبه الدراسات إلى الأثر الهام لذلك على الدعوة العباسية من جهة، وإلى أن شخصيات وحركات المعارضة اليمانية تلك انضوت في الدعوة العباسية ـ سنة ١٢٩هـ ـ وكان لذلك عظيم الأثر من جهة أخرى في إظهار وانطلاق الدعوة العباسية.

أولاً: معالم حركات المعارضة اليمانية:

قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «لما استوَت لمروان بن محمد الشام وانصرف إلى حرّان لم يلبث إلا ثلاثة أشهر حتى خالفه أهل الشام وانتقضوا عليه وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم الجذامي». [ص ٥٥ جـ ٩].

وقال القاضي سعدي أبو جيب: «. . كَاتَبَ ثابتٌ اليمانية وراسَلَهم ودعاهم إلى خلع مروان وليس عمل ثابت بمستغرب فهو يمانيّ العصبية بل هو رأس اليمانية في زمنه». [ص ٢٩].

وكان مروان بن محمد قد بعث النضر بن سعيد والياً للعراق مكان عبد اللّه بن عمر بن عبد العزيز، وكان عدد من قادة يمانية الشام قد لحقوا بالعراق لَمَّا استوَت لمروان بن محمد الشام، وكان أبرزهم منصور بن جمهور الكلبي ـ أمير العراق السابق ـ والأصبغ بن ذؤالة الكلبي والوليد بن حسان الغساني، وكان إسماعيل بن عبد اللّه القسري عاملاً بالكوفة ومعه محمد بن خالد بن عبد اللّه القسري وأكثر من ألف مقاتل، وجاءت مع منصور بن جمهور كتيبة من فرسان يمانية الشام، وكان عبد اللّه بن عمر بن عبد العزيز أمير العراق في مدينة الحيرة حين وصل النضر بن سعيد مع قوة من القيسية والياً لمروان على العراق، فأيّد اليمانيون عبد اللّه بن عمر وامتنع عن تسليم الولاية للنضر، قال الطبري:

«نزل النضر بن سعيد عند المُضريّة. وطلب النضر أن يُسلم إليه عبد اللّه بن عمر ولاية العراق بكتاب مروان. وأبىٰ عبد اللّه بن عمر. واليمانية مع ابن عمر والنزارية مع النضر، وذلك أن جند أهل اليمن كانوا مع يزيد تعصُباً على الوليد حيث أسلم خالد بن عبد اللّه القسري إلى يوسف بن عمر حتى قتله، وكانت القيسية مع مروان. .» [ص ٦١ جـ ٩].

---

(١) مروان وأسباب سقوط الدولة الأموية ـ القاضي سعدي أبو جيب ـ ص ١١٩ وص ١٤٧.

وقال القاضي سعدي أبو جيب: «كان النضر بن سعيد في الكوفة ومعه المُضريّة، وعبد اللّه بن عمر في الحيرة ومعه اليمانية، والحرب بينهما مُستعرة. وفي هذا الجو قَدِم الضحاك الخارجي إلى الكوفة في ثلاثة آلاف مقاتل». [ص ٢٤] وقد كان النضر بن سعيد في إقليم الكوفة بمدينة واسط أما مدينة الكوفة فكان بها إسماعيل القسري وكان إسماعيل مؤيداً لعبد اللّه بن عمر، وأقبَلَ الضحاك بن قيس الشيباني في ثلاثة آلاف من الخوارج نحو الكوفة في رجب. وقد ذكر الطبري أنه: « . . يُقَال: إنّما قَدِم الضحاك، وإسماعيل بن عبد اللّه القسري بالقصر ـ بالكوفة ـ وعبد اللّه بن عمر بالحيرة». [ص ٥٠ جـ ٩]. وعندئذ كتب عبد اللّه بن عمر ـ من الحيرة ـ إلى النضر بن سعيد ـ في واسط ـ بأن تكون كلمتهم واحدة لمحاربة الخوارج؛ فاتفقوا على ذلك، فسار عبد اللّه بن عمر وقادة المعارضة والجنود من الكوفة والحيرة، والنضر بن سعيد والذين معه من واسط، فحاربوا الضحاك والخوارج في منطقة النخيلة بالقرب من الكوفة يوم الأربعاء في رجب ١٢٧هـ فكشفهم الخوارج يوم السبت. . قال الطبري: « . . ولحق عظم أصحاب ابن عمر بواسط. وكان ممن لحق بواسط إسماعيل بن عبد اللّه القسري، ومنصور بن جمهور الكلبي، والأصبغ بن ذؤالة وابناه حمزة وذؤالة، وعبيد اللّه بن العباس الكندي. . والنضر بن سعيد وأصحابه. . وأقام ابن عمر يوماً أو يومين ثم رحل مع بقية أصحابه إلى واسط. . وجمع خالد بن الغزيل (وهو قائد عسكر النضر) أصحابه ولحق بمروان بن محمد وهو مقيم بالجزيرة ـ في حرّان ـ ودخل الضحاك الكوفة فأقام بها في شعبان. . ثم أقبَلَ الضحاك إلى واسط فجعل ابن عمر وأصحابه والنضر وأصحابه يعبرون الجسر فيقاتلون الضحاك وأصحابه ثم يعودون إلى مواضعهم. . واقتتلوا يوماً من الأيام فشدّ منصور بن جمهور على قائد من قوّاد الضحاك كان عظيم القدر في الشُراة (الخوارج) يقال له عكرمة بن شيبان فقتله منصور. وبعث الضحاك ـ في يوم من تلك الأيام ـ قائداً من قوّاده يُدعى شوالاً إلى باب الزاب وأمره بإحراقه فسار شوال بفرسان الشُراة فانتهوا إلى الباب فأضرموه، فأخرج عبد اللّه بن عمر منصور بن جمهور في ستمائة فارس فقاتلوهم أشدّ قتال، وجعل عبد الملك بن علقمة ـ وهو من قوّاد الضحاك ـ يشدُّ عليهم وهو حاسر فقتل منهم عدّة، فشدّ عليه منصور بن جمهور فضربه على عاتقه فخرّ ميتاً. . ثم إن منصور بن جمهور قال لعبد اللّه بن عمر: ما رأيت مثل هؤلاء الشُرَاة قط فلِمَ نحاربهم ونشغلهم عن مروان، أعطهم الرضا واجعلهم بينك وبين مروان (وبايع منصور بن جمهور الضحاك) ثم إن عبد اللّه بن عمر خرج إليهم في شوال فبايعه». [ص ٦٢ جـ ٩] وقال القاضي سعدي أبو جيب: «بإيحاء من

منصور بن جمهور خان عبد اللّه بن عمر خليفته وبايع الضحاك، وكان ذلك في شوال سنة ١٢٧هـ بينما عاد النضر بن سعيد إلى الخليفة مروان بمن معه» [ص ٣٤].

وقد فات القاضي سعدي أبو جيب هنا أن عبد اللّه بن عمر بن عبد العزيز لم يكن والياً لمروان وإنما كان والياً ليزيد بن الوليد ثم إبراهيم بن الوليد وقد بعث مروان النضر بن سعيد والياً ـ في شهر ربيع ـ فلم يعترف عبد اللّه بن عمر بولايته وإنما كان والياً معارضاً ومعه قادة المعارضة اليمانية وأبرزهم منصور بن جمهور والأصبغ بن ذؤالة وإسماعيل القسري ولم يبايعوا مروان ولا اعترفوا بخلافته وحاربوا النضر بن سعيد مع عبد اللّه بن عمر ـ وربما كانوا يعتبرون الخليفة المخلوع إبراهيم بن الوليد هو الخليفة الشرعي ـ ثم إن أغلب عسكر النضر رحلوا مع خالد بن غزيل إلى مروان في شعبان وبات وجود النضر مع عبد اللّه بن عمر وأصحابه شكلياً، ورحل النضر بن سعيد في رمضان عندما بايع منصور بن جمهور الضحاك بيعة تحالف، ثم «بإيحاء من منصور بن جمهور بايع عبد اللّه بن عمر الضَحّاكَ في شوال ١٢٧هـ» وهي بيعة تحالف، وليس هناك ما يمكن تسميته «خان عبد اللّه بن عمر خليفته» لأنه لم يكن والياً لمروان، ومما يتيح إدراك صيغة التحالف الذي تم «بإيحاء من منصور بن جمهور» أنهم اتفقوا على «أن يكون للضحاك الكوفة وسوادها، ولعبد اللّه بن عمر ما بيده من الحيرة وكسكر إلى ميسان وكور دجلة والأهواز». وما بيد عبد اللّه بن عمر هو ما بيد المعارضة اليمانية. وقد جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية ما يلي: «انتقض العراق على مروان، وقد خالف سليمان بن حبيب بن المهلَّب في الأهواز وغَلَب عليها، وغَلَبَ منصور بن جمهور على الجبال». [ص ٢٥١].

وفي أواسط شهر رمضان ١٢٧هـ توجّه كوكبة من قادة وفرسان اليمانية الذين كانوا مع منصور بن جمهور إلى منطقة تدمر بالشام وكان أبرزهم الأصبغ بن ذؤالة الكلبيّ، وتوجّه إسماعيل بن عبد اللّه القسري إلى منطقة غوطة دمشق التي كان يزيد بن خالد القسري متوارياً فيها، وقد سلف ذكر قول الطبري: «لما استوت الشام لمروان بن محمد وانصرف إلى حرّان لم يلبث إلا ثلاثة أشهر حتى خالفه أهل الشام وانتقضوا عليه وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم الجدامي» [ص ٥٥ جـ ٩] وكان مروان لَمّا أزاح أغلب الأمراء اليمانيين أبقى ثابت بن نعيم أميراً لفلسطين، قال القاضي سعدي: «بايع ثابتٌ مروانَ بدمشق، على ما يظهر، فولّاه فلسطين بناء على رغبة أهلها، وكان ثابت يتقلد فلسطين للخليفة السابق إبراهيم بن الوليد» وقد فسّر القاضي سعدي سبب إبقاء ثابت أميراً لفلسطين قائلاً: «لم يكن مروان يستطيع عزل ثابت في ذلك الوقت حتى لا يثور الناس». ـ ثم كان ثابت هو الذي دعا أهل الشام

إلى مخالفة مروان فانتقضوا عليه ـ قال القاضي سعدي: « . . كَاتَبَ ثابتُ اليمانية ورَاسَلهم ودعاهم إلى خلع مروان وليس عمل ثابت بمستغرب فهو يمانيّ العصبية بل هو رأس اليمانية في زمنه». [ص ٢٩] وكان الشام ينقسم إدارياً إلى أربعة أقاليم: فلسطين وعاصمتها مدينة الرملة ـ وكان أميرها ثابت بن نعيم ـ، والأردن وعاصمته طبرية، وكان أميره الوليد بن معاوية بن مروان ـ وإقليم دمشق إلى تدمر وإلى القرب من حمص ـ وكان أمير دمشق زامل بن عمرو الحرّاني ـ وإقليم حمص وقد تم ربطه بدمشق ـ غالباً ـ. ولَمَّا كَاتَبَ ثابت اليمانية ودعاهم إلى خلع مروان وتراسلوا في ذلك اندلعت حركات المعارضة في أقاليم الشام الأربعة منذ شهر رمضان، وكان مروان بن محمد في مدينة حرّان (بجنوب تركيا حالياً) وكان الخليفة المخلوع إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام بن عبد الملك قد استأمنا إلى مروان فأمّنهما ولحقا به، وربما لم يكن ثابت وقادة المعارضة قد علموا بذلك. قال ابن خلدون: «رَاسَل ثابت بن نعيم أهل حمص في الخلاف على مروان فأجابوه. .» قال الطبري: « . . وثار أهل الغوطة إلى دمشق فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو وولّوا عليهم يزيد بن خالد القسري. . وخرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين حتى أتى مدينة طبرية فحاصرها وعليها الوليد بن معاوية بن مروان». [ص ٩/٥٥] فزحف مروان بن محمد بجيش كثيف من جند الجزيرة الفراتية وغيرهم من مدينة حرّان إلى حماة قاصداً حمص ودمشق ـ قال الطبري: «وأرسل أهل حمص إلى مَن بتدمر مِنْ كلب، فَشَخَصَ إليهم الأصبغ بن ذؤالة الكلبي وبنوه الثلاثة، ومعاوية السكسكي، وهشام بن مَصَاد الكلبي، وطفيل بن حارثة، ونحو ألف من فرسانهم، فدخلوا حمص ليلة الفطر من سنة ١٢٧هـ، ومروان بحماة ليس بينه وبين مدينة حمص إلا ثلاثون ميلاً، فأتاه خبرهم صبيحة الفطر، فَجَدّ في السير ومعه يومئذ إبراهيم بن الوليد المخلوع وسليمان بن هشام وكانا قد راسلاه وطلبا منه الأمان فصارا معه يسيران في موكبه[1] فانتهى مروان إلى مدينة حمص بعد الفطر بيومين، والكلبيُّون فيها قد ردموا أبوابها من داخل، فأحدقت خيل مروان بالمدينة ووقف حِذاء باب من أبوابها وأشرف على جماعة من الحائط فناداهم مناديه: ما دعاكم إلى النكث؟ قالوا: إنّا على طاعتك لم ننكث، فقال لهم: إن كنتم على ما تذكرون فافتحوا، ففتحوا الباب، فاقتحم عمرو بن الوضاح في نحو ثلاثة آلاف مدينة حمص (وهو من قادة مروان) فقاتلوهم داخل المدينة، فَلَمَّا كثرت عليهم خيل مروان انتهوا إلى باب من أبواب المدينة فخرجوا منه والروابط عليه فقاتلوهم، فقُتِل

---

(١) إن وجود إبراهيم بن الوليد مع مروان يعني أن المعارضة ليس لهم خليفة، وكان لذلك تأثير على معنويات المعارضة.

عامتهم، وأَفْلَتَ الأصبغ بن ذُؤالة ومعاوية السكسكي، وأُسر ابنا الأصبغ في نيف وثلاثين رجلاً، فأُتي مروان بهم فقتلهم وهو واقف، وأمر بجمع قتلاهم وهم خمسمائة أو ستمائة فَصُلِبوا حول المدينة، وهدم من حائطها نحواً من غلوة». [ص ٥٥/٩].

وبعث مروان جيشاً إلى دمشق حيث كانت قوات المعارضة بقيادة يزيد بن خالد القسري في الغوطة والمزّة تحاصر زامل بن عمرو عامل دمشق والذين معه داخل المدينة. قال القاضي سعدي: «أرسل مروان من حمص قائده ابن الكوثر في عشرة آلاف إلى دمشق فتمكن من القضاء على الثورة وقَتْل قائدها يزيد بن خالد القسري» وكذلك ذكر الطبري أن جيش مروان «حرّقوا المزّة من قرى اليمانية». [ص ٥٥/٩] وقد هرب كثيرون إلى تدمر ولحق بعضهم بالعراق.

وسار جيش مروان بقيادة ابن الكوثر إلى الأردن وفلسطين حيث كانت قوات المعارضة بقيادة ثابت بن نعيم تحاصر إبراهيم بن معاوية وجنوده في طبرية. فاجتمع جند ابن الكوثر وجند الوليد وحملوا على ثابت ومن معه فهزموهم. فانصرف ثابت إلى فلسطين ـ وكانت عاصمتها الرملة ـ فجمع قومه، ومضى إليه ابن الكوثر، فهزمه ثانية، وتفرّق من معه.. قال الطبري: «وتغيّب ثابت بن نعيم، وولّى مروان الرماحس بن عبد العزيز الكنانيّ فلسطين» والمقصود أن ثابت بن نعيم توارى في منطقة من فلسطين.

إن حركة المعارضة في الشام التي قضى عليها مروان في شوال وذي القعدة ١٢٧هـ ما لبثت أن تأججت في ذي الحجة ١٢٧هـ أو في محرم ١٢٨هـ، وكان مروان قد عاد إلى الجزيرة الفراتية، وسمح لسليمان بن هشام بن عبد الملك أن يقيم في الرُّصافة ثم يلحق به، فأتى إلى سليمان بن هشام الأصبغ بن ذُؤالة الكلبي ومعاوية السكسكي وثبيت البهرانيّ، وكانوا على رأس عشرة آلاف من أهل الشام أمر مروان بأن يتهيؤوا لغزو العراق، فمرّوا بالرصافة ودعوا سليمان بن هشام إلى خلع مروان ومحاربته، فأجابهم سليمان إلى ذلك، وسار معهم بإخوته ومواليه وولده إلى حمص وقنسرين، وأعلنت حمص والعديد من مناطق الشام خلع مروان في أوائل سنة١٢٨هـ، وكان ثابت بن نعيم قد توارى في منطقة من فلسطين فتوجّه منها إلى مصر. حيث قال القاضي سعدي أبو جيب: «فرّ ثابت بن نعيم من فلسطين إلى مصر، فدخلها ومعه جماعة من اليمانية، ودعوا الناس إلى خلع مروان، فاستجاب لهم أهل مصر، ولم يخالف منهم أحد» [ص ٣٠] وجاء في تاريخ الطبري أنه «بلغ مروان أنهم ـ أي أهل الشام ـ يرجفون بثابت ويقولون إنه أتى مصر فغلب عليها وقتل عامل مروان بها». [ص ٥٦ جـ ٩] وكان ذلك هو ما حدث بالفعل ـ منذ حوالي

صفر ١٢٨هـ ـ قال القاضي سعدي: «ولم يطل المقام بثابت في مصر، فقد تصدى لقتاله زبّان بن عبد العزيز بن مروان وقاتله وهزمه. ـ ورجع ثابت إلى فلسطين ـ وبعد ذلك تمكن الرماحس بن عبد العزيز الكناني ـ عامل فلسطين ـ من القبض على ثابت، وأرسله إلى مروان، فقتله». [ص ٣١] وكان ذلك عند فراغ مروان من حصار حمص حيث كان مروان زحف مرة ثانية إلى حمص ـ في محرم ١٢٨هـ ـ فهزم سليمان بن هشام في قنسرين ولحق سليمان بتدمر وحاصر مروان حمص. قال الطبري: « . . نزل مروان على حمص فحاصرها عشرة أشهر ونصب عليها نيفاً وثمانين منجنيقاً فطرح عليهم حجارتها بالليل والنهار، وهم في ذلك يخرجون إليه كل يوم فيقاتلونه، وربما بيّتوا نواحي عسكره وأغاروا على الموضع الذي يطمعون في إصابة العورة والفرصة منه، وكان الذي يغير على عسكر مروان ـ معاوية ـ السكسكي». [ص ٦٤/ ٩] ثم إن معاوية السكسكي قُتِل في غارة على عسكر مروان، ووقع ثابت بن نعيم الجذاميّ أسيراً في فلسطين، وكان الحصار قد أضرّ بأهل حمص واشتد عليهم البلاء فأعطاهم مروان الأمان على أن يسلموا إليه المدينة فأجابوه إلى ذلك. قال الطبري: «قال الواقدي: افتتح مروان حمص وهَدّم سورها وأخذ ثابت بن نعيم الجذامي فقتله في شوال سنة١٢٨هـ» [ص ٧٨ جـ ٩] قال الطبري: «ونجا رفاعة بن ثابت بن نعيم الجذامي فلحق بمنصور بن جمهور الكلبيّ، فأكرمه منصور وولاه ـ على منطقة من السند ـ» [ص ٥٦ ج ـ ٩].

لقد انتهت حركة المعارضة داخل الشام لخلافة مروان في شوال سنة١٢٨هـ واستتب له الأمر في الشام ومصر، ولكن حركات المعارضة المتأججة في العراق ومشارقها استمرت تحكم البلاد إلى أن بعث مروان بن محمد جيشاً كثيفاً إلى العراق ـ في ذي القعدة سنة١٢٩هـ ـ بمعية يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري القيسي وولاه على العراق. قال الطبري: «وجّه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة في جنود كثيرة من أهل الشام وأهل الجزيرة إلى العراق، فسار ابن هبيرة على الفرات حتى انتهى إلى عين التمر ونزل غُزَّة من عين التمر، وبلغ ذلك المثنى بن عمران العائذي عامل الضحاك على الكوفة (وكان الضحاك قد قُتِل بالموصل) فسار إليه فيمن معه من الشُراة ومعه منصور بن جمهور الكلبي، فالتقوا بغزَّة فاقتتلوا قتالاً شديداً أياماً متوالية فَقُتِل الضحاك ورؤساء أصحابه وهرب منصور بن جمهور حتى دخل الكوفة، فجمع بها جمعاً من اليمانية والصُفْريّة ثم سار بهم منصور حتى نزل الرّوحاء، وأقبل ابن هبيرة في أجناده حتى لقيهم، فقاتلهم أياماً ثم هزمهم بالرّوحاءِ، ونجا منصور، فدخل ابن هبيرة الكوفة في ذي القعدة سنة١٢٩هـ. . ومضى منصور بن جمهور إلى الماهين

والجبل[١] وانحط ابن هبيرة يريد واسطاً، وعبد اللّه بن عمر بن عبد العزيز بواسط، فأخذ ابنُ هبيرة عبد اللّه بن عمر فحبسه.. ووجّه ابنُ هبيرة نباتة بن حنظلة ـ في جيش ـ إلى سليمان بن حبيب بن المهلّب وهو على الأهواز، فبعث إليه سليمانُ بن حبيب داودَ بن يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المهلّب، فالتقوا بالمريان على شاطىء دُجيل، فانهزم الناسُ، وقُتل داود بن يزيد بن حاتم. وفي ذلك قال خلف بن خليفة:

نَفسي الفدا لداودِ الجِمَىٰ إذْ أَسْلَمَ الجيشُ أبا حاتم
مُهَلبيٌّ مُشرقٌ وَجْهُهُ ليس على المعروف بالنادم»[٢]

وكان خلف بن خليفة بخراسان مع جديع بن عليّ الكرماني زعيم المعارضة اليمانية بخراسان منذ اندلاعها سنة١٢٧هـ جتى قال خلف بن خليفة هذا الشعر عند مقتل داود بن يزيد بن حاتم بأهواز البصرة ولحاق طائفة من آل المهلّب بخراسان أواخر سنة١٢٩هـ.

ثانياً: المعارضة اليمانية بخراسان وأنباء الدعوة العباسية (١٢٧ ـ ١٢٩هـ):

لقد ذكرت الروايات أنباء المعارضة اليمانية في خراسان باسم (العصبية بين القيسية المُضرية وبين اليمانية في خُراسان) ولم تتنبه الدراسات إلى علاقتها بالمعارضة في العراق والشام بسبب تشتُّت الروايات، وهي علاقة تتبيَّن من الروايات ذاتها، ابتداءً بما ذكره الطبري في أحداث سنة١٢٦هـ: «أن الذي كتب إلى جُديع الكرماني بقتل الوليد وقدوم منصور بن جمهور والياً على العراق صالح الأثرم الحرار». وأنه «قال جُديع الكرمانيّ لأصحابه: الناسُ في فتنة فانظروا لأموركم رجلاً، فقالوا: أنت لنا. فقالت المُضَريّة لنصر: الكرماني يفسد عليك فاقتله، فقال: دَعُوه على حاله يتقينا ونتّقيه». وأنه «بلغ نصراً أن الكرماني يقول: كانت غايتي في طاعة بني مروان أن تُقلّدني السيوف فأَطْلُبُ بثأر بني المهلّب». [ص ٣٨ جـ ٩].

ثم ذكر الطبري في نفس أحداث سنة١٢٦هـ وقائع ربما حدث بعضها عندما تم أمر الخلافة لمروان بن محمد بالشام في ربيع ١٢٧هـ لأن مروان كتب إلى نصر بن سيار بولايته على خراسان، بينما كان منصور بن جمهور الكلبي وإسماعيل بن عبد اللّه القسري من قادة المعارضة لخلافة مروان بالعراق فقد ذكر الطبري أنه

---

(١) جاء في أخبار الدولة: «الماهان: ماه الكوفة (وهي الدينور) وماه البصرة (وهي نهاوند وهَمَذَان وقُمْ)» ـ ص ٢٥١ ـ وقد لحق منصور بن جمهور بعد ذلك بالسند، ولم تزل السند بيده وتحت حكمه حتى قيام الخلافة العباسية.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٥٥ و٦٥ و٨٠ ـ ٨١ جـ ٩.

«غضب نصرُ بن سيار على جُديع الكرماني لمكاتبته بكر بن فراس البهرانيّ عامل جُرجان يعلمه حال منصور بن جمهور، وحيث بعث منصور عهد الكرماني مع أبي الزعفران مولى أسد بن عبد اللّٰه القسري، فطلبه نصر فلم يقدر عليه». وأنه «قال ابن وائل الحنظلي: دخلتُ على نصر، والكرماني جالس ناحية وهو يقول: ما ذنبي إن كان أبو الزعفران جاء فواللّٰه ما واريتُه ولا أعلم مكانه».

وفي ٢٨ رمضان خرج جُديع بن عليّ الكرماني من مدينة مرو ـ مَرْو الرُّوذ ـ إلى مَرْج نوش، وكان المرج مصلّى الأزد في العيد، وأَقْبَلَ الأزد من قراهم ومواقعهم بالسلاح إلى المرج. وقد ذكر الطبري أنه « . . صلى بهم جُديع الكرمانيّ الغداة وهُم زهاء ألف، فما ترجلت الشمس حتى صاروا ثلاثة آلاف، وأتاهم أهل السقادم، فقال خلف بن خليفة:

أَصْحِرُوا للمرج أجْلَى للعمىٰ فلقد أصحَرَ أصحابُ السَّرَبْ
إنّ مــرج الأزد مــرجٌ واســعُ تستوي الأقدامُ فيه والرُّكُبْ»

وعَسكَر نصرُ بن سيار بباب مرو الرُّوذ واجتمع إليه بشر كثير، فأقام يوماً أو يومين، فسعى الناس بالصلح بينهما فعاد جُديع إلى منزله بمرو الرُّوذ، ثم عاد الخلاف بينهما ـ في شهر شوال ـ فقد خطب نصر بن سيار خطبة يُقال إنه أثنى فيها على عبد اللّٰه بن عمر بن عبد العزيز والمهم أنه ذمّ فيها منصور بن جمهور الكلبيّ. قال الطبري:

« . . فغضب الكرمانيّ لمنصور بن جُمهور، فعاد في جمع الرجال واتخاذ السلاح، وكان يحضر صلاة الجمعة في ألف وخمسمائة أو أكثر أو أقل، فيُصلّي خارجاً من المقصورة ثم يدخل على نصر فيُسلم ولا يجلس، ثم ترك إتيان نصر، وأظهر الخلاف.

. . وقال عقيل بن معقل الليثي لنصر بن سيار: أيها الأمير أنشدك اللّٰه أن تشأم عشيرتك، إن مروان بالشام تُقاتله الخوارج، والناس والأزد في الفتنة أخِفّاء، قال نصر: فما أصنع، إنْ علمتَ أمراً يُصلح الناس فدونك»[١].

ويتبيَّن من قول عقيل لنصر بن سيار في هذا النص الذي ذكره الطبري: « . . إن مروان بالشام تقاتله الخوارج»، الزمن الصحيح لذلك بأنه ليس رمضان وشوال سنة١٢٦هـ وإنما هو رمضان وشوال سنة١٢٧هـ لأن مروان إنما تولّى الخلافة سنة١٢٧هـ وحاربه الخارجون عليه في الشام بقيادة ثابت بن نعيم ويزيد القسري في

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٤٣ جـ ٩.

شوال ١٢٧هـ بينما تحالف عبد اللّه بن عمر ومنصور بن جمهور مع الضحاك الخارجي، «وبإيحاءٍ من منصور بن جمهور بايع عبد اللّه بن عمر الضحاك في شوال ١٢٧هـ» كما سلف التبيين.

ولَمَّا قال عقيل بن معقل لنصر بن سيار ما تقدم من قول، وقال له نصر: «إن علمتَ أمراً يُصلح الناس فَدُونك» سار عقيل إلى جديع الكرماني ودعاه إلى أن يلتقي بنصر للتفاهم والتصالح فلم يوافق على لقاء نصر. «وقال جُديع لعقيل: نريد أن يعتزل نصرُ ونعتزل، ونختار رجلاً من بكر بن وائل نرضاه جميعاً فيلِي أمرنا جميعاً. أو فَلْيحمل نصر من مال خراسان ما شاء ويخرج.. وإن شاء خرجتُ من مرو، لا من هيبة له، ولكن أكرهُ أن تُسْفَكَ الدماء في هذه البلدة». (اهـ).

لقد طرح جديع الكرماني مبادرة بعيدة عن التعصب وهي أن يعتزل نصر بن سيار (كبير القيسية) وأن يعتزل جُديع (كبير اليمانية) ويختارا رجلاً من بكر بن وائل (ربيعة) يرضونه جميعاً فيتولّى الأمر. ولم يقبل نصر ذلك لأنه الوالي للخليفة مروان على خراسان. ولم يكن ليقبل أيضاً أن يحمل من مال خراسان ما شاء ويخرج. واستمر التوتر واتسع الانقسام، ولم تندلع المعارك بين الفريقين إلا سنة١٢٨هـ. قال القاضي سعدي أبو جيب:

«تأججت نيران العصبية القبلية في خراسان بين المُضريّة واليمانية، وبلغت أوجها في أحرج وقت.. فكانت المعارك قائمة بين جُديع بن علي الكرمانيّ وهو سيّد من بأرض خُراسان من اليمانية وبين والي خراسان نصر بن سيار الذي كان يتعصب لِمُضر، في الوقت الذي كان فيه تيار الدعوة العباسية يتدفقُ من خراسان»[1].

* * *

لقد سلف ذكر نبأ تنظيم الدعوة العباسية السِّرِّية في خراسان برئاسة سليمان بن كثير الخُزاعي الأزدي نقيب نقباء الدعوة العباسية منذ سنة١٢٢هـ وأن إبراهيم الإمام ابن محمد بن عليّ بعث في سنة١٢٦هـ بثلاث رايات سوداء إلى قيادة الدعوة بخراسان وحملها أبو سلمة الخلال فبدأ بجُرجان فدفع راية إلى أبي عون عبد الملك بن يزيد الأزدي وهو رئيس القوم بجُرجان، ثم نَفَذَ أبو سلمة إلى مرو خراسان ـ وهي (مرو الشاهجان) فدفع راية إلى سليمان بن كثير الخزاعي، ووجّه راية إلى ما وراء النهر مع مجاشع بن حريث الأنصاري أو مع عمرو بن سنان المرادي، ومكث أبو سَلمة عند سليمان بن كثير أربعة أشهر. قال صاحب أخبار الدولة[2]:

(١) مروان وأسباب سقوط الدولة الأموية ـ سعدي أبو جيب ـ ص ٤٤.

(٢) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق عبد العزيز الدوري ـ ص ٢٤٨.

«وكان نصر بن سيار يومئذ الوالي، فاضطرب أمر العرب بخراسان وتعصّبوا وتحزّبوا وهُم متحيِّرون. . واستثارت الدعوة في تلك الأيام وقوي أهلها. . وسليمان بن كثير صاحب أمر الدعوة بخراسان.

وكان أبو سلمة قد عاد إلى الكوفة في رجب أو شعبان ١٢٦هـ لأنه بعد عودته «لم يلبث بكير بن ماهان إلا نحواً من شهرين حتى مرض واشتد وجعه. . وجعل يتكلّم فلا يُفهم حتى مات، وصار إلى أبي سلمة أمر الدعاة»[(١)] فيكون موت بكير في شوال أو ذي القعدة سنة١٢٦هـ وقد ذكر الطبري خبر وفاته في أخبار سنة١٢٧هـ وأنه «كتب بكير إلى إبراهيم بن محمد يخبره أنّه في أوّلِ يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وأنه قد استخلف أبا سلمة حفص بن سليمان وهو رضيّ للأمر، وكتب إبراهيم إلى أبي سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه». [ص ٩/٦٦] ويمكن فيما نرى أن خبر موت بكير لم يصل إلى إبراهيم إلا بعد موسم الحج لأن اتصالاتهم كانت تتم غالباً في مواسم الحج فيجعل الرسول طريقه بعد الحج إلى المدينة ثم البلقاء ويعود بالجواب إلى الكوفة في محرم ١٢٧هـ مما يؤدي إلى الظن بحدوث ذلك سنة١٢٧هـ.

وقد ظفر مروان بن محمد بالخلافة بعد الصراع مع الخليفة إبراهيم بن الوليد بالشام في صفر وربيع سنة١٢٧هـ، وجاء في أخبار الدولة أنه «بلغ مَنْ بخراسان أمرُ مروان واختلاف بني أميّة فقوّى ذلك ما كان من خلاف اليمانية والربعية على نصر بن سيار» [ص ٢٥٠] وأنه «طالت الفتنة بين نصر بن سيار وابن الكرماني ومن كان بها من العرب حتى أضجر ذلك كثيراً من أصحابهما، وجعلت نفوسهم تطّلع إلى غير ما هم فيه فتحركت الدعوة: يدعو اليمانيّ من الشيعة (العباسية) اليمانيَّ، والربعيُّ الربعيّ والمضريُّ المضريَّ حتى كثر من استجاب لهم». وذلك سنة١٢٧ ـ ١٢٨هـ.

وكان أبو سلمة قد سار بتوجيه من إبراهيم الإمام إلى خراسان سنة١٢٧هـ فجاء في أخبار الدولة أنه: مضى أبو سلمة إلى خراسان، فبدأ بجرجان ونزل بأبي عامر إسماعيل المُسلّي، ولقيته الشيعة [أي جماعة الدعوة العباسية] بها، ودفع إليهم كتاباً من إبراهيم يبشّرهم فيه بعلوّ كلمتهم ونصر اللّه إيّاهم، ويأمرهم فيه بالاجتماع والاستعداد إلى الوقت الذي وقّته لهم، وقال لهم: أعدّوا واستعدّوا فإذا دخلت سنة ثلاثين ومائة فأظهروا دعوتكم وسوّدوا ثيابكم واشحذوا أسلحتكم ولا تنقلبوا إلى ظهور قبل ذلك إلّا أن يضطركم أمر فتذبُّون عن أنفسكم. ثم شَخَص إلى مرو [معقل سليمان بن كثير]، ومرّ على نَسَا فلقي من بها فأمرهم بالاستعداد [وهم أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي ومقاتل بن حكيم العكي ومجموعتهما]، ثم أتى أبيوَرْدَ فأمر من بها

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق عبد العزيز الدوري ـ ص ٢٤٨.

بمثل ذلك [وهم عثمان بن نهيك العكي، والفضل بن العباس الطائي، وعبد الجبار الأزدي ومجموعتهم] ثم نفذ إلى مرو [لعلها مرو الرُّوذ] وأهلها على ما كانوا عليه في خنادقهم على العصبية. فلقيته الشيعة بمرو [لا بد أنها مرو الشاهجان معقل سليمان بن كثير] وقد كثروا وأظهروا بعض كلامهم، ورغب كثير من الناس في دعوتهم، ورهبهم مَن كان يُخافُ عليهم، فقال لهم: لا تُظهروا شيئاً إلا أن تُضطروا، فإن اضطُررتم فأْتَلِفوا واجتمعوا وادفعوا عن أنفسكم إلى الوقت الذي وُقِّتَ لكم إن شاء اللَّه. وانصرف إلى العراق فقَدِم الكوفة وقد غلب عليها الضحاك بن قيس الخارجي [ص ٢٦٨]. فيكون ذلك أواخر شوال سنة١٢٧هـ بعد اتفاق عبد اللَّه بن عمر ومنصور بن جمهور مع الضحاك بأن تكون له إمرة الكوفة، وهو أيضاً وقت قدوم سليمان بن كثير وقحطبة بن شبيب ولاهز بن قريظ مما يعني أنهم قدِموا مع أبي سلمة، ويتيح ذلك استنتاج أن مهمة أبي سَلَمة لَمَّا وجّهه إبراهيم الإمام إلى خراسان في تلك السنة كانت استطلاع موقف تنظيم الدعوة العباسية في ولاية خراسان بكافة المناطق التي فيها جماعات التنظيم، وذلك بمعرفة النقباء والنظَراء بطبيعة الحال، وأن يعود ومعه رئيس التنظيم بخراسان سليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء، وقحطبة بن شبيب الطائي النقيب والقائد العسكري الأبرز في التنظيم، وكان سليمان بن كثير يصطحب دائماً زوج ابنته لاهز بن قريظ وهو من النقباء. وقد ذكر الطبري في تاريخ الأمم والملوك ما يلي:

«في سنة١٢٧هـ توجّه سليمان بن كثير ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب إلى مكة فلقوا إبراهيم بن محمد الإمام بها وأعلموه أن معهم عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم ومسكاً ومتاعاً كثيراً، فأمرهم بدفع ذلك إلى ابن عروة مولى محمد بن عليّ. وكانوا قدِموا معهم بأبي مسلم ذلك العام فقال سليمان بن كثير لإبراهيم بن محمد: إن هذا مولاك» (٦٨/٩).

وجاء في كتاب أخبار الدولة ما يلي: «شَخَصَ أبو سَلَمة إلى إبراهيم الإمام ومعه أبو مسلم. وقد حمل أبو سلمة مالاً من خراسان فدفعه إلى إبراهيم. وجعل أبو مسلم يتردد في إيصال المال، فقال إبراهيم: يا أبا سلمة فتاك هذا قد أعجبني، فقال: شأنك به. فَقَبله إبراهيم وأكرمه وألزمه خدمته..» [ص ٢٦٩].

ويجمع الروايتين أن سليمان بن كثير وقحطبة ولاهز وأبا سلمة توجهوا جميعاً من الكوفة إلى مكة للقاء إبراهيم الإمام، وكان قد وعدهم بأن يلتقوا بمكة في موسم الحج، وكان أبو مسلم الخُراساني معهم، جاء معهم من الكوفة. وقد سلف ذكر نشأة أبي مسلم وأنه كان بمثابة ابن إدريس بن معقل العجليّ، وتم حبس إدريس وأخيه في الكوفة بسبب تهمتين كان آخرهما مال من أموال الخراج على عيسى

العجليّ، فكان أبو مسلم يخدمه في الحبس وتعرّف عليه بعض الدعاة العباسيين فكان ينفعهم بنقل الرسائل والمنفعة بين الحبس وبين منازلهم بالكوفة خلال فترات سابقة، وجاء في أخبار الدولة أنه: «في أيام حبس بكير ـ سنة١٢٦هـ ـ انقطع أبو مسلم إلى بكير وعرف الدعوة واختلط بأهلها ولزم بكيراً وسعىٰ في حوائجه إلى أبي سلمة وغيره بالكوفة.. ولَمّا صار أمر الدعوة بالكوفة إلى أبي سَلَمة الخلال زار يوماً الحبس، وقد أُلِحَّ على إدريس بن معقل في أداء ما عليه من الخراج، فقال عاصم لأبي سَلَمة: هل لك في إبراهيم [يعني أبا مسلم لأن اسمه إبراهيم] تشتريه من إدريس فتفرج عن هذا الرجل، وهو ظريف عاقل وقد عرف أمرك وحسنت نيته في دعوتك، فقال: بكم يُباع؟ قال: خُذه بما شئت. فاشتراه من إدريس بسبعمائة درهم». [ص ٢٦٦].

بينما قال البلاذري: «إن أبا مسلم ابتيع للإمام إبراهيم بسبعمائة درهم وأُهدي إليه. والذي أهداه سليمان بن كثير ولاهز بن قريظ»[١].

وقد سلف قول الطبري في نبأ لقاء سليمان وقحطبة ولاهز بإبراهيم في مكة سنة١٢٧هـ أنهم «قَدِموا معهم بأبي مسلم ذلك العام فقال سليمان بن كثير لإبراهيم: إن هذا مولاك». فالروايات جميعها يكمل بعضها بعضاً.

* * *

سيطرة المعارضة اليمانية على مرو خراسان:

وفي سنة١٢٨هـ استمر نشاط تنظيم الدعوة العباسية في خراسان برئاسة سليمان بن كثير الخزاعي، بينما اندلعت المعارك بين حركة المعارضة اليمانية بزعامة جديع بن علي الكرماني الأزدي وبين سلطة الخلافة المروانية ممثلة بنصر بن سيار القيسي أمير خراسان والذين معه وكان غالبية الذين مع نصر بن سيار من القيسية المضريّة. وكان الحارث بن سريج التميمي قد ظهر سنة١٢٨هـ ومعه عشائر تميم وبات طرفاً ثالثاً في الصراع. قال الطبري: «وعرض نصر بن سيار على الحارث بن سريج أن يوليه ما وراء النهر ويعطيه ثلاثمائة ألف درهم فلم يقبل، فقال له نصر: فإن شئت فابدأ بالكرماني فإن قتلته فأنا في طاعتك، وإن شئت فخلّ بيني وبينه فإن ظفرتُ رأيتَ رأيك».

وفي ٢٥ جمادى الثانية ١٢٨هـ غادر نصر بن سيار مدينة مرو، وأمر المضريّة بالانضمام إلى الحارث بن سريج ومقاتلة الكرماني معه. فاندلع القتال في مرو بين جديع الكرماني ومعه اليمانية وبين الحارث بن سريج التميمي والذين معه. قال

(١) أنساب الأشراف ـ البلاذري ـ ص ٣٥٨ جـ ٣.

الطبري: «فكتب نصر بن سيار إلى عشيرته ومُضَرَ: أن إلزموا الحارث مناصحة.. وجعل الكرمانيُّ على ميمنته داود بن شعيب، وعلى ميسرته سورة بن محمد بن عزيز الكندي، فاقتتلوا، فانهزم أصحاب الحارث بن سريج، وركب الحارث فرساً فجرى به وقد انهزم أصحابه، فَقُتِل الحارث عند شجرة. وأمر الكرمانيّ أصحابه بالكفّ. وكان مقتل الحارث بعد خروج نصر من مرو بثلاثين يوماً، قُتِل يوم الأحد لست بقين من رجب سنة١٢٨هـ.. ودخل الكرمانيّ وأصحابه مدينة مرو.. وصفت مَرْو لليمن»[1].

وبذلك حققت المعارضة اليمنية برئاسة جديع بن علي الكرماني انتصاراً هاماً في رجب سنة١٢٨هـ وأصبحت السيادة في مدينة وإقليم مرو لليمانية بزعامة جُديع الكرماني الأزدي. وقال عباد بن الحارث لنصر بن سيار:

ألا يا نَصْرُ قَدْ بَرَحَ الخَفاءُ ... وقد طالَ التَّمنّي والرَّجاءُ
وأصْبَحَتِ المزُونُ بأرض مَروٍ ... تُقَضي في الحكومة ما تشاءُ

[المزون: الأزد، نسبةً إلى جدهم مأزن].

يَجوزُ قضاؤها في كُلِّ حُكْمٍ ... على مُضَرٍ وإنْ جار القضاءُ
وحِمْيَرُ في مَجالِسِها قُعُودٌ ... تَرَقْرَقُ في رقابِهِمُ الدِّماءُ
فإنْ مُضَرٌ بذا رضِيتْ وذلّتْ ... فطالَ لها المذَلَّةُ والشَّقاءُ»[1]

وتواصلت المعارك بين المعارضة اليمنية بقيادة جديع بن علي الكرماني وبين سلطة الخلافة المروانية ممثلة بنصر بن سيار عامل مروان بن محمد على خراسان، قال الطبري في أحداث سنة١٢٩هـ:

«لَمَّا قتل الكرمانيُّ الحارثَ بن سريج خلصت له مرو. وتنحى نصر بن سيار عنها إلى أَبْرَشَهر، وقوّى أمر الكرمانيّ. فوجّه نصر بن سيار إليه ـ سنة١٢٩هـ ـ سَلْم بن أحوز التميمي فسار في رابطة نصر وفرسانه حتى لقي أصحاب الكرماني، فَوَجَد يحيى بن نعيم أبا الميلاء واقفاً في ألف رجل من ربيعة[2] ومحمد بن المثنى في سبعمائة من فرسان الأزد، وابن الحسن بن شيخ الأزدي في ألف من فتيان الأزد[3]، والحزميّ السغديّ في ألف رجل من أبناء اليمن. فَلَمَّا تواقفوا ـ وذلك

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٧٤ ـ ٧٥ جـ ٩.

(٢) يحيى بن نعيم الشيباني، قائد من ربيعة، كان عامل أسد بن عبد اللّه القسري على إقليم آمل بخراسان سنة ١١٦ ـ ١٢٠هـ.

(٣) كان الحسن بن شيخ الأزدي عامل أسد بن عبد اللّه القسري على مدينة وإقليم مرو في ولاية أسد لخراسان.

بمشارف مدينة مرو ـ قال سَلَمُ بن أحوز لمحمد بن المثنى: يا محمد مُرْ هذا الملاح بالخروج إلينا ـ يعني جُديعاً ـ فقال محمد لسلم بن أحوز: يا ابن الفاعلة لأبي عليّ تقول هذا؟ ودَلَف بعضهم إلى بعض فاجتلدوا بالسيوف، فانهزم سَلْم بن أحوز وقُتل من أصحابه زيادة على مائة، وقُتل من أصحاب محمد زيادة على عشرين. وعاد أصحاب نصر إليه فلولاً.

ثم وجّه نصر بن سيار القائد عصمة بن عبد اللّه الأسدي (القيسي) فسار، فوقف موقف سَلَم بن أحوز، فنادى يا محمد بن المثنى لَتَعْلَمنّ أن السمكَ لا يغلب اللخم، فقال له محمد: يا ابن الفاعلة قفْ لنا إذاً. وأمر محمدُ بن المُثنىٰ الحزميَّ السغديَّ فخرج إلى عصمة في أهل اليمن فاقتتلوا، فانهزم عصمة حتى عاد إلى نصر بن سيار وقد قُتِل من أصحابه أربعمائة.

ثم أرسل نصر بن سيار ـ القائد ـ مالك بن عمرو التميمي، فأَقْبَلَ في أصحابه ثم نادى: يا ابن المثنىٰ أبرز لي إن كنت رجلاً، فبرز له، فضربه التميميُّ في حبل العاتق فلم يصنع شيئاً وضربه محمد بن المثنى بعمود فشدَخَ رأسه، فالتحم القتال فاقتتلوا كأعظم ما يكون القتال فانهزم أصحاب نصر وقد قُتل منهم سبعمائة رجل.

ولم يزل القتال بينهم. . وأَقْبَلَ أبو مسلم الخراساني إلى الماخوان [في ٩ ذي القعدة ١٢٩هـ] فاحتفر بها خندقاً، ونزل بين خندق نصر بن سيّار وخندق الكرماني»(١).

* * *

اتساع نشاط الدعوة العباسية بخراسان وتوجيه أبي مسلم إليها:

في سنة١٢٨هـ اتسع نشاط تنظيم الدعوة العباسية في خراسان برئاسة سليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء، وقد «طالت الفتنة بين نصر بن سيار وبين جُديع الكرماني، وكانت المضرية مع ابن سيار واليمانية وربيعة مع الكرماني، حتى أضجر ذلك كثيراً من أصحابهما وجعلت نفوسهم تتطلع إلى غير ما هم فيه، فتحركت الدعوة، يدعو اليمانيُّ [من رجال الدعوة العباسية] اليمانيّ، ويدعو الربعيُّ الربعيَّ، والمضريُّ المضريَّ، حتى كثر من استجاب لهم. .» قال صاحب أخبار الدولة: «تابع إبراهيم الإمام بالكتب إلى سليمان بن كثير وأصحابه بخراسان في الاستعداد والإسراع، واختلف أبو مسلم في ذلك مرة بعد أخرى» ـ أي سار برسائل من إبراهيم إلى سليمان بن كثير وأصحابه نقباء الدعوة العباسية بخراسان، وذلك سنة١٢٨هـ حيث جاء في تاريخ الطبري أنه:

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٩٢ جـ ٩.

«وجّه إبراهيم بن محمد أبا مسلم إلى خراسان سنة١٢٨هـ وكتب إلى أصحابه: إنّي قد أمّرته فاسمعوا منه وأقبلوا قوله. فأتاهم، فلم يقبلوا قوله، وخرجوا من قابل، فالتقوا بمكة عند إبراهيم، فأعلمهم إبراهيم أنه أجمع رأيه على أبي مسلم».

ويتبيَّن من ذلك أن وفداً من قيادة تنظيم الدعوة العباسية بخراسان جاء إلى إبراهيم الإمام فالتقوا به في موسم الحج بمكة ـ في ذي الحجة ١٢٨هـ وقد ذكر الطبري أيضاً: «إن سليمان بن كثير كتب إلى أبي سَلَمة الخلال ـ بالكوفة ـ يسأله أن يكتب إلى إبراهيم أن يوجّه رجلاً من أهل بيته. فكتب أبو سلمة إلى إبراهيم فوجّه أبا مسلم». [٩/٨٢].

والمقصود هنا أن سليمان بن كثير كتب إلى أبي سلمة بالكوفة وكذلك بعث وفداً من قيادة تنظيم الدعوة العباسية إلى إبراهيم الإمام، وطلب سليمان من إبراهيم أن يوجّه رجلاً من أهل بيته العباسيين الهاشميين لإظهار الدعوة العباسية علناً في خراسان، وكان إبراهيم قد عَرَض على سليمان بن كثير أن يتولَّى هو إظهار الدعوة فلم يقبل وطلب من إبراهيم أن يبعث رجلاً من أهل بيته، وكذلك عَرَض إبراهيم ذلك على قَحْطبة بن شبيب الطائي فلم يقبل. وعندئذ قرر إبراهيم توجيه أبي مسلم ممثلاً له لإظهار الدعوة في خراسان سنة١٢٩هـ. قال صاحب أخبار الدولة:

«وجّه إبراهيم أبا مسلم إلى خُراسان وكتب معه كتاباً.. فَشَخَصَ أبو مسلم حتى دخل مرو في سنة١٢٩هـ فنزل على أبي النجم، واجتمع النقباء في منزل سليمان بن كثير، فأتاهم أبو مسلم فوضع كتاب إبراهيم نصب أعينهم وقال: هذا كتاب إمامكم..» [ص ٢٧٠].

الوصية المكذوبة على إبراهيم الإمام ووصيته الصحيحة لأبي مسلم:

قال د. فاروق عمر: «لقد بقي أبو مسلم في خدمة إبراهيم الإمام يحمل رسائله إلى الدعاة في الكوفة وخُراسان حتى سنة١٢٨هـ/ ٧٤٥م حين أرسله إلى خُراسان ممثلاً له في الدعوة السِّرِّية هناك. ولقد كان أبو مسلم على معرفة بأحوال خراسان حيث زارها قبل ذلك مرات عديدة بأمر من إبراهيم الإمام، ولكن هذه الزيارة الأخيرة كانت تختلف عن سابقاتها، ذلك أن إبراهيم جعل أبا مسلم من «أهل البيت» إذْ قال له: (أنت منّا أهل البيت) ومعنى ذلك أن هذا الأخير أصبح من البيت العباسي أو الهاشمي، وفي ذلك دليل على ثقة إبراهيم الإمام التامة به ودعم لمنزلته الاجتماعية والسياسية بين رجالات العرب في خُراسان. لقد أورد الطبري في إحدى رواياته وكذلك ابن قتيبة وصية أشير إلى أنها وصية إبراهيم الإمام لأبي مسلم الخُراساني حين

أرسله إلى خُراسان؛ جاء فيها: «يا عبد الرحمن إنك رجل منّا أهل البيت، احفظ وصيّتي: انظر هذا الحيّ من اليمن فألْزَمهُم واسكنْ بين أظهرهم، فإنّ اللّه لا يتمّ هذا الأمر إلا بهم. واتهم ربيعة في أمرهم. وأما مُضَر فإنهم العدوّ القريب الدار واقتُل من شككتَ فيه. وإن استطعت ألا تبقي بخُراسان من يتكلم العربية فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله. ولا تخالف هذا الشيخ (سليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء) ولا تعصه وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني».

ثم قال د. فاروق عمر: «ونحن كمؤرخين محدثين لا يمكننا قبول الوصية دون تدقيق وتثبُّت، ذلك لأنّ المؤرخين الروّاد أنفسهم غير متفقين عليها أولاً، ولأن النص مذكور في الطبري دون سند أو سلسلة رواة مما يجعلها غير موثوقة، أما رواية ابن قتيبة فيُضعفها كون المؤرخ غامض ورواياته مرتبكة. وأهم من ذلك كله أن النص بصيغته المشار إليها سابقاً غير موجود في أنساب الأشراف للبلاذري وفي أخبار الدولة العباسية.. وإن رواية الدينوري والعيون والحدائق لا تذكر أن النص يأمر فيه إبراهيم أبا مسلم بقتل العرب دون تمييز ولكن الوارد هو الأمر بقتل العرب الذين يرفضون الدخول في الدعوة أو المشكوك في أمرهم: «واقتل من شككت في أمره».. والوصية المزعومة بعد ذلك لا تثبت أمام النقد الداخلي للنص، ذلك لأنها مجزأة في الطبري إلى قسمين يذكر بينهما حوادث لا علاقة لها بالوصية مما يدل على أن بعضها حُشِرَ حشراً في الوصية.. ثم كيف يصح أن يأمر إبراهيم الإمام أبا مسلم الخُراساني بقتل العرب وهو يوصيه بتعهد اليمانية والربعية منهم؟.. وأخيراً فإن سياسة أبي مسلم وبقية الدعاة العباسيين في خُراسان لم تتمش أبداً مع الوصية المزعومة، ذلك لأنّ الدعوة اعتمدت على اليمانية والربعية، وقبلت كذلك العديد من المضريين إلى صفوفها. وعلى هذا فإننا نعتقد بأن هذه الوصية موضوعة من قِبل أعداء الثورة العباسية من أجل تشويه طبيعتها وأهدافها..»[1] وأقول: إنّ الموضوع منها هو الأمر بقتل العرب، أما أولها فصحيح، فقد جاء في كتاب أخبار الدولة أيضاً أن أبا مسلم قال: «أمرني الإمام أن أنزل في أهل اليمن وأتألف ربيعة، ولا أدع نصيبي من صالحيّ مُضَرَ، وأحذر أكثرهم من اتباع بني أُمية» [ص ١٣٨] وكذلك قول إبراهيم لأبي مسلم: «لا تخالف الشيخ سليمان بن كثير ولا تعصه، وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني». وكان ذلك، وتوجيه أبي مسلم إلى خراسان سنة١٢٩هـ حيث جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية أنه: «وجّه إبراهيم أبا مسلم إلى خراسان وكتب معه كتاباً، فشَخَصَ أبو مسلم حتى دخل مرو في سنة١٢٩هـ فنزل على أبي النجم،

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩١ ـ ٩٢.

واجتمع النقباء ورجال الشيعة (الدعوة) في منزل سليمان بن كثير، فأتاهم أبو مسلم فوضع كتاب إبراهيم نصب أعينهم وقال: هذا كتاب إمامكم».

رفض سليمان الخزاعي قبول أبي مسلم الخراساني ثم اتفاقهما:

قال د. فاروق عمر: «لم يكن موقف سليمان الخزاعي نقيب نقباء الدعوة في خراسان وديّاً من أبي مسلم الخراساني أول الأمر، فلم يقبله في صفوف الدعوة..»[(١)] فعندما وضع أبو مسلم كتاب إبراهيم نصب أعينهم وقال: هذا كتاب إمامكم. قال سليمان بن كثير: أحسبك واللّه قد جئتَ بها دُويهيّةً صمّاء. يا أبا منصور إقرأ علينا كتاب إمامنا. وكان أبو منصور طلحة بن زريق هو الذي يتولّى قراءة كتب الإمام ويكتب الجواب بخطّه. فقرأ أبو منصور الكتاب ـ وقد جاء فيه ما يلي: (أما بعد، فقد وجّهت إليكم عبد الرحمن أبا مسلم مولاي، فألقوا إليه أزمّةَ أموركم، وحمّلوه أعباء الورد لها والصَدَر في محاربة عدوّكم، وعاهدوا اللّه على الطاعة. وكونوا بحبله معتصمين).

فقال سليمان بن كثير: صَلينا بمكروه هذا الأمر، واستشعرنا الخوف، واكتحلنا السهر حتى قُطعت الأيدي والأرجل.. وابتُلينا بأنواع المُثُلات، وكان الضرب والحبس في السجون أيسر ما نزل بنا. فَلَمَّا تنسّمنا روح الحياة، وانفسحت أبصارنا، وأينعت ثمار غراسنا طرأ علينا هذا المجهول الذي لا يُدرى أية بيضةٍ تفلّقت عن رأسه ولا من أي عشٍّ درج، واللّه لقد عرفتُ الدعوة من قبل أن يُخْلَق هذا في بطن أمّه.

ثم قال: اكتب يا أبا منصور بما تسمع إلى الإمام.. ومدّ أبو مسلم يده إلى كتاب إبراهيم ليأخذه، فحذفه سليمان بن كثير بالدواة فشجّه، فسال الدم على وجهه، وقذفه بشير بن كثير أخو سليمان. فقام أبو مسلم عن المجلس.. ونهض معه من المجلس ناجية بن أثيلة الباهليّ ومحمد بن علوان المروزي فجعلا يغسلان الدم عن وجهه.. وافترق القوم عن مجلسهم مختلفين.. ومضى أبو مسلم حتى نزل منزل أبي داود في قريته من ربع خرقان»[(٢)].

وكان ذلك الاجتماع الذي رفض فيه سليمان قبول أبي مسلم في جمادى الثانية ١٢٩هـ.

قال د. فاروق عمر: «لقد كان سليمان الخزاعي يتوقع أن يرسل إبراهيم الإمام أحد العرب وخاصة من بني هاشم لتمثيله في خُراسان، ولم يكن يتخيل أنه سيرسل

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩١ ـ ٩٢.
(٢) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق د. الدّوري ـ ص ٢٧٢.

له مولى ولذلك رفضه. ولكن نفور بعض النقباء من كبرياء سليمان الخزاعي هو الذي جعلهم يميلون إلى قبول أبي مسلم الخُراساني في صفوفهم. وخاف سليمان بن كثير من حدوث تصدّع في صفوف مجلس النقباء فقبل أبا مسلم مضطراً بعد أن رفضه في بادىء الأمر. وكان موقف أبي مسلم مرناً يدل على ذكاء حيث تقرّب من سليمان الخزاعي ونال ثقته بعد فترة قصيرة، وأعلمه بأن إبراهيم الإمام أوصاه بألا يعصي له (أي لسليمان) أمراً. ثم استطرد قائلاً لسليمان:

(أحسن بي الظن فأنا أطوعُ لك من يمينك)..»[1].

وكان هذا الموقف الأخير بين سليمان وأبي مسلم في شهر رمضان ١٢٩هـ فبعد الموقف الأول الذي رفض فيه سليمان قبول أبي مسلم وافترق القوم عن مجلسهم مختلفين، جاء في تاريخ الطبري أنه: «كتب إبراهيم إلى أبي مسلم يأمره بالقدوم عليه فخرج في النصف من جمادى الآخرة سنة١٢٩هـ مع أربعين نفساً من النقباء وغيرهم، فَلَمَّا صار بالدندانقان عرض له كامل أو أبو كامل فقال: أين تريدون؟ قالوا: الحج.. ثم مضى أبو مسلم إلى بيورد فأقام بها أياماً، ثم سار إلى نسا وكان بها عاصم بن قيس السلمي عاملاً لنصر بن سيار.. فتنكّب أبو مسلم الطريق وأخذ في أسفل القرى، وأرسل طرخان الجمال إلى أسيد بن عبد اللّه الخزاعي في نسا، فأتاه أسيد.. ثم سار حتى أتى قومس وعليها ابن بيهس العجلي فأتاهم بيهس فقال: أين تريدون؟ قالوا: الحج.. وبينما هو بقومس أتاه كتاب من إبراهيم الإمام إليه وكتاب إلى سليمان بن كثير. وكان في كتابه إلى أبي مسلم: ارجع من حيث ألفاك كتابي ووجّه إليّ قحطبة بن شبيب بما معك يوافني به في الموسم. فانصرف أبو مسلم من قومس إلى مرو، وقد أنفذ قَحْطبة من قومس بالأموال التي كانت معه إلى إبراهيم الإمام.. قال علي بن محمد: فقدِم أبو مسلم مرو في أول يوم من شهر رمضان سنة١٢٩هـ ودفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كثير.. وقال أبو الخطاب: قَدِم أبو مسلم مرو في ٩ شعبان ١٢٩هـ فنزل قرية تدعى فنين على أبي الحكم عيسى بن أعين النقيب.. ثم تحول أبو مسلم عن منزل أبي الحكم في قرية فنين فنزل على سليمان بن كثير الخُزاعيّ في قريته التي تدعى سفيذنج من ربع خرقان لليلتين خلتا من شهر رمضان ١٢٩هـ»[2].

وفيما بين نزول أبي مسلم بقرية فنين ـ في شعبان ـ وما بين لقائه بسليمان بن

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٣.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٨٣ جـ ٩.

كثير - في ٢ رمضان - جرى التمهيد لعقد اللقاء بينهما، ثم التقيا بمنزل سليمان في قرية سفيذنج بمرو الشاهجان لليلتين خلتا من شهر رمضان حيث جاء في رواية الطبري أنه: «دفع أبو مسلم كتاب الإمام إبراهيم إلى سليمان بن كثير وكان فيه: أن أظهر دعوتك ولا تَرَبّصْ فقد آن ذلك»[١].

وجاء في كتاب أخبار الدولة ما يلي: «إن أبا مسلم راجع سليمان بن كثير وأعلمه بما أتاه وأقرأه بما كتب به إليه إبراهيم الإمام، وكان فيما كتب إليه:

(إن قَبِلَ سليمان بن كثير القيام بأمر الدعوة ونصب نفسه لذلك فسلّم له.

وإن كره قبول القيام، فلا تعصينّ لسليمان أمراً، وقدّمه في جميع ما تدبرون).

فَلَمَّا قرأ سليمان ذلك قال: إنّي واللّه ما كرهتُ القيام ألَّا أكون أضعف الناس فيه نيّة، ولكني أخاف اختلاف أصحابي ونحن نُداري ما نُداري، وأنا يدك وصاحبك ما لم تخالفنا وتعمل ما يوهنُ أمرنا، فقال له أبو مسلم: (أحسن بي الظن فأنا أطوعُ لك من يمينك).. وبعث سليمان بن كثير إلى رؤساء الدعوة، وسليمان يومئذٍ صاحبهم والمنظور إليه منهم، فأخبرهم بما كتب (الإمام) إلى أبي مسلم.. وقال لهم: ننصبه وندبر الأمر له فذاك أرهب عند عدوّنا وأشدّ لهيبتهم له وإعظامهم أمره. فاتسقوا واتفقوا على ذلك»[٢].

قال د. فاروق عمر: «وهكذا دخل أبو مسلم الخراساني في صفوف الثوار وعمل معهم. ولم يمض وقت طويل حتى أُعلنت الثورة من قِبَل سليمان الخزاعي بعد أن وصله الأمر بذلك من إبراهيم الإمام وبواسطة قَحْطبة الطائي»[٣].

أنباء إظهار الدعوة العباسية بخراسان وحقيقة دور أبي مسلم ودور سليمان بن كثير والعرب:

في أوائل شهر رمضان سنة١٢٩هـ قام تنظيم الدعوة العباسية بخراسان برئاسة سليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء ومعه النقباء ونظراء النقباء بتنصيب أبي مسلم الخراساني أميراً وممثلاً للإمام إبراهيم. وقد بالغت بعض الروايات والكتابات في تضخيم دور أبي مسلم الخراساني ودور العجم بما يتنافى مع الحقائق التاريخية التي تتمثل في التالي:

* - إن سليمان بن كثير والنقباء قاموا بتنصيب أبي مسلم على أن يدبر له الأمر

(١) تاريخ الأمم والملوك - الطبري - ص ٨٣ جـ ٩.

(٢) أخبار الدولة العباسية - ص ٢٧٣.

(٣) التاريخ الإسلامي - فاروق عمر - ص ٩٣.

النقباء وهو مقتضى قول سليمان: (ننصبه وندبر له الأمر) والتزم أبو مسلم بذلك بحيث (اتسقوا واتفقوا على ذلك). وقد ذكر الطبري وابن قتيبة أنه «قال إبراهيم الإمام لأبي مسلم: لا تُخالف الشيخ سليمان بن كثير ولا تعصه». وقال إبراهيم في رسالته السالفة الذكر إلى أبي مسلم: «لا تعصينَّ لسليمان أمراً، وقَدِّمه في جميع ما تدبرون». ثم قال أبو مسلم نفسه لسليمان بن كثير: «أحسن بي الظن فأنا أطوع لك من يمينك». فتنصيب أبي مسلم كان في إطار زعامة سليمان بن كثير وفي إطار الاتفاق على أن يكون كل شيء بتشاور أبي مسلم مع النقباء وباتفاق النقباء بصفة عامة وموافقة سليمان بن كثير بصفة خاصة. فلم يكن لأبي مسلم أي دور منفرد.

ولم يكن أبو مسلم آنذاك (خُراسانياً) ولا (أعجمياً) ولا من (الموالي) فقد تمَّ إخفاء حقيقة نسب أبي مسلم وأصله حتى عن أغلب النقباء، ولم يكن يعرف بحقيقة أصله ونسبه إلا سليمان بن كثير وقحطبة بن شبيب الطائي ولاهز بن قريظ، وقد أخفوا نسبه وأظهروا أنه من بني عباس الهاشميين العرب وأنه ممثل الإمام إبراهيم الذي كان اسمه مخفياً وإنما كانت الدعوة باسم (الرضا من آل محمد) وكان النقباء والنظراء يذكرونه بلقب (الإمام) ولا يذكرون اسمه. أما أبو مسلم فقد نصبوه على أنه (عبد الرحمن أبو مسلم) وأنه (من آل محمد من بني هاشم) حيث ذكر الطبري ما يلي نصه:

«فنصبوا أبا مسلم. وقالوا: رجل من أهل البيت، ودعوا إلى طاعة بني العباس، وأرسلوا إلى من قرب منهم أو بعد ممن أجابهم لإظهار أمرهم. ونزل أبو مسلم قرية سَفِيذَنْج من قرى خُزاعة ـ وهي قرية سليمان بن كثير ـ فبثّ أبو مسلم دعاته في الناس وظهر أمره، وقال الناس: قَدِم رجل من بني هاشم، فأتوه من كل وجه..» [ص ٨٣ جـ ٩].

لقد كان أول دور لأبي مسلم هو بعث الرسل إلى قيادات ورجالات تنظيم الدعوة العباسية بمناطق خراسان، وكان ذلك بأمر وتوجيه سليمان بن كثير حيث جاء في أخبار الدولة ما يلي نصه: «قال سليمان لأبي مسلم: ابعث إلى الدعاة بخراسان فيما حولك فيأتي من قدر على ذلك، واكتب إلى من في الكُور فَلْيَتأهَّبوا ويستعدُّوا. فبثّ أبو مسلم الرُسل إلى ما يلي مرو، وكتب إلى من في الكُور يأمرهم بالاستعداد ـ لإظهار الدعوة ـ» [ص ٢٧٣].

* ـ وكانت كافة الأمور تتقرر بالتشاور في مجلس النقباء (قيادة تنظيم الدعوة العباسية) وقد ذكر كتاب أخبار الدولة نبأ أول اجتماع لهم بعد اتفاقهم على تنصيب أبي مسلم ممثلاً للإمام إبراهيم.

قال صاحب أخبار الدولة:

«لما ارتضوا بأبي مسلم، قال سليمان بن كثير: انظروا في الموضع الذي تبتدئون بإظهار أمركم فيه. فقال أبو النجم وعدّة وافقوه على رأيه: نرى أن يكون أول ظهور أمرنا بخوارزم فإنها بلاد منقطعة عن نصر بن سيار فإلى أن يرسل عسكره يكون قد تسامع بنا إخواننا فيأتونا ويكثر جمعنا. فقال موسى بن كعب ولاهز بن قريظ: بل مرو الرُّوذ فإنها متوسطة بين مرو (الشاهجان) وبلخ. وقال مالك بن الهيثم الخزاعي والعلاء بن حريث الخزاعي وطلحة بن زريق: إنّ بمرو الرُّوذ خلقاً كثيراً من إخواننا، وبها السلطان قد وَهَنَ أمره، ومَنْ يُقاتله يُقوينا عليه ويقوي بنا عليه. فقال أبو مسلم لسليمان بن كثير: ما تقول يا أبا محمد؟ قال: ما أرى إلا كما قالوا، مرو الرُّوذ، فإن قوتنا بها أعظم وعدونا أضعف.. فأطبقوا على ذلك ورضوا به. وأمرهم أبو مسلم بلقاء إخوانهم والبعث إليهم ليجتمعوا». [ص ٢٧٤].

وسار بعض النقباء والرُسل إلى ما يلي مرو وإلى أقاليم خراسان يدعون أصحابهم إلى الاجتماع في سفيذنج قرية سليمان بن كثير وأنه «قَدِم رجل من بني هاشم من عند الإمام» فانتشر أمر «الدعوة إلى الرضا من آل محمد» وتدفق المئات إلى سفيذنج قرية سليمان بن كثير التي تقع على مسافة أربعة فراسخ من مدينة مرو الشاهجان حيث جاء في أخبار الدولة أنه: «أَقْبَلَ الناسُ، وأبو مسلم في قرية سليمان بن كثير، وقد تأشّبت إليه طوائف من قصور اليقازم ـ [أو: قرى السقادم] ـ منهم علقمة بن حكيم والعلاء بن سالم في زهاء سبعمائة رجل، وهم متفرقون في قصور خزاعة، وكان أول من وافى أبا مسلم رجال خزاعة لقربهم منه.. وتسامعت الشيعة (العباسية) بالخبر فأقبلت إليه من كل وجه من رساتيق مرو، وتحدث الناس باجتماعهم فكثر سوادهم عند أبي مسلم ـ بقرية سليمان بن كثير وقصور خزاعة ـ».

* ـ «وبلغ نصر بن سيار اجتماعهم وهو مشتغل بمحاربة الكرمانيّ [في مرو الرُّوذ] فجمع ثقاته فشاورهم فيما بلغه عن أهل الدعوة، فأجمع رأيهم على أن يبعث إلى قرى خزاعة ومن لجأ إليها من أهل الدعوة فيُبيّتهم ويأخذ رجالهم ورؤساءَهم قبل أن يتفاقم أمرهم. فقال له عقيل بن معقل: إن فعلتم ذلك خالفتم أحياء اليمن ورأوا أنكم تريدون هضمهم وإذلالهم بدخولكم عليهم في منازلهم ولا آمن أن يدعوهم ذلك إلى أن يدخلوا فيما دخل فيه القوم، ولكنّي أرى أن تُناظرهم وتبعث إليهم فإن سَهّلوا لكم الإقدام عليهم أقدمتم عليهم وإن منعوكم عملتم على قدر ذلك، وما أهون شوكة هؤلاء [أي أهل الدعوة العباسية] إن كفّت عنكم اليمن وربيعة [أي أصحاب جُديع بن الكرماني]، فقال

لهم عاصم بن عمير: لا يجيبكم والله ابن الكرماني إلى إسلامهم. فانقضى المجلس على ذلك ولم يبرموا فيه رأياً». [ص ٢٧٥].

ويتبيَّن من ذلك أن نصر بن سيار تراجع عن فكرة مهاجمة أهل الدعوة العباسية في رمضان ١٢٩هـ لأن غالبيتهم يمانية من خزاعة، بسبب خشية رد فعل اليمانية بزعامة جديع بن علي الكرمانيّ الأزدي على ذلك العمل، ولكن خبر اجتماع نصر بن سيار وكبار أصحابه ـ بالرغم من أنهم لم يبرموا فيه رأياً ـ فقد وصل الخبر إلى أبي مسلم وسليمان بن كثير.

قال صاحب أخبار الدولة: «وبلغ خبر اجتماعهم أبا مسلم ومن معه. والتقى أبو مسلم بسليمان بن كثير فشاوره في ذلك، فقال سليمان: أرى أن تبادر القوم قبل أن يبادروك، وتكاثرهم قبل أن يكاثروك، فإن أيسر ما لك عند ابنيّ الكرمانيّ أن يكفّا عنك ولا يُعينا عليك ولعلهما سيميلان إلينا إن لطفت لهما، واجمَعْ إخواننا ـ النقباء ـ فإنه لا يستقيم الإقدام على منافرة القوم إلا بعد مناظرتهم في ذلك. فبعث أبو مسلم إليهم فاجتمعوا فأخبرهم بما انتهى إليه من نصر بن سيار، وما رأى (سليمان) من المبادرة بالظهور قبل استحكام مكيدة عليهم. فوافقه القوم على ذلك، ونشطوا له واستعدّوا لإظهار أمرهم يوم الفطر من سنة١٢٩هـ فاستعد القوم لذلك». [ص ٢٧٦].

وكذلك فإن قَحطَبة بن شبيب الطائي كان قد سار إلى إبراهيم الإمام في رجب ١٢٩هـ فالتقى به، ودفع إليه مالاً قَدِم به من خراسان، ثم عاد قَحْطبة في أواسط شهر رمضان ـ تقريباً ـ ومعه أمر من إبراهيم الإمام بإظهار الدعوة، فاكتمل العزم على إظهار الدعوة يوم عيد الفطر من سنة١٢٩هـ.

فتوجّه عدد من النقباء والرُسل إلى أقاليم خراسان يدعون أصحابهم إلى الاجتماع، فأقبل المئات منهم إلى قرية سليمان بن كثير. قال صاحب أخبار الدولة: «فَلَمَّا أصبحوا، وذلك يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان سنة١٢٩هـ عسكر بهم أبو مسلم في حائط حصين لسليمان، وفشا خبرهم فأقبلت شيعتهم من كلّ وجه، وقدمت الدعاةُ بمن أجابهم من إخوانهم فلم يمسوا يومهم ذلك حتى صاروا نحواً من ألفين. وصبّحهم من الغد مثلهم، وتتابع الناس إليهم، وأتاهم عيسى بن شبل وأبو الوضاح وأبو قرّة في نحوٍ من ألف رجل. فأفطروا وقد كثر جمعهم». [ص ٢٧٧] وقال الطبري: «نزل أبو مسلم على سليمان بن كثير في قريته التي تدعى سفيذنج من قرى ربع خرقان بمرو. فَلَمَّا كانت ليلة الخميس لخمس بقين من شهر رمضان سنة١٢٩هـ عقدوا اللواء الذي بعث به الإمام إبراهيم ـ وهو راية سوداء تدعى

السَّحَاب ـ ولبس أبو مسلم السواد هو وسليمان بن كثير وأخوة سليمان ومواليه ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفيذنج منهم غيلان بن عبد اللّه الخزاعي وكان صهر سليمان، ومنهم حميد بن رَزِين وأخوه عثمان بن رَزِين. وأوقدوا النيران ليلتهم وكانت العلامة بين الشيعة فتجمعوا حين أصبحوا من قرى ربع خرقان، وقَدِم الدعاة من أهل مرو بمن أجاب الدعوة، وكان أول من قَدِم أهل السقادم مع أبي الوضاح عيسى بن شبيل في تسعمائة رجل وأربعة فرسان، وأهل (هُرْمُزْ فرّه).. وقدم أهل السقادم مع أبي القاسم مُحْرِز المروزي في ألف وثلاثمائة.. فجعل أهل السقادم يكبّرون من ناحيتهم وهؤلاء يجيبونهم بالتكبير حتى دخلوا سفيذنج وذلك يوم السبت، وأمر أبو مسلم أن يُرَمَّ حصن سفيذنج ويحصَّن ويدرَّب». [ص ٨٤/٩].

* ـ وفي يوم عيد الفطر ـ ١ شوال ١٢٩هـ ـ أظهروا أمرهم، وصلّى بهم صلاة العيد زعيمهم نقيب نقباء الدعوة العباسية سليمان بن كثير الخزاعي. قال صاحب أخبار الدولة: «.. فأفطروا وقد كثر جمعهم، وسوّدوا ثيابهم، ونصبوا أعلامهم، ونشروا راياتهم، فصلّى بهم سليمان بن كثير الخزاعيّ يوم العيد، وهي أول جماعة كانت لأهل الدعوة ـ العباسية ـ» [ص ٢٧٧] وجاء في رواية الطبري أنه: «لما حضر العيد يوم الفطر بسفيذنج أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلّي به وبالشيعة ونصب له منبراً في العسكر.. فَلَمَّا قضى سليمان بن كثير الصلاة والخطبة انصرف أبو مسلم والشيعة إلى طعام قد أعدّه لهم أبو مسلم فطعموا مستبشرين». [ص ٨٤ جـ ٩].

وقال د. فاروق عمر: «لم يمض وقت طويل حتى أُعلنت الثورة من قِبل سليمان الخزاعي بعد أن وصله الأمر بذلك من إبراهيم الإمام بواسطة قَحْطبة بن شبيب الطائي. وقد بايع الشيعة العباسية سليمان الخزاعي (على كتاب اللّه وسُنّة نبيه والعمل بذلك وإظهار العدل وإنكار الجور ورفع الظلم عن الضعفاء وأخذ الحق من الأقوياء)، كما كان سليمان الخزاعي هو الذي يؤمّ الناس في الصلاة، وهو الذي يتصل برجالات العرب والفئات المتنازعة مع نصر بن سيار والي الأمويين من أجل أن يكسبها إلى صفوف الثورة العباسية».

وبإظهار الدعوة العباسية في شوال ١٢٩هـ صارت بخراسان ثلاث قوى سياسية وعسكرية، وهي:

القوة الأولى: السلطة المروانية، ويمثلها نصر بن سيار القيسي عامل الخليفة مروان بن محمد على ولاية خراسان، وقد بعث مروان يزيد بن هبيرة الفزاري في جيش كثيف إلى العراق وولّاه عليها في ذي القعدة سنة١٢٩هـ، وجاء في كتاب أخبار الدولة أنه: «اشتغل مروان بمحاربة أهل حمص وأهل فلسطين والخوارج

والضحاك بن قيس وشيبان الخارجي، ولم تنقض الحروب بينه وبين الخوارج إلا في شوال سنة١٢٩هـ ففرغ من أمر الخوارج، وانصرف إلى منزله في حرّان، وقد ظهرت الدعوة في خراسان. ووجّه مروان الجنود إلى العراق وهي منتقضة عليه، وقد خالف سليمان بن حبيب بن المهلّب بالأهواز، وغَلَب عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب على فارس وأصبهان، وغلب منصور بن جمهور الكلبي على الجبل.. وولّى مروانُ ابنَ هبيرة على العراق، فكتب إلى نصر بن سيار بولايته على خراسان. ذكروا أن مروان أمره بذلك. فَلَمَّا أتاه ذلك تزيّد حنق اليمانية والربعية عليه، وقاتلوا نصراً وصاروا إلى الخنادق فأقاموا فيها يقتتلون». [ص ٢٥١] ـ وكانت السلطة المروانية قد انبسطت بأقاليم العراق في ذي القعدة سنة١٢٩هـ وأسفرت المعركة في الأهواز عن مقتل داود بن حاتم المهلّبيّ وانهزام سليمان بن حبيب بن المهلّب، فلحق سليمان بن حبيب بابن معاوية الجعفري في إقليم فارس كما لحق به منصور بن جمهور الكلبيّ وأصحابه وإسماعيل بن عبد اللّه القسري وسليمان بن هشام بن عبد الملك وشيبان بن عبد العزيز الخارجي، وسار إليهم الجيش المرواني بقيادة ابن ضُبارة المرّي، فانهزم عبد اللّه بن معاوية الجعفري، وهرب عبد الرحمن بن يزيد بن المهلّب وجماعته إلى عُمان، ولحق منصور بن جمهور الكلبي وأصحابه ببلاد السند، ومضى بعض آل المهلّب إلى خراسان وانضمّوا إلى ابن الكرماني.

القوة الثانية: المعارضة اليمانية، بزعامة جديع بن علي الكرماني الأزدي، وكانت مدينة (مرو الرّوذ) بيد الكرماني، بينما كان نصر بن سيار في (أبرشهر) وهي مدينة نيسابور بإقليم مرو الرّوذ. وقد وجّه نصر بن سيار ـ سنة١٢٩هـ ـ حملة إلى جديع الكرماني وأصحابه بقيادة سَلْم بن أحوز التميمي فخرج إليه محمد بن المثنى الأزدي فانهزم سلم بن أحوز وقُتِل من أصحابه زيادة على مائة، ورجع أصحاب نصر إليه فلولاً، ثم وجّه نصر بن سيار حملة ثانية بقيادة عصمة بن عبد اللّه الأسدي فانهزموا، وقُتل منهم أربعمائة. ثم وجّه نصر بن سيار حملة ثالثة بقيادة مالك بن عمرو التميمي فانهزموا، وقُتل منهم سبعمائة. ثم أَقْبَلَ نصر بن سيار وجنوده وخندقوا على نهر عياض، وأصحاب الكرمانيّ على خندقهم ومعسكرهم. قال الطبري: «ولم يزل الشرّ بينهم حتى خرجوا جميعاً إلى الخندقين فاقتتلوا قتالاً شديداً.. وأَقْبَلَ أبو مسلم حتى نزل بين خندق نصر بن سيار وخندق جديع الكرماني وكثر أصحابه..».

القوة الثالثة: وهي الدعوة العباسية والتي تم إظهارها بمنطقة سفيذنج في شوال ١٢٩هـ حيث تجمَّع شيعة الدعوة العباسية إلى سفيذنج قرية سليمان الخزاعي. قال

الطبري: «قال أبو الخطاب: لَمَّا كثرت الشيعة في عسكر أبي مسلم ضاقت به سفيذنج، فارتاد معسكراً فسيحاً، فأصاب حاجته بالماخوان وهي قرية العلاء بن حريث الخزاعي.. فارتحل من سفيذنج إلى الماخوان فنزلها يوم الأربعاء لتسع خلون من ذي القعدة سنة١٢٩هـ فاحتفر بها خندقاً وجعل للخندق بابين فعسكر فيه..» [ص ٩٠ جـ ٩].

وكان ذلك عن رأي سليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء حيث جاء في كتاب أخبار الدولة ما يلي نصه: «إنّ سليمان بن كثير وعدةً ممّن كان يغزو مغازي خراسان وصحّت تجاربه في الحرب تناظروا فيما بينهم، فرأوا أن يخندقوا على أنفسهم ولقوا أبا مسلم فأشاروا عليه بذلك فقال لهم: هذا هو الرأي وقد أمرنا به. فركب سليمان بن كثير وأبو مسلم فارتادا موضع خندق، فلم يجدا موضعاً أوفق لهما من الماخوان، فخَنْدقَ أبو مسلم بها خندقاً حصيناً وتحوَّل إليه يوم الخميس لثمان ليالٍ خلون من ذي القعدة سنة١٢٩هـ.. ولمّا تحول إلى الماخوان تحول إليه وقد كثر جمعهم..» [ص ٢٧٩].

قال الطبري: «واستعمل أبو مسلم على الشُرط أبا نصر مالك بن الهيثم الخزاعي.. وضمّ أبا الوضاح وعدة من أهل السقادم إلى مالك بن الهيثم.. ثم تحول من الماخوان إلى آلين وهي قرية طلحة بن زريق النقيب فنزل أبو مسلم ألين في ٦ ذي الحجة سنة١٢٩هـ فخندق بآلين». [ص ٩٠/٩] ـ وكان ذلك أيضاً عن رأي وقرار سليمان بن كثير وأصحابه النقباء بتولية مالك بن الهيثم أمر العسكر والشرط، حيث جاء في كتاب أخبار الدولة ما يلي نصه: «لما تحوّلوا إلى الماخوان وقد كثر جمعهم، وكان أبو صالح يدبّر الأمور ويكتب كتبهم وإليه تجتمع الأموال والغنائم وقسمتها، وإليه إعطاء الجند.. وكان أسلم بن صبيح على الرسائل، فاجتمعوا يوماً لينظروا في شيء من أُمورهم فأرادوا أن يرسلوا في شيء اتفقوا عليه فلم يجدوا بحضرتهم أحداً، فقال سليمان بن كثير: هذا وهن، أرى أن ننتخب عدة رجال يكونون حرساً أو أشباه حرس، يحفظون أبا مسلم، فإن احتجنا إلى من نرسله أو نوجّهه في بعض أمورنا تناولنا ذلك منهم، وكانوا حفظةً لما يرد علينا من الأموال والغنائم، وننتخب رجلاً يقوم بأمر عسكرنا يذبّ عنه ويحكم بين أهله وينفي أهل الريب منه. فقبلوا ذلك منه واتفقوا عليه. فرأوا أن ولّوا أبا نصر مالك بن الهيثم أمر العسكر كهيئة صاحب الشرط، وجعلوا نصر بن مالك خليفته يسير بين يدي أبي مسلم إذا ركب.. فكانوا في ذلك حتى قَدِم على أبي مسلم عمرو بن أعين الخزاعي في أهل الطالقان فكثرت جماعته فزاد في حرسه وصيّر منهم أهل النجدة والقوة وأهل البصائر». [ص ٢٨٠].

قال الطبري: « . . وكتب أبو مسلم إلى الكُور بإظهار الأمر، فكان أول من سوّد [والسواد هو شعار الدعوة العباسية] أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي بنَسَا، وسوّدَ معه مقاتل بن حكيم العكّي وابن غزوان، وسوّد أهل أبيورد وأهل قرى مرو الرُّوذ. وأَقْبَلَ أبو مسلم حتى نزل بين خندق نصر بن سيار وخندق جديع الكرماني وهابه الفريقان وكثر أصحابه. . وجعل أبو مسلم يكتب إلى نصر بن سيار وإلى الكرماني: إن الإمام قد أوصاني بكم ولست أعدو رأيه فيكم. . وبعث أبو مسلم حين عظم الأمر بين جُديع الكرماني ونصر بن سيار؛ بعث أبو مسلم إلى جديع بن علي الكرماني: إنّي معك، فَقَبَل ذلك الكرماني، وانضم إليه أبو مسلم، فاشتد ذلك على نصر فأرسل إلى الكرماني: ويلك لا تغترّ فواللّه إنّي لخائف عليك وعلى أصحابك منه ولكن هَلُمَّ إلى الموادعة فندخل مرو فنكتب بيننا كتاباً بصلح. وهو يريد أن يفرّق بينه وبين أبي مسلم. فدخل الكرمانيُّ منزله ثم خرج حتى وقف في الرحبة في مائة فارس وأرسل إلى نصر: اخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب، فأبصر نصر منه غرَّةً ووجّه إليه الحارث بن الحارث بن سريج في ثلاثمائة فارس فالتقوا في الرحبة فاقتتلوا بها طويلاً ثم إن الكرمانيَّ طُعن في خاصرته وحماه أصحابه حتى جاءه ما لا قِبَل لهم به، فقتلَ نصرُ الكرمانيّ ـ ودخل نصر دار الإمارة ـ فأَقْبَلَ ابنه علي بن جديع الكرمانيّ وقد جمع جمعاً كثيراً فقاتله حتى أخرجه من دار الإمارة. . » [ص ٩٣ جـ ٩].

وبذلك انتقلت قيادة المعارضة اليمانية بخراسان إلى الأمير علي بن جديع الكرماني الأزدي وأخيه عثمان، ولهما قال أبو بكر بن أدهم:

«إني لمُرتحلٌ أريدُ بِمِدْحَتي	أخوَينِ فَوقَ ذَرى الأنامِ ذراهُما
سَبَقا الجِيَادَ فلَمْ يزالا نُجْعَةً	لا يَعْدَمُ الضَّيْفُ الغَريبُ قراهُما
يَسْتَعْلِيَانِ ويجريان إلى العُلَى	ويَعيشُ في كَنَفيْهِمَا حَيَّاهُما
أعني عَلِيَّا إنَّهُ ووَزيرَهُ	عُثمانَ ليسَ يَذِل مَنْ والاهُما
جَريا لكَيْمَا يلحقا بأبِيهِمَا	جَرْيَ الجيادِ من البعيدِ مداهُما
فَهُما التقِيَّانِ المُشارُ إلَيْهما	الحامِلانِ الكامِلانِ كِلاهُما
وهُما أزالا عن عريكَةِ مُلكهِ	نَصْراً ولاقى الذلَّ إذْ عاداهُما
نَفَيَا ابنَ أقطَعَ بعد قتلِ حُمَاتِهِ	وتَقَسَمَتْ أسلابه خيلاهما
والحارثَ ابن سُريج إذْ قَصَدا له	حتى تعاوَرَ رأسَهُ سيفاهُما
أخذا بعفو أبيهما في قدرةٍ	إذ عَزَّ قَوْمُهما ومن والاهُما»

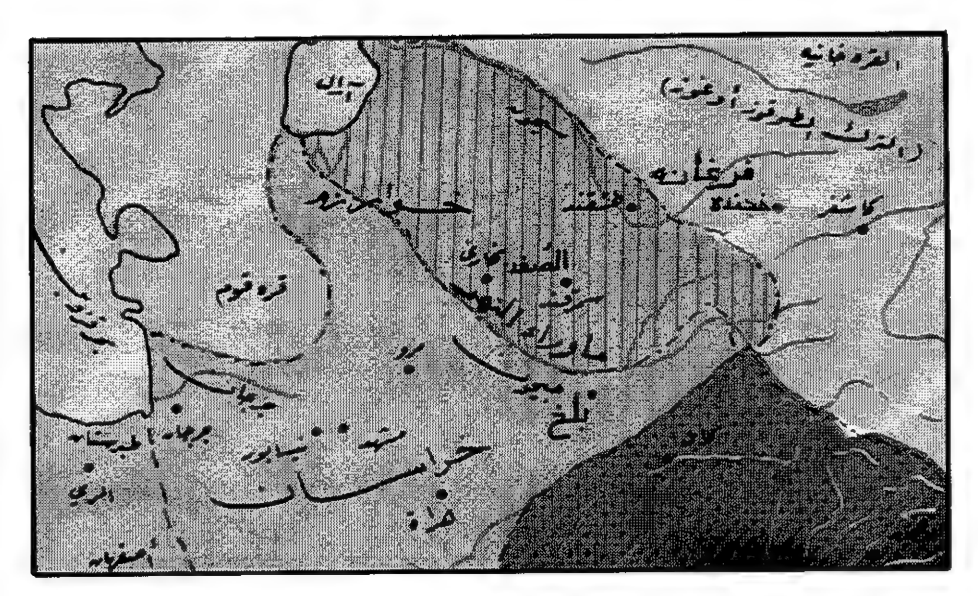
[ص ٩/٧٥ ـ الطبري].

وانتهت سنة١٢٩هـ ودخلت سنة١٣٠هـ والمعارضة اليمانية بخراسان ما تزال هي القوة الرئيسية الثانية في ولاية خراسان بعد قوة السلطة المروانية وتليهما الدعوة العباسية.

وكان قَحْطَبة بن شبيب الطائي قد توجّه ـ في ذي القعدة ـ للقاء إبراهيم بن محمد بن عليّ، فالتقيا بمكة في موسم الحج ـ في ذي الحجة ١٢٩هـ ـ ثم عاد قَحْطبةُ إلى الكوفة ومنها إلى جُرجان ثم إلى مرو خراسان ـ في محرم ١٣٠هـ ـ وأخبر أبا مسلم وسليمان بن كثير والنقباء بتعليمات إبراهيم الإمام والتي ربما كان منها السعي إلى كسب عليّ بن جديع الكرماني وأصحابه (المعارضة اليمانية) إلى صفوف الدعوة العباسية.

* * *

الدور العربي في انطلاق الثورة العباسية وسيطرتها على بلاد خُراسان (١٣٠هـ)



خارطة بلاد خُراسان وما وراء النهر

أولاً: الدور العربي في انطلاق الثورة. . والسيطرة على أقاليم مرو. . وما وراء النهر:

لقد كان العرب يمثِّلون غالبية النقباء ونظراء النقباء في الدعوة العباسية بخراسان، وقد تأكد ذلك الدور القيادي العربي فيما سلف تبيينه من أنباء قبول سليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء بأبي مسلم الخراساني ممثلاً لإبراهيم الإمام في قيادة الدعوة العباسية ونبأ إظهار الدعوة في شوال سنة١٢٩هـ وما تلى ذلك من وقائع إلى دخول سنة١٣٠هـ.

لقد قال د. فاروق عمر في كتابه (التاريخ الإسلامي) ما يلي نصه: «تحاول بعض الروايات الفارسية التأكيد على دور أبي مسلم الخراساني وإبرازه على بقية الثوار والدعاة الذين اشتركوا في الثورة العباسية. وتتواجد هذه الروايات بصورة خاصة في كتب حمزة الأصفهاني والدينوري وبعض الروايات التي جمعها الطبري. . ولا بد من

التأكيد هنا أن العمل في الدعوة العباسية كان مشتركاً يسيطر عليه مجلس النقباء الاثني عشر[١]، ولم يكن أبو مسلم الخراساني واحداً منهم بل ذهب إلى خُراسان في فترة متأخرة بعد نضوج الثورة ووشوك إعلانها، وغدا أبو مسلم في معية سليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء الذي كان وجه الثورة العباسية والمعبّر عن سياستها وأهدافها والناطق باسمها. . فلم يكن دور أبي مسلم متميزاً عن دور رفاقه في الحركة العباسية. . ولم يكن بطلاً متميزاً ولكن الروايات الفارسية جعلت منه ذلك البطل الذي لولاه لَمّا قامت للعباسيين دولة. . ولقد آن الأوان لنضع أبا مسلم في موقعه الصحيح من الأحداث»[٢].

لقد أخفى سليمان بن كثير والنقباء نسب وأصل أبي مسلم، وأظهروا أنه من آل البيت الهاشمي من بني العباس، ونصّبوه ممثلاً للإمام وأخذوا يدبِّرون له الأمور، وكان كل شيء يتم برأي ومشورة سليمان بن كثير والنقباء، وقد سلف تبيين نصوص ذلك، وكان سليمان بن كثير هو الذي قال للنقباء: « . . أرى أن نختار رجلاً يقوم بأمر عسكرنا يذبّ عنه ويحكم بين أهله، فقبلوا ذلك منه واتفقوا عليه. فرأوا أن ولّوا مالك بن الهيثم الخزاعي أمر العسكر كهيئة صاحب الشرطة، وجعلوا نصر بن مالك خليفته يسير بين يدي أبي مسلم إذا ركب. . ».

وقد كتب أبو مسلم إلى كُور خراسان ـ أي إلى أقاليمها ومناطقها ـ بإظهار أمر الدعوة فكان الذين أظهروا ذلك واتخذوا الرايات السوداء ـ شعار الدعوة ـ وأقبلوا بجنودهم وأصحابهم هم القادة العرب الذين كانوا في تنظيم الدعوة العباسية برئاسة سليمان بن كثير، وقد ذكر الطبري أنه: «كان أول من سوّد أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي بنسا، وسوّد معه مقاتل بن حكيم العكيّ وابن غزوان. وسوّد أهل أبيورد وأهل قرى مرو الرُّوذ» ـ وكان رؤساء مجموعة أبيورد: عثمان بن نهيك العكيّ، والفضل بن سليمان الطائي، وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ـ «وقَدِم على أبي مسلم عمرو بن أعين الخزاعي في أهل الطالقان فكثرت جماعته».

وبصفة عامة كان العرب اليمانيون يمثلون غالبية القادة ونظراء النقباء والجنود الذين خندقوا مع أبي مسلم بالقرب من مرو الرُّوذ في ذي الحجة سنة١٢٩هـ بينما

---

(١) كان عشرة من النقباء عرباً، وهم: سليمان بن كثير الخزاعي اليماني، قحطبة بن شبيب الطائي اليماني، مالك بن الهيثم الخزاعي، عمرو بن أعين الخزاعي، العلاء بن حريث الخزاعي، لاهز بن قريظ التميمي ختن سليمان بن كثير، موسى بن كعب التميمي، خالد بن إبراهيم الشيباني الربيعي، القاسم بن مجاشع، أبو علي الهروي. وكذلك كان طلحة بن زريق خزاعياً يمانياً بالولاء.

(٢) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٥ وص ١٠٤.

كانت المعارك تدور بين نصر بن سيار أمير خراسان وبين عليّ بن جديع الكرماني الأزدي أمير المعارضة اليمانية على مشارف وداخل مرو الرُّوذ حتى محرم وصفر سنة١٣٠هـ.

انضواء المعارضة اليمانية بزعامة الكرماني في الدعوة العباسية والسيطرة على إقليم مرو:

وفي جمادى الأولى سنة١٣٠هـ انضوت المعارضة اليمنية بزعامة عليّ بن جديع الكرماني في الدعوة العباسية. ولم يكن انضواء الكرماني بدهاء أبي مسلم الخراساني وإنما أتى توجيه بالسعيّ إلى ذلك من إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم والنقباء، فبعث أبو مسلم سليمان بن كثير الخزاعي وأسلم بن أبي سلام البجلي اليماني. وقد جاء في كتاب أخبار الدولة عن ذلك ما يلي:

«بعث أبو مسلم أسْلَمَ بن أبي سلام البجلي إلى علي بن الكرماني يعرض عليه أمره ودعوته، ويُعلمه أنّه مؤمّره على نفسه ومجاهد معه من خالفه، وإن الإمام قد أمره بذلك. وذكروا أن سليمان بن كثير لقي عليّ بن الكرماني يومئذٍ مع أسلم البجلي فقال له: قد سمعتُ أباك يوم وقع بينه وبين نصر ما وقع من التباعد يقول: لهفي على قائم يقوم من آل محمد، أين دعاة آل محمد، فكان يتمنى ما أتاك اللّه به عفواً. وأقبلا عليه يحرضانه ويرغّبانه، فلم يزالا به حتى أجابهما إلى قبول الدعوة، فأخذا بيعته وعادا إلى أبي مسلم»[١].

وبدخول الكرمانيّ في الدعوة العباسية دخلت معه المعارضة اليمانية بجميع قادتها ورجالها في الدعوة العباسية. قال د. فاروق عمر: «كان عليّ بن جديع الأزدي الكرماني زعيم قبائل الأزد اليمانية. والمعروف أن كسب ابن الكرماني للدعوة العباسية كان النقطة الفاصلة التي حددت مصير الثورة ووضعتها على طريق النجاح»[٢].

وقد ذكر الطبري زمن ذلك قائلاً: «إن أبا مسلم الخراساني دخل مرو في ٩ جمادى الأولى سنة١٣٠هـ وطابق ابن الكرماني على حرب نصر بن سيار». قال صاحب أخبار الدولة العباسية:

«دخل أبو مسلم مرو من باب قنوشير، وتلقاه عليّ بن الكرماني قريباً من دار الإمارة فقال له: قد ذلّ لك الأمر، فامض إلى دار الإمارة بهيبة القوم لك. فمضى أبو

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق د. عبد العزيز الدوري ـ ص ٢٨٨ وص ٣١٦.
(٢) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٥.

مسلم إلى دار الإمارة فنزلها، وعلي بن الكرماني معه، ثم دعوا الناس إلى البيعة فلم يتخلّف عنها أحد من أهل مرو. . وخرج علي بن الكرماني وأبو مسلم إلى المسجد فصعد عليٌّ المنبر، وجعل أبو مسلم يبايع الناس، فإذا استوثق منهم أصعدهم إلى عليّ فمسحوا أيديهم على يده. فأقام أبو مسلم ثلاثة أيام يأخذ البيعة على أهل مرو»(١) وقال ابن خلدون: « . . . صَفَت مرو لأبي مسلم، وأمر بأخذ البيعة من الجند، وتولّى أخذها طلحة بن زريق الخزاعي أحد النقباء. . ولم يكن أحد من النقباء والده حيّ غير طلحة بن زريق بن سعد، ووالده هو أبو زينب الخزاعي، وكان قد شهد حرب ابن الأشعث وصَحِبَ المهلَّب وغزا معه، وكان أبو مسلم يشاوره في أمره»(٢).

وجاء في أخبار الدولة أنه: «أرسل أبو مسلم إلى نصر بن سيار سليمان بن كثير الخزاعيّ في جماعة من أصحابه، وذلك في أول النهار الذي هرب نصر في آخره. فَلَمَّا أشرف سليمان على عسكر نصر أرسل إلى عدة من وجوه أصحابه، فقال: اخرجوا إليّ أعرض عليكم ما عندي وأنتم آمنون حتى تسمعوا كلامي وترجعوا إلى صاحبكم. فأعلموا نصراً ذلك فقال: ايتوه واسمعوا منه. فخرج القوم إلى سليمان، فَلَمَّا رآهم نزل في رُهيط من أصحابه وقال لمعظم أصحابه: تنحّوا. فَلَمَّا دنا منهم رحّب بهم ودعاهم إلى كتاب اللّه وسنة نبيه ﷺ وأن يبايعوا للقائم من أهل بيته ـ الرضا من آل محمد ـ فقالوا: قد أجبناك فناظِرْ صاحبَنا. قال سليمان: ما دعوناكم إليه ـ اعرضوه ـ على صاحبكم، وقولوا له: بادر الإجابة طوعاً قبل أن تجيب إليها كرهاً فلا يُقبل منك. فأبلغوا نصراً ذلك فقال لهم: قولوا: لستُ أجيب إلى هذا وإذا اجتمع الناسُ على رجل كنتُ منهم، فأتوه بذلك، فقال سليمان: قولوا له: فما يريد أن يجيب أبا مسلم ويلقاه به؟ فقال: لستُ ألقاه إلّا في كتيبة خشناء. قال سليمان: اللّهم قد أعذرنا وانصرف إلى أبي مسلم فأخبَره. [وكان نصر بن سيار في داره بباب سرخس بمرو] فأمر نصر من نقّبَ له في ظهر داره نقباً فخرج منه، وذلك عصر يوم الجمعة لعشر من جمادى الأولى سنة١٣٠هـ. . وركب أبو مسلم وابن الكرماني في طلبه ففاتهما ومضى ـ إلى نيسابور ـ. وأمر أبو مسلم بالاحتفاظ بعسكره ألّا ينتهب، وهرب منهم من هرب، ودخل في الدعوة من دخل. . وكتب أبو مسلم بما كان من أمره واستيلائه على مرو ومناصحة علي بن الكرماني واليمن إيّاه وبما أتاه عن الكُور التي ظهرت فيها الدعوة إلى إبراهيم الإمام، وكتب إلى أبي سَلَمة بما كتب به إلى إبراهيم الإمام. . وتوجّه قَحطبة بكتاب أبي مسلم إلى إبراهيم الإمام. . »(١).

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق د. عبد العزيز الدوري ـ ص ٢٨٨ وص ٣١٦.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٤٩١.

ولَمَّا انضوت مرو بمناطقها في الدعوة العباسية انضوت سمرقند ومناطق ما وراء النهر في الدعوة العباسية وكان من أبرز قادتها سباع بن النعمان الأزدي وهو من أصحاب جديع الكرماني.. قال ابن خلدون: «وبعث أبو مسلم العمال، فبعث سباع بن النعمان الأزدي على سمرقند، وخالد بن إبراهيم على طخارستان».

قال صاحب أخبار الدولة: «..أما نصر بن سيار فأتى نيسابور وانضم إليه من هرب، واجتمعت إليه قيس قاطبة وأعطوه من أنفسهم القيام بأمره.. وكتب نصر إلى ابن هبيرة ـ أمير العراق ـ يخبره بموضعه ويصف سوء حاله وخروجه من سلطانه ـ ويحثّه على إرسال المدد إليه ـ. ولَمَّا بلغ أبو مسلم إقامة نصر بنيسابور ومن اجتمع إليه وتسلُّل أصحابه من مرو نحوه وإجماع قيس على معاونته، وضع المراصد لئلا يخرج أحدٌ من مرو ولا يدخل إلا بعلمه».

وبذلك اتخذ نصر بن سيار أمير خراسان مدينة نيسابور مقراً وعاصمة له، وكانت بيده مناطق وأقاليم سرخس، وهراة، وطوس، ونيسابور، وقومس. وكذلك كان إقليم جُرجان بيد السلطة المروانية، فكان زهاء نصف بلاد ولاية خراسان ما يزال بيد السلطة المروانية الأموية.

وأقام أبو مسلم والنقباء وجند الدعوة العباسية في مرو بانتظار عودة قحطبة بن شبيب الطائي بالتعليمات من عند إبراهيم الإمام. وقد مضى قحطبة إلى الكوفة فالتقى بأبي سَلَمة الخلال القائم بأمر الدعوة العباسية السِّرِّية بالكوفة والعراق، فأخبره بالنصر في مرو وغيرها. ثم سار قحطبة إلى إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن العباس في منزله بقرية الحميمة في منطقة الشراة بالبلقاء في الشام فالتقى به وأخبره بالنصر والظهور على مرو، وناوله كتاب أبي مسلم ـ سالف الذكر ـ فَلَمَّا علم إبراهيم بالظهور على مرو، وبهروب نصر بن سيار «..حَمَدَ اللّه ومَجّده وأثنى عليه، ثم تمثل بقول العامري:

فما برحتْ بكرُ تثوبُ وتدّعي ... ويلحق منها أوّلون وآخرُ
لدنْ غدوة حتى أتى الليل وانجلت ... عماية يوم شرّه متطايرُ
فما زال ذلك الدأب حتى تخاذلت ... هوازنُ وارفضّت سُليمُ وعامر»

[ص ٣٢٣].

وكتب إبراهيم مع قحطبة بالتوجيهات إلى أبي مسلم بأن يتولّى قحطبة قيادة الجيش والمسير إلى نيسابور وبقية بلاد خراسان وجرجان وبلاد فارس والعراق، وأن يبقى أبو مسلم أميراً في مرو خراسان، وعَقَدَ إبراهيم الإمام لواء الإمرة والقيادة لقحطبة الطائي، فتوجّه قحطبة من عند إبراهيم إلى العراق ثم إلى إقليم جُرجان حيث

اصطحب أبا عون عبد الملك الأزدي وجماعة من فرسان الأزد ومذحج الذين في إقليم جُرجان من أهل الدعوة العباسية ثم مضى إلى مدينة مرو خراسان، فوصل إليها ـ في شهر رجب سنة ١٣٠هـ ـ فأعطى أبا مسلم كتاب إبراهيم الإمام، فدعا أبو مسلم النقباء والنظراء والقادة فاجتمعوا إلى دار الإمارة بمدينة مرو، حيث جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية ما يلي نصه:

«أمر أبو مسلم بجمع الناس في داره ـ دار الإمارة ـ فامتلأت الدار منهم فقال لهم: إنّ الإمام كتب إليّ أنّه قد ولّى قَحْطبة المسير بالجنود إلى العراق لِمَا رجا من كفايته، وعلى علم منه بأن اللّه كاسر قرناً من قرون الشيطان على يده، فمن أحبّ أن ينتدب معه فَلْيَنتدب.

وكان قَحْطبة قد توجّه بكتاب أبي مسلم إلى الإمام، فقام، فقال: إنّ الإمام يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: إنّ اللّه قد قادكم إلى خير ما قاد إليه أمّة من نصرة آل نبيكم والقيام بحقكم والانتقام بكم من أعوان الظالمين، والفوز بالخير الكثير في الدنيا والآخرة. فكَبّروا لذلك وعظم سرورهم به، ودعوا لقحطبة بالبركة، واستبشروا بما أخبرهم عن الإمام»[١].

تأمير قَحْطبة الطائي على جيش الدعوة العباسية:

ولا بد هنا من التأكيد على أن تأمير وتولية قحطبة بن شبيب الطائي على جيش الدعوة العباسية لم يكن من أبي مسلم الخراساني كما تحاول بعض الروايات والكتابات الإيهام بذلك، فلم يكن قحطبة قائداً تابعاً لأبي مسلم، وإنما كان تأمير قحطبة من الإمام العربي للدعوة العباسية إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن العباس، وهو الذي عقد له لواء الإمارة في منزله بقرية الحميمة في البلقاء بالشام، وكتب معه إلى أبي مسلم قائلاً:

«إنني قد وليتُ قَحْطبة المسير بالجنود لَمَّا رجوت من كفايته، ولعلمي بأن اللّه كاسرٌ قرناً من قرون الشيطان على يده».

فجمع أبو مسلم النقباء ونظراء النقباء والقادة ووجهاء رجالات الدعوة إلى دار الإمارة « . . فامتلأت الدار منهم فقال لهم أبو مسلم: إن الإمام كتب إليّ أنّه قد ولّى قَحْطبة المسير بالجنود إلى العراق لِمَا رجا من كفايته، وعلى علم منه بأن اللّه كاسر قرناً من قرون الشيطان على يده. فمن أحبّ أن ينتدب معه فلينتدب»[١].

وقال الطبري: «قَدِم قَحْطبةُ بن شبيب على أبي مسلم خُراسان منصرفاً من عند

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدّوري ـ ص ٣٢١.

إبراهيم بن محمد ومعه لواءه الذي عقد له إبراهيم. فوجّهه أبو مسلم حين قَدِم عليه وضمّ إليه الجيوش وجعل له العزل والاستعمال وكتب إلى الجنود بالسمع والطاعة له»(١).

ولا بد هنا أيضاً من الإشارة إلى ما يلي:

ـ إن الجيش العربي المرابط في بلاد خراسان كان زهاء مائة ألف مقاتل عربي في ولاية يزيد بن المهلَّب لخراسان وخلافة سليمان بن عبد الملك سنة٩٦ ـ ٩٩هـ وقد كان عددهم قبل ذلك (٤٧٠٠٠ من العرب) حيث ذكر المؤرخ المدائني أنه «كان بخراسان من المقاتلة: من الأزد عشرة آلاف. ومن أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جهم بن زَحر الجعفيّ المذحجي، ومن أهل البصرة، من أهل العالية تسعة آلاف. ومن بكر بن وائل (ربيعة) سبعة آلاف، ومن عبد القيس (ربيعة) أربعة آلاف. ومن تميم عشرة آلاف». ثم دخل خُراسان مع يزيد بن المهلَّب سنة٩٧هـ زهاء ستين ألفاً من العرب، من جند ولايات الكوفة والبصرة والشام غالبيتهم من اليمانية، وانضم إليهم الجيش العربي الإسلامي في خراسان، حيث سار يزيد بن المهلَّب بهم جميعاً لفتح بلاد دهستان وجُرجان. حيث ذكر الطبري أنه «سار يزيد بن المهلَّب إلى دهستان وجرجان في عشرين ومائة ألف، منهم من أهل الشام ستون ألفاً.. قال ابن الكلبي: سار مع يزيد بن المهلَّب من أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل خراسان مائة ألف سوى الموالي والمماليك والمطوّعة». وقال ابن خلدون: «سار يزيد بن المهلَّب إلى جرجان في مائة ألف من أهل العراق والشام وخراسان سوى الموالي والمطوّعة» ويتبيَّن من تلك النصوص أن قوَام الجيش بخراسان كان زهاء مائة وعشرين ألفاً، وكان العرب منهم مائة ألف، وقد أوطن يزيد بن المهلَّب فرقة منهم ببلاد جُرجان وما جاورها سنة٩٨هـ وعاد إلى مرو خراسان ونشر الجيش إلى أقاليم ما وراء النهر.

ثم في ولاية أسد بن عبد اللّه القسري لخراسان سنة١١٦ ـ ١٢٠هـ دخلت خراسان أيضاً فرقة من جند الشام، غالبيتهم من طيىء، وخزاعة، وبجيلة، وغيرهم من يمانية الشام، وكان ممن دخلوا في تلك الفرقة قحطبة بن شبيب الطائي، وحميد بن قحطبة، والحسن بن قحطبة، وغيرهم من رجالات طيىء الذين كانوا بالشام والجزيرة الفراتية.

ـ إن ذلك الجيش العربي في خراسان انضوى غالبية قادته وجنوده في الدعوة العباسية بخراسان سنة١٢٩ ـ ١٣٠هـ بينما بقي زهاء أربعين ألفاً من ذلك الجيش مع نصر بن سيار القيسي عامل مروان بن محمد على خراسان لَمَّا انسحب من مرو إلى

(١)تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٠٤ جـ ٩.

نيسابور في شهر جمادى سنة١٣٠هـ، وقد نشر نصر بن سيار ثلاثين ألفاً منهم في منطقة طوس.

ـ وقد ولّى إبراهيم الإمام قحطبة بن شبيب الطائي على الجيش لأن قادته وجنوده غالبيتهم العظمى من العرب اليمانيين وحلفائهم من ربيعة، ولِمَا رجاه إبراهيم من كفاءة قحطبة وأن اللّٰه كاسرُ قرناً من قرون الشيطان على يده، فالتزم أبو مسلم بأوامر إبراهيم الإمام وقام بما سلف ذكره من إجراءات تنفيذية.

قال صاحب أخبار الدولة: «وخرج قَحْطبةُ ـ من مرو ـ وأقام بخندق الواتحان من أبيورد حتى حسر عنه الشتاء، وأمكنت الطرق، وأبو مسلم يسرب إليه الجنود والسلاح، حتى النصف من شعبان سنة١٣٠هـ. .».

فانطلق قحطبة بالجيش إلى ما يليه من أقاليم خراسان التي كانت بيد نصر بن سيار عامل مروان بن محمد.

* * *

ثانياً: انتصار قحطبة الطائي في أقاليم خُراسان وجُرجان:

في منتصف شعبان سنة١٣٠هـ (٧٤٨م) انطلق الأمير القائد قَحْطَبة بن شبيب بن خالد بن معدان النبهانيّ الطائي اليماني بجيش الدعوة العباسية إلى مناطق (سَرَخْس) ومناطق (طوس) ببلاد خُراسان. وقد ذكر الطبري أنه: «وجّه قَحْطَبَةُ القاسم بن مجاشع إلى سرخس، وجهور بن مرار إلى جهة أبيورد. . ووجّه قحطبةُ على مقدمته أُسيد بن عبد اللّٰه الخزاعي إلى نسا وأبيورد، فسار أُسيد حتى نزل قرية ـ هناك ـ فعسكر فيها. فكتب أُسيد إلى قحطبة يخبره أن تميم بن نصر بن سيار والنابي بن سويد العجلي بطوس في ثلاثين ألفاً من صناديد أهل خراسان وفرسانهم. فوجّه قحطبةُ مقاتل بن حكيم العكيّ في ألف، وخالد بن برمك في ألف، فقَدِمَا على أُسيد ـ مدداً له ـ ثم قَدِم عليهم قحطبةُ بمن معه. . وكان مع قحطبة عدّة من القوّاد، منهم أبو عون عبد الملك بن يزيد، ومقاتل بن حكيم العكيّ، وخالد بن برمك، وخازم بن خزيمة، والمنذر بن عبد الرحمن الأزدي، وعثمان بن نهيك العكيّ، وجهور بن مرار العجلي، وأبو العباس الطوسي [وهو الفضل بن سليمان الطائي]، وعبد اللّٰه بن عثمان الطائي، وسَلَمة بن محمد، وأبو غانم عبد الحميد بن ربعيّ الطائي، وأبو حميد [وهو محمد بن إبراهيم الحِمْيَريّ]، وأبو الجهم بن عطية وهو كاتب قحطبة، وعامر بن إسماعيل المُسْلِي، ومحرز بن إبراهيم، في عدّة من القوّاد». [ص ١٠٤ جـ ٩].

ويتبيَّن من ربط نصوص تاريخ الطبري ونصوص أخبار الدولة المسار التالي للأحداث:

ـ وجّه قَحْطَبةُ عدّة قواد بينهم بسام بن إبراهيم وخازم بن خزيمة والقاسم بن مجاشع، وفلان الطائي، وابن حريث الخزاعيّ إلى سرخس، وكان بها عسكر شيبان بن سلمة الحروريّ وكانوا قد انضموا إلى نصر بن سيار فجعلهم رابطة في سرخس، فَلَمَّا وصل قادة قحطبة إلى بلاد سرخس (قالوا لطلائع عسكر شيبان: إنّا قَدِمْنا سرخس مجتازين إلى هراة ولسنا نريد قتالكم، وارتحل بسام بن إبراهيم بمن معه من قادة قحطبة يؤمُّون هَرَاة، فَلَمَّا حاذى مدينة سرخس عدل إليها، وخرج إليه أصحاب شيبان وكانوا ثلاثة آلاف، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتِل عامة أصحاب شيبان وهرب من نجا منهم.. وبلغ خبر سقوط سرخس النابي بن سويد العجلي [وهو عامل نصر بن سيار على منطقة طوس] فكتب إلى نصر بن سيار يخبره بذلك ويسأله المدد، ولَمَّا بلغ نصر بن سيار خبر سقوط سرخس اشتد جزعه وقال: اليوم استحكم الشرُّ على مروان. وذلك أن أهل سرخس كانوا يداً واحدة على العباسية». وبعث نصر بالمدد مع ابنه تميم بن نصر إلى طوس.

ـ وكان قحطبة قد وجّه قوة بقيادة جهور بن مرار إلى جهة أبيورد. قال الطبري: «فوجّه تميم بن نصر عاصم بن عمير السُّغدي إلى جهور، فهزمه عاصم فتحصن جهور في كبادقان. وأطلّ قحطبةُ على النابيّ، فأرسل تميم إلى عاصم: أنِ ارحل عن جهور وأقْبِل، فتركه وأقْبَلَ إلى طوس».

ـ وكان «قحطبةُ قد وجّه على مقدمته أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي إلى نسا وأبيورد، فسار حتى نزل قرية فعسكر فيها، فكتب أسيد إلى قحطبة يخبره أن تميم بن نصر بن سيار والنابي بن سويد بطوس في ثلاثين ألفاً من صناديد أهل خراسان وفرسانهم، فوجّه قحطبة مقاتل بن حكيم العكي في ألف، وخالد بن برمك في ألف، وقَدِما على أُسيد، ثم أقْبَل قحطبة بمن معه من القوّاد والجيش، وأتى طوس من أعلاها».

قال الطبري: «وجعل قحطبةُ على ميمنته مقاتل بن حكيم العكّي وأبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي وخالد بن برمك، وجعل على ميسرته أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي والحسن بن قحطبة والمسيب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، وصار هو في القلب، ثم زحف إلى القوم، فدعاهم إلى كتاب اللّه عز وجل وسنّة نبيه ﷺ وإلى الرضا من آل محمد فلم يجيبوه..» [ص ١٠٥ جـ ٩].

وقال صاحب أخبار الدولة: «نزل قَحْطبة بإزاء تميم بن نصر والنابيّ، وعبّوا خيولهم، فَلَمَّا تدانى الصفّان بعث إليهم قَحطبةُ يدعوهم إلى كتاب اللّه وسنّة نبيّه وإلى الرضا من آل رسوله، فشتموا رسوله ولم يسمعوا منه وقد أعجبتهم كثرتهم،

وأفرطوا في شتمهم. فقال قحطبة لأصحابه: لا تجيبوهم ولا تشاتموهم فإن اللّه ناصركم عليهم لبغيهم وعتوهم. ثم أمر قَحْطَبةُ ـ الميمنةَ والميسرة ـ أن يحملوا عليهم، فشدّوا عليهم، وصبر القوم مليّاً، وقاتلوهم قتالاً شديداً. ثم إن قحطبة صاح: يا أعوان الحق، شدّوا على الفجّار فقد شتّتَ اللّهُ أمرهم. وتحاضّ الناس على القتال، فهزموا تميماً والنابي ومن معهما وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقُتِل تميم بن نصر في المعركة. وانحاز النابيّ في جماعة كثيرة إلى القرية، وتحصنوا في حصنها، وأحاط بهم الجندُ، ونادى منادي قحطبة: من خرج إلينا فهو آمن ما خلا النابي. ولَمَّا خاف القوم من أن يدخل عليهم عرقبوا دوابّهم وألقوها على الباب، وثلموا في الحائط ثلمةً تشرف بهم على جرف غائر في الظاهر، وخرجوا منه متتابعين لا يعلم الآخر ما لقي الأول، وجعل كلٌّ من خرج يهوي في ذلك الغَوْر، فيُقال إنه هلك في تلك الوَهْدة نحوٌ مِن ألفي رجل لم يمسسهم سلاح قُتلوا به. وباتت العباسية يحرسونهم إلى الصباح، لَمَّا أصبحوا نقبوا عليهم نقباً ودخلوا عليهم منه، وقتلوا النابي ومن كان معه..» [ص ٣٢٤] وكذلك قال الطبريّ: «..لقي قحطبةُ من بطوس فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل تميم بن نصر في المعركة وقُتل معه منهم مقتلة عظيمة ـ وكان من مات منهم في الزحام أكثر ممن قُتِل، فبلغ عدة القتلى يومئذ بضعة عشر ألفاً ـ، وأفلت النابي في عدّة فتحصنوا في المدينة ـ مدينة طوس ـ وأحاطت بهم الجنود فنقبوا الحائط ودخلوا إلى المدينة فقتلوا النابي ومن معه، وهرب عاصم بن عمير وسالم بن راوية إلى نصر بن سيار بنيسابور فأخبراه بمقتل تميم والنابي ومن معهما..» [ص ١٠٥ جـ ٩]. قال صاحب أخبار الدولة: «وكان نصر بن سيار خرج من نيسابور فعسكر في قرية يُقال لها (موروشك) في نحو من عشرة آلاف رجل مِن قيس ومَن ضوى إليه مِن أعوان بني أُمية، فبينا هو مقيم هناك إذْ أتاه خبر هزيمة القوم، وقيل له إنّ تميماً والنابي محصوران، فانصرف إلى نيسابور ونزل في حائط لمعقل بن عروة، ثم أتاه الخبر في آخر النهار بقتل تميم والنابي». [ص ٣٢٥].

وبانتصار قحطبة على الجيش المرواني في طوس انضوت أقاليم ومناطق سرخس وأبيورد وهراة ونسا وطوس تحت لواء قحطبة والدعوة العباسية. واستعمل قحطبة العمال على تلك المناطق ثم «استخلف قحطبة على طوس عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي» وتهيأ للمسير إلى نيسابور.

***

قال الطبري: «وجّه قحطبةُ مقاتل بن حكيم العكّي على مقدمته إلى نيسابور فبلغ ذلك نصر بن سيار فارتحل هارباً في أثر أهل أبرشهر حتى نزل قومس». وقال

صاحب أخبار الدولة العباسية: «ارتحل نصر بن سيار ساعة أتاه الخبر ـ بنوح نساء أهل نيسابور وبكائهن على من قُتِل من رجالهن ـ، ومضى إلى قومس، وخلت نيسابورُ من جند بني أُمية وأعوانهم. ووجّه قحطبةُ العكّيَّ إلى نيسابور في ألفيْ رجل، فقدمها العكّيُّ، ووافاه القاسم بن مجاشع في خيله، ثم شَخَصَ قحطبةُ إلى نيسابور، واستخلف على طوس عبد الجبار بن عبد الرحمن، ودخل قحطبةُ نيسابور آخر يوم من شعبان سنة ١٣٠هـ، فأمّنَ الناسَ جميعاً، ولم يكشف أحداً عن شيء، ودعاهم إلى البيعة، فحضره وجوههم، فأخذ البيعة عليهم.. وأقام قحطبةُ بنيسابور شهري رمضان وشوال في أخذ البيعة على أهل البلد والسواد، وبعث إلى رساتيق نيسابور في أخذ البيعة على أهلها، وبَسَطَ لهم الأمان. ووجّه قَحْطَبَةُ محرز بن إبراهيم وأبا كامل في ألفيْ رجل إلى بيهق وجعله مسلحة بها ليقطع به طمع نصر بن سيار» ـ وكذلك وجّه قحطبةُ القائد أبا نصر محمد بن الأشعث الخزاعيّ إلى الطَّبَسَيْن فأخذ محمد بن الأشعث البيعة من أهلها وأقام مع جنوده فيها ـ «وكتب قحطبة إلى أبي مسلم والذين معه في مرو بدخوله نيسابور وما فتح اللّه عليه، فعظم سروره وسرور مَنْ معه بذلك» ـ [ص ٣٢٧] ـ وكتب قحطبة أيضاً بذلك إلى أبي سلمة حَفْص بن سليمان في الكوفة فعظم سروره وسرور من معه بذلك ـ سراً ـ وبعث أبو سَلَمَة بالخبر إلى إبراهيم الإمام.

وبينما قحطبة في نيسابور ونصر بن سيار في قومس: «كتب نصر إلى الخليفة مروان بن محمد يخبره بمصاب تميم والنابي وجندهما في طوس، وإرفضاض الناس عنه، وخروجه من خراسان إلى قومس. ويشكو من سوء إجابة ابن هبيرة ـ أمير العراق ـ إيّاه، وتثاقله عن إمداده.. وكتب مروان إلى ابن هبيرة: أما بعد، فإن نصر بن سيار كتب إلى أمير المؤمنين بمن تجمّع من أعداء اللّه وأعداء أمير المؤمنين، ويشكو سوء إجابتك إياه، وتثاقلك عن إمداده. فإذا نظرت في كتاب أمير المؤمنين فسرِّب إلى نصر الجموع بعد الجموع وسرّح من ولدك أحمدهم عندك وأصحّهم نيةً في جهاد عدو أمير المؤمنين، وولّه أمر ذلك الجُند.. فإنّ أمر خراسان قد تفاقم، واشتدت شوكة من تجمّع هنالك.. وفي تعجيلك الجنود عزّ لأهل الطاعة وذلّ لأهل المعصية.. واجعل ما تمدّهم به من مال وسلاح من قِبَلِ فارس فإنّهم إليه أسرع وعليهم أوسع».

وكان نباتة بن حنظلة الكلابي القيسيّ أميراً قائداً في إقليم فارس (جنوب إيران) ومعه جيش من جند أهل الشام والجزيرة الفراتية ومن أهل فارس، فكتب إليه يزيد بن هبيرة أمير العراق بالتوجّه إلى نصر وإلى خراسان.. قال الطبري: «بعث ابنُ هبيرة

نباتة بن حنظلة إلى نصر، فسار إلى الريّ ومضى إلى جرجان ولم يضم إلى نصر بن سيار، فقالت القيسية لنصر: لا تحملنا قومس فتحولوا إلى جُرجان». وجاء في أخبار الدولة أنه: «كان نباتة بن حنظلة قد وافى الرّي في جمع كثيف وقوة، وأرادوا المصير إلى جُرجان ليلجأ إليه فلول نصر المنهزمين من خُراسان وفلول سرخس ونسا وأبيورد. فكتب نصر إلى ابن هبيرة بحاله، وأنّه لم يبق لهم جمع يعتمدون عليه، وسأله أن يكتب إلى نباتة بطاعته وقبول رأيه في الحرب، فلمّا ورد كتابه على ابن هبيرة قال: ما كنتُ لأولي مثل نصر على نباتة، وإنما نحن في إصلاح ما أفسد نصر. . وسار نباتة بن حنظلة من الري إلى جُرجان، واستخلف على الريّ أبا بكر بن كعب العقيلي، ووافى جُرجان، وأمر بعرض جنود خُراسان [الذين كانوا مع نصر بن سيار] فدعا باسم نصر بن سيّار، فقال عاصم: حلّقوا على اسمه، وحلّق على أسماء مَنْ لم يرافقه من جند خراسان [ومعنى: حلّق على اسمه، جعل حوله حلقة فأبطل رزقه] وبلغ نصراً إسقاطُ نباتة اسمه واسم من معه فقال: هذا عن رأي ابن هبيرة ولئن ظن ابنُ القرعاء أني أنقاد لنباتة لبئس ما ظن. وأقام بقومس.

وكتب أبو مسلم الخراساني إلى قحطبة الطائي بنيسابور: أن يمضي إلى نصر بن سيار في قومس. فأبَىٰ قحطبةُ أن يفعل ذلك، وكتب إليه: ما كنتُ أمضي إلى نصر وهو فَلّ، وأدَعُ خلفي نباتة في فرسان أهل الشام وأهل خُراسان، ولكنّي سأمضي إلى جُرجان فإن أظفر اللّهُ بنباتة فما أيسر أمر نصر. فكتب إليه أبو مسلم: الرأي رأيك، أمضِ لَمَّا رأيت». [ص ٣٢٨] وذلك يؤكد استقلالية قحطبة بالقيادة والرأي.

* * *

وفي أوائل شهر ذي القعدة سنة١٣٠هـ انطلق قحطبة الطائي بالقادة والجنود من نيسابور إلى إقليم جُرجان، وبعث قحطبة مقدمة جيشه بقيادة الحسن بن قحطبة إلى نواحي ومداخل جُرجان وكان نباتة بن حنظلة قد وضع ونشر المسلحات فيها، وخَندَقَ على مشارف مدينة جُرجان، وكان خندقه نحواً من فرسخ.

وقد جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية بعنوان فتح جُرجان ما يلي: «وجَّه قحطبةُ إلى جُرجان الحسن بن قحطبة، وأوقع الحسن ببعض مسالح نباتة فقتلهم وأخذ خيلهم وسلاحهم، وكتب بذلك إلى قحطبة فسار قحطبة إلى ـ مدينة ـ جُرجان». وجاء في تاريخ الطبري ما يلي: «أقْبَلَ قحطبة إلى جرجان في ذي القعدة سنة١٣٠هـ ومعه أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي وخالد بن برمك وأبو عون عبد الملك بن يزيد وموسى بن كعب والمسيب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن

الأزدي. وعلى ميمنته موسى بن كعب، وعلى ميسرته أُسيد بن عبد اللّه الخزاعيّ، وعلى مقدمته الحسن بن قحطبة. . وأقْبَلَ الحسن بن قحطبة حتى نزل تخوم جُرجان، ووجّه الحسنُ عثمانَ بن رفيع ونافعاً وأبا خالد ومسعدة الطائي إلى مسلحة لنباتة عليها رجل يُقال له ذؤيب فبيّتوه فقتلوه وسبعين رجلاً من أصحابه، ثم رجعوا إلى عسكر الحسن. وقَدِم قَحْطَبةُ فنزل بإزاء خندق نباتة، وأهل الشام ـ مع نباتة ـ في عدّة لم ير الناس مثلها. .» وقال صاحب أخبار الدولة: «سار قحطبة إلى جُرجان، وخرج إليه نباتة فيمن معه مِن أهل الشام ومَنْ انضاف إليه من أهل خراسان». [اهـ].

ومن المفيد هنا التنبيه إلى أمرين، أحدهما: شيوع تسمية الجيش المرواني في الروايات باسم (أهل الشام) وهي تسمية غير دقيقة فقد كان ذلك الجيش بقيادة نباتة بن حنظلة فيه جنود من الشام والجزيرة الفراتية وفارس وخُراسان، وكان مع نباتة كبار قادة جيش نصر بن سيار من أهل خراسان، ومنهم عاصم بن عمير السُّغديّ، وسالم بن راوية التميميّ ومعهما الآلاف من جند وأهل خراسان القيسية والأعاجم، وكذلك كان مع نباتة أهل جُرجان، فالتسمية الأصوب لذلك الجيش هو (الجيش المرواني) لأنه جيش الخليفة الأمويّ مروان بن محمد. والأمر الثاني: شيوع تسمية جيش قحطبة باسم (أهل خُراسان) مما جعل الطبريّ ينقل رواية تزعم بأنهم من العجم، بينما الصحيح أن غالبيتهم العظمى مِن العرب المقيمين بخراسان ومِن الجيش العربي الذي كان مرابطاً في ولاية خُراسان، وقد كان مع قحطبة في موقعة جُرجان نحو ثلاثين كردوساً، كل كردوس ألف مقاتل، وعلى كل كردوس قائد من نفس العشيرة أو القبيلة التي ينتمي إليها أفراد الكردوس، ويتولّى بعض القادة الكبار قيادة عدة كراديس، وكانوا جميعاً من العرب باستثناء خالد بن برمك، بل إن غالبية قادة وجيش قحطبة كانوا من اليمانيين بالذات، فالتسمية الأصوب لذلك الجيش هو (جيش الدعوة العباسية)، أو (الجيش العباسي) وكانت راياتهم سوداء ورايات الجيش المرواني صفراء. فالتقى الجيشان على مشارف مدينة جُرجان. الجيش المرواني بقيادة نباتة بن حنظلة، وجيش الدعوة العباسية بقيادة قحطبة الطائي.

قال صاحب أخبار الدولة: «فقال قحطبة: نبدؤهم بالحجّة، فندعوهم، ثم دعا السريّ الجعفيّ ـ المذحجيّ ـ فقال له: أُخرج إلى هذا الطاغية فقل له: إنّا ندعوك إلى كتاب اللّه وسنة نبيّه ﷺ وإلى الرضا من آل رسوله، لا نستأثر عليك، لك ما لنا وعليك ما علينا. فمضى السريّ حتى دنا من صفّهم فقال: أتؤمّنوني حتى أكلّمكم؟ ونباتة يسمع، فقال: أنت آمن فقل ما شئت. فقال السريّ: هذا الأمير قحطبة يدعوكم إلى كتاب اللّه وسنة نبيّه وإلى الرضا من آل رسوله، ولكم ما له، وعليكم ما

عليه. فقال نباتة: تعساً لك، ألهذا جئتنا؟ وقال بعض أصحابه: نحن ندعوكم إلى الخليفة مروان وإلى الرزق والعطاء الجاري، هذا الأمير نباتة صاحب وقعة يوم الأهواز، وله وقائع عظام في أهل الشقاق، قد بسط لكم الأمان، وهو يعرضه عليكم. فانصرف السريّ فأخبر قحطبة». [ص ٣٢٩].

وحثّ قحطبة أصحابه فقال: «يا أهل الإيمان، إنّما تُقاتِلون بقية قوم حرقوا بيت اللّه عز وجل، وجاروا في الحكم وأخافوا أهل البر والتقوى، فسلّطكم اللّه عليهم لينتقم منهم بكم، وقد عَهَدَ إلى الإمام بأنكم تلقونهم في مثل هذه العدّة فينصركم اللّه عز وجل عليهم». قال الطبري: «فالتقوا في مستهل ذي الحجة سنة ١٣٠هـ في يوم الجمعة، فقال قَحْطبة: يا أهل خُراسان هذا يوم قد فضّلَه اللّه تبارك وتعالى على سائر الأيام والعمل فيه مُضاعف وهذا شهر عظيم فيه عيد من أعظم أعيادكم عند اللّه عز وجل، وقد أخبَرَنا الإمام أنكم تُنصرون في هذا اليوم من هذا الشهر على عدوكم، فالقوه بجدّ وصبر واحتساب فإن اللّه مع الصابرين». [ص ١٠٦ جـ ٩].

وعندئذ ـ كما جاء في كتاب أخبار الدولة ـ «تهيأ القوم للحملة، فإذا عامر بن إسماعيل قد أقبل من الميمنة فدنا من قحطبة فقال: أيها الأمير، ينادي مناديك الساعة في موقفك وتبعث بذلك إلى الأبواب كلّها: إنّ من دخل داره من أهل جُرجان فهو آمن، فإنّي أرجو أن يرفضّ عنه كثير من الناس. فقال قحطبة: سرّك اللّه وبرّك، أصبتَ وأحسنتَ، ناد: مَنْ دخل داره من أهل جرجان وأغلق بابه فهو آمن. فَلَمَّا نُودي به في كل الأبواب تسلل خلق كثير، ونباتة واقف لم يتحلحل من موضعه ـ في الخندق ـ، وأقبل رجل من داخل المدينة فدنا من نباتة فكلّمه بشيء فمال إليه برأسه يتفهّم كلامه ثم استوى على دابّته وكلّم إنساناً يليه وعطف بفرسه راجعاً إلى المدينة. فقال عامر: انهزم القوم وربّ الكعبة. ونادى قحطبة أن احملوا، فحملوا». [ص ٣٢١].

قال الطبري: «فناهضهم قحطبة وعلى ميمنته الحسن بن قحطبة، وعلى ميسرته خالد بن برمك ومقاتل بن حكيم العكّيّ، فاقتتلوا وصبر بعضهم لبعض». قال البلاذري: «ونادى أهل خراسان: يا محمد يا منصور، ونادى أهل الشام: يا مروان يا منصور» قال صاحب أخبار الدولة: «فانهزم القوم، ودخل أهل الشام المدينة، وأغلقوا الأبواب دون من كان معهم من فُلّال خراسان، ودخل الحسن بن قحطبة ومقاتل العكّيّ المدينة [وهما قائدا ميمنة وميسرة قحطبة] وثبت لهم سالم بن راوية التميمي وقاتلهم طويلاً ثم قُتِل. ولم يلبث قحطبة أن فتح الباب الذي كان نباتة واقفاً عليه، ودخل الجند فقتلوا نباتة وقتلوا ابنه حيّة، وقتلوا الخطاب بن البختري التميمي، وضرار بن مهلّب التميمي، واستولى قحطبة على المدينة من يومه، وأمر

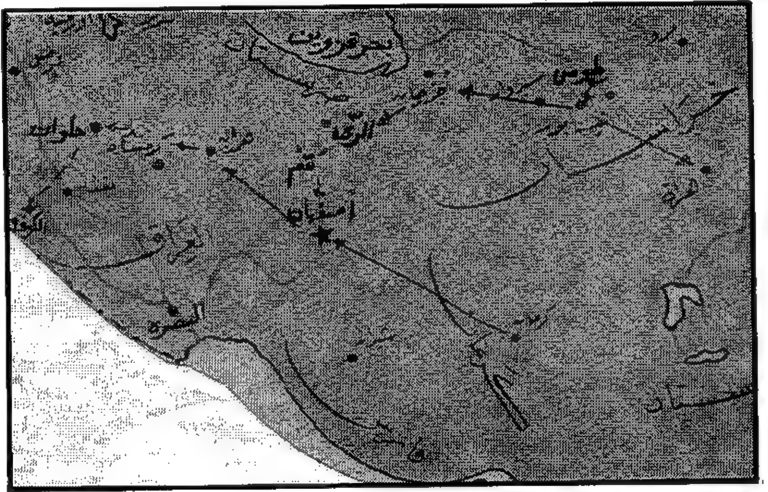
برفع السيف عن الناس، ولم يتعرض لأحد أغلق بابه عليه، وهرب أكثر قوّاد نباتة، ونُودي في الناس بأمانهم، وأُخذت البيعة عليهم». [ص ٣٣٠] وقال الطبري في خبر المعركة « . . فاقتتلوا، وصبر بعضهم لبعض، فَقُتل نباتة وانهزم أهل الشام فقُتل منهم عشرة آلاف» ـ والمقصود من الجيش المرواني وكان من القتلى ثلاثة من قادة نصر بن سيار بخراسان الذين انضموا مع فلول خراسان إلى نباتة، بينما هرب أكثر قواد نباتة ـ وكان انتصار قحطبة ودخوله جرجان فيما ذكر الطبري يوم الجمعة مستهل ذي الحجة، وفيما ذكر صاحب أخبار الدولة (يوم السبت لثلاث خلون من ذي الحجة سنة١٣٠هـ).

وبدخول قحطبة جُرجان اكتمل انضواء بلاد ولاية خراسان في الدعوة العباسية في ذي الحجة ١٣٠هـ على يد قحطبة بن شبيب الطائي.

* * *

فتح قحطبة الطائي لأقاليم إيران وانتصاره الكبير على الجيش المرواني بأصفهان (١٣١هـ)

لَمَّا انضوت جرجان تحت لواء قحطبة بن شبيب الطائي (بعث قحطبة إلى أصبهبذ طبرستان يدعوه إلى الطاعة، فأجاب إلى ذلك وضمن أن يحمل مال الصلح إلى قحطبة) وبذلك دخل إقليم طبرستان في طاعة قحطبة.



الأقاليم الرئيسية في معارك وانتصارات قحطبة الطائي

قال صاحب أخبار الدولة: «وأقام قحطبة بجرجان بقية ذي الحجة سنة ١٣٠هـ وشهر المحرم سنة ١٣١هـ حتى جَبَىٰ شيئاً من خراج جُرجان وقسّمه فيمن كان معه. . ووجّه قحطبة وهو بجرجان الحسن بن قحطبة على مقدمته إلى قومس، فسار في أول محرم حتى نزل مدينة قومس، وبعث نصر بن سيار مسالح من أهل الشام، فبعث الحسن إليهم خيلاً فبيّتوهم وغنموا ما كان معهم من دوابّهم وسلاحهم. وبلغ ذلك نصراً فارتحل إلى الرَّيّ، وألفى بها أبا بكر بن كعب والياً عليها قد بعثه ابن هبيرة. وكتب الحسن إلى قحطبة بما كان، فبعث إليه قائداً من قوّاده وأعلمه أنه قادم وأمره ألا يتحرك. ثم استخلف قحطبةُ أسيد بن عبد اللّه الخزاعيّ على جُرجان، وسار يريد الريّ، فَلَمَّا قَدِم قومس وبها الحسن بن قحطبة أمره أن يتقدم فيمن معه إلى الخوار، فتقدم الحسن إلى الخوار»[1].

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق د. عبد العزيز الدّوري ـ ص ٣٣٣.

ومنطقة الخوار هي التي كان نصر بن سيار انسحب من قومس إليها حيث جاء في تاريخ الطبري أنه «ارتحل نصر بن سيار إلى الخوار وأميرها أبو بكر بن كعب العقيلي.. وسار نصر حتى نزل الريّ وكان العامل على الريّ حبيب بن بديل النهشلي.. وكان بالري ـ أيضاً ـ عُطيف بن بشر في ثلاثة آلاف وجّهه ابن هبيرة فنزل بالرِّيّ»[1].

ولَمَّا دخل الحسن بن قحطبة منطقة الخوار، وتهيأ قحطبة للزحف إلى الرّي قرر نصر بن سيار مغادرتها «فقال أبو بكر بن كعب وعطيف بن بشر لنصر بن سيار: أقِمْ ونحن معك حتى نلقى هؤلاء القوم فإن جماعتنا حسنة، فقال: تركتموني حتى صرتُ جسراً فقلتم أقم، شأنكم بالقوم، فقال له حبيب بن بديل: إن ابن هبيرة يقول لك: أقِمْ بموضعك فقد أظلتك الأمداد. فأبى أن يقيم، ومضى إلى هَمَذان». [ص ٣٣٣] ومات نصر بن سيار في طريق هَمَذان في ربيع الأول ١٣١هـ وتفرّق جنوده ولحق أكثرهم بنهاوند. وكان قحطبة قد دخل الرّي.

قال الطبري: «قَدّم قَحْطَبةُ ابنه الحسن إلى الرّي، وبلغ حبيب بن بديل النهشلي ومن معه من أهل الشام مسير الحسن فخرجوا عن الري ودخلها الحسن فأقام حتى قَدِم أبوه». [ص ٩/١١٣].

وجاء في كتاب أخبار الدولة العباسية ما يلي نصه:

«خرجت خيول مروان وفيهم أبو بكر بن كعب وعطيف بن بشر وحبيب بن بديل، في جمع كثير قد تشتت أمرهم وتخاذلوا، فلحقوا بعامر بن ضبارة. وبلغ ذلك قحطبةَ، فَشَخَص وكتب إلى الحسن يأمره أن يمضي إلى الري، فمضى الحسن ولحقه قحطبة قبل أن يدخلها، فدخلها في صفر سنة١٣١هـ عفواً لم يُقاتل عليها» [ص ٣٣٤].

وإقليم الري هذا كان أول من افتتحه الصحابي القائد عروة بن زيد الخيل الطائي في ثمانية آلاف من فرسان اليمن ـ سنة٢١هـ ـ في خلافة عمر بن الخطاب، وأخبر عروة بن زيد الخيل عُمَرَ بالفتح فسمّاه البشير، وكان قَحْطبة من أحفاد عروة بن زيد الخيل الطائي. ولَمَّا دخل قحطبة الطائي إقليم ومدينة الري ـ في صفر سنة١٣١هـ ـ «كتب قحطبة إلى أبي سَلَمة ـ بالكوفة ـ وإلى أبي مسلم ـ بمرو خراسان ـ بما صنع اللّه له، وسهّل الأمور عليه.. وبلغ ابن هبيرة ـ أمير العراق ـ نزول قحطبة بالجنود الرّي فأعظم ذلك».

واتخذ قحطبة من مدينة الريّ مقراً وقاعدة له ـ في إيران ـ ووجّه منها الجيوش والسّرايا إلى عدة جهات. قال ابن الأثير في كتاب الكامل: «لما دخل قحطبةُ الرّي

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١١٢ جـ ٩.

وأقام بها أخذ أمره بالحزم والاحتياط والحفظ، وضبط الطرق وكان لا يسلكها أحد إلا بجواز منه».

وقد أقام قَحْطبة بمدينة الرّي، ووجّه منها أربعة قادة بالجيوش إلى أربع جهات من إيران، وكان القادة الأربعة من اليمانية، وهم أبو عون عبد الملك الأزدي إلى أبهر، وعامر بن إسماعيل المُسلّي المذحجي إلى تُسْتر، والحسن بن قحطبة إلى هَمَذان، ومقاتل بن حكيم العكيّ إلى قُمْ.

فقد وجّه قحطبةُ أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي في أربعة آلاف إلى إقليم دَسْتَبي وعاصمته مدينة أبهر، وهو بين الريّ وهَمَذان، وكان إقليم دستبي بيد قوم من الخوارج وكذلك مدينة أبهر، حيث جاء في كتاب أخبار الدولة بعنوان (فتح أبهر) ما يلي: «بَلَغ قحطبةَ أن بدَسْتَبي قوماً من الخوارج والصعاليك قد تجمّعوا هناك، فوجّه إليهم أبا عون عبد الملك الأزدي، فسار حتى نزل أبهر من دَسْتَبي، ثم توجه إلى الخوارج ومن تلفّف إليهم فدعاهم إلى كتاب اللّه وسنّة نبيه وإلى الرضا من آل محمد فلم يجيبوه وقاتلوه فظفر بهم بعد قتال شديد، وتحصّن عدّة منهم حتى أمّنهم أبو عون فخرجوا إليه، وأقام معه عدّة وافترضوا [أي فرض لهم في العطاء وأصبحوا من جنوده] وانصرف بقيتهم إلى أوطانهم. فكتب أبو عون إلى قحطبة بذلك، فكتب إليه يأمره بالمقام في موضعه. فأقام أبو عون بمدينة أبهر نحواً من ثلاثة أشهر، وبثّ خيوله فيما يليه، وبَسَط الأمان لمن أتاه، وتألّف الناس» [ص ٣٣٥].

وكذلك وجّه قحطبة القائد عامر بن إسماعيل المُسْلي في ثلاثة آلاف، حيث: «وَكّلَ قحطبةُ عامر بن إسماعيل بالطرق بين الريّ وهَمَذان، وأمره أن ينزل قلعة تُستر، ويضع المسالح». ففعل عامر، ورابط هناك.

وكان الخليفة مروان بن محمد قد بعث جيشاً من جند الشام والجزيرة الفراتية بقيادة مالك بن أدهم الباهلي وأمرهم بالمسير إلى إقليم هَمَذان ثم الالتقاء بجيش ابن ضُبارة والتقدم معه إلى الريّ ثم إلى خُراسان، فبلغ ذلك قحطبة الطائي وهو في الرّي، فوجّه الحسن بن قحطبة في فرقة من جيشه إلى هَمَذَان، حيث قال الطبري:

«وجّه قحطبةُ ابنه الحسن بعد نزوله الرّي بثلاث إلى هَمَذَان. ولَمَّا توجّه الحسن إلى هَمَذَان خرج منها مالك بن أدهم الباهلي ومن كان بها من أهل الشام وأهل خراسان إلى نهاوند. فأقام مالك ومن بقي معه من أهل الشام وأهل خراسان ممن كان مع نصر بن سيار في نهاوند. فسار الحسن من هَمَذَان إلى نهاوند فتنزل على أربعة فراسخ منها، وأمده قحطبة بأبي الجهم بن عطية في سبعمائة حتى أطاف الحسن بالمدينة وحصرها». [ص ١١٣ جـ ٩].

وجاء في كتاب أخبار الدولة بعنوان (فتح هَمَذَان) أنه: «بلغ قَحْطبةَ إقبال مالك بن أدهم فيمن أَقْبَلَ معه من أهل الشام وانضمام سيار بن نصر بن سيار إليه وما اجتمعوا عليه من التوجُّه إلى هَمَذَان، فوجّه الحسن بن قحطبة على طريق المحجة إلى هَمَذَان.. وقد أَقْبَلَ مالك بن أدهم يريد هَمَذَان، فَلَمَّا بلغوا قلعة تُسْتر أتاهم أن الحسن قد نزل هَمَذَان فيمن معه، فعَدَلوا إلى نهاوند ودخلوا مدينتها وتحصنوا فيها طمعاً في (قدوم) ابن ضُبارة..» [ص ٣٣٦] وبذلك انضوى إقليم هَمَذَان تحت لواء قحطبة الطائي ـ في صفر ١٣١هـ ـ وأقام الحسن في هَمَذان، «وانتهى إلى الحسن خبر مالك بن أدهم والجُند الشامي والخراساني الذين تحصَّنوا معه بمدينة نهاوند، فكتب إلى قحطبة يخبره بذلك، وكتب قحطبةُ إلى الحسن يأمره بالمسير إليهم وبمحاصرتهم، وأمدّه بألفي رجل فيهم الجهم بن العلاء في ألف وثلاثمائة رجل، فسار الحسن ـ من هَمَذان ـ حتى نزل نهاوند (في شهر جمادى الأولى) وحاصر القوم بها، فأشار بعضهم بالخروج لقتاله، وأبَىٰ الأكثر أن يخرجوا حتى يقرب منهم ابن ضبارة». [ص ٣٣٦] ومكث الحسن محاصراً نهاوند.

وكذلك وجّه الأمير قَحْطبة القائد مقاتل بن حكيم العكّي إلى مدينة قُمّ وهي مدينة معروفة بإيران، وقد جاء في أخبار الدولة بعنوان (فتح قُمّ) أنه: «بلغ قحطبة إقبال ابن ضُبارة، فوجّه مقاتل بن حكيم العكي في أربعة آلاف رجل إلى قُمّ فَشَتا بها». [ص ٣٣٧].

* * *

وكان عامر بن ضُبارة المرّي القيسي أميراً قائداً لإقليم كرمان وفارس (جنوب إيران) ومعه زهاء خمسين ألف مقاتل من جُند الشام والعراق وفارس. وكتب الخليفة مروان بن محمد إلى يزيد بن هبيرة أمير العراق ومشارقها يأمره بتوجيه ذلك الجيش من كرمان وفارس مع أميرهم ابن ضُبارة وأن يوجّه معه أحد أولاده لقتال قحطبة، وأن يلتقي ذلك الجيش مع جيش مالك بن أدهم لمواجهة قحطبة في الرّي والتقدم إلى خُراسان.

قال البلاذري: «كتب ابن هبيرة إلى عامر بن ضُبارة يأمره بالمسير إلى قحطبة، ووجّه معه ابنه داود بن يزيد بن هبيرة فسارا في خمسين ألفاً حتى نزلا أصبهان وانضم إليهم بها ولد نصر بن سيار وجماعة من المروانية من أهل خراسان»[1].

وكذلك قال الطبري: «كتب ابن هبيرة إلى عامر بن ضبارة وإلى ابنه داود بن

---

(١) أنساب الأشراف ـ البلاذري ـ ص ٤٠٧ جـ ٣.

يزيد أن يسيرا إلى قحطبة، وكانا بكرمان، فسارا في خمسين ألفاً حتى نزلوا أصبهان بمدينة جَيّ، وكان يُقال لعسكر ابن ضبارة عسكر العساكر» [ص ٩/١١٣].

وقد جاء في أخبار الدولة أنه: «بلغ أبا سَلَمة الخلال (بالكوفة) ما دبر ابن هبيرة في ابن ضبارة وما صنع مروان فيمن وجّه من الجنود [مع مالك بن أدهم]، فكتب أبو سَلَمة إلى أبي مسلم الخراساني (في مرو) يخبره بذلك، وأن يسرب الجنود إلى قحطبة. وكتب أبو سَلَمة إلى قَحْطَبة (في الري) بالتأنّي حتى يستكشف أمره، وبعث بكتابه إليه مع أشيم بن دعيم المُسْلي (المذحجيّ)، فقَدِم الريّ، فألفى قحطبة قد أراد الخروج وأن يتقدم (إلى أصبهان) فَلَمَّا قرأ كتاب أبي سَلَمَة أقام بالري..».

وجاء في بقية الخبر أنه: «أراد أبو مسلم الخُراساني أن يكون ردءاً لقحطبة ومن معه وأن يقرب من مغاثهم إن نُكبوا مع ما أحب من تنحية عليّ بن جُديع الكرماني عن مرو.. فسار أبو مسلم من مرو نحو نيسابور ومعه عليّ بن جديع الكرماني يصلّي أبو مسلم خلفه ولا يقطع أمراً دون عرضه عليه ورضاه به. ووجّه أبو مسلم على مقدمته العلاء بن حريث الخزاعي فَلَمَّا قَدِمَ سَرْخَس أمر العلاء أن يقيم بها واستعمله عليها، وجعل على مقدمته أبا سعيد بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب، فقَدِم أبو مسلم نيسابور في صفر سنة١٣١هـ وانتهى إليه الخبر بصدوف ابن ضبارة عن الطريق الذي كان أشفق أن يدخلوا عليه ـ من كرمان والطبسين إلى خراسان ـ وأنهم عدلوا عنه إلى أصبهان، فعاد أبو مسلم إلى مرو»[١].

أنباء موقعة أصبهان.. النصر الكبير لقحطبة الطائي في إيران (رجب ١٣١هـ):

وقد بلغ الأمير قحطبة الطائي وهو بمدينة الريّ إقبال الأمير ابن ضبارة في خمسين ألف مقاتل إلى أصبهان ونزوله مدينة جَيّ ـ وهي المدينة الرئيسية بإقليم أصبهان ـ وانضمّ إليه ـ كما ذكر البلاذري ـ «جماعة من المروانية من أهل خراسان». وكذلك انضمّ إلى ابن ضُبارة حبيب بن بديل النهشلي الذي كان أميراً لإقليم الري، وعطيف بن بشر الأسدي وأبو بكر العقيلي وجنودهم الذين كانوا بإقليم الرّي، وكذلك أهل أصبهان، فبلغ جيش ابن ضبارة مائة ألف.

وكان قحطبة قد وجّه مقاتل بن حكيم العكي في أربعة آلاف إلى قُمّ فشَتّا بها، ثم اتبعه بموسى بن عقيل وحُباس بن خبيب وغيرهما من القوّاد فرابطوا في قُم. قال

(١) يتبيَّن من ذلك أن أبا سعيد بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب كان من القادة اليمانيين الذين انضووا في الدعوة العباسية.

صاحب أخبار الدولة: «ووجّه قحطبةُ عمر بن حَفْص العتكي[1] في خيل ضمّها إليه إلى أصبهان وأمره أن يتطرف خيول ابن ضبارة ويكتب إليه بأخباره فإن دهمه أمر لا يقوى عليه انصرف إليه، فسار عمر حتى نزل رستاقاً من أصبهان يُسمى أنار، وبلغ ابن ضبارة موضع عمر، فوجّه إليه قائداً من قوّاده في ثلاثة آلاف فارس فبيّتوه وقتلوا عدة من أصحابه ونجا عمر وتحصن في قرية من أصبهان تدعى نيمور، وبلغ قحطبةُ ما لقي عمر، وكان قحطبة قد وَكّل عامر بن إسماعيل المُسْلي بالطرق ما بين الرّي وهَمَذَان وأمره أن ينزل قلعة تُستر، فكتب قحطبة إلى عامر بن إسماعيل أن يتقدّم إلى أصبهان، وكتب إلى مقاتل العكيّ ـ في قُم ـ أن يوجّه إليه رجلاً في خمسمائة فارس، وكتب إلى أبي عون ـ في أبهر ـ أن يوجّه إليه رجلاً في خمسمائة أخرى. فوجّه إليه العكيُّ مخارقَ بن غفار الطائي، ووجّه أبو عون أبا الجنيد الأعور، وتوافى أبو الجنيد ومخارق إلى عامر بن إسماعيل ـ ونزل عامر منطقة التيمرة الكبرى من أصبهان ـ، ثم كتب قحطبة إلى أبي عون وهو بأبهر أن يتوجه فيمن معه حتى ينزل قرية تُسمى آبة من أصبهان. ففعل. وكتب إلى العكي وعامر: إن دهمهم من عدوهم ما لا قوة لهم به أن ينضمّوا إلى أبي عون ويطيعوه» [ص ٣٣٩] وكان ذلك في شهر جمادى سنة١٣١هـ.

ووجّه ابن ضُبارة سبعة آلاف فارس بقيادة عجرة المري إلى عامر بن إسماعيل في التيمرة، وكان مع عامر أربعة آلاف، فاقتتل الفريقان، فانهزم عسكر ابن ضُبارة وقُتل منهم نحواً من سبعمائة وهرب بقيتهم بخيولهم، وحوى عامر أثقالهم، «وكتب عامر إلى أبي عون والعكي بما صنع اللّه لهم، وكتب إلى قحطبة بما صنع اللّه بهم، فَلَمَّا ورد كتاب عامر إلى قحطبة وقرأه، قال: اللّه أكبر، وكبَّر الناس حتى ارتج عسكره بالتكبير.

فَلَمَّا بلغ الخبر ابن ضُبارة، وجّه خيلاً عظيمة مع أبي بكر بن كعب العقيلي ـ إلى عامر بن إسماعيل ـ فأقبل حتى نزل التيمرة الكبرى، وخَنْدَقَ على نفسه وعلى أصحابه. فكتب عامر بذلك إلى أبي عون وإلى العكّيّ، فوافاه أبو عون ومن معه ـ بأبّة ـ وزحفوا جميعاً إلى خيل ابنُ ضُبارة، فالتقوا بالتيمرة فتقاتلوا حتى حجز بينهم الليل، وانصرفت العباسية إلى معسكرهم، وانصرفت خيل ابن ضُبارة فتركوا خندقهم ولحقوا بابن ضبارة. وأصبحت العباسية فبلغهم جلاء عدوهم عن خندقهم فتحولوا إليه ونزلوه، وكتبوا بذلك إلى قَحْطبة. ولم يبرح العكيّ من موضعه بقُمّ، وذلك أنّه بلغه أن خيل المروانية قد توجّهت إلى قُمّ، فأقام لذلك».

---

(١) هو القائد عمر بن حَفْص بن قَبيصة بن أبي صُفرة المُهلبيّ العتكي الأزدي، وكان من أعلام آل المهلَّب.

قال الطبري: « . . وبلغ ابن ضبارة نزول الحسن بن قحطبة بأهل نهاوند فأراد أن يأتيهم معيناً لهم، وبلغ الخبر العكّي، فبعث إلى قحطبة يُعلمه، فوجّه زهير بن محمد ـ الأزدي ـ إلى قاشان، وخرج العكيُّ من قُمّ وخَلّف بها طريف بن غيلان، فكتب إليه قحطبة يأمره أن يقيم حتى يقدم عليه وأن يرجع إلى قُمْ. ففعل». [ص ١١٤ جـ ٩].

ثم سار قحطبةُ بجنوده إلى قُم ومنها إلى أصبهان، وسار إليه ابن ضبارة بجيشه من مدينة جيّ، فالتقى الفريقان في منطقة جابلق بأصبهان. وقد جاء في رواية الطبري أنه « . . كان قحطبة في عشرين ألفاً، وابن ضُبارة في مائة ألف. وقيل: في خمسين ومائة ألف» [ص ٩/١١٤] وكذلك قال ابن الأثير: «كان عسكر قحطبة عشرين ألفاً وعسكر ابن ضُبارة مائة ألف. وقيل: خمسين ومائة ألف»(١).

والأصوب أن جيش قحطبة كان زهاء ستين ألفاً، فقد جاء في أخبار الدولة أنه: «كان أبو سلمة قد كتب إلى أبي مسلم أن يسرب الجنود إلى قحطبة. . وقدمت الجنود إلى قحطبة ـ في الري ـ قائداً في إثر قائد حتى سرب إليه أبو مسلم أحد عشر قائداً في نحو عشرة آلاف». وأنه «أمر قحطبةُ أبا الجهم بعرض الجند وإحصاء من كان معه ـ بالرّي ـ فبلغوا نحواً من ثلاثين ألفاً، سوى من قَدِم على قحطبة بالرّي من القوّاد الذين ذكرناهم، فَلَمَّا فرغ من العرض أمر بأرزاقهم، وتهيأ للتقدم إلى أصبهان. . واستخلف قحطبةُ أسيد بن عبد اللّه الخزاعي على الرّي وسار في رجب سنة١٣١هـ فيمن كان معه، وأخذ في طريق وعرٍ اختصره، وقطع مفازة قارص مبادراً لابن ضُبارة، وسلك عقبة بينه وبين أصبهان فقطعها، وصار الذي بينه وبين العكي ثلاثة فراسخ» ـ وكان مع مقاتل العكي زهاء عشرة آلاف مقاتل ـ قال الطبري: «فَلَمَّا لحق قحطبة بالعكيّ ضم عسكر العكي إلى عسكره» ـ وبذلك بلغ عسكر قحطبة زهاء خمسين ألفاً، وكان مع أبي عون وعامر بن إسماعيل في التيمرة زهاء عشرة آلاف ـ قال صاحب أخبار الدولة: «وأرسل قحطبة إلى أبي عون وهو منه غير بعيد، فأقبل إليه أبو عون وعامر بن إسماعيل». [ص ٣٤٢] وبذلك يكون عسكر قحطبة زهاء ستين ألفاً، إلا أنه قام بتقسيمهم قبل المعركة إلى ميمنة وميسرة ومؤخرة وقلب، فكان قلب الجيش نحو عشرين ألفاً بقيادة قحطبة، والبقية في الميمنة والميسرة، لذلك قيل: «كان عسكر قحطبة عشرين ألفاً» ـ كما في رواية الطبري وابن الأثير ـ وقال البلاذري: «كان قحطبة في اثني عشر ألفاً»(٢). ونرى أن الروايتين إنما ذكرتا (قلب

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣١٨ جـ ٤.
(٢) أنساب الأشراف ـ البلاذري ـ ص ٤٠٧ جـ ٣.

جيش قحطبة) وإن جيش قحطبة كان زهاء ستين ألفاً، أما جيش ابن ضُبارة فكان مائة ألف، وقيل: مائة وخمسون ألفاً.

قال صاحب أخبار الدولة: «ثم إنّ قحطبة عبّأ الناس وجعل على ميمنته مقاتل بن حكيم العكي، وعلى ميسرته أبا غانم عبد الحميد بن ربعي ـ الطائي ـ، وجعل عامر بن إسماعيل خلفه مع أبي شراحيل ليكون ردءاً لهم.. وخرج ابن ضُبارة فصفّ أصحابه، وجعل على ميمنته محمد بن نباتة بن حنظلة، وعلى ميسرته عطيف بن بشر الأسدي.. وفي الميسرة داود بن يزيد بن هبيرة.. ونصب ابن ضُبارة علماً أصفر ونادى مناديه: من أتى هذا العلم فهو آمن.. وأمر قحطبةُ شجرة الكندي فنادى: ندعوكم إلى العطاء والرزق..» وقال الطبري: «أمر قحطبةُ بمصحف فنُصب على رمح ثم نادى ـ مناديه ـ: إنّا ندعوكم إلى ما في هذا المصحف، فشتموه وأفحشوا في القول».

وعندئذ «قال قحطبةُ لأصحابه: يا معشر المؤمنين شدّوا كشدّاتكم الكريمة يجمع اللّه لكم بها خير الدنيا والآخرة» ـ وأمر قحطبةُ مقاتل بن حكيم العكي أن يهجم بالميمنة على ميسرة الجيش المرواني، ففعل، وهجم قَحْطبةُ بقلب جيشه على قلب الجيش المرواني، بينما هجمت ميمنة الجيش المرواني على ميسرة جيش قحطبة، وكان الجيش المرواني يقاتلون وهم يصيحون (مروان. مروان). ولذلك «قال بعض الشعراء:

قَرْضَبَهُمْ قَحْطَبَةُ القِرْضَبُ يدْعُونَ مَرْوَانَ كَدَعْوَى الرَّبِّ»[١]

قال ابن الأثير: «أرسل قحطبة إلى أصحابه يأمرهم بالحملة، فحمل العكيُّ، وتهايج الناسُ ولم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم أهل الشام وقُتِلوا قتلاً ذريعاً». وقال صاحب أخبار الدولة «كان مقاتل بن حكيم العكّي أول من حمل على ميسرتهم وفيها داود بن هبيرة، فثبتوا قليلاً، ثم كشفهم، ودخل العسكر [أي: دخل معسكرهم].

وحمل قحطبةُ وهو في القلب فأزال من يليه ودخل العسكر، وكان ابن ضُبارة جالساً في الفسطاط قد وُضعت بين يديه البدور ونادى مناديه: من جاء برأس فله ألف درهم..» قال ابن الأثير: «انهزم ابن ضُبارة حتى دخل عسكره، وتبعه قحطبة، فنزل

---

(١) قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط: «قَحْطَبَه: صَرَعَه وبالسَّيفِ علاه» [ص ١١٨ جـ ١]. ومعنى «قرضَبَهُ: قَطَعه.. والشيء فَرَّقه.. والمقَرْضِبُ: الذي لا يدع شيئاً إلا أكله» [ص ١/١٢٠ ـ القاموس المحيط].

ابن ضُبارة ونادى: إليّ إليّ، فانهزم الناس عنه، وانهزم داود بن هبيرة، فسأل عنه ابن ضُبارة. فقيل: انهزم، فقال: لعن اللَّه شرنا مُنقلباً. .» وجاء في تاريخ الطبري: «إن ابن ضبارة كان في خيل ليست معه رجّالة، وقحطبة معه خيلٌ ورجّالة فرموا الخيل بالنشاب فانهزم ابن ضبارة حتى دخل عسكره، واتّبعه قحطبة، فترك ابن ضُبارة العسكر، ونادى: إليّ إليّ، فانهزم الناسُ عنه. .».

وكان محمد بن نباتة قد هجم بميمنة الجيش المرواني على ميسرة جيش قحطبة. قال صاحب أخبار الدولة: «حمل محمد بن نباتة على عبد الحميد بن ربعي الطائي وهو في الميسرة حملة شديدة، فهزم الميسرة هزيمة شديدة وخلّوا لهم موقفهم. فصاح عامر بن إسماعيل المُسلي يومئذ ـ وهو في المؤخرة ـ: يا فتيان أعينوا إخوانكم، فشدّوا عليهم، فثبتَ لهم محمد بن نباتة وقاتلهم قتالاً شديداً، ثم إن سالماً صاحب لواء عامر شدّ على رجل منهم يُقال له عُجرة وكان على مقدمة ابن ضبارة فَلَمَّا هُزم القلبُ مال إلى ابن نباتة وكان عجرة فارس القوم فطعنه سالم في فخذه فولّى هارباً وسقطت راية كانت في يده فتناولها أبو الأسد الأعمش فرفعها منكوسة.

وبَيْنَا هم كذلك إذْ صاح صائح: قُتِل ابن ضُبارة. فارفضّ القوم ووقفوا غير بعيد، وصاح صائح: أُلقوا الفسطاط، فَلَمَّا أُلقي الفسطاط استحقت الهزيمة فولّى القومُ جميعاً مُنهزمين. . وقد قُتِل ابن ضبارة ـ في الفسطاط ـ وما تحلحل عن موضعه» وفي قتله قال الشاعر:

تـعـاوره عـكٌ وطـيءٌ ومَـذْحَـجُ   بـبِيضٍ تـقـدُّ الـبِيْضَ قـدّاً مُـشـهـرا

واحتوى قحطبةُ عسكر ابن ضبارة وما فيه» ـ أي معسكر جيش ابن ضبارة ـ.

قال ابن الأثير: «أصابوا عسكر ابن ضُبارة وأخذوا منه ما لا يُعلم قدره من السلاح والمتاع والرقيق والخيل. وما رُئِيَ عسكر قط كان فيه من أصناف الأشياء ما في هذا العسكر. كأنّه مدينة. وكان فيه من البرابط والطنابير والمزامير والخمر ما لا يحصى». [ص ٣١٨/ ٤ ـ الكامل] ـ قال صاحب أخبار الدولة: «. . بلغنا أنه أُحصيَ ما أصابوا في عسكر ابن ضبارة من النساء فبلغن بضعة عشر ألف امرأة حرائر قد سباهنّ جند أهل الشام [أي الجيش المرواني] من القرى والمدائن التي كانوا يمرّون بها، فخلّاهن قحطبةُ وصرفهنّ إلى أوطانهن.

وكانت الموقعة بجابلق من أرض أصبهان يوم السبت لسبع بقين من رجب سنة١٣١هـ. . وفيها قال الشاعر:

سَمَا عـامرُ الـمريُّ في يـوم جـابُـلَـقْ   بزحف بني مروان يطلبُ بالذحل

هنالك عبّا قَحْطبُ الخيرِ جمعهُ … وجرّد سيفَ الحقّ فيهم على رسلِ
وشدّ عليهم شدّة صيْلميّةً … تبدّدَ منها جمعُهم خِيفةَ القتلِ
وكان له العكّيُّ خيرَ مؤازرٍ … يحوطُ جناحَ القلبِ بالخيل والرَّجْلِ
فما لبث العكيُّ أن هدّ ركنهم … ببيضٍ رقاقِ الحدّ محدثةِ الصقل
وما خار فيها عامرٌ حين عرّدت … كتائبنا خوف الأسنّةِ والنبلِ
حَمَى ميسَرَتْنا أن تضامَ، وإنّما … تكشّفُ أخيارُ الكماة لدى الفعل
بفتيان صدقٍ ليس فيهم مواكلٌ … ولا ناكلٌ في الجدّ منهم ولا الهزلِ
فما لبث المريُّ أن فضّ جمعَهُ … وأصبح مسلوب الإمارة والشمل
وغودرَ في قاعٍ من الأرض صفصفٍ … بمصرع ذلٍّ لا كبيرٍ ولا سهلِ
تعاوره عوجُ الضباع وتارةً … تظلُّ إليه الطيرُ تُسرعُ في الحجلِ

وقال العكيّ في قَحْطبة بن شبيب الطائي:

للّه قَحْطبةُ المأمونُ من رجلٍ … ماذا به كان للأعداء يُدّخرُ
لمّا تَوَرّدَهُ المريُّ مقتدراً … أعطى المفازة قوداً وهو مقتسرُ
فكم لقَحْطب في قيسٍ وأخوتها … من المآثرِ إذْ حازوا وإذْ مكروا
أبادهم بسيوفٍ غير ناقصةٍ … عن العدوّ وإنْ قلّوا وإن كثروا

بينما قال رجلٌ من بني فزارة [القيسية عشيرة ابن هبيرة وكان ممّن هرب إليه]، قال:

لحى اللّهُ طيّاً في الرجال فإنها … إلى الكفر تعشو كالليوث الهواصر
تريدُ زوالَ المُلكِ عن مستقرّه … وتوقدُ نيرانَ الحروبِ المساعر
فما ولدت طيّاً ومَذْحج حُرّةٌ … ولا حاولتْ بالرشدِ إحدى المفاخرِ

فأجابه عبد اللّه بن عُمير المُسْليّ المذحجيّ:

أتسمو إلى طيىءٍ ولولا ضِرابُها … لمالتْ قناةُ الدين بل لم تُهاجرِ
إذا غضبوا شقّوا السماء تكاثراً … وأظلمَ أُفقاها على كل ناظرِ
وهدّوا الجبالَ الشمّ هدّاً ونهنهوا … كواكب إلّا يمسكوها تَنَاثر»[١]

وقد حسمت موقعة أصبهان المواجهة في أقاليم إيران، إذْ أنّ فلول الجيش المرواني الذين كانوا مع ابن ضُبارة تصدّعوا عن بلاد أصبهان وفارس وساروا مع محمد بن نباتة وداود بن يزيد بن هبيرة وبقية من نجا من قوّادهم إلى يزيد بن هبيرة

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٣٤٦ ـ ٣٥٠.

أمير العراق ـ بالعراق ـ وقد سيطر القائد محمد بن الأشعث الخزاعي على منطقة كرمان وفارس (جنوبي إيران) ورابط فيها، بينما «أقام قَحْطبةُ في أصبهان نحواً من عشرين يوماً، وقَدِم إليه أهل رساتيق أصبهان وبايعوه. وكتب قحطبةُ إلى أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي وهو بالرّي يأمره بالقدوم إليه، فقَدِم أُسيد وتولّى الريّ مكانه موسى بن كعب، واستخلف قحطبةُ أسيداً بأصبهان. ثم سار قحطبةُ إلى نهاوند في أواخر شعبان سنة١٣١هـ».

انتصار قحطبة في نهاوند واستكمال سيطرته على إيران:

كانت مدينة نهاوند آخر معقل للسلطة المروانية وجيشها بأقاليم إيران ـ لأن نهاوند تقع في إيران حالياً وكانت تابعة للعراق آنذاك ـ وكان قد تحصن بمدينة نهاوند الجيش الذي بعثه مروان بقيادة مالك بن أدهم الباهلي وفلول الجيش الذي كان مع نصر بن سيار من أهل خراسان، وكان الحسن بن قحطبة يحاصر مشارف نهاوند منذ خمسين يوماً.

قال صاحب أخبار الدولة: « . . سار قحطبة إلى نهاوند في أواخر شعبان سنة١٣١هـ، وقد حاصرها الحسن قبل قدوم أبيه نحواً من خمسين ليلة، فَلَمَّا قَدِمها قحطبةُ وجّه الحسنَ فيمن معه إلى قرماسين وأمره أن يقيم بها ويُفرّق مسالحه ويحتفظ بالطرق ويبذرق القوافل. . وأقام قحطبة محاصراً لأهل نهاوند»[١].

وكذلك «وجّه قحطبةُ عامر بن إسماعيل المُسلي إلى ناحية الدينور لمحاربة عبد الصمد الحروري، فهزمه عامر، وأقام بناحية الدينور»[١] وقَدِم إلى قحطبة وهو يحاصر نهاوند [في رمضان] ثمانية عشر قائداً في نحو من خمسة عشر ألفاً، وكانوا من قوّاد قحطبة بأطراف خُراسان فأقبلوا إلى نهاوند «وكان فيهم حُميد بن قحطبة في ثلاثة آلاف رجل، فَلَمَّا قَدِم على أبيه ولّاه المقدمة على الحسن، فاستعفى حميد ـ تقديراً ـ لمكان الحسن فأعفاهُ وولّاه الساقة، ووجّه بسام بن إبراهيم في أصحابه إلى الحسن بقرماسين»[١] وقال الطبري: «لما قَدِم قحطبةُ نهاوند، والحسن محاصرهم، أقام قحطبة عليهم، ووجّه الحسن إلى مرج قلعة»[٢] ويبدو أن مرج قلعة هي قاعدة منطقة قرماسين، فسيطر الحسن عليها ونشر الحاميات المسلحة في أرجائها، وأقام بها، كما أقام عامر بن إسماعيل بالدينور، وتقع قرماسين والدينور على مشارف العراق وكذلك نهاوند.

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٣٥١ و٣٥٨ و٣٥٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١١٦ جـ ٩.

ومكث قحطبة محاصراً نهاوند ولم يرغب في قتال الذين بها من جُند خراسان وجند الشام ودعاهم إلى الأمان ـ في رمضان ثم شوال ـ قال الطبري: «حاصرهم قحطبة أشهراً ودعاهم إلى الأمان فأبوا، فوضع عليهم المجانيق.. وأرسل إلى أهل خراسان الذين في نهاوند يدعوهم إلى الخروج إليه وأعطاهم الأمان فأبوا ذلك ثم أرسل إلى أهل الشام بمثل ذلك..» [ص ١١٥ جـ ٩] ـ وجاء في كتاب أخبار الدولة العباسية أنه: «.. أقام قَحْطبة محاصراً لأهل نهاوند، وألحّ عليهم إلحاحاً.. وراسل من بها من أهل خراسان وقال لهم: أنتم آمنون، فمَنْ أحبّ أن يخرج إلينا ويكون معنا فَرَضنا له وواسيناه، ومن أحب أن ينصرف إلى خُراسان توثّقت له في أمانه من أبي مُسلم، ومن أحبّ أن يمضي إلى غيرها فموسّع عليه. فلم يجيبوه. ثم عاودهم وقال: (ومن أحسنُ قولاً ممن دعا إلى اللّه وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين). فأغلظوا له وشتموه وقالوا: يا ساحر. فأقام يدعوهم إلى الأمان نحواً من أربعين ليلة، وكان حريصاً على استبقائهم».

وفي حوالي ١٠ شوال «كتب أبو سَلَمَة حَفْص بن سليمان إلى قحطبة: إنّ إقامتك على نهاوند قد قوّت من جُند مروان ونسوا ما دخلهم من روع إيقاعك بهم مع ابن ضبارة، فإن تعذّر عليك الظفر بهم فأعطهم الأمانَ وخلّهم والتفرّق عنك، ليخلو لك وجهك لابن هبيرة، ومَن قد وجّه مروان إليكم من ناحية الموصل. ولَمَّا رأى قحطبة مصابرة أهل نهاوند إياه، وأتاه كتاب أبي سلمة بأن يؤمّنهم، راسل من بها من أهل خراسان..» ـ والأصوب أنه عاود مراسلتهم، وكذلك وضع المجانيق على نهاوند وشدّد عليهم الحصار.. «فأرسل قحطبة إلى أهل خراسان الذين في مدينة نهاوند يدعوهم إلى قبول الأمان وقال لهم: إنكم من أهل مدرتنا، وأحقّ من أدركته عافيتنا، وقد ترون بلاء اللّه عندنا، فمِن الآن فأجيبونا، وليكن أمرنا واحداً، فإنّ مروان ليس بأهل أن تقُوه بأنفسكم. فأبوا أن يجيبوه. فأرسل إليهم: إنّي إن دعوتُ أهل الشام إلى مثل ما دعوتكم إليه أجابوني، وصارت الحسرة بكم. فأبوا أن يجيبوه. فَلَمَّا آيس منهم راسل أهل الشام، فقال قحطبة ليزيد بن حاتم المهلّبي[1]: يا أبا خالد، هؤلاء الذين على سور المدينة أهل فلسطين وصاحبهم فيما بلغني النضر بن

---

(١) هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب الأزدي. كان من رؤساء أهل البصرة والعراق، ولَمَّا قتل الجيش المرواني أخاه داود بن حاتم بالأهواز في ذي القعدة ١٢٩هـ سار يزيد بن حاتم في كوكبة من آل المهلّب إلى خراسان ثم انضم إلى الدعوة العباسية مع عليّ بن جديع الكرماني والمعارضة اليمانية هناك في شهر جمادى سنة ١٣٠هـ ثم صار من قوّاد قحطبة الطائي.

حميد اللخمي[1] فأته وكلّمه وادعه إلى قبول الأمان فلعله يأنس بك للعشرية. فأتاه يزيد بن حاتم ـ إلى موضع في السور ـ فذكر له أفعال مروان في قومه واستهانته بهم وإيثار غيرهم عليه ودعاه إلى الدخول في أمره.. فقال النضر بن حميد: واللّه إنّي لأعلمُ أن الأمر كما ذكرتَ، فأما الدخول معكم فلا يكون ومن بني مروان خليفة، وأما الخروج من نهاوند فإنّا نجيبكم إليه على أن تؤمّنونا وتوثّقوا لنا. فرجع يزيد بن حاتم إلى قحطبة فأعلمه ذلك، فأعطى قحطبةُ مَنْ بنهاوند من أهل الشام خاصة ما وثقوا به، فَلَمَّا استوثق للنضر بن حميد في ذلك، لقي النضرُ مالكَ بن أدهم ـ وقد كانوا جهدوا في الحصار حتى صاروا إلى أكل لحوم الدواب والميتة ـ فقال له النضر: عَلَامَ نقتل أنفسنا بالجوع ونعرّضها للقتل وقد انقطعت الأمداد عنّا، وقد بذلوا لنا الأمان، اقْبِل أيها الرجل أمانهم قبل أن تلتقي حلقتا البطان عليك فتسألُ ذلك فلا تُجاب إليه، فقال مالك: وكيف لنا بذلك؟ قال النضر: أنا لك به هذا يزيد بن حاتم رسول قحطبة بذلك، أفتريد أوثق منه؟ فقال مالك: حسبي إن كان ابناً ليزيد بن حاتم، فدنا النضر من يزيد فكلمه ومالك يسمع كلامهما، قال: فأوثقوا لنا. فتراسلوا في ذلك وهم يسرُّونه (أي: سراً) حتى صاروا منه إلى ما أرادوا». [ص ٣٥٣].

وقد اكتمل الاتفاق بين قحطبة ويزيد بن حاتم من جهة وبين مالك بن أدهم والنضر بن حميد من جهة أخرى في أوائل ذي القعدة، وكان مالك بن أدهم أمير جند الشام الذين بنهاوند.. قال الطبري: «..كان قحطبة أرسل إلى أهل خراسان الذين بنهاوند ودعاهم إلى الأمان، فأبوا ذلك، ثم أرسل إلى أهل الشام بمثل ذلك فقبلوا.. طلب مالك بن أدهم الأمان لنفسه ولأهل الشام، وأهل خرسان لا يعلمون، فأعطاه قحطبة الأمان.. فبعث أهل الشام إلى قحطبة يسألونه أن يشغل أهل المدينة بالقتال حتى يفتحوا الباب وهم لا يشعرون، ففعل ذلك قحطبة وشغل أهل المدينة بالقتال، ففتح أهل الشام الباب الذي كانوا عليه.. ولَمَّا صَالَح مالك بن أدهم قَحْطَبَة قال بيهس بن بديل السُلمي: إن ابن أدهم ليُصالح علينا واللّه لأفتكنّ به، فوجد بيهسُ وأهلُ خراسان أن مالكاً قد فتح لهم الأبواب ودخلوا المدينة..» ـ وقال صاحب أخبار الدولة: «زحف إليهم قحطبة وقد تواطأ أهل الشام معه، فنظر من معهم من أهل خراسان إلى ما صنعوا فقالوا: ما هذا؟ قالوا: قد استأمنّا لنا ولكم. ومضى أهل الشام لوجوههم». ثم قال: إن قحطبة وأصحابه لَمَّا دخلوا مدينة نهاوند

---

(١) النضر بن حميد بن نصر اللخمي، كان أبوه من قادة يمانية الشام من أصحاب خالد بن عبد اللّه القسري، ولَمَّا قتل الخليفة الوليد خالداً في محرم ١٢٦هـ وثار يمانية الشام كان حميد بن نصر اللخمي عاشر عشرة اقتحموا قصر الوليد وقتلوه. [ص ١٢ جـ ٩ ـ الطبري].

«أخذوا من وجدوا فيها من أهل خراسان وأهل الشام فاستوثقوا منهم، فكان إذا أُتي بالشامي إلى قحطبة خلَّى سبيله وإذا أُتي بالخراساني أمر بحبسه». وقال الطبري: «وفَىٰ قَحْطبةُ لأهل الشام ولم يقتل منهم أحداً، وخلَّى سبيلهم، وأخذ عليهم ـ عهداً ـ ألّا يمالئوا عليه عدوًا، وقَتَلَ قحطبة من كان بنهاوند من أهل خراسان. .» [ص ١١٥/ ٩] وكان الذين بنهاوند من أهل خراسان ثلاثة آلاف غالبيتهم من العجم وفيهم جماعة من القادة العرب أصحاب نصر بن سيار، فجاء في أخبار الدولة أن قحطبة أمر بحبسهم ثم أمر بقتلهم، «فقُتلوا جميعاً، فذكروا أن عدّتهم ثلاثة آلاف وفيهم أبو كامل الغادر ولم يُعط بيده بل قاتل حتى قُتِل» ويدل قوله (بل قاتل حتى قُتِل) على أنه لم يكن أسيراً وإنما قُتِل في المعركة لَمَّا دخل قحطبة وجنوده نهاوند، وكذلك فإن أغلب الثلاثة آلاف من أهل خراسان قُتِلوا في المعركة، وكان الذين تم أسرهم ثمانية من القادة، فقد ذكر الطبري أنه: « . . كان عاصم بن عمير السمرقندي دخل سرباً فعرفه رجلٌ من أهل اليمن فأتى قحطبة فأخبره فقال: رأس من رؤوس الجبابرة فأرسل إليه فقتله. . وقتل قحطبةُ من أهل خراسان أبا كامل، وسيار بن نصر بن سيار، وحاتم بن الحارث بن سريج التميمي، وعليّ بن عقيل، وبيهس بن بديل، وقطن بن حرب الهلّالي، ورجلاً يقال له البختري من قريش». [ص ١١٥ جـ ٩] وأعطى قحطبة الأمان لسائر أهل نهاوند، ووفى بالأمان لجند الشام فرحلوا مع مالك بن أدهم. . قال صاحب أخبار الدولة: «وكان فتح نهاوند يوم الاثنين لخمس خلون من ذي القعدة سنة١٣١ هجرية».

* * *

ما بين فتح نهاوند. . ومسير قحطبة إلى العراق:

بفتح ودخول قحطبة الطائي مدينة نهاوند ـ في ٥ ذي القعدة سنة١٣١هـ ـ باتت سائر أقاليم مشارق العراق [إيران حالياً] بيد قَحْطبة وقادة جيشه، وزالت السلطة المروانية عن تلك البلاد، كما زالت قبل ذلك عن ولاية خُراسان. وفيما بين فتح نهاوند ومسير قحطبة الطائي بجيشه إلى العراق ـ في ذي الحجة ١٣١هـ ـ وقعت أمور هامة.

أولاً: قال صاحب أخبار الدولة: «كان يزيد بن هبيرة ـ أمير العراق ـ وجّه عبيد اللّه بن العباس الكندي في عشرين ألف رجل من أهل الشام والعراق إلى نهاوند ليغيث من بها، فسار حتى انتهى إلى الطريق فَلَمَّا بَلَغ إلى طزَرَ بلغه نزول قحطبة نهاوند، فأقام وكتب إلى ابن هبيرة يخبره بذلك، فكتب إليه يأمره بالانصراف إلى حُلوان، فأقام بحُلوان حتى أتاه خبر فتح نهاوند، فكتب إلى ابن هبيرة بذلك. .» وكذلك «قَدِم مالك بن أدهم وأصحابه على ابن هبيرة بالكوفة» وبالتالي عرف ابن

هبيرة بسقوط نهاوند بيد قحطبة الطائي وكتب ابن هبيرة والقادة الذين معه بالخبر إلى مروان.

وقد جاء في رواية للطبري ما يلي نصه: «لما فتح قحطبة نهاوند أرادوا أن يكتبوا إلى مروان باسم قحطبة، فقالوا: هذا اسمٌ شنيعٌ إقلبوه فجاء (هبط حق) فقالوا: الأول مع شنعته أيسر، فردوه». [ص ١١٦ ج ـ ٩] وأقول:

أ ـ إن إسم قَحْطبة اسمٌ يعربيٌّ عريقٌ. قال الفيروزآبادي في القاموس: «قَحْطَبَهُ: صَرَعَه وبالسَّيفِ عَلَاه. والحسن بن قَحْطَبَة الخلّبيُّ مُحَدِّثٌ»[1]. وقد ذكر الطبري في نبأ موقعة أصبهان في رجب ١٣١هـ أنه: «قال الشاعر:

قَرْضَبَهُمْ قَحْطَبَةُ القِرْضَبُ يَدْعُونَ مَرْوانَ كدَعْوَى الرَّبِّ»

[ص ١١٤ جـ ٩].

وجاء في القاموس: «قَرْضَبَه: قَطَعَه.. والشيء فَرَّقه، واللّحم أكل جميعه.. والمُقَرْضِبُ: الذي لا يدع شيئاً إلّا أكَلَه»[1].

ب ـ إن الخليفة مروان بن محمد كان يعرف أن قحطبة الطائي هو الذي هزم ودحر جيوشه منذ موقعة طوس (شعبان ١٣٠هـ) وفي موقعة جُرجان (ذي الحجة ١٣٠هـ) وموقعة أصبهان (رجب ١٣١هـ). وكان اسم قحطبة شنيعاً على المروانية لما يثيره من الرعب في نفوسهم فَلَمَّا فتح نهاوند (في ذي القعدة) أرادوا تخفيف وطأة الاسم على مروان فقلبوه فجاء (هبط حق).

ـ وقد يعني (هبط حق الخلافة المروانية) فقالوا: اسم قحطبة أيسر، فكتبوا إلى مروان باستيلائه على نهاوند. وقد كتب مروان رسالة ذكر فيها قحطبة قائلاً: «رأس الخطيئة وعمود الضلالة قحطبة»[2]. وذلك يؤكد أن قحطبة كان رأس وعمود الدعوة العباسية منذ عقد له إبراهيم الإمام لواء الإمرة والقيادة وقال: «إن اللّه كاسر قرناً من قرون الشيطان على يديه» ويعني بالشيطان مروان، وبقرون الشيطان كبار أمراء وقوّاد مروان، أمثال نصر بن سيار، ونباتة بن حنظلة، وابن ضُبارة، ويزيد بن هبيرة، وقد كسر اللّه أغلب تلك القرون على يد قحطبة.

ثانياً: لَمَّا سقطت نهاوند بيد قحطبة وجنوده أعطى مروان بن محمد اهتماماً أكبر لمعرفة اسم (إمام الدعوة) وذلك لأنهم منذ إظهار الدعوة بخراسان كانوا يدعون إلى (الرضا من آل محمد) وكان قحطبة وأبو مسلم الخراساني والنقباء ونظراء النقباء

(١) القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي ـ ص ١١٨ و١٢٠ جـ ١.

(٢) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٣٥٦.

القادة بخراسان وأبو سلمة الخلال وبعض أصحابه بالكوفة هم فقط الذين يعرفون أن الإمام هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد اللّٰه بن العباس، أما سائر الذين انضووا في الدعوة فكانوا يعرفون أنه «الإمام» ـ فقط ـ وكانت الدعوة والبيعة باسم «الرضا من آل محمد» ولَمَّا فتح قحطبة نهاوند وبات جيش الدعوة على مشارف العراق ـ في ذي القعدة سنة١٣١هـ ـ أعطى الخليفة الأموي مروان بن محمد اهتماماً أكبر لمعرفة إمام القوم «الرضا من آل محمد». وقد شاعت في بعض المصادر رواية ذكرها الطبري وتزعم أنه «في سنة١٢٩هـ كتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد يخبره خبر أبي مسلم وكثرة من معه وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد.. فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية عامل دمشق يأمره أن يكتب إلى عامل البلقاء فيسير إلى الحميمة فيأخذ إبراهيم ويشدّه وثاقاً ويبعث به إليه، فكتب الوليد بن معاوية إلى عامل البلقاء فأخذ إبراهيم وكتّفه وحمله إلى مروان، فحبسه مروان في السجن»[1] وجاء في تتمة تلك الرواية أنه «حبسه مروان أياماً ثم وجّه قوماً فدخلوا السجن ليلاً فغمّوه وقتلوه». مما يعني أن حبسه وموته كان في ذي الحجة سنة١٢٩هـ، وذلك غير صحيح، ولم يكن نصر بن سيار يعرف إلى من يدعو أبو مسلم لأن الدعوة كانت إلى (الرضا من آل محمد) وقد ثبت في أخبار الدولة أنه «في سنة١٢٩هـ حجّ إبراهيم بن محمد وحجّ معه قحطبة الطائي، فلقيه عبد اللّٰه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بمكة فاستسلفه مالاً، وقد بلغه أن قحطبة قَدِم عليه بمال من خراسان، فقال له إبراهيم: كم تريد؟ قال: أربعة آلاف دينار، فقال: واللّٰه ما هي عندي ولكن هذه ألف دينار فخذها صلةً، فأخذها. وانصرفوا من حجّهم وقد سقط إلى عبد اللّٰه بن الحسن وضَحُ من أمر إبراهيم.. وانصرف إبراهيم إلى منزله في الحميمة بالشراة ـ في البلقاء ـ فكان على ما كان عليه من معالجة أمر الدعوة». [ص ٣٨٩] لَمَّا سيطرت الدعوة على مرو خراسان ـ في شهر جمادى سنة١٣٠هـ ـ جاء قحطبة بالخبر إلى إبراهيم الإمام، فكتب إبراهيم الجواب إلى أبي مسلم والنقباء وولّى قحطبة قيادة الجيش، فعاد إلى مرو، وجمع أبو مسلم النقباء والقادة وأخبرهم بالأمر، وقد سلفت نصوص ذلك في أخبار الدولة وتاريخ الطبري، فتولّى قحطبة القيادة وأخذ نيسابور وغيرها في شعبان سنة١٣٠هـ ثم هزم الجيش المرواني في جُرجان ودخلها في ذي الحجة سنة١٣٠هـ ثم أخذ إقليم الريّ في صفر ١٣١هـ وبايعه أهل جرجان والريّ للرضا من آل محمد.

وقد جاء في كتاب أخبار الدولة ما يلي: «كان إبراهيم الإمام تقدّم إلى أبي مسلم وإلى النقباء الاثني عشر في كتمان اسمه، تخوفاً من مروان بن محمد. فقال

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق د. عبد العزيز الدوري ـ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤.

مروان: كيف لي بأن أعرف اسم هذا الذي شيعته بخراسان؟ فقال له رجلٌ: أنا أتعرف لك ذلك يا أمير المؤمنين. فسار حتى صار إلى عسكر قَحْطبة، فَلَمَّا دخل قحطبة جُرجان وانهزم عنها نباتة بن حنظلة، جاء الرجل إلى قحطبة فسلّم عليه بالإمرة ثم قال له: جئت أُبايعك. قال قحطبة: بايع. قال الرجلُ: لمن أُبايع؟ قال: للرضا من آل محمد. قال الرجل: هذه بيعة مجهولة لا يصح بها عقد. قال قحطبة: وكيف؟ قال: أرأيت إذا أخذ أهل كلّ بلدٍ رجلاً من آل محمد وقالوا: الرضا في أيدينا، لمن تكون بيعتي منهم؟ فزجره قَحْطبةُ وقال: بايع. فقال الرجل: ما كنت لأبايع إلّا لمن أعرف اسمه. فاستشرف الجند هذا القول. فخاف قحطبة أن تفسد عليه قلوب الجند فقال له: بايع لإبراهيم بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن عباس بن عبد المطلب وهو بالشراة. فأوصل الرجل خبره إلى مروان. فأُخِذ إبراهيم فحمل إلى حرّان». [ص ٣٩١] ثم ذكر المصدر نفسه أن (أخذ إبراهيم) إنما كان بعد ذلك، والظاهر أن مروان لم يصدق ذلك الرجل، وظن أن قحطبة خدعه، بينما استمر قحطبة في اجتياح الأقاليم وهزم الجيش المرواني في أصبهان ـ في ٢٣ رجب ١٣١هـ ـ وبايعه أهل رساتيق أصبهان للرضا من آل محمد ثم سار إلى نهاوند وحاصرها منذ آخر شعبان ١٣١هـ وقد أصبحت جميع أقاليم إيران بيده وبايعته للرضا من آل محمد.

آنذاك ـ وكما جاء في كتاب أخبار الدولة ـ «انتهى إلى مروان ما يدعون إليه في الظاهر من البيعة للرضا من آل محمد. فقال مروان: شيخ هذا البيت وذو سنّهم عبد اللّه بن الحسن، وأحرِ به أن يكون صاحب هذا الشأن. فبعث إليه فأقدمه ـ من المدينة ـ وهو بحرّان، فأخبره بأمر الدعوة وأنه يتهمه في ذلك. فقال عبد اللّه بن الحسن: وما أنا وهذا، صاحب أمرهم إبراهيم بن محمد، وهو المتحرك لها، فشأنك به. فحلّفه مروان على براءته مما ظُنّ به، فحلف له، ولَمَّا حلّف أجزل صلته وخلّى عنه». [ص ٣٨٩] وقال صاحب أخبار الدولة: «قال أبو الخطاب: بلغ مروان أنَّ أبا مسلم وقَحْطبة وأصحاب الرايات السود وأشياعهم شيعة لإبراهيم بن محمد، وكان الذي أعلم مروان ذلك عبد اللّه بن الحسن. فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك وهو عامله على دمشق أن يوجّه إلى إبراهيم من يأتي به. فوجّه الوليد خيلاً عليهم قَطَريّ مولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فهجموا على إبراهيم في منزله بالحميمة، فاحتملوه، فأتوا به الوليد بن معاوية، فأنفذه إلى مروان وهو بحرّان. فَلَمَّا أتى إبراهيم حَلَبَ [وهو والذين معه في طريقهم إلى حرّان وأقاموا يومين في حلب] كتب إبراهيم مع رجل من موالي عبد اللّه بن عباس يقال له عبد اللّه بن هلال ينزل حلب، كتاباً إلى أبي مسلم [بخراسان]. وكتب بهذه النسخة ـ أيضاً ـ إلى أبي

سلمة [بالكوفة] مع المهلهل بن صفوان، وبهذه النسخة إلى قحطبة [بنهاوند] مع إبراهيم بن سَلَمة، وكان هذا الكتاب آخر كتاب كتبه إبراهيم، ونُسخته:

(بسم اللّه الرحمن الرحيم. اللّه لا إله إلا هو ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومَنْ أصدقُ مِن اللّه حديثاً، أما بعد، فإن رأيتموني قتيلاً أو ميتاً فلا يثنيتكم ذلك عن القيام بالحق فوَالذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ليُتمنّ اللّه أمركم وليُعزّنّ دعوتكم وليُظهرنّ حقكم وليقتُلنّ جبابرة بني أُمية بأسيافكم، وليَقُومَنّ رجلٌ من إخوتي خليفة مطاعاً وإماماً متبوعاً وهو عبد اللّه الأصغر ابن الحارثية. فلا يدخلنّ رجل منكم مرية إن فقدتموني ولا ارتياب. واللّه عليكم وكيل وعلى ما أقول شهيد)[1].

وسار إبراهيم بن سلمة بكتاب إبراهيم الإمام إلى قحطبة بنهاوند وناوله الكتاب فقرأه قحطبة وكتم الأمر، وكذلك كتم أبو سلمة الخلال الخبر لَمَّا أتاه مهلهل بن صفوان بكتاب إبراهيم إلى الكوفة، بينما سار عبد اللّه بن هلال بكتاب إبراهيم إلى أبي مسلم الخراساني في مرو فناوله الكتاب ـ وذلك في أواسط ذي القعدة ـ فكتم أبو مسلم أيضاً خبر حبس إبراهيم الإمام، وقد تزامن ذلك ـ تقريباً ـ مع وصول رسول من قحطبة إلى أبي مسلم بخبر فتح نهاوند ومقتل أهل خراسان الذين كانوا بها، واكتمال دخول مشارق العراق في طاعة الدعوة والرضا من آل محمد.

وأما إبراهيم فجاء في أخبار الدولة أنه « . . أُدخل إبراهيم إلى مروان بن محمد ـ بمدينة حرّان ـ فأنّبه وشتمه، فاشتد لسان إبراهيم عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين ما أظنّ إلّا ما يروي الناس عليك حقاً في بغض بني هاشم، ما لي وما تصف؟ فقال له مروان: أدركك اللّه بأعمالك الخبيثة. اذهبوا به إلى السجن. فحبسوه». [ص ٣٥٤] وقد أنكر إبراهيم أنه صاحب أمر الدعوة بقوله لمروان (ما لي وما تصف). ولَمَّا مات وهو بالحبس (في أوائل محرم) لم يكن حتى مروان متيقناً بأنه إمام الدعوة (الرضا من آل محمد). أما قحطبة وقادة الدعوة فكانوا على علم بأنه إذا مات إبراهيم فالإمام أبو العباس عبد اللّه بن محمد بن عليّ (ابن الحارثية) ولم يكن لحبس إبراهيم تأثير في مسار الأحداث.

ثالثاً: قال صاحب أخبار الدولة: «كان فتح نهاوند يوم الاثنين لخمس خلون من ذي القعدة سنة١٣١هـ. . وكتب قحطبةُ إلى أبي مسلم بفتح نهاوند وبعث إليه بالرؤوس [رؤوس القادة الخراسانيين المروانيين الذين قتلهم بنهاوند]

(١)أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق د. عبد العزيز الدوري ـ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤.

فَلَمَّا أتاه ذلك أَقْدَمَ أبو مسلم على ابنيْ جُديع الكرماني فقتلهما، فَلَمَّا أتى قحطبةَ الخبرُ بذلك تَمَثَّلَ:

لـنـا يـومٌ ولـلـكُـروانِ يـومٌ   تـطـيـرُ الـيـائـسـاتُ ومـا نـطـيـر»
[ص ٣٥٤]

وقد تمثل قحطبة بهذا البيت تعبيراً عن الاستياء من غدر أبي مسلم بالزعيم اليماني عليّ بن جُديع الكرماني وأخيه عثمان. وقد ذكر الطبري رواية تزعم بأن قتلهما كان سنة١٣٠هـ والصواب: بعد فتح نهاوند. في أواسط ذي القعدة ١٣١هـ لأنّه «في صفر سنة١٣١هـ سار أبو مسلم من مرو إلى نيسابور ومعه عليّ بن جديع الكرماني يُصلي أبو مسلم خلفه ولا يقطع أمراً دون عرضه عليه ورضاه به. ثم عاد أبو مسلم إلى مرو، ومعه عليّ الكرماني..» [ص ٣٣٧].

لقد كان الكرماني وأبو مسلم يحكمان سويًّا ولا يقطع أبو مسلم أمراً دون عرضه عليه ورضاه به، وذلك لأن غالبية القادة والجند بمناطق خراسان كانوا ما يزالون من اليمانية وخاصة من الأزد. ثم وجّه أبو مسلم غالبية القادة اليمانيين وجنودهم مدداً إلى قحطبة في موقعة أصبهان حيث وجّه إليه «أحد عشر قائداً في نحو عشرة آلاف رجل» ثم أثناء حصار قحطبة لنهاوند «وجّه إليه ثمانية عشر قائداً في نحو خمسة عشر ألفاً، وكان فيهم حميد بن قحطبة في ثلاثة آلاف» وكان جميع القادة أولئك من اليمانية، وكذلك كان غالبية القادة والجند الذين مع قحطبة ـ قبل قدوم أولئك ـ من العرب اليمانية. وأدى ذلك إلى ضعف الثقل القيادي العربي اليماني بخراسان، فأخذ أبو مسلم يسعى للتخلص من الكرمانيّ والانفراد بالسلطة في خراسان، فَلَمَّا أتاه كتاب قحطبة بفتح نهاوند ـ وربما أيضاً خبر حبس إبراهيم الإمام ـ أقدم على قتل عليّ بن جديع الكرماني وأخيه.. وقال د. فاروق عمر ما يلي نصه: «ما إن تمكن أبو مسلم الخراساني من الأمور حتى دبّر أمر اغتيال عليّ بن جُديع الأزدي الكرماني زعيم قبائل الأزد اليمانية. والمعروف أن كَسب ابن الكرماني للدعوة العباسية كان النقطة الفاصلة التي حددت مصير الثورة العباسية ووضعتها على طريق النجاح، ولكن بعد نجاح الثورة طَالَبَ ابن الكرماني أن يكون والياً على خراسان، ولهذا دبّر أبو مسلم أمر اغتياله على يد أحد النقباء المعروف باسم خالد بن إبراهيم الذهلي، وبذلك تخلّص أبو مسلم من عائق (هام) أمام طموحاته»[١].

وقد أتاح قتل الكرماني لأبي مسلم أن ينفرد بالسلطة في خراسان لأن غالبية

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٥.

القادة اليمانيين كانوا مع الأمير قحطبة الطائي حين أتاه الخبر - في آخر ذي القعدة - وهو بنهاوند يتهيأ للتقدم إلى العراق، فتمثل قحطبة بقول الشاعر:

لـنـا يـومٌ ولـلـكُـروان يـومٌ   تـطـير البـائسـات ومـا نـطـيـرُ[١]

ولَمَّا أتى يوم أبي مسلم كان للحسن بن قحطبة وعدد من القادة اليمانيين دور رئيسي في ذلك ليس هنا موضع الحديث عنه لأنه كان في سنة١٣٦هـ.

رابعاً: لَمَّا بلغ الخليفة الأموي مروان بن محمد نبأ سقوط نهاوند بيد قحطبة - في ذي القعدة سنة١٣١هـ - بعث مدداً عسكرياً إلى ابن هبيرة أمير العراق بقيادة حوثرة بن سهيل - الذي كان أميراً لمصر - وكتب مروان إلى ابن هبيرة رسالة طويلة إلى أن قال فيها « . . فإن كانت فلول ابن ضُبارة ونهاوند قد تجمَّعت إليك، وقَدِم عليك الحوثرة بن سهيل فيمن معه، فانهض بنفسك للقاء هذا العدو، ولا تستبق شيئاً من جدّك»[٢]. فَلَمَّا اجتمعت الجموع سار ابن هبيرة بجيش كثيف يريد قتال قحطبة، فنزل جلولاء وعَسْكَرَ فيها، وذلك في ذي الحجة بينما تقدم قحطبة إلى العراق. . وعندئذ كانت المواجهة بأقاليم مشارق العراق (إيران وما يليها) قد انتهت، ولكن المواجهة في العراق كانت النقطة الفاصلة لتأسيس الخلافة العباسية.

---

(١) الكُروان: جمع كَرَوان وهو طائر معروف. وجاء عجز البيت في تاريخ الخلفاء « . . تطير البائساتُ وما نطيرُ».

(٢) أخبار الدولة العباسية - ص ٣٦٠.

الدور العربي اليماني في الانتصار على الجيوش المروانية بالعراق والموصل وانضواء العراق والشام ومصر في الخلافة العباسية

في ذي الحجة سنة١٣١هـ دخل الأمير قَحْطبة بن شبيب الطائي في أربعين ألفاً من جيش الدعوة العباسية منطقة حُلوان بالعراق.

وقد سبق مسير قَحْطبة من نهاوند إلى حُلوان اتصالات ومكاتبات بينه وبين أبي سَلَمة الخلّال القائم بأمر الدعوة العباسية السِّرِّية في الكوفة بالعراق وبعض القيادات والشخصيات التي انضوت في الدعوة سراً بمناطق العراق لكي تثور من الداخل. وهذه نقطة هامة تجهلها روايات الطبري وابن الأثير التي شاعت في العديد من المصادر المتأخرة. وقد حفظ لنا من أنباء ذلك كتاب أخبار الدولة العباسية أنه: «بعث أبو سَلَمَة رُسله ودعاته إلى البوادي المطلّة على أهل الكوفة والبصرة، وبعث إلى الموصل فدبّوا فيهم ودعوهم إلى النهوض، فألفوهم سراعاً إلى ذلك. فخرج موسى بن السري الأحول الهَمْداني بِحُلوان فأخذها ونفى عاملها وسوّد ودعا إلى آل

الرسول ﷺ، ووضع مسالحه بخانقين، وكتب إلى قحطبة بطاعته. وخرج في سواد الكوفة عدة من ربيعة وأخذوا أسافل الفرات كله.. وكاتبوا قحطبة، وأتته رسلهم بخروجهم فقرأ قحطبةُ كتبهم على أصحابه بنهاوند، فكبّروا واشتد سرورهم بذلك.

وكَاتَبَ قحطبةُ الناسَ يدعوهم، فكتب إلى إسحاق بن مسلم العقيلي ـ في هيت ـ وإلى سفيان بن معاوية ورَوْح بن حاتم المهلَّبيّين بالبصرة. وبعث بكتابه إلى إسحاق بن مسلم مع رجل من الأكراد، فأَقْبَلَ الكرديّ حتى إذا كان بهيت ظفرت به مسالح مروان ففتشوه فأصابوا الكتاب في عمامته، فبعث به قائدهم إلى مروان. فكتب مروان إلى إسحاق بن مسلم: إن صاحب هيت أصاب مع رجل من الأكراد كتاباً من رأس الخطيئة وعمود الضلالة قحطبة يدعوك إلى دعوته ويزيِّن لك ضلالته، ومثلك في خطرك وقدر النعمة عندك لم تستدرجه خدع السفهاء، فانظر لنفسك ومنصبك وعشيرتك، فإن الأمر الذي يريده القومُ قتلك وقتل نظرائك، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم فاقبَضها من العامل قِبَلك، وأقْدِم لتؤازر خليفتك على ما نابه وتشركه في جهاد عدوه والسلام». [ص ٣٥٦] وكان إسحاق العقيلي هذا من القيسية المُضريّة، وأخذ مكانه في الجيوش المروانية.

«وبعث قحطبةُ بكتابه إلى سفيان بن معاوية ورَوْح بن حاتم المهلَّبيّين بالبصرة مع رجل من أصحاب يزيد بن حاتم، فسوّدا وخرجا بالبصرة، ومتولّي البصرة يومئذ سلم بن قتيبة ـ عامل ابن هبيرة ـ فبذل لهما مالاً كثيراً على ألّا يخالفا، فأبيا..» وكذلك «خرج أبو أُمية التغلبي الربيعي بتكريت وما والاها، وتجمعت إليه جماعة من قومه، وكتب إلى قحطبة يخبره بذلك، فقرأ كتابه على مَن معه، فكبّروا وحسن موقع ذلك منهم».

* * *

دخول قَحْطبة قرماسين وحُلْوان:

«ولَمَّا فرغ قحطبةُ من نهاوند، وأتته كُتب من وثب بالسواد، شَخَص إلى قرماسين، وخلّف على نهاوند أبا عمارة محمد بن صول، وكتب إلى الحسن يأمره بالتقدم إلى حُلوان فقدّم الحسن خازم بن خزيمة أمامه. وأقبل قحطبةُ، وقد نزل الحسن بن قحطبة حُلوان، وألفى بها موسى بن السري الهمداني وقد سوّد وغَلَب عليها، فقدّمه الحسن إلى خانقين.. ونزل قحطبةُ حُلوان في ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين ومائة»[1].

(١) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٣٥٦.

وقد شاع في روايات الطبري وابن الأثير وغيرهما تسمية جيش قحطبة باسم (أهل خراسان) مما يعطي انطباعاً خاطئاً بأنهم قد يكونون من غير العرب، وإنما يقال (أهل خراسان) لأنهم من الجيش العربي الذي كان ببلاد خراسان ومشارق العراق، وقد دخل أكثرهم خراسان في عهد ولاية يزيد بن المهلّب للعراق ومشارقها وخراسان سنة٩٧ ـ ٩٩هـ وعهد ولاية أسد بن عبد اللّه القسري (سنة١١٦ ـ ١٢٠هـ) وقد سلف تبيين ذلك بالتفصيل. وكان أهالي وأقارب الكثير منهم بالبصرة والكوفة والجزيرة والشام، بل وبيوت الكثير منهم. وقد جاء في تاريخ الطبري وأخبار الدولة أسماء القوّاد الذين كانوا مع قحطبة، وغنيّ عن البيان أن كل قائد تكون القوة التي تحت قيادته من أبناء قبيلته وعشيرته بصفة رئيسية، وكان كل قائد يقود كردوساً (ألف مقاتل) على الأقل. وقد كان مع قحطبة نحو أربعين قائداً لَمَّا دخل حلوان، منهم (من طيىء): الحسن بن قحطبة، حُميد بن قحطبة، عبد الحميد بن ربعي، الفضل بن سليمان الطوسي الطائي، المخارق بن غفار الطائي، عبد اللّه بن عثمان الطائي، محمد بن سلمة الطائي. ومنهم (من الأزد): أبو عون عبد الملك بن يزيد، عبد الجبار بن عبد الرحمن، المنذر بن عبد الرحمن، كلثوم بن شبيب، محمد بن زهير، الهيثم بن معاوية، ومنهم (من آل المهلّب): يزيد بن حاتم، عمر بن حَفْص. ومنهم (من علكّ): مقاتل بن حكيم، عثمان بن نهيك. ومنهم (من خزاعة): أُسيد بن عبد اللّه، ذؤيب بن الأشعث، غيلان بن عبد اللّه الخزاعي. ومنهم: أبو حميد محمد بن إبراهيم الحميري، شجرة الكندي، جرير بن يزيد البجلي، خازم بن خزيمة التميمي، وغيرهم من القادة العرب، وكان عامر بن إسماعيل المسليّ المذحجي في الدينور.

* * *

انتصار أبي عون وعامر بن إسماعيل في شهرزور بالموصل:

قال ابن خلدون: «وبعث قحطبةُ أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي ومالك بن الهيثم في أربعة آلاف إلى شهرزور وبها عثمان بن سفيان.. فانهزم عثمان وقُتل، وغنم أبو عون عسكره وقتل أصحابه، وبعث إليه قحطبة بالمدد»[(١)].

وقال البلاذري: «وجّه قحطبة أبا عون ومالك بن الطوّاف في أربعة آلاف إلى شهرزور..»[(٢)] وجاء في أخبار الدولة بعنوان (فتح شهرزور) أنه «نزل قحطبة حُلوان

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٤٩٣.

(٢) أنساب الأشراف ـ البلاذري ـ ص ٤٠٨ جـ ٣.

في ذي الحجة سنة١٣١هـ. وكان مروان بعث عثمان بن سفيان في نخبة خيله على شهرزور، فانتهى الخبر إلى قحطبة بنزوله شهرزور فوجّه أبا عون حتى نزل قلعة النُسير، ثم كتب إليه قحطبة أن يقيم حتى يوافيه عامر بن إسماعيل. وكتب إلى عامر وهو بناحية الدينور يأمره بالانضمام فيمن معه وهم ثلاثة آلاف رجل إلى أبي عون، فسار عامر فوافى أبا عون بسن سُميرة. ومضى أبو عون إلى شهرزور حتى نزل البحيرة التي لقيته فيها خيل مروان.. وكان قد انضاف إلى عامر بن إسماعيل رجل من بني الحارث يقال له عفّاق بن سعيد في مائة رجل من قومه (من أهل الموصل).. وأتت أبا عون طلائعه فأخبرته بدنو عثمان بن سفيان منه، فسار أبو عون نحوهم، وقد تخلف عامر لمرضه في العسكر، فعبأ أبو عون من معه، فَلَمَّا تقارب منهم إذا أصواتٌ وتكبير من خلفهم، فنظروا فإذا هو عامر قد أقبل فانضم إليهم وقد أشرفوا على القوم فصار في الميمنة، وكان أول من حمل يومئذ الموصلية الذين كانوا مع عامر ثم حمل الناس على عثمان بن سفيان وجنوده فصبروا قليلاً ثم ولّوا فقُتلوا عن آخرهم»[١].

وقد جاء في النص السالف لابن خلدون أنه « ..مَلَك أبو عون بلاد الموصل»[٢] وقال الطبري: «توجّه أبو عون إلى شهرزور فقاتل عثمان بن سفيان، فقُتل عثمان، ثم أقام أبو عون بناحية الموصل»[٣] وجاء في أخبار الدولة أنه: «أشار عفاق الحارثي على أبي عون أن يتقدم من شهرزور إلى (مدينة) الموصل فإن مروان وترهم وأساء إليهم وما هو إلّا أن يسمعوا بخبر الدعوة ومن يقرب منهم من أهلها حتى يسوّدوا ويجيبوا، فَقَبل ذلك منه ومضى نحو الموصل، وانحاز أهل الموصل وأهل التخومات إلى عسكر أبي عون فصار في سبعة آلاف رجل [من أهل الموصل سوى من كان معه وهم سبعة آلاف] ونزل قرية يقال لها قرية الملح، فهاب التقدم [إلى مدينة الموصل] وقد بلغه تحرك مروان وأنه استنهض ابن هبيرة أهل الكوفة وقَدِم عليه حوثرة بن سهيل في جمع عظيم من أهل الشام»[١]. فتمركز أبو عون في قرية الملح بنواحي الموصل، وذلك في ذي الحجة ١٣١هـ.

زحف قَحْطبة من حُلوان إلى الفرات وإقليم الكوفة:

عندما دخل قحطبة الطائي حُلوان أَقْبَلَ يزيد بن هبيرة الفزاري أمير العراق من الكوفة في جيش مرواني كبير ونزل بجلولاء. قال صاحب أخبار الدولة: «شَخَص

(١) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٣٥٩.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٤٩٣.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨٠ جـ ٩.

ابنُ هبيرة إلى جلولاء في جموع أهل الشام، وخَندقَ على نفسه خندقاً حصيناً، وجمع العلوفات وآلة الحرب وظن أن الحرب ستطول. . وبلغ ذلك قحطبة فأجمع على الزحف للقاء ابن هبيرة. .» [ص ٣٦٣].

وجاء في تاريخ الطبري ما يلي: «سار ابن هبيرة حتى نزل جلولاء وخَنْدَق ـ بها ـ وأقام. وأقْبَلَ قحطبة حتى نزل قرماسين ثم سار إلى حُلوان ثم تقدم فنزل خانقين، وابن هبيرة بجلولاء بينهما خمسة فراسخ. . فبعث قحطبةُ ابنه الحسن طليعة ليعلم له خبر ابن هبيرة. . فوجد الحسن وطلائعه أن ابن هبيرة مقيم في خندقه بجلولاء، فرجع الحسن إلى أبيه فأخبره بما أخبره من أمر ابن هبيرة. فقال قحطبة لأصحابه: هل تعلمون طريقاً يخرجنا إلى الكوفة لا نمرّ بابن هبيرة؟ فقال خلف بن المورع: نعم. .» [ص ٩/١١٧].

ويتبيَّن من ذلك أن قحطبة وكبار قادته كانوا يخططون لذلك في حلوان قبل قدوم كتاب أبي سلمة حيث جاء في أخبار الدولة أن قحطبة «ورد عليه كتاب أبي سلمة الخلال بأن مروان حبس إبراهيم ـ الإمام ـ وقد هيأتُ رجلين أبعثهما بمال يصانعان في تخليصه. وكتب أيضاً إلى قحطبة: إن ابن هبيرة في جموع عظيمة بجلولاء، وإنّي أرى أن تحيد عن عساكر ابن هبيرة وتبادر إلى الكوفة فإن أهل الكوفة جميعاً معك وعلى رأيك، وهُم متفقون على بغض بني أُمية واستثقال أمرهم، فاقطع هذه الأنهار بينك وبين الكوفة وسَابِق ابن هبيرة إليها، فإنها إن صارت في أيدينا قوينا عليه وكثر من يقاتله معنا. وبعث إليه بذلك أبا مسرور. قال أبو مسرور: فخرجتُ على الراذانات ثم خرجت إلى تلك البراري حتى عبرتُ تامرا، وقَدِمتُ على قحطبة فدفعت إليه الكتاب فَلَمَّا قرأه قال: أصاب واللّه الرأي وأنا عامل بما رآه، وحزن حزناً شديداً حيث بلغه حبس إبراهيم حتى ظهر ذلك عليه وقال من رآه: أتاه خبر كرهه». [ص ٣٦٤].

وكان قحطبة قد عرف بحبس إبراهيم الإمام حيث أتاه إبراهيم بن سلمة بكتاب إبراهيم الإمام ـ الذي سلف ذكره ـ وأنه إذا مات أو قُتل فالإمام أخوه عبد اللّه الأصغر ابن الحارثية. وقد كتم قحطبة ذلك، فَلَمَّا أتاه كتاب أبي سلمة ظهر عليه الحزن على حبس إبراهيم حتى قال من رآه: أتاه خبر كرهه. واستمر في كتمان الخبر. وكذلك أظهر قحطبة قبول رأي أبي سلمة بأن يحيد عن عساكر ابن هبيرة ويبادر إلى الكوفة، بينما كان ذلك هو ما كان قحطبة قد عقد العزم عليه وأخذ يخطط لتنفيذه مع كبار قادته. وكان الأمر أصعب بكثير من قول أبي سلمة (اقطع هذه الأنهار بينك وبين الكوفة). وقد أكمل قحطبة وقادته خطتهم، وبدأ تنفيذها في أواسط ذي الحجة ـ تقريباً ـ حيث كما جاء في أخبار الدولة:

«وشَخَص قحطبةُ من حُلوان، وسرّب القوّاد بين يديه، وتقدّم إليهم ألّا يشذّ أحدٌ من الجند عن موكب قائده، وقدّم بين أيديهم المخارق بن غفّار الطائي وعبد اللَّه بن عثمان الطائي في فرسان العسكر، وقَدّم أمامهما سعد الطلائع وطلائعه. واستخلف على حُلوان يوسف بن عقيل في سبعمائة رجل. وسار قحطبة على تعبئةٍ بميمنة وميسرة وهو في القلب إلى قصر شيرين [وقصر شيرين على خمسة فراسخ من حلوان] ثم رحل من قصر شيرين إلى خانقين، فضمّ عسكره وتهيأ تهيؤ من يريد اللقاء، وأشاع في عسكره أنه يريد أن يخندق بإزاء ابن هبيرة، ووجّه أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي في جريدة خيل يتطرف مسالح ابن هبيرة فبلغ ذلك ابن هبيرة فوجّه إليه زياد بن سويد المرّي صاحب شرطته، فتوافقا، ولحقه قحطبة، وأشرف على زياد بن سويد، وأمر فنادى مناديه: ندعوكم إلى كتاب اللَّه وسنّة نبيّه وإلى الرضا من آل محمد. فقال زياد بن سويد: تركتم الكتاب والسُنّة وفارقتم الجماعة. فكّر قحطبة وقال: الموعد بيننا وبينكم في هذا الفحص من غدٍ أو بعد غد، وانصرف وهو يقول: قد أمكنتكم الفرصة، ستعلمون غداً من الكذّاب الأشر. وأقْبَلَ إلى عسكره. ولم يشك ابن هبيرة فيما أتاه من خبره أنّه يلقاه بموضعه من جلولاء، فتهيأ لذلك. وقد بعث قحطبة إلى تامرّا من يأتيه بأخبار المخاوض، فأتاه ذلك. ولَمّا أعتَم [أي في الليل] شَخَصَ من خانقين إلى تامرّا وأظهر أنه يريد المدائن، وجاز أكثر الناس، وبقي قحطبة في كتيبة من فرسانه [أو: في صدر خيله] بخانقين.

فَلَمّا أصبح ابن هبيرة أتته عيونُه فأخبرته أن قحطبة قد شَخَص وقطع تامرّا، وأنه يريد المدائن. فلم يحلل ابن هبيرة عقدةً حتى سار بجيشه فنزل الدسكرة. وبلغ ذلك قحطبة فكرّ في أهل القوة حتى أتى جلولاء، فأصاب ما كان خلّف ابن هبيرة من السلاح والأطعمة والمتاع، فحرّق ما ثقل عليه من المتاع وحمّل ما خفّ عليه وأرسل ذلك إلى عسكره. ووجّه خيوله إلى أهل عسكر ابن هبيرة، وطمع في أن يصيب منهم غرّةً أو شذاذاً لم يلحقوا به، فوجد القوم قد مضوا وتحصّنوا في الدسكرة. فانصرف قحطبة إلى عسكره ـ بتامرّا ـ حتى عبر جميع أصحابه. وأظهر أنه يريد المدائن إذْ انتشر ذلك عنه، وحملته عيون ابن هُبيرة. ثم شَخَصَ قحطبة يؤمُ دجلة ـ ونزل على تل عكبراء ـ ووجّه عدة من الهمدانيين يهيئون له المعابر، فانتهى إلى دجلة، وقد جمع له الهمدانيون عدّة من السفن، وتلقاه أبو أُمية التغلبي بعدّة من المعابر، فعبر دجلة إلى أوانا.

وبلغ ذلك ابنَ هبيرة فبادر إلى جسر المدائن فعبر عليه، ووجّه ابنه داود فنزل البرَدان، وأقْبَلَ ابن هبيرة يريد لقاء قحطبة قبل أن يعبر الفرات، وقد قيل له: أدرك

الرجل فما يريد إلّا الكوفة، فأقْبَلَ نحوه مبادراً ليلقاه. ومضى قحطبة مسرعاً نحو الأنبار [والأنبار من مناطق الكوفة] حتى إذا أشرف عليها تلقّاه شوال بن سنان الأنصاري في مائتي رجل، ففرض له ولِمَن معه [أي فرض لهم في العطاء وصاروا من جنوده] ووجّهه إلى أعالي الأنبار بحدر السفن، ووجّه خازم بن خزيمة إلى قصبة الأنبار فأصاب بها عامل الأنبار من قِبَل ابن هبيرة على الأستان فقتله مع عدة من أصحابه. [والأستان: كورة في غربي بغداد تشتمل على أربعة طساسيج هي الأنبار وبادوريا وقطربل ومَسْكَن]. قال الطبري: «وكتب قحطبة إلى خازم يأمره أن يحدر إليه ما في الأنبار من السفن ويوافيه بها بدمما، ففعل ذلك خازم ووافاه قحطبة بدمما». وقال صاحب أخبار الدولة: « . . حدّر خازم ما وجد من السفن إلى دِمّما. وأقْبَلَ شوال بن سنان الأنصاري بعده ومعه من السفن والمعابر، فوافى بها دِمِمّا. وقد سار قحطبة من الأنبار حتى أتى دِمما، [ودِمِمّا: قرية كانت على الفرات. قرب الفلوجة الحالية] وتوافت إليه السفن فعبر بالناس، ولم يعسكر، وعسكر في غربي الفرات لخمس خلون من المحرم سنة١٣٢هـ. وأقْبَلَ ابن هبيرة فعسكر بحذائه».

* * *

ثورة محمد بن خالد القسري بالكوفة:

كان محمد بن خالد بن عبد اللّه القسري من رؤساء اليمانية بالكوفة وهو نجل خالد بن عبد اللّه القسري أمير العراق والمشرقين في خلافة هشام بن عبد الملك. وكان محمد بن خالد وأبوه من يمانية الشام، وقد ارتبط محمد بن خالد بالدعوة العباسية السِّرِّية فَلَمَّا عبر قحطبة الفرات في ٥ محرم ثار محمد بن خالد بالكوفة وسيطر عليها يوم ٦ محرم ١٣٢هـ وأعلن قيام الخلافة العباسية.

قال ابن خلدون: « . . عبر قَحطبةُ الفرات من الأنبار لثمان خلون من المحرم سنة١٣٢هـ، وابن هبيرة معسكر على فم الفرات، على ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة ومعه حوثرة بن سهيل الباهلي . . والفريقان يسيران على جانب الفرات . . وبلغ الخبرُ الكوفةَ فثار بها محمد بن خالد القسري، بدعوة الشيعة، خرج ليلة عاشوراء، وعلى الكوفة زياد بن صالح وعلى شرطته عبد الرحمن بن بشير العجليّ. سار محمد بن خالد إليهم فهرب زياد ومن معه من أهل الشام، ودخل القصر . .»[١] وكذلك جاء في رواية الطبري أن محمد بن خالد القسري ثار بالكوفة ليلة عاشوراء، وهو التباس، والصواب أن قَحْطَبَةَ الطائي عَبَر الفرات من الأنبار في ٥ محرم ١٣٢هـ

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٤٩٤.

وبلغ ذلك محمد بن خالد بن عبد اللّه القسري فثار بالكوفة يوم ٦ محرم. وجاء عن ذلك في كتاب أخبار الدولة ما يلي نصه:

«عَبَر قَحْطبةُ الفرات، وعَسْكَرَ في غربي الفرات لخمس خلون من المحرم سنة١٣٢هـ، وأقْبَلَ ابنُ هبيرة فعسكَرَ بحذائه. وكتب قحطبةُ إلى أبي سلمة يخبره بعبوره الفرات، وبعث بكتابه إليه مع أبي ماجد الهمداني، فَلَمَّا وصل إليه بعث إلى محمد بن خالد القسري رسولاً يقول له: قد كنتَ تتمنى هذا اليوم، فقد بلغته، فأظْهِر السواد، واخرج في مواليك وعشيرتك. فبعث محمد بن خالد إلى مواليه وقومه وجيرته وصنائع أبيه، فاجتمع إليه منهم نحوٌ من ألف رجل، فأخبرهم برأيه وما أجمع عليه، وأمرهم ألّا يبيتوا حتى يفرغوا من سوادهم. وبعث أبو سلمة بمثل ذلك إلى طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكنديّ، فتأهبَ. وبدره محمد بن خالد فخرج من منزله في جماعة كثيرة. ودس له أبو سلمة أصحابه، ومن كان من جيرته، فيمن يليهم، وأرغبوهم في الخروج للّحوق بمحمد بن خالد ففعلوا. وانتشر الحديث بذلك فماج أهل الكوفة بعضهم في بعض ـ وساروا مع محمد بن خالد ـ وبلغ ذلك زياد بن صالح صاحب شرطة ابن هبيرة فهرب من القصر ولحق بابن هبيرة. ومضى محمد بن خالد حتى أتى القصر فدخله، ثم خرج إلى المسجد الجامع وذلك يوم الاثنين لست ليال خلون من المحرم سنة١٣٢هـ، ووافاه طلحة بن إسحاق الكندي في جماعةِ قومهِ.

فصعد محمد بن خالد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه، وخلع مروان، ودعا إلى الرضا من آل محمد. وكان فيما تكلم به يومئذ أن قال: يا أهل الكوفة إن اللّه قد أكرمكم بهذه الدعوة المباركة وقد طلبها الأبناء بعد الآباء فحُرموها حتى ساقها اللّه إليكم، هذه جنود الحق قد أظلتكم داخلة عليكم أحد اليومين فقوموا فبايعوا.

فما رُئِيَ سرورٌ قط أشدّ اجتماعاً عليه من سرورهم بالبيعة. لقد أطافوا بالمنبر يستبقون إلى البيعة حتى كادوا يكسرونه، فما تخلّف عن البيعة إلا أناس قليل.

وبعث أبو سلمة (وكان ما يزال مختفياً في منزله بالكوفة) إلى محمد بن خالد: أن ابعث إلى بيت المال والخزائن والطراز مَنْ يختم على من فيها. فبعث محمد بن خالد يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني والحجاج بن أرطأة النخعي المذحجيّ وابن الفرافصة العبدي فختموا على بيت المال والخزائن والطراز ما كان بالكوفة والحيرة.

وكتب أبو سلمة إلى قَحْطَبة يُعلمه بما عمل محمد بن خالد، وحمل كتابه محمد أخوه. قال محمد: فأتيتُ قحطبةَ في عسكره بإزاء ابن هبيرة قُبيل ارتفاع

النهار، وقد جعلا يتسايران على جانبيْ الفرات، فوجّه ابن هبيرة عند ذلك حوثرة بن سهيل إلى الكوفة في جنده، وأمره أن يبادر إليها قبل أن يقدمها قحطبة. فخرج حوثرة مغذّاً، حتى إذا شارف الكوفة بلغه ظهور محمد بن خالد وإطباق أهل الكوفة معه، فأقام بشاهي)[١].

وكان حوثرة بن سهيل الباهلي في زهاء خمسة عشر ألفاً من جند الشام فأقبل بهم إلى الكوفة ـ في ٧ محرم ـ فنزل بمدينة ابن هبيرة وهي مدينة شاهي. قال الطبري: «بلغ محمد بن خالد القسري نزول حوثرة ومن معه مدينة ابن هبيرة وأنه تهيأ للمسير إليه. فتفرّق عن محمد بن خالد عامة من معه إلّا فرساناً من أهل اليمن ومواليه، وأرسل إليه أبو سلمة يأمره بالخروج من القصر واللّحاق بأسفل الفرات فإنه يخاف عليه لقلة من معه وكثرة من مع حوثرة. فأبىٰ محمد بن خالد أن يفعل حتى تعالى النهار. فتهيأ حوثرة للمسير إلى محمد بن خالد حيث بلغه قلّة من معه وخذلان العامة له. فبينما محمد بن خالد بالقصر إذْ أتاه بعض طلائعه فقال له: خيلٌ قد جاءت من أهل الشام، فوجّه محمد إليهم عدّة من أصحابه فأقاموا عند باب عمر بن سعد إذْ طلعت عليهم رايات أهل الشام فتهيؤوا لقتالهم، فنادى الشاميون: نحن بجيلة وفينا مليح بن خالد البجلي جئنا لندخل في طاعة الأمير محمد بن خالد. فدخلوا. ثم جاءت خيل أعظم مع رجل من آل بحدل الكلبي [فانضموا إلى محمد بن خالد] فَلَمَّا رأى ذلك حوثرة من صنيع أصحابه ارتحل نحو واسط من بقي معه، وكتب محمد بن خالد إلى قحطبة.. يُعلمه أنه قد ظفر بالكوفة»[٢] وكان الذين انضموا إلى محمد بن خالد من جيش حوثرة هم اليمنيون من جند أهل الشام وذلك في ٨ محرم ١٣٢هـ.

انتصار قحطبة على ابن هبيرة في موقعة الفرات:

كان الأمير قحطبة بن شبيب الطائي قد عسكر في غربي نهر الفرات، وعَسْكر ابن هبيرة بحذائه في الجانب الآخر من نهر الفرات منذ يوم ٥ محرم ١٣٢هـ، وقد جعلا يتسايران على جانبيْ الفرات. ونظر قحطبة إلى عسكر ابن هبيرة، فقال: لو أصبنا مجازاً إليهم لرجوتُ أن يقطع اللّه منهم في عشيتنا هذه طرفاً. قال الطبري: «كان الفريقان يسيران على شاطىء الفرات، ابن هبيرة بين الفرات وسورا، وقحطبة في غربيه مما يلي البر، ووقف قحطبة، فعبر إليه رجل أعرابي في زورق فسلم عليه،

(١) شاهي: تقع على خمسة فراسخ من الكوفة ـ معجم البلدان ـ ص ٣١٦ جـ ٦.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٢١ جـ ٩.

فقال له: ممن أنت؟ قال: من طيىء ثم أحد بني نبهان. ثم قال لقحطبة: اشرب من هذا واسقني سؤرَك، فغرف قحطبةُ في قصعة فشرب وسقاه، وقال: الحمد للّه الذي نَسَأَ أجلي حتى رأيتُ هذا الجيش يشرب من هذا الماء. وقال: أخبرني الإمام أنّ لي وقعة على هذا النهر لي فيها النصر. يا أخا بني نبهان هل ههنا مخاضة؟ قال: نعم» وجاء في أخبار الدولة أنه: «قال قحطبة للرجل: مرحباً بك، أنت ابن عمي، أتعرف مخاضة نقطع منها إلى هؤلاء؟ قال: نعم تلك مخاضة بين يديك والماء قليل. وخرج الأعرابيُّ على حمار يسعى بين يدي قحطبة حتى وقف على المخاضة، فأمر الناس بالنزول فنزلوا قرب العصر» ـ وذلك يوم ٨ محرم ـ قال الطبري: «نزل قحطبة الحائرة ـ عند المخاضة ـ فقال: صَدَقني الإمام أخبرني أن النصر بهذا المكان. وأعطى الجند أرزاقهم، فردّ عليه كاتبه ستة عشر ألف درهم، فضل الدرهم والدرهمين وأكثر وأقل. فقال: لا تزالون بخير ما كنتم على هذا».

قال صاحب أخبار الدولة: «ونظر قحطبة إلى أصحاب ابن هبيرة قد انتشروا وقد تقدّمهم ابن هبيرة ليعسكر بهم». ـ ويتبيَّن من الوقائع أن جيش ابن هبيرة ـ وهو الجيش المرواني ـ كانت طليعته في مواجهة المفازة، وتليهم قوة بقيادة سويد صاحب شرطة ابن هبيرة عند جسر سورا، وتليهم ساقة وميمنة الجيش بقيادة محمد بن نباتة، ثم يليهم المعسكر وفيه ابن هبيرة أمير العراق وبقية الجيش والقوّاد.

بينما كانت طليعة جيش قحطبة أربعمائة من الفرسان بقيادة عبد الحميد بن ربعي الطائي ومعه يَسّار صاحب علم قحطبة. وتليهم أربع كتائب ـ تضم أربعة آلاف بقيادة عبد اللّه بن عثمان الطائي والمخارق بن غفّار الطائي ومسعود بن علاج صاحب راية قحطبة، وتليهم ثلاث كتائب فيها عبد اللّه بن بسام وسلمة بن محمد، ثم تليهم مقدمة أو ميمنة الجيش بقيادة الحسن بن قحطبة ومعه مقاتل بن حكيم العكّي، وساقة الجيش بقيادة حميد بن قحطبة ثم يليهم المعسكر وفيه بقية العسكر والقادة. وقد وضع قحطبة الطائي خطّة العبور والهجوم بحيث تعبر المجموعة الأولى بقيادة عبد الحميد بن ربعي وتشتبك مع طليعة ابن هبيرة ثم تعبر المجموعة الثانية ثم الثالثة ثم تعبر ميمنة وساقة الجيش مع بقية القوّاد ثم قحطبة وبقية العسكر، وأمر قحطبةُ الجنود ألّا يشذّ أحد منهم عن موكب قائده.

وفي عصر يوم الأربعاء ٨ محرم ١٣٢هـ أمر قحطبة المجموعة الأولى بالعبور وبدأت موقعة الفرات. قال الطبري: «قال ابن شهاب العبدي: كان صاحب علم قحطبة خبران أو يسار، فقال له: اعبر. وقال لصاحب رايته مسعود بن علاج البكري: اعبر. وقال لصاحب شرطته عبد الحميد بن ربعي أبي غانم، أحد بني نبهان

من طيىء: اعبر يا أبا غانم وابشرْ (بالنصر)، وعبر جماعة حتى عبر أربعمائة فقاتلوا أصحاب ابن هبيرة حتى نحّوْهم عن الشريعة. ولقوا محمد بن نباتة فقاتلوه ورفعوا النيران..».

وقال غير ابن شهاب العبدي: «قَدَّم قحطبةُ ابنه الحسن على مقدمته، ثم أمر عبد اللّه بن عثمان الطائي، ومسعود بن علاج، وأسد بن المرزبان وأصحابهم بالعبور على خيولهم فعبروا ـ المخاضة ـ بعد العصر، فَطُعِن أول فارس لقيهم من أصحاب ابن هبيرة فولّوا منهزمين حتى بلغت هزيمتهم جسر سورا، حتى اعترضهم سويد صاحب شرطة ابن هبيرة، فردهم إلى موضعهم [أي: رد طليعة ابن هبيرة] حتى انتهوا إلى مسعود بن علاج والذين معه (عند الشريعة) فكاثروهم. وذلك عند المغرب. فأمر قحطبةُ المخارق بن غفّار وعبد اللّه بن بسام وسَلَمة بن محمد وهم في جريدة خيل أن يعبروا، فعبروا إلى موضع مسعود..» (اهـ).

وقال صاحب أخبار الدولة: «أعْبَرَ قحطبة إليهم عبد اللّه الطائي والمخارق بن غفّار وأسد بن المرزبان، فَلَمَّا عبروا، شدّوا على من يليهم، فقتلوا عدّة، وانهزم القوم. وأقْبَلَ محمد بن نباتة في جمع كثير، وهو على ساقة ابن هبيرة فأقام فسطاطه وخرج إليهم فقَاتَلَهم، وثبتوا له.

ووافى قحطبةَ رسول أبي سَلَمة [وهو محمد بن سليمان السبيعي] فناوله كتاباً، فَلَمَّا قرأه قحطبة كبّرَ وارتج العسكر بالتكبير، وسمع ذلك من عَبَر من أصحاب قحطبة فكبّروا. فقال عسكر ابن هبيرة: قد أتاهم شيء سرّوا به، فانكسروا لذلك وظهر الفشل فيهم.

ووجّه قحطبةُ سَلَماً مولاهُ في خيله، وزياد بن فروخ، وموسى بن ثابت، فعبروا إليهم. وكاثرهم محمد بن نباتة واستعلى عليهم وحصرهم في حائطٍ لجؤوا إليه، فأرسل سلم إلى قحطبة وقد أمسى يستغيث به..» (اهـ).

قال الطبري: «..حوصر سلمة ومن معه بقرية على شاطىء الفرات، وترجل سَلَمة ومن معه وحمي القتال، فجعل محمد بن نباتة يحمل على سلمة وأصحابه فيقتل العشرة والعشرين، ويحمل سلمة وأصحابه على محمد بن نباتة وأصحابه فيقتل منهم المائة والمائتين، وبعث سلمة إلى قحطبة يستمدّه فأمدّه بقوّاده جميعاً» (اهـ).

وقد تصادف وصول رسول سلمة بن محمد إلى قحطبة يخبره بأن مجموعته محاصرة، مع تهيؤ مقدمة جيش قحطبة وقادة الكتائب للعبور ـ وفقاً للخطة ـ فأمرهم قحطبة بالعبور، فعبروا بقيادة الحسن بن قحطبة ومعه مقاتل بن حكيم العكيّ وأغلب القادة، وقاتلوا محمد بن نباتة والذين معه. وكذلك أَمَدّ ووجّه ابن هُبيرة أغلب قادته

وجنوده فانضمّوا إلى محمد بن نباتة، وفيهم حرب بن سلم بن أحوز، وعيسى بن إياس العدوي، وابن السدوسي، ورجل من الأساورة ـ الفُرس ـ يقال له مصعب، ومعن بن زائدة، وحصن بن بدر، وداود بن هبيرة، وعليهم جميعاً محمد بن نباتة. فاقتتل الفريقان في موضع المسناة.

قال الطبري: «ثم عبر قحطبة بفرسانه، وأمر كل فارس أن يردف رجلاً، ثم واقع قحطبةُ محمد بن نباتة ومن معه فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهزمهم قحطبة حتى ألحقهم بابن هبيرة، وانهزم ابن هبيرة بهزيمة ابن نباتة، وخلّوا عسكرهم وما فيه من الأموال والسلاح والزينة وغير ذلك.. وقُتل في تلك الليلة حرب بن سلم بن أحوز التميمي، وعيسى بن اياس العدوي، وابن السدوسي، ورجل من الأساورة يقال له مصعب..» (اهـ).

وقال صاحب أخبار الدولة: «... عَبَر قحطبة في الفرسان، وأمر كلّ فارس أن يحمل راجلاً، فَلَمَّا عبر بمن معه حمل عليهم حملة صادقة فهزمهم، وردوا عليه فألجؤوه إلى الشط وهم يقولون: اللَّهم تمم تمم. ثم حمل قحطبة عليهم، فاستحقت الهزيمة عليهم.. وكان ابن هبيرة حين استحقت الهزيمة عليه وعلى من معه، وقف على رأس فرسخ من الوقعة، فجعل جند الشام ـ الذين كانوا معه ـ يمرّون به، وقد أوقد ناراً بين يدَيه، فإذا رأوا ضوء النار صدفوا عنه ومضوا على وجوههم، وأوقف رجلاً ينادي: هذا الأمير ابن هبيرة. فلم ينعطف عليه أحد منهم. فوقف مكانه حتى أتاه محمد بن نباتة فقال له: ما يقفك؟ قال: قد انهزم الناس فما ترى؟ قال: نلحق بحوثرة بن سهيل بالكوفة ويجتمع الناس إليك.. فسار ابن هبيرة والذين معه ـ في الليل ـ فأصبح وقد كلَّ وكلَّ من معه، فَلَمَّا جاء سوق أسد لقيه الخبر بظهور محمد بن خالد القسري بالكوفة والسَّواد ـ ولحاق حوثرة بن سهيل بفم النيل ـ فعدل ابن هبيرة إلى فم النيل، ثم مضى إلى واسط.. وقد تسلل وتفرّق عنه كثير من أصحابه، فمنهم من لحق بمحمد بن خالد من أهل اليمن، ومنهم من مضى إلى الشام، ومنهم من مضى معه إلى واسط» (اهـ).

وكانت تلك الموقعة ـ موقعة الفرات ـ التي انتصر فيها قحطبة الطائي وجيشه على ابن هبيرة والجيش المرواني في ليل يوم الأربعاء ٨ محرم ١٣٢هـ نقطة فاصلة في التاريخ فبها قامت الخلافة العباسية بالعراق.

وفاة قحطبة.. وتأمير الحسن بن قحطبة:

وفي ليل يوم الأربعاء ٨ محرم مات الأمير والقائد اليماني الفذ قحطبة بن شبيب الطائي. وقد ذكر الطبري عدة روايات عن موته. والصحيح ما جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية أنه:

«لَمَّا جالت خيل قحطبة تلك الجولة ـ الأخيرة ـ وهو واقف على جرف، فانهار به الجرف، فوقع في الفرات فغرق. وبات عسكره في موضعهم ذلك، فَلَمَّا أصبحوا ـ يوم الخميس ـ أتوا معسكر ابن هبيرة فأصابوا ما كان فيه من أثقالهم وسلاحهم. وفقدوا قحطبة، فأكبروا ذلك، واشتدّ حزنهم عليه..» [ص ٣٧١].

وجاء في تاريخ الطبري أنه: «..أصبح أصحابُ قحطبة وقد فقدوه، فلم يزالوا في رجاء منه إلى نصف النهار ثم علموا بغرقه.. قال عليّ بن محمد: وأخبرنا خالد بن الأصفح وأبو الذيال قالا: وُجِد قحطبةُ فدفنه أبو الجهم ـ وهو كاتب وصاحب ختم قحطبة ـ ومقاتل بن حكيم العكّي..» [ص ٩/١٢٠].

قال صاحب أخبار الدولة: «واشتدّ حزن أصحاب قحطبة عليه، وخافوا دخول الوهن عليهم بموته، فاجتمع القوم، فتناظروا في أمرهم، فأجمعوا على الرضا بحُميد بن قحطبة، فبايعوه وسلموا له الأمر. وكان مصاب قحطبة ليلة الأربعاء لثمان خلون من المحرم سنة١٣٢هـ».

وقال الطبري: «أصبح أصحاب قحطبة وقد فقدوه فلم يزالوا في رجاء منه إلى نصف النهار ثم علموا بغرقه، فأجمع القواد على الحسن بن قحطبة فولوه الأمر وبايعوه. فقام بالأمر وتولاه، وأمر بإحصاء ما في عسكر ابن هبيرة ووكّل بذلك رجلاً يكنى أبا النصر، وأمر بحمل الغنائم في السفن إلى الكوفة..».

وقال الطبري في رواية ثانية: «وجدوا قحطبة فدفنه أبو الجهم، فقال رجل من عرض الناس: من كان عنده عهد من قحطبة فليخبرنا به. فقال مقاتل العكي: سمعتُ قحطبة يقول: إن حدث لي حدثٌ فالحسن أمير الناس. فبايع الناسُ حُميداً للحسن، وأرسلوا إلى الحسن فلحقه الرسول دون قرية شاهي [وكان يتتبع ابن هبيرة] فرجع الحسن فأعطاه أبو الجهم خاتم قحطبة وبايعوه. فقال الحسن: إن كان قَحْطبةُ مات فأنا ابن قحطبة».

قال الطبري: «وقال قحطبة قبل موته: إذا قدِمتم الكوفة فوزير الإمام أبو سلمة، فسلموا الأمر إليه» [ص ٩/١١٩] ويتبيَّن من ذلك أن توزير أبي سلمة الخلال كان بوصية قحطبة الطائي.. وكان محمد بن خالد القسري قد سيطر على الكوفة واندحر حوثرة بن سهيل منها إلى واسط. قال الطبري: «وكتب محمد بن خالد من ليلته إلى قحطبة ـ وهو لا يعلم بموته ـ يُعلمه أنه قد ظفر بالكوفة، وعجّل بكتابه مع فارس، فقَدِم على الحسن بن قحطبة فَلَمَّا دفع إليه كتاب محمد بن خالد قرأه على الناس ثم ارتحل نحو الكوفة» وذلك بعد ظهر يوم الخميس ٩ محرم ١٣٢هـ.

قال صاحب أخبار الدولة: «وقَدِم الحسن بن قحطبة إلى الكوفة بالجنود..

وأقْبَلَ حميد بن قحطبة يسير بالناس حتى نزل دير الأعور [بظاهر الكوفة] ثم دخل العباسية [بظاهر الكوفة] فنزلها يوم الجمعة، يوم عاشوراء، وصلّى بالناس بالكوفة يومئذٍ محمد بن خالد، وقال، وهو يدعو على المنبر: اللّهم أصلح الإمام من آل محمد. ولم يسمّه.

وأرسل أبو سلمة إلى حميد بن قحطبة ـ وهو بالعباسية ـ أن يدخل الكوفة بأحسن هيئة، وأن يُظهروا زينتهم ويشهروا سلاحهم وأعلامهم وقوّتهم، ففعل، وعبأ الجند، ووجّههم كراديس حتى توافوا بنهر بني سليم [في منطقة جبانة السبيع داخل الكوفة] وأرسل إلى محمد بن خالد» قال الطبري: «فخرج محمد بن خالد في أحد عشر رجلاً» وبالتالي التقى محمد بن خالد والقادة الذين خرجوا معه بحميد بن قحطبة والقادة الذين معه بالعباسية أو بنهر بني سليم، وعندئذٍ ـ فيما نرى ـ جرى ذكر قول قحطبة: «إذا قدمتم الكوفة، فأبو سلمة وزير الإمام، فسلموا الأمر إليه» وبالتالي اتفقوا على تنصيب أبي سلمة وزيراً، وأن يتوجه جماعة من القوّاد لإحضاره من منزله.

قال صاحب أخبار الدولة: «وبعث حُميد بن قَحْطَبة إلى أبي سَلَمَة جماعة من القوّاد فيهم مقاتل بن حكيم العكيّ في ألف رجل، وخازم في ألف رجل، وبسّام في ألف رجل، وأبو شراحيل في ألف رجل، وأتوا أبا سلمة وهو في داره. .» وقال الطبري: «دخل الحسن بن قحطبة ـ يوم الاثنين ـ فأتوا أبا سلمة وهو بمنزله ووقفوا على بابه، فخرج إليهم، فقدّموا له دابة من دوّاب قحطبة [وهو برذون سمنّد، يقوّم باثنيّ عشر ألف درهم، مسرجاً ملجماً] فركبه، حتى وقف في جبانة السبيع» قال صاحب أخبار الدولة: «فانتهى أبو سلمة إلى العسكر ـ حيث حُميد بن قحطبة ـ واستقبله القوّاد، فاستقرأ صفوفهم يسلّم على عوامّهم، ثم نزل، وقد هُيئت له حجرةٌ فنزلها. وانقاد القوم له وسمعوا منه وأطاعوا أمره». وقال الطبري: «بايعوه، فمكث أبو سَلَمَة حفص بن سليمان يُقال له وزير آل محمد، واستعمل محمد بن خالد القسريّ على الكوفة وكانَ يُقال له الأمير حتى ظهور أبي العباس» (اهـ) وكان أبو العباس عبد اللّه بن محمد بن علي (ابن الحارثية) قد وصل الكوفة مع أهل بيته في صفر ثم ظهر وبويع بالخلافة في الكوفة في ١٣ ربيع الثاني ١٣٢هـ وقد شملت خلافته يومئذ العراق ومشارق العراق (أقاليم إيران) والسند وخُراسان، بينما كان الخليفة الأموي مروان بن محمد في منطقة نهر الزاب ـ بالقرب من الموصل ـ يحارب أبا عون عبد الملك الأزدي وبيد مروان بلاد الجزيرة الفراتية والشام ومصر.

الحرب بين مروان وأبي عون. . وانهزام مروان في الزاب:

كان قحطبة الطائي قد وجّه أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي في أربعة آلاف

إلى شهرزور من بلاد الموصل، وأمدّه بعامر بن إسماعيل المسلي المذحجي في ثلاثة آلاف، فهزم أبو عون سفيان بن عثمان وجيشه المرواني بشهرزور، ثم تقدم إلى مدينة الموصل وانضم إليه من أهل الموصل والتخومات سبعة آلاف، فنزل أبو عون قرية الملح بناحية الموصل في أواخر ذي الحجة ١٣١هـ. وبلغ ذلك مروان بن محمد فأقبل بجيش كبير من جند الجزيرة الفراتية والشام إلى الموصل في محرم ١٣٢هـ ونزل مروان وجيشه بمنطقة نهر الزاب الكبير، ووجّه قوة من الفرسان إلى نهر الزاب الصغير لقتال أبي عون، فهزمهم أبو عون في أواخر محرم ١٣٢هـ، وأخذت الإمدادات تتدفق إلى مروان بالزاب الكبير.

وكان جيش قحطبة لَمّا دخل الكوفة وتم توزير أبي سَلَمة ـ وكما جاء في أخبار الدولة ـ «وجّه أبو سلمة حُميد بن قحطبة إلى المدائن في عشرة من القوّاد وأمضاه على شط الفرات إلى الجزيرة، فنفذ حميد إلى المدائن، وأنفذ مالك بن طراف في خمسة آلاف رجل إلى هيت، فكان يكتب إلى حميد بأخبار الجزيرة وما يأتيه عن مروان. وأتاه عدة من وجوه كلب بطاعتهم، فأنفذهم حميد إلى أبي سلمة فكانوا أول من سوّد من أهل الشام». [ص ٣٧٨] وقال الطبري: «وجّه أبو سلمة حُميد بن قحطبة إلى المدائن في قوّاد منهم عبد الرحمن بن نعيم (الأزدي) ومسعود بن علاج، كل قائد في أصحابه» [ص ٩/١٢١] ومنهم أيضاً مخارق بن غفّار الطائي وكلثوم بن شبيب الأزدي وذؤيب بن الأشعث الخزاعي.

قال صاحب أخبار الدولة: «وأتى أبا سلمة كتاب أبي عون قد أوقع بخيل لمروان، وعبر الزاب الصغير وتَقدَّم نحو الزاب الكبير. فقلق أبو سلمة [لكثرة جيش مروان] وكتب إلى حُميد بن قحطبة أن يوجِّه مِن قِبله كلثوم بن شبيب الأزدي والمخارق بن غفّار وذؤيب بن الأشعث في أصحابهم إلى أبي عون. وضرب البعث على من فرض له من أهل الكوفة.. وكتب إلى موسى بن كعب وهو بالريّ بإمضاء أصحابه مع إبنه عيينة بن موسى إلى أبي عون. وكتب إلى عثمان بن قرطة وهو بالدينور في ألفي رجل ـ استخلفه قحطبة ـ وإلى محمد بن صول وهو بنهاوند في سبعمائة رجل أن يستخلفا ويلحقا بأبي عون»[1] وقال ابن خلدون: «وجّه أبو سلمة: عيينة بن موسى والمنهال بن قبان وإسحاق بن طلحة كل واحد منهم في ثلاثة آلاف مدداً لأبي عون»[2].

وقد كان مع أبي عون سبعة آلاف جندي وسبعة آلاف من أهل الموصل، فأمدّه

(١) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٣٧٨.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص ٤٩٧.

حميد بن قحطبة بالمخارق بن غفار وكلثوم بن شبيب وذؤيب بن الأشعث في أربعة آلاف ـ وعليهم المخارق بن غفار الطائي ـ ثم وصل إلى أبي عون بعث أهل الكوفة بقيادة طلحة بن إسحاق وكانوا ثلاثة آلاف، ثم وصل إليه المدد من القوات التي كانت مرابطة في الرّيّ والدينور ونهاوند وكانوا خمسة آلاف وسبعمائة. فبلغ جيش أبي عون بالزاب ٢٦٧٠٠ مقاتل. قال ابن خلدون والطبري: «ولَمَّا بويع أبو العباس بعث مسلمة بن محمد في ألفين وعبد اللّه بن عثمان الطائي في ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن ربعي الطائي في ألفين ودارس بن فضالة في خمسمائة، كلهم مدداً لأبي عون»[1] وبذلك بلغ جيش أبي عون في الزاب زهاء (٣٢٧٠٠ مقاتل) غالبيتهم من اليمانية قادة وجنوداً ـ في ربيع الثاني ١٣٢هـ ـ بينما كان الخليفة مروان بن محمد في مائة ألف. أو في مائة وعشرين ألفاً، من أهل الجزيرة الفراتية والشام، غالبتهم أيضاً من اليمانية. وربما تخلَّلت الحرب الدائرة بين مروان وأبي عون ـ منذ شهر محرم ـ اتصالات ببعض قادة جند الشام اليمانية كان لها أثرها فيما بعد.

وفي جمادى الأولى ١٣٢هـ بعث أبو العباس السفاح عمه عبد اللّه بن عليّ أميراً على الجيش في الزاب مع استمرار أبي عون قائداً للجيش. قال ابن خلدون: «ندب أبو العباس أهل بيته إلى المسير إلى أبي عون، فانتدب عبد اللّه بن عليّ فسار وقَدِم على أبي عون فتحول له عن سرادقه بما فيه. ثم أمر عيينة بن موسى بخمسة آلاف والمخارق بن غفار في أربعة آلاف بعبور النهر من الزاب أول جمادى الآخرة سنة١٣٢هـ فقاتلا عسكر مروان إلى المساء ورجعا، فتفقد مروان الجسر من الغد وقَدّم ابنه عبد اللّه وعبر، فبعث عبد اللّه بن عليّ المخارق بن غفار في أربعة آلاف فانهزم.. وعاجلهم عبد اللّه بن عليّ بالحرب وعلى ميمنته أبو عون، وحمل الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم ـ وهو صهر مروان على ابنته ـ فقاتل أبا عون.. فأمر عبد اللّه بن عليّ الناس فحملوا.. وأمر مروان القبائل بأن يحملوا فتخاذلوا واعتذروا حتى صاحب شرطته..» [ص ٤٩٨] وكان ذلك هو العامل الحاسم في هزيمة مروان بالزاب.. قال القاضي سعدي أبو جيب:

«كان جند مروان من أهل الجزيرة وأهل الشام ومعه بنو أمية، ولئن كان ولاء أهل الجزيرة لمروان فليس من المعقول أن يكون أهل الشام على مثل ذلك الولاء له. وكان من الواجب على مروان أن يلحظ هذا وأن يختار جنده من قيس فقط وبعبارة أخرى من أهل الجزيرة.. فعندما استعد الفريقان للهجوم الكبير أمر مروان قبيلة

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص ٤٩٧.

قضاعة (اليمانية الشامية) أن تبدأ القتال فأبت، وأخذت كل قبيلة تأبى طاعة أمره وتحيله إلى قبيلة أخرى»[١].

قال الطبري: «كان لمروان في عسكره بالزاب عشرون ومائة ألف فلقيه عبد اللّه بن علي فيمن معه وأبي عون وجماعة قوّاد منهم حميد بن قحطبة، فهزم مروان.. وكانت هزيمة مروان بالزاب صبيحة يوم السبت ١١ جمادى الآخرة سنة١٣٢هـ»[٢]. وانسحب مروان إلى مدينة حرّان بالجزيرة الفراتية ثم سار منها إلى الشام.

* * *

انضواء الشام في الخلافة العباسية:

لقد كان اليمانيون القحطانيون بالشام ناقمين على مروان بن محمد لتعصبه مع النزارية المُضرية، وكانت حركة المعارضة اليمانية في الشام بقيادة ثابت بن نعيم الجذامي سنة١٢٧ ـ ١٢٨هـ تعبيراً عن الغضب اليماني على سياسة مروان العصبية، وكذلك فقد خذل جند الشام مروان في موقعة الزاب ـ في جمادى الثانية ١٣٢هـ ـ وكان غالبيتهم من اليمانية، ولَمَّا صار مروان إلى مدينة حرّان أراد المسير إلى ثغور الروم ـ في جنوب تركيا حالياً ـ وتجميع صفوف الموالين له ثم التحرك منها، فأشار عليه إسماعيل بن عبد اللّه القشيري بأن لا يفعل وأن يسير إلى الشام فهي قاعدة الخلافة وأهلها معه، فقبل مروان مشورته وسار إلى الشام ـ ابتداءً بإقليم حمص وقنسرين ـ في رجب ١٣٢هـ. قال المسعودي: «لما اجتاز مروان ببلاد قنسرين أوقعت قبيلة تنوخ [اليمانية] بساقته، ووثب به أهل حمص»[٣]. وقال ابن خلدون: «لَمَّا بلغ مروان حمص أقام بها ثلاثاً وارتحل، فاتبعه أهلها لينهبوه فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم، وسار إلى دمشق، وعليها الوليد ابن عمه، فأوصاه بقتال عدوه، وسار إلى فلسطين..»[٤] وذلك أنه لَمَّا وصل مروان إلى دمشق ثار اليمانية داخل دمشق بقيادة الحارث بن عبد الرحمن الحرشي المذحجيّ ضد الوليد بن معاوية عامل مروان بدمشق، فرأى مروان عدم دخول دمشق أو عدم الإقامة بها وأوصى الوليد بقتال عدوه وسار إلى فلسطين وكان عامله على فلسطين الرماحس بن عبد العزيز ـ الذي ولاه مروان لَمَّا قضى على ثورة ثابت بن نعيم الجذامي ـ فَلَمَّا وصل مروان إلى مشارف

---

(١) مروان وأسباب سقوط الدولة الأموية ـ سعدي أبو جيب ـ ص ١١٦.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٣٤ جـ ٩.
(٣) مروج الذهب ـ الحسن المسعودي ـ ص ٢٦٤ جـ ٣.
(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص ٤٩٩.

فلسطين ـ وكما ذكر المسعودي ـ «ثار بفلسطين الحَكَم بن ضبعان بن رَوْح بن زنباع الجذاميّ ومنعه من دخولها»[١].

بينما وصل عبد اللّه بن علي بالجيش العباسي إلى دمشق وحاصرها وبها الوليد بن معاوية، وقد اندلع الصراع داخلها بين اليمانية بقيادة الحارث بن عبد الرحمن وبين الوليد بن معاوية ومعه النزارية القيسية. قال الطبري وابن خلدون: «فوقعت بدمشق العصبية بين اليمانية والنزارية»[٢]. وحاصر الجيش العباسي دمشق. حيث كما جاء في تاريخ الطبري:

«نزل عبد اللّه بن عليّ على باب شرقي، ونزل صالح بن عليّ على باب الجابية، ونزل أبو عون على باب كيسان، وبسام بن إبراهيم على باب الصغير، وحُميد بن قحطبة على باب توما.. فحصروا دمشق وتعصب الناس بالمدينة (اليمانية والقيسية) وقاتل بعضهم بعضاً، وقتلوا الوليد بن معاوية، ففتحوا الأبواب يوم الأربعاء لعشر مضين من رمضان سنة١٣٢هـ، فكان أول من صعد سور المدينة عبد اللّه بن عثمان الطائي من باب شرقي»[٣].

قال د. فاروق عمر:

«كان سقوط الكوفة وواسط والموصل والبصرة ودمشق نتيجة مساعدة القبائل العربية التي انضمت إلى جانب العباسيين.. وفي حصار دمشق استغاث عبد اللّه بن علي العباسي بالقبائل اليمانية لتتخلى عن الأمويين قائلاً: (إنكم وإخوتكم من ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وأنصارنا، وأنتم دفعتم إلينا مدينة دمشق وقتلتم الوليد بن معاوية، وأنتم منّا وبكم قوام أمرنا»[٤]. وبذلك انضوت دمشق في الخلافة العباسية في العاشر من رمضان سنة١٣٢هـ ودخلها عبد اللّه بن عليّ وقادة جيشه وفي طليعتهم حُميد بن قحطبة، وأبو عون، وعبد اللّه بن عثمان الطائي، وعبد الحميد بن ربعي الطائي، وعامر بن إسماعيل، وكانت غالبية ذلك الجيش من اليمانية. ومكث عبد اللّه بن عليّ في دمشق خمسة عشر يوماً، ثم استخلف على دمشق أحد القادة [وهو عبد الحميد بن ربعي الطائي] وسار عبد اللّه بن عليّ العباسي إلى منطقة نهر الأردن وفلسطين.

وكان مروان قد سار إلى الأردن وفلسطين. قال الطبري: «مرّ مروان بالأردن

---

(١) مروج الذهب ـ الحسن المسعودي ـ ص ٢٦٤ جـ ٣.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص ٤٩٩.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٣٥ جـ ٩.

(٤) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٧٦.

فَشَخَص معه ثعلبة بن سلامة العاملي وكان عامله عليها وتركها ليس عليها والٍ حتى قَدِم عبد اللّه بن عليّ فولّي عليها. .» وقال: «سار عبد اللّه بن عليّ يريد فلسطين فنزل نهر الكسوة ثم ارتحل إلى الأردن فأتوْه وقد سوّدوا». [ص ٩/١٣٥] فولّى عبد اللّه بن عليّ على إقليم نهر الأردن حميد بن قحطبة الطائي. فقد ذكر الطبري في واقعة لاحقة أنه «كتب عبد اللّه بن عليّ إلى حميد بن قحطبة، فقَدِم عليه من الأردن». [ص ٩/١٣٩] فكان حميد بن قحطبة أول أمير للأردن في العصر العباسي.

وكان مروان قد سار إلى إقليم فلسطين، وكانت مدينة الرملة عاصمة فلسطين، وكان عامل مروان بفلسطين الرماحس بن عبد العزيز القيسي الذي قبض على ثابت بن نعيم الجذامي وأرسله إلى مروان فقتله مروان وصلبه ـ في شوال ١٢٨هـ ـ فَلَمَّا أقبل مروان إلى فلسطين ـ في شعبان أو رمضان ١٣٢هـ ـ وكما ذكر المسعودي: «ثار بفلسطين الحكم بن ضَبعان الجذامي ومنعه من دخولها» ـ فسار مروان وجنوده وفلول الرماحس إلى منطقة نهر أبي فطرس ـ بالقرب من يافا ـ قال ابن خلدون:

«سار مروان إلى فلسطين فنزل نهر أبي فطرس، وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامي. فأرسل مروان إلى عبد اللّه بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي فأجاره ـ وأقبل عبد اللّه بن عليّ فنزل نهر أبي فطرس ـ فأجفل مروان إلى العريش». [ص ٤٩٩] وبذلك اكتمل زوال الخلافة الأموية من الشام وغادرها مروان إلى العريش ثم إلى مصر، قال المسعودي: «وعلم مروان أنّ إسماعيل بن عبد اللّه القشيري قد غشّه في الرأي ولم يمحضه النصيحة وأنه فرط في مشاورته إياه إذْ شاور رجلاً من قحطان متعصباً مع قومه. . ولم ينفع مروان تعصبه مع النزارية شيئاً»(١).

ولَمَّا مضى مروان إلى العريش ومصر ـ في شوال ١٣٢هـ ـ قال شاعر من أهل الشام:

لَجَّ الفرار بمروان فقلتُ له عاد الظلومُ ظليماً همّه الهربُ
أين الفرار وترك المُلك إذْ ذهبت عنك الهوينا فلا دين ولا حسبُ

* * *

انضواء مصر في الخلافة العباسية . . ومقتل مروان بيد عامر بن إسماعيل المذحجيّ

كان اليمانية يمثلون غالبية جند مصر وغالبية أهل الفسطاط عاصمة مصر. وكان مروان لَمَّا تولّى الخلافة سنة١٢٧هـ قام بعزل حفص بن الوليد الحضرمي أمير مصر منذ خلافة هشام بن عبد الملك سنة١٢٤هـ حيث جاء في ترجمته بكتاب الجامع أنه

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٢٦٤ جـ ٣.

«بقي حَفْص الحضرميّ والياً لمصر إلى أيام مروان بن محمد، واضطربت حال الدولة، فاستعفى، فأعفي سنة١٢٧هـ وولّي مكانه حسان بن عتاهية فلم يكد يستقر حتى ثار عليه أهل مصر وأخرجوه من دار الإمارة وأعادوا حَفْصاً. وهو كاره. فعزله مروان أول سنة١٢٨هـ وولّى حوثرة بن سهيل، فقَدِم مصر، واجتمع الجند إلى حفص يسألونه أن يمنعه، فأبىٰ واعتزل الفتنة، ودخل حوثرة فجاءهُ حَفْصُ مُسَلِّماً، فقبض عليه ثم ضرب عنقه»[١]. ولا شك أن قيام حوثرة بن سهيل الباهليّ القيسي بقتل حفص بن الوليد الحضرمي بأمر مروان بن محمد قد أجَجَّ غضب يمانية مصر.

وفي أوائل سنة١٢٨هـ ـ وكما ذكر القاضي سعدي أبو جيب ـ «سار ثابت بن نعيم الجذاميّ من فلسطين إلى مصر، فدخلها ومعه جماعة من اليمانية ودعوا الناس إلى خلع مروان، فاستجاب لهم أهل مصر، ولم يخالف منهم أحد. ولم يطل بثابت المقام في مصر، فقد تصدى لقتاله زبان بن عبد العزيز بن مروان وهزمه»[٢]. فعاد ثابت إلى فلسطين وقبض عليه عامل مروان الرماحس وبعثه إلى مروان فقتله في شوال ١٢٨هـ وتولّى حوثرة بن سهيل الباهليّ مصر، وهو الذي بعثه مروان مدداً لابن هبيرة بالعراق فهزمه محمد بن خالد القسري بالكوفة في محرم ١٣٢هـ وانتهى أمره.

وفيما يبدو محاولة من مروان لاستمالة اليمانية قام بتولية أمير يماني على مصر هو عبد الملك اللخمي في أوائل سنة١٣٢هـ، وقد جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير اللخمي. آخر أمير ولِّي مصر في العصر الأموي. كان يلي خراجها قبل ذلك، ثم وُلِّي الإمارة سنة١٣٢هـ لمروان بن محمد..» [ص ٣٥٣].

وكان عبد الملك اللخمي هو أمير مصر لَمَّا انسحب إليها مروان بن محمد ـ في شوال ١٣٢هـ ـ وكان عبد اللّٰه بن عليّ العباسي في فلسطين فكتب إليه أبو العباس السفاح أن يوجّه أخاه صالح بن عليّ مع أبي عون وعامر بن إسماعيل إلى مصر. قال ابن خلدون: «فسار صالح بن عليّ في ذي القعدة وعلى مقدمته أبو عون وعامر بن إسماعيل، فأجفل مروان إلى النيل ثم إلى الصعيد» [ص ٥٠٠] وقال المسعودي: «سار صالح بن عليّ ومعه أبو عون وعامر بن إسماعيل فلحقوا مروان بمصر»[٣].

ولم يقاتل جند وأهل الفسطاط ـ عاصمة مصر ـ مع مروان بل أيّدوا الخلافة العباسية، وكان على رأسهم اثنان من زعماء اليمانية بمصر، هما عبد الأعلى الرعينيّ

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٨١.
(٢) مروان وسقوط الدولة الأموية ـ سعدي أبو جيب ـ ص ٣٠.
(٣) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٢٦١ جـ ٣.

وعبد اللّه التجيبيّ الحضرمي. جاء في ترجمتهما بكتاب الجامع ما يلي:

أ ـ «عبد الأعلى بن سعيد الجيشاني الرعيني. من حجر رعين. وهو أولُ من سَوّد بمصر (أي لبس السواد شعار العباسيين ودعا إليهم) سنة١٣٢هـ. وكان من أبرز رجال الدولة بمصر في العصر العباسي. توفي سنة١٦٣هـ».

ب ـ «عبد اللّه بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج التجيبي. المعروف بالتجيبي الأمير: أمير. كان هو وأبوه من أكابر المصريين من أعوان بني أُمية، في عهدهم. وهو أول من خطب في رداء أسود شعار العباسيين ـ في مصر ـ» [ص ٣٣٧].

ولَمّا أجفل مروان إلى النيل ثم إلى الصعيد، أقام صالح بن عليّ بالفسطاط، ومضى أبو عون وعامر بن إسماعيل بالجنود وراء مروان وجنوده. قال ابن خلدون: «أجفل مروان إلى النيل ثم إلى الصعيد ونزل صالح الفسطاط وتقدمت العساكر ـ مع أبي عون ـ فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم وأسروا منهم، فدلوهم على مكانه ببوصير». وقال الطبري: «قَدَّمَ أبو عونُ عامرَ بن إسماعيل ـ في طليعة عساكره ـ فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم وأسروا منهم رجالاً، فأخبروهم بمكان مروان. فساروا فوجدوه نازلاً في كنيسة ببوصير، فوافوهم في آخر الليل.. قال عامر بن إسماعيل: لقينا مروان ببوصير ونحن في جماعة يسيرة، فانضوينا إلى نخل، ولو يعلموا بقلتنا لأهلكونا. فقلتُ لمن معي من أصحابي: إنْ أصبحنا فرأوا قِلّتنا وعددنا لم ينجُ منّا أحد، فكسرتُ جفن سيفي وكسر أصحابي جفون سيوفهم، وحملنا، فكأنّها نارٌ صُبت عليهم، فانهزموا..» وقال المسعودي: «لحقوا مروان وقد نزل بوصِير، فبايتوه، وهجموا على عسكره، وضربوا الطبول وكبّروا، فظن مَنْ في عسكر مروان أن قد أحاط بهم سائر المُسوِّدة، فقُتِل مروان ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة١٣٢.. قَتَلَهُ عامر بن إسماعيل. وقيل: إن ابن عم لعامر يقال له نافع بن عبد الملك قتله في تلك الليلة في المعركة وهو لا يعرفه، وأن عامراً احتزّ رأس مروان..»[١] والثابت كما جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية: «أن مروان قتله عامر بن إسماعيل ببوصير»[٢] قال ابن خلدون: «انهزم مروان وطُعن فسقط، وقُطع رأسه، وبعث به طليعة أبي عون إليه، وكان طليعة أبي عون عامر بن إسماعيل»[٣]. وقال الطبري: «بعث عامر بن إسماعيل برأس مروان إلى أبي عون، فبعث بها أبو عون إلى صالح بن علي، وبعث صالح بالرأس إلى أبي العباس يوم الأحد لثلاث

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٢٧١ جـ ٣.

(٢) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٢٩٣.

(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص ٥٠١ ـ وتاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٣٦ جـ ٩.

بقين من ذي الحجة ١٣٢هـ. . ثم انصرف صالح إلى الشام، وخلّف أبو عون على مصر»[١] وقد كتب أبو العباس إلى أبي عون بولايته على مصر فكان أبو عون عبد الملك الأزدي أول ولاة مصر في العصر العباسي. وبانضواء مصر في الخلافة العباسية ومقتل مروان على يد عامر بن إسماعيل المسلي المذحجي اكتمل سقوط الخلافة الأموية وأشرق ـ على يد العرب اليمانيين ـ عصر الخلافة العباسية في الآفاق الممتدة.

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص ٥٠١ ـ وتاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٣٦ جـ ٩.

الولاة اليمانيون
لولاية اليمن في العصر العباسي

لقد كان للعرب اليمانيين الدور الأكبر في إنهاء الخلافة الأموية المروانية وإقامة الخلافة العباسية منذ ظهور الدعوة العباسية في ولاية خراسان ـ سنة١٢٩هـ ـ وكان القائد اليماني الأمير قَحْطبة بن شبيب الطائي هو قاهر الجيوش المروانية ومؤسس الخلافة العباسية بأقاليم خُراسان وأقاليم إيران حتى دخل العراق وهزم جيش ابن هبيرة في موقعة الفرات ـ في ٨ محرم ١٣٢هـ ـ فدخل جيش قحطبة الكوفة التي ثار بها وتولاها الأمير محمد بن خالد القسري اليماني، وهرب ابن هبيرة إلى مدينة واسط وتحصن بها وكان في جيش ابن هبيرة بواسط كثير من الجنود اليمانيين.. قال د. فاروق عمر: «..وفي حصار واسط من قِبَل العباسيين أغراهم أبو جعفر المنصور بالتخلي عن يزيد بن هبيرة والي واسط قائلاً للقبائل اليمنية:

(السلطان سلطانكم والدولة دولتكم).

بمعنى أن الحكم العباسي الجديد هو حكم العرب اليمانية والدولة دولتهم.. إن الأحداث الفاصلة التي وقعت في القرن الثاني الهجري تشهد على الأهمية الكبرى والدور الفاصل الذي قام به العرب.. لذلك كان قادة الجيش العباسي من العرب، وفيما عدا المراكز العسكرية احتلَّ العرب المناصب الإدارية والسياسية الحساسة والعالية، وتحفل المصادر بأسماء الولاة العرب الذين أثبتوا إخلاصاً وكفاية عالية في الإدارة مثل آل قحطبة الطائي وآل المهلّب وغيرهم»[(١)].

لقد كانت دولة الخلافة العباسية في عصرها الأول (١٣٢ ـ ٢٢٨هـ) دولة عروبية، فكان غالبية الولاة الأمراء على ولايات وأقاليم دولة الخلافة من العرب اليمانيين ومن بني العباس. ونقصد هنا كل ولايات وأقاليم دولة الخلافة (بلاد السند، خراسان، بلاد فارس، العراق، الجزيرة الفراتية، أرمينية وأذربيجان، الشام، مصر، إفريقيا الشمالية، الحجاز، اليمن) ونبدأ هذا الفصل بولاية اليمن.

---

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٧٦.

النطاق الجغرافي لولاية اليمن وإن عاصمتها كانت صنعاء

لقد كانت ولاية اليمن ـ في العصرين الأموي والعباسي ـ تشمل كل مخاليف وأرجاء بلاد اليمن التي حددها المؤرخون تحديداً دقيقاً ووافياً. قال المؤرخ الحسن المسعودي: «وبلد اليمن طويل عريض: حدّه مما يلي مكة إلى الموضع المعروف بطلحة الملك سبع مراحل، ومن صنعاء إلى عدن تسع مراحل، والمرحلة من خمسة فراسخ إلى ستة. والحد الثاني من وادي وجا [بالطائف] إلى ما بين مفاوز حضرموت وعُمان عشرون مرحلة. ويلي ذلك الوجه الثالث بحر اليمن وهو بحر القلزم والهند. فجميع ذلك عشرون مرحلة في ست عشرة مرحلة»[(١)].

وقال ابن المجاور الدمشقي: «ديار (جزيرة) العرب هي: الحجاز التي تشتمل على مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها. ونجد الحجاز المتّصل بالبحرين. واليمن المشتمل على تهامة ونجدِ اليمن وعُمان ومَهْرة وحضرموت وبلاد صنعاء وعدن وسائر مخاليف اليمن، فما كان من حدّ السَرَّين حتى ينتهي إلى ناحية يَلَمْلَم حتى ينتهي إلى ظهر الطائف ممتداً إلى بحر اليمن وإلى بحر فارس شرقاً فمِن اليمن، فيكون ذلك نحو ثُلُثيْ بلاد (جزيرة) العرب»[(٢)].

قال الحسن بن أحمد الهمداني: « . .ويفصل بين اليمن وباقي جزيرة العرب خَطٌّ يأخذ من حدود عُمَان ويبرين إلى حد ما بين اليمن واليمامة فإلى حدود الهُجيْرة وتثليث وجُرَش وكُتْنَة، منحدراً في السراة إلى تهامة على أم جَحْدم إلى البحر حذاء جبلٍ يُقال له كُدُمُل[(٣)] بالقرب من حِمضة. . وأول إحاطة البحر باليمن من ناحية دَما[(٤)] فطنوى فالجُمحَة فرأس الفرْتّك فأطراف جبل اليُحْمِد إلى ناحية الشَّحر. . ثم ينعطف البحر على اليمن مغرباً وشمالاً من عدن فيمر بساحل لحِج وأبْيَن وكثيب يرامس وسواحل المنْدَبِ. . إلى غَلافِقة ساحل زبيد فكمران. . إلى الشَّرَجَة ساحل

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٨٩ جـ ٢.
(٢) المستبصر في بلاد اليمن والحجاز ـ ابن المجاور الدمشقي ـ ص ٤٠.
(٣) كدمل: جبل وسط البحر الأحمر.
(٤) دما: بلدة في ساحل عُمان.

بلد حَكَم فباحة جازان إلى عَثَّر، فرأس عَثَّر، إلى ساحل حِمضة. . وفي بلد حكم قرى كثيرة يقال لها المخارف وصبيا ثم بَيش، وساحله عَثر وهو سوق عظيم. . وأم جحدم وهي حد اليمن»[١].

وقد كان اليمن في عصر الخلافة الراشدة (١١ ـ ٤٠هـ) ينقسم إلى قسمين إداريين: صنعاء ومخاليفها، والجَنَد ومخاليفها، فكانت مدينة الجَنَد العاصمة الإدارية لقسم واسع من اليمن يشمل بالتسميات الحالية محافظات ومناطق: تعز، إب، لحج، عدن، الضالع، تهامة، وصاب، رداع، أبين، شبوة، حضرموت، المهرة، ظفار عمان، بينما كانت صنعاء العاصمة الإدارية لمخاليف ومناطق صنعاء، ذمار، البيضاء، مأرب، الجوف، عمران، المحويت، حجة، صعدة، نجران، إلى تخوم الطائف ومنتهى حد اليمن، فكان لليمن عامل بصنعاء وعامل بالجَنَد، ففي خلافة علي بن أبي طالب كان عبيد اللّه بن العباس والياً لصنعاء ومخاليفها وسعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري والياً للجَنَد ومخاليفها.

ثم أصبح اليمن ولاية واحدة عاصمتها صنعاء منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤١ ـ ٦٠هـ) حيث قال ابن الديبع: «لما صار الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان استعمل على اليمن عثمان بن عفان الثقفي مدة، ثم عزله بأخيه عتبة بن أبي سفيان وجمع له ولاية المخلافين صنعاء والجَنَد»[٢] وقال تاج الدين اليماني: «لما وُلّي معاوية بعث إلى اليمن عثمان الثقفي ثم عزله وجمع اليمن بكامله لأخيه عتبَة بن أبي سفيان، فوُلّي اليمن ثلاث سنين ثم مات، فاستعمل معاوية على اليمن النعمان بن بشير الأنصاري»[٣] فمنذ تولية عُتْبة بن أبي سفيان ـ حوالي سنة٤٥هـ ـ أصبح اليمن ولاية واحدة، وأصبحت صنعاء عاصمة ولاية اليمن ومقر والي اليمن. قال ابن خلدون: «صنعاء: قاعدة التبابعة قبل الإسلام، وأوّل مدينة اختطت باليمن. . وصنعاء أشهر حواضر اليمن»[٤]. وقال الحسن بن أحمد الهمداني: «مدينة صنعاء هي أم اليمن وقطبها لأنها في الوسط منها، ما بينها وبين عدن كما بينها وبين حدّ اليمن من أرض نجد والحجاز»[٥]. قال الهمداني: «وكانت دار الإمارة عند قبلة المسجد الجامع بصنعاء»[٦] يعني فيما يلي قبلة الجامع الكبير بصنعاء.

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ٦٥ و٦٨.

(٢) قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ـ ابن الديبع ـ ص ٩١.

(٣) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ـ تاج الدين عبد الباقي اليماني ـ ص ١٦.

(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٦٥٣.

(٥) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٨٢.

(٦) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٤٦٩ جـ ١.

أسماء ولاة اليمن في عصر الخلفاء الأمويين:

كان عُتبة بن أبي سفيان أول ولاة كل ولاية اليمن، تولاها ثلاث سنين (حوالي ٤٥ ـ ٤٨هـ) ثم تولّى اليمن النعمان بن بشير الأنصاري مرتين، الأولى: من سنة٤٨هـ ومكث عدة سنوات، ثم استخلف بشير بن سعد الشهابيّ الصنعاني على اليمن، وتولّى النعمان حمص، ثم عاد النعمان بن بشير والياً لليمن سنة٥٩هـ «فمكث سنة، ثم عُزل، وتولّى اليمن الضحاك بن فيروز الديلمي إلى أن توفّي معاوية» ـ في رجب ٦٠هـ ـ وتولّى الخلافة يزيد بن معاوية.

قال ابن الديبع: «ولَمَّا وُلّي يزيد بن معاوية استعمل على اليمن بحير بن ريسان الحميري على المخلافين معاً»[1]. فكان بحير بن ريسان الحميري والياً لكل اليمن سنة٦٠ ـ ٦٤هـ. قال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش قرة العيون: «كان بحير بن ريسان سيداً كريماً وزعيماً نبيلاً وأميراً عظيماً يعطي العطاء الجزل ويثيب المادحين بأسنى الجوائز وأعظم الرغائب فهو أحد أجواد اليمن وخاتم حاتمها.. وكان شفيقاً على الرعية رفيقاً بهم متين الأخلاق حسن السيرة نشر العدل في ربوع اليمن ومدّ عليه سرادق الاستقرار والرخاء»[1]. ومكث بحير والياً لليمن حتى وفاة يزيد بن معاوية.

ولَمَّا اجتمع أمر الخلافة لعبد الملك بن مروان تولّى اليمن محمد بن يوسف الثقفي (٧٣ ـ ٩١هـ) ثم أيوب بن يحيى الثقفي (٩١ ـ ٩٦هـ) في خلافة الوليد بن عبد الملك. ثم تولّى الخلافة سليمان بن عبد الملك فولّى على اليمن عروة بن محمد السعدي فمكث عروة والياً لليمن في خلافة سليمان (٩٦ ـ ٩٩هـ) وفي خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١هـ) وهو الذي قام ببناء مسجد سليمان في مأرب.

ثم تولّى الخلافة يزيد بن عبد الملك فولّى على اليمن الأمير اليماني مسعود بن عوف الكلبي فمكث والياً لليمن سنة١٠١ ـ ١٠٦هـ. ثم تولّى اليمن في خلافة هشام بن عبد الملك يوسف بن عمر الثقفي (١٠٦ ـ ١٢٠هـ) ثم الصلت بن يوسف الثقفي (١٢٠ ـ ١٢٦هـ) ولَمَّا تولّى الخلافة يزيد بن الوليد ولّى على اليمن الضحاك بن وائل السكسكي اليماني (١٢٦هـ) ثم عزله مروان بن محمد وولّى على اليمن القاسم بن عمر الثقفي ـ سنة١٢٧هـ ـ وكان سيىء السيرة فانضوى أهل اليمن تحت لواء الزعيم طالب الحق عبد اللّه بن يحيى الحضرمي الأباضي فزحف طالب الحق من حضرموت إلى صنعاء وهزم وقتل القاسم بن عمر الثقفي سنة١٢٩هـ ودخل

(١) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ـ ص ٩٥.

طالب الحق صنعاء ونُودي بأمير المؤمنين وحكم كل أرجاء اليمن وبعث قوة بقيادة أبي حمزة الأزدي إلى مكة فانضوت مكة في طاعته ـ في ذي الحجة ١٢٩هـ ـ ثم انضوت في طاعته المدينة المنورة وهزم الجيش المرواني بها ـ في صفر ١٣هـ ـ ثم بعث مروان عشرين ألف مقاتل بقيادة عبد الملك بن عطية فهزم أبا حمزة في المدينة ومكة بعد أربعة أشهر، ثم أقبل عبد الملك نحو اليمن فسار إليه طالب الحق وحاربه بالطائف ووادي بيشه بأعالي اليمن، فقُتل طالب الحق بعد أن هلك كثير من جيش عبد الملك بن عطية ـ في أواسط سنة١٣٠هـ ـ وأقبل عبد الملك إلى صنعاء ومضى يقاتل أصحاب طالب الحق من صنعاء إلى شبام حضرموت فهلك جيشه وسار في نحو ثلاثين من أصحابه من شبام إلى الجوف قاصداً مكة في ذي الحجة سنة١٣١هـ فلحق به أصحاب طالب الحق وقتلوه مع أصحابه جميعاً. قال ابن الديبع: «ثم ولَّى مروان بن محمد الوليد بن عروة على اليمن إلى أن انقضت دولة بني أمية بالشام وقُتل مروان ببوصير من أرض مصر وذلك في آخر سنة١٣٢هـ».

* * *

الولاة اليمانيون لولاية اليمن في العصر العباسي ومعالم عهودهم

قال ابن الديبع: «لَمَّا تولَّى أبو العباس السفاح استعمل على اليمن والحجاز عمه داود بن عليّ بن عبد اللّه بن عباس فاستعمل على اليمن عمر بن عبد المجيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب القرشي العدوي فأقام بصنعاء شهراً ومات. فبعث السفاح محمد بن زيد الحارثي». [ص ١١٩ قرة العيون] وكان أبو العباس السفاح بعث عمه داود بن عليّ والياً على مكة والمدينة واليمامة واليمن في محرم ١٣٣هـ فأقام داود بالمدينة المنورة وكانت اليمامة ما تزال بيد عامل مروان، وكتب داود إلى عمر بن عبد المجيد العدوي بأن يتولَّى اليمن وكان عمر بصنعاء فتولَّى الأمر بصنعاء شهراً واحداً ومات ـ في صفر سنة١٣٣هـ ـ وكذلك مات داود بن عليّ. قال الطبري: «ولَّى أبو العباس عمه داود بن عليّ المدينة ومكة واليمامة واليمن.. ومات داود بالمدينة في ربيع الأول سنة١٣٣هـ وكانت ولايته ثلاثة أشهر، ولَمَّا بلغت أبا العباس وفاته ولَّى على المدينة ومكة واليمامة خاله زياد بن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي، وولَّى أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد اللّه بن عبد المدان على اليمن، فأقام زياد بالمدينة ومضى محمد بن يزيد إلى اليمن» [ص ١٤٧ جـ ٩] وقال ابن خلدون: «لمّا جاءت دولة بني العباس ولَّى أبو العباس السفاح عمه داود بن عليّ مكة والمدينة واليمن حتى إذا توفي داود ـ في ربيع الأول ١٣٣هـ ـ ولَّى أبو العباس على اليمن محمد بن يزيد بن عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي، ثم تعاقب الولاة على اليمن وكانوا ينزلون صنعاء حتى انتهت الخلافة إلى المأمون» [ص ٢١٢/ ٤] فكانت صنعاء عاصمة ولاة اليمن ومقر الولاة في العصر العباسي حتى خلافة المأمون سنة٢٠٤هـ. وفيما يلي أنباء الولاة اليمانيين لولاية اليمن ـ كل اليمن ـ في العصر العباسي.

***

١

محمد بن زيد الحارثي.. والي اليمن

(صفر ـ جمادى ١٣٣هـ)

قال ابن الديبع: « . . استعمل داود بن عليّ على اليمن عمر بن عبد المجيد العدوي. . فأقام بصنعاء شهراً ومات. فبعث أبو العباس السفاح محمد بن زيد الحارثي إلى صنعاء وبعث أخاً له إلى عدن. . »[١] ومؤدى ذلك أن عمر بن عبد المجيد مات في صفر ١٣٣هـ فولّى أبو العباس على اليمن محمد بن زيد الحارثي. وكذلك جاء في بهجة الزمن أنه « . . استعمل أبو العباس على اليمن محمد بن زيد بن عبد اللّه بن يزيد بن عبد المدان الحارثي. . »[٢].

ومحمد بن زيد هذا هو غير (محمد بن يزيد بن عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي) الذي تولّى اليمن في رجب ١٣٣هـ، فمحمد بن زيد هو (محمد بن زيد بن عبد اللّه بن يزيد بن عبد المدان بن الديان الحارثي المذحجي) وهو حفيد الزعيم اليماني الصحابي يزيد بن عبد المدان بن الديان الحارثي. قال يزيد بن عبد المدان بن الديان:

إن تَلْق حيّ بني الديان تلقهم ... شُمّ الأنوف إليهم غُرة اليمن
ما كان في الناس للديان من شبهٍ ... إلّا رُعين وإلّا آل ذي يزن

وغالب الظن أن محمد بن زيد الحارثي كان بصنعاء أو بنجران فكتب إليه أبو العباس بولايته على اليمن، فقَدِم محمد بن زيد صنعاء وتولّى الحكم ـ في شهر صفر سنة١٣٣هـ ـ وبعث أخاً له عاملاً على عدن وما يليها من المخاليف إلى حضرموت ومنتهى مشارق اليمن. فكان محمد بن زيد أول ولاة كل اليمن في العصر العباسي، وكان هو وأخوه قد بلغا من الكبر عتياً.

قال تاج الدين: «فمرض محمد بن زيد أياماً يسيرة ومات [بصنعاء] ومات أخوه بعدن. وكانت ولاية محمد بن زيد خمسة أشهر»[٢]. فتكون ولايته من صفر

---

(١) قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ـ ابن الديبع ـ ص ١٢٠.

(٢) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ـ تاج الدين عبد الباقي اليماني ـ ص ١٩.

إلى نهاية جمادى الثانية ١٣٣هـ ويتفق ذلك مع بداية ولاية محمد بن يزيد الحارثي لليمن في ٧ رجب ١٣٣هـ.

قال ابن الديبع: (مات محمد بن زيد ـ بصنعاء ـ ومات أخوه في عدن، وكان موتهما في يوم واحد»[1]. وقال القاضي محمد بن علي الأكوع في الهامش: «يقال إن أهل صنعاء بعثوا رسولاً إلى عدن لينعى عاملهم إلى أخيه وأهل عدن عملوا كذلك، فاتفق الرسولان في بعض المحاط وأخبر كل واحد صاحبه بالمهمة التي جاء بها، ثم علّوا من موقفهما حاملاً كل واحد منهما كتاب نعي الآخر. وهذا من غرائب الصدف»[1].

(١) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق محمد بن علي الأكوع ـ ص ١٢٠.

(٢)

الأمير محمد بن يزيد الحارثي

(١٣٣ ـ ١٣٤هـ)

هو الأمير محمد بن يزيد بن عبد اللّه بن عبد المدان بن الديان الحارثي المذحجي أمير ولاية اليمن بعد محمد بن زيد الحارثي. وقد التبس الأمر على ابن الديبع في قرة العيون وتاج الدين في بهجة الزمن فذكرا (محمد بن زيد) ولم يذكرا (محمد بن يزيد) وقال تاج الدين أنه: «قَدِم اليمن لسبع مضين من شهر رجب سنة١٣٣هـ». وذلك هو زمن ولاية محمد بن يزيد بن عبد اللّه بن عبد المدان وهو حفيد الزعيم اليماني الصحابي عبد اللّه بن عبد المدان. قال الحافظ ابن حجر في ترجمته بكتاب الإصابة في تمييز الصحابة:

«عبد اللّه بن عبد المدان بن الديان الحارثي. قال ابن حِبان: له صُحبة. وقال ابن سعد: وفَدَ على النبي ﷺ. وكان عبيد اللّه بن العباس صاهر عبد اللّه بن المدان على ابنته، واستعانه على اليمن لَمَّا أمَّرَه عليّ بن أبي طالب عليها»[1].

وقد قُتِل عبد اللّه بن عبد المدان ومالك بن عبد اللّه بن عبد المدان مع ولديْ عبيد اللّه بن عباس بصنعاء سنة٤٠هـ وكان عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المدان ويزيد بن عبد اللّه بن عبد المدان من أعلام الشخصيات باليمن وسار زياد بن عبيد اللّه إلى الشام وتزوج محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن عباس أخته ريطة بنت عبيد اللّه فأنجبت له أبا العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين وكان زياد بن عبيد اللّه الحارثي أميراً لإقليم الرّيّ في ولاية خالد بن عبد اللّه القسري للعراق والمشرقين (١٠٥ ـ ١٢٠هـ) وانضوى زياد في الدعوة العباسية وساهم في قيام الخلافة العباسية.

قال الطبري: «ولّى أبو العباس السفاح عمه داود بن عليّ المدينة ومكة واليمامة واليمن.. ومات داود بالمدينة في ربيع الأول سنة١٣٣هـ وكانت ولايته ثلاثة أشهر.. ولَمَّا بلغت أبا العباس وفاته ولّى على المدينة ومكة واليمامة خاله زياد بن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي، وولّى محمد بن يزيد بن عبد اللّه بن

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٣٣٨ جـ ٢.

عبد المدان على اليمن، فأقام زياد بالمدينة ومضى محمد إلى اليمن..»[١].

وقال ابن الأثير: «..لما بلغت السفاح وفاة داود بن عليّ استعمل على مكة والمدينة واليمامة خاله زياد بن عبيد اللّه الحارثي، ووجّه محمد بن يزيد بن عبيد اللّه بن عبد المدان على اليمن»[٢].

وقال ابن خلدون: «ولّى أبو العباس السفاح على اليمن محمد بن يزيد بن عبد اللّه بن عبد المدان. ثم تعاقب الولاة على اليمن، وكانوا ينزلون صنعاء»[٣].

فجميع تلك النصوص والمصادر التاريخية تنطق بأن محمد بن يزيد بن عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي ولّاهُ أبو العباس على اليمن. قال الطبري: «وسار محمد بن يزيد إلى اليمن في شهر جمادى سنة١٣٣هـ» وقال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش قرة العيون: «في تاريخ الجَندي: محمد بن عبد اللّه بن يزيد بن عبد المدان فقَدِمها في رجب سنة١٣٣هـ»[٤] والأصوب: محمد بن يزيد بن عبد اللّه بن عبد المدان. وكان قدومه صنعاء في ٧ رجب ١٣٣هـ فتولّى محمد بن يزيد حكم اليمن وأقام بالعاصمة صنعاء وبعث أخاه عاملاً على عدن إلى منتهى مشارق اليمن.

وقد نسبت رواية ابن الديبع إلى محمد بن زيد الحارثي ـ وربما محمد بن يزيد الحارثي ـ لأنه لم يُميز بينهما، أنّه «همّ بإحراق المجذومين بصنعاء وأمر بجمع الحطب لهم، وقال: لو كان بهم خيراً لَمَّا أوقع اللّه بهم هذا. فمرض ثم مات قبل أن يفعل بهم»[٤]. وقد ذكر ابن الديبع نفسه أن محمد بن يوسف الثقفي هو الذي همّ بإحراق المجذومين في ولايته لليمن سنة٧٣ ـ ٩١هـ. ولذلك قال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش كلام ابن الديبع ما يلي: «تَقَدّم في ترجمة محمد بن يوسف الثقفي أنه هو الذي همّ بإحراق المجذومين، وهو الذي يتفق وجفاف الرحمة من نفس الثقفي وجفاء بداوته. ويمكن أن تتعدد الواقعة، ولم نقف على إساءة سيرة من المذكورين [محمد بن زيد وأخيه]»[٤].

وكان محمد بن يزيد الحارثي قد بلغ من الكبر عتياً، فمكث والياً لليمن إلى أن توفي بصنعاء سنة١٣٤هـ. حيث قال الطبري: «في سنة١٣٤هـ توفي محمد بن يزيد عامل اليمن»[٥]. وقال ابن الأثير: «في سنة١٣٤هـ توفي

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٤٧ جـ ٩.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٤١ جـ ٤.
(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢١٢ جـ ٤.
(٤) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ـ ص ١٢٠.
(٥) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٥١ جـ ٩.

محمد بن يزيد وهو على اليمن فاستعمل السفاح مكانه عليّ بن الربيع بن عبد اللّه الحارثي»[١] .

وجاء في قرة العيون وبهجة الزمن: أن أبا العباس السفاح ولّى عبد اللّه بن مالك الحارثي فأقام أربعة أشهر، ثم عزله بعلي بن الربيع الحارثي.. فالذي تولّى بعد محمد بن يزيد هو عبد اللّه بن مالك.

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٤٤ جـ ٥.

٣

الأمير عبد اللّه بن مالك الحارثي

(١٣٤هـ)

هو ثالث ولاة اليمن في العصر العباسي عبد اللّه بن مالك بن عبد اللّه بن عبد المدان بن الديان الحارثي المذحجيّ.

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي: « . . كان هو وابنه مالك صديقين لعبد اللّه بن جعفر. وكان عبيد اللّه بن عباس صاهر عبد اللّه بن عبد المدان على ابنته، واستعانه على اليمن لَمَّا أمّرَه علي بن أبي طالب عليها، ولَمَّا بلغه مسير بسر بن أرطأة من قِبل معاوية إلى اليمن، خرج (عبيد اللّه بن عباس) عنها، واستخلف صهره عبد اللّه بن عبد المدان، فقَتَلَ بَسْرُ عبد اللّه بن عبد المدان وابنه مالكاً وولديْ عبيد اللّه بن العباس، ابنيْ أخت مالك، فَلَمَّا بلغ ذلك عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب قال يرثيهما:

ولولا أن تُعنفني قريشٌ ... بكيتُ على بني عبد المدان
لهم أبوان قد علمت يمانٌ ... على آبائهم متقدمان»[(١)]

وكان مقتل مالك بن عبد اللّه بن عبد المدان سنة ٤٠هـ، ويدل ذلك على أن عبد اللّه بن مالك كان شيخاً عجوزاً حين قامت الخلافة العباسية وكان مقيماً بصنعاء، وكذلك كان محمد بن زيد الحارثي ومحمد بن يزيد بن عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي، فولّى أبو العباس السفاح محمد بن زيد الحارثي على اليمن فمكث والياً خمسة أشهر ومات، ثم ولّى محمد بن يزيد في ٧ رجب ١٣٣هـ فمكث والياً إلى أن مات في أوائل سنة ١٣٤هـ، فولّى عبد اللّه بن مالك الحارثي وهو يومئذ ابن سبع وتسعين سنة تقريباً. قال تاج الدين: «فبعث السفاح عبد اللّه بن مالك الحارثي على اليمن، فأقام أربعة أشهر. .»[(٢)] وكذلك

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني - ص ٣٣٨ جـ ٢.

(٢) بهجة الزمن في تاريخ اليمن - تاج الدين اليماني - ص ١٩.

قال ابن الديبع: «فبعث السفاح عبد اللّه بن مالك الحارثي فأقام أربعة أشهر..»[١].

وغالب الظن أن عبد اللّه بن مالك كان بصنعاء فبعث أبو العباس السفاح كتاباً بتوليته على اليمن، فأقام عبد اللّه بن مالك والياً لليمن أربعة أشهر، وكان شيخاً عجوزاً، فولّى أبو العباس مكانه علي بن الربيع الحارثي، فانتهت بذلك ولاية عبد اللّه بن مالك في حوالي جمادى الأولى سنة١٣٤هـ ومات بصنعاء بعد ذلك بأمد يسير.

(١) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ ص ١٢٠.

٤

عليّ بن الربيع الحارثي.. والي اليمن

(١٣٤ ـ ١٣٨هـ)

هو رابع ولاة اليمن في العصر العباسي، الأمير عليّ بن الربيع بن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المدان بن الديان الحارثي المذحجيّ.

كان عليّ بن الربيع مع عمه زياد بن عبيد اللّه لَمَّا ولّاه أبو العباس السفاح على الحجاز في شهر ربيع الثاني ١٣٣هـ فأقام زياد بن عبيد اللّه الحارثي بالمدينة المنورة وولّى على مكة وأعمالها علي بن الربيع الحارثي فمكث أميراً لمكة إلى جمادى الأولى سنة١٣٤هـ. قال الطبري: «في سنة١٣٤هـ توفي محمد بن يزيد عامل اليمن فكتب أبو العباس إلى عليّ بن الربيع بن عبيد اللّه الحارثي وهو عامل لزياد بن عبيد اللّه على مكة بولايته على اليمن فسار إليها»[١].

وكان محمد بن يزيد قد مات في أوائل سنة١٣٤هـ وتولّى اليمن عبد اللّه بن مالك الحارثي. قال ابن الديبع: «فأقام عبد اللّه بن مالك أربعة أشهر ثم عزله أبو العباس بعليّ بن الربيع فمكث ـ والياً ـ أربع سنين وأشهراً»[٢]. وقال تاج الدين اليماني: «استعمل أبو العباس عليّ بن الربيع بن عبد اللّه بن عبد المدان، فوُلّي ـ اليمن ـ أربع سنين وأشهراً»[٣].

وقد بدأت ولاية عليّ بن الربيع الحارثي بقدومه من مكة التي كان أميراً عليها إلى مدينة صنعاء في جمادى الأولى ١٣٤هـ فمكث والياً لليمن «أربع سنين وأشهراً» وذلك إلى شعبان أو رمضان سنة١٣٨هـ. وقد علّق القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش قرة العيون على قول ابن الديبع أن عليّ بن الربيع «مكث أربع سنين وأشهراً» فقال الأكوع: «هذا لا يتفق وسنيّ خلافة السفاح التي هي عبارة عن أربع سنين وتسعة أشهر أو ثمانية أشهر وإلا فإن

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٥١ جـ ٩.

(٢) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٢٠.

(٣) بهجة الزمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ١٩.

عمالة علي بن الربيع هذا تأكل أيام عمالة من سبقه»(١). وقد ذهب الأكوع إلى ذلك لأن أبا العباس السفاح مات في ذي الحجة ١٣٦هـ. ولكن الالتباس يزول بإدراك أن عليّ بن الربيع استمر والياً لليمن في خلافة أبي جعفر المنصور إلى جمادى الثانية ١٣٨هـ كما مكث زياد بن عبيد الله الحارثي والياً للحجاز ونجد إلى سنة١٤١هـ، وبذلك يزول الإشكال.

نبأ الحكومة بين أهل صنعاء العرب وبين الأبناء في عهد عليّ بن الربيع:

وقد كان بنو شهاب الحميريون العرب يمثِّلون ربع سكان مدينة صنعاء وكانت مناطقهم داخل صنعاء يقال لها (ربع بني شهاب). . قال الحسن بن أحمد الهمداني في كتاب الإكليل: «ولبني شهاب بيت سبطان بنهرها وضياعها، وعُضدان [وهي عطان حالياً] وبالرحبة: ميفعة وجَدر، ولهم أكثر حقل صنعاء. . وهم أحد أبيات العرب الثريّة الذين بصنعاء، وهم: بنو شهاب، وبنو عبد المدان، وأصحاب سنواب وأرباب حدقان. . فهذه الأبيات الثرية (كثيرة العدد) وباقي من بها من أبيات العرب فهم البيت والبيتان والأنفار. ولم يزل بين الشهابيين والأبناء المشاقة والمنابذة»(٢) والأبناء هم أبناء الفرس الديلم الذين سكنوا بصنعاء أيام سيف بن ذي يزن وكانوا زهاء ستمائة وتناسلوا فيما بعد.

وفي عهد ولاية عليّ بن الربيع ادَّعى الأبناء أن منطقة الرحبة لهم وهي من ضواحي صنعاء، وقد ذكر الهمداني أن لبني شهاب (بالرحبة: ميفعة وجِدر). قال الأكوع: «الرحبة: هو القاع الفسيح الممتد من الروضة شمال صنعاء، وهو معدود من حقول اليمن المشهورة. نُسبت الرحبة إلى صاحبها: الرحبة بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدِي، من ولد حِمير»(٣).

قال ابن الديبع: «وفي أيام عليّ بن الربيع كانت حكومة بين أهل صنعاء والأبناء في الرحبة، فوكّل أهل صنعاء عمر بن ثمامة، ووكّل الأبناء إبراهيم بن فراس، فأخرج إبراهيم بن فراس كتاب [من] رسول الله ﷺ أنها للأبناء، فقال عمر بن ثمامة إنه يكفر بهذا الكتاب، فغضب الأمير عليّ بن الربيع وقال له: تكفر بكتاب رسول الله ﷺ وجرده عن ثيابه وضربه خمسة وسبعين سوطاً. وقال: أما أنه لا يخرج من الدنيا حتى تصيبه عاهة. فأقام حتى وُلِّي منصور بن يزيد الحِمْيريّ [اليمنَ] ودعا وجوه صنعاء إلى حائط له وفيهم عمر بن ثمامة فأكل جؤجؤ طائر فغصَّ به ومات من ساعته»(٣).

---

(١) قرة العيون ـ تحقيق القاضي محمد الأكوع ـ ص ١٢٠.

(٢) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨ جـ ١.

(٣) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٢٠.

والظاهر أن عمر بن ثمامة حين قال إنه يكفر بهذا الكتاب إنما كان يعني أن الأبناء زوروا ذلك الكتاب ونسبوه إلى رسول اللّٰه ﷺ بأنه كتب لهم بأن منطقة الرحبة للأبناء، فظن عليّ بن الربيع أنه يكفر بكتاب النبي ﷺ فعاقبه. وقد كانت الحادثة التي ذكرها ابن الديبع حوالي سنة١٣٦هـ وعاش عمر بن ثمامة الصنعاني بعد ذلك زهاء ثلاثين سنة حتى مات على النحو الذي ذكره ابن الديبع في ولاية يزيد بن منصور الحميري لليمن سنة١٦٥هـ وكان عمر بن ثمامة قد بلغ عند موته من الكبر عتياً.

* * *

ومن المفيد الإشارة إلى أن عليّ بن الربيع الحارثي كان من أعلام الولاة اليمنيين في ولايات وأقاليم دولة الخلافة في خلافة أبي العباس السفاح حيث كان من الولاة اليمنيين: سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب أول ولاة البصرة (١٣٢ ـ ١٣٣هـ)، منصور بن جمهور الكلبي أول ولاة السند (١٣٢ ـ ١٣٤هـ)، محمد بن الأشعث الخزاعي أمير فارس (١٣٢ ـ ١٣٦هـ) حُميد بن قحطبة الطائي أمير الأردن، أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي أمير مصر (١٣٣ ـ ١٣٦هـ) زياد بن عبيد اللّٰه الحارثي أمير الحجاز (١٣٣ ـ ١٤١هـ) علي بن الربيع الحارثي أمير اليمن. ومكث علي بن الربيع والياً لليمن إلى حوالي جمادى الثانية ١٣٨هـ في خلافة المنصور، وانتهت ولايته بوفاته غالباً.

٥

عبد اللَّه بن الربيع الحارثي.. والي اليمن

(١٣٨ ـ ١٤٢هـ)

هو خامس ولاة اليمن في العصر العباسي، الأمير عبد اللَّه بن الربيع بن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عبد المدان بن الديان الحارثي المذحجي.

كان عبد اللَّه بن الربيع في البصرة بالعراق قبل العصر العباسي، ففي ولاية خالد بن عبد اللَّه القسري للعراق ومشارقها (١٠٥ ـ ١٢٠هـ) سار زياد بن عبيد اللَّه الحارثي إلى خالد القسري فولَّاه خالد على إقليم الرّي (في إيران) ثم ولَّاه قيادة الشرطة بالعراق[١] ويمكن القول ـ على سبيل الاستنتاج ـ أن عبد اللَّه بن الربيع بن عبيد اللَّه الحارثي سار من اليمن إلى العراق آنذاك مع كوكبة من رجالات أسرته، فكان مع عمه زياد بن عبيد اللَّه، ثم سكن عبد اللَّه بن الربيع في البصرة وتزوّج ابنة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب[٢] فأنجبت له الربيع بن عبد اللَّه بن الربيع وذلك حوالي سنة١١٥هـ. ولم يزل عبد اللَّه بن الربيع بالبصرة حتى ظهور أمر الدعوة العباسية فانضوى تحت لوائها، وبصفة خاصة لَمَّا كتب قحطبة بن شبيب الطائي إلى سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب ورَوْح بن حاتم المهلَّبي بالبصرة فثارا وأظهرا الدعوة العباسية[٣] وكان معهما اليمانيون بالبصرة ومنهم غالباً عبد اللَّه بن الربيع، وذلك في ذي الحجة سنة١٣١هـ، وكان زياد بن عبيد اللَّه الحارثي بالكوفة وكان على علاقة بالدعوة منذ وقت مبكر، ولَمَّا تولَّى الخلافة أبو العباس السَّفاح (ابن الحارثية) ولَّى سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب على البصرة (١٣٢ ـ ١٣٣هـ) وولَّى زياد بن عبيد اللَّه الحارثي على الحجاز وكان معه عليّ بن الربيع فولاه زياد على مكة ثم كتب أبو العباس إلى عليّ بن الربيع بولايته على اليمن فأقبل من مكة وتولَّى اليمن في جمادى الأولى سنة١٣٤هـ ـ كما سلفت نصوص ذلك ـ قال ابن الديبع في قرة العيون: «.. فمكث[عليّ بن الربيع] أربع سنين وأشهراً ـ والياً على اليمن ـ.. ولَمَّا

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨٢ جـ ٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٠٨ جـ ٩.

(٣) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٣٥٦.

تولَّى أبو جعفر المنصور استعمل على اليمن عبد اللّٰه بن الربيع الحارثي أخا علي بن الربيع المذكور»[١].

مدة ولاية عبد اللّٰه بن الربيع لليمن:

إنّ من الطبيعي أن تبدأ ولاية عبد اللّٰه بن الربيع لليمن بعد انتهاء ولاية عليّ بن الربيع. وقد ذكر ابن الديبع أن عليّ بن الربيع «مكث أربع سنين وأشهراً»[١] وكذلك ذكر تاج الدين اليماني في بهجة الزمن أنه «استعمل أبو العباس السفاح عليّ بن الربيع، فوُلِّي أربع سنين وأشهراً. فَلَمّا أُستخلف أبو جعفر المنصور استعمل على اليمن عبد اللّٰه بن الربيع الحارثي»[٢] وهذه النصوص تضعنا أمام قولين أحدهما: أن عليّ بن الربيع تولَّى اليمن «أربع سنين وأشهراً» فيكون ذلك من جمادى الأولى ١٣٤هـ إلى جمادى الثانية ١٣٨هـ في خلافة أبي جعفر المنصور، وثانيهما: أن أبا جعفر المنصور لَمّا تولَّى الخلافة استعمل على اليمن عبد اللّٰه بن الربيع مِمّا يعني أن عبد اللّٰه بن الربيع وُلِّي اليمن في شهر محرم سنة١٣٧هـ وهذا يتعارض مع مدة ولاية عليّ بن الربيع.

ونميل إلى أن عبد اللّٰه بن الربيع وُلِّي اليمن في رجب سنة١٣٨هـ لأنه عاد إلى العراق في ذي القعدة سنة١٤٢هـ وأبو جعفر بالبصرة يريد الحج. وقد ذكر القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش قرة العيون أنه: «قال البهاء الجَنَدي: أقام عبد اللّٰه بن الربيع ـ والياً ـ أربع سنين ونصفاً ثم عاد إلى العراق واستخلف ابنه فمكث سنة وثلثاً وعُزِل بمعن»[٣].

فالمدة التي أقام فيها عبد اللّٰه بن الربيع والياً باليمن هي «أربع سنين ونصفٌ» وذلك إلى ذي القعدة سنة١٤٢هـ، يكون ذلك من جمادى الثانية ـ أو مطلع رجب ـ سنة١٣٨هـ إلى ذي القعدة سنة١٤٢هـ ثم عاد إلى العراق للتشاور مع الخليفة أبي جعفر المنصور واستخلف ابنه الربيع بن عبد اللّٰه بن الربيع فمكث سنة وثلثاً.

معالم ذلك العهد:

لقد كان أبو جعفر المنصور بمكة أميراً للحج لَمّا تُوفي أخوه الخليفة أبو العباس السفاح بمدينة الأنبار بالعراق ـ في ١٣ ذي الحجة ١٣٦هـ ـ وعَهَد أبو العباس بالخلافة إلى أخيه أبي جعفر المنصور فأتاه الخبر وهو منصرف من مكة، وكان معه

---

(١) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ ص ١٢١.

(٢) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ١٩.

(٣) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ـ ص ١٢٢.

زياد بن عبيد اللّه الحارثي أمير الحجاز، وكان أبو مسلم الخراساني أمير خراسان حج تلك السنة ومعه ألف مقاتل. فَلَمَّا أتى خبر وفاة أبي العباس واستخلاف أبي جعفر بايعه الناس ومنهم أبو مسلم وزياد، ومكث زياد الحارثي والياً للحجاز ومضى أبو جعفر إلى الكوفة والأنبار فدخلها في محرم ١٣٧هـ وقد بايعه الأمراء والقادة والناس بالعراق كما في الجزيرة العربية، ولكن عمه عبد اللّه بن عليّ أمير الشام لَمَّا أتاه خبر موت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر المنصور انتقض ودعا إلى نفسه بالخلافة فبايعه القادة والجند رغبة ورهبة. وسار بالجيش إلى الجزيرة الفراتية وكان أميرها مقاتل بن حكيم العكي اليماني فدعاه إلى البيعة، فامتنع، فحاصره بمدينة حرّان أربعين يوماً حتى خرج إليه بالأمان فقتله عبد اللّه بن عليّ وذلك في صفر ١٣٧هـ.

وكان أبو مسلم الخراساني ما يزال عند أبي جعفر المنصور ولم يأذن له بالعودة إلى خراسان وولّاه على الجيش الذي هيَّأه للمسير إلى عبد اللّه بن عليّ. قال الطبري: «وسار أبو مسلم من الأنبار لم يتخلف عنه من القوّاد أحد، وبعث على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي، وكان معه حميد بن قحطبة.. وكتب أبو جعفر المنصور إلى الحسن بن قحطبة وكان خليفته بأرمينية أن يُوافي أبا مسلم، فقدم الحسن بن قحطبة ـ بجنوده ـ على أبي مسلم وهو بالموصل»(١). ثم سار أبو مسلم والحسن بن قحطبة لقتال عبد اللّه بن عليّ في نِصِّيبين، وكان للحسن بن قحطبة الطائي الدور الرئيسي في هزيمة عبد اللّه بن علي وجيشه في ٧ جمادى الثانية ١٣٧هـ وكتب أبو مسلم الخراساني إلى أبي جعفر المنصور بخبر هزيمة عسكر عبد اللّه بن عليّ وهروبه، وكتب إليه أبو جعفر المنصور فيما كتب «قد وليتك الشام ـ ومصر ـ فهي خير لك من خراسان.. فَلَمَّا أتاه الكتاب غضب وقال: خُراسان لي.. وسار أبو مسلم من الجزيرة مجمعاً على الخلاف، وخرج من وجهه معارضاً يريد خراسان»(١) وقال د. فاروق عمر: «إن أبا مسلم كان يستهزىء برسائل الخليفة أبي جعفر المنصور التي ترِدُ عليه. ويقول الكوفي ـ صاحب كتاب الفتوح ـ: إن الحسن بن قحطبة الطائي كتب إلى الخليفة عن تصرفات أبي مسلم رسالة قال فيها: يا أمير المؤمنين إن الشيطان الذي كان ينفخ في رأس عبد اللّه بن عليّ قد انتقل إلى رأس أبي مسلم»(٢). وكان أبو جعفر المنصور قد ولَّى حميد بن قحطبة بلاد الجزيرة الفراتية وسار أبو مسلم من الجزيرة إلى إقليم الريّ ـ مع فرسانه الألف ـ يريد خراسان مجمعاً على الخلاف والتمرد، قال المسعودي: «..فسرّح إليه أبو جعفر

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٥٦ ـ ١٦٠ جـ ٩.
(٢) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٩.

المنصور جرير بن يزيد بن جرير بن عبد اللّه البجليّ وكان جرير واحد أهل زمانه وداهية عصره.. فلم يزل بأبي مسلم حتى رده إلى أبي جعفر المنصور»[١] فقام أبو جعفر المنصور بقتل أبي مسلم الخراساني في ٢٥ شعبان ١٣٧هـ.. وقد وقعت بعض حركات الخوارج بناحية الجزيرة الفراتية والأهواز حيث تصدى لها حميد بن قحطبة أمير الجزيرة ويزيد بن حاتم المهلَّبيّ بالأهواز سنة١٣٧ ـ ١٣٨هـ. قال الأصفهاني: «لما انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة [الخوارج] وقد ظفر، خلع عليه أبو جعفر المنصور وعقد له لواء ـ الإمارة ـ على كور الأهواز وسائر ما افتتحه»[٢]. فكان الأمراء والقادة اليمانيون عماد خلافة أبي جعفر المنصور منذ بداية عهده، وقد كان الوالي على اليمن عليّ بن الربيع الحارثي ثم ولّى أبو جعفر المنصور عبد اللّه بن الربيع الحارثي، وكان عبد اللّه بن الربيع في البصرة بالعراق منذ سنوات مضت، فعاد إلى اليمن والياً عليها، وكان معه ابنُهُ الربيع بن عبد اللّه بن الربيع وكانت والدته بنت سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب. واستقر عبد اللّه بن الربيع في دار الإمارة بصنعاء عاصمة ولاية اليمن، وقد سلف ذكر ما قيل عن زمن بداية ولايته منذ تولّى أبو جعفر المنصور الخلافة، ونميل إلى أن ولايته لليمن بدأت منذ أوائل رجب سنة١٣٨هـ وكان الاستقرار سائداً في ربوع اليمن وكذلك في ربوع الحجاز حيث كان عمه زياد بن عبيد اللّه الحارثي والياً للحجاز بإقليميها المدينة المنورة ومكة المكرمة. قال الطبري: «وحج بالناس في هذه السنة ـ سنة١٣٨هـ ـ الفضل بن صالح بن عليّ.. فمرّ بالمدينة فأحرم منها. وزياد بن عبيد اللّه الحارثي على المدينة ومكة»[٣].

ثم دخلت سنة١٣٩هـ وفيها ولّى أبو جعفر المنصور على البصرة وأقاليمها سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب، وكان الوالي على الأهواز يزيد بن حاتم، وعلى فارس والريّ محمد بن الأشعث الخزاعي، وعلى أرمينية الحسن بن قحطبة، وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة، وعلى الشام صالح بن عليّ العباسي، وعلى الحجاز زياد بن عبيد اللّه الحارثي، وعلى اليمن عبد اللّه بن الربيع الحارثي. قال الطبري: «وفي سنة١٣٩هـ وسّع أبو جعفر المنصور المسجد الحرام، وكان على المدينة ومكة زياد بن عبيد اللّه الحارثي» [ص ٩/١٧٢].

وفي سنة١٤٠هـ ظهرت أول القرائن على دعوة سِرِّيَّة علوية لمحمد بن

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ١٦٢ جـ ٣.

(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٩٠ جـ ٣.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٧١ جـ ٩.

عبد اللّه بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية، وكان أبو جعفر المنصور لَمَّا حج سنة١٣٦هـ قد لاحظ غياب محمد وأخيه إبراهيم وأمر زياداً بطلبهما، وكان أبوهما عبد اللّه بن الحسن يقول إنهما منهومان بالصيد لا يشهدان مع أهليهما خيراً ولا شراً، ولم يتجاوز الأمر السؤال عنهما، وبعد موسم حج سنة١٣٩هـ خرج محمد في قافلة من الحجاج العائدين إلى البصرة.. قال الطبري: «في سنة١٤٠هـ قَدِم محمد بن عبد اللّه بن حسن البصرة مختفياً في أربعين نفراً.. وأقام بالبصرة يدعو إلى نفسه سراً ستة أيام، ثم خرج، فبلغ أبا جعفر المنصور مقدمه البصرة فأَقْبَلَ مُغذّاً، وكان محمد قد خرج من البصرة قبل مقدمه.. قال محمد بن حفص: وجَلَ محمد وأخوه إبراهيم من أبي جعفر فأتيا عدن ثم سارا إلى السند ثم إلى الكوفة ثم إلى المدينة». [ص ٩/١٨٣].. لقد أقام محمد وأخوه إبراهيم ستة أيام بالبصرة ثم أبحرا من البصرة إلى عدن في اليمن فأقاما فترة ثم سارا في سفينة من عدن إلى السند فمكثا فترات بالسند وما يليها من بلاد فارس إلى أن أقبلا إلى الكوفة مع قوافل المعتمرين أو الحجاج، ثم مضيا إلى المدينة لأنهما من سكان المدينة، وكانا يتواريان بالمدينة ومناطقها. وكان تحركهما ذلك إلى العراق واليمن والسند وفارس سنة١٤٠هـ قرينة على دعوة سِرِّيَّة تمتد إلى تلك البلدان ومنها اليمن، لأن وجود الدعوة لم يكن مؤكداً.. وقد حج أبو جعفر المنصور سنة١٤٠هـ وسار إلى المدينة ووقع بينه وبين زياد بن عبيد اللّه الحارثي خبر طويل بشأن تهاونه في طلب محمد وأخيه إبراهيم، واستدعى أبو جعفر المنصور عبد اللّه بن الحسن وسأله عن ابنيه محمد وإبراهيم واشتد بينهما الكلام حتى كاد أبو جعفر أن يأمر بقتله فشفع له زياد الحارثي وتعهد زياد بالقبض عليهما وسار أبو جعفر المنصور، ثم بلغه أن محمداً ظهر بالمدينة وأن زياد بن عبيد اللّه قال له: إلحق بأي بلد شئت، فعزل أبو جعفر المنصور زياد بن عبيد اللّه الحارثي في جمادى الثانية ١٤١هـ وولّى على المدينة محمد بن خالد القسري، ومكث عبد اللّه بن الربيع والياً لليمن.

وفي سنة١٤٢هـ ظهرت في منطقة حضرموت باليمن بدايات حركة قوية للإباضية [الذين يعتبرهم التاريخ من الخوارج] وكان المذهب الإباضي شائعاً بمناطق من حضرموت وغيرها باليمن آنذاك، وكان يتزعم الحركة الإباضية عمرو بن يزيد الأشباوي الحضرمي، وفي تلك السنة أيضاً أقبل محمد بن عبد اللّه بن الحسن وأخيه إبراهيم بمركب من ساحل الحجاز إلى اليمن لمواصلة الدعوة السِّرِّية في اليمن ثم السند وغيرها، ويدل على الزمن أن أبا جعفر المنصور ولّى على السند عمر بن حفص الأزدي سنة١٤٢هـ. قال الطبري: «خرج محمد وإبراهيم إلى عدن، فخافا

بها، وركبا البحر حتى صارا إلى السند، فسُعي بهما إلى عمر بن حَفْص فخرجا من السند..»[١]

لقد أقبل محمد وإبراهيم إلى عدن (مروراً بساحل تهامة اليمن) ثم نزلا عدن أبين، فمكثا فترة وأجريا منها اتصالات لدعوتهما السِّرِّية، ويشير النص على أنهما (خافا بها) إلى أن سلطة ولاية اليمن رصدت نشاطهما، وكان ذلك في أواسط سنة١٤٢هـ، فسارا إلى السند وعلم أميرها عمر بن حفص الأزدي بأمرهما فخرجا من السند براً إلى ما يليها من فارس وغيرها واستمرا في دعوتهما السِّرِّية.

وفي ذي القعدة سنة١٤٢هـ توجه عبد اللّه بن الربيع الحارثي أمير اليمن إلى الخليفة أبي جعفر المنصور بالعراق للتشاور في أمر حركة الإباضية (الخوارج) التي انتشرت في حضرموت وغيرها ولم يكونوا قد خرجوا وكان رئيسهم عمرو بن يزيد الأشباوي الحضرمي وإنما كانوا يدعون ويعملون للخروج على دولة الخلافة في السنة القادمة تقريباً، وكذلك نشاط دعوة محمد بن عبد اللّه بن الحسن (العلوية)، واستخلف عبد اللّه بن الربيع على ولاية اليمن ابنه الربيع.

وقد توهَّم اليعقوبي أن مسير عبد اللّه بن الربيع كان بسبب اندلاع حركة الإباضية وأن عبد اللّه بن الربيع خرج هارباً، فقد ذكر القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش قرة العيون أنه: «قال اليعقوبي: خرج أبو جعفر المنصور سنة١٤٢هـ إلى البصرة يريد الحج فَلَمَّا صار بالجسر الكبير أتاه الخبر بأن أهل اليمن قد أظهروا المعصية وأن عبد اللّه بن الربيع قد هرب ممن وثب عليه وضعف عنهم. فوجّه معن بن زائدة» [ص ١٢٢] بينما الصواب كما ذكر المؤرخ البهاء الجندي أنه: «أقام عبد اللّه بن الربيع ـ والياً ـ أربع سنين ونصفاً ثم عاد إلى العراق واستخلف ابنه فمكث سنة وثلثاً ثم عزل بمعن». وقال تاج الدين: «..سار عبد اللّه بن الربيع نحو المنصور، واستخلف ابنه، فأقام باليمن حتى قدم عليه معن بن زائدة»[٢]. ويتبيَّن من ربط النصوص أن عبد اللّه بن الربيع سار نحو المنصور فالتقى به وقد خرج إلى البصرة يريد الحج وصار بالجسر الكبير فأخبره عبد اللّه بن الربيع بأمر حركة الإباضية، وأمر قدوم محمد وإبراهيم إلى عدن وغير ذلك وأنه استخلف ابنه الربيع، وأقام عبد اللّه بن الربيع مع أبي جعفر المنصور.

* * *

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٤٣ جـ ٩.
(٢) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ١٩.

ما بعد انتهاء ولاية عبد اللّٰه بن الربيع لليمن:

وكان عبد اللّٰه بن الربيع بعد عودته إلى العراق من مستشاري الخليفة أبي جعفر المنصور وسار معه لَمَّا اختط مدينة بغداد وأتاه خبر خروج محمد بن عبد اللّٰه بن الحسن في المدينة المنورة وسيطرته عليها ومبايعته بها في أول رجب سنة١٤٥هـ. وقد ذكر الطبري في تاريخ الأمم والملوك ما يلي نصه:

«قال عبد اللّٰه بن الربيع بن عبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن عبد المدان الحارثي: خرج محمد بن عبد اللّٰه بن حسن بالمدينة وقد خطّ المنصور مدينة بغداد بالقصب، فسار إلى الكوفة وسرتُ معه، فصِيح بي (أن أجِب أمير المؤمنين) فلحقته، فصمتَ طويلاً ثم قال: يا ابن الربيع خرج محمد. قلتُ: أين؟ قال: بالمدينة. قلتُ: هَلَكَ واللّٰه وأَهْلَكَ، خرج واللّٰه في غير عدد ولا رجال يا أمير المؤمنين، ألا أحدّثك حديثاً حدّثنيه سعيد بن عمرو بن جعدة قال: كنتُ مع مروان يوم الزاب واقفاً، فقال: يا سعيد من هذا الذي يقاتلني في هذا الخيل؟ قلتُ: عبد اللّٰه بن علي بن عبد اللّٰه بن عباس، قال: أيهم هو، أعرِفه؟ قلت: نعم، رجل أصفر حسن الوجه، دخل عليك يشتم عبد اللّٰه بن معاوية - بن عبد اللّٰه بن جعفر بن أبي طالب - حين هُزم. قال: قد عرفته، واللّٰه لوددتُ أن علي بن أبي طالب يقاتلني مكانه، إن علياً وولده لا حظّ لهم في هذا الأمر، وهذا رجل من بني هاشم وابن عم رسول اللّٰه ﷺ وابن عباس معه ريح الشام ونصر الشام، يا ابن جعدة: تدري ما حملني على أن عقدتُ - ولاية عهدي - لعبد اللّٰه وعبيد اللّٰه ابني مروان وتركتُ عبد الملك وهو أكبر من عبيد اللّٰه؟ قلتُ: لا، قال: وجدتُ الذي يلي هذا الأمر (بعدي يكون اسمه) عبد اللّٰه، وكان عبيد اللّٰه أقرب إلى عبد اللّٰه من عبد الملك فعقدتُ له. فقال أبو جعفر المنصور: أنشدك اللّٰه أحدّثك هذا ابن جعدة؟ قلتُ: ابنة سفيان بن معاوية طالق البتة ما لم يكن حدّثني ما حدّثتك»[1].

قال الطبري: «وأرسل أبو جعفر المنصور إلى جعفر بن حنظلة البهراني - اليمانيّ - وكان ذا رأي، فقال له: هات رأيك قد ظهر محمد بن عبد اللّٰه بن حسن بالمدينة. فقال جعفر: وجّه الأجناد إلى البصرة يا أمير المؤمنين. قال: وكيف خفت البصرة؟ قال: لأن أهل المدينة ليسوا بأهل حرب بحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم، وأهل الكوفة تحت قدمك، وأهل الشام لا يحبُّون آل أبي طالب، فلم يبق إلا البصرة. فوجّه أبو جعفر المنصور ابنيْ عقيل - قائدين من

---

(١) تاريخ الأمم والملوك - الطبري - ص ٢٠٨ جـ ٩ وص ٢٤٧ جـ ٩.

طيىء ـ فقَدِما البصرة وعليها سفيان بن معاوية المهلَّبيّ فأنزلهما عنده»[١].

وفي شعبان ١٤٥هـ بعث محمد بن عبد اللّه بن حسن نوابه ودعاته إلى الأقاليم، فبعث القاسم بن إسحاق الحسني العلويّ إلى اليمن، ومحمد بن حسن بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر إلى مكة، وإبراهيم بن عبد اللّه بن حسن إلى البصرة وعبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن حسن إلى السند، وكتب معهم إلى شيعته بتلك البلدان بإظهار الدعوة في أواسط شهر رمضان ـ ربما ١٧ رمضان ـ فكتب محمد بن خالد القسري إلى أبي جعفر المنصور يخبره بقلة أصحاب محمد بن عبد اللّه بن حسن في المدينة وغير ذلك من أخبار النواب الدعاة، وكان محمد بن خالد قد بايع محمد بن عبد اللّه وأقام معه فعرف مخططاته، وكتب إلى أبي جعفر المنصور ـ في أواسط شعبان ـ قال الطبري: «وظهر محمد بن عبد اللّه على أن محمد بن خالد القسري كتب إلى أبي جعفر بأمره فحبسه في نفر ممن كان معه» بينما وصل مبعوث محمد بن خالد إلى أبي جعفر المنصور، فقرر أبو جعفر التحرك قبل يوم ١٧ رمضان، فبعث وليّ عهده عيسى بن موسى العباسي على رأس جيش بقيادة حُميد بن قحطبة الطائي إلى المدينة، فوصلها صباح يوم ١٢ رمضان ووقع القتال مع محمد بن عبد اللّه بن حسن وأصحابه في ١٤ رمضان فهزم حُميدُ بن قحطبة وجنوده محمداً وأصحابه، وسقط محمد قتيلاً بعد عصر يوم الاثنين ١٤ رمضان ١٤٥هـ وتم إعطاء الأمان لسائر أهل المدينة.

* ـ وفي شوال ١٤٥هـ ولّى الخليفة أبو جعفر المنصور الأمير عبد اللّه بن الربيع الحارثي ـ أمير اليمن السابق ـ على المدينة المنورة وما كان إليها من بلاد الحجاز. قال الطبري:

«قَدِم عبد اللّه بن الربيع الحارثيُّ المدينةَ والياً من قِبل أبي جعفر المنصور يوم السبت لخمس بقين من شوال سنة١٤٥هـ»[٢] وله أخبار كثيرة بالمدينة المنورة ذكرها الطبري، وقد مكث والياً على المدينة إلى ربيع الأول ١٤٦هـ. قال الطبري: «وفي سنة١٤٦هـ عُزل عن المدينة عبد اللّه بن الربيع ووُلّي مكانه جعفر بن سليمان ـ العباسي ـ فقَدِمها في شهر ربيع الأول»[٢] وعاد عبد اللّه بن الربيع إلى العراق.

* ـ ومكث الأمير عبد اللّه بن الربيع من رجال الدولة وأهل المشورة عند الخليفة أبي جعفر المنصور، وكان له دور في عقد ولاية العهد لمحمد المهدي بن

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٠٨ جـ ٩ وص ٢٤٧ جـ ٩.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٣٥ و٢٤٦ جـ ٩.

أبي جعفر المنصور بدلاً عن عيسى بن موسى بن علي بن عبد اللّه بن عباس سنة١٤٧هـ. وفي ذلك جاء في تاريخ الطبري أنه:

«قال أبو نُخيلة الشاعر: قَدِمتُ على أبي جعفر المنصور فأقمتُ ببابه شهراً لا أصلُ إليه حتى قال لي عبد اللّه بن الربيع الحارثي ذات يوم، يا أبا نُخيلة إنّ أمير المؤمنين يُرشِّحُ ابنه محمد المهدي للخلافة والعهد وهو على تقدمته بين يدي عيسى بن موسى فلو قُلتَ شيئاً نَحُثُّه على ذلك وتذكر فضل المهدي».

فاستجاب أبو نخيلة لعبد اللّه بن الربيع وقال قصيدة منها:

إلى أمير المؤمنين فاعْمِدِي ... سيري إلى بحر البحور المُزبِدِ

إلى أمين الواحد المؤَيَّد ... إن الذي ولّاك ربّ المسجد

أمسى وليُّ عهدها بالأسعدِ ... عيسى، فزحلفها إلى محمد

من قبل عيسى مَعْهَداً عن معهدِ ... حتى تؤدى من يدٍ إلى يدِ

فيكم وتَغْنَى وهي في تزيُّد ... فقد رَضِينا بالغلام الأمرد

وقال قصيدة ثانية منها:

أسندْ إلى محمد عَصَاكا ... فابنُك ما استَرْعَيْتَه كفاكا»

فرُويت القصيدتان، وتثبتت فكرة إزاحة عيسى وتولية محمد المهديّ، فبُويع لمحمد المهدي بولاية العهد ولم يزل عبد اللّه بن الربيع من مستشاري المنصور إلى أن استخلف المنصور ابنه المهدي وأوصاه وهو سائر لأداء فريضة الحج سنة١٥٨هـ حيث جاء في هامش قرة العيون أنه: «قال عبد اللّه بن الربيع الحارثي: سمعت المنصور يقول للمهدي لَمَّا ودعه عند خروجه إلى مكة: إني تركت الناس ثلاثة أصناف، فقير لا يرجو إلا غناك، وخائف لا يرجو إلا أمنك، ومسجون لا يرجو الفرج إلا منك، فإذا وُلِّيت فأذقهم طعم الرفاهية ولا تمد لهم كل المدّ. فمِن أول أعمال المهدي لَمَّا تولّى الخلافة ـ سنة١٥٨هـ ـ أنه أمر بإطلاق المسجونين وأمر لهم بصلات ورد المظالم إلى أربابها». [ص ١٢٥ قرة العيون].

٦

الربيع بن عبد اللّٰه الحارثي.. والي اليمن أربع مرات

هو الأمير الربيع بن عبد اللّٰه بن الربيع بن عبيد اللّٰه بن عبد المدان الحارثي. وله قال نصيب الشاعر:

ألا أبلغا عني الربيع رسالةً ... ربيع بني عبد المدان الأكارم

وقال نصيب للربيع وهو بصنعاء والياً لليمن:

أجدتُ مشهَّراً في كل أرضٍ ... فعجل يا ربيعُ مشهَّراتِ

يمانيةً تَخيرها يمانٍ ... منمنمة البيوت مُقطّعاتِ[1]

وكان الربيع شخصية فريدة إذ أنه تولّى اليمن أربع مرات ما بين سنة١٤٢ وسنة١٧٩هـ.

أولاً: الولاية الأولى للربيع (١٤٢ ـ ١٤٦هـ)

كان الربيع مع أبيه الأمير عبد اللّٰه بن الربيع لَمّا تولّى عبد اللّٰه ولاية اليمن في خلافة أبي جعفر المنصور ثم سار عبد اللّٰه نحو المنصور واستخلف ابنه الربيع على ولاية اليمن قال ابن الديبع: «استخلف عبد اللّٰه ابنه فأقام باليمن حتى قدم عليه معن بن زائدة والياً سنة١٤٠هـ ثم استدعاه المنصور بعد ٦ سنين إلى العراق»[2].

وقال الأكوع في هامش قرة العيون: «قال البهاء الجَنَدي: أقام عبد اللّٰه بن الربيع ـ والياً ـ أربع سنين ونصفاً ثم عاد إلى العراق واستخلف ابنه فمكث سنة وثلثاً»[2].

وقال تاج الدين في بهجة الزمن: «سار عبد اللّٰه بن الربيع نحو المنصور واستخلف ابنه فأقام باليمن حتى قَدِم عليه معن بن زائدة الشيباني في شهر ربيع الأول سنة١٤٠هـ وقيل: سنة١٤٢هـ»[3].

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٢٩ جـ ٢٠.

(٢) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٢٢.

(٣) بهجة الزمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ١٩.

وجاء في هامش بهجة الزمن أنه: «في تاريخ اليمن للواسعي: أن ولاية معن عليها كانت في سنة١٤٦هـ»[1].

ويتبيَّن من النصوص التاريخية ما يلي:

ـ إن عبد الله بن الربيع مكث والياً لليمن أربع سنين ونصفاً إلى ذي القعدة ١٤٢هـ ثم سار نحو المنصور واستخلف ابنه الربيع فأقام والياً باليمن حتى قَدِم [أو: قُدِم] عليه معن بن زائدة الشيباني. وقد اختلفت الروايات في تاريخ قدوم معن، فقال الأكوع تعليقاً على قول ابن الديبع بأنه قدِم سنة١٤٠هـ أنه «على كلام الجَندي يكون قدوم معن سنة١٤٢هـ وكذا في تاريخ اليعقوبي وابن الأثير»[2].

ومؤدى ذلك أن قدوم معن كان في ولاية عبد اللّه بن الربيع وولاية الربيع لليمن فقد مكث معن بن زائدة ـ كما ذكره ابن الديبع ـ «ست سنين» من سنة١٤٠ ـ ١٤٦هـ بينما جاء في هامش بهجة الزمن أن ولاية معن كانت سنة١٤٦هـ وهي سنة انتهاء ولاية الربيع بن عبد اللّه بن الربيع، وكذلك انتهاء ولاية معن في نَص ابن الديبع. ونرى من ذلك أن قدوم معن بن زائدة لم يكن والياً وإنما كان أميراً حربياً، أي والياً للحرب وقائداً عسكرياً وأن الوالي كان الربيع بن عبد اللّه الحارثي بينما تولَّى معن شؤون الحرب والخراج. وذكر القاضي محمد الأكوع أنه «قال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة: قد ولَّيتك اليمن فابسط السيف فيهم حتى تنقض حلف اليمن وربيعة. فولَّاه اليمن وتوجّه إليها فبسط فيهم السيف حتى أسرف.. قال اليعقوبي: قَدِم معنُ بن زائدة اليمن فقتل من بها قتلاً فاحشاً..»[2].

قال ابن الديبع: «إن أهل حضرموت انتقضوا على معن فسار إليهم فأوقع بهم عدة وقعات حتى بلغ قتلاهم خمسة عشر ألفاً». قال تاج الدين: «وهم بقية الخوارج الذين قتلوا أهل قديد»[3].

وقد انتقد القاضي محمد الأكوع ما قام به معن بن زائدة بأمر أبي جعفر المنصور من سفك الدماء قائلاً: «ومهما يكن فليُرجع القارىء البصر لهذه الوصية من أبي جعفر المنصور وكيف استباح دماء اليمانيين الزكية التي لا يزال المرء في فسحة في دينه ما لم يسفك دماً حراماً. وبدون مبرر أو رعاية قانون سماوي أو عقلي أو وضعي، بل حزازات النفوس واستجابة لنهمة الوحوش»[2].

وأقول إن أبا جعفر المنصور لم يكن متعصباً على اليمانية بل اعتمد عليهم،

---

(١) بهجة الزمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ١٩.

(٢) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٢٢.

(٣) بهجة الزمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ١٩.

وأنه لَمَّا قال لمعن بن زائدة (أسمعني أصوات أهل اليمن) كان يعني المعارضين الخارجين على دولة الخلافة، وقد خاض معن بن زائدة حروباً في مناطق صعدة والمعافر وحضرموت، وكانت ضد ثورة الإباضية الخوارجية بزعامة عمرو بن يزيد الأشباوي الحضرمي من جهة وضد أشياع الدعوة العلوية لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن العلوي الذي ثار بالمدينة في رجب سنة١٤٥هـ وثار أخوه إبراهيم بالبصرة في رمضان سنة١٤٥هـ فبعث أبو جعفر المنصور جيشاً بقيادة حميد بن قحطبة الطائي فقضى على حركة محمد بالمدينة في رمضان ثم على حركة إبراهيم بالبصرة في ذي القعدة ١٤٥هـ، وكذلك استقرت الأمور باليمن. وكان معن بن زائدة يتولَّى جباية الخراج أيضاً.

قال الهمداني في الإكليل: «ومن رجال وأجواد بني شهاب: عبّاد بن محمد، لم يبار معن بن زائدة في جُوده أحد باليمن سواه، ولم يحاشه في ذلك. وكان معن يحسده في ذلك ولا يجد سبيلاً إلى اصطلامه عنوة لمقداره في اليمانية وعزّه بينها، فأقام يعمل فيه الكيد والمكر ليتسلق إليه بالمساءة. فحدثني محمد بن أحمد القهبي السمسار الصنعاني وأدركته شيخاً، قال: حدثني أبي عن عمّه، وكان صديقاً لعبّاد بن محمد، قال: كان لمعن بن زائدة عامل على مُقري[1] من أهل العراق، وكان العامل جواداً منخرق الكف، فأشخصه مَعْنُ ليحاسبه، فوجد عليه فضْل ألوف الدنانير، فقال له: أين هذا المال؟ قال: سقط عليّ منه شيء. قال: فاغرم. قال: الأمير يعرف أن لا شيء معي، وخلفي من الضياع والعقار ما هو أعرف به فإن يحب الأمير أن يكتب إلى وكلائه بقبضه فليفعل. قال: لا يكون ذلك إلا بمضيّك ولا مضيَّ لك إلا بكفيل يوجهك، قال: أنا أكفلُ لك من خدمك، قال: وهل في خدمي من يحمل هذا المال إن عجزت؟ قال: فما يعرفني أحد سواهم، قال: اطلب. قال: ومَنْ يكفل بي سواهم وأنا غريب لا يعرفني أهل اليمن، قال: أنا أدلك على من يكفل بك منهم، قال: ومَنْ هو؟ قال: عليك بعبّاد بن محمد الشهابي فهو عربيٌ كريم ولن يجبهك في ذلك. فمضى إليه العاملُ وكلمه، فأنعم له ودخل معه على معن، فقال له: أتكفلُ بوجهه؟ قال: نعم، أتكفل بوجهه وبالمال الذي عليه، قال: طَلبُنَا لوجهه أكثر من المال، قال: أنا أكفل به وأثق به. فبعث معن لوجوه العدول من أهل صنعاء فأشهدهم عليه وضربوا له أجلاً محدوداً، على أنه إن تأخّر غير يوم واحد فقد أحلّ عبّاد بطشة الأمير به وبولده وبمنزله، يحكم فيه بما رأى، فقبل ذلك عبّاد ومضى الرجل، فَلَمَّا انقضت المدة غير يوم، بعث إليه معن: أن أحضر إلينا غداً الرجل،

(١) مقري: مخلاف من مخاليف اليمن كان مركزه ناحية مغرب عنس بمحافظة ذمار حالياً.

فورد إليه منه ما غمّه وهاله، فاجتمع إليه إخوانه وباتوا سميراً عنده. قال ابن القهبي: وكان عمّ أبي ممن بات معه، قال: فبتنا وبات عبّاد في حالة ضيّقة، فَلَمَّا كان السَحَر، إذْ بالرجل يضرب الباب، فنظر الخدم من هو، فإذا بالرجل ـ العامل ـ فدخل فسلم على عبّاد وعلينا، وخَبَّرَ أنه قد أتى بالمال. وكان معن يكون أياماً في دار الرحبة، وأياماً في دار الإمارة في قبلة المسجد الجامع بصنعاء وكان يحضر الصلوات، فصلّى عبّاد معه، فَلَمَّا قضى صلاته تقدم إليه فصبّحه وأعلمه أن العامل قَدِم، وسأله أن يأذن له في تقديمه إليه، فقال: أكرم مثواه حتى أبعث لك وله. ثم بعث لهما بعد ثلاثة أيام أو أربعة، وأحضر المال وحضر الشهود للبراءة، فَلَمَّا انقضت الشهادة، قال معن: لا كنتُ أدون الثلاثة، أما أنت ـ يريد العامل ـ فاقبض مالك فقد سوغتكه، وأما أنت يا عبّاد بن محمد فوفَتْ ذمتك، وقد أنفذتُ طلبك، وأسعفت شفاعتك في كل ما طلبت فيه لك أو لغيرك. فدعا له وشكر، وقال: أيها الأمير إِنَّ هذا الرجلَ قد بَرّني ببرٍّ ولم أستحسن أن آخذ على ذمتي حباءً، وردّه يسمج بي، وقد أحبُّ من الأمير أن يقبله هو ومني المكافأة، فقال معن: إقْبَل ونقبل، وقال معن: وما هذا البرّ؟ قال: أحمال وأعكام لا أدري ما فيها[1] قال: فصيّر إليك من كل حمل عديلة، وإلينا عديلة. وكره العامل أن يعود لمعن في عمل وأحب الانصراف ـ إلى العراق ـ، فعرض عبّاد ضيعة له يقال لها الغِفار، فباعها بمال جزيل، واشترى به من طرائف اليمن ما كافأ به العامل. فبلغ ذلك معن، فأقسم على عبّاد ليَسترجعنَّ ضيعتَه. ودفع المال من عنده ـ قال الهمداني ـ وهذه الكفالة تُشاكل كفالة شريك بن عمرو للملك اللخميّ ـ المنذر بن ماء السماء بعمرو بن الأخنس الطائي»[2]. ـ وهي كفالة قصتها مشهورة وكانت قبل الإسلام في مملكة المناذرة بالحيرة ـ.

ويبدو أن معن بن زائدة رفع بعبّاد بن محمد الشهابي إلى الخليفة أبي جعفر المنصور بالعراق زاعماً أن له علاقة بالخارجين على الدولة، فسار عبّاد إلى المنصور. فقد ذكر الهمداني أنه: «كان عبّاد بن محمد رُفع إلى العراق ثم أُصطنع»[2]. وقد كان لرجالات اليمن الذين عند المنصور ـ أمثال عبد اللّه بن الربيع الحارثي ـ دور في أخبار المنصور بمكانة عبّاد بن محمد الشهابي وعدم صحة الرفع به، فعفا المنصور عنه. وقد نزل عبّاد في مسيره ذلك إلى العراق عند آل المهلّب بالبصرة وهم أخوال الربيع بن عبد اللّه الحارثي، لأن والدة الربيع هي بنت سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب، وكان سفيان أمير البصرة سنة١٣٩ ـ ١٤٥هـ. قال الهمداني في الإكليل: «نزل عبّاد بن

(١) الأعكام: كل شيء معلوم، وهو المسدود المختوم.

(٢) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ٤٦٧ ـ ٤٧٠ جـ ١٠.

الغمر الشهابي بالبصرة على الأزد ثم منهم في المهالبة، وكذلك نزل عليهم عبّاد بن محمد الشهابي[دون غيرهم] من يمانية البصرة لقرابتهم من الأزد.. وكان مع عبّاد بعض بنيه، وكان عبّاد وأولاده من أحسن العرب فروسية، وكانت المهالبة تباهي أهل البصرة جميعاً بهم». [ص ٤٧٤ جـ ١ ـ الإكليل].

قال اليعقوبي: «وكتب أبو جعفر المنصور إلى معن بن زائدة وهو على اليمن أن يقْدِم إليه، فاستخلف ابنه زائدة على اليمن». وقال ابن الديبع: إن معن بن زائدة «استدعاه المنصور ـ سنة١٤٦هـ ـ إلى العراق، واستخلف ابنه زائدة بن معن على اليمن بأمر المنصور، فأقام بعد أبيه ثلاث سنين»[ص ١٢٣ ـ قرة العيون].

وقد ولّى أبو جعفر المنصور معن بن زائدة على سجستان، وكان معن قد قتل باليمن عمرو بن يزيد الأشباوي الحضرمي زعيم الإباضية في حضرموت، فَلَمَّا وُلِّي معن سجستان لحق به محمد بن عمرو بن يزيد الأشباوي وأخوه وأعملا الحيلة حتى دخلا على معن بن زائدة في دار الإمارة بسجستان فقتلاه[سنة١٥١هـ] وعادا بحراً إلى عدن فاستقبلهما الناس في عدن وحضرموت بالحفاوة والترحيب وقيلت فيهما أشعار ذكرها الهمداني في شرح الدامغة.

وكانت الولاية الأولى للربيع بن عبد اللّه الحارثي قد انتهت سنة١٤٦هـ عندما استدعى المنصور معن بن زائدة إلى العراق فاستخلف ابنه زائدة بن معن ما لم تكن ولاية زائدة أيضاً على العسكر والخراج مثل أبيه فتكون ولاية الربيع استمرت أيضاً إلى انتهاء ولاية زائدة بن معن سنة١٤٩هـ، وقيل: سنة١٥١هـ.

ثم تولّى اليمن الحجاج بن منصور الحِميري ثم الفرات بن سالم العبسي (١٥١ ـ ١٥٣هـ) ثم يزيد بن منصور الحميري (١٥٣ ـ ١٦٠هـ) وذلك إلى أوائل خلافة المهدي بن أبي جعفر المنصور (١٥٨ ـ ١٦٩هـ) وسيأتي ذكر الولاة إلى وفاة المهدي.

ثانياً: الولاية الثانية للربيع الحارثي على اليمن ١٦٩ ـ ١٧٠هـ:

وقد تولّى الربيع بن عبد اللّه الحارثي ولاية اليمن مرة ثانية في خلافة موسى الهادي بن المهدي بن أبي جعفر المنصور الذي تولّى الخلافة في محرم ١٦٩هـ «فاستعمل الهادي على اليمن عبد اللّه بن محمد العباسي ثم عزله بالربيع بن عبد اللّه الحارثي ولكن أهل صنعاء ثاروا عليه»[١] وقال الأكوع في هامش قرة العيون: «قال اليعقوبي: فاضطربت اليمن على الربيع بن عبد اللّه الحارثي فاستعمل الحصين بن كثير العبدري ثم صرفه واستعمل مكانه أيوب بن جعفر العباسي ثم رد الربيع بن

(١) بهجة الزمن ـ ص ٢١.

عبد اللّه على البلد خلا صنعاء فلم تزل مضطربة أيام موسى كلها» [ص ١٢٧].

فولاية الربيع لليمن في خلافة الهادي استمرت حتى وفاة الهادي إلا أن وقوع مشاكل بينه وبين فريق من أهل صنعاء أدى إلى تأمير غيره على صنعاء ـ ومنهم إبراهيم بن سليمان الباهلي ـ بينما استمر الربيع والياً على اليمن ما عدا مدينة صنعاء حتى وفاة الهادي واستخلاف هارون الرشيد في ربيع الأول سنة١٧٠هـ فولّى الرشيد على اليمن الغطريف بن عطاء الجُرشي الأزدي فأصلح الأمور ومكث والياً لليمن إلى سنة١٧٤هـ.

ثالثاً: الولاية الثالثة للربيع (١٧٤ ـ ١٧٥هـ):

ثم تولّى الربيع ولاية اليمن في خلافة هارون الرشيد بعد الغطريف. قال ابن الديبع: «سار الغطريف نحو الرشيد واستخلف عبّاد بن محمد الشهابيّ. فبعث الرشيد على اليمن الربيع بن عبد اللّه الحارثي، فقَدِم صنعاء آخر سنة١٧٤هـ. وفي أيامه حصل الثلج بصنعاء ولم يكن حصل قبل ذلك مثله» [ص ١٢٨].

وكان الربيع حريصاً على المال العام. وقدِم إليه نُصيبُ الشاعر وأهدى إليه فرساً عاجزاً.. قال الأصفهاني: «أهدَى نُصيب للربيع بن عبد اللّه بن الربيع الحارثي فرساً، فقبله، ثم ندمَ خوفاً من ثِقل الثواب فجعل يَعِيب الفرسَ ويذكر بِطأه وعَجزَه.. فلَمَّا كان بعد أيام رأى نُصيب الفرسَ تحت الربيع فقال له:

أجدتُ مشهَّراً في كل أرضٍ — فعجِّل يا ربيعُ مشهَّراتِ
يمانيةً تَخيَّرها يمانٍ — منمنمة البيوتِ مُقطَّعاتِ
وجاريةً أضلَّت والديها — مولدةً، وبِيضاً وافياتِ
فعَجِّلها، وأنفِذها إلينا — ودَعنا من بناتِ الترّهات

فأجابه الربيع فقال:

بعثتَ بمُقرِبٍ حَطِمٍ إلينا — بطيءِ الحُضرِ ثم تقولُ هاتِ

.. وقال نُصيب:

أَعِبتَ جوادَنا، ورَغِبتَ عنه — وما فيه لَعمرُكَ مِنْ مَعابِ
وما بجوادِنا عجزٌ، ولكن — أظُنّك قد عجزت عن الثواب

فأجابه الربيع فقال:

رويدَك لا تكنْ عَجلاً إلينا — أتاك بما يسؤُك من جواب
وجدتُ جوادكم قدماً بطيئاً — فما لكمو لدينا من ثواب

وقال نصيب:

فــي ســبـيــل الــلّــه أودى فَـرَسـي ثــم عُــلِّــلْــتُ بــأبـيــاتِ هَــزَجْ
كــنــتُ أرجــو مــن ربـيــع فــرجًــا فــإذا مــا عــنــده لــي مــن فــرج

..وقد كان الربيع وعد نُصيباً جاريةً فلم يعطه وأمرَ ابنَه أن يدفَع إليه ألفَي درهم، [وكان ابن الربيع في نجران فسار إليه نُصيب، فأعطاه ألفيْ درهم، فقبضها نُصيب وعاد إلى مكة وكان يُقيم بها] فقال نُصيب:

ألا أبـلِـغـا عـنـي الـربـيـعَ رسـالـةً ربـيـعَ بـنـي عـبـدِ الـمـدانِ الأكـارم
أعزَّت عليك البيضُ لَمَّا أرَغتُها فَرُغتَ إلى إعدادِ بِيض الدراهم..»[1]

وكانت مدة تلك الولاية الثالثة للربيع سنة واحدة، حيث قال تاج الدين في بهجة الزمن: «ولّى الرشيد على اليمن الربيع بن عبد اللّه بن عبد المدان، فَقَدِم آخر سنة١٧٤هـ فمكث سنة، ثم عزله بعاصم بن عتبة الغساني، فمكث عاصم سنة، ثم عُزل بأيوب بن جعفر، ثم عُزل أيوب بالربيع بن عبد اللّه الحارثي». [ص ٢١] وكذلك قال ابن الديبع في قرة العيون: «بعث الرشيد على اليمن الربيع بن عبد اللّه الحارثي فقَدِم صنعاء آخر سنة١٧٤هـ.. ثم عزله بعاصم الغساني، ثم عزله بالربيع بن عبد اللّه الحارثي..» [ص ١٢٨] فقد انتهت الولاية الثالثة للربيع في آخر سنة١٧٥هـ بتولية عاصم الغساني، فأقام الربيع بمدينة نجران لأن زعامة نجران كانت في بني عبد المدان وكان الربيع هو كبير نجران وبني الحارث بن كعب ومذحج في ذلك العهد.

رابعاً: الولاية الرابعة للربيع الحارثي (١٧٧ ـ ١٧٩هـ):

ثم أصبح الربيع والياً لليمن للمرة الرابعة في أوائل سنة١٧٧هـ حيث قال ابن الديبع: «عزل الرشيدُ عاصماً الغساني بالربيع بن عبد اللّه الحارثي والعباس بن سعد، فجعل الربيع على الصلاة والحرب والعباس على الجباية» وكذلك قال المؤرخ تاج الدين في بهجة الزمن: «ـ ولّى الرشيد ـ الربيع بن عبد اللّه الحارثي على الصلاة والحرب، والعباس بن سعد على الجباية، فأقاما سنتين». [ص ٢١] وقال الأكوع في هامش قرة العيون: «كانت ولاية الربيع مع صاحبه العباس سنتان». [ص ١٢٩].

ومن أنباء الربيع أنه حج إلى بيت اللّه الحرام حيث جاء في كتاب الأغاني أنه:

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٢٩ ـ ٣٠ جـ ٢٠.

«قَدِم الربيع بن عبد اللّه الحارثي مكة فأهدى إلى دفافةَ بن عبد العزيز العبسي طبَقَ تمر، فقال فيه دفافةُ:

بعثتَ بتمرٍ في طُبَيقٍ كأنّما ... بعثتَ بياقوتٍ توقد كالجمرِ
فلو أنّ مَا تُهدي سنياً قَبلتُه ... ولكنما أهديتَ مثلك في القدرِ
كأنّ الذي أهديت من بعد شقةٍ ... إلينا من الملقَى على ضِفّةِ الجِسر

فأجابه الربيع فقال:

سل الناسَ إما كنتَ لا بُدّ طالباً ... إليهم بألا يَحملوك على القدرِ
فإنّكَ إن تُحمَل على القدر لا تَنلْ ... يد الدهر من برٍ فتيلاً ولا بحرِ
لقد كنتَ مني في غدير وروضةٍ ... وفي عسلٍ جمّ وما شِئت من تمر
وما كنتُ منّاناً ولكن كفرتني ... وأظهرتَ لي منّاً فأظهرتُ من عذري
لَعَمْري لقد أُعطِيتَ ما لستَ أهلَه ... ولا أهل ما يُلقى على ضِفةِ الجِسرِ

فبلغت أبياتُهما نُصيباً فقال:

رضيتُكما حِرصاً ومنعاً ولم يكن ... يَهيجُكُما إلا الحقيرُ من الأمرِ
متى يجتمع يوماً حريصٌ ومانعٌ ... فليس إلى حمدٍ سبيلٌ ولا أجرِ..»[1]

وقد مكث الربيع والياً لليمن إلى سنة١٧٩هـ. وربما انتهت ولايته بوفاته.

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٢٩ ـ ٣٠ جـ ٢٠.

٧

الحجاج بن منصور.. والفرات بن سالم.. واليا اليمن

(١٤٩ ـ ١٥٣هـ)

الحجاج بن منصور الحميري هو سابع ولاة اليمن. فبعد الولاية الأولى للربيع الحارثي وولاية زائدة بن معن الشيباني قال ابن الديبع في قرة العيون: «ثم استعمل أبو جعفر المنصور على اليمن الحجاج بن منصور، ثم عزله بالفرات بن سالم العبسي»[١]. وكذلك جاء في هامش بهجة الزمن: «إن زائدة بن معن عزله أبو جعفر المنصور بالحجاج بن منصور، وعزل الحجاج بن منصور بالفرات بن سالم العبسي»[٢]. وقال الأكوع في هامش قرة العيون: «لم أطَّلِع على ترجمة للمذكورَين»[١]، وأقول:

أ ـ الحجاج بن منصور هو ـ غالباً ـ أخو يزيد بن منصور الحميري وهو (يزيد بن منصور بن عبد اللّه بن يزيد بن شهر بن مثوب ذي رُعيْن الحميري) وكان من كبار أقيال اليمن، وكانت أخته أروى بنت منصور زوجة الخليفة أبي جعفر المنصور، وسيأتي الحديث عن يزيد بن منصور في المبحث التالي. ويبدو أن ولاية الحجاج بن منصور تزامنت مع ولاية زائدة بن معن في الفترة من ١٤٩ ـ ١٥١هـ.

ب ـ الفرات بن سالم العبسي المذحجيّ هو ثامن ولاة اليمن. قال المؤرخ تاج الدين: إن معن بن زائدة سار إلى المنصور واستخلف ابنه زائدة «ثم بعث المنصور على اليمن الفرات بن سالم العبسي فمكث ـ والياً ـ ثلاث سنين، ثم عزله بيزيد بن منصور الحميري وذلك في سنة أربع وخمسين ومائة»[٢].

ويتبيَّن من ذلك أن الفرات بن سالم مكث والياً لليمن من سنة١٥١هـ حتى أواخر سنة١٥٣هـ وانتهت ولايته بتولية يزيد بن منصور.

---

(١) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ ص ١٢٣.

(٢) بهجة الزمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ٢٠.

٨

يزيدُ بن منصور الحِمْيَريّ.. والي اليمن

(١٥٣ ـ ١٥٩هـ)

هو الزعيم اليماني الأمير يزيد بن منصور بن عبد اللّٰه بن يزيد ذي سهم بن شهر ذي سَرْح بن مَثْوب ذي رُعْين سليل الملك الحميري شَمّر ذي الجَنَاح. وهو خال الخليفة المهدي بن أبي جعفر المنصور.

كان أبوه: منصور بن عبد اللّٰه الحميري من كبار الأقيال باليمن حتى تزوّج أبو جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد اللّٰه بن العباس ابنته أروى بنت منصور في العصر الأموي حوالي سنة١٢٥هـ وكان أبو جعفر يسكن آنذاك مع أبيه وأخوته في الحميمة بأرض البلقاء في الشام، فأنجبت له أروى بنت منصور: ابنه محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور في الحميمة سنة١٢٧هـ ـ أو سنة١٢٨هـ ـ قال المسعودي في مروج الذهب: «أم المهدي ـ هي ـ أم موسى بنت منصور بن عبد اللّٰه بن ذي سهم بن أبي سرح، مِنْ ولد ذي رُعَيْن من ملوك حِمْير»[1].

وقال ابن الأثير في كتاب الكامل: «خال المهدي: يزيد بن منصور بن عبد اللّٰه بن يزيد بن شهر بن مثوب وهو من ولد شمر ذي الجناح الحميري»[2].

وليس هنالك تعارض بين القولين فقد ذكر نشوان الحميري من ملوك اليمن الأقيال الحميريين قبل الإسلام الملك (عبد كلال بن مثوب ذي رُعَيْن الحميري) ـ فاسم ذي رُعَيْن الأصغر مثوب، وهو من وُلْد الملك شمر ذي الجناح، وبالتالي فإن يزيد بن منصور هو (يزيد بن منصور بن عبد اللّٰه بن يزيد ذي سَهْم بن شَهْر ذي سَرْح، من ولد مثوب ذي رُعَيْن من ملوك حمير ثم من ولد شمر ذي الجناح الحميري).

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٣١٩ جـ ٣.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٦٦ جـ ٥.

وممَّا يدل على علو مكانة منصور بن عبد اللّٰه الحميري ويزيد بن منصور الحميري قول الشاعر الحسن (أبو نواس) يمدح محمد بن الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي الهاشمي بأن جدته بنت منصور الحميري:

وما مثل مَنْصُوريّك، منصور هاشم ... ومنصور قَحْطَان إذا عُدَّ مَفْخرُ
فَمَنْ ذا الذي يرمي بسهميك في العلا ... وعبد مناف والداك وحِمْيرُ[1]

وقد كان أولاد المنصور الحميري يسكنون صنعاء، ومنها سار يزيد بن منصور إلى العراق فصار من رجال الدولة، وولَّاه الخليفة أبو جعفر المنصور ولاية البصرة سنة١٥٢ ـ ١٥٣هـ ثم ولَّاهُ اليمن.. وقد جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«يزيد بن منصور بن عبد اللّٰه بن يزيد بن شهر بن مثوب الجناحيّ الحميريّ، أبو خالد: والٍ، وهو خال المهدي العباسي. كان مُقدماً في دولة بني العباس. وُلِّي للمنصور البصرة سنة١٥٢هـ ثم اليمن سنة١٥٤هـ وأقام في اليمن ـ والياً ـ باقي خلافة المنصور وسنةً من خلافة المهدي..»[2].

وقد كان يزيد بن منصور والياً لولاية البصرة سنة١٥٢ ـ ١٥٣هـ. قال الطبري في أنباء سنة١٥٢هـ: «كان على البصرة في هذه السنة يزيد بن منصور»[3] وقال في أنباء سنة١٥٣هـ: «كان على البصرة يزيد بن منصور. وذكر الواقدي: أن يزيد بن منصور كان في هذه السنة والي اليمن من قِبَل أبي جعفر المنصور»[3].

وقد أعفى أبو جعفر المنصور الفرات بن سالم العبسي من ولاية اليمن في أواخر سنة١٥٣هـ وولَّى يزيد بن منصور الحميري فعاد يزيد بن منصور إلى صنعاء وأصبح والياً لليمن منذ أواخر سنة١٥٣هـ.

عهد ولاية يزيد بن منصور لليمن:

قال ابن الديبع في قرة العيون: «عزل أبو جعفر المنصور الفرات بن سالم بيزيد بن منصور خال المهدي، فأقام ـ باليمن والياً ـ إلى أن توفي المنصور سنة١٥٨هـ. ولَمَّا تولَّى المهدي بعد أبيه المنصور أقرَّ خاله يزيد بن منصور الحميري [على اليمن] ثم كتب إليه المهدي بعد سنة أن يستخلف على عمله ويسير إلى مكة ليقيم الحج، ففعل»[4].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢١٩ جـ ١٠.
(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٦٥٤.
(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٨٤ جـ ٩.
(٤) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٢٤.

وقال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش قرة العيون: «هو يزيد بن منصور بن عبد اللّه بن يزيد بن شهر بن مثوب، من ولد شمر ذي الجناح الأكبر الحميري. كان أميراً سرياً شهماً كريماً. تولّى ولايات عديدة منها البصرة ومنها اليمن، أقام فيها ـ والياً ـ أيام المنصور خمس سنين.. وإلى يزيد بن منصور الحميري هذا نُسِب أبو محمد بن يحيى بن المبارك اليزيدي النحوي المقرىء لأنه صاحبه وأنزله معه صنعاء، وله في ذلك أشعار وكان مُؤدب أولاده»[١].

وجاء في كتاب الأغاني للأصفهاني: «قال أبو محمد اليزيدي، قال لي يوماً أبو حنش الشاعر: يا أبا محمد قُلْ أبياتاً قافيتها على هاءين، فقلتُ له: على أن أهجوك فيها، قال: نعم، فقلتُ:

قلتُ ونفسي جمّ تأوهها ... تصبو إلى إلفها وأندُهِهَا
سُقيا لصنعاء لا أرى بلداً ... أوطنه الموطنون يشبهها
-حصناً وحسناً ولا كبهجتها ... أعذي بلاد عذا وأنزهها
يعرفُ صنعاء من أقام بها ... أرغَد أرضٍ عيشاً وأرفهها
أبلغ حضيراً عني أبا حنش ... عائرة نحوه أوجِهُها
تأتيه مثل السهام عامدة ... عليه مشهورة أدهدهها
كُنيَتَهُ طرح نون كُنيتِه ... إذا تهجيتها سَتُفقهها

يريد إسقاط النون من أبي حنش حتى يكون أبا حش»[٢].

قال الأصفهاني: «وقال أبو محمد: اعتللتُ علة من حمى ربع طالت عليّ أشهراً فجفاني يزيد بن منصور ولم يمرّ بي في علتي ولم يتفقدني كما ينبغي، فكتبتُ رقعة إليه ضَمَّنْتُها هذه الأبيات:

قُل للأمير الذي يرجو نوافله ... من جاءه طالباً للخير منتابا
إنّي صحبتك دهراً كل ذاك أرى ... من دون خيرك حجاباً وأبوابا
وكم ضريك أجاته شقاوته ... إليك إذا أنشبت ضراؤها نابا
فما فتحت له باباً لميسرة ... ولا سددت له من فاقة بابا
كغائب شاهد يخفى عليك كما ... من غاب عنك فوافى حظه غابا

فَلَمّا قرأها قال: جفونا أبا محمد وأحوجناه إلى استبطائنا واللّه المستعان. وبعث إليه بِصِلَةٍ»[٢].

(١) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٢٤.
(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٧٤ و٨٠ جـ ١٨.

وقد مكث يزيد بن منصور الحميري والياً لليمن في خلافة أبي جعفر المنصور خمس سنين ـ من ذي الحجة ١٥٣هـ إلى ذي الحجة ١٥٨هـ ـ ومن المفيد الإشارة إلى أنه في ذلك العهد كان أغلب الولاة في أقاليم دولة الخلافة من اليمانيين، وكان من أبرزهم: الهيثم بن معاوية العتكي أمير ولاية البصرة (١٥٥ ـ ١٥٦هـ)، حُميد بن قحطبة الطائي أمير خُراسان (١٥١ ـ ١٥٩هـ)، إسماعيل بن خالد القسري أمير ولاية الموصل (١٥١ ـ ١٥٤هـ)، موسى بن كعب الخثعمي أمير ولاية الموصل (١٥٥ ـ ١٥٨هـ)، الحسن بن قحطبة الطائي أمير بلاد أرمينية، جعفر بن معيوف الحجوري الهمداني أمير الصوائف (١٥٣ ـ ١٥٨هـ)، يزيد بن حاتم المهلّبي أمير إفريقيا الشمالية ـ بلاد المغرب العربي ـ (١٥٤ ـ ١٧٠هـ)، عبد اللّه بن عبد الرحمن التُجيبي أمير مصر (١٥٢ ـ ١٥٥هـ)، موسى بن علي اللخمي أمير مصر (١٥٥ ـ ١٦١هـ). ومات أبو جعفر المنصور في ٦ ذي الحجة ١٥٨هـ وتولّى الخلافة المهدي بن أبي جعفر المنصور فاستمر يزيد بن منصور والياً لليمن إلى ذي الحجة ١٥٩هـ.

قال ابن الديبع: «لَمَّا تولّى المهديّ أقرّ خاله يزيد بن منصور الحميري على اليمن ثم كتب إليه المهدي بعد سنة أن يستخلف على عمله ويسير إلى مكة ليقيم الحج». قال الأكوع: «فانصرف يزيد في شوال ١٥٩هـ لإقامة الحج». [ص ١٢٤].

وقال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «انصرف يزيد بن منصور من اليمن بكتاب المهدي إليه يأمره بالانصراف إليه وتوليته الموسم وإعلامه باشتياقه إليه وإلى قربه». [ص ٣٣٠ جـ ٩].

وقال تاج الدين في بهجة الزمن: «لما كان الموسم ـ موسم الحج ـ كتب المهدي إلى يزيد بن منصور بموافاته، ففعل، واستخلف عبد الخالق بن محمد الشهابي..» [ص ٢٠] وكان مسير يزيد بن منصور من اليمن إلى مكة في شوال ١٥٩هـ.

قال الحافظ بن كثير: «حج بالناس سنة١٥٩هـ يزيد بن منصور الحميري وكان والياً للمهدي على اليمن، فولّاه الموسم، واستقدمه عليه شوقاً إليه»[١].

فكان يزيد بن منصور أمير اليمن هو أمير الحج سنة١٥٩هـ وكان خليفته باليمن عبد الخالق بن محمد الشهابي وهو أخو عبّاد بن محمد الشهابي الذي تقدم ذكره وكان من كبار الزعامات اليمنية بصنعاء، ثم توجّه يزيد بن منصور من الحج إلى الخليفة المهدي ببغداد، فولّى المهدي على اليمن رجاء بن رَوْح بن زنباع الجذامي. قال تاج الدين في بهجة الزمن: «..استخلف يزيد بن منصور عبد الخالق بن محمد

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ١٣٢ جـ ٩.

الشهابي، فوُلِّي شهرين ونصفاً، وقَدِم عليه رجاء بن رَوْح الجُذامي في ذي الحجة سنة١٥٩هـ»[1].

* * *

نبأ يزيد بن منصور بعد انتهاء ولايته لليمن:

انتهت ولاية يزيد بن منصور لليمن بتولية رجاء بن رَوْح الجُذامي اليماني في ذي الحجة ١٥٩هـ، وبات يزيد بن منصور من كبار رجال الدولة عند الخليفة المهدي. ففي سنة١٦٠هـ أخذ المهدي البيعة بولاية عهده لموسى الهادي بن المهدي. قال الطبري: «صعد المهدي المنبر.. فصعد أهل بيت المهدي يبايعون المهدي ثم موسى الهادي ويمسحون على أيديهما حتى فرغ آخرهم وفعل مَنْ حضر من أصحابه ووجوه القوّاد مثل ذلك ثم نزل المهدي فصار إلى منزله ووكل ببيعة من بقي من الخاصة والعامة خاله يزيد بن منصور فتولّى ذلك حتى فرغ من جميع الناس»[2].

قال الطبري: «وفي سنة١٦١هـ ولّى المهديُّ يزيد بن منصور سواد الكوفة.. وفيها وُلِّي نصر بن محمد بن الأشعث السند مكان رَوْح بن حاتم المهلَّبي.. وفيها في ذي الحجة وُلِّي سَلَمة بن رجاء مصر.. وكان على إفريقيا يزيد بن حاتم.. وعلى الكوفة إسحاق بن الصباح الكندي وعلى سوادها يزيد بن منصور»[2].

«وفي سنة١٦٣هـ سار المهدي إلى بيت المقدس فصلّى فيه ومعه العباس بن محمد والفضل بن صالح وعليّ بن سليمان وخاله يزيد بن منصور. وفيها عزل المهدي إبراهيم بن صالح ـ العباسي ـ عن فلسطين فسأله يزيد بن منصور حتى ردّه عليها»[2].

قال ابن الأثير: «وفي سنة١٦٥هـ مات يزيد بن منصور.. خال المهدي»[3]. وجاء في ختام ترجمة يزيد بن منصور بكتاب الجامع أنه «مات بالبصرة سنة١٦٥ وبقي من أعقابه جماعة كانوا يُعرفون باليزيدية» وأنه: «يُنسب إليه بنوه أو الذين والوه بالصحة والانتساب وهم ـ آل يزيد ـ منازلهم بالبصرة والكوفة. ومن الذين اشتهر منهم بالعراق الأديب الشاعر إبراهيم بن يحيى بن المبارك اليزيدي. ومن هؤلاء فرقة بسوريا». [ص ٦٥٤] وكان ابنه منصور بن يزيد بن منصور والياً لليمن ـ كما سيأتي ـ سنة١٦٤ ـ ١٦٦هـ.

---

(١) بهجة الزمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ٢٠.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٣٣٢ و٣٤١ و٣٤٥ جـ ٩.
(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٦٦ جـ ٥.

٩

رجاء بن رَوْح بن زِنْبَاع.. والي اليمن

(١٥٩ ـ ١٦١هـ)

هو عاشر ولاة اليمن في العصر العباسي، الأمير رَجاء بن رَوْح بن زِنْبَاع بن رَوْح بن سلامة بن حداد بن حديد الجُذامي، من بني جُذام بن عَدِّي بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[١].

ومن المفيد أن نذكر هنا ما يلي:

أولاً: أسلاف رجاء بن رَوْح بن زِنْباع:

إن قبيلة جُذام من قبائل اليمن العريقة وكانوا يسكنون منطقة مأرب باليمن، وانتقل أكثرهم من اليمن إلى أعالي يثرب والأردن وفلسطين إلى بلبيس في مصر منذ ما قبل الإسلام وانتقل بقيتهم إلى هناك في فجر الإسلام.

قال ابن خلدون: «أما جُذام فبطنٌ متسع له شعوب كثيرة مثل غطفان وأفصى وبنو حرام وبنو ضبيب وبنو مخرمة وبنو نفاثة، وديارهم حوالي أيلة **[العقبة]** من أول أعمال الحجاز إلى أطراف يثرب، وكانت لهم رياسة في معان وما حولها من أرض الشام لبني النافرة من نفاثة ثم لفروة بن عمرو ابن النافرة منهم وكان عاملاً للروم على قومه وعلى من كان حوالي معان من العرب وهو الذي بعث إلى رسول اللَّه ﷺ بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء وسمع بذلك قيصر فأغرى به الحارث بن أبي شمّر الغساني ملك غسان فأخذه وصلبه بفلسطين. وبقيتهم اليوم في مواطنهم الأولى في شعبين من شعوبهم، أحدهما: بنو عائد، وهم ما بين بلبيس من أعمال مصر إلى عقبة أيلة إلى الكرك من فلسطين. وثانيهما: بنو عقبة، وهم في الكرك إلى الأزلم وضمان السايلة ما بين مصر والمدينة النبوية إلى حدود غزة من الشام»[١]. وقال الشاعر جميل بن معمر العذري:

جُذام سيوف اللَّه في كل موطن ... إذا أزمت يوم اللقاء إزام

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

هُمُ منعوا ما بين مصر فذي القرىٰ　　إلى الشام من حل به وحرام
إذا قَصَرتْ يوماً أكفّ قبيلة　　عن المجد نالته أكف جُذام[1]

الصحابي زِنْباع بن رَوْح: وكان زنباع (جد رجاء بن رَوْح بن زنباع) من الصحابة. قال الحافظ ابن حجر في ترجمته بكتاب الإصابة في تمييز الصحابة: «زنباع بن سلامة، ويقال: ابن رَوْح بن سلامة، ابن حداد بن حديدة الجُذامي. قال ابن مندة: عداده من أهل فلسطين. له صحبة.. وذكر الزبير بن بكار في الموفقيات عن المدائني عن هشام بن الكلبي عن أبيه: أن عمر خرج تاجراً في الجاهلية مع نفر من قريش فَلَمَّا وصلوا إلى فلسطين قيل لهم إن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي يُعشر من يمرّ به للحرث بن أبي شمّر الغساني، قال: فعمدنا إلى ما معنا من الذهب فألقمناه ناقة لنا حتى إذا مضينا نحرناها وسلم لنا ذهبنا، فَلَمَّا مررنا على زنباع قال: فتشوهم، ففتشونا فلم يجدوا معنا إلا شيئاً يسيراً، فقال: اعرضوا عليّ إبلهم، فمرت به الناقة بعينها فقال: انحروها، فقلتُ: لأي شيء؟ قال: إن كان في بطنها ذهب وإلا فلك ناقة غيرها. فشقوا بطنها فسال الذهب، فأغلظ علينا في العُشر، ونال من عمر، فقال عمر في ذلك:

متى ألق زِنْباع بن رَوْح ببلدة　　لي النّصْف منه يقرع السن من ندم

.. وذكر ابن الكلبي أنه وقع بين حمزة بن الصليل البلوي وبين زنباع بن روح هذا في الجاهلية مخايلة فجاء زنباع بالطعام وجاء حمزة بالدراهم فنثرها، فمال الناس إلى الدراهم وتركوا الطعام، فَلَمَّا رأى ذلك زنباع أُفحم، فقيل فيه:

لقد أفحمت حتى لست تدري　　أسعد الله أكبر أم جُذام
فما فضلي عليك ونحن قوم　　لنا الرأس المقدم والسنام»

قال ابن حجر: «وروى أحمد من طريق ابن جريج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن زنباعاً وجد غلاماً مع جارية له، فجَدَع أنفه وجَبّه، فأتى العبدُ النبي ﷺ فذكر له ذلك فقال لزنباع: مَا حملك على هذا؟ فذكره، فقال للعبد: انطلق فأنت حرّ. ورواه ابن مِنده.. وقال أبو الحسين الرازي: كانت لزنباع دار بدمشق عند درب الفرسيين»[2].

الأمير رَوْح بن زِنْباع: وكان رَوْح بن زِنباع [والد رجاء بن رَوْح بن زَنْباع] من

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ١٣٨ ـ ١٣٩.
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٥٥١ و٥٢٤ جـ ١.

رؤساء اليمانيين بالشام في خلافة معاوية بن أبي سفيان وأميراً لفلسطين في خلافة عبد الملك بن مروان. قال الحافظ ابن حجر في ترجمته بكتاب الإصابة: «رَوْح بن زِنباع.. ذكره بعضهم في الصحابة، ولا يصح له صحبة بل يجوز أن يكون وُلِد في عهد النبي ﷺ فإن لأبيه صحبة ورواية. ووقع في الكنى لمسلم: إن له صحبة. وقال أبو أحمد الحاكم: يقال له صحبة وما أراه يصح. وقال ابن مندة: أدرك النبي ﷺ.. وقال ابن أبي خثيمة: وممن روى عن النبي ﷺ رَوْح بن زنباع.. وأورد له ابن مندة من طريق بكر بن سوادة عن عبيدة بن عبد الرحمن عن روح بن زنباع عن النبي ﷺ قال: «الإيمان يمانٍ وبارك اللّه في جذام..» وله حديث عن عبادة بن الصامت وآخر عن تميم الداري أوردهما ابن عساكر في ترجمته..»[(١)].

وقال الحافظ ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب: «روح بن زنباع الجُذامي، أبو زرعة. قال أحمد بن زهير: وممن روى عن النبي عليه الصلاة والسلام من جُذام روح بن زنباع.. وذكره مسلم بن الحجاج في كتاب الأسماء والكنى فقال: أبو زرعة روح بن زنباع الجذامي له صحبة. وأما ابن أبي حاتم ووالده فلم يذكراه إلا في التابعين.. وذكره أبو جعفر العقيلي أيضاً في الصحابة وذكر له رواية عن عبادة بن الصامت وليس بروايته عن عبادة تثبت له صحبة.. قال أبو عمر: لم أر له رواية إلا عن الصحابة منهم تميم الداري وعبادة بن الصامت. روايته عن تميم الداري قال رَوْح: دخلتُ على تميم الداري وهو أمير بيت المقدس فوجدته ينقي لفرسه شعيراً فقلتُ: أيها الأمير أما كان لهذا غيرك فقال: إنِّي سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «من نقَّى لفرسه شعيراً ثم جاء به حتى يعلقه عليه كتب اللّه له بكل شعيرة حسنة..» وكان عبد الملك بن مروان يقول: جمع روح بن زنباع طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز»[(٢)].

وجاء في ترجمته بكتاب الجامع: «رَوْح بن زِنْبَاع بن رَوْح بن سلامة الجُذامي: أمير فلسطين وسيّد اليمانية بالشام وقائدها وخطيبها وشُجاعها.. تُوفي سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣م»[(٣)].

وله أخبار كثيرة في كتب التاريخ والتراجم والأدب في عهد ولايته لفلسطين في خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٤هـ).. قال الحافظ ابن حجر: «..كان روح بن زنباع أميراً على فلسطين.. ولروح مع عبد الملك بن مروان وغيره قصص

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٥٥١ و٥٢٤ جـ ١.
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر ـ ص ١/٥٢٥.
(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٢١٥.

حسان.. ورُوي عن الشافعي أن روحاً كان يقول: لم أطلب باباً من الخير إلا تيسر لي ولا طلبت باباً من الشر إلا لم يتيسر لي. وقال ضمرة بن ربيعة: كان رَوْح إذا خرج من الحمام أعتق رقبة.. ومات رَوْح سنة٨٤هـ». [ص ١/٥٢٤].

الأمير ضبعان بن رَوْح بن زنْباع: كان من رؤساء اليمانية بالشام ثم أصبح والياً لفلسطين في خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك سنة١٢٦هـ. قال الطبري: «كان أمر أهل فلسطين إلى سعيد بن رَوْح وضبعان بن رَوْح. واستعمل يزيد بن الوليد على فلسطين ضبعان بن روح»[١]. فتولَّى ضبعان فلسطين حتى وفاة يزيد بن الوليد في ذي الحجة ١٢٦هـ.

ثم تولَّى فلسطين سنة١٢٧هـ ثابت بن نعيم الجذامي، وكان ثابت رأس اليمانية بالشام، وقاد حركة المعارضة اليمانية لخلافة مروان بن محمد بالشام ـ وقد سلف ذكر نبأ ذلك ـ وقتله مروان بن محمد في شوال ١٢٨هـ.

ولَمَّا ظهرت الدعوة العباسية وانهزم مروان في موقعة الزَّاب وانسحب إلى دمشق ثم سار إلى فلسطين ـ في شعبان ١٣٢هـ ـ وكما ذكر المسعودي: «ثار في فلسطين الحكَم بن ضبعان بن رَوْح بن زنباع ومنع مروان من دخول فلسطين»[٢].

وقال ابن خلدون: «سار مروان إلى فلسطين فنزل نهر أبي فُطرُس وقد غلب على فلسطين الحكَم بن ضبعان بن روح بن زنباع. فأرسل مروان إلى عبد اللّه بن يزيد بن رَوْح بن زنباع فأجاره.. ثم أجفل مروان إلى العريش»[٣] ثم سقط مروان قتيلاً بمصر في ذي الحجة ١٣٢هـ واكتمل قيام الخلافة العباسية.

* * *

ثانياً: ولاية رجاء بن رَوْح بن زنباع لليمن:

وفي ذي الحجة سنة١٥٩هـ أصبح رجاء بن روح بن زِنبَاع الجذامي والياً لليمن. قال ابن الديبع في قُرة العيون: «..كتب المهدي إلى يزيد بن منصور أن يستخلف على عمله ويسير إلى مكة ليقيم الحج، ففعل، ثم استعمل المهدي على اليمن رجاء بن رَوْح الجُذامي»[٤].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٦ جـ ٩.

(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٢٦٤ جـ ٣.

(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص ٤٩٩.

(٤) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٢٥ ـ ونقل الأكوع عن البهاء الجندي أنه (رجاء بن سلام بن روح بن زنباع) ونرى الصواب أنه (رجاء بن روح) لأن روح بن زنباع لم يكن له ولد اسمه سلام وإنما هو رجاء بن روح بن زنباع.

وقال تاج الدين في بهجة الزمن: « . . استخلف يزيد بن منصور عبد الخالق بن محمد الشهابي، فوُلّي شهرين ونصفاً، وقَدِم عليه رجاء بن رَوْح الجُذامي في ذي الحجة سنة تسع وخمسين ومائة، فأقام رجاء ـ والياً ـ ثلاثة عشر شهراً»[(١)] .

وأرسل الأمير رجاء مائتي ألف دينار من بيت المال باليمن للخليفة المهدي لَمَّا حجّ المهدي سنة١٦٠هـ حيث قال الطبري: «حج بالناس في هذه السنة ـ سنة١٦٠هـ ـ المهدي، واستخلف على مدينته ـ بغداد ـ ابنه موسى الهادي وخلف معه يزيد بن منصور وزيراً له ومُدَبِّراً لأمره. . وقَسَّم المهدي في هذه السنة بمكة في أهلها مالاً عظيماً وفي أهل المدينة كذلك. . ووصلت إليه من مصر ثلاثمائة ألف دينار ومن اليمن مائتا ألف دينار فقَسّم ذلك كله، ووسع المسجد النبوي». وقال الطبري: «وكان على اليمن رجاء بن روح». [ص ٣٣٧ و٣٣١ جـ ٩] .

وقد مكث رجاء والياً لليمن (ثلاثة عشر شهراً) فيكون ذلك من أواسط ذي الحجة ١٥٩هـ حتى أواسط ربيع الأول سنة١٦١هـ. وكان قد بلغ من الكبر عتياً لأن أباه (روح بن زنباع) مات سنة٨٤هـ مما يعني أن رجاء بن روح بن زنباع كان ابن ثمانين سنة ونيف لَمَّا انتهت ولايته لليمن سنة١٦١هـ.

* * *

ثالثاً: ما بين انتهاء ولاية رجاء وتولية منصور الحميري:

قال تاج الدين: «ثم بعث المهديُّ على اليمن عليّ بن سليمان بن علي بن عبد اللّه بن عباس، فقَدِمها في المحرم سنة١٦١هـ فأقام إلى سنة١٦٢هـ، وسار نحو العراق واستخلف رجلاً يقال له واسع بن عصمة، فأقام أحد عشر شهراً، ثم بعث إلى اليمن عبد اللّه بن سليمان أخا عليّ، فقَدِم لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة١٦٣هـ فأقام سبعة عشر شهراً»[(١)] . بينما جاء في هامش قرّة العيون أنه «أقام عبد اللّه بن سليمان سبعة أشهر، وقيل تسعة أشهر». [ص ١٢٥] «وقال ابن الأثير: في سنة١٦٤هـ عزل المهديُّ عبد اللّه بن سليمان عن اليمن، عن سخطة، ووجّه المهدي من يستقبله ويُفتش متاعه ويُحصي ما معه. واستعمل على اليمن منصور بن يزيد بن منصور»[(٢)] .

---

(١) بهجة الزمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ٢١.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٦٤ جـ ٥.

١٠

منصور بن يزيد الحِمْيريّ.. والي اليمن

(١٦٤ ـ ١٦٦هـ)

هو الحادي عشر من الولاة اليمانيين لولاية اليمن في العصر العباسي، الأمير منصور بن يزيد بن منصور الحميري، نجل الأمير يزيد بن منصور خال المهدي بن أبي جعفر المنصور.

قال الأصفهاني في كتاب الأغاني: «قال أبو محمد اليزيدي: كان المهدي محبًّا لأخواله، ومنصور بن يزيد بن منصور حاضر، فقلتُ: أصلح اللّٰهُ أمير المؤمنين كيف يُنشد هذا البيت الذي جاء في هذه الأبيات:

يـا أيُّـهـا الـسـائـلـي لأخـبـرهُ ... عَمّـن بـصـنـعـاء مِنْ ذوي الـحَسَبِ

حِـمْـيَـرُ سـادتُـهـا تُـقـرُّ لـهـا ... بـالـفـضـل طرّاً جـحـاجـحُ الـعـربِ

وَإنَّ مـن خـيـرهـم وأكـرمـهـم ... أو خـيـرهـم نـيـة أبـو كـربِ

فقال لي المهدي: كيف تنشده أنت؟ فقلتُ: أو خيرهم نية أبو كرب على إعادة أن كأنه قال: أو أن خيرهم نية أبو كرب، فقال الكسائي: هو واللّٰه قالها الساعة، فتبسم المهدي وقال له: إنك لتشهد له وما تدري»[١].

والظاهر أن أبا كرب هو منصور بن يزيد بن منصور وكان بصنعاء حين قال أبو محمد هذا الشعر، ثم كان عند المهدي لَمَّا روى له أبو محمد هذا الشعر بحضور الكسائي النحوي بعد عودة منصور من اليمن.

وكان المهديّ قد ولّى منصور بن يزيد بن منصور الحميري على مصر في أواسط سنة١٦٣هـ. وقد جاء في كتاب الجامع: «منصور بن يزيد بن منصور الرُّعَيْنيّ الحميريّ: من الأمراء. كان حاكماً لمصر سنة١٦٤هـ..»[٢].

وبينما كان منصور والياً لمصر كان عبد اللّٰه بن سليمان العباسي والياً

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٧٧ جـ ١٨.
(٢) الجامع ـ بامطرف ـ ص ٥٩٦.

لليمن، وكان المهديّ ولّاهُ على اليمن في ربيع الآخر سنة١٦٣هـ وجاء في بهجة الزمن أنه «أقام باليمن سبعة عشر شهراً»[(١)]. فيكون ذلك من ربيع الثاني ١٦٣هـ إلى شعبان ١٦٤هـ.

قال الطبري: «وفي سنة١٦٤هـ عزل المهديّ عبد اللّه بن سليمان عن اليمن، عن سخطة، ووجّه من يستقبله ويفتش متاعه ويُحصي ما معه، ثم أمر بحبسه حين قَدِم حتى أقرّ من المال والجوهر بما أقرّ به، فردَّه إليه وخلّى سبيله، واستعمل مكانه منصور بن يزيد بن منصور»[(٢)].

وقال ابن الأثير: «في سنة١٦٤هـ عُزل عبد اللّه بن سليمان عن اليمن، عن سخطة، ووجّه المهديُّ من يستقبله ويُفتش متاعه ويُحصي ما معه، واستعمل على اليمن منصور بن يزيد بن منصور»[(٣)].

ويتبيّن من ذلك أن منصور بن يزيد بن منصور وُلّي اليمن في شعبان أو رمضان سنة١٦٤هـ. وقد وقع التباس في كتاب بهجة الزمن حيث جاء فيه ما يلي: «بعث المهدي إلى اليمن عبد اللّه بن سليمان، فقَدِم لتسع بقين من ربيع الآخر سنة١٦٣هـ فأقام سبعة عشر شهراً، وبعث المهدي منصور بن يزيد بن منصور الحميري فقدِم في سنة١٦٥هـ فمكث سنة ثم عزله بعبد اللّه بن سليمان النوفلي»[(٤)]. وكذلك قال الأكوع في هامش قرة العيون: «قَدِم منصور بن يزيد بن منصور سنة١٦٥هـ فمكث سنة واحدة، وجاء خَلَفه النوفلي»[(٥)].

بينما المدة المذكورة لولاية عبد اللّه بن سليمان العباسي وهي (سبعة عشر شهراً) من ربيع الآخر ١٦٣هـ تؤكد انتهاء ولايته وتولية منصور بن يزيد الحميري في شعبان سنة١٦٤هـ. ويؤكد ذلك النصان السالفان في تاريخ الطبري وفي الكامل لابن الأثير بعزل عبد اللّه بن سليمان عن اليمن وتولية منصور بن يزيد الحميري سنة١٦٤هـ، فيكون قدومه في شعبان أو رمضان سنة١٦٤هـ فاستقر منصور في دار الإمارة ـ بالقرب من الجامع الكبير بصنعاء ـ والياً لليمن، وقد ذكر الطبري أيضاً في أسماء الولاة على الأقاليم في نهاية السنة ما يلي: «في سنة١٦٤هـ وجّه المهديّ صالح بن أبي جعفر المنصور إلى مكة ليحج بالناس فأقام صالح للناس الحج، وكان العامل على المدينة

---

(١) بهجة الزمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ٢٠.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٣٤٦ جـ ٩.
(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٦٤ جـ ٥.
(٤) بهجة الزمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ٢١.
(٥) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٢٦.

ومكة جعفر بن سليمان، وعلى اليمن منصور بن يزيد بن منصور..»[1].

إن الالتباس الذي وقع في بهجة الزمن وهامش قرة العيون بأنه (قَدِم منصور سنة١٦٥هـ) يعود ـ فيما نرى ـ إلى أنه عاد إلى العراق في رمضان أو شوال سنة١٦٥هـ بسبب وفاة أبيه. قال ابن الأثير: «في سنة١٦٥هـ مات يزيد بن منصور الحميري خال المهدي»[2]. وقد مات يزيد بن منصور في البصرة، ولا بد أن المهدي كتب إلى منصور يخبره بوفاة أبيه، فاستخلف منصور نائباً له في اليمن **[ربما عبد الله بن سليمان النوفلي]** وسار إلى البصرة فقام بما يلزم ثم سار إلى بغداد والتقى بالخليفة المهدي، وبينما هو عنده ذكر أبو محمد اليزيدي للمهدي الأبيات التي أولها:

يا أيُّها السائلي لأخبره ... عَمّن بصنعاء من ذوي الحَسَبِ

ثم عاد منصور بن يزيد بن منصور إلى صنعاء في حوالي شهر ذي القعدة سنة١٦٥هـ.

ومن أنبائه بصنعاء ما ذكره ابن الديبع في خبر عمر بن ثمامة الصنعاني الذي مَثّل أهل صنعاء في التحاكم مع الأبناء لَمَّا ادّعوا أن منطقة الرحبة لهم أيام ولاية علي بن الربيع الحارثي لليمن. قال ابن الديبع: «وأقام عمر بن ثمامة حتى ولّي منصور بن يزيد الحميري ودعا وجوه صنعاء إلى حائط له وفيهم عمر بن ثمامة فأكل جؤجؤ طائر فغصَّ به ومات من ساعته». **[ص ١٢١/ قرة العيون]**.

وبمساعي منصور بن يزيد الحميري تم في سنة١٦٦هـ إنشاء البريد بين المدينة ومكة واليمن. قال الطبري: «في سنة١٦٦هـ أمر المهدي بإقامة البريد بين المدينة وبين مكة واليمن بغالاً وإبلاً. ولم يُقَمْ هنالك بريد قبل ذلك». **[ص ٨ جـ ١٠]**.

وفي حوالي شهر شوال سنة١٦٦هـ انصرف منصور بن يزيد الحميري من اليمن إلى البصرة والعراق، وصار من مستشاري الخليفة المهدي بينما تولّى اليمن عبد الله بن سليمان النوفلي الربعيّ.

قال الطبري: «وفيها ـ سنة١٦٦هـ ـ عزل المهديُّ منصور بن يزيد بن منصور عن اليمن واستعمل مكانه عبد الله بن سليمان الربعي». **[ص ٨ جـ ١٠]**.

وقال تاج الدين في بهجة الزمن أنه: «عزل المهديّ منصور بن يزيد بعبد الله بن سليمان النوفلي فمكث سنة ثم عزله بسليمان بن يزيد بن عبد المدان» **[ص ٢١]**.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٣٤٦ جـ ٩.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٦٦ جـ ٥.

وقد تم العثور في اليمن على قطعة نقدية مسكوكة بصنعاء سنة١٦٧هـ وهي أول نقود يتمّ سكّها باليمن في العصر العباسي. وقد جاء في القطعة تاريخ السك وهو سنة١٦٧هـ ولكن القطعة ليس فيها اسم الوالي. ومن المفترض أن الوالي هو عبد اللّه بن سليمان النوفلي لأن الروايات ذكرت أن المهدي ولّاه على اليمن بعد منصور بن يزيد الحميري، ولكن عدم ذكره في النقود المسكوكة سنة١٦٧هـ قد يعني أن المهدي لم يولّه على اليمن بشكل رسمي وإنما استخلفه منصور بن يزيد الحميري فمكث والياً ـ بدون تولية من الخليفة ـ إلى أن عزله المهدي بسليمان بن يزيد الحارثي وقد يكون سك النقود في ولايته بنفس السنة.

ولم يزل منصور الحميري من أمراء دولة الخلافة، وولّاه الرشيد بن المهدي خُراسان.

قال الطبري:

«في سنة١٧٩هـ ولّى الرشيد على خُراسان منصور بن يزيد بن منصور الحميري»[1]، فمكث منصور والياً لخراسان إلى سنة١٨٠هـ ثم ولّى الرشيد على خراسان محمد بن الحسن بن قحطبة الطائي سنة١٨٠هـ وعاد منصور بن يزيد الحميري إلى البصرة، ومات بعد سنة١٨٠هـ.

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٦٥ جـ ١٠.

١١

سليمان بن يزيد الحارثي.. والي اليمن

(١٦٧ ـ ١٦٨هـ)

هو الأمير سليمان بن يزيد بن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المدان بن الديان الحارثي. كان من عُمَّال ونواب منصور بن يزيد الحميري في عهد ولاية منصور لليمن (١٦٤ ـ ١٦٦هـ) ثم أصبح سليمان والياً لليمن [بعد عبد اللّه بن سليمان النوفلي الذي كان منصور قد استخلفه لَمَّا انتهت ولايته في شوال ١٦٦هـ] قال تاج الدين في بهجة الزمن: إن عبد اللّه النوفلي «مكث سنة ثم عزله المهدي بسليمان بن يزيد بن عبد المدان، فأقام ـ والياً ـ بقية خلافة المهدي». [ص ٢١].

وقال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش قرة العيون أنه جاء «في بغية المستفيد أنه عُزل النوفلي بسليمان بن يزيد بن عبد اللّه بن عبيد اللّه الحارثي ومكث سنة وعشرة أشهر. وهو كذلك في تاريخ اليعقوبي. وزاد بعد هؤلاء عبد اللّه بن محمد الزينبي وهو ابن بنت سليمان». [ص ١٢٦].

إنَّ مُؤَدَّى مكوث سليمان الحارثي والياً «سنة وعشرة أشهر» أن ولايته بدأت في أوائل سنة١٦٧هـ وبالتالي فإن النوفلي لم يمكث سنة بعد منصور الحميري وإنما عدة أشهر فقط اللّهم إلا أن يكون النوفلي مكث عاملاً للخراج في إطار ولاية سليمان الحارثي ثم عُزِل النوفلي عن الخراج واستمر سليمان والياً لليمن.

إنَّ مدة ولاية سليمان بن يزيد الحارثي هي «سنة وعشرة أشهر» من محرم سنة١٦٧هـ إلى شوال ١٦٨هـ، أو من ربيع الأول ١٦٧هـ حتى وفاة المهدي في محرم ١٦٩هـ. ومُؤَدَّى ذلك أن النقود التي تمَّ سكّها بصنعاء عاصمة ولاية اليمن سنة١٦٧هـ قد تمَّ سكها في ولاية سليمان بن يزيد الحارثي وهي أول نقود يتمّ سكها باليمن في عصر الخلافة العباسية ما لم تكن أول نقود يتم العثور على قطع منها. وتوجد حالياً بمتحف جامعة صنعاء.

وجاء في كتاب الأغاني عن محمد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي قال: «وجّه المهدي نُصيباً الشاعر مولاه إلى اليمن في شراء إبل مهرية ووجّه معه

رجلاً من الشيعة وكتب معه إلى عامل اليمن بعشرين ألف دينار، فمرّ نصيبٌ يدهُ في الدنانير ينفقها في الأكل والشرب وشراء الجواري والتزويج، فكتب الشيعي بخبره إلى المهدي، فكتب المهدي في حمله موثقاً في الحديد.. وقال غير محمد بن عبد اللّه أنه حبس باليمن مدة طويلة، فقال وهو في الحبس، ودخلت إليه ابنته حجناء فَلَمَّا رأت قيوده بكت، فقال:

لقد أصبحت حجناءُ تبكي لوالد ... بـدَرّةِ عيـنٍ قَـلَّ عنـه غِنـاؤهـا
أحجناءُ صبراً كلُّ نفس رهينةٌ ... بموتٍ ومكتوب عليها بلاؤها
أحجناءُ أسبابُ المنايا بمرصَدٍ ... فإلا يعاجل غَدوُها فمساؤها
أحجناءُ إن أفلت من السجن تلقني ... حتوفُ منايا لا يُردُّ قضاؤها
.. أحجناء إن يُصبح أبوك ونفسُه ... قليلٌ تمنّيها قصيرٌ عزاؤها
لقد كان في دنيا تُفيَّأ ظِلُّها ... عليه ومجلوبُ إليه بَهاؤها

ثم بعث به عامل اليمن إلى المهدي موثقاً في الحديد، فَلَمَّا دخل على المهدي أنشده قصيدة طويلة منها قوله:

إليك أمير المؤمنين ولم أجِد ... سواكَ مجيراً منك يُدني ويمنعُ
تلمستُ هل من شافع لي فلم أجد ... سوى رحمة أعطاكها اللّهُ تَشفَعُ
لئن جلَّتِ الأجرامُ مني وأفظعت ... لعفوك عن جُرمي أجلُّ وأوسعُ

.. فقطع المهدي عليه الإنشادَ ثم قال له: ومن أعتقك يا ابن السوداء؟ فأومأ بيده إلى الهادي وقال: الأمير موسى يا أمير المؤمنين، فقال المهدي لموسى: أعتقته يا بنيّ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فأمضى المهدي ذلك. وعفا عنه [ص ٢٦ ـ ٢٧ جـ ٢٠ ـ الأغاني].

وقد مكث سليمان بن يزيد الحارثي عاملاً لليمن إلى وفاة المهدي واستخلاف الهادي في محرم ١٦٩هـ. وربما إلى تولية عبد اللّه بن محمد بن الأشعث في أواخر خلافة المهدي وكان سليمان قد بلغ من الكبر عتياً.

١٢

الأمير عبد اللّه بن محمد بن الأشعث

(١٦٨ ـ ١٦٩هـ)

هو الثالث عشر من الولاة اليمانيين لولاية اليمن في العصر العباسي، الأمير عبد اللّه بن محمد بن الأشعث إبراهيم الزينبي وهو ابن بنت سليمان بن يزيد الحارثي وكان عاملاً ـ ربما على الخراج ـ في ولاية سليمان لليمن (١٦٧ ـ ١٦٨هـ) ثم أصبح والياً لليمن منذ أواخر خلافة المهدي (في حوالي شوال ١٦٨هـ) وقد جاء في كتاب الأغاني للأصفهاني ما يلي نصه:

«أتى نُصيبُ الشاعر مولى المهديّ عبد اللّه بن محمد بن الأشعث وهو يتقلّد صنعاء للمهدي فمدحه فلم يثبه واستكساه بُرداً فلم يكسُه فقال يهجوه:

سأكسوكِ من صنعاء ما قد حرمتني	مقطَّعةً تَبقى على قِدَم الدهر
إذا طُويت كانت وضوحك طيَّها	وإن نُشِرَت زادتك طيّاً على النشر
أغرَّك أن بيَّضت بيتَ حمامةٍ	وقلت: أنا شبعانُ منتفخ الخَصر
لقد كنت في سَلح، سلحت مخافة	الحرورية الشارين داع إلى الضُرّ»[١]

وجاء في بهجة الزمن: أن سليمان بن يزيد الحارثي «أقام والياً بقية خلافة المهدي، فَلَمَّا وُلّي الهادي في محرم ١٦٩هـ استعمل عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم. .»[٢] ولكنه توهم بأنه ابن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن العباس وكذلك قال ابن الديبع في قرة العيون: «لَمَّا تولَّى موسى بن المهدي استعمل على اليمن عبد اللّه بن محمد العباسي»[٣] وإنما هو عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم الأشعث الزينبي. قال الأكوع في هامش قرة العيون: «في تاريخ اليعقوبي: عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم الزينبي وهو ابن بنت سليمان»[٣].

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٢٨ جـ ٢٠.

(٢) بهجة الزمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ٢١.

(٣) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ ص ١٢٦.

وقد كان والياً منذ أواخر خلافة المهدي ثم استقر كذلك في خلافة موسى الهادي بن المهدي نحو أربعة أشهر، وقيل: سنة. وخرجت في أيامه الخوارج الشراة ـ الإباضية ـ كما يدل على ذلك شعر نُصيب.

ثم ولّى الهادي الربيع بن عبد اللّه الحارثي وهو الذي تولّى اليمن أربع مرات وقد أسلفنا ذكر نصوص ولايته لليمن في خلافة الهادي (١٦٩ ـ ١٧٠هـ) وأن صنعاء اضطربت عليه، وهو الرابع عشر من الولاة اليمانيين، واستمر الربيع والياً لليمن ما خلا صنعاء، ولم تزل مضطربة أيام موسى الهادي كلها ثم تولّى الخلافة هارون الرشيد بن المهدي ـ في ربيع ١٧٠هـ ـ فولّى الغطريف بن عطاء الجُرشي على اليمن.

١٣

الغطريف بن عطاء.. والي اليمن (١٧٠ ـ ١٧٤هـ) وأنباء الخيزُران بنت عطاء.. أم هارون الرشيد

هو الخامس عشر من الولاة اليمانيين لولاية اليمن في العصر العباسي، الأمير الغطريف بن عطاء الجُرشي الذي يتألق اسمه في النقود المسكوكة باليمن في عهده مع اسم الخليفة هارون الرشيد والغطريف هو خال الهادي وهارون الرشيد ابنيْ المهديّ. أمهما الخَيْزُرَان بنت عطاء، أخت الغطريف بن عطاء الجُرشي.

ونذكر هنا ما يلي:

أولاً: أسرة الغطريف. . وأنباء الخَيْزُران أم الهادي والرشيد:

لقد جاء في ترجمة الخيزران بكتاب الجامع أنها «الخيزُران بنت عطاء الجُرشية، من الجُرَشيين، من بني أسامة بن الأزد»[١] وقال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش قرة العيون: «الخيزُران بنت عطاء الجُرشية. يُقال إنها من حِمير ثم من خيوان، ويقال إنها من بني الحارث بن كعب من أهل نجران»[٢]. والثابت أنها من أهل مدينة ومنطقة جُرش بأعالي اليمن وكان والدها ـ عطاء الجُرشي ـ من رؤساء جُرش. وقد ذكر الحسن بن أحمد الهمداني موقع مدينة ومنطقة جرش ورئاستها وسكانها، قال الحسن بن أحمد الهمداني:

« . . الجبل الأسود: وهو مُعظم بلد جَنْب وهو ما بين منقطع سَراة خولان بحذاء بلد وادعة إلى جُرَش[٣] . . ـ وجُرَش يسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حِمْيَر، وهم من ولد يريم ذي مقار القَيْل ولهم سُؤدد. . ـ وجُرش في قاع ولها أشراف غربية بعيدة منها تنحدر مياهها في مَسِيل يَمُرّ في شرقيها. . ثم يلتقي بهذا

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٢٠١.

(٢) قرة العيون: تحقيق الأكوع ـ ص ١٢٦.

(٣) سراة خولان: المقصود خولان بن عامر بلواء صعدة.

المسيل أودية حتى تصبّ في بيشَة بعْطان فجُرَش رأس وادي بيشة. ويُصالي قصبة جُرَش أوطان حزَيمة ثم يُواطِن حزيمة من شاميّها عسير.. ثم يصلاها عُنقَة.. ثم تَنْدَحَة وهي العينُ من أودية جُرَش وفيها أعنابٌ وآبار، وساكنه بنو أُسَامَة من الأزد..»[1].

ويتبيَّن من ذلك أن مدينة جُرَش كان يترأس فيها ويسكنها العواسج من أشراف حمير، وهم من ولد القَيْل يريم ذي مقار الحِمْيريّ. وإن بني أُسامة الأزديين كانوا يسكنون وادي تَنْدَحَة من أودية جُرَش، وكانت رئاسة مدينة جُرش ومناطقها ووديانها وكذلك ما جاورها من أعالي اليمن للرؤساء الحميريين بمدينة جُرش. فيترجّح بذلك أن القَيْل عطاء الجُرشيّ من حمْير، مِن ولد القيل الملك الحِمْيري يريم ذي مقار، وقد يكون من بني أُسامة مِن الأزد.

وجاء في أخبار ولاية الغطريف بن عطاء لخراسان في تاريخ ابن خلدون أنه: «ولّى الرشيد خاله الغطريف على خراسان وجُرجان وسجستان، فقدَّم الغطريف خاله داود بن يزيد»[2] ويتبيَّن من ذلك أن داود بن يزيد بن حاتم المهلَّبي هو خال الغطريف بن عطاء والخيزران بنت عطاء، مما يدل على علو مكانة أبيهما عطاء الجُرشي بحيث تزوج ابنة يزيد بن حاتم المهلَّبي الأزدي وقد كان يزيد بن حاتم من كبار الولاة الأمراء، وتولّى إقليم الأهواز سنة١٣٧ ـ ١٤١هـ ثم تولّى مصر سنة١٤٢ ـ ١٥٤هـ في خلافة أبي جعفر المنصور.

وقد تزوج المهدي بن أبي جعفر المنصور الخيزُران بنت عطاء الجُرشي ـ حوالي سنة١٤٣هـ ـ إذْ أنها أنجبت له موسى الهادي سنة١٤٤هـ وهارون الرشيد في ذي الحجة ١٤٥هـ وقد زعمت رواية ذكرها الطبري: أن الخيزُران بنت عطاء الجُرشي وهي «جرشية من اليمن كانت أم ولد ثم أعتقها المهدي وتزوجها في خلافته». ونرى عدم صحة تلك الرواية فلا يمكن أن تكون أم ولد (جارية) وهي جرشية من اليمن وأبوها عطاء الجرشي وأمها بنت يزيد بن حاتم المهلَّبي وأخوها الغطريف بن عطاء، وجميعهم أمراء. ولذلك جاء في تلك الرواية أن المهدي أعتقها وتزوجها.

وقد تولّى المهدي الخلافة سنة١٥٨هـ ثم أخذ البيعة من الأمراء والقادة بولاية العهد لموسى الهادي سنة١٦٠هـ حيث: «..وكّل المهدي بأخذ البيعة ممن بقي من

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٧.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٥٣٦.

الخاصة والعامة يزيد بن منصور الحميري فتولّى ذلك حتى فرغ من جميع الناس. . وسار المهدي إلى الحج سنة ١٦٠هـ واستخلف على بغداد موسى الهادي وخَلَّف معه يزيد بن منصور الحميري وزيراً له ومدبراً لأمره»[١]. وذلك لأن يزيد بن منصور الحميري خال المهدي كان أيضاً من أخوال موسى الهادي وهارون الرشيد لأن أمهما الخيزُران بنت عطاء الجُرشي كانت من أشراف حمير.

وكانت الخيزُران تشترك مع زوجها المهدي في تسيير شؤون الدولة. وجاء في ترجمتها بكتاب الجامع ما يلي:

«كانت الخيزُران ملكة حازمة متفقهة. أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعيّ. ولَمّا حجَّت أنفقت أموالاً كثيرة في الصدقات وأبواب البر، وجعلت البيت الذي وُلد فيه الرسول ﷺ مسجداً للصلاة وأشرعته في الزقاق الذي يقال له زقاق المولد»[٢].

ومن أنباء الخيزران في خلافة المهدي، قال المسعودي في مروج الذهب:

«كانت الخيزُران أُم الهادي والرشيد في دارها المعروفة بأشناس، وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بني هاشم، وهي على بساط أرمني وهُنَّ على نمارق أرمنية، وزينب بنت سليمان بن عليّ (بن عبد اللّه بن عباس) أعلاهن مرتبة ـ وقد كان المهديّ تقدم إلى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان وقال لها: اقتبسي من آدابها وخذي من أخلاقها فإنّها عجوز لنا قد أدركت أوائلنا ـ فبينا هنَّ كذلك إذْ دخل خادم للخيزران فقال: بالباب امرأة ذات حسن وجمال في أطمار رثةٍ تأبى أن تخبر باسمها وتروم الدخول عليكن. فقالت الخيزران للخادم: ائذن لها. فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال في أطمار رَثّةٍ فتكلمت فأوضحت عن بيان، فقلن لها: من أنت؟ قالت: أنا مُزْنة إمرأة مروان بن محمد، وقد أصارني الدهر إلى ما تَرَيْن، وواللّه ما الأطمارُ التي عليّ إلا عارية، وإنكم لما غلبتمونا على هذا الأمر وصار لكم من دوننا لم نأمن مخالطة العامة على ما نحن فيه من الضرر على بادرة إلينا تزيل موضع الشرف، فقصدناكم لنكون في حجابكم على أية حالة كانت حتى تأتي دعوة مَنْ له الدعوة. فاغرورقت عَيْنا الخيزران (بالدموع).

ونظرت إليها زينب بنت سليمان فقالت: لا خَفّف اللّه عنك يا مزنة، أتذكرين وقد دخَلْتُ عليك بحرّان وأنتِ على هذا البساط بعينه، فكلمتك في جُثة إبراهيم الإمام، فانتهرتِني وأمرتِ بإخراجي، وقلتِ: ما للنساء والدخول على الرجال في

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٣٣٢ جـ ٩.

(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٢٠١.

آرائهم، فواللّٰه لقد كان مروان أرْعىٰ للحق منك؛ لقد دخلتُ إليه فحلف أنه ما قتله، وهو كاذبٌ، وخيرني بين أن يدفنه أو يدفع إليَّ جثته، وعَرَضَ عليَّ مالاً فلم أقبله.

فقالت مُزنة: واللّٰه ما نظن هذه الحالة أدتني إلى ما ترينه إلا بالفعال التي كانت مني؛ وكأنكِ استحسنته فحرَّضْتِ الخيزران على فعل مثله، إنما كان يجب أن تحضّيها على فعل الخير وترك المقابلة بالشر؛ لتحرز بذلك نعيمها، وتصون بها دينها؛ ثم قالت لزينب: يا بنت عم، كيف رأيت صنيع اللّٰه بنا في العقوق فأحببت التأسِّيَ بها. ثم ولّت باكية **[وكرهت الخيزران أن تخالف زينب فيها]** فغمزت الخيزران بعض جواريها فعدلت بمزنة إلى بعض المقاصير وأمرت بتغيير حالها والإحسان إليها. فَلَمَّا دخل المهديّ عليها ـ وقد انصرفت زينب ـ قصّت عليه الخيزران قصتها، وما أمرت به من تغيير حالها.. فقال لها المهدي: واللّٰه لو لم تفعلي بها ما فعلت ما كلمتك أبداً، وبكى وقال: اللّٰهم إني أعوذ بك من زوال النعمة، وأنكر فعل زينب وقال: لولا أنها أكبر نسائنا لحلفت ألا أكلمها..»[١] وأمر المهدي بأن تقيم مزنة في القصر، وأجرى لها مثل ما لقريباته من الإقطاع والخدم والأرزاق.

وكانت الخيزران تشترك في تدبير أمور الدولة في خلافة المهدي لرجاحة عقلها وتدبيرها ولم يكن المهدي يخالف لها رأياً. وقد أشارت المصادر التاريخية إلى ذلك. قال الطبري: «كانت الخيزران في أول خلافة موسى الهادي تفتات عليه وتسلك به مسلك أبيه من قبله في الاستبداد بالأمر والنهي»[٢] وقال ابن الأثير: «لما ولّي الهادي الخلافة كانت أُمه الخيزران تستبد بالأمور دونه وتسلك به مسلك المهدي»[٣] ويدل ذلك على علو مكانتها في تدبير أمور الدولة في خلافة المهدي.

ولَمَّا مات المهدي في ٢٣ محرم ١٦٩هـ تولّى الخلافة موسى الهادي بن المهدي وكان أخوه هارون الرشيد وليّ عهده والخليفة من بعده.

قال المسعودي: «وكان الهادي كثير الطاعة لأمه الخيزران، مجيباً لها فيما تسأل من الحوائج للناس، فكانت المواكب لا تخلو من بابها؛ ففي ذلك يقول أبو المعافي:

يا خيزران هَنَاكِ ثم هَنَاكِ إنّ العبادَ يسوسهم إبناك»[٤]

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٥ جـ ٣.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٣٣ جـ ١٠.
(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٧٩ جـ ٥.
(٤) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ جـ ٣.

ولكن الخيزران كانت هي التي تسوس العبّاد وتدير شؤون دولة الخلافة أكثر من موسى الهادي في الأربعة شهور الأولى من عهده وحتى الشهر الخامس. وفي ذلك قال الطبري:

«كانت الخيزران في أول خلافة موسى الهادي تفتات عليه وتسلك به مسلك أبيه من قبله في الاستبداد بالأمر والنهيْ.. وكانت الخيزران كثيراً ما تكلمه في الحوائج فكان يجيبها إلى كل ما تسأله حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته وانثال الناس عليها وكانت المواكب تغدو إلى بابها»(١).

وقال ابن الأثير: «لَمَّا ولّي الهادي الخلافة كانت أُمه الخيزران تستبد بالأمور دونه وتسلك به مسلك المهدي حتى مضى أربعة أشهر فانثال الناس إلى بابها وكانت المواكب تغدو وتروح على بابها»(٢).

فَلَمَّا كان الشهر الخامس من خلافة موسى الهادي ـ وكما ذكر المسعودي في مروج الذهب ـ:

«كلمت الخيزرانُ موسى الهادي في أمر، فلم يجد إلى إجابتها فيه سبيلاً، فاعتلّ عليها بعلَّة، فقالت: لا بد من إجابتي، قال: لا أفعل، قالت: فإني قد ضَمَنْتُ هذه الحاجَةَ لعبد اللّه بن مالك، فغضب الهادي وقال: وَيلٌ لابن الفاعلة، قد علمت أنه صاحبها، واللّه لا قضيتُها لك، قالت: إذاً واللّه لا أسألك حاجة أبداً، وقامت مُغْضَبة، فقال: مكانك، واللّه لئن بلغني أنه وقف ببابك أحدٌ من قُوَّادي أو من خاصتي لأضربَنّ عنقه، ولأقبضَنّ ماله.. ما هذه المواكب التي تغدو إلى بابك كل يوم؟ أما لك مِغْزَلٌ يَشغلك أو مُصْحَف يذكرك..؟ إياك ثم إياك أن تفتحي بابك في حاجة لمسلم ولا ذميّ. فانصرفت وما تعقل ما تطأ؛ فلم تنطق عنده بحلو ولا مر بعدها»(٣).

ثم دعا الهادي القادة ورجال الدولة ـ وفيهم عبد اللّه بن مالك الخزاعي اليماني أمير الشرطة ـ فحذرهم ومنعهم من المسير إلى والدته الخيزران، وبذلك عزلها عن السياسة وعن التأثير على القادة ورجال الدولة. وربما كانت غاية الهادي من ذلك عدم تأثيرها على القادة فيما نواه من خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد وكانت الخيزران تحب الرشيد. ثم دعا الهادي القادة ورجال الدولة فخلعوا الرشيد وبايعوا

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٣٣ جـ ١٠.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٧٩ جـ ٥.
(٣) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ جـ ٣.

لجعفر بن الهادي بولاية العهد. ثم سار الهادي إلى حديثة الموصل فمرض بها ومكث عدة أشهر مريضاً حتى مات.

قال ابن الأثير: «لَمَّا مات الهادي قالت الخيزران: قد كنّا نتحدث أنه يموت في هذه الليلة خليفة ويملك خليفة ويولد خليفة. فمات الهادي ووَلّي الرشيد وولد المأمون.. وقد أُختلف في سبب وفاة الهادي فقيل: كان سببها قرحة كانت في جوفه، وقيل: مرض بحديثة الموصل وعاد مريضاً فتوفي، وقيل: إن وفاته كانت من قِبَلِ جوار لأمه الخيزران كانت أمرتهن بذلك، وقيل: كان سبب أمرها بذلك أن الهادي لما جدّ في خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على الرشيد فوضعت جواريها عليه لَمَّا مرض فقتلنه بالغم والجلوس على وجهه فمات ـ وكان موته في ربيع الأول سنة١٧٠هـ ـ»[1].

والذي يصح أن الخيزران كانت تتوقع وفاة موسى الهادي لشدة مرضه. وقد ذكر ابن الأثير أنه: «لَمَّا اشتد مرض الهادي أرسلت الخيزران إلى يحيى البرمكي [وإلى هرثمة بن أعين الحضرمي] تأمره بالاستعداد، فأحضر كُتّاباً فكتبوا الكُتب من هارون الرشيد إلى العمال بوفاة الهادي وأن الرشيد قد ولّاهم ما كان ويكون، فَلَمَّا مات الهادي سيّرت الكُتب. وقيل: إن يحيى البرمكي كان محبوساً وأن هرثمة بن أعين هو الذي جاء إلى الرشيد فأخرجه ـ من داره ـ وأقعده للخلافة»[1]. بينما «توجّه القائد خازم بن خزيمة تلك الليلة فهجم على جعفر بن الهادي فأخذه من فراشه وقال له: لتخلعن نفسك أو لأضربن عنقك. فأجاب إلى الخلع فَلَمَّا كان الغد أظهر الرشيد جعفراً للناس فأشهدهم بخلع نفسه وأقال الناس من بيعته».

قال ابن الأثير: «وأرسل الرشيد إلى يحيى البرمكي فأخرجه من الحبس واستوزره، وأمر بإنشاء الكتب إلى العمال بجلوسه للخلافة وموت الهادي»[1]. وهي الكُتب التي هيأتها الخيزران فتم تسيير الكتب إلى العمال في ولايات دولة الخلافة، وأصبح الرشيد خليفة للمسلمين في ١٨ ربيع الأول سنة١٧٠هـ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة وشهرين، واستوزر الرشيد يحيى البرمكي. قال ابن الأثير: «وكان يحيى البرمكي يصدر عن رأي الخيزران أم الرشيد»[1].

وكانت الخيزران هي التي تدير شؤون الدولة في خلافة الرشيد حتى وفاتها سنة١٧٣هـ. قال الطبري: «كانت الخيزُران هي الناظرة في الأمور، وكان يحيى

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٧٩ و٨٠ و٨٢ جـ ٥.

البرمكي يعرض عليها الأمور ويصدر عن رأيها»(١). قال المسعودي: «وماتت الخيزران سنة١٧٣هـ ومشى الرشيد أمام جنازتها، وكانت غلة الخيزران مائة ألف ألف وستين ألف ألف درهم»(٢).

وجاء في هامش الكامل لابن الأثير أنه: «رُئِيَ الرشيد يوم ماتت أمه الخيزران وعليه جُبّة سعدية وطيلسان أزرق قد شدّ به وسطه وهو آخذ بقائمة السرير حافياً يعدو في الطين والوحل من المطر الذي كان في ذلك اليوم حتى أتى مقابر قريش فغسل رجليه ثم دعا بخفّ، وصلى عليها ودخل قبرها ثم خرج وتَمَثّل بقول الشاعر:

وكنا كندمانيّ جُذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فَلَمَّا تفرّقنا كأنّي ومالكاً   لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ثم تصدّق عنها بمال عظيم. ماتت الخيزران ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادى الآخرة، وكانت عاقلةً لبيبةً ديّنة، وكان دخلها في السنة ستة آلاف وستين ألف ألف درهم فكانت تنفقها في الصدقات وأبواب البر»(٢).

* * *

ثانياً: ولاية الغِطْريف بن عطاء لليمن ومعالم عهده (١٧٠ ـ ١٧٤هـ):

وكان الغطريف بن عطاء ـ أخو الخيزران ـ من كبار الشخصيات اليمانية، وكانت له أموال في منطقته باليمن وفي العراق، وكان مقيماً ببغداد ـ مع أخته الخيزران أيام المهدي والهادي ـ وكانت أحوال اليمن قد اضطربت في خلافة موسى الهادي وولاية عبد اللّه بن الربيع الحارثي لليمن. قال اليعقوبي: «اضطربت اليمن على الربيع بن عبد اللّه الحارثي [والمقصود صنعاء] فاستعمل الهادي الحصين بن كثير العبدري ثم صرفه واستعمل مكانه أيوب بن جعفر العباسي ثم ردّ الربيع على البلد خلا صنعاء، فلم تزل البلاد مضطربة أيام الهادي». قال ابن الديبع: «ولَمَّا تولّى الخلافة بعده أخوه هارون الرشيد استعمل على اليمن خاله الغطريف»(٣) وقال تاج الدين في بهجة الزمن: «لَمَّا وُلّي الرشيد في شهر ربيع الأول سنة١٧٠هـ استعمل خاله الغِطْرِيف بن عطاء، فقَدِمِ اليمن والفتنة ثائرة بين الجند وأهل صنعاء فأصلح أمرهم، وأقام ـ والياً ـ على اليمن ثلاث سنين وتسعة أشهر..»(٤).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٥٠ جـ ١٠.
(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٣٤٨ جـ ٣ ـ الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ٨٧ جـ ٥.
(٣) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ـ ص ١٢٨.
(٤) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ٢١.

قال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش قرة العيون: «هو الغطريف بن عطاء الجُرشي الحميري. قَدِم اليمن والفوضى منتشرة والحبل مضطرب والخلاف على أشده بين المخلافين الجَنَدَ وصنعاء، فوصل الحبل ورأب الصدع، ولأم ما بينهما من شِقاق وخلاف، وعادت الأمور إلى مجاريها الطبيعية والأحوال إلى هدوء وطمأنينة. وكان الغطريف كيساً لبيباً بصيراً بالأمور»[1].

بدأت ولاية الغطريف لليمن بقدومه إلى صنعاء في ربيع الثاني سنة١٧٠هـ وكان الربيع بن عبد اللّه الحارثي والياً للبلد ما عدا صنعاء وكان بصنعاء أيوب بن جعفر، فسلما مقاليد الأمور إلى الغطريف، ثم بعث الغطريف الرُسل إلى مخاليف الجَنَد ومنها ألوية إب وتعز وتهامة وعدن وحضرموت وكان بها بعض الأباضية (الخوارج)، فأصلح الأمور، ونشر الهدوء والطمأنينة في أرجاء اليمن.

ومن المفيد الإشارة إلى أنه كان من أعلام الولاة والأمراء اليمانيين في أقاليم دولة الخلافة في تلك الفترة من خلافة الرشيد: عبد اللّه بن مالك الخزاعي أمير الشرطة بالعراق وهو صاحب شرطة الرشيد. وجعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي كان صاحب ديوان خاتم الخليفة. وأبو العباس الفضل بن سليمان الطوسي الطائي أمير خُراسان وآسيا الوسطى. قال الطبري: «وفي سنة١٧١هـ كان قدوم أبي العباس الفضل بن سليمان مدينة السلام ـ بغداد ـ منصرفاً عن خراسان وكان خاتم الخلافة حين قَدِم مع جعفر بن محمد بن الأشعث فَلَمَّا قَدِم أبو العباس أخذه الرشيد منه فدفعه إلى أبي العباس، ـ وولّى الرشيد جعفر بن محمد بن الأشعث خُراسان ـ ولم يلبث أبو العباس إلا يسيراً حتى توفي فدفع الرشيد خاتم الخلافة إلى يحيى البرمكي فاجتمعت له الوزارتان ـ وكانت الخيزران هي الناظرة في الأمور وكان يحيى يعرض عليها ويصدر عن أمرها ـ وخرجت الخيزران إلى مكة في شهر رمضان ـ ١٧١هـ ـ فأقامت بها إلى وقت الحج فحجّت»[2]. . وكان الوالي على فلسطين رَوْح بن حاتم المهلّبيّ، وعلى إفريقيا الشمالية يزيد بن حاتم المهلّبيّ فمات يزيد بن حاتم في رمضان ١٧٠هـ وتولّى إفريقيا داود بن يزيد بن حاتم إلى رجب ١٧١هـ ثم ولّى الرشيد رَوْح بن حاتم المهلّبي على إفريقيا الشمالية في رجب ١٧١هـ فمكث بها والياً حتى وفاته في رمضان ١٧٤هـ. وكان الوالي على مصر مَسْلمة بن يحيى البجلي اليماني (١٧٢ ـ ١٧٣هـ) ثم محمد بن زهير الأزدي (١٧٣هـ) ثم داود بن يزيد بن حاتم المهلّبيّ (١٧٤ ـ ١٧٥هـ) وهو خال

(١) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ـ ص ١٢٨.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٥١ جـ ١٠.

الغطريف. وقام الغطريف بسك النقود في اليمن، وقد تم العثور على دراهم مسكوكة في عهده باليمن، مكتوب على أحد وجهيها (لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له) وفي الوجه الثاني (محمد رسول اللّٰه) وفي الكتابة الدائرة اسم (الغطريف) واسم (الخليفة هارون). وجاء في دراسة عن النقود المسكوكة في اليمن بالعصر العباسي أنه:

«يعتبر اسم الغطريف الذي تولّى الولاية باليمن من سنة ١٧٠ ـ ١٧٣هـ أول اسم لوالٍ يرد على سك العملة باليمن. بل وحتى (الخليفة هارون) هو أول اسم خليفة يكتب على السكة المضروبة في اليمن».

قال تاج الدين في بهجة الزمن: «أقام الغطريف ـ والياً ـ على اليمن ثلاث سنين وتسعة أشهر، ثم سار نحو الرشيد واستخلف عبّاد بن محمد الشهابي»[1]. وقال ابن الديبع: «أقام الغطريف في اليمن ثلاث سنين ثم سار نحو الرشيد واستخلف عبّاد بن محمد الشهابي»[2] قال الأكوع في هامش قرة العيون: «وفي تاريخ الجندي أن الغطريف أقام ثلاث سنين وسبعة أشهر.. واستخلف عبّاد بن ميمون الشهابي، والصحيح: عبّاد بن محمد، ولكنه لم يتول العباسية لا أصالة ولا نيابة إذْ كان زمانه متقدماً على زمان هارون الرشيد»[2].

ونرى على ضوء تلك النصوص: أن الغطريف أقام باليمن نحو (ثلاث سنين) ثم أتاه نبأ وفاة أخته الخيزران التي توفت في ٢٧ جمادى الثانية ١٧٣هـ فسار الغطريف نحو الرشيد في بغداد واستخلف عبّاد بن محمد الشهابي وقام الغطريف بما يلزم من المجابرة وغير ذلك في وفاة أخته الخيزران ثم عاد إلى اليمن فمكث نحو (سبعة أشهر) أو (تسعة أشهر) ثم سار نحو الرشيد ـ سنة ١٧٤هـ ـ واستخلف عبّاد بن محمد الشهابي كما نص على ذلك تاج الدين في بهجة الزمن وابن الديبع في قرة العيون.

لقد كان عبّاد بن محمد الشهابي من أعلام الشخصيات بصنعاء في أيام الولاية الأولى للربيع بن عبد اللّٰه الحارثي وولاية معن بن زائدة الشيباني سنة ١٤٢ ـ ١٤٩هـ في خلافة أبي جعفر المنصور، وقد أسلفنا ذكر أخبار عبّاد بن محمد الشهابي في ذلك العهد. ولا يمنع ذلك من أنه عاش إلى خلافة الرشيد وولاية الغطريف لليمن فاستخلفه الغطريف على ولاية اليمن، فتولّى عبّاد اليمن نائباً للغطريف سنة ١٧٣ ـ

---

(١) بهجة الزمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ٢١.
(٢) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٢٨.

١٧٤هـ. قال الأكوع في هامش قرة العيون: «كان عبّاد بن محمد الشهابي أحد أجواد اليمن الذي لا يُبارىٰ وله حكايات في الإكليل وكان موجوداً أيام ولاية معن بن زائدة وكان يحسده على كرمه، ومن ذريته الإمام المشهور مطرف بن شهاب صاحب الفرقة المطرفية باليمن». [ص ١٢٨].

وقد مكث عبّاد والياً لليمن نيابة عن الغطريف إلى آخر سنة١٧٤هـ ـ وربما توفي آخر سنة١٧٤هـ ـ قال تاج الدين: « . . سار الغطريف نحو الرشيد واستخلف عبّاد بن محمد الشهابي. فبعث الرشيد على اليمن الربيع بن عبد اللّٰه بن عبد المدان، فقَدِم آخر سنة١٧٤هـ. . »[ص ٢١ بهجة الزمن] وكذلك قال ابن الديبع: « . . استخلف الغطريفُ عبّاد بن محمد الشهابي، فبعث الرشيد على اليمن الربيع بن عبد اللّٰه بن عبد المدان الحارثي، فقَدِم صنعاء آخر سنة١٧٤هـ» [ص ١٢٨]، وبتولية الربيع انتهت ولاية الغطريف لليمن ـ في أواخر سنة١٧٤هـ ـ لأن هارون الرشيد قرر توليته على بلاد خراسان وآسيا الوسطى.

آخر أنباء الغطريف:

قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «في سنة١٧٥هـ عزل الرشيد عن خراسان العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث وولّاها خاله الغطريف بن عطاء» [ص ٥٣ جـ ١٠] وقال ابن خلدون: «في سنة١٧٥هـ ولّى الرشيد خاله الغطريف على خُراسان وجُرجان وسجستان، فقدَّم الغطريف خاله داود بن يزيد، وبعث عثمان بن عمارة عاملاً على سجستان. وفي أيامه خرج حصين الخارجي مولى قيس بن ثعلبة وبعث عثمان بن عمارة الجيوش إليه فهزمهم حصين وسار إلى باذغيس وبوشنج وهراة فبعث إليه الغطريف اثني عشر ألفاً من الجند فهزموهم». [ص ٥٣٦] ومكث الغطريف والياً لخراسان إلى أن أعفاه الرشيد من ولايتها في أواسط سنة١٧٦هـ حيث قال الطبري: «في سنة١٧٦هـ عزل الرشيد الغطريف بن عطاء عن خراسان وولّاها حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي» [ص ٦٠ جـ ١٠] فعاد الغطريف من خراسان، وحضر زفاف ابنته عزيزة بهارون الرشيد. فقد ذكر الطبري أنه: « . .تزوج الرشيد عزيزة ابنة الغطريف وكانت قبله عند سليمان بن أبي جعفر فطلقها فخاف عليها الرشيد وهي ابنة أخي الخيزران» [ص ١٢١ جـ ١٠] ولم يزل الغطريف من الأعلام حتى وفاته حوالي سنة١٨٠ هجرية.

١٤

الربيع الحارثي..
وعاصم الغساني.. واليا اليمن
(١٧٤ ـ ١٧٩هـ)

قال ابن الديبع في قرة العيون: «سار الغطريف نحو الرشيد واستخلف عبّاد بن محمد الشهابي، فبعث الرشيد على اليمن الربيع بن عبد اللّٰه بن عبد المدان الحارثي، فقَدِم صنعاء آخر سنة١٧٤هـ وفي أيامه حصل الثلج بصنعاء ولم يكن حصل قبل ذلك مثله. ثم عزله الرشيد بعاصم بن عيينة الغساني»[١].

وقال تاج الدين في بهجة الزمن: «بعث الرشيد على اليمن الربيع بن عبد اللّٰه بن عبد المدان، فقَدِم آخر سنة١٧٤هـ، فمكث سنة، ثم عزله الرشيد بعاصم بن عتبة الغساني..»[٢].

والربيع بن عبد اللّٰه الحارثي هو الذي (تولّى اليمن أربع مرات) وكانت ولايته الثالثة بعد الغطريف في آخر سنة١٧٤هـ فمكث سنة والياً لليمن وذلك إلى نهاية سنة١٧٥هـ، وقد سلف ذكر أنباء ولايته.

وكان الأمير عاصم بن عُيينة الغساني من القادة ورجال الدولة ببغداد في خلافة هارون الرشيد بن المهدي، فجاء في كتاب الأغاني أن أبا محمد اليزيدي قال: «أمر لي الرشيد بمال، فأتيت عاصماً الغساني وكان أثيراً عند يحيى بن خالد ـ وزير الرشيد ـ فقلت له: إن أمير المؤمنين قد أمر لي بمال، فأحبّ أن تُذكِر يحيى بن خالد أمره ليُعجله لي، فقال: نعم، ثم عدت بعد ذلك بيومين فقال لي يتفخم في لفظه: ما أصبت بحاجتك موضعاً، قلتُ: فاجعلها منك أكرمك اللّٰه ببال. فَلَمَّا خرجت لحقني بعض من كان في المجلس [من المُضرية] فقال لي: يا أبا محمد إني لأربأ بك أن تأتي عاصماً أو تسأله حاجة، قلت: وكيف؟ قال: سمعته يقول وقد وَلّيْتَ: لو أن

---

(١) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ ص ١٢٨.

(٢) بهجة الزمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ٢١.

بيدي دجلة والفرات ما سقيتُ هذا منهما شربة، فقيل له: وَلِم ذاكَ أصلحك اللّه فإن له قدراً وعلماً، قال: لأنه من مُضَر وما رأيتُ مُضرياً قط يحب اليمانية..»[١] فهجا أبو محمد عاصماً بأشعار منها قوله:

أعاصم خل المكرمات لأهلها ... واغض على لؤم ووجهك سالمُ
فكيف تنال الدهر مجداً وسؤدداً ... وفي كل يوم كوكب لك ناجمُ
إذا قيل أيّ الناس أعظم جفوة ... وألأمُ قيل الجرمقانيّ عاصم[١]

ثم أصبح عاصم الغساني والياً لليمن، ولاهُ الرشيد بعد الربيع الحارثي في آخر سنة١٧٥هـ. قال تاج الدين «فمكث عاصم سنة والياً لليمن»[٢] وكذلك قال الأكوع في هامش قرة العيون: «كانت إقامة الغساني سنة ـ واحدة ـ»[٣] وذلك إلى نهاية سنة١٧٦هـ. وهو السابع عشر من الولاة اليمانيين لولاية اليمن في العصر العباسي. قال أبو العباس المبرّد في كتاب الكامل: «وقال الشاعر ـ الخليع ـ في كلمة يمدح بها عاصماً الغَسَّانيَّ:

أقول ونفسي بين شَوْقٍ وحَسْرَةٍ ... وقد شَخَصَتْ عيني ودمعي على خَدِّي
أريحي بقَتْلِ مَنْ تركت فُؤادَهُ ... بِلَحْظَتِهِ بين التَّأَسُّفِ والجَهْدِ
فقالتْ: عذابٌ في الهوى قبل ميتَةٍ ... وموتٌ إذا أَقْرَحْتَ قلبكَ من بَعْدِي
لقد فَطَنَتْ للجَوْرِ فِطْنَةَ عاصِم ... لصُنْعِ الأيادِي الغُرِّ في طَلَبِ الحَمْدِ
سأشكوكِ في الأشعار غيرَ مُقَصِّرٍ ... إلى عاصمٍ ذي المكرُمات وذي المجدِ
لعلَّ فَتَى غَسَّانَ يجمعُ بيننا ... فَتَأْمَنَ نفسي منكم لَوْعَةَ الصَّدِّ»[٤]

وانتهت ولاية عاصم لليمن في أوائل سنة١٧٧هـ. قال ابن الديبع: «عُزل عاصم بالربيع بن عبد اللّه الحارثي والعباس بن سعيد مولى بني هاشم، فجُعل الربيع على الحرب والصلاة، والعباس على الجباية» [ص ١٢٨] وكذلك قال تاج الدين: «..الربيع على الصلاة والحرب، والعباس على الجباية، فأقاما سنتين» [ص ٢١]. قال الأكوع: «وفي تاريخ اليعقوبي: كان الرشيد ولّى العباس بن سعيد مولاه فضجَّ منه أهل اليمن فصرفه الرشيد وولّى مكانه إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإمام» [ص ١٢٩] ومؤدى ذلك أن الرشيد عزل

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٧٨ جـ ١٨.
(٢) بهجة الزمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ٢١.
(٣) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ ص ١٢٨.
(٤) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرّد ـ ص ٢٢ جـ ٢.

العباس فقط وأن الربيع استمر والياً على الحرب والصلاة، ربما حتى وفاته سنة١٨١ هجرية.

* * *

ما بين انتهاء ولاية الربيع. . وتولية عبد اللّه بن مالك:

قال تاج الدين وابن الديبع: إن الربيع الحارثي والعباس بن سعيد «عُزلا بمحمد بن إبراهيم الهاشمي العباسي، وقد جُمع له الحجاز واليمن، فأقام بالحجاز وبعث ابنه العباس [وقيل: إبراهيم بن محمد] فشكاه الناس، فعزله، وولّى الرشيد عبد اللّه بن مُصعب بن ثابت بن الزبير، فأقام سنة، ثم عزله بأحمد بن إسماعيل بن علي الهاشمي العباسي في سنة١٨١هـ» [ص ٢٢] والظاهر أن هؤلاء كانوا عمالاً على الجباية وأن الربيع الحارثي كان والي اليمن على الصلاة والحرب حتى وفاته سنة١٨١هـ.

قال تاج الدين: «ثم عزل الرشيدُ أحمدَ بن إسماعيل بإبراهيم بن عبد اللّه بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار، فأقام سنة ووثب به الجند، فعزله الرشيد بمحمد بن خالد بن بَرْمك ـ البرمكي ـ فدخل صنعاء في شوال سنة١٨٣هـ» [ص ٢٢].

وقال ابن الديبع: «عزل الرشيد أحمد بن إسماعيل الهاشمي بأحمد بن إسماعيل العبدري، ثم عزله بمحمد بن برمك» ونرى أن إبراهيم بن عبد اللّه بن طلحة وأحمد العبدري كان أحدهما على الحرب والصلاة وأحدهما على الجباية، فأقاما سنة، ووثب بهما الجند، فعزلهما الرشيد بمحمد بن خالد البرمكي. قال الأكوع في هامش قرة العيون: «قَدِم محمد بن خالد في جمادى سنة١٨٣هـ» بينما قال تاج الدين: إن محمد بن خالد «قَدِم صنعاء في شوال سنة١٨٣هـ فأقام سنة ثم عزله الرشيد واستعمل حماداً البربري في شوال سنة١٨٤هـ».

وقد سجّل التاريخ لمحمد بن خالد البرمكي لَمّا تولّى اليمن (١٨٣ ـ ١٨٤هـ) أنه قام بشقّ غيل البرمكي في صنعاء، وكان لعبّاد بن غمر الشهابي دور في ذلك وكان الغيل في أرضه، حيث قال الحسن بن أحمد الهمداني في الإكليل:

«ولبني شهاب أكثر حقل صنعاء ومنه ميدان عبّاد بن الغمر فَلَمّا احتفر ابن برمك نهر صنعاء الكبير المعروف بغيل البرمكي وقعت مضاربة وفساتيجة في أرض عبّاد بن الغمر فسأله بيع منفذ الغيل، فقال عبّاد: ما مثلي باع وسطاً من أرضه ولا يحسن بي أن أمنعك سبيلاً من سبل الخير، ولكني أفسح لك على أن

تجعل لي في مكرمتك نصيباً، قال: قُل ما يجب، قال: شَغرَة منه [أي فرعاً] اجعلها لأهل صنعاء مشرعاً، فاختزل منه الشغرة التي تَصُب في سقاية عبّاد، وهي اليوم مشرب أهل صنعاء، فكان أهل صنعاء يرون أن مكرمة ابن برمك لم تتم إلا بعبّاد، وأنَّه تولّى أكثرها لشربهم وشرب ضياعهم»(١). قال الرازي في تاريخ صنعاء: «سقاية عبّاد في بئر كرامة عن يمين قبلة الجامع، إذا نزلت من غمدان تريد أن تدخل إلى الجامع، وقد عمرها ابن عبّاد وكتب اسمه على حجر أبيض وهو موجود في هذه السقاية» وهي البير التي أُصلح عليها عقداً جديداً ـ وأما غيل البرمكي الذي وصفه الهمداني بنهر صنعاء الكبير، ففيه قال شاعر يمني بالشعر الشعبيّ الحُميني:

واعـويـلاه إذا غـاب الـحـبـيـب	عـن حـبـيـبـه إلـى مـن يـشـتـكـي
يـشـتـكـي إلـى والّـي الـبـلـد	ودمـوعـه مـثـل غـيـل الـبـرمـكـي

وقال البهاء الجندي: إن غيل البرمكي مستمر إلى أيامه سنة٦٢٤هـ، وقال صاحب أنباء الزمن: يقال إن مأتى هذا الغيل من بيت عقب من بني بهلول تحت جبل غيمان وأنه وجد ذلك في حدود بصائر قديمة محددة في شعوب. وقال القاضي محمد بن علي الأكوع: هو غيل بيت العياد بن طاهر جنوب مدينة صنعاء وقد اختفى اليوم». (اهـ).

ولم تكن ولاية محمد بن خالد البرمكي تشمل اليمن، فقد ذكر ابن الديبع أنه: «خرج عن طاعة محمد البرمكي أهل تهامة فشكاهم إلى الرشيد، فبعث الرشيد مكانه حمّاد البربري». قال تاج الدين: «فقدِم حماد في شوال سنة١٨٤هـ فلم يزل على اليمن بقية خلافة الرشيد.. وظفر بالهَيْصَم بن عبد الصمد» [ص ٢٣] وجاء في هامش بهجة الزمن «أن الرشيد قال لحماد حين ولّاه اليمن: أسمعني أصوات أهل اليمن» [ص ٢٢] ونشير هنا إلى أن المقصود أصوات الخارجين على الدولة من أهل اليمن، فقد كانت مغارب مخاليف صنعاء بيد الزعيم اليماني الثائر الهيصم بن عبد الصمد الحميري وانضوت أكثر أصقاع اليمن تحت لواء الهيصم، فلم تكن ولاية حمّاد البربري تشمل كل اليمن، وقد خاض حمّاد حروباً ضد الهيصم بن عبد الصمد تسع سنين إلى أن انهزم الهيصم ووقع أسيراً سنة١٩٢هـ فبعث به حمّاد إلى الرشيد فقتله الرشيد، وللهيصم أنباء كثيرة في الإكليل وغيره من المصادر التاريخية. وأساء حمّاد البربري السيرة في اليمن وتعسّف بالناس. فعزله الرشيد ـ سنة١٩٢هـ ـ وولّى على اليمن عبد اللّٰه بن مالك الخزاعي.

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ٥٢٧ جـ ١.

١٥

عبد اللّه بن مالك الخزاعي.. والي اليمن (١٩٢هـ) ومحمد بن عبد اللّه الخزاعي.. والي اليمن (١٩٣ ـ ١٩٥هـ)

هو الأمير عبد اللّه بن مالك بن الهيثم الخزاعيّ اليمانيّ. كان عبد اللّه بن مالك أمير الشرطة ببغداد وصاحب شرطة الخليفة المهدي سنة١٦٢ ـ ١٦٩هـ ثم صاحب شرطة الهادي (١٦٩ ـ ١٧٠هـ) ثم صاحب شرطة هارون الرشيد بن المهدي (سنة١٧٠ ـ ١٨٨هـ). قال الطبري: «وفي سنة١٨٩هـ ولّى الرشيدُ عبد اللّه بن مالك طبرستان، والرَّيّ، والرُّويان، ودنباوند، وقومس، وهَمَذَان»[1]. وهي جميع أقاليم شمال إيران.

وكان عبد اللّه بن مالك من كبار الأمراء القادة مع الرشيد لَمَّا غزا أرض الروم (في تركيا حالياً) وحاصر وفتح مدينة هرقلة في رجب سنة١٩٠هـ. قال الطبري: «في سنة١٩٠هـ فتح الرشيد هرقلة وبثّ الجيوش والسرايا في أرض الروم، وكان دخلها فيما قيل في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفاً.. وأناخ عبد اللّه بن مالك على [قلعة] ذي الكلاع.. وافتتح يزيد بن مخلد الصفصَاف ومَلْقُوبية. وكان فتح الرشيد هرقلة في شوال وأخربها بعد مقام ثلاثين يوماً عليها»[1]. ثم بثّ الرشيد الجيوش في أرض الروم، فوجّه فرقة بقيادة عبد اللّه بن مالك الخزاعي إلى قلعة ذي الكلاع. قال البلاذري: «والحصن المعروف بذي الكِلاع إنما هو الحصن ذو القلاع لأنه على ثلاث قلاع، فحُرف اسمه، وتفسير اسمه بالرومية الحصن الذي مع الكواكب»[2] فوجّه الرشيد عبد اللّه بن مالك إلى قلعة ذي الكلاع ويزيد بن مخلد المهلّبي إلى الصَّفْصَاف ومَلْقُونِيَة ـ في تركيا ـ قال الطبري: «وأناخ عبد اللّه بن مالك على ذي الكلاع.. وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف وملقوبية.. وولّى الرشيد حميد بن معيوف الهَمْداني سواحل بحر الشام إلى مصر فبلغ حميد قُبْرص فغزاهم.. ثم صار الرشيد إلى الطُّوَانَة فعسكر بها ثم رحل عنها وخَلّف عليها عُقبة بن جعفر الخزاعي

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٩٧ و٩٨ جـ ١٠.

(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ١٧٤.

وأمره ببناء منزل هنالك.. وفي سنة١٩١هـ ولّى الرشيد غزو الصائفة هرثمة بن أعين.. ومضى الرشيد إلى درب الحدث فرتب هنالك عبد اللّه بن مالك.. فأقام الرشيد بدرب الحدث ثلاثة أيام من شهر رمضان ثم انصرف إلى الرّقة.. وفي سنة١٩٢هـ ولّى الرشيد ثابت بن نصر بن مالك ـ الخزاعي ـ الثغور وغزا فافتتح مطمورة. وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم ـ في الأسرى ـ على يدي ثابت بن نصر بن مالك»(١) . وانعقد الصلح بين المسلمين والروم.

وفي أوائل سنة١٩٢هـ عاد من ثغور الروم عبد اللّه بن مالك إلى هارون الرشيد فولّاه على اليمن. وكان حماد البربري قد أساء السيرة باليمن وتعسّف بالناس. قال ابن الديبع: «اشتد العسف على أهل اليمن فحجوا واشتكوا حماداً إلى الرشيد فلم يستمع منهم.. فأقاموا إلى أن هلك الرشيد سنة١٩٣هـ ولَمّا تولّى ولده محمد الأمين أقرّ حماداً على اليمن سنة ثم عزله بمحمد بن عبد اللّه الخزاعي»(٢) . قال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش قرة العيون: «وفي تاريخ اليعقوبي أنه تولّى اليمن والده عبد اللّه بن مالك، وأن ولايته في أيام هارون وقد أثنى عليه.. قال اليعقوبي: صاح قوم من أهل اليمن بالرشيد وهو بمكة: نعوذ باللّه وبك يا أمير المؤمنين أعزل عنا حماداً، فقال: لا ولا كرامة. ثم عزل الرشيد حماداً واستعمل على اليمن مكانه عبد اللّه بن مالك فلم يزل بالبلد محمود السيرة جميل المذهب حتى توفي هارون»(٢) .

ويتبيّن من ربط النصوص التاريخية ما يلي:

ـ إن الرشيد ولّى عبد اللّه بن مالك على اليمن سنة١٩٢هـ، مع بقاء حماد البربري عاملاً باليمن ـ ربما عاملاً على الخراج والجباية ـ فلم يزل عبد اللّه بن مالك والياً باليمن محمود السيرة جميل المذهب ـ ولكن ليس حتى وفاة هارون الرشيد ـ فقد كتب الرشيد إلى عبد اللّه بن مالك بالقدوم إليه لوقوع تمرد من الخرمية بآذربيجان، فسار عبد اللّه بن مالك نحو الرشيد في شعبان أو رمضان ١٩٢هـ فوجّهه الرشيد لقتال الخرمية بأذربيجان. قال الطبري: «في سنة١٩٢هـ تحرّكت الخرمية بناحية أذربيجان، فوجّه إليهم الرشيدُ عبد اللّه بن مالك في عشرة آلاف فارس، فغزاهم، فأسر وسبى، ووافىٰ الرشيد بقَرْماسين، فأمر الرشيد بقتل الأسارى ـ الخرمية ـ وبيع السَّبيْ»(٣) . وقد عاد عبد اللّه بن مالك من حملته تلك إلى أذربيجان ووافى الرشيد بقرماسين في شوال ١٩٢هـ ولكنه لم يرجع إلى اليمن [والظاهر أنه كان

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٠٠ و١٠٩ جـ ١٠.

(٢) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٣٦.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٠٩ جـ ١٠.

استخلف باليمن ابنه محمد بن عبد اللّه بن مالك ومعه حماد البربري عاملاً على الجباية] وقد سار عبد اللّه بن مالك مع هارون الرشيد لَمّا سار قاصداً خُراسان. قال الطبري: «ولَمّا بلغ الرشيد جُرجان ـ في صفر ١٩٣هـ ـ سيّر ابنه المأمون إلى مَرْو، وسيّر معه من القوّاد عبد اللّه بن مالك، ويحيى بن معاذ، وأسد بن يزيد، والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي»، وسار الرشيد إلى مدينة طوس بخراسان فمرض ومات بها في ٣ جمادى الثانية ١٩٣هـ، فانعقدت الخلافة للأمين بن الرشيد، وكان المأمون بن الرشيد في مرو خُراسان ومعه عبد اللّه بن مالك وكوكبة من الأمراء والقادة.

ـ فَلَمّا تولّى الخلافة الأمين بن الرشيد، وكما قال ابن الديبع: «أقرّ حماداً البربري على اليمن سنة ثم عزله بمحمد بن عبد اللّه الخزاعي» وقال تاج الدين في بهجة الزمن: «لَمّا وُلِّي الأمين أقرّ حمّاداً مديدة ثم سار نحو العراق واستخلف ابن أخيه، فكتب أهل اليمن إلى الأمين يشكونه، فعزله واستعمل محمد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي»[1].

ونميل إلى أن محمد بن عبد اللّه الخزاعي كان باليمن مع حماد البربري وكان حماد عاملاً على الجباية، ثم عزله الأمين وجمع أعمال الوالي لمحمد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي في جمادى الثانية أو رجب سنة١٩٤هـ. وربما تزامن ذلك أيضاً مع مرض ووفاة عبد اللّه بن مالك وكان قد عاد من خُراسان إلى بغداد، فمرض بها. قال الأصفهاني: «ولَمّا مرض عبد اللّه بن مالك قال المؤمل بن جميل:

ظلّت عليّ الأرض مُظلمةً إذْ قيل عبد اللّه قد وعكا
يا ليت ما بِك بي وإن تَلِفَتْ نفسي لذاك، وقَلّ ذاك لكا»[2]

وقد توفي الأمير عبد اللّه بن مالك الخزاعي في حوالي منتصف سنة١٩٤هـ الموافق ٨١٠م.

* * *

وفي جمادى الثانية أو رجب سنة١٩٤هـ عزل الأمين حمّاداً البربري وولّى على اليمن محمد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي ـ أو جمع له أعمال والي اليمن ـ. قال تاج الدين: «فاستخرج ـ محمد بن عبد اللّه ـ من عمال حمّاد أموالاً جليلة، وعَدَل في الناس» [ص ٢٢]. وقال القاضي محمد بن علي

---

(١) بهجة الزمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ٢٢.
(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٦١ جـ ١٦.

الأكوع في هامش قرة العيون: «في تاريخ اليعقوبي ـ كما تقدم في ص ١٨٩ ـ أنه تولّى اليمن والده عبد اللّه بن مالك وأن ولايته في أيام هارون، وقد أثنى عليه. وكان [محمد بن عبد اللّه بن مالك] رئيساً فخماً مقدماً عند الخلفاء. وقَدِم اليمن حاملاً بين جنبيه الرحمة والعفاف والعدل والإنصاف، فإنه ما حط أثقاله إلا وأرجع الحق إلى نصابه فردّ المظالم إلى أهلها وأدخل روح الاستقرار والراحة إلى كل قلب، وصادر عمال حماد البربري واستخرج منهم الأموال التي كسبوها من غير حلّها وسلّمها إلى أربابها، وساس الناس سياسة لين ورفق. وأحبّه أهل اليمن وأحبهم ورعى حرمتهم وآسى جراحهم، وهُم قدّروه واحترموه. ولكن ويا للأسف لم تطل مدته بل أقام سنة وعُزِل، وكأنّ الحكام المستبدين وبطانتهم لا يروقهم هذا النوع الممتاز الذي يقضي على سمعتهم ويطغى على شخصيتهم لأنه يصير المصباح الذي يشعُّ بالخلال الكريمة والصفات الجميلة». [ص ١٣٦].

وقال تاج الدين في بهجة الزمن: إن محمد بن عبد اللّه الخزاعي «عزله الأمين واستعمل سعيد بن السَّرْح الكناني في شعبان سنة١٩٥هـ». [ص ٢٣].

ونرى أن الأمين عزل محمد بن عبد اللّه الخزاعي لأن ابن عمه الأمير طاهر بن الحسين الخزاعي أيّد المأمون في خلع ومحاربة الأمين، وبعث الأمين جيشاً بقيادة علي بن عيسى بن ماهان الفارسي فهزمه وقتله طاهر بن الحسين في الرّيّ ـ في شعبان ١٩٥هـ ـ وكان العباس بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي مع طاهر بن الحسين، بينما كان المطّلب بن عبد اللّه بن مالك والياً للموصل.. وفي أوائل سنة١٩٦هـ دخل طاهر بن الحسين الخزاعي جنوب العراق، قال الطبري: «..دخل طاهر بن الحسين واسطاً، ووجّه قائداً من قوّاده يقال له أحمد بن المهلّب نحو الكوفة، وعليها يومئذ العباس بن موسى الهادي ـ عامل الأمين ـ فَلَمّا بلغ العباس خبر أحمد بن المهلّب خَلَع الأمين وكتب بطاعته إلى طاهر وببيعته للمأمون، وكتب المنصور بن المهدي وكان عاملاً للأمين على البصرة بطاعته إلى طاهر. وكانت بيعة منصور بن المهدي بالبصرة وبيعة العباس بن موسى بالكوفة وبيعة المطلب بن عبد اللّه بن مالك بالموصل للمأمون وخلعهم الأمين في رجب سنة١٩٦هـ، وأقرّهم طاهر على أعمالهم، وولّى داود بن عيسى مكة والمدينة، ويزيد بن جرير القسري اليمن»[1].

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٦٨ جـ ١٠ وص ١٧٢ جـ ١٠.

١٦

يزيد بن جرير القسري..
آخر ولاة اليمن المُوحد
(١٩٦ ـ ١٩٨هـ)

هو الأمير يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد اللّه القَسْري البَجْلي اليماني. قال تاج الدين في بهجة الزمن: «عزل الأمين محمد بن عبد اللّه الخزاعيّ واستعمل سعيد بن السَّرْح الكناني في شعبان سنة١٩٥هـ فأقام حتى ثارت الفتنة بين الأمين والمأمون[١] وسار طاهر بن الحسين لمحاربة الأمين، وضعف أمره، فبعث طاهرُ بن الحسين على اليمن يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد اللّه القسري..»[٢].

قال القاضي محمد بن علي الأكوع: «وبيت القسري هذا من البيوتات اليمنية ذات الرياسة والشرف والذلاقة والفصاحة، جاهلية وإسلاماً.. ويزيد بن أسد له صحبة.. وابنه عبد اللّه كان رئيساً بالشام.. وأما خالد بن عبد اللّه فأشهر من أن يُعرّف، فكان أميراً لمكة.. ثم أمير العراقين أيام هشام بن عبد الملك وأخباره في الجود والكرم مأثورة وفي الفصاحة والبلاغة مذكورة، بل كانت مضرب الأمثال. ويزيد بن خالد: أحد الخطباء المشاهير وأحد قتلة الوليد بن يزيد بن عبد الملك. وأما يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد فكان قائداً محنّكاً ورئيساً فخماً من القوّاد الذين انضموا تحت لواء طاهر بن الحسين الخزاعيّ في حرب الأمين، وأبلى بلاءً حسناً، فَلَمَّا تداعت الأطراف أمام قوة طاهر كانت اليمن في جملة ذلك فبعثه طاهر والياً عليها»[٣].

---

(١) قال الأكوع في هامش قرة العيون: «قال الخزرجي: قَدِم محمد بن سعيد الكناني سنة ١٩٥هـ. وفي النسخة المنقطعة أنه لبث ثمانية أشهر» (ص ١٣٧) ـ ومؤدى ذلك أنه غادر اليمن في شهر ربيع الثاني ١٩٦هـ قبل قدوم يزيد بن جرير القسري.

(٢) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ٢٣.

(٣) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ـ ص ١٣٩.

فعندما دخل طاهر بن الحسين منطقة واسط بجنوب العراق في أوائل سنة١٩٦هـ بعث عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيينة بن المهلَّب الأزدي إلى البصرة، وبعث القائد أحمد بن المهلَّب الأزدي في فرقة عسكرية إلى الكوفة. قال أبو العباس المبرّد: «كان عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيينة من رؤساء من أخذ البصرة للمأمون، وكان معاضداً لطاهر بن الحسين في حروبه»[١]. فاستجاب له أهل البصرة وأميرها منصور بن المهدي، وقال ابن أبي عُيينة في ذلك:

ودعوتُ منصوراً فأعلنَ بيعةً   في جَمْع أهل المِصرِ والأجناد[١]

وقال الطبري: « . . وجّه طاهر بن الحسين قائداً من قوّاده يقال له أحمد بن المهلَّب نحو الكوفة وعليها يومئذ العباس بن موسى الهادي، فَلَمَّا بلغ العباس خبر أحمد بن المهلَّب خَلَعَ الأمينَ وكتب بطاعته إلى طاهر وببيعته للمأمون. وكتب منصور بن المهدي وكان عاملاً للأمين على البصرة بطاعته إلى طاهر. وكانت بيعة منصور بن المهدي بالبصرة وبيعة العباس بن موسى بالكوفة وبيعة المطّلب بن عبد اللّه بن مالك بالموصل للمأمون وخَلعهم الأمين في رجب ١٩٦هـ، ولَمَّا كتبوا إلى طاهر ببيعتهم للمأمون وخلعهم الأمين أقرّهم طاهر على أعمالهم. وولّى داود بن عيسى مكة والمدينة، ويزيد بن جرير القسريّ اليمن»[٢]. وقال الطبري: «وجّه طاهر بن الحسين داود بن عيسى بن موسى والعباس بن محمد إلى مكة، ووجّه معهما يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد اللّه القسري البجلي وقد عقد له طاهر على ولاية اليمن وبعث معه خيلاً كثيفة، وضَمنَ له يزيد بن جرير أن يستميل قومه وعشيرته من ملوك أهل اليمن ليخلعوا الأمين ويبايعوا المأمون، فساروا جميعاً حتى دخلوا مكة **[في رجب وتولاها داود بن عيسى]**. . ومضى يزيد بن جرير إلى اليمن فدعا أهلها إلى خلع الأمين وبيعة المأمون وقرأ عليهم كتاباً من طاهر بن الحسين يعدهم العدل والإنصاف ويرغبهم في طاعة المأمون، فاستجاب أهل اليمن إلى بيعة المأمون واستبشروا بذلك. فسار فيهم يزيد بن جرير بأحسن سيرة وأظهر عدلاً وإنصافاً، وكتب بإجابتهم وبيعتهم إلى المأمون وطاهر»[٢].

وكذلك قال ابن الأثير: « . . استعمل طاهر بن الحسين يزيدَ بن جرير القسري على اليمن وبعث معه خيلاً كثيفة، فَلَمَّا قَدِم اليمن دعا أهلها إلى خلع الأمين والبيعة للمأمون ووعدهم العدل والإحسان وأخبرهم بسيرة المأمون، فأجابوه

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرد ـ ص ٢٥٠ جـ ١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٦٨ و١٧٢ جـ ١٠.

إلى ما طلب وخلعوا الأمين وبايعوا للمأمون، وكتب بذلك إلى طاهر وإلى المأمون، وسار فيهم أحسن سيرة وأظهر العدل»(١).

ويتبيَّن من ذلك أن قدوم يزيد بن جرير القَسْري إلى اليمن كان في شعبان ١٩٦هـ. وجاء في بهجة الزمن أنه «قَدِم صنعاء آخر سنة١٩٦هـ» والصواب أن قدومه وبداية ولايته في شعبان ١٩٦هـ واستكملت كل ربوع اليمن طاعة له وإجابة. وكان يزيد بن جرير القسري هو الوالي اليماني الحادي والعشرون لولاية اليمن في العصر العباسي وقد مكث الأمير يزيد بن جرير القسري والياً لليمن إلى شوال سنة١٩٨هـ.

وقد قال ابن الديبع ما يلي: «بعث طاهر إلى اليمن يزيد بن جرير القسري فقبحت سيرته في اليمن وذلك أنه وجد قوماً من الأبناء الذين بعث بهم كسرى مدداً لسيف بن ذي يزن قد تزوجوا في العرب فأمر بطلاق من في أيديهم من نساء العرب»(٢). وقد ذكر القاضي محمد بن علي الأكوع في الهامش نص المؤرخ ابن الأثير ـ سالف الذكر ـ وقوله إن يزيد بن جرير القسري «سار في أهل اليمن أحسن سيرة وأظهر العدل» ثم قال القاضي الأكوع: «تأمل كلام ابن الأثير على جلالة قدره وإمامته في التاريخ كيف أثنى على صاحبنا [يزيد القسري] في حين أن المؤلف [ابن الديبع] قبَّح سيرته لذلك السبب التافه الذي ربما لا أساس له»(٢). وكذلك أثنى الطبري شيخ المؤرخين على سيرة يزيد بن جرير القسري باليمن قائلاً أنه «سار فيهم يزيد بن جرير بأحسن سيرة وأظهر عدلاً وإنصافاً»(٣).

إن ابن الديبع بعد قوله: «. . فأمر بطلاق من في أيديهم من نساء العرب» قال: «فَلَمَّا بلغ المأمون عزله بعمر بن إبراهيم، ثم عزله بإسحاق بن موسى العباسي». [ص ١٤١] وذكر تاج الدين رواية تتلخص في أن عمر بن إبراهيم بن واقد العدوي الخطابي كان نازلاً مع أخواله أرحب [بمنطقة أرحب في اليمن] ثم قدم عليه أبو الصلت بكتاب افتعله بولايته اليمن، فقَدِم عمر بن إبراهيم صنعاء وحبس يزيد بن جرير، فمات يزيد في الحبس بصنعاء. ثم قال: «وكانت ولاية عمر شهراً، ثم عزله المأمون بإسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي العباسي فقَدِمها في ذي القعدة من سنة١٩٨هـ». [ص ٢٤].

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٥٥ جـ ٥.

(٢) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٤٠.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٦٨ و١٧٢ جـ ١٠.

ونميل إلى أن يزيد بن جرير القسري مات بصنعاء موتاً طبيعياً ـ وليس في الحبس كما تزعم روايات الأبناء ـ وكان موته في شوال ١٩٨هـ، فتولَّى عمر بن إبراهيم صنعاء بكتاب مفتعل ومكث شهراً، فأتى إسحاق بن موسى والياً لليمن في ذي القعدة سنة١٩٨هـ.

وكان يزيد بن جرير القسري آخر الولاة العظماء الذين حكموا كل ولاية اليمن في العصر العباسي[1].

---

(١) بعد يزيد بن جرير القسري تولَّى عمر بن إبراهيم شهراً واحداً بكتاب مفتعل، ثم تولَّى اليمن إسحاق بن موسى العباسي في ذي القعدة ١٩٨هـ فأقام إلى سنة ١٩٩هـ ـ ولم تدخل مناطق تهامة وغيرها في طاعته ـ ثم استخلف ابن عمه القاسم بن إسماعيل وسار إلى الحجاز، فقَدِم إلى اليمن الإمام إبراهيم بن موسى العلوي الجزار بالدعوة العلوية في صفر سنة ٢٠٠هـ فتغلب على مناطق واسعة من بينها صنعاء، وخرب سد الخانق برحبان، واندلعت الفتن حتى خروجه من اليمن مدحوراً. . وفي سنة ٢٠٣هـ ولَّى المأمون محمد بن عبد اللّه بن زياد المناطق التهامية والجنوبية من اليمن فاختط مدينة زبيد في شعبان سنة ٢٠٤هـ وانقسمت اليمن إلى ولايتين:

أ ـ **زبيد ومخاليفها**: وقد شملت مناطق تهامة إلى تعز ومذيخرة وعدن وأعمالها إلى حضرموت وظفار عُمان، وتولَّى ذلك القسم من اليمن محمد بن عبد اللّه بن زياد (٢٠٤ ـ ٢٤٥هـ) وقامت فيه الدولة الزيادية إلى سنة ٣٧١هـ.

ب ـ **صنعاء ومخاليفها**: وقد شملت مناطق اليمن الجبلية والعليا، وتعاقب على قسم صنعاء العديد من الولاة، كان منهم: نعيم بن وضاح الأزدي (٢٠٦ ـ ٢٠٨هـ) وعبّاد بن الغمر الشهابي (٢١٥ ـ ٢٢١هـ) ثم قامت في قسم صنعاء ومخاليفها دولة بني يعفر الحميريين بالمعارضة للولاة العباسيين وكان أولهم أبو يعفر عبد الرحيم (٢٢٥ ـ ٢٤٧هـ) ثم يعفر بن عبد الرحيم (٢٤٧ ـ ٢٥٩هـ) ثم محمد بن يعفر (٢٥٩ ـ ٢٧٩هـ) فأصبح والياً للخلفاء العباسيين، فقامت الدولة اليعفرية في صنعاء ومخاليفها، واستمرت إلى سنة ٣٩٣هـ.

الولاة اليمانيون للحجاز واليمامة في العصر العباسي الأول

المبحث الأول

زياد بن عبيد اللَّه الحارثي.. والي الحجاز واليمامة (١٣٣ ـ ١٤١هـ)

هو الأمير زياد بن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عبد المدان بن الديان الحارثي المذحجيّ، خال أبي العباس السفاح عبد اللَّه بن محمد بن علي بن عبد اللَّه بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم أول الخلفاء العباسيين. ولذلك قال دِعْبل الخزاعي:

فلو أني بُليتُ بهاشميّ ... خُؤولَتُهُ بنو عَبْدِ المَدانِ
صبرتُ على عداوته ولكن ... تَعالَيْ فانظري بمن ابتلاني[1]

ونذكر في هذا المبحث ما يلي:

أولاً: أنباء زياد الحارثي قبل الخلافة العباسية:

في حوالي سنة١٠٣ ـ ١٠٤هـ سار زياد بن عبيد اللَّه الحارثي من اليمن إلى الشام، ربما لزيارة أخته ريطة بنت عبيد اللَّه. وكان محمد بن عليّ بن عبد اللَّه بن العباس قد تزوجها في خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١هـ) حيث جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية ما يلي نصه: «سار محمد بن عليّ إلى الصائفة وقد وُلِّي عمر بن عبد العزيز، فَلَمَّا انصرف ألفى ريطة بنت عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عبد المدان الحارثي، وكانت تحت ولد عبد الملك بن مروان فنازعها في شيء يوماً من الأيام ففخرت عليه وذكرتْ سَلفها وأيامهم فأحفظه ذلك فطلَّقها، فكلم محمدُ بن عليّ عمر بن عبد العزيز وهو الوالي يومئذ فقال: ابنة خالي كانت

(١) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرّد ـ ص ٧٠ جـ ٩.

متزوجة فيكم وقد فرغت فأردت أن أتزوّجها وأحببتُ أن يكون ذلك بإذنك، فقال عمر: هي أملك لنفسها، ومن يَحُولُ بينك وبين ذلك؟ فتزوجها محمد بن عليّ، واشتملت منه على أبي العباس، وُلد في ولاية يزيد بن عبد الملك»[1]. وكان مولد أبي العباس في منزل أبيه في منطقة الشراة بالبلقاء في الشام سنة١٠٣هـ.

وسار زياد بن عبيد اللّه الحارثي من اليمن إلى الشام سنة١٠٣ ـ ١٠٤هـ ربما لزيارة أخته ريطة ـ فأنفق ما كان معه من مال واقترض مالاً بالشام. ثم سار إلى الخليفة هشام بن عبد الملك وذلك في أول خلافة هشام [وقد تولّى هشام الخلافة في شعبان سنة١٠٥هـ] فلم يُؤذن له بالدخول ـ غالباً ـ حيث جاء في تاريخ الطبري (عن عبد الرزاق عن حمّاد بن سعيد الصنعاني قال: أخبرني زياد بن عبيد اللّه الحارثي: قال: أتيتُ الشام، فاقترضتُ، فبينا أنا يوماً على باب هشام إذْ خرج رجلٌ من عند هشام فقال لي: ممن أنت يا فتى؟ قلتُ: يماني. قال: فمن أنت؟ قلتُ: زياد بن عبيد اللّه بن عبد المدان، فتبسم، وقال: قم ناحية العسكر فقل لأصحابي يرتحلوا فإن أمير المؤمنين قد رضي عني.. قلتُ: من أنت يرحمك اللّه؟ قال: خالد بن عبد اللّه القسريّ، ثم قال: ومُرْهم يا فتى أن يعطوك منديل ثيابي وبرذوني الأصفر، فَلَمّا جُزْتُ قليلاً ناداني فقال: يا فتى وإن سمعت بي قد وُلّيتُ العراق يوماً فالحَق بي.

قال زياد: فذهبت إليهم (أي إلى أصحاب خالد) فقلتُ: إن الأمير قد أرسلني إليكم بأن أمير المؤمنين قد رضي عنه وأمره بالمسير. فجعل هذا يحتضنني وهذا يُقَبِّلُ رأسي، فَلَمّا رأيتُ ذلك منهم قلتُ: وقد أمر أن تعطوني منديل ثيابه وبرذونه الأصفر، قالوا: أي واللّه وكرامة، فأعطوني منديل ثيابه وبرذونه الأصفر فما أمسى بالعسكر أحدٌ أجود ثياباً مني ولا أجود مركباً مني. فلم ألبث إلا يسيراً حتى قيل قد وُلّي خالد العراق [وذلك في شوال سنة١٠٥هـ] فركبني من ذلك همٌّ، فقال لي عريف لنا: ما لي أراك مهموماً؟ قلتُ: قد وُلّي خالد كذا وكذا وقد أصبتُ ههنا رُزَيْقاً عشت به وأخشى أن أذهب إليه فيتغيّر عليّ فيفوتني ههنا وههنا فلستُ أدري كيف أصنع، فقال لي: هل لك في خصلةٍ؟ قلتُ: وما هي؟ قال: توكلني بأرزاقك وتخرج فإن أصبت ما تحبّ فلي أرزاقك وإلا رجعتَ فدفعتها إليك، فقلت: نعم، وخرجت إلى العراق، فَلَمّا قَدِمتُ الكوفةَ لبستُ من صالح ثيابي، وأُذن للناس ـ بالدخول إلى خالد ـ فتركتُهم حتى أخذوا مجالسهم ثم دخلتُ

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق د. عبد العزيز الدّوري ـ ص ٢٠١.

فسلمتُ ودعوتُ وأثنيتُ، فرفع خالد رأسه فقال: أحسنت بالرُّحب والسعة، فما رجعت حتى أصبت ستمائة دينار بين نقد وعرض. ثم كنت أختلفُ إليه فقال لي يوماً: هل تكتب يا زياد؟ فقلتُ: أقرأُ ولا أكتب أصلح اللّه الأمير، فضرب على جبينه وقال: إنا للّه وإنا إليه راجعون سقط منك تسعة أعشار ما كنت أريده منك وبقي لك واحدة فيها غنى الدهر. قلتُ: أيها الأمير هل في تلك الواحدة ثمن غلام؟ قال: وماذا حينئذ؟ قلت: تشتري غلاماً كاتباً تبعث به إليّ فيعلمني، قال: هيهات كبرتَ عن ذلك، قلت: كلا.

فاشترى الأمير خالد غلاماً كاتباً حاسباً فبعث به إليّ، فأكببتُ على الكتابة فما مضت إلا خمس عشرة ليلة حتى كتبتُ ما شئت وقرأتُ ما شئت. فإنّي عند خالد ليلة إذْ قال: ما أدري هل أنجحت من ذلك الأمر شيئاً؟ قلتُ: نعم أكتبُ ما شئت وأقرأُ ما شئت. قال: إنّي أراك ظفرت منه بشيء يسير فأعجبك؟ قلت: كلا، فقال: اقرأ هذا الطومار، فقرأته فإذا هو من عامله على الريّ. فقال: اخرج فقد وليتك عمله ـ وكتب لي عهده بولايتي للريّ ـ»[١] وكان إقليم الريّ إقليماً واسعاً يضم عدة مناطق وأقاليم في إيران.

قال زياد: فخرجت حتى قدمتُ الريّ، فأخذتُ عامل الخراج فقال لي: إن الأمير لم يولّ على الخراج عربياً قط، فقل له فلْيقرّني على الخراج وله ثلاثمائة ألف درهم. فكتبت إلى خالد: إنك وليتني على الريّ فظننتُ أنك جمعتها لي، فقال عامل الخراج إن الأمير لم يولّ على الخراج عربياً قط وسألني أن أقرّه على عمله ويعطيني ثلاثمائة ألف درهم. فكتب إليّ خالد: أن اقْبل ما أعطاك واعلم أنك مغبون»[١]. والمقصود أن يؤدي عامل الخراج مبلغاً مقطوعاً سنوياً هو ثلاثمائة ألف درهم، فتم قبول ذلك منه. فكان يؤدي المبلغ إلى زياد بن عبيد اللّه لأنه الوالي، فينفق منه ما هو مقرر للولاية، ويؤدي الفائض إلى بيت المال في العراق. فمكث كذلك عدة سنوات. قال زياد: «ثم كتبتُ إلى خالد: إنّي قد اشتقتُ إليك فارفعني إليك. ففعل. فَلَمَّا قدمتُ عليه ولّاني الشرطة»[١]. فمكث زياد قائداً للشرطة في مدينة واسط في مدينة الكوفة، وكان هو رئيس بني الحارث بن كعب وكبير مذحج المقيمين بالعراق. واستقر بالكوفة، وكان له دار بالكوفة، ولم يزل زياد من القادة بالكوفة والعراق حتى انتهاء ولاية خالد بن عبد اللّه القسري للعراق والمشرقين في جمادى الثانية سنة ١٢٠هـ.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨١ جـ ٨.

وكان زياد الحارثي يتابع ـ سراً ـ أخبار الدعوة العباسية، وكان محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن عباس ـ إمام الدعوة العباسية السِّرِّية ـ قال لسالم بن بجير المسلي المذحجي وجماعة من رجال الدعوة قَدِموا إليه من الكوفة، قال محمد بن عليّ:

«سيقصم اللّهُ الجبارين من بني أُميّة ويصيرُ الأمرُ إلى آل رسول اللّه ﷺ، يا سالم، يُفتتح الأمر منهم بابن الحارثية من ولدي»(١).

وفي سنة١٢٤هـ كان بكير بن ماهان وقحطبة بن شبيب الطائي وسليمان بن كثير الخزاعي ومالك بن الهيثم وأبو سَلَمة الخلال عند محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن عباس في منزله بالحميمة في منطقة الشراة بالبلقاء في الشام. فجاء في أخبار الدولة أنه: «أَقْبَلَ أبو العباس فدفع إلى أبيه (محمد بن عليّ) كتاباً فقرأه، ثم قال لبكير: أتدري ممن هذا الكتاب؟ قال: لا، فقال: من خال هذا، زياد بن عبيد اللّه الحارثي سيّد قومه»(١).

ويدل على ذلك على أن زياد بن عبيد اللّه الحارثي كان مع الدعوة العباسية سراً من أيام محمد بن عليّ ثم إبراهيم بن محمد بن عليّ، حتى زحف قحطبة بن شبيب الطائي بجيش الدعوة العباسية ودخل العراق في ذي الحجة سنة١٣١هـ وكان مروان بن محمد قد حبس إبراهيم بن محمد بن عليّ وكتب إبراهيم إلى قحطبة الطائي وإلى أبي سلمة الخلال الرسالة التي قال فيها: « . . فوالذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ليتممنّ اللّه أمركم، وليقومنّ رجل من إخوتي خليفة مطاعاً وإماماً متبوعاً وهو عبد اللّه الأصغر ابن الحارثية. فلا يدخلنّ رجل منكم مرية إن فقدتموني ولا ارتياب»(١). ومات إبراهيم في الحبس، وكان قادة الدعوة يعلمون أن الدعوة والخلافة لأبي العباس عبد اللّه بن محمد بن عليّ (ابن الحارثية).

وفي ٨ محرم ١٣٢هـ انتصر قحطبة الطائي على ابن هبيرة أمير العراق وجيشه المرواني في موقعة الفرات، بينما ثار محمد بن خالد بن عبد اللّه القسري بالكوفة وخلع مروان وهزم جيشه وأعلن قيام الخلافة العباسية، وكان زياد الحارثي وأصحابه مع محمد بن خالد القسري ـ غالباً ـ ثم أقبل أبو العباس وأهل بيته سراً إلى الكوفة ـ في صفر سنة١٣٢هـ ـ ثم ظهر وبويع بالخلافة في ربيع الثاني ١٣٢هـ. وولّى أبو العباس أخاه أبا جعفر المنصور قيادة حصار ابن هبيرة والذين معه في واسط، فَلَمَّا وقعت عليهم الهزيمة، قال الطبري: «نادى أبو جعفر بالأمان

(١) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٢٠٧ و٢٣٨ و٣٩٤.

للناس إلا للحكم بن عبد الملك بن بشر، وخالد بن سلمة المخزومي، وعمر بن ذرّ، فاستأمن زياد بن عبيد اللّه لابن ذرّ فأمَّنَه أبو العباس. وأمَّن أبو جعفر خالداً المخزومي فقتله أبو العباس ولم يجزْ أمان أبي جعفر» [ص ١٤٦ جـ ٨] وكان انتهاء أمر ابن هبيرة والذين معه بواسط عند مقتل مروان بن محمد على يد عامر بن إسماعيل المُسْلي المذحجي بمصر في أواخر ذي الحجة سنة١٣٢هـ وبذلك انتهى أمر الخلافة المروانية الأموية واكتمل قيام الخلافة العباسية.

وعندئذ ولّى أبو العباس السفاح عمه داود بن عليّ مكة والمدينة واليمامة. فأقام داود بالمدينة ثلاثة أشهر ومات. قال ابن الأثير: «مات داود بن عليّ بالمدينة في شهر ربيع الأول ١٣٣هـ واستخلف حين حضرته الوفاة ابنه موسى، ولَمَّا بلغت أبا العباس السفاح وفاته استعمل على المدينة ومكة واليمامة خاله زياد بن عبيد اللّه الحارثي»(١).

* * *

ثانياً: ولاية زياد الحارثي للحجاز في خلافة أبي العباس السفاح (١٣٣ ـ ١٣٦هـ):

في ربيع الثاني سنة١٣٣هـ ولّى الخليفة أبو العباس الأمير زياد بن عبيد اللّه الحارثي الحجازَ بإقليميها المدينة المنورة ومكة المكرمة وكذلك إقليم اليمامة. وكان أبو العباس قد ولّى عمه داود بن عليّ المدينة ومكة واليمامة، ولكن ولايته لم تشمل اليمامة حيث كان إقليم اليمامة ما يزال بيد المثنى بن يزيد ابن هبيرة وكان المثنى عاملاً لليمامة من قِبَل أبيه يزيد بن هبيرة عامل مروان على العراق وما جاورها. فأقام داود بن عليّ بالمدينة المنورة. قال الطبري:

«مات داود بن عليّ بالمدينة في ربيع الأول سنة١٣٣هـ، وكانت ولايته ثلاثة أشهر، واستخلف داود حين حضرته الوفاة على عمله ابنه موسى، ولَمَّا بلغت أبا العباس وفاته وجَّه على المدينة ومكة واليمامة خاله زياد بن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي»(٢).

فدخل زياد بن عبيد اللّه الحارثي المدينة المنورة في ربيع الثاني سنة١٣٣هـ وكان معه عليّ بن الربيع الحارثي، وأبو حماد إبراهيم بن حسان الأبرص، وحَفْص بن عمر الكاتب، وكوكبة من الفرسان والرجال. فاستقر زياد في دار الإمارة بالمدينة المنورة ـ وهي دار مروان ـ وبعث عليّ بن الربيع الحارثي عاملاً

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٤١ جـ ٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٤٨ جـ ٩.

على مكة فسار إليه وتولاها، وبعث أبا حماد إبراهيم بن حسان الأبرص في قوة من الفرسان إلى اليمامة.

قال ابن خلدون: «وكان المثنى بن يزيد بن هبيرة قد ولّاه أبوه على اليمامة، فَلَمَّا قُتِل يزيد بن هبيرة امتنع المثنى باليمامة فبعث إليه زياد بن عبيد اللّه الحارثي العساكر من المدينة مع إبراهيم بن حسان فقتله وقتل أصحابه»[1].

وقال الطبري: «وجّه زياد بن عبيد اللّه من المدينة إبراهيم بن حسان السلمي وهو أبو حماد الأبرص إلى المثنى بن يزيد بن هبيرة وهو باليمامة فقتله وقتل أصحابه»[2].

وكان مقتل المثنى وأصحابه لأنهم رفضوا الدخول في الطاعة واختاروا القتال، فقاتلهم عسكر زياد وقضوا عليهم، وذلك في شهر جمادى سنة١٣٣هـ. وبذلك اجتمعت ولاية أقاليم المدينة ومكة واليمامة لزياد الحارثي وهو أول أمير اجتمعت له ولاية الأقاليم الثلاثة ـ أي كل شمال الجزيرة العربية ـ في العصر العباسي. وأقام زياد بالمدينة المنورة فأصبحت المدينة في عهده عاصمة شمال الجزيرة بأقسامها الإدارية الثلاث، المدينة ومكة واليمامة.

وفي شوال سنة١٣٣هـ توجّه الأمير زياد بن عبيد اللّه الحارثي من المدينة إلى مكة ليقيم الحج للناس، وهو أول حج في العصر العباسي، لأن الخليفة الأموي مروان بن محمد قُتِل في ٢٧ ذي الحجة ١٣٢هـ، ولذلك فإن موسم حج سنة١٣٣هـ هو أول حج في العصر العباسي. فسار الأمير زياد إلى مكة وكان عامله عليها عليّ بن الربيع الحارثي، فقاما بتهيئة الأمور للحج، ثم حجّ الأمير زياد بالمسلمين. وفي ذلك قال الطبري: «حجّ بالناس في سنة١٣٣هـ زياد بن عبيد اللّه الحارثي. كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمّن حدثه عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر، وكذلك قال الواقدي وغيره»[3]. فكان زياد بن عبيد اللّه أول أمير للحج في العصر العباسي.

* * *

وفي سنة١٣٤هـ قام زياد بن عبيد اللّه الحارثي بعمل هام هو إقامة المنارات والأميال على الطريق بين مكة والكوفة. وقد أشار الطبري إلى ذلك قائلاً: «وفي

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٥٠٤.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٤٨ جـ ٩.
(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٤٨ و١٥١ و١٥٢ جـ ٩.

سنة١٣٤هـ ضُرِب المنار من الكوفة إلى مكة والأميال»[١] قال الطبري: «وفيها ـ سنة١٣٤هـ ـ تُوفي محمد بن يزيد بن عبد اللّه وهو على اليمن فكتب أبو العباس إلى علي بن الربيع بن عبيد اللّه الحارثيّ وهو عامل لزياد بن عبيد اللّه على مكة بولايته على اليمن فسار إليها»[١]. ولَمَّا اقترب موسم الحج بعث أبو العباس السفاح عيسى بن موسى بن علي بن عبد اللّه بن العباس ليحج بالناس، فاستقبله زياد بن عبيد اللّه الحارثي. . قال الطبري: «وحج بالناس في هذه السنة [١٣٤هـ] عيسى بن موسى. . وعلى المدينة ومكة واليمامة زياد بن عبيد اللّه»[١].

* * *

وكانت المدينة المنورة هي مقر الأمير زياد بن عبيد اللّه الحارثي، وكان كاتبه حَفْص بن عمر الكوفي صاحب ديوان الكتابة والحجابة، وولّى زياد على القضاء بالمدينة القاضي عبد العزيز بن المطلب بن عبد اللّه المخزومي. وكان إقليم المدينة يمتد إلى تخوم الشام شمالاً وإلى مناطق نجد الواقعة شرق أعراض المدينة ـ شرقاً ـ وإلى تخوم أعمال مكة جنوباً، وكان عامل زياد على مكة عليّ بن الربيع الحارثي قد أصبح والياً لليمن سنة١٣٤هـ، فتولّى مكة العباس بن عبد اللّه بن معبد بن العباس سنة١٣٥هـ في إطار ولاية زياد بن عبيد اللّه الحارثي، فكان العباس نائباً لزياد بمكة.

قال الطبري: «وحج بالناس في هذه السنة ـ سنة١٣٥هـ ـ سليمان بن عليّ بن عبد اللّه بن العباس. وكان على مكة العباس بن عبد اللّه بن معبد، وعلى المدينة زياد بن عبيد اللّه الحارثي»[١].

* * *

وفي سنة١٣٦هـ ولّى أبو العباس أخاه أبا جعفر المنصور موسم الحج، وكتب إلى زياد بن عبيد اللّه الحارثي أن يتهيأ لاستقباله، وكان سبب ذلك «أن أبا مسلم الخُراساني ـ أمير خراسان ـ كتب إلى أبي العباس يستأذنه في الحج، وإنما أراد أن يحج بالناس، فأذن له أبو العباس بالحج، وكتب إلى أبي جعفر المنصور وهو يومئذ على الجزيرة ـ الفراتية ـ بالقدوم ليحج بالناس، فأقبل أبو جعفر إلى الأنبار ـ وهي مقر أبي العباس ـ وأقبل أبو مسلم في ألف جندي إلى أبي العباس بالأنبار، قال له أبو العباس: لولا أن أبا جعفر حاج لوليتك الموسم. فقال أبو مسلم لبعض أصحابه: أما وجد أبو جعفر عاماً يحج فيه غير

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٤٨ و١٥١ و١٥٢ جـ ٩.

هذا، واضطغنها عليه. وسار أبو جعفر حاجاً إلى مكة وسار معه أبو مسلم حاجاً ـ وكل منهما في أصحابه ـ».

وكان زياد بن عبيد اللّٰه الحارثي قد أقبل من المدينة إلى مكة ومعه وجوه وأهل المدينة واجتمع إليه أهل مكة والحجاج، وأَقْبَلَ من اليمن عدد كبير من الحجاج من جند وقبائل اليمن فاستقبل زيادُ أبا جعفر المنصور بجمع كبير من الحجاج وغيرهم. وكان أكثرهم من اليمانية. فقد جاء في تاريخ الطبري أنه:

«قَدِم أبو مسلم مكةَ فنظر إلى اليمانية، فقال لنيزك وضرب جنبه: يا نيزك أيّ جُند هؤلاء لَوْ لقيَهم رجلٌ ظريف اللسان سريع الدمعة». [ص ١٦٠ جـ ٩].

بينما انصب اهتمام أبي جعفر المنصور على أن وجوه أهل المدينة ومكة الذين استقبلوه مع الأمير زياد بن عبيد اللّٰه الحارثي لم يكن بينهم محمد بن عبد اللّٰه بن الحسن وإبراهيم بن عبد اللّٰه بن الحسن ولم يتخلف من بني هاشم سواهما. حيث جاء في تاريخ الطبري: «أن أبا جعفر هَمَّه أمر محمد وإبراهيم ابنيْ عبد اللّٰه بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب وتخلفهما عن حضوره مع من شهده من سائر بني هاشم، فسأل عنهما فقال له زياد بن عبيد اللّٰه: ما يهمك من أمرهما أنا آتيك بهما، وكان زياد يومئذ مع أبي جعفر عند مقدمه مكة سنة١٣٦هـ» [ص ١٨٠ جـ ٩].

وحج أبو جعفر المنصور بالناس، بينما مات أبو العباس السفاح بالأنبار في ١٣ ذي الحجة ١٣٦هـ وعَهَدَ بالخلافة إلى أخيه أبي جعفر المنصور، فأتاه الخبر بعدما صدر من الحج وهو في منزل من منازل طريق مكة يُقال له صُفَيّة. قال الطبري: «فبايعه أبو مسلم، وبايعه الناس، وردّ أبو جعفر زياد بن عبيد اللّٰه على مكة وكان قبل ذلك والياً عليها وعلى المدينة لأبي العباس. فيقال إن أبا العباس كان قد عزل قبل موته زياداً عن مكة، فردّ أبو جعفر زياداً على مكة والمدينة». (اهـ).

ونرى أن أبا العباس كان قد استعمل العباس بن عبد اللّٰه بن معبد على مكة كعامل لزياد بن عبيد اللّٰه الحارثي فكان زياد هو الوالي على المدينة ومكة حتى وفاة أبي العباس السفاح واستخلاف أبي جعفر المنصور.

* * *

ثالثاً: ولاية زياد الحارثي للحجاز في خلافة أبي جعفر المنصور:

كان زياد بن عبيد اللّٰه الحارثي أمير الحجاز من أوائل الأمراء الذين بايعوا أبا

جعفر المنصور بالخلافة حين مات أبو العباس السفاح بالأنبار ـ في ١٣ ذي الحجة ١٣٦هـ ـ وكان أبو جعفر المنصور في الحج بمكة، فأتاه خبر موت أبي العباس واستخلافه بعدما صدر من الحج وهو في منزل من منازل طريق مكة يُقال له صُفَيّة، ومعه كوكبة من الأمراء والقادة بينهم: زياد بن عبيد اللّه الحارثي والي المدينة ومكة، العباس بن عبد اللّه بن معبد بن العباس عامل مكة، أبو مسلم الخُراساني والي خراسان، مالك بن الهيثم الخزاعيّ، وغيرهم. فبايعه الأمراء والناس، قال الطبري: « . .وردّ أبو جعفر زياد بن عبيد اللّه على مكة، وكان قبل ذلك والياً عليها وعلى المدينة لأبي العباس وقيل: إن أبا العباس كان قد عزل قبل موته زياد بن عبيد اللّه الحارثي عن مكة وولّاها العباس بن عبد اللّه بن معبد»[١].

والصواب أن عباس بن عبد اللّه بن معبد كان عاملاً لمكة في إطار ولاية زياد الحارثي. ويؤكد ذلك أن أبا جعفر المنصور لَمَّا ردّ ولاية زياد على مكة استمر عباس هذا عاملاً لمكة في إطار ولاية زياد الحارثي للمدينة ومكة. وقد مضى أبو جعفر المنصور والذين معه إلى الكوفة فدخلها في محرم ١٣٧هـ وتسنم كرسي الخلافة بالأنبار.

* * *

وفي سنة١٣٧هـ اتسمت الأحوال في الحجاز بالهدوء والاستقرار في ظل ولاية زياد الحارثي، بينما عصفت الفتن وحركات المعارضة لخلافة أبي جعفر المنصور في العديد من الولايات والأقاليم. وتغلب عبد اللّه بن عليّ أمير الشام على الشام والجزيرة الفراتية وبويع بالخلافة، وكان للحسن بن قحطبة الطائي الدور الرئيسي في القضاء على فتنة عبد اللّه بن عليّ وهو عم أبي جعفر المنصور، وانتهت فتنته في جمادى الثانية ١٣٧هـ. ثم سار أبو مسلم الخُراساني إلى إقليم الرّي قاصداً خراسان وعازماً على الخلاف، وأطلّت بذلك بدايات فتنة كان يمكن أن تكون كبيرة. قال المسعودي: «فسرّح إليه أبو جعفر المنصور جرير بن يزيد بن جرير بن عبد اللّه البجلي، وكان جرير واحدَ أهل زمانه وداهية عصره. . فلم يزل بأبي مسلم حتى رده إلى أبي جعفر المنصور»[٢] فقام أبو جعفر المنصور بقتل أبي مسلم الخراساني في ٢٥ شعبان ١٣٧هـ.

وكان زياد بن عبيد اللّه الحارثي مقيماً خلال تلك الفترة بمكة المكرمة، فَلَمَّا انتهت حركة عبد اللّه بن عليّ بالشام وانتهى أمر أبي مسلم الخُراساني عاد الأمير

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٥٥ و١٦٩ جـ ٩.
(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ١٦٢ جـ ٣.

زياد الحارثي من مكة إلى المدينة في رمضان ١٣٧هـ. ولَمَّا اقترب موسم الحج بعث المنصور عمه إسماعيل بن عليّ أميراً للحج بالناس. قال الطبري: «قال الواقدي: حج بالناس سنة١٣٧هـ إسماعيل بن عليّ. وكان على المدينة زياد بن عبيد اللّه الحارثي، وعلى مكة العباس بن عبد اللّه بن معبد، فمات العباس عند انقضاء الموسم، فضمّ إسماعيل عمله إلى زياد بن عبيد اللّه، فأقرّه عليها أبو جعفر»[1].

* * *

وكان للأمير زياد بن عبيد اللّه الحارثي أخبار مع أشعب بن جبير الطماع المشهور. قال الأصفهاني في كتاب الأغاني: «قال الأصمعي: ولَّى أبو جعفر المنصور زياد بن عبيد اللّه الحارثي مكة والمدينة، قال أشعب: فلقيته بالمحفة فسلمتُ عليه، فحضر الغداء، وأُهديَ إليه جَدْيٌ فطبخه مُضيرةً، وحُشيت القبة، فأكلتُ أكلاً أتملح به وأنا أعرف صاحبي، ثم أتى بالقبة فشققتُها، فصاح الطباخ: إنّا للّه شَقّ القبة، فانقطعتُ، فَلَمَّا فرغتُ قال لي زياد بن عبيد اللّه الحارثي: يا أشعب هذا رمضان قد حضر ولا بد من أن تُصلي بأهل السجن، قلتُ: واللّه ما أحفظ من كتاب اللّه إلا ما أقيم به صلاتي، قال: لا بد منه، قلت: أو لا آكل جدياً مضيرة، قال: وما أصنع به وهو في بطنك. قلت: الطريق بعيد وأريد أن أرجع إلى المدينة، قال: يا غلام هات ريشة ذنب ديك. فأدخلتُ في حلقي فتقيأتُ ما أكلت، ثم قال لي: ما رابك؟ قلت: لا أقيم ببلدة يُصاح فيها شق القبة، قال: لك وظيفة على السلطان وأكره أن أكسدها عليك فقل ولا تشطط، قلت: نصف درهم كراء حمار يبلغني المدينة، فأعطاني. واللّه أعلم». هذه رواية الأصمعي بينما «قال المدائني: تغدى أشعب مع زياد بن عبيد اللّه الحارثي، فجاؤوا بمضيرة، فقال أشعب لخباز: ضعها بين يدي، فوضعها بين يديه، فقال زياد: من يُصلي بأهل السجن؟ قالوا: ليس لهم إمام، قال: أدخلوا أشعب يصلي بهم، فقال أشعب: أو غير ذلك أصلح اللّه الأمير، قال: وما هو؟ قال: أحلف أن لا آكل مضيرة أبداً»[2].

وقد استمر الهدوء والاستقرار في الحجاز والحرمين الشريفين سنة١٣٨هـ. ولَمَّا اقترب موسم الحج وجّه الخليفة أبو جعفر المنصور ابن عمه الفضل بن صالح بن عليّ ليحج بالناس ـ وكان من التقاليد أن يحج بالناس الخليفة أو من

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٥٥ و١٦٩ جـ ٩.
(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٨٦ جـ ١٧.

يمثّله ـ وكان الفضل بن صالح بالشام، فتوجّه منها إلى المدينة ومكة. قال الطبري:

«وحجّ بالناس في هذه السنة ـ سنة١٣٨هـ ـ الفضل بن صالح بن عليّ.. فمرّ بالمدينة فأحرم منها. وزياد بن عبيد اللَّه الحارثي على المدينة ومكة..» [ص ٩/١٨٢] ـ وانصرف الفضل بعد الحج من طريق المدينة إلى الشام.

* * *

وفي سنة١٣٩هـ قام الأمير زياد بن عبيد اللَّه الحارثي بتوسيع المسجد الحرام بناء على توجيه الخليفة أبي جعفر المنصور، وقد نسبت المصادر التاريخية ذلك الإنجاز إلى أبي جعفر المنصور لأنه الخليفة، وقد كان بالعراق، فالذي قام بالتنفيذ هو الأمير زياد الحارثي أمير المدينة ومكة ـ بطبيعة الحال ـ قال البلاذري:

«لما كانت خلافة المنصور زاد في المسجد الحرام وبناه، وذلك سنة١٣٩هـ»(١).

وقال الطبري: «في سنة١٣٩هـ وسّع أبو جعفر المنصور المسجد الحرام. وكان على المدينة ومكة زياد بن عبيد اللَّه الحارثي»(١).

* * *

وكان لزياد الحارثي وأشعب الطماع المزيد من الأخبار، فقد زعم جعفر بن قدامة ـ فيما روى الأصفهاني ـ أنه «كان زياد بن عبيد اللَّه الحارثي بخيلاً، فأولم وليمة لطهر بعض أولاده، وكان الناس يحضرون، ويُقدم الطعام فلا يأكلون منه إلا تعللاً وتشعثاً لعلمهم به، فقُدّم فيما قُدّم جدي مشوي فلم يعرض له أحد، وجعل يردده على المائدة ثلاثة أيام والناس يجتنبونه إلى أن انقضت الوليمة. فأصغى أشعب إلى بعض من كان هناك فقال: امرأته طالق إن لم يكن هذا الجدي بعد أن ذُبح وشوي أطول عمراً وأمد حياة منه قبل أن يذبح، فضحك الرجل، وسمعها زياد فتغافل».

وجاء في كتاب الأغاني أنه: «قال الأصمعي: أهدى كاتب لزياد بن عبيد اللَّه الحارثي إليه طعاماً، فأُتي به وقد تغدى فقال: ما أصنع به وقد أكلت، ادعوا أهل الصّفة يأكلونه(٢) فبعث إليهم، وسأل كاتبه فيم دعا أهل الصّفة، فعرف، فقال الكاتب: أخبروه أن في السلال أخبصة وحلواء ودجاجاً وفراخاً، فأخبر بذلك، فَلَمَّا رآها أمر برفعها، فرفعت، وجاء أهل الصّفة فقال: اضربوهم عشرين عشرين

---

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٦٠ ـ وتاريخ الطبري ـ ص ١٧٢ جـ ٩.

(٢) أهل الصفة: هم الفقراء الذين كانوا يقيمون في الصفة بالمسجد النبوي.

درَّة فإنهم يفسون في مسجد رسول اللّه ﷺ ويؤذون المصلّين. فكلّموه فيهم فقال: حَلِّفوهم أن لا يعاودوا وأطلِقوهم».

قال الأصفهاني: «وأخبرني محمد بن مزيد قال: قال رجل لأشعب أنه أُهدي إلى زياد بن عبيد اللّه الحارثي قبة أدم قيمتها عشرة آلاف درهم، فقال: امرأته طالق لو أنها قبة الإسلام ما ساوت ألف درهم. فقيل له إن معها جبة وشي حشوها قزّ قيمتها عشرون ألف دينار فقال: أمه زانية لو أن حشوها زغب أجنحة الملائكة ما ساوت عشرين ألف دينار»[١].

وجاء في كتاب الأغاني أنه: «جاء جوان ابن الشاعر عمر بن أبي ربيعة إلى زياد بن عبيد اللّه الحارثي وهو إذ ذاك أمير على الحجاز، فشهد عنه بشهادة فتمثل بقول العرجي:

شهيدي جوانُ على حُبّها ... أليس بعدلٍ عليها جوانُ

ثم قال: قد أجزنا شهادتك»[٢].

وقد تتصل تلك الشهادة بالسؤال والبحث عن محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأخيه إبراهيم. وكان الخليفة أبو جعفر المنصور يشك بأن محمد بن عبد اللّه بن الحسن يقود عملاً سرّياً للدعوة إلى نفسه وإقامة خلافة علوية. وكان أبو جعفر المنصور قد لاحظ غيابهما لَمَّا حج وبويع سنة١٣٦هـ «فسأل عنهما، فقال له زياد: ما يهمّك من أمرهما، أنا آتيك بهما».

ولَمَّا حجّ الفضل بن صالح بن عليّ سنة١٣٨هـ «قال له أبو جعفر المنصور: إن وقعت عيناك على محمد وإبراهيم ابنيْ عبد اللّه بن حسن فلا يفارقانك وإن لم ترهما فلا تسأل عنهما، فقَدِم الفضل بن صالح المدينة فتلقاه أهلها جميعاً فيهم عبد اللّه بن حسن وسائر بني حسن إلا محمد وإبراهيم. فسكت [وسار إلى الحج ومعه زياد بن عبيد اللّه فحج الفضل بالناس] ولَمَّا صدر عن الحج وصار إلى السيّالة ـ بالمدينة ـ قال لعبد اللّه بن حسن: ما منع ابناك أن يلقياني مع أهلهما؟ قال: واللّه ما منعهما من ذلك ريبةٌ ولا سوء ولكنهما منهومان بالصيد واتباعه لا يشهدان مع أهليهما خيراً ولا شراً. فسكت عنه الفضل..»[٣]

---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٠٠ جـ ١٧.

(٢) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٣٢ جـ ١.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨٣ ـ ١٨٤ جـ ٩.

وفي سنة ١٤٠هـ بدأ النشاط السِّرِّي لمحمد بن عبد اللَّه بن حسن في الظهور فقد ذكر الطبري أنه: «في سنة ١٤٠هـ قَدِم محمد بن عبد اللَّه بن حسن البصرة مختفياً في أربعين رجلاً فنزل في بني راسب وأقام بالبصرة يدعو إلى نفسه سراً.. فأقام ستة أيام ثم خرج، فبلغ أبا جعفر المنصور مقدمه البصرة فأَقْبَلَ مُغذّاً وكان محمد قد خرج قبل مقدمه.. قال محمد بن حفص: وَجَلَ محمد وإبراهيم من أبي جعفر فأتيا عدن ثم سارا إلى السند ثم إلى الكوفة ثم إلى المدينة.. قال الحارث بن إسحاق: تكفّل زياد بن عبيد اللَّه الحارثي لأمير المؤمنين بابنيْ عبد اللَّه بن حسن أن يخرجهما له»[١].

وكان رجوع محمد وإبراهيم عن طريق الكوفة إلى المدينة سراً مع قوافل الحجاج أو المعتمرين.. وكتب أبو جعفر المنصور إلى زياد بطلبهما والقبض عليهما. قال الطبري: «وكان لزياد بن عبيد اللَّه كاتبٌ يقال له حَفْص بن عمر من أهل الكوفة وكان يتشيع، فكان يُثبط زياداً عن طلب محمد بن عبد اللَّه. فكتب فيه عبد العزيز بن سعد إلى أبي جعفر المنصور فحدّره إليه، فكتب فيه زياد إلى عيسى بن عليّ وعبد اللَّه بن الربيع فخلصاه حتى رجع إلى زياد»[١].

* * *

وفي موسم حج سنة ١٤٠هـ وصل الخليفة أبو جعفر المنصور إلى مكة لأداء فريضة الحج، وتلقاه الأمير زياد بن عبيد اللَّه الحارثي وكبار الشخصيات، وحج أبو جعفر المنصور بالناس ثم سار إلى المدينة المنورة. وقد روى الطبري من طريق أبي هبار المزني قال: «لما حجّ أبو جعفر المنصور سنة ١٤٠هـ حج تلك السنة محمد وإبراهيم وهما متخفيان، فاجتمعوا بمكة فأرادوا اغتيال أبي جعفر المنصور، فقال لهم الأشتر عبد اللَّه بن محمد بن عبد اللَّه: أنا أكفيكموه، فقال محمد: لا واللَّه لا أقتله غَيْلةً حتى أدعوه، فنقض ذلك أمرهم وما كانوا أجمعوا عليه»[١]. وقد توسعت الرواية في ذلك الخبر وقالت: إن أحد الذين اتفقوا على الاغتيال أخبر أبا جعفر المنصور، وقد لا يصح ذلك.

وبعد أداء فريضة الحج سار أبو جعفر المنصور إلى المدينة فنزل بدار الإمارة وانتقل زياد الحارثي من دار الإمارة إلى داره بالبلاط داخل المدينة. قال الطبري: «سار أبو جعفر بعدما قضى حجّه إلى المدينة.. قال محمد بن يحيى بن محمد: حدثني أبي عن أبيه قال: غدوت على زياد وأبو جعفر بالمدينة، وكان زياد قد

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨٣ ـ ١٨٤ جـ ٩.

تحول لقدوم أمير المؤمنين من دار الإمارة إلى داره بالبلاط» وبينما زياد في داره دق عليه الباب رسل أمير المؤمنين منتصف الليل ـ وهو لا يعلم بهم ـ فخرج زياد ـ من غرفته ـ ملتحفاً إزاره ونبّه غلماناً له وحرساً في سقيفة الدار فقال لهم: إن هدموا الدار فلا يكلمنهم أحدٌ منكم. فدقوا الباب طويلاً ثم انصرفوا، فأقاموا ساعة ثم رجعوا فدقوا الباب بجِرَزَة من الحديد وصيحوا فلم يكلمهم أحد، فانصرفوا فأقاموا ساعة ثم جاؤوا فدقوا الباب بالحديد حتى ظن زياد أنهم قد هدموه، فخرج إليهم، فاستحثوه أن يجيب أمير المؤمنين وهَمّوا أن يحملوه، فسار معهم إلى دار الإمارة حتى دخل حجرة القبة العظمى فإذا الربيع ـ مولى أبي جعفر ـ واقفٌ، فقال: ويحك يا زياد ماذا فعلت بنا وبنفسك الليلة. ومضى به حتى كشف ستر باب القبة ووقف خلفه بين البابين، فإذ الشمع في نواحي القبة فهي تزهر، ووصيفٌ قائمٌ، وأبو جعفر المنصور محتَبٍ بحمائل سيفه على بساط ليس تحته وساد ولا مُصلى، وهو منكّس رأسه ينقر بجرَز في يده ثم رفع رأسه وقال: يا زياد أين محمد وإبراهيم؟ ثم نكّس رأسه ونكّت أطول مما مضى ثم رفع رأسه وقال لزياد: أين محمد وإبراهيم، قتلني الله إن لم أقتلك. قال زياد: اسمع مني ودعني أكلمك، قال: قُل، فقال: يا أمير المؤمنين أنت نَفَرّتُهما عنك بعثت رسولاً بالمال الذي أمرت بقسمته على بني هاشم فنزل القادسية ثم أخرج سكيناً يحدّه وقال بعثني أمير المؤمنين لأذبح محمداً وإبراهيم فجاءتهما بذلك الأخبار فهربا. فقال له أبو جعفر: انصرف وائتني غداً. فانصرف زياد.

وجاء في تاريخ الطبري عن الحارث بن إسحاق قال: «حجّ أبو جعفر المنصور سنة١٤٠هـ فقسَّمَ قسوماً خصّ فيها آل أبي طالب فلم يظهر له محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن حسن. فبعث أبو جعفر إلى عبد الله بن حسن [**عند قدومه المدينة**] فسأله عنهما، فقال: لا علم لي بهما، حتى تغالظا.. فوثب المسيب بن زهير فقال: دعني يا أمير المؤمنين اضرب عنق ابن الفاعلة، فقام زياد بن عبيد الله فألقى عليه رداءه وقال: هبْه لي يا أمير المؤمنين فأنا أستخرج لك ابنيه. فتخلصه منه». وجاء في رواية ثانية أنه: «سأل أبو جعفر المنصور عبد الله بن حسن: أين ابنك محمد؟ قال: لا أدري. قال: لتأتيني به. قال: لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما عنه. قال: يا ربيع فمُر به إلى الحبس» ـ فيكون عندئذ قول المسيب بن زهير صاحب شرطة أبي جعفر: دعني يا أمير المؤمنين أضرب عنق ابن الفاعلة، فتشفع له زياد الحارثي.

وكذلك جاء في كتاب الأغاني للأصفهاني أنه: «سأل أبو جعفر المنصور

عبد اللّه بن حسن عن ابنيه فقال: لا أعلم بهما، حتى تغالظا.. فوثب المسيب بن زهير فقال: يا أمير المؤمنين دعني أضرب عنق ابن الفاعلة فقام زياد بن عبيد اللّه فألقى عليه رداءه وقال: يا أمير المؤمنين هَبْه لي فأنا أستخرج لك ابنيه»[١].

وفي سنة١٤١هـ لم يكتف الأمير زياد الحارثي بعدم البحث عن محمد وإبراهيم وإنما قام بعمل جريء بسبب قناعته بأنهما لم يخلعا طاعة الخليفة ولا قاما بما يستوجب القبض عليهما أو حبسهما فقد ذكر الطبري عن الحارث بن إسحاق قال: ألَحَّ أبو جعفر المنصور في طلب محمد بن عبد اللّه وكتب إلى زياد بن عبيد اللّه يتنجزه ما كان ضمن له. فقَدِم محمدٌ المدينة قدمَةً فبلغ ذلك زياداً فتَلَطَّفَ له وأعطاه الأمان على أن يظهر وجهه للناس معه، فوعده ذلك محمد، فركب زيادٌ مغلساً ووعد محمداً سوق الظهر فالتقيا بالسوق، ومحمد معلنٌ غير مختفٍ ووقف زياد إلى جنبه وقال: يا أيها الناس هذا محمد بن عبد اللّه بن الحسن ثم أقبل عليه فقال: الحق بأي بلاد اللّه شئت. وتوارى محمد.

بينما قال عيسى بن عبد اللّه: ركب زياد بمحمد فأتى به السوق، فتصايح الناس: المهديّ المهدي. فتوارى محمد فلم يظهر حتى خرج.

وكان إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن أتى إلى زياد وعليه درعٌ تحت ثوبه فلمسها زياد ثم قال: يا أبا إسحاق كأنّك اتهمتني واللّه ما ينالك مني أبداً.

فقام أبو جعفر المنصور بعزل زياد بن عبيد اللّه الحارثي من ولاية الحجاز، فبعث قائداً يقال له أبو الأزهر مبهوت الخراساني إلى المدينة بكتاب إلى قاضي المدينة عبد العزيز بن المطلب بأن يبعث زياداً وعماله مع مبهوت وأن يتولّى القاضي عبد العزيز المدينة حتى قدوم الوالي الذي سيبعثه أبو جعفر، فقدِم مبهوت إلى المدينة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة١٤١هـ، فامتثل زياد والقاضي عبد العزيز لكتاب أبي جعفر المنصور، وانتهت ولاية زياد الحارثي للمدينة والحجاز في ٢٤ جمادى الثانية ١٤١هـ.

وخرج مبهوت بزياد الحارثي وبعض عماله ـ مصحوبين بالحرس ـ من المدينة. ووقف الناس يودعون زياداً، وكان بينهم عليّ بن عبد الحميد ـ قال الطبري ـ: «فقال زياد لعليّ بن عبد الحميد: واللّه ما أعرفُ لي عند أمير المؤمنين

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٢٠٧ جـ ١٨.

ذنباً غير أني أحبسه وَجَدَ عليّ في أمر ابنيّ عبد اللّه بن حسن ووَجَد دماء بني فاطمة عزيزة عليّ، ثم تمثّل زياد قائلاً:

أُكَـلَّـفُ ذنـبَ قـوم لـسـتُ مِـنْـهُـم   وما جَنَتِ الشمالُ على اليمينِ»[١]

وبذلك انتهت ولاية زياد بن عبيد اللّه الحارثي للحجاز والحرمين الشريفين، وكانت مدة ولايته ثماني سنين وثلاثة أشهر، وقد خلّى أبو جعفر المنصور سبيله، فأقام بالكوفة حتى وفاته، بينما تولّى المدينة بعده يماني آخر هو الأمير محمد بن خالد القسري.

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨٧ جـ ٩.

محمد بن خالد القَسْري..
والي المدينة المنورة (١٤١ ـ ١٤٤هـ)

هو الأمير محمد بن خالد بن عبد اللَّه بن يزيد بن أسد القَسْري البَجَليّ اليماني: أول أمير للكوفة في العصر العباسي ثم أمير المدينة المنورة والحجاز سنة١٤١ ـ ١٤٤هـ وكان أبو جعفر المنصور يسميه (سيد اليمن).

ونذكر في هذا المبحث ما يلي:

أولاً: أنباء محمد بن خالد قبل ولايته للمدينة:

في خلافة الوليد بن عبد الملك كان خالد بن عبداللَّه القسري والياً لمكة المكرمة سنة٨٩ ـ ٩٧هـ. وفي تلك الفترة كان مولد محمد بن خالد، وأقام فترة في منطقة قبيلته (بَجِيلة) باليمن، وكان لخالد بن عبد اللَّه إنجازات عمرانية وأخبار كثيرة بمكة. ثم في خلافة هشام بن عبد الملك أصبح خالد بن عبد اللَّه القسري أميراً للعراق والمشرقين سنة١٠٥ ـ ١٢٠هـ فكان يزيد بن خالد ومحمد بن خالد مع أبيهما في العراق، وكانت لهم أموال كثيرة بالكوفة. ولَمَّا انتهت ولاية خالد للعراق عاد مع أولاده إلى دمشق.

وفي سنة١٢٢هـ سار خالد للجهاد في غزوة الصائفة ببلاد الروم بينما كان محمد بن خالد مرابطاً في ساحل الشام للتصدي لغارات رومية بحرية. حيث جاء في تاريخ الطبري أنه «أقام خالد بدمشق حتى حضرت غزوة الصائفة فخرج فيها ومعه يزيد وهشام ابنا خالد بن عبد اللَّه.. وكان إسماعيل بن عبد اللَّه والمنذر بن أسد بن عبد اللَّه وسعيد ومحمد ابنا خالد بالساحل لحدث كان من الروم»[١].

آنذاك ـ في سنة١٢٢هـ ـ «كان عامل دمشق كلثوم بن عياض القشيري وكان متحاملاً على خالد، وظهر في دور دمشق حريق كل ليلة يلقيه رجل من أهل العراق يُقال له أبو العمرَّس وأصحاب له فإذا وقع الحريق أغاروا يسرقون. فكتب كلثوم إلى الخليفة هشام بن عبد الملك: أن الحريق من عمل موالي خالد يريدون الوثوب على بيت مال. فكتب إليه هشام يأمره بحبس آل خالد ومواليهم، فأنفذ كلثوم

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨ جـ ٩.

وأحضر إسماعيل والمنذر ومحمد بن خالد وسعيد من الساحل ومواليهم الذين معهم والذين بدمشق فحبسهم. . ثم قبض الوليد بن عبد الرحمن عامل خراج دمشق على أبي العمرّس وأصحابه وكتب إلى هشام يخبره بذلك وبأن ليس منهم أحد من موالي خالد، فكتب هشام إلى كلثوم يشتمه ويعنفه ويأمره بتخلية سبيل جميع من حبس من آل خالد، فخلى سبيلهم»[١].

فَلَمَّا عاد خالد من غزوة الصائفة وعلم بما حدث غضب لذلك، وأتى وجوه اليمانية بدمشق يسلمون عليه في منزله بدمشق. «فقال خالد للناس: خرجت غازياً في سبيل اللّه سامعاً مطيعاً، فخُلفت في عقبي وأُخِذ أهلي فحُبِسوا مع أهل الجرائم، فما منع عصبة منكم أن تقوم فتقول: عَلامَ حُبس أهل هذا السامع المطيع، أخفتم أن تُقتلوا جميعاً أخافكم اللّه. ثم قال: ما لي ولهشام ليكفَّنَ عني هشام أو لأدعونّ إلى عراقيّ الهوى شاميّ الدار حجازيّ الأصل ـ يعني محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن العباس ـ وقد أذنتُ لكم أن تبلغوا هشاماً، فَلَمَّا بلغه ما قال خالد، قال هشام: خَرَف أبو الهيثم»[١]. وقد تغاضى هشام عن كلام خالد وكان هشام حكيماً ثم مات هشام وتولّى الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة١٢٥هـ فقام بقتل خالد بن عبد اللّه في محرم ١٢٦هـ ـ وقد سلف ذكر نبأ ذلك ـ فثار اليمانيون في الشام وبينهم يزيد بن خالد القسري فقتلوا الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وبايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك في جمادى الثانية ١٢٦هـ، فكان يزيد بن خالد من كبار رجال الدولة بدمشق مع يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد إلى أن استولى مروان بن محمد على الخلافة ـ في ربيع سنة١٢٧هـ ـ وتعصب مروان على اليمانية فكان يزيد بن خالد القسري من قادة حركة المعارضة اليمانية بالشام وثار بدمشق وانتهت ثورته بمقتله بدمشق في شوال ١٢٧هـ.

وكان محمد بن خالد القسري ـ ربما عاد إلى منطقة قبيلته بجيلة باليمن سنة١٢٢ ـ ١٢٦هـ ـ ثم عاد إلى دمشق ثم استقر بالكوفة سنة١٢٧هـ وصار من رؤساء اليمانية بالكوفة والعراق، وانضوى في الدعوة العباسية السِّرِّية ما بين سنة١٢٩ وسنة١٣١هـ وكان القائم بأمر الدعوة العباسية في الكوفة أبو سَلَمة الخلّال ـ الهمداني بالولاء ـ بينما زحف الأمير قحطبة بن شبيب الطائي بجيش الدعوة العباسية إلى العراق ونزل في غرب الفرات في مواجهة جيش ابن هبيرة عامل مروان على العراق وذلك في ٥ محرم سنة١٣٢هـ.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨ جـ ٩.

قال ابن خلدون: «وبلغ الخبرُ الكوفة فثار بها محمد بن خالد القسري بدعوة الشيعة» ـ أي بالدعوة العباسية ـ وجاء في كتاب أخبار الدولة العباسية النبأ اليقين عن ذلك وهو أنه: «عَسْكَرَ قَحْطبةُ غربي الفرات لخمس خلون من شهر محرم سنة١٣٢هـ، وأقْبَلَ ابن هبيرة فعسكر بإزائه. وكتب قَحْطَبةُ إلى أبي سلمة يخبره بعبوره الفرات، وبعث بكتابه إليه مع أبي ماجد، رجل من همدان، فَلَمَّا وصل إليه الكتاب بعث إلى محمد بن خالد القسريّ رسولاً يقول له: قد كُنتَ تتمنى هذا اليوم فقد بَلَغْتَهُ فأظْهِرْ السواد واخْرُج.. فبعث محمد بن خالد إلى مواليه وقومه وجيرته وصنائع أبيه، فاجتمع إليه منهم نحو ألف رجل، فأخبرهم برأيه وما أجْمَعَ عليه، وأمَرَهُم ألا يبيتوا حتى يفرغوا من سوادهم [والسواد: الرايات السوداء والرداء شعار العباسية] وبعث أبو سلمة بمثل ذلك إلى طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكندي، فتأهَّبَ. وبدره محمد بن خالد فخرج من منزله في جماعة كثيرة، وبعث إليه أبو سَلَمة أصحابه ومن كان معه من جيرته فيمن يليهم وأرغبوهم في الخروج للحاق بمحمد بن خالد، ففعلوا ـ وانضمّوا إليه ـ وانتشر الحديث بذلك فماج أهل الكوفة بعضهم في بعض. وبلغ ذلك زياد بن صالح صاحب شرطة ابن هبيرة فهرب من القصر ولحق بابن هبيرة، ومضى محمد بن خالد حتى أتى القصر فدخله.. وذلك يوم الاثنين لست خلون من المحرم سنة١٣٢هـ، ووافاه طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث في جماعة قومه»(١).

وجاء في تاريخ ابن خلدون أنه: «كان يزيد بن هبيرة خرج [من الكوفة] للقاء قَحْطبة في مدد لا يُحصى وكان مروان أمدّه بحوثرة بن سهيل الباهلي في خمسة عشر ألفاً.. وعَبَر قَحْطبة الفرات من الأنبار لثمان من محرم ١٣٢هـ وابن هبيرة مُعسكر على فم الفرات على ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة ومعه حوثرة.. وبلغ الخبر الكوفة فثار بها محمد بن خالد القسريّ بدعوة الشيعة، وعلى الكوفة زياد بن صالح فهرب زياد ومَنْ معه من أهل الشام»(٢).

وجاء في تاريخ الطبري ما يلي: «خرج محمد بن خالد القسري بالكوفة ليلة عاشوراء، وعلى الكوفة زياد بن صالح وعلى شرطته عبد الرحمن بن بشير العجليّ. وسوّد محمد بن خالد وسار إلى القصر فارتحل زياد بن صالح والعجليّ ومَنْ معهم من أهل الشام وخلّوا القصر فدخله محمد بن خالد»(٣).

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق عبد العزيز الدوري ـ ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ٤٩٤.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٢٠ جـ ٩.

وقد وقع التباس في رواية الطبريّ بأن قَحْطبة عبر الفرات في ٨ محرم وأن محمد بن خالد ثار بالكوفة ليلة ١٠ محرم، والصواب كما جاء في أخبار الدولة العباسية أنه «عَسْكَرَ قَحْطبة غربيّ الفرات لخمس خلون من محرم» وثار محمد بن خالد بالكوفة يوم الاثنين ٦ محرم ١٣٢هـ، ووافاه طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكندي في جماعة قومه إلى قصر الكوفة ثم توجه محمد بن خالد إلى المسجد الجامع، حيث كما جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية: «فصعد محمد بن خالد المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه، وخلع مروان، ودعا إلى الرضا من آل محمد. وكان فيما تكلم به يومئذٍ أنْ قال: يا أهل الكوفة إن اللّه قد أكرمكم بهذه الدعوة المباركة وقد طلبها الأبناء بعد الآباء فحرموها حتى ساقها اللّهُ إليكم، هذه جنود الحق قد أظلّتكم داخلة عليكم أحد اليومين، فقُوموا فبايعوا. قال [ابن سليمان]: فواللّه ما رأيتُ سروراً قط كان أشدّ اجتماعاً عليه مِن سرورهم بالبيعة، لقد أطافوا بالمنبر يستبقون إلى البيعة حتى كادوا يكسرونه، فما تَخلّف عن البيعة إلّا أناس قليل» [ص ٣٦٨].

وقال الطبري: إن محمد بن خالد دعا الناس إلى البيعة وبايعوه يوم الجمعة ١٠ محرم ١٣٢هـ وليس هنالك تعارض فقد خطب محمد بن خالد ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه يوم الثورة ـ الاثنين ٦ محرم ـ ثم يوم الجمعة ١٠ محرم أيضاً.

وقد كتب محمد بن خالد وأبو سَلَمة إلى قَحْطبة بن شبيب الطائي بخبر الظفر في الكوفة وبأن يَقْدِم إلى الكوفة، وذلك في اليوم الثاني للثورة ـ يوم ٧ محرم ـ قال ابن خلدون: «كتب محمد بن خالد إلى قَحْطبة..» وقال صاحب أخبار الدولة «كتب أبو سَلَمة إلى قَحْطبة يُعلمه ما عمل به في إظهار محمد بن خالد» ويجمع القولين أن أبا سلمة ومحمد بن خالد كتبا مكتوباً واحداً إلى قَحطبة وقد بعثا الكتاب مع محمد بن سليمان الهمداني، حيث جاء في أخبار الدولة أنه:

«كتب أبو سَلَمة إلى قَحْطبة يُعلمه ما عمل به في إظهار محمد بن خالد القَسْري، وبعث بكتابه إليه مع محمد بن سليمان الهمداني. قال محمد بن سليمان: فأتيتُ قَحْطَبة في معسكره بإزاء ابن هبيرة قُبيل ارتفاع النهار، وقد جعلا يتسايران على جانبيّ الفرات. فوجّه ابن هبيرة عند ذلك الحوثرة بن سهيل في جُنده، وأمره أن يُبادر إلى الكوفة قبل أن يقْدِمها قَحْطبة، فخرج الحوثرة مُغذّاً حتى إذا شارف الكوفة بَلَغه ظهور محمد بن خالد وإطباق أهل الكوفة معه، فأقام بشاهي» ـ وهي مدينة تقع على بُعد خمسة فراسخ من الكوفة ـ [ص ١٦٩] حيث قال الطبري:

«بلغ محمد بن خالد القسريّ نزول حوثرة ومن معه مدينة ابن هبيرة [شاهي] وأنه تهيأ للمسير إليه. فتفرّق عن محمد عامة من معه إلا فرساناً من فرسان أهل اليمن وموالي محمد بن خالد، وأرسل إليه أبو سَلَمة يأمره بالخروج من القصر واللحاق بأسفل الفرات فإنّه يخاف عليه لقلة من معه وكَثرة من مع حوثرة. فأبىٰ محمد بن خالد أن يفعل حتى تعالى النهار [يوم ٨ محرم] فتهيأ حوثرة للمسير إلى محمد بن خالد حيث بلغه قلّة من معه وخذلان العامة له، فبينا محمد بن خالد بالقصر إذْ أتاه بعض طلائعه فقال له: خيلٌ قد جاءت من أهل الشام [أي من جيش حوثرة] فوجّه محمد بن خالد إليهم قوة من أصحابه فأقاموا بباب عمر بن سعد، إذْ طلعت رايات أهل الشام، فتهيؤوا لقتالهم، فنادى الشاميون: نحن بَجيلة وفينا مليح بن خالد البجليّ جئنا لندخل في طاعة الأمير محمد بن خالد ـ فدخلوا ـ ثم جاءت خيلٌ أعظم منهم مع رجل من آل بحدل الكلبيّ ـ ففعلوا مثلهم ـ فَلَمَّا رأى ذلك حوثرةُ من صنيع أصحابه، ارتحل نحو واسط بِمن بقي معه [في ٩ محرم] وكتب محمد بن خالد إلى قَحْطبة، وهو لا يعلم بهلكه، يُعلمه أنه قد ظفر بالكوفة..» [ص ١٢١ جـ ٩].

وكان قحطبة وعساكره عبروا الفرات وهزموا جيش ابن هبيرة يوم ٨ محرم حيث ـ كما جاء في أخبار الدولة ـ «حَمَل قَحْطبة على عسكر ابن هبيرة حملة صادقة فهزمهم، وردوا عليه فألجأهم إلى الشط، ثم حمل عليهم فاستحقت الهزيمة عليهم وانصرفوا منهزمين في الليل.. وكان قَحْطبة لما جالت خيله واقفاً على جرف، فانهار به الجرف، فوقع في الفرات فمات لیل الأربعاء ٨ محرم.. فَلَمَّا أصبح أصحابه فقدوه ـ فوجدوه ميتاً ـ فبايعوا ابنه حُمَيد بن قَحْطبة وسلموا إليه الأمر». ـ وذلك يوم ٩ محرم، وتَولَّى أخوه الحسن بن قَحْطبة قيادة العسكر ـ «وكان ابن هُبيرة حين استحقت الهزيمة عليه وعلى من معه سار نحو الكوفة لِيَجْتمع بحوثرة ومن معه، فأصبح وقد كَلّ وكَلَّ من معه، فسار ـ يوم ٩ محرم ـ فَلَمَّا بلغ سوق أسد [وهو غربي الفرات في طسوج الفلوجة] لقيه الخبر بظهور محمد بن خالد على السواد والكوفة وإطباق أهل الكوفة معه ـ وأن حوثرة لحق بفم النيل ـ فَعَدَل ابن هبيرة إلى فم النيل، وقد تسلل عنه كثير من أصحابه، فمنهم من لحق بمحمد بن خالد من أهل اليمن، ومنهم من عَدَل إلى فم النيل، فأقام ابن هبيرة وحوثرة بفم النيل حتى أتاهم ـ خبر ـ دخول ابن قحطبة وعسكره الكوفة.. فمضوا إلى واسط».

قال الطبري: «وقد ـ كتب محمد بن خالد إلى قحطبة، وهو لا يعلم بهلكه،

يُعلمه أنه قد ظفر بالكوفة، وعَجَّل كتابه إلى قحطبة مع فارس، فقَدِم على الحسن بن قحطبة فَلَمَّا دفع إليه الكتاب قرأه على الناس وارتحل بهم إلى الكوفة».

وسار حُميد بن قحطبة والحسن بن قحطبة بجيش الدعوة العباسية إلى الكوفة. قال صاحب أخبار الدولة:

«أقْبَلَ حُميد بن قَحْطبة يسير بالناس حتى نزل دير الأعور ثم دخل العباسية ـ وهي بظاهر الكوفة ـ فنزلها يوم الجمعة، يوم عاشوراء. وصلى بالناس بالكوفة يومئذ محمد بن خالد القسري وقال وهو يدعو على المنبر: اللَّهم أصلح الإمام من آل محمد، ولم يُسمّه». [ص ٣٧٣] وقال الطبري: «دعا محمد بن خالد الناس إلى البيعة **[وذلك يوم الجمعة، يوم عاشوراء، فبايعوا]** وضَبَط الكوفة، وأقام يوم الجمعة والسبت والأحد، وصبّحه الحسن بن قحطبة يوم الاثنين». [ص ١٢١ جـ ٩].

وتوجّه الحسن بن قحطبة ومحمد بن خالد وكوكبة من القادة إلى منزل أبي سلمة الخلّال فأحضروه إلى معسكر جيش الدعوة العباسية في جبانة السبيع بالكوفة واستقبله حميد بن قحطبة والقوّاد وبايعوه وزيراً للإمام وسلموا إليه مقاليد الأمور حتى قدوم الإمام الخليفة أبي العباس. قال الطبري: « . . ومكث أبو سلمة يُقال له وزير آل محمد، واستعمل محمد بن خالد القسري على الكوفة فكان يقال له الأمير حتى ظهور أبي العباس». [ص ١٢١ جـ ٩].

فكان محمد بن خالد أول من وقع عليه لقب (الأمير) وأول أمير للكوفة في العصر العباسي. قال صاحب أخبار الدولة: «بعث أبو سلمة إلى محمد بن خالد: أن إبْعث إلى بيت المال والخزائن والطراز مَنْ يختم على ما فيها، وسَمّى لها يونس بن أبي إسحاق السبيعي ـ الهمداني ـ والحجاج بن أرطأة النخعي ـ المذحجي ـ وبشر بن الفرافصة العبدي والهلقام بن عبد اللّه، فبعثهم محمد بن خالد فختموا على بيت المال والطراز ما كان بالكوفة والحيرة». [ص ٣٧٣] وكذلك « . . ولّى يوسف بن ثابت ديوان الخراج، وولّى على الصوائف والقطائع والخزائن عبد السلام بن عبد الرحمن بن نعيم الغامدي ـ الأزدي ـ وبعث إلى بيوت المال والخزائن فحُمل ما فيها إلى العسكر». [ص ٣٧٧].

قال ابن خلدون: « . . وكان محمد بن خالد يُسمى الأمير حتى ظهور أبي العباس السفاح» [ص ٤٩٥] وكان ظهور أبي العباس ومبايعته بالخلافة في قصر الإمارة بالكوفة في ١٣ ربيع الثاني ١٣٢هـ. وبإقامة أبي العباس في قصر الإمارة بالكوفة صارت الكوفة عاصمة دولة الخلافة العباسية وانتهت ولاية محمد بن خالد

للكوفة، فمكث محمد بن خالد من كبار الشخصيات بالكوفة إلى أن ولَّاه أبو جعفر المنصور المدينة المنورة.

* * *

ثانياً: ولاية محمد بن خالد للمدينة المنورة وأنباء عهده:

قال أبو عليّ القالي في كتاب الأمالي: «قال أبو جعفر المنصور لخالد بن عبد اللّه القسري: إنّي لأُعِدُّكَ لأمرٍ كبير، فقال: يا أمير المؤمنين قد أعدَّ اللّهُ لك منّي قَلْباً مَعْقُوداً بنصيحتك، ويداً مبسوطة بطاعتك، وسيفاً مشحوذاً على أعدائك، فإذا شئت»(١).

وقد وقع التباس في قول القالي «قال أبو جعفر المنصور لخالد بن عبد اللّه القسري» والصواب « . . لمحمد بن خالد بن عبد اللّه القسري» لأن خالد بن عبد اللّه مات بالعصر الأموي سنة١٢٦هـ، وهذا الحديث بين أبي جعفر المنصور ومحمد بن خالد القسري كان ـ غالباً ـ لما قرر أبو جعفر المنصور عزل زياد بن عبيد اللّه الحارثي من ولاية الحجاز بسبب النشاط السِّرِّي لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن العلوي في الدعوة إلى خلافة علوية هاشمية وعدم قيام زياد بالقبض على محمد وإبراهيم أو كشف ذلك النشاط بل قناعة زياد بعدم وجود مثل تلك الدعوة نهائياً، فقام أبو جعفر المنصور بعزل زياد بن عبيد اللّه الحارثي في جمادى الثانية سنة١٤١هـ، ودعا محمد بن خالد إلى قصر الخلافة في الأنبار بمنطقة الكوفة، وجرى بينهما الحديث الذي ذكره أبو علي القالي، فيكون الصواب كما يلي:

(قال أبو جعفر المنصور لمحمد بن خالد بن عبد اللّه القسري: إنّي لأُعِدُّكَ لأمرٍ كبير، فقال محمد بن خالد: يا أمير المؤمنين قد أعدَّ اللّه لك منّي قَلْباً مَعْقُوداً بنصيحتك، ويداً مبسوطة بطاعتك، وسيفاً مشحوذاً على أعدائك، فإذا شئت).

وجاء في هامش الأمالي تعليقاً على كلمة (فإذا شئت) ما يلي: «لعل في الكلام نقصاً، أو تكون الفاء من زيادة النُّساخ». [ص ٢/١١٥]ـ ونرى أن الكلام ليس فيه نقص وأنه بمعنى: فإذا شئت فأنا أهلٌ للقيام بالأمر الكبير.

وكان الأمر الكبير هو طلب محمد بن عبد اللّه بن الحسن وأخيه إبراهيم والقبض عليهما، والأهم من ذلك كشف الدعوة العلوية السِّرِّية التي يقودها محمد وأخوه، وتحركاتهما، ورجال الدعوة في الأقاليم والولايات، وموعد إظهار وانطلاق الدعوة، وكل ما يتصل بها من أمور. وإذا تبيَّن صعوبة ذلك أن يدخل

---

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١١٥ جـ ٢.

محمد بن خالد في دعوتهم حين ظهورها، وسيتم التهيئة لذلك بعزل وحبس محمد بن خالد في حينه إذا اقتضى الأمر ذلك، من أجل تحقيق الهدف والأمر كبير. فوافق محمد بن خالد، فولّاه أبو جعفر المنصور المدينة المنورة وبعث معه الهيثم بن معاوية العتكي الأزدي أميراً على مكة المكرمة.

قال الطبري: «استعمل أبو جعفر المنصور على المدينة محمد بن خالد القسري بعد زياد بن عبيد الله الحارثي، فأَغَذَّ السير حتى قَدِم المدينة هلال رجب سنة١٤١هـ ولم يعلم به أهل المدينة حتى جاء رسوله من الشقرة وهي بين الأعوص والطَّرَف على ليلتين من المدينة»[1].

فخرج القاضي عبد العزيز بن المطلب المخزومي ووجوه أهل المدينة واستقبلوا محمد بن خالد، فدخل المدينة في موكب مهيب في اليوم الأول من شهر رجب سنة١٤١هـ واستقر في دار الإمارة ـ المعروفة بدار مروان ـ ثم خرج إلى المسجد النبوي، فخطب وصلّى بالناس، وعاد إلى دار الإمارة. وكان أبرز الذين قَدِموا معه النذير بن يزيد بن خالد القسري وتولّى قيادة الشرطة، ورِزام الكاتب مولى محمد بن خالد، وتولّى ديوان الكتابة والإشراف على بيت المال، وكذلك ما يمكن تسميته الصرف السِّرّي من بيت المال لكشف الدعوة العلوية السِّرِّية ونشاطاتها وامتداداتها الخارجية وتحركات رجالها وعلى رأسهم محمد بن عبد اللّه بن حسن وأخيه إبراهيم. وقد ذكر الطبري عن الحارث بن إسحاق ما يلي نصه:

«أمر أبو جعفر المنصور محمد بن خالد القسريّ بالجدّ في طلب محمد بن عبد اللّه بن حسن وأخيه، وأن يبسط يده في النفقة. ووجد محمد بن خالد في بيت المال سبعين ألف دينار وألف ألف درهم، فاستغرق ذلك المال في طلب محمد بن عبد اللّه. ورفع في محاسبته إلى أبي جعفر (سنة١٤٤هـ) أموالاً كثيرة أنفقها في طلب محمد بن عبد اللّه بن حسن..» [ص ١٨٧/ ٩].

وقد ذكرت تلك الرواية ما أنفقه محمد بن خالد في ثلاث سنوات (من رجب ١٤١هـ ـ رجب ١٤٤هـ) من إيرادات بيت مال ولاية المدينة المنورة ليس في طلب محمد بن عبد اللّه بن حسن فحسب وإنما لكشف الدعوة العلوية السِّرِّية التي يقودها ونشاطها واتصالاتها. وهل هناك بالفعل دعوة وتنظيم لمحمد بن عبد اللّه بن حسن يعمل من أجل الانقضاض على الخلافة العباسية كما فعلت

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨٨ جـ ٩.

الدعوة العباسية حين انقضّت على الخلافة الأموية؟ . . وقد أحاط محمد بن خالد نشاط الكشف عن ذلك بسِريّة تامة، وكان يتمتع بخبرة ودراية في مثل ذلك النشاط إذْ أن قيادته للثورة بالكوفة في محرم ١٣٢هـ كان في إطار عمل سرّيّ استمر عدة سنوات وأدى إلى إنهاء الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية.

❊ ❊ ❊

وفي سنة١٤٢هـ تم رصد نشاط يؤكد وجود الدعوة العلوية السِّرِّية لمحمد بن عبد اللّٰه بن الحسن وأن خيوطها تمتد من المدينة والحجاز إلى اليمن والسند وفارس وخراسان والعراق والشام. وقد جاء في تاريخ الطبري أنه:

«خرج محمد وإبراهيم إلى عدن، فخافا بها، وركبا البحر حتى صارا إلى السند، فسُعي بهما إلى عمر بن حَفْص ـ أمير السند ـ فخرجا من السند حتى قَدِما الكوفة». [ص ٩/٢٤٣].

وكان مسير محمد وإبراهيم من ساحل الحجاز بحراً إلى اليمن فنزلا في عدن أبين، وكان والي اليمن عبد اللّٰه بن الربيع الحارثي فعلم بأمرهما فخافا وركبا البحر حتى صارا إلى السند، وكان والي السند عمر بن حفص المهلَّبيّ الأزدي فعلم بأمرهما فخرجا من السند براً إلى فارس وخراسان، فمكثا فترة، ثم قَدِما إلى العراق في قوافل الحجاج وعادا إلى الحجاز ـ سراً ـ فتوارى محمد بمناطق إقليم المدينة، وحجّ إبراهيم ـ متنكراً ـ في ذي الحجة ١٤٢هـ، وقد حج بالناس سنة١٤٢هـ إسماعيل بن عليّ ـ عم أبي جعفر المنصور ـ وكان الوالي على مكة الهيثم بن معاوية العتكي، وعلى المدينة محمد بن خالد القسري، وعلى اليمن عبد اللّٰه بن الربيع الحارثي، وعلى البصرة سفيان المهلَّبي، وعلى السند عمر بن حَفْص، وعلى خُراسان أبو عون الأزدي، وعلى أرمينية الحسن بن قحطبة الطائي، وعلى الشام صالح بن عليّ العباسي، وعلى مصر حُميد بن قحطبة الطائي، وعلى إفريقيا محمد بن الأشعث الخزاعي.

❊ ❊ ❊

وفي أوائل سنة١٤٣هـ تم رصد مسير إبراهيم بن عبد اللّٰه بن حسن إلى البصرة، وقد ذكر الطبري عن أبي صفوان قال: «قَدِم إبراهيم إلى البصرة منصرف الناس من الحج في أول سنة١٤٣هـ. . قال مطهر بن الحارث: أَقْبَلْنَا مع إبراهيم من مكة نريد البصرة ونحن عشرة. . » فمكث إبراهيم فترة مختفياً بالبصرة يدعو إلى أخيه ثم مضى إلى فارس ثم انعطف إلى الشام. قال ابن معروف: «نزل إبراهيم بالحيار من أرض الشام على آل القعقاع بن خليد العبسي، فكتب الفضل بن

صالح بن عليّ وكان عامل قنسرين إلى أبي جعفر المنصور يخبره خبر إبراهيم وأنه طلبه فوجده قد سبقه منحدراً إلى البصرة. . وكتب أبو جعفر إلى العُمال، وجدّ في طلبه، ووضع الرُصد بكل مكان». [ص ٢٤٤/ ٩] ولكن إبراهيم تَوارىٰ، وكذلك عرف محمد بن خالد بأنّ عليّ بن محمد بن عبد اللّه بن حسن توجّه إلى مصر.

وفي أواسط سنة١٤٣هـ ولّى أبو جعفر المنصور الأمير يزيد بن حاتم المهلّبيّ الأزديّ على مصر، فسار يزيد بن حاتم عن طريق المدينة المنورة والتقى بالأمير محمد بن خالد القسريّ وصلّيا معاً بالمسجد النبويّ ثم شيّعه إلى موضع مسجد الشجرة وكان الشاعر ابن المولى في الموكب يمدح يزيد بن حاتم بقصيدة في الطريق من المسجد النبوي إلى مسجد الشجرة. قال الأصفهاني في كتاب الأغاني: «قال ابن المولى الشاعر: لما ولّى أبو جعفر المنصور يزيد بن حاتم مصر أخذ على طريق المدينة، فلقيته وقد خرج من مسجد رسول اللّه ﷺ إلى مسجد الشجرة، فأنشدته ـ قصيدة ـ فأعطاني رزمتيْ ثياب وعشرة آلاف دينار، فاشتريتُ بها ضياعاً بالمدينة تغلُّ ألف دينار، أقوم في أدناها وأصيح بقيّمي فلا يسمعني وهو في أقصاها»[1] وقال ابن المولى يمدح يزيد بن حاتم:

يـــا واحـــد الـــعـــرب الـــذي أضـــحـــى ولـــيـــس لـــه نـــظـــيـــر
لـــو كـــان مـــثـــلـــك آخـــرٌ مـا عـاش فـي الـدنـيـا فـقـيـر[1]

وقد دخل يزيد بن حاتم المهلّبيّ الأزدي اليماني مصر وتولاها في ذي القعدة سنة١٤٣هـ. قال ابن الأثير: «وفي سنة١٤٤هـ كان الوالي على مصر يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المهلّب، وهو الذي قال فيه ربيعة بن ثابت يمدحه ويهجو يزيد بن أُسيد السُلَمي:

لَشَتّان ما بين اليزيدَيْنِ في الندى يـزيـدُ سُـلَـيـمٍ والأغـرّ ابـن حـاتـم

في أبيات كثيرة. وكان مُمدحاً جوادا»[2].

* * *

وفي سنة١٤٤هـ أظهر الخليفة أبو جعفر المنصور أنه يتهم محمد بن خالد القسري بالتهاون في طلب محمد بن عبد اللّه بن الحسن. . وكان ما أنفقه محمد بن خالد في طلبه وفي الكشف عن نشاط دعوته قد بلغ «سبعين ألف دينار وألف ألف درهم». قال الطبري: « . .ورفع في محاسبة محمد بن خالد إلى أبي

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٨٨ جـ ٣.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٧٦ جـ ٤.

جعفر أموالاً كثيرة أنفقها في طلب محمد بن عبد اللّٰه بن حسن، فاستبطأه أبو جعفر واتّهمه، وكتب إليه يأمره بكشف المدينة وأعراضها، فأمر محمد بن خالد أهل الديوان أن يتجاعلوا لِمَنْ يخرج بهم إلى الأعراض فتجاعلوا رِباعَ الغاضريّ المُضْحك وكان يُداين الناس بألف دينار فهلكت وتَوِيت(!) وخرجوا معه إلى الأعراض لكشفها عن محمد وأخيه. وأمر محمد بن خالد أهل المدينة فلزموا بيوتهم سبعة أيام وطافت رُسله وجنوده ببيوت الناس يكشفونها لا يحسّون شيئاً، وكتب محمد بن خالد لأعوانه صكاكاً يتعززون بها لئلا يعرِّضُ لهم أحد»[1].

وأسفر ذلك الكشف الدقيق والمنظّم لكل منازل المدينة وكل أعراضها والمناطق التابعة لها من الحجاز ونجد عن عدم وجود محمد بن عبد اللّٰه بن حسن وأخيه بالمدينة ـ في أواسط سنة١٤٤هـ ـ وكتب محمد بن خالد إلى أبي جعفر بذلك، وبعث كتابه مع مولاه رِزام الكاتب ـ غالباً ـ وعاد رِزام إلى محمد بن خالد وأخبره ـ فيما نرى ـ بما سيكون من عزله وحبسه في دار الإمارة بالمدينة حتى يتسنى له القيام بما أشار إليه أبو جعفر المنصور منذ البداية حين قال له: «إنِّي لأُعِدُّك لأمرِ كبير».

* * *

ففي رمضان سنة١٤٤هـ قرر الخليفة أبو جعفر المنصور عزل محمد بن خالد القسري، وتشاور بشأن ذلك مع عبد اللّٰه بن الربيع الحارثي وجعفر بن حنظلة البهراني وحميد بن قحطبة الطائي ـ وهم من اليمانية ـ وكتموا ما اتفقوا عليه. ثم وقع ـ علناً ـ ما ذكره الطبري وابن الأثير، حيث قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك ما يلي نصه:

«لما أراد أبو جعفر المنصور عزل محمد بن خالد القسري عن المدينة، ركب ذات يوم فَلَمَّا خرج من بيته استقبله يزيد بن أسيد السُلَميّ فدعاه فسايره ثم قال له: أما تدلّني على فتى مِن قيس مُقِلٌ أغْنِيه وأُشرّفه وأمكّنه من سيد اليمن يلعب به. يعني محمد بن خالد القسريّ. فقال يزيد: بَلَى يا أمير المؤمنين، قال: من هو؟ قال: رَيَاح بن عثمان بن حيّان المرّي. قال: فلا تذكرنّ هذا لأحد. ثم انصرَف»[2].

ويزيد بن أسيد السُلَمي الذي استشاره المنصور هو الذي قال ربيعة بن ثابت يذمّه ويمدح يزيد بن حاتم المهلّبي:

شَتَّان ما بين اليزيدَيْن في الندى ... يزيد سُلَيمٍ والأغرُّ ابن حاتم

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٨٨ جـ ٩.

فَهَمُّ الفتى الأزديّ إنفاق ماله   وهمّ الفتى القيسيّ جمع الدراهم

وقال ابن الأثير في الكامل في التاريخ: «استشار أبو جعفر المنصور يزيدَ ابن السُلَمي وقال له: دُلني على فتى مُقِلٍّ من قيس أغْنِيه وأشرّفه وأمكّنه من سيّد اليمن. يعني ابن القَسْريّ. فقال: هو رَيَاح بن عثمان المرّي»[1].

ثم استشار أبو جعفر المنصور أبا السعلاء القيسي، حيث ذكر الطبري من طريق عيسى بن عبد اللّه قال:

«اشتد على أبي جعفر أمر محمد وإبراهيم ابنيْ عبد اللّه بن حسن فدعا أبا السّعلاء فقال له: أشِرْ عليّ في أمر هذين الرجلين، فقال: أرى أن تستعمل على المدينة رجلاً من ولد الزبير أو طلحة فإنهم يطلبونهما بذَحل فاشهدُ لا يلبثونهما أو يخرجوهما إليك، فقال أبو جعفر: قَاتَلك اللّهُ ما أجود رأياً جئت به، ما غَبِيَ هذا عليّ، ولكني لا أثأر من أهل بيتي بعدويّ وعدوّهم ولكني أبعث عليهم صعلوكاً من العرب فيفعل ما قلت. فبعث رياح بن عثمان المرّي».

قال الطبري: «أمر أبو جعفر المنصور بنجائب وكسوة ورحال فهُيئت للمسير فَلَمَّا انصرف من صلاة العتمة دعا برياح بن عثمان، فذكر له ما بلا من غش زياد وابن القسريّ في ابنيْ عبد اللّه بن حسن، وولّاه المدينة، وأمره بالجد في طلبهما، وأمره بالمسير من ساعته، فخرج مسرعاً حتى قدِم المدينة يوم الجمعة لسبع ليالٍ بقين من رمضان سنة١٤٤هـ».

وبوصول رياح والذين معه إلى المدينة انتهت ولاية محمد بن خالد القسريّ، وكانت ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر إلا سبع ليال، وذلك من أول رجب ١٤١هـ حتى ٢٣ رمضان ١٤٤هـ، وكان الاستقرار والهدوء من أبرز معالم عهده، ولم يحبس أحداً من آل الحسن وغيرهم لعدم خروج أحد عن الطاعة، فكان عدله يشمل الجميع.

* * *

ثالثاً: ما بين انتهاء ولاية محمد بن خالد والقضاء على حركة محمد بن عبد اللّه بن الحسن:

لقد كان لا بد من مبرر يقتنع به الناس لحبس ـ أو إيقاف ـ محمد بن خالد القسريّ (سيّد اليمن) غير تهاونه المزعوم في طلب محمد وإبراهيم ـ لأنّ الناس

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٧٣ جـ ٤.

يعرفون أنه لم يجدهما ـ فتم اتخاذ تصفية الحسابات المالية سبباً لبقاء محمد بن خالد في مقصورة بدار الإمارة منذ تَسَلَّمَ رياح بن عثمان ولاية المدينة، وبعد أيام ـ في شوال ـ وكما جاء في تاريخ الطبريّ عن الحارث بن إسحاق: «دعا رياح بمحمد بن خالد فسأله عن الأموال [**بحضور جماعة من الناس**] فقال: هذا كاتبي هو أعلم بذلك مني. قال: أسألُك وتُحيلني على كاتبك؟ فأمر به فوجئت عنقه وضُرب أسواطاً [**وأعيد إلى مقصورته**] وأخذ رياحُ رِزَاماً كاتب محمد بن خالد القسريّ ومولاه، فبسط عليه العذاب، وكان يأمر بضربه في كل غَبِّ[١] خمسة عشر سوطاً مغلولة يده إلى عُنقه من بُكرة إلى الليل يُتبع به أفناء المسجد والرحبة» ـ أي من الحبس إلى المسجد النبويّ والرحبة ثم يُعاد إلى الحبس، وذلك حتى يُشاهده الناس واستمر ذلك عدة أسابيع بينما محمد بن خالد وابن أخيه النذير بن يزيد محبوسان في المقصورة بدار الإمارة ـ «ودَسّ رياح إلى رِزَام في الرفع بمحمد بن خالد فلم يجد عنده في ذلك مساغاً، فأخرجه عمر بن عبد اللّه الجذاميّ وكان خليفة صاحب الشرطة يوماً من الأيام وهو يريد ضربه وما بين قدميه إلى قرنه قرحة فقال له: هذا يوم غبّك فأين تحبّ أن نجلدك؟ قال: واللّه ما في بدني موضع لضرب فإن شئت فبطون كفّي، فأخرج كفّيه فضُرب في بطونهما خمسة عشر سوطاً. ثم جعلت رُسل رياح تختلف إليه تأمره أن يرفع على محمد بن خالد ويخلي سبيله، فأرسل إليه: مُرْ بالكف عني حتى أكتب كتاباً بذلك. فأمر بالكفّ عنه». (اهـ).

وقبل أن نذكر بقية الرواية نشير إلى أنه في تلك الفترة ـ ما بين شوال وذي الحجة ١٤٤هـ ـ كان رياح بن عثمان قد حبس العديد من آل الحسن بن عليّ بن أبي طالب، ومنهم الشيخ الجليل عبد اللّه بن حسن ـ والد محمد ـ وهو عميد وكبير بني هاشم. وقيل لرياح إن محمد بن عبد اللّه بن حسن في شِعب من شعاب رضوى من جبل جهينة وهو من عمل ينبع، فطلبه فلم يجده، فحبس العشرات من رجال جهينة، وقيل له إنه في ديار أشجع أو بني مزينة فطلبه فلم يجده، فحبس أكثر من مائة رجل من بني مزينة، وامتلأ سجن المدينة بالناس وجعل بعض البيوت سجوناً. وفي أواسط ذي الحجة ١٤٤هـ بعث رياح بالشيخ عبد اللّه بن حسن وعشرة من آل الحسن مكبلين بالقيود إلى أبي جعفر المنصور فأمر بحبسهم في سجن الهاشمية بالكوفة.

---

(١) قال الفيروزآبادي: «الغَبُّ: وردُ يوم وظمء آخر، وفي الزيارة أن تكون كل أسبوع.. وأَغَبَّ القَوْمَ جاءهم يوماً وتَرَكَ يوماً» [ص ١١٣ جـ ١ ـ القاموس المحيط].

ونعود إلى خبر رِزام حيث « . . أرسل إلى رياح قائلاً: مُرْ بالكف عني حتى أكتب كتاباً بذلك ـ أي بأنّ على محمد بن خالد أموال لبيت المال ـ فأمر بالكفّ عنه. ثم ألَحَّ عليه بأن يكتب الكتاب، وبعث إليه: أن رُحْ بالكتاب العشية على رؤوس الناس فادفعه إليَّ. فَلَمَّا كان العشي أرسل إليه، فأتاه وعنده جماعة فقال: أيها الناس إن الأمير أمرني أن أكتب كتاباً وأرفع على محمد بن خالد، وقد كتبتُ كتاباً أتجنى به عليه وأنا أشهدكم أن كل ما فيه باطل. فأمر رياح بضربه مائة سوط وردّه إلى السجن». (اهـ).

وبذلك فشلت ـ وانكشفت للناس ـ محاولة رياح تلفيق تهمة مالية على محمد بن خالد القسريّ، وتبيّن أنه مغضوب عليه من أبي جعفر المنصور، والغريب أن أحداً لم يفطن إلى أن كل ذلك ربما كان مُدبراً بتدبير سرّي بين أبي جعفر المنصور ومحمد بن خالد القسريّ وأنّ رزاماً كاتب ومولى محمد بن خالد الذي تعرّض للتعذيب عدة شهور ربما كان طرفاً في ذلك التدبير.

وفي الأشهر الأولى من سنة١٤٥هـ كان القلق والترقب شديديْن عند أبي جعفر المنصور ورجالات الدولة بالعراق ومشارقها من قُرب اندلاع ثورة الدعوة العلوية السِّرِّية لمحمد بن عبد اللَّه بن حسن وكان أشياعه يترقبون خروجه ويقولون أنه (المهدي من آل البيت) ومما يدل على مدى ذلك، جاء في تاريخ الطبري أنه: «كان محمد بن عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان محبوساً عند أبي جعفر المنصور بالكوفة وهو يعلم ببراءته حتى كتب إليه أبو عون: إن أهل خُراسان قد تقاعسوا عني وطالهم أمر محمد بن عبد اللَّه بن حسن، فأمر أبو جعفر عند ذلك بمحمد بن عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان [وكان يشبه محمد بن عبد اللَّه بن حسن] فضُربت عنقه وأرسل برأسه إلى خراسان وأقسم لهم أنه رأس محمد بن عبد اللَّه (بن حسن). . » وقال الطبري في رواية ثانية: «مات محمد بن عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان في السجن فأخذ أبو جعفر رأسه فبعث به مع جماعة إلى خراسان فطافوا في كُور خُراسان وجعلوا يحلفون باللَّه أن هذا رأس محمد بن عبد اللَّه. . يوهمون الناس أنه رأس محمد بن عبد اللَّه بن حسن الذي كانوا يجدون خروجه على أبي جعفر في الرواية». (اهـ).

وكان أكثر ما يُقلق أبا جعفر المنصور هو المكان الذي سيخرج فيه محمد بن عبد اللَّه بن حسن لأن دعوته قد شملت العديد من الأقطار، وما لبث أن خرج واندلعت حركته بالمدينة المنورة حيث كان محمد بن خالد القسري محبوساً في دار الإمارة. .

وعن ذلك جاء في تاريخ الطبريّ أنه: «خرج محمد بن عبد اللّه بن حسن لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة.. وكان محمد بن خالد القسريّ وابن أخيه النذير بن يزيد ورِزام في الحبس فأخرجهم محمد بن عبد اللّه.. وكانت دار الإمارة قد امتنعت على أصحاب محمد بن عبد اللّه، وكان بعض أصحاب رياح بن عثمان مارسوا على الباب، فقال محمد بن عبد اللّه لأصحابه: ادخلوا من باب المقصورة، فاقْتَحَمُوا وحرَّقوا باب الخوخة التي فيها فلم يستطع أحدٌ أن يمرّ، فوضع رِزام مولى القسري ترسه على النار ثم تخطى عليه فصنع الناسُ ما صنع ودخلوا من بابها. وخرج من كان مع رياح في الدار من دار عبد العزيز من الحمام، وتعلّق رياح في مشربة في الدار، فأمر محمد بدرجها فهُدمت فصعدوا إليه فأنزلوه فحبسوه في دار مروان وحبسوا معه أخاه عباس بن عثمان، وأمر محمد بن عبد اللّه النذير بن يزيد بالاستيثاق من رياح وأصحابه». [ص ٢٠٤/٩].

وبذلك اقترن اندلاع حركة محمد بن عبد اللّه بن حسن ـ في ٢٩ جمادى الثانية ١٤٥هـ ـ بصيرورة محمد بن خالد القسري وابن أخيه النذير وكاتبه رزام من رجالات حركة ودعوة محمد بن عبد اللّه بن حسن حتى إنه أسند أمر معاقبة رياح بن عثمان المري إلى النذير. قال الطبري:

«وقال رِزام للنذير: دَعْني ورياح فقد رأيتَ عذابه إيايّ، فقال النذير: شأنك وإياه ثم قام ليخرج فقال له رياح: يا أبا قيس قد كنتُ أفعلُ بكم ما كنتُ أفعل وأنا بسؤددكم عالم، فقال له النذير: فعلتَ ما كنتَ أهله ونفعلُ ما أنت أهله. وتناوله رِزام ـ يجلده ـ فلم يزل به رياح يطلب إليه حتى كفّ. وقال رياح: واللّه إنّي كنتُ بَطِراً عند القدرة لئيماً عند البلية». [ص ٢٠٤ جـ ٩]. وتم الاكتفاء بحبس رياح وبعض أصحابه في دار مروان.

وقد خطبَ محمد بن عبد اللّه بن حسن في المسجد النبويّ ـ في أول يوم من رجب ١٤٥هـ ـ وأظهر دعوته. وكان أهم ما قاله محمد بن عبد اللّه لأهل المدينة في خطبته: «واللّه ما خرجتُ من بين أظهركم، وجئت هذه، وفي الأرض مِصْرٌ يُعبَدُ اللّهُ فيه إلّا وقد أُخِذ لي فيه البيعة». (اهـ).

وبايع أهل المدينة محمد بن عبد اللّه بالخلافة في ذلك اليوم ونودي بأمير المؤمنين، وكان ممن بايعه محمد بن خالد بن عبد اللّه القسري. وقد جاء في تاريخ الطبري من طريق أيوب بن عمر ما يلي نصه:

«قال محمد بن معن: حدّثني محمد بن خالد القسريّ قال: لما سمعتُ دعوة

محمد بن عبد اللّه التي دعا إليها على المنبر قلتُ هذه دعوة حق، واللّه لأبلينَّ فيها بلاءً حسناً، فقلتُ: يا أمير المؤمنين إنّك قد خرجت في هذا البلد، واللّه لو وُقف على نُقب من أنقابه مات أهله جوعاً وعطشاً، فانهض معي فإنما هي عشرٌ حتى أضربه بمائة ألف سيف، فأبىٰ عليّ. فإنّي لعنده يوماً، إذْ قال لي: ما وجدنا من حرّ المتاع شيئاً أجودُ من شيءٍ وجدناه عند ابن أبي فروة، ختن أبي الخصيب، وكان انتهبه. فقلتُ: ألا أراكَ قد أبصرتَ حر المتاع. فكتبتُ إلى أبي جعفر المنصور فأخبرته بقلة من معه». [ص ٢٠٦/٩].

قال الطبري: «لَمَّا ورد الخبر على أبي جعفر المنصور بخروج محمد بن عبد اللّه بن حسن، كان المنصور قد خَطّ مدينة بغداد بالقصب وسار منها إلى الكوفة ومعه عبد اللّه بن الربيع الحارثي. قال عبد اللّه بن الربيع: فصيّح بي المنصور، فلحقته، فصمت طويلاً ثم قال: يا ابن الربيع خرج محمد، قلت: أين؟ قال: بالمدينة، قلتُ: هَلَكَ واللّه وأهْلَكَ، خرج في غير عدد ولا رجال يا أمير المؤمنين» ـ ثم استشار أبو جعفر المنصور عبد اللّه بن عليّ العباسي وجعفر بن حنظلة البهراني فقال له عبد اللّه بن عليّ: «ارتحل الساعة حتى تأتي الكوفة فأجثم على أكبادهم فإنهم شيعة أهل هذا البيت وأنصارهم ثم احففها بالمسالح فمن خرج منها إلى وجه من الوجوه أو أتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه. ففعل». قال الطبري: «وأرسل أبو جعفر المنصور إلى جعفر بن حنظلة البهراني، وكان ذا رأي، فقال له: هات رأيك قد ظهر محمد بن عبد اللّه بن حسن بالمدينة، فقال: وجّه الأجناد إلى البصرة.. قال: وكيف خفت البصرة؟ قال: لأن أهل المدينة ليسوا بأهل حرب بحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم، وأهل الكوفة تحت قدمك، وأهل الشام لا يحبون آل أبي طالب، فلم يبق إلا البصرة، فوجّه أبو جعفر المنصور ابنيْ عقيل، قائدين من طيىء، فقدِما البصرة وعليها سفيان بن معاوية المهلَّبيّ فأنزلهما عنده». [ص ٢٤٧/ ٩] وكذلك أشار جعفر بن حنظلة باستقدام الجنود من الشام إلى الكوفة. قال الطبري: «لَمَّا أشار جعفر بن حنظلة على المنصور بحدر جند الشام إليه، كانوا يقدمون أرسالاً بعضهم على إثر بعض وكان يريد أن يروِّع بهم أهل الكوفة فإذا جنّهم الليل في عسكره أمرهم فرجعوا منكبِّين على الطريق فإذا أصبحوا دخلوا فلا يشك أهل الكوفة أنهم جند آخرون سوى الأولين». [ص ٢٤٨/ ٩] وقد أدّت تلك الإجراءات في الكوفة والبصرة وغيرها إلى عدم معرفة الذين بايعوا محمد بن عبد اللّه بن حسن في أكثر الأمصار بأنه قد خرج.

بينما في المدينة المنورة كان محمد بن خالد القسري قد بات من أصحاب

محمد بن عبد اللَّه بن حسن مما أتاح له معرفة أن خطته هي اندلاع الحركة العلوية في الأمصار الأخرى في أواسط شهر رمضان ١٤٥هـ، وقد بعث محمد بن عبد اللَّه بن حسن ـ في شهر شعبان ـ رُسله وعُماله إلى الأمصار لإبلاغ شيعته بخروجه وبأن يخرجوا في الموعد الذي حدده لهم ـ في رمضان ـ فبعث محمد بن حسن العلوي إلى مكة، وقاسم بن إسحاق العلوي إلى اليمن، وعبد اللَّه بن محمد العلوي إلى السند وفارس، وموسى بن عبد اللَّه بن حسن إلى الشام فطلب منه محمد بن خالد أن يبعث مولاه رِزاماً مع موسى إلى الشام ليدعو قومه اليمانية بالشام إلى مبايعته، فوافق محمد بن عبد اللَّه على ذلك، فكتب محمد بن خالد رسالة سِرِّية إلى أبي جعفر المنصور يخبره بكل شيء وبأن يبادر ببعث جيش إلى المدينة لقلة شيعة محمد بن عبد اللَّه، وبعث محمد بن خالد رسالته مع رِزام وأمره بما يلزم من توجيهات. فجاء في تاريخ الطبري عن الحارث بن إسحاق أنه:

«أجمع محمد بن خالد القسري على الكيد بمحمد بن عبد اللَّه بن حسن فقال له: يا أمير المؤمنين ابعث موسى بن عبد اللَّه ورِزاماً مولاي إلى الشام يدعوان إليك، فبعثهما، فخرج رزام مع موسى إلى الشام ثم انْسَلَّ منه فذهب إلى أبي جعفر المنصور. ويقال: إن موسى ورزاماً وعبد اللَّه بن جعفر بن المسور توجهوا إلى الشام فَلَمَّا صاروا بتيماء تخلف رزام ليشتري لهم زاداً فركب إلى العراق ورجع موسى وصاحبه إلى المدينة. قال الحارث بن إسحاق: وحدثني عيسى عن موسى بن عبد اللَّه قال: بعثني محمدٌ ورزاماً في رجال معنا إلى الشام، فإنّا لبدومة الجندل إذْ أصابنا حرٌّ شديد فنزلنا عن رواحلنا نغتسل في غدير فاستلّ رزام سيفه ثم وقف على رأسي وقال: يا موسى أرأيتَ لو ضربتُ عنقك ثم مضيتُ برأسك إلى أبي جعفر أيكون أحدٌ عنده في منزلتي؟ فقلتُ: لا تدع هَزَلك يا أبا قيس شِمْ سيفَك غفر اللَّه لك، فشام سيفه فركبنا». ثم كما جاء في الرواية السابقة: تَخَلّف رزام ليشتري لهم زاداً فركب إلى العراق ورجع موسى وأصحابه إلى المدينة، قال الحارث بن إسحاق: «وظهر محمد بن عبد اللَّه على أن محمد بن خالد القسري كتب إلى أبي جعفر المنصور فحبسه في نفر ممن كان معه في دار ابن هشام التي في قبلة مصلًّى الجنائز».

بينما في الكوفة التقى رزام بالخليفة أبي جعفر المنصور وسلّمه رسالة محمد بن خالد وأخبره بالموقف في المدينة وبالدعاة الذين أرسلهم محمد بن عبد اللَّه بن حسن إلى الأمصار وموعد خروجهم بتلك الأمصار وأهمية حسم الموقف بالمدينة قبل ذلك اليوم تفادياً لفتنة كبرى تجتاح الكثير من الأمصار ويذهب

ضحيتها خلق كثير. وربما على ضوء رسالة محمد بن خالد قرر الخليفة أبو جعفر المنصور حسم الموقف. فقد بعث أبو جعفر المنصور وليّ عهده عيسى بن موسى بن عليّ العباسي على رأس جيش بقيادة الأمير حُميد بن قَحْطبة الطائي اليماني إلى المدينة، وقام أمراء الأمصار بالقبض على الدعاة الذين أرسلهم محمد بن عبد اللّه بن حسن، بينما وصل عيسى بن موسى وحُميد بن قحطبة بالجيش إلى المدينة. قال الطبري: «نزل عيسى بن موسى بقصر سليمان بالجرف صبيحة ١٢ رمضان يوم السبت، فأقام السبت والأحد وغدا يوم الاثنين فوقف على الثنية بالخيل والرجال، وعلى مقدمته حُميد بن قحطبة، ونادى عيسى والمنادون باسمه على مشارف المدينة ـ منذ يوم السبت ـ: يا أهل المدينة إن اللّه قد حرَّم دماء بعضنا على بعض فهلموا إلى الأمان، فمن قام تحت راياتنا فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن».

وبعث عيسى إلى محمد بن عبد اللّه عرضاً من أبي جعفر المنصور يدعوه إلى الطاعة وأن له الأمان مع أصحابه وسيعطيه من المال كذا وكذا، ويجعل له كذا وكذا. فرفض ذلك وخرج هو وأصحابه إلى الثنية للقتال، واندلعت المعركة في الثنية يوم الاثنين، وكان أشد أصحاب محمد بن عبد اللّه بن حسن رجل يقال له ابن خضير من ولد مصعب بن الزبير. قال الطبري: «ونادى محمد بن عبد اللّه بن حسن يومئذٍ حُميد بن قَحْطبة: إنْ كُنْتَ فارساً وأنت تعتدّ ذاك فابرز لي فأنا محمد بن عبد اللّه. فقال حُميد: قد عرفتُك أنت الكريم ابن الكريم الشريف بن الشريف، لا واللّه لا أبرز لك وبين يديّ من هؤلاء الأغمار إنسان واحد.. وكان ابن خضير مع محمد بن عبد اللّه فجعل حُميد بن قحطبة يدعو ابن خضير إلى الأمان ويشحُّ به عن الموت وهو يشدُّ على الناس بسيفه..» (اهـ).

ويبدو أن ابن خضير وقع في نفسه أن حُميد بن قحطبة إنما يفعل ذلك حرصاً على سلامة أشخاص داخل المدينة، وبالذات محمد بن خالد القسريّ. قال الحارث بن إسحاق: «كان ابن خضير مع محمد بن عبد اللّه فَلَمَّا رأى الخلل في أصحابه وأن السيف قد أفناهم استأذن محمداً في دخول المدينة فأذن له ولا يعلم ما يريد، فدخل ابن خضير إلى رياح بن عثمان المري وأخيه عباس فذبحهما في حبسهما بدار مروان، ثم مضى إلى محمد بن خالد القسري وهو محبوس في دار ابن هشام، فنُذِر به، فردم محمد بن خالد بابيْ الدار دونه، فعالج ابن خضير البابين، فاجتمع من في الحبس فسدّوُهما، فلم يقدر عليهم، فرجع إلى محمد بن عبد اللّه بن حسن..» ـ وبذلك فشلت محاولة قتل

محمد بن خالد القسري وكانت المحاولة عندما توقف القتال ما بين ظهر وعصر ذلك اليوم.

وقد أعطى رجوع ابن خضير مع النفر الذين كانوا معه من داخل المدينة انطباعاً بأنه قام بشيء ما ـ وربما قتل محمد بن خالد ـ فاندفع فرسان حميد بن قحطبة من عدة اتجاهات: «وتقدم ابن خضير وهو يشدُّ بسيفه مرتجلاً، فخالط الناس، فضربه ضارب على أليته، وضربه ضارب على حَجّاج عينه، وخرّ، فابتدره القوم فحزّوا رأسه.. قال ابن بخت مولى حميد بن قحطبة: أتينا برأس ابن خضير فواللّه ما جعلنا نستطيع حمله لِمَا كان به من الجِراح». قال الطبري: «قال أزهر بن سعيد: لَمَّا نظر أصحاب محمد بن عبد اللّه إلى العلم الأسود على منارة المسجد فتّ ذلك في أعضادهم، ودخل حُميد بن قحطبة من زقاق أشجع على محمد بن عبد اللّه.. قال مسعود الرحال: رأيت محمداً يومئذ باشر القتال بنفسه فضربه رجلٌ بسيف دون شحمة أذنه اليمنى فبرك لركبتيه وتعاوروا عليه. وصاح حُميد بن قحطبة: لا تقتلوه. فكفّوا. وجاء حُميد ـ فوجده قد قُتِل ـ وكان قتل محمد بن عبد اللّه بن حسن بعد العصر يوم الاثنين ١٤ رمضان سنة١٤٥هـ» (اهـ).

وقد شمل الأمان سائر أهل المدينة، واستخلف عيسى بن موسى القائد كثير بن حصين في جماعة من الجند بالمدينة، وانصرف عيسى إلى مكة ـ في ١٩ رمضان ١٤٥هـ ـ لأداء العمرة، بينما توجه محمد بن خالد القسري مع حميد بن قحطبة إلى الكوفة، فاستقر محمد بن خالد بالكوفة بعد أن ساهم بدور هام في إنقاذ الأمة من فتنة كانت ستشمل أرجاء دولة الخلافة.

علم محمد بن خالد بتاريخ اليمن الحضاري التليد:

وكان محمد بن خالد القسري عالماً بتاريخ اليمن الحضاري التليد، وقد ذكر الحسن الهمداني في كتاب الإكليل خبر قيام سام بن نوح ببناء قصر غُمدان بصنعاء. ثم قال الهمداني ما يلي نصه:

«وقد ذكرنا ما رواه محمد بن خالد القسري من بناء إل شرح يحضب وشعرام أوتر لقصر غُمدان»[1].

وتدل التنقيبات والمكتشفات الأثرية النقوشية باليمن في عصرنا على دقة علم ومعرفة محمد بن خالد القسري، فقد تم العثور على عدد من النقوش بالمسند باسم

---

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ٢٢ جـ ٨.

(إل شرح يحضب ملك سبأ وذو ريدان) وباسم (شعرام أوتر ملك سبأ وذو ريدان) وتذكر نقوشهما (قصر غُمدان بمدينة صنعاء)[١].

وفي سنة١٥١هـ ولّى الخليفة أبو جعفر المنصور إسماعيل بن خالد القسري على ولاية الموصل. مما قد يشير إلى أن محمد بن خالد القسري ربما توفي سنة١٥٠ هجرية.

(١) تبابعة اليمن السبعون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ٣١١ ـ ٣١٢.

عبد اللَّه بن الربيع الحارثي.. والي المدينة المنورة (١٤٥ ـ ١٤٦هـ)

هو الأمير عبد اللَّه بن الربيع بن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عبد المدان بن الديان الحارثي المذحجي. كان عبد اللَّه بن الربيع والياً لليمن (سنة١٣٨ ـ ١٤٤هـ) في خلافة أبي جعفر المنصور، قال المؤرخ القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش قرة العيون: «قال البهاء الجَنَدي: أقام عبد اللَّه بن الربيع ـ والياً لليمن ـ أربع سنين ونصفاً ثم عاد إلى العراق واستخلف ابنه فمكث سنة وثلثاً..»(١).

ثم صار عبد اللَّه بن الربيع من مستشاري الخليفة أبي جعفر المنصور وكان معه لَمَّا اختط مدينة بغداد سنة١٤٥هـ ولَمَّا أتاه خبر خروج محمد بن عبد اللَّه بن حسن العلوي بالمدينة المنورة وتغلبه عليها في رجب ١٤٥هـ.. قال الطبري:

«..حدّثني محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن عبد اللَّه بن الربيع بن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عبد المدان قال: خرج محمد بن عبد اللَّه بن حسن بالمدينة وقد اختط المنصور مدينة بغداد بالقَصَب فسار إلى الكوفة وسرتُ معه، فصيّح بي فلحقتُه فصمت طويلاً ثم قال: يا ابن الربيع خرج محمد، قلتُ: أين؟ قال: بالمدينة، قلتُ: هَلَكَ واللَّه وأهْلَكَ، خرج واللَّه في غير عدد ولا رجال يا أمير المؤمنين..»(٢).

قال الطبري: «وذكر أحمد بن ثابت أن أبا جعفر لَمَّا فصل من بغداد متوجهاً نحو الكوفة وقد جاءه الخبر بمخرج محمد بن عبد اللَّه بالمدينة، نظر إليه عثمان بن عُمارة بن حريم وإسحاق بن مسلم العقيليّ وعبد اللَّه بن الربيع المدّانيّ وكانوا من صحابته وهو يسير على دابته وبنو أبيه حوله، فقال عثمان: أظن أن محمداً خائباً ومن معه من أهل بيته، إنَّ حشو ثياب هذا العباسيّ لمكرٌ ونكر ودهاء.. وقال

(١) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ـ ص ١٢٢.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٠٨ جـ ٩.

عبد اللّه بن الربيع: هو ليثُ خيسُ ضَيْغَم شموسُ للأقران مفترس وللأرواح مختلس وأنه فيما يهيج من الحرب كما قال أبو سفيان بن الحارث:

وإنَّ لنا شَيخاً إذا الحربُ شَمَّرَتْ ... بَدِيهَتُه الإِقدامُ قبل النَّوافِرِ

فمضى أبو جعفر حتى نزل الكوفة ووجّه الجيوش..»[1].

وقد بعث أبو جعفر المنصور الجيش إلى المدينة بمعية ولي عهده عيسى بن موسى وحُميد بن قَحْطبة الطائي، فتم القضاء على حركة محمد بن عبد اللّه بن حسن في ١٤ رمضان سنة١٤٥هـ، حيث كما جاء في تاريخ الطبري:

«استخلف عيسى بن موسى على المدينة كثير بن حصين حين شَخَصَ عنها بعد مقتل محمد بن عبد اللّه بن حسن ـ في ١٩ رمضان ـ فمكث كثير بن حصين والياً عليها شهراً ثم قَدِم عبد اللّه بن الربيع الحارثي والياً على المدينة من قِبَلِ أبي جعفر المنصور يوم السبت لخمس بقين من شوال سنة١٤٥هـ» [ص ٢٣٥ جـ ٩].

فتولّى عبد اللّه بن الربيع المدينة وبعث عماله إلى مناطق الحجاز ونجد التابعة لولاية المدينة المنورة، قال المِسورَ بن عبد الملك: «وحبس عبد اللّه بن الربيع أبا بكر بن أبي سبرة وكان جاء بجباية طيىء وأسد فدفعها إلى محمد بن عبد اللّه بن حسن.. فحبسه عبد اللّه بن الربيع في السجن بالمدينة..» وعفا عنه فيما بعد.

وفي ذي القعدة وقع نزاع بين بعض جند الأمير عبد اللّه بن الربيع وبعض التجار في سوق المدينة. قال الطبري: «قال الحارث بن إسحاق: نازع جند ابن الربيع التجار في بعض ما يشترونه منهم، فخرجت طائفة من التجار حتى جاؤوا دار مروان ـ وهي دار الإمارة ـ وفيها ابن الربيع، فشكوا ذلك إليه فنهرهم وشتمهم، وطمع فيهم الجند فتزايدوا في سوء الرأي. قال عمر بن راشد: انتهب الجند شيئاً من متاع السوق وغدوا على رجل من الصرَّافين يُدعى عثمان بن زيد فغالبوه على كيسه فاستغاث فخلص ماله منهم، فاجتمع رؤساء ـ تجار ـ أهل المدينة فشكوا ذلك إلى ابن الربيع فلم ينكره ولم يغيّره.

ـ وفي يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة سنة١٤٥هـ ثارت السودان بالمدينة. قال عمر بن راشد: «جاء رجلٌ من الجُند فاشترى من جزّار لحماً يوم الجمعة، فأبىٰ أن يعطيه ثمنه وشهر عليه السيف فخرج عليه الجزّار من تحت الوضم بشفرة فطعن بها خاصرته فخرّ عن دابّته واعتوره الجزارون فقتلوه، وتنادى

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٤٣ جـ ٩.

السودانُ على الجند وهم يروحون إلى الجمعة فقتلوهم بالعُمُد في كل ناحية. . قال الحارث بن إسحاق: نفخ السودانُ في بوق لهم، فذكر لي بعض من كان في العالية وبعض من كان في السافلة أنه: كان يرى الأسودَ مِن سكانهما في بعض عمله يسمع نفخَ البوق فيصغي له حتى يتيقنه ثم يوحش بما في يده ويأتم الصوت حتى يأتيه، وكان ذلك يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة سنة١٤٥هـ، ورؤساء السودان ثلاثة نفر: وثيق، ويعقل، ورمقة، فغدوا على ابن الربيع والناس في الجمعة فأعجلوهم عن الصلاة، وخرج إليهم واستطردوا له حتى أتى السوق، فمرّ بمساكين خمسة ـ من السود ـ يسألون في طريق المسجد فحمل عليهم من معه حتى قتلوهم، ثم مرّ بأصَيْبية ـ سود ـ على طنف دار فظنّ أن القوم منهم فاستنزلهم وضرب أعناقهم، ثم مضى ووقف عند الحناطين وحمل عليه السودان. . وقتل السودان نفراً من الجند فهابهم الجند حتى كان الفارسُ يلقى الأسود وما عليه إلا خرقتان على عورته ودُرّاعه فيوليه دبره احتقاراً له ثم لم ينشب أن يشدّ عليه بعمود من عُمُد السوق فيقتله، فكان الجُند يقولون: ما هؤلاء السودان إلا سحرة أو شياطين». قال ابن راشد: «فلم يزالوا كذلك حتى أمسوا، فَلَمَّا كان الغد خرج ابن الربيع من المدينة. . قال الحارث بن إسحاق: حمل السودان على ابن الربيع. . واتبعوه حتى صار إلى البقيع ورهقوه فنثر لهم دراهم فشغلهم بها ومضى على وجهه حتى نزل ببطن نخل على ليلتين من المدينة. وقال عيسى: خرج السودان على ابن الربيع ورؤساؤهم: وثيق، وحَدْيا، وعنقود، وأبو قيس، فقاتلهم فهزموه، فخرج حتى أتى بطن نخل فأقام بها» وذلك لأن جنوده امتنعوا عن قتال السودان وقالوا: ما هؤلاء السودان إلّا سحرة «ثم أغار السودان على دار مروان ـ وهي دار الإمارة ـ ودار يزيد وفيهما طعامٌ كان حُمِل للجند في البحر ـ من سويق ودقيق وزيت وقَسْب ـ فانتهبوه. فكان حمْل الدقيق بدرهمين وراوية زيت بأربعة دراهم».

ثم إن أهل المدينة قاموا بتسكين عبيدهم ـ السودان ـ فتفرقوا: فسار وجوه أهل المدينة إلى عبد اللّه بن الربيع في بطن نخل فقالوا له: ارجع إلى عملك أيها الأمير فتأبّى، فلم يزالوا به حتى أجابهم إلى ذلك على أن يسلموا إليه رؤساء السود ويعفو عن سائر السودان. قال عمر بن راشد: (فرجع عبد اللّه بن الربيع، فقطع يد وثيق، وأبي النار، ويعقل، ومسعر) [ص ٩/٢٣٨ ـ الطبريّ] ـ وبذلك انتهى تمرُّد السودان بالمدينة وهدأت الأحوال وسكن الناس.

ومكث عبد اللّه بن الربيع والياً للمدينة المنورة إلى ربيع الأول سنة١٤٦هـ ثم كتب الخليفة أبو جعفر المنصور بأن يقدِم إليه، وبذلك انتهت ولايته للمدينة بحيث

قال الطبري: «في سنة١٤٦هـ عُزل عبد اللّه بن الربيع عن المدينة في شهر ربيع الأول». [ص ٢٦٤ جـ ٩].

* * *

وعاد عبد اللّه بن الربيع إلى الخليفة أبي جعفر المنصور حيث استمر من مستشاري الخليفة ورجالات الدولة، وكان له دور رئيسي في تنفيذ عملية إزاحة عيسى بن موسى بن عليّ بن عبد اللّه بن العباس من ولاية العهد والبيعة للمهدي بن أبي جعفر المنصور بولاية العهد. وقد جاء في تاريخ الطبري أنه:

«قال أبو نُخيلة الشاعر.. قال لي عبد اللّه بن الربيع الحارثي: يا أبا نُخيلة إن أمير المؤمنين يُرشحُ ابنه محمد المهدي للخلافة والعهد وهو على تقدمته بين يدي عيسى بن موسى فلو قُلتَ شيئاً نَحُثّه على ذلك وتذكر فضل المهدي».

فاستجاب أبو نخيلة لعبد اللّه بن الربيع وقال قصيدتين ذكرهما الطبري منها قصيدة أولها:

إلى أمير المؤمنين فاعمدي ... سيري إلى بحر البحور المُزبد

وقصيدة ثانية منها قوله:

أسْنِد إلى محمد عصاكا ... فابنُك ما استرعيته كفاكا

وتمت البيعة لمحمد المهدي بن أبي جعفر المنصور بولاية العهد سنة١٤٧هـ.

ولم يزل عبد اللّه بن الربيع من مستشاري المنصور ورجالات الدولة. وكان معه لما استخلف ابنه المهدي وأوصاه وهو سائر لأداء فريضة الحج سنة١٥٨هـ حيث جاء في هامش قرة العيون أنه: «قال عبد اللّه بن الربيع الحارثي: سمعت المنصور يقول للمهدي لما ودعه عند خروجه إلى مكة: إنِّي تركت الناس ثلاثة أصناف، فقير لا يرجو إلا غناك وخائف لا يرجو إلا أمنك ومسجون لا يرجو الفرج إلا منك، فإذا وُلِّيت فأذقهم طعم الرفاهية ولا تمدّ لهم كل المدّ. فمِن أول أعمال المهدي لما وُلّي الخلافة [سنة١٥٨ ـ ١٦٩هـ] أنه أمر بإطلاق المسجونين وأمر لهم بِصِلاتِ وردّ المظالم إلى أربابها».

وقد مكث عبد اللّه بن الربيع من كبار الشخصيات حتى وفاته، وتولّى ابنه الربيع بن عبد اللّه بن الربيع ولاية اليمن في خلافة الهادي بن المهدي (١٦٩ ـ ١٧٠هـ) ثم في خلافة الرشيد بن المهدي ما بين ١٧٤ و١٧٩هـ. ومات حوالي سنة١٨٢هـ.

الهيثم بن معاوية العتكي.. والي مكة (١٤١ ـ ١٤٣هـ) ثم والي البصرة(١٥٥ ـ ١٥٦هـ)

هو الأمير الهيثم بن معاوية العتكي الأزدي اليماني. كان الهيثم من رجالات الجيش العربي بولاية خراسان عند ظهور الدعوة العباسية حيث انضوى في الدعوة العباسية سبعون رجلاً، كان سبعة منهم من القوة العربية المرابطة في منطقة أبيورد بخراسان. قال صاحب أخبار الدولة العباسية: «ومنهم من أهل أبيورد سبعة رجال: عثمان بن نهيك العكّي، أبو العباس الفضل بن سليمان الطائي، عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، يزيد بن عبد الرحمن الأزدي، أبو الخطاب الهيثم بن معاوية العتكي، زهير بن محمد الأزدي»[1]. وجميعهم من اليمانية.

ثم كان الهيثم وإياهم من قادة ورجالات جيش الدعوة العباسية الذي دخل العراق بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي في شهر محرم ١٣٢هـ. وسار كوكبة من القادة بجنودهم إلى البصرة مدداً لسفيان بن معاوية المهلّبي ورَوْح بن حاتم المهلّبيّ لما ثارا بالبصرة وأظهرا الدعوة العباسية ـ في صفر ١٣٢هـ ـ وكان من أولئك القادة: أبو مالك أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي، وغيلان بن عبد اللّه الخزاعي، والهيثم بن معاوية العتكي، ولَمَّا ظهر أبو العباس السفاح وبويع ـ في ربيع الثاني سنة١٣٢هـ ـ ولّى سفيان بن معاوية المهلّبي على البصرة، واستقر الهيثم بالبصرة وتولّى بعض الأعمال الإدارية والمالية.

نبأ ولاية الهيثم لمكة المكرمة (١٤١ ـ ١٤٣هـ):

وفي سنة١٤١هـ ولّى الخليفة أبو جعفر المنصور الهيثم بن معاوية العتكي أميراً على مكة المكرمة والمناطق التابعة لها من الحجاز. حيث قال الطبري وابن الأثير: «استعمل أبو جعفر المنصور على مكة والطائف الهيثم بن معاوية العتكي فقَدِمها في رجب سنة١٤١هـ».

قال الطبري: «وحج بالناس في هذه السنة ـ سنة١٤١هـ ـ صالح بن عليّ بن عبد اللّه بن عباس.. وعلى المدينة محمد بن خالد القسري، وعلى مكة والطائف

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٢١٨.

الهيثم بن معاوية. . ، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية المهلّبي»[١] وكذلك كان الوالي على اليمن عبد اللّه بن الربيع الحارثي، وعلى خراسان عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي.

واستمر الهيثم والياً لمكة سنة١٤٢هـ. قال الطبري: «وحج بالناس سنة١٤٢هـ إسماعيل بن عليّ ـ عم أبي جعفر المنصور ـ وكان العامل على المدينة محمد بن خالد القسري، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية، وعلى الكوفة عيسى بن موسى، وعلى البصرة سفيان بن معاوية المهلّبي، وعلى مصر حُميد بن قحطبة»[١]. وكذلك كان الوالي على اليمن عبد اللّه بن الربيع الحارثي، وعلى السند عمر بن حَفْص المهلّبي الأزدي.

وفي سنة١٤٣هـ تبيّن أن إبراهيم بن عبد اللّه بن حسن العلوي كان بمكة وسار منها مع قافلة حجاج إلى البصرة يدعو إلى أخيه محمد، ثم مضى من البصرة إلى فارس وغيرها. ولَمَّا اتضح أن إبراهيم كان بمكة وسار منها في عشرة رجال إلى البصرة، قام أبو جعفر المنصور بعزل الهيثم عن ولاية مكة. قال الطبري: «في سنة١٤٣هـ عُزِل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف، ووُلِّي ما كان إليه السريّ بن عبد اللّه بن الحارث بن العباس» [ص ١٧٩ جـ ٩] فعاد الهيثم إلى البصرة وتولّى بها أعمالاً إدارية ومالية ـ غالباً ـ إلى سنة١٥٤هـ.

نبأ ولاية الهيثم للبصرة (١٥٥ ـ ١٥٦هـ):

ثم أصبح الهيثم بن معاوية العتكي والياً لولاية البصرة سنة١٥٥هـ. قال الأصفهاني في كتاب الأغاني:

«قال بشار بن برد: دخلت على الهيثم بن معاوية وهو أمير البصرة فأنشدته:

إنّ السلام أيُّها الأميرُ عليكَ والرحمةُ والسرورُ

فسمعتُه يقول: إن هذا الأعمى لا يدعنا أو يأخذ من دراهمنا شيئاً، فطمعتُ فيه، فما برحتُ حتى أعطاني، فانصرفت»[٢]. والبيت المذكور مطلع قصيدة مدح بها بشار الأمير الهيثم.

وقال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «في سنة١٥٥هـ ولّى أبو جعفر المنصور على البصرة الهيثم بن معاوية العتكي، وأمره ببناءِ سور لها يُطيف بها،

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٧٧ و١٧٩ جـ ٩.

(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٢٣ جـ ٣.

وأن يُخندق عليها من دون السور من أموال أهلها، ففعل ذلك»[١] .

وقد فرض الهيثم على كل فرد بالبصرة خمسة دراهم لبناء السور، ثم قام بتشييد سور يطيف بمدينة البصرة كلها، وجعل دون السور خندقاً، فكان ذلك ـ فيما نعلم ـ أول عمل عمراني يتم تمويله من الأهالي وليس من بيت مال الدولة.

وكان إقليم فارس (جنوب إيران) تابعاً لولاية البصرة. قال الطبري: «وفي سنة١٥٦هـ ظفر الهيثم بن معاوية عامل البصرة بعمرو بن شداد عامل فارس.. قال محمد بن معروف: ضرب عمرو بن شداد خادماً له، فأتى عامل البصرة فدَلَّ عليه فأخذه فقتله وصلبه في المربد، وكان عمرو بن شداد مولى لبني جُمح. وقال بعضهم: ظفر به الهيثم وخرج يريد مدينة السلام، فنزل بقصر له [قصر للهيثم] على شاطىء نهر معقل، فأقْبَلَ رسول من عند أبي جعفر المنصور ومعه كتاب إلى الهيثم بدفع عمرو بن شداد إليه، فدفعه الهيثم إليه، فأقدمه البصرة فخلا به يسائله فلم يظفر منه بشيء يُحبُّ علمه فضرب عنقه، وصلبه في مربد البصرة»[١] وسار الهيثم إلى أبي جعفر المنصور بمدينة السلام ـ بغداد ـ وطلب منه أن يعفيه من ولاية البصرة فأعفاه وعزله عنها.

قال الطبري: «وفي سنة١٥٦هـ توفي الهيثم بن معاوية العتكي فجأة بمدينة السلام، فصلَّى عليه أبو جعفر المنصور، ودُفن في مقابر بني هاشم»[١] . وهي مقابر أسرة الخلفاء العباسيين وكبار رجال الدولة ببغداد في ذلك الزمان.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٨٥ و٢٨٧ جـ ٩.

الولاة اليمانيون لأقاليم العراق ومشارقها في العصر العباسي ومعالم تاريخهم

١

سفيان بن معاوية المُهلّبي والي البصرة
(١٣٢ ـ ١٣٣هـ/ ١٣٩ ـ ١٤٥هـ)

هو الأمير سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب بن أبي صُفرة الأزدي، أول أمير لولاية البصرة في العصر العباسي (سنة١٣٢ ـ ١٣٣هـ) ثم في خلافة أبي جعفر المنصور (سنة١٣٩ ـ ١٤٥هـ) وكانت ولاية البصرة تشمل منطقة البصرة وأعمالها بالعراق ومنطقة الأهواز وما جاورها (غربي إيران) ومنطقة البحرين (الخليج العربي).

ونذكر هنا ما يلي:

نبأ معاوية بن يزيد بن المهلَّب. . والد سفيان:

لقد كان آل المهلَّب من أبرز الولاة الأمراء في العصر الأموي منذ سنة٤٤هـ ـ في خلافة معاوية ـ إلى عهد ولاية يزيد بن المهلَّب للعراق والمشرقين في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان سنة٩٦ ـ ٩٩هـ. وكان معاوية بن يزيد بن المهلَّب من أمراء ذلك العهد، فقد تولَّى إقليم سِجستان (في شرق إيران وجنوب أفغانستان حالياً) ثم تولَّى إقليم سمرقند وبُخارى (جمهورية أوزبكستان حالياً). قال البلاذري: «ولَّى سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلَّب العراق، فولَّى يزيد مَدْرَك بن المهلَّب أخاه سجستان فلم يعطه رتبيل شيئاً ـ [من الأتاوة والجزية]ـ ثم ولَّى معاوية بن يزيد فَرَضَخ له رتبيل»[1].

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٣٩٢.

وفي أواسط سنة٩٧هـ سار الأمير يزيد بن المهلَّب إلى خراسان لفتح بلاد جُرجان ودهستان. قال الطبري: «واستخلف يزيد بن المهلَّب على خراسان مَخْلَد بن يزيد، وعلى سمرقند وبُخارى ابنه معاوية بن يزيد، وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلَّب»(١) ثم انتهت ولاية آل المهلَّب بعد وفاة سليمان بن عبد الملك سنة٩٩هـ ـ وعادوا إلى البصرة.

وفي أواسط سنة١٠١هـ تولَّى الخلافة يزيد بن عبد الملك وكان سيىء السيرة وناقماً على آل المهلَّب، فثار يزيد بن المهلَّب وبويع في البصرة بالخلافة وانضوت تحت لوائه أقاليم كثيرة، فبعث يزيد بن عبد الملك إليه جيشاً كثيفاً من الشام بقيادة مَسْلَمة بن عبد الملك في أوائل سنة١٠١هـ، وكان يزيد بن المهلِّب بمدينة واسط فاستخلف عليها ابنه معاوية بن يزيد، والتقى يزيد بن المهلَّب بجيش يزيد بن عبد الملك في موقعة العَقْر حيث قاتل يزيد بن المهلِّب حتى قُتِل في قلب المعركة في صفر سنة١٠٢هـ، وقام نائب مسلمة بن عبد الملك على الكوفة ـ محمد بن عمرو بن الوليد ـ بضرب أعناق ثلاثين أسيراً من أصحاب يزيد بن المهلِّب. قال الطبري: «ولَمَّا جاءت هزيمة يزيد إلى واسط أخرج معاوية بن يزيد بن المهلَّب اثنين وثلاثين أسيراً كانوا بيده.. منهم عدي بن أرطأة الفزاري وابنه عَدِي، ومالك وعبد الملك ابنا مَسْمع.. فقتل معاوية بن يزيد الأسارى كلهم غير ربيع بن زياد بن الربيع بن أنس بن الرقان.. فقال ثابت قُطنة الأزدي:

مَا سَرَّنـي قَـتْـلُ الـفَـزَارِيِّ وابـنـه ... عَدِيٌّ ولا أَحْبَبْتُ قَتلَ ابن مِسْمَع

ولـكـنّـهـا كـانَـتْ مُـعَـاوِيَ زِلَّـةٌ ... وضَعْتَ بها أمري على غيرِ مَوضعِ»(٢)

وكان الذين قتلهم معاوية بن يزيد ستة فقط، وبلغه أن مسلمة بن عبد الملك وعامله بالكوفة أوقفا قتل بقية الأسرى الذين عندهم، فأوقف معاوية بن يزيد قتل الأسرى الذين بيده في واسط، وانسحب إلى البصرة. وكان المفضل بن المهلِّب وفلول قادة وأصحاب يزيد بن المهلِّب قد لحقوا بالبصرة. قال الطبري: «..وكان معاوية بن يزيد بن المهلَّب حين قَدِم البصرة ومعه الخزائن وبيت المال، كأنّه أراد أن يَتَأمَّرَ عليهم، فاجتمع آل المهلَّب وقالوا للمفضل: أنت أكبرنا وسيدنا، وإنما أنت غلام حدث السن كبعض فتيان أهلك، فأمَّروا المفضل»(٢).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٢١ جـ ٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٥٧ و١٥٨ جـ ٢.

وسار المفضل بآل المهلَّب من البصرة إلى قندابيل بولاية السند، فأقامت جماعة منهم بقندابيل (حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً) ثم (خرجوا إلى كرمان وبكرمان فلولٌ كثيرة فاجتمعوا إلى المفضل.. وبعث مَسْلَمة بن عبد الملك مُدْرِك بن ضب الكلبي في جيش لطلب آل المهلَّب والفلول، فأدرك المفضل بن المهلَّب وقد اجتمعت إليه الفلول بفارس فعطفوا عليه فقاتلوه واشتد قتالهم إياه، فقُتِل مع المفضل بن المهلَّب النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ومحمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكندي.. ورجع بعض أصحاب يزيد بن المهلَّب فطلبوا الأمان فأُمِّنُوا.. ومضى آل المهلَّب ومن سقط منهم من الفلول حتى انتهوا إلى قَنْدابيل» ـ وكان مَسْلَمة بن عبد الملك يريد القضاء عليهم، فقام بتغيير القائد مدرك الكلبي ـ لأنه يماني وسيعطيهم الأمان ـ وبعث قائداً من تميم. قال الطبري: «بعث مَسْلَمة بن عبد الملك إلى مُدرك بن ضب الكلبيّ فردّه، وسَرّح في أثر آل المهلَّب والفلول بقندابيل هلال بن أحوز التميمي.. فأتى قَنْدابيل، وكاتَبَ ودَاعَ بن حُميد، ولم يُباين وداعُ آل المهلَّب ويُفارقهم، ثم تبيَّن لهم فراقه لَمَّا التقوا وصفّوا، كان وَدَاعُ بن حُميد على ميمنة آل المهلَّب وعبد الملك بن هلال على الميسرة وكلاهما أزديّ، فرفع لهم هلال بن أحوز راية أمان فمال إليه وداع بن حميد وعبد الملك بن هلال، وارْفَضَّ الناس عن آل المهلَّب، فَلَمَّا رأى ذلك آل المهلَّب مشوا بأسيافهم فقاتلوا حتى قُتلوا من عند آخرهم..»[1] قال البلاذري: «فَقُتِل بقندابيل مَدْرَك وعبد الملك وزياد ومعاوية ومروان بني المهلَّب، ومعاوية بن يزيد بن المهلَّب في آخرين»[2]. وبذلك انتهت حياة معاوية بن يزيد بن المهلَّب والذين معه في أواسط سنة١٠٢هـ وانتهى الزمن الذهبي لآل المهلَّب في العصر الأموي. قال ابن خلدون: «ولحق المنهال بن أبي عيينة بن المهلَّب، وعمر بن يزيد بن المهلَّب، وعثمان بن المفضل برتبيل ملك الترك، وأقام عمر وعثمان عند رتبيل حتى أمّنهما أسد بن عبد اللّه القسري وقدما عليه بخراسان» وترعرع وعاش في البصرة جيل من آل المهلَّب كانت لهم مكانتهم الاجتماعية في ولاية خالد بن عبد اللّه القسري للعراق (١٠٥ ـ ١٢٠هـ) وكان منهم: سليمان بن حبيب بن المهلَّب، عبد الرحمن بن يزيد بن المهلَّب، داود ويزيد ورَوْح بنو حاتم بن قبيصة بن المهلَّب، سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهّلب.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٥٧ و١٥٨ جـ ٢.

(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٤٢٩.

انضواء سفيان وآل المهلَّب في الدعوة العباسية وثورته بالبصرة:

حين أخفقت ثورة يزيد بن المهلَّب وسقط أغلب رجالات آل المهلَّب سنة١٠٢هـ قال جرير الشاعر:

آل المُهلّب جزّ اللّهُ دابرهم   أمسوا رماداً فلا أصْلٌ ولا طرفُ

ولكن آل المهلَّب ما لبث أن عادوا إلى الميدان وكانوا من قادة حركات المعارضة التي اندلعت ضد الخليفة الأموي مروان بن محمد لَمَّا تولَّى الخلافة وأظهر العصبية سنة١٢٧هـ، فقد سيطر سليمان بن حبيب بن المهلَّب على إقليم الأهواز ومعه داود بن حاتم بن قبيصة بن المهلَّب، وكان عبد الرحمن بن يزيد بن المهلَّب من قادة حركة عبد اللّه بن معاوية الجعفري بفارس، ولَمَّا استتب الأمر لمروان بن محمد في الشام والجزيرة بعث جيشاً كثيفاً إلى العراق ومشارقها وولَّى عليها يزيد بن هبيرة الفزاريّ ـ سنة١٢٩هـ ـ قال صاحب أخبار الدولة: «وجّه مروان بن محمد الجنود إلى العراق وهي منتقضة عليه وقد خالف سليمان بن حبيب بن المهلَّب بالأهواز..»[1] قال الطبري: «ووجّه ابنُ هبيرة ـ أمير العراق ـ نباتة بن حنظلة إلى سليمان بن حبيب بن المهلَّب وهو على كور الأهواز، فبعث إليه سليمانُ داودَ بن حاتم بن قَبِيصة بن المهلَّب، فالتقوا بالمريان على شاطىء دجيل فانهزم الناس وقُتل داود بن حاتم.. وسار سليمان حتى لحق بابن معاوية الجعفري بفارس»[2] ثم «..انهزم ابن معاوية الجعفري، ولحق منصور بن جمهور بالسند وعبد الرحمن بن يزيد بن المهلَّب بعمان»[2].

أما آل المهلَّب الذين بالبصرة، وكان أبرزهم سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب ورَوْح بن حاتم المهلَّبي، فأظهروا الطاعة للخليفة مروان بن محمد وأمير العراق ابن هُبيرة كسائر الذين بالبصرة والعراق ومشارقها. وبالرغم من عدم مخالفة آل المهلَّب الذين بالبصرة، فإن مروان بن محمد كان قد أمّر ابن هبيرة بالفتك بهم لما ولّاه العراق سنة١٢٩هـ وهو ما تدل عليه رسالة كتبها مروان إلى ابن هبيرة ـ في ذي القعدة سنة١٣١هـ ـ ينتقده فيها على عدة أمور يهمنا منها هنا قول مروان في رسالته إلى ابن هبيرة ما يلي نصه:

«أما بعد، فإن أمير المؤمنين ولّاك العراق لِمَا أمّلَ من كفايتك، فأخلفت ظنه في أمور، منها: إبطاؤك عَمّن استصرخك من أهل طاعته بخراسان حتى وهَنَت

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٢٥١ و٣٦٠.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٨٠ و٩٤ جـ ٨.

قوتهم، وقَوىٰ عدوهم عليهم.. ومنها: إغمادك السيف عن آل المهلَّب المربضين للفتن ألّا تكون سفكت دماءهم وأبحت حريمهم»[(١)].

وقد أجاب ابن هبيرة على مروان برسالة طويلة قال فيها بشأن آل المهلَّب ما يلي نصه: «أما إغمادي السيف عن آل المهلَّب فإنّي رأيتهم من اليمن بمكان فكرهتُ لذلك هيّجهم ولم آمن إن فعلتُ أن ينابذني أهل العراق منهم ومَنْ معي من أهل الشام فتألّفتُهم وتربَّصتُ بهم»[(١)].

فقد خشي ابن هبيرة أن يتعرض بالغدر والقتل لآل المهلَّب لأنهم «مِن اليمن بمكان» إذْ أنهم زعماء اليمانيين بالبصرة ومنطقة الخليج ولهم في اليمن مكانة عالية، فلم يأمن أن ينابذه اليمنيون من جند العراق ومن جند الشام إذا تعرض لآل المهلَّب بالغدر والقتل ـ وهم على الطاعة ـ قال: «فتألّفتُهم وتربَّصتُ بهم». فهو لا يزال يتربص فرصة للفتك بهم حتى وقت تلك الرسالة في ذي القعدة سنة١٣١هـ والمقصود الذين بالبصرة من آل المهلَّب وكان على رأسهم سفيان بن معاوية المهلَّبي ورَوْح بن حاتم المهلَّبي.

وكان آل المهلَّب الذين لحقوا بخُراسان ـ عند القضاء على حركة سليمان بن حبيب بالأهواز سنة ١٢٩هـ ـ قد انضووا في الدعوة العباسية، فَلَمَّا انطلق قحطبة بن شبيب الطائي بجيش الدعوة العباسية من خُراسان إلى إقليم جُرجان سنة١٣٠هـ كان من قادة جيشه يزيد بن حاتم المهلَّبي وعمر بن حَفْص المهلَّبي فهزم الجيش المرواني وقتل قائده نباتة بن حنظلة بجُرجان في ذي الحجة سنة١٣٠هـ ثم دخل قحطبة إقليم الرَّي ـ في محرم ١٣١هـ ـ قال صاحب أخبار الدولة: «وسار أبو مسلم من مرو، وكان على مقدمة جيشه العلاء بن حريث الخزاعي، فَلَمَّا قَدِم سَرَخْس استعمل العلاء بن حريث عليها، وجعل أبو مسلم على مقدمته أبا سعيد بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب، فقَدِم أبو مسلم نيسابور في صفر سنة١٣١هـ ثم قفل إلى مرو» [ص ٣٣٧] ـ وكان عمر بن حفص من قادة جيش قحطبة في انتصار أصبهان ـ في رجب ١٣١هـ ـ بينما كان ليزيد بن حاتم المهلَّبي دوراً رئيسياً في سقوط نهاوند بيد قحطبة في ذي القعدة ١٣١هـ، وعندئذٍ كتب مروان رسالته سالفة الذكر إلى ابن هبيرة فأجاب عليه بالرسالة التي ذكر فيها أنه يتربص بآل المهلَّب.

آنذاك كان سفيان بن معاوية المهلَّبي ورَوْح بن حاتم قد انضويا في الدعوة

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٢٥١ و٣٦٠.

العباسية، وكان قحطبة الطائي يتهيأ للزحف إلى العراق ودخل منطقة حُلوان في ذي الحجة سنة١٣١هـ حيث جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية ما يلي نصه:

«كَاتَبَ قَحْطبةُ الناس يدعوهم، وكتب إلى سفيان بن معاوية ورَوْح بن حاتم المهلَّبيّين بالبصرة.. وبعث بكتابه إلى سفيان ورَوْح مع رجل من أصحاب يزيد بن حاتم، فسوّدا وخرجا بالبصرة، ومتولّي البصرة يومئذٍ سَلْم بن قتيبة الباهلي، فبذل لهما مالاً كثيراً على ألّا يخالفا، فأبيا، فخرج إليهما سَلْم، وقد اجتمع إليهما جمعٌ، وسَلْمُ في قوة، فهُزم سفيان وروح، وقُتِل معاوية بن سفيان بن معاوية، وخرج رَوْح إلى دست ميسان مُظهراً للسّواد، ولم يزل هنالك حتى قَدِم مالك بن الهيثم فأتاه هو وسفيان فأكرمهما وعظمهما»[1].

ويتبيَّن من ذلك أن سفيان بن معاوية وروح بن حاتم ثارا بالبصرة وأظهرا السّواد ـ شعار الدعوة العباسية ـ لَمَّا كتب إليهما قحطبة بن شبيب الطائي في ذي الحجة سنة١٣١هـ وكان سَلم بن قتيبة أمير البصرة عاملاً لابن هُبيرة أمير العراق، فحاربهما بالجيش الذي بالبصرة وكان ذلك قبل الحرب بين قحطبة وابن هبيرة حيث وقعت معركة قُتِل فيها معاوية بن سفيان بن معاوية. وقد ذكر الطبري رواية خلطت بين تلك المعركة وبين معركة لاحقة بقوله أنه: «..ومضى معاوية بن سفيان بن معاوية في ربيعة خاصة، فلقيته تميم في سكة المربد فطعن رجل منهم فرس معاوية فشب به فصرعه ونزل إليه رجل من بني ضبّة فقتله وحمل رأسه إلى سلم بن قتيبة فأعطاه ألف درهم، فانكسر سفيان لقتل ابنه فانهزم ومن معه وخرج من فوره هو وأهل بيته حتى أتى القصر الأبيض..» ـ (اهـ) بينما سلف ذكر ما جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية أن مقتل معاوية بن سفيان كان في الوقعة الأولى عندما كتب قحطبة إلى سفيان ورَوْح في ذي الحجة ١٣١هـ فتغلَّب عليهما أمير البصرة فانسحبا إلى دست ميسان وهي منطقة الأبلة من نواحي البصرة فأظهرا السواد ـ بمعنى استمرا في الثورة ـ وجاء في رواية الطبري عن وقعة صفر ١٣٢هـ أنه «قَدِم على سَلْم بعد غلبته على البصرة جابر بن توبة الكلابي والوليد بن عتبة في أربعة آلاف رجل كتب إليهم ابن هبيرة أن يصيروا مدداً لسَلْم وهُم بالأهواز، فغدا جابر بمن معه على دور آل المهلَّب وسائر الأزد فأغاروا عليهم، فقاتلهم من بقي من رجال الأزد قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى فيهم فانهزموا..» (اهـ) ـ ويتبيَّن من قدوم ذلك المدد لسلم بن قتيبة لما كتب إليهم ابن هُبيرة أن ذلك إنما كان في أوائل شهر محرم قبل انهزام ابن هبيرة وجيشه بموقعة

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق عبد العزيز الدوري ـ ص ٣٥٦.

الفرات على يد قحطبة الطائي وجيشه في ٨ محرم ١٣٢هـ بينما ثار محمد بن خالد القسري بالكوفة وسيطر عليها، ومات قحطبة، وتولّى القيادة العامة الحسن بن قحطبة ودخل الكوفة مع الجيش في ١٣ محرم، وتم توزير أبي سلمة الخلّال، وتوجّه الحسن بن قحطبة بفرقة من الجيش وحاصر ابن هبيرة وفلول جيشه بمدينة واسط.

قال الطبري: «. . وكتب أبو سَلَمَة مع حَفْص بن السبيع إلى سفيان بن معاوية بعهده على البصرة وأمره أن يُظهر بها دعوة بني العباس ويدعو إلى القائم منهم. وكان سَلْم بن قتيبة الباهلي بالبصرة وهو يومئذٍ عامل ابن هُبيرة. فكتب سفيان إلى سَلْم يأمره بالتحول عن دار الإمارة ويخبره بما أتاه من أبي سَلَمَة. فأبىٰ سَلْم بن قتيبة ذلك وامتنع منه. وحشد مع سفيان جميع اليمانية وحلفاءهم من ربيعة وغيرهم، وجنح إليه قائد من قواد ابن هبيرة كان بعثه مدداً لسَلْم في ألفيْ رجل من كلب، فأجمع سفيان على السير (من دست ميسان) ـ إلى سلم بن قتيبة، فاستعد له سَلْم وحشد معه من قدر عليه من قيس وأحياءِ مُضر ومن كان بالبصرة من بني أُمية ومواليهم ـ وجنودهم ـ. فقَدِم سفيان البصرة يوم الخميس في شهر صفر، فأتى سَلْمُ المربد فوقف منه عند سوق الإبل ووجّه الخيول في سكة المربد وسائر سكك البصرة للقاء من وجّه إليه سفيان». [ص ١٢٢ جـ ٩] ثم وقع خلط في بقية رواية الطبري بين هذه الواقعة وبين الواقعة الأولى التي قُتل فيها معاوية بن سفيان بن معاوية كما سلف التبيين. ففي صفر ١٣٢هـ كان سفيان والذين معه بمنطقة القصر الأبيض ومنطقة كسكر بالبصرة يحاربون سلم بن قتيبة وهو داخل البصرة، وكان الحسن بن قحطبة في واسط. قال الطبري: «وكتب أبو سلمة إلى الحسن بن قحطبة أن يوجّه إلى سلم بن قتيبة من أحبّ من قوّاده» [ص ١٢٢] ـ وقد وجّه الحسن بن قحطبة إلى البصرة في شهر ربيع كوكبة من القادة فيهم أبو مالك أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي، فسار بجنوده، فغادر سَلْم بن قتيبة البصرة، ودخل أبو مالك الخزاعي البصرة وأتاه سفيان بن معاوية وروح بن حاتم فأكرمهما وعظمهما. قال الطبري: «قدِم البصرة أبو مالك أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي فوليها خمسة أيام فلَمَّا قام أبو العباس السفاح ولّاها سفيان بن معاوية المهلّبي» [ص ١٢٢/٨].

* * *

الولاية الأولى لسفيان المهلّبي على البصرة (١٣٢ ـ ١٣٣هـ):

كان سفيان بن معاوية المهلّبيّ ـ وهو سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب ـ أول ولاة البصرة في عصر الخلفاء العباسيين، إذ أنه «لَمَّا قام أبو العباس السفاح ولّى على البصرة سفيان بن معاوية المهلّبي» وكان قيام أبي العباس في ١٣ ربيع

الثاني ١٣٢هـ فكتب إلى سفيان بولايته على البصرة فتولّاها واستقر في دار الإمارة منذ حوالي ١٥ ربيع الثاني ١٣٢هـ وولّى سفيان على القضاء بالبصرة الحجاج بن أرطأة النخعي المذحجيّ اليماني وهو أول قاضٍ للبصرة في العصر العباسي.

قال الطبري في ختام أحداث سنة١٣٢هـ: «كان العامل على البصرة سنة١٣٢هـ سفيان بن معاوية المهلّبيّ وعلى قضائها الحجاج بن أرطأة النخعي. وعلى فارس محمد بن الأشعث ـ الخزاعيّ ـ، وعلى السند منصور بن جمهور الكلبيّ ـ وعلى الشام عبد اللّه بن عليّ، وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد ـ الأزدي ـ»[١].

ومكث سفيان والياً للبصرة سنة واحدة إلى شهر ربيع ١٣٣هـ حيث «استعمل أبو العباس عمه سليمان بن عليّ على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين ومهرجا نقذف، واستعمل عمه إسماعيل بن عليّ على الأهواز»[١].

الولاية الثانية لسفيان المهلّبيّ على البصرة (١٣٩ ـ ١٤٥هـ):

وفي رمضان سنة١٣٩هـ بدأت الولاية الثانية لسفيان بن معاوية المهلّبيّ على ولاية البصرة حيث كما جاء في تاريخ الطبري: «في سنة١٣٩هـ عزل أبو جعفر المنصور عمه سليمان بن عليّ عن ولاية البصرة وما كان إليه من أعمالها، وولّى سفيان بن معاوية المهلّبيّ ما كان إلى سليمان من البصرة وأعمالها.. وذلك يوم الأربعاء للنصف من شهر رمضان»[١].

وقد استمرت ولاية سفيان للبصرة والأقاليم التابعة لها ست سنين (١٣٩ ـ ١٤٥هـ) كان الغالب عليها الاستقرار والهدوء. وعاد نجم آل المهلّب إلى الشروق في سماء الولاة والأمراء والقادة لكفاءتهم العالية التي أشار إليها د. فاروق عمر حيث قال: «إن الأحداث الفاصلة التي وقعت في القرن الثاني الهجري تشهد على الأهمية الكبرى والدور الفاصل الذي قام به العرب.. ولذلك كان قادة الجيش ـ العباسي ـ من العرب، وفيما عدا المناصب العسكرية احتلّ العرب المناصب الإدارية والسياسية الحساسة والعالية، وتحفل المصادر بأسماء الولاة العرب الذين أثبتوا كفاية عالية في الإدارة مثل آل قحطبة وآل المهلّب..»[٢].

فبينما كان سفيان المهلّبيّ والياً للبصرة (١٣٩ ـ ١٤٥هـ) كان يزيد بن حاتم المهلّبيّ والياً للأهواز (١٣٨ ـ ١٤٢هـ) وكان عمر بن حفص المهلّبيّ والياً للسند

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٤٧ و١٧٢ جـ ٩.

(٢) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٧٦.

(١٤٢ ـ ١٥١هـ) وكان رَوْح بن حاتم من كبار القادة بمشارق العراق وطبرستان، ثم أصبح يزيد بن حاتم والياً لمصر (١٤٣ ـ ١٥٢هـ) وتعاقب الولاة من آل المهلَّب في المشرق والمغرب.

وكانت ابنة سفيان بن معاوية المهلَّبيّ امرأة عبد اللّه بن الربيع الحارثي والي اليمن (١٣٨ ـ ١٤٢هـ) وفي عهد ولاية سفيان ـ تقريباً ـ سار من صنعاء إلى البصرة عبّاد بن محمد الشهابي الصنعاني فنزل عند آل المهلَّب بالبصرة، وكذلك سار من صنعاء في زمن لاحق عبّاد بن الغمر الشهابي.. قال الهمداني في الإكليل: «نزل عبّاد بن الغمر على الأزد ثم منهم في المهالبة.. وكذلك نزل عليهم عبّاد بن محمد ـ[دون غيرهم] ـ من يمانية البصرة لقرابتهم من الأزد.. وكان مع عبّاد بن الغمر بعض بنيه، وكان عبّاد وأولاده من أحسن العرب فروسية، وكانت المهالبة تباهي أهل البصرة جميعاً بهم، وكذلك بعبّاد بن محمد وبابنه روق بن عبّاد، وكانا من أفرس العرب»[(١)].

وكان لآل المهلَّب بالبصرة أراضٍ وضياع شاسعة ذات أنهار، وقد ذكر البلاذري أن منها: «الحاتمية: لحاتم بن قبيصة بن المهلَّب. ومهلَّبان: كانت للمغيرة بن المهلَّب وفيها نهر ثم صارت لآل سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب».

وفي رمضان سنة١٤٥هـ خرج بالبصرة إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن العلوي بالدعوة العلوية الشيعية، وأطاعته جموع كثيرة من شيعة الأهواز والعراق فسيطروا على البصرة إلى أن بعث أبو جعفر المنصور ولي عهده عيسى بن موسى وحميد بن قحطبة الطائي فهزمهم وسقط إبراهيم قتيلاً في ٢٥ ذي القعدة سنة١٤٥هـ. وقد بالغت بعض الروايات في أخبار تلك الفتنة، وفيها ـ وبسببها ـ عزل أبو جعفر المنصور سفيان بن معاوية المهلَّبيّ وانتهت ولايته للبصرة في رمضان ـ أو في ذي القعدة ـ سنة١٤٥هـ.

ونختتم الحديث عنه بخبر طريف، فقد ذكر الأصفهاني أنه: «تزوَّج سعيد بن عبّاد بن حبيب بن المهلَّب ابنة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب، وقد كان تزوَّجها قبله رجلان فدفنتهما، فكتب إليه أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلَّب:

رأيت أثاثها فرغبتَ فيه وكم نصبت لغيرك بالأثاث

---

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ٤٧٤ جـ ١.

إلـى دار الـمـنـون فـجـهـزتـهـم تـحـثـهـم بـأربـعـة حـثـاث
فـصـيّـر أمـرهـا بـيـدي أبـيـهـا وعـيشـك من حـبـالـك بـالـثـلاث
وإلّا فـالـسـلام عـلـيـك مـنـي سـأبـدأ من غـدٍ لـك بـالـمـراثـي»[1]

* * *

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٥ جـ ٨.

٢

يزيد بن منصور الحِمْيَري.. أمير البصرة (١٥٢ ـ ١٥٣هـ) والهيثم بن معاوية العتكي.. أمير البصرة (١٥٥ ـ ١٥٦هـ)

هو الأمير اليماني يزيد بن منصور بن عبد اللّه بن يزيد ذي سهم بن شهر ذي سرح بن مثوب بن ذي رُعَيْن الحميريّ سليل الملك شمّر ذي الجناح مِنْ ملوك اليمن الحميريين التبابعة الأوائل.

قال بامطرف في ترجمته بكتاب الجامع: «يزيد بن منصور بن عبد اللّه بن يزيد بن شهر بن مثوب الجناحي الحميري، أبو خالد: والٍ، وهو خال المهدي العباسي. كان مقدماً في دولة بني العباس. وُلّي للمنصور البصرة سنة١٥٢هـ. .»[1].

كان يزيد بن منصور من مستشاري الخليفة أبي جعفر المنصور، وكان قد انتقل من اليمن إلى البصرة واتخذ بها داراً وأموالاً، وهو خال المهدي بن أبي جعفر المنصور. تولّى يزيد بن منصور ولاية البصرة في أوائل سنة١٥٢هـ. قال الطبري: «ثم دخلت سنة١٥٢هـ وفيها ولّى أبو جعفر المنصور على البصرة يزيد بن منصور. .» وقال: «كان العامل على البصرة في هذه السنة ـ سنة١٥٢هـ ـ يزيد بن منصور»[2].

واستمر يزيد بن منصور والياً للبصرة سنة١٥٣هـ. قال الطبري: «وكان على البصرة سنة١٥٣هـ يزيد بن منصور وعلى قضائها سُوَّار بن عبد اللّه»[2].

ثم أصبح يزيد بن منصور والياً لليمن سنة١٥٤ ـ ١٦٠هـ وقد استقصينا أخباره في المبحث الخاص بولايته لليمن، واستقر في أواخر حياته بالبصرة ومات بها سنة١٦٥هـ.

* * *

أما الأمير الهيثم بن معاوية العتكي الأزدي فكان والياً للبصرة سنة١٥٥ ـ ١٥٦هـ وله قال بشار بن برد:

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٦٥٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٨٤ جـ ٩.

إن الـــســـلام أيّـــهـــا الأمـــيـــر   عـــلـــيـــك والـــرحـــمـــة والـــســـرور

وقام الهيثم ببناء سور يطيف بمدينة البصرة سنة١٥٥هـ ومكث والياً للبصرة إلى سنة١٥٦هـ ثم أعفاه أبو جعفر المنصور من ولاية البصرة، ومات فجأة بمدينة السلام سنة١٥٦هـ وصلّى عليه الخليفة أبو جعفر المنصور، وقد ذكرنا أخباره في المبحث الخاص بولايته لمكة المكرمة.

* * *

٣

رَوْح بن حاتم المهلَّبيّ.. أمير السند ثم والي البصرة (١٦٥ـ١٦٨هـ)

هو الأمير رَوْح بن حاتم بن قَبِيصة بن المهلَّب الأزدي اليماني، وهو من كبار الأمراء والولاة في العصر العباسي. تولّى القيادة في الأهواز وجهات فارس بمشارق العراق (١٣٨ ـ ١٤١هـ) ثم في طبرستان بأعالي إيران (١٤٢ ـ ١٤٣هـ) وأصبح والياً لبلاد السند (١٥٩ ـ ١٦١هـ) ثم والياً للبصرة والكوفة (١٦٥ ـ ١٦٨هـ) في خلافة المهدي بن أبي جعفر المنصور، ثم تولّى فلسطين (١٧٠ ـ ١٧١هـ) وأفريقيا الشمالية (١٧١ ـ ١٧٤هـ) في خلافة الرشيد، فهو ـ إذاً ـ من كبار الولاة في العصر العباسي.

قال بامطرف في ترجمته بكتاب الجامع:

«رَوْح بن حاتم بن قبيصة بن المهلَّب الأزدي: أمير، من الأجواد الممدوحين، كان جابياً للمنصور العباسي، وولّاه المهدي بن المنصور السند، ثم نقله إلى البصرة والكوفة. وولّاه هارون الرشيد فلسطين.. وكان موصوفاً بالعلم والشجاعة والحزم»[1].

وأقول: إنه لم يكن جابياً للمنصور فحسب وإنما كان من الأمراء والقادة، وكان هو وسفيان بن معاوية المهلَّبيّ أول من سوّدا وأظهرا الدعوة العباسية في البصرة. حيث جاء في أخبار الدولة العباسية أنه:

«كتب قَحْطبة إلى سفيان بن معاوية ورَوْح بن حاتم المهلَّبيّين بالبصرة، وبعث بكتابه إليهما مع رجل من أصحاب يزيد بن حاتم، فسوّدا وخرجا بالبصرة، وكان مُتولي البصرة يومئذٍ سَلْم بن قتيبة، فبذل لهما مالاً كثيراً على ألّا يخالفا، فأبيا، فخرج إليهما سَلْم، وقد اجتمع إليهما جمعٌ، وسَلْمُ في قوة، فهُزم سفيان ورَوْح، وقُتِل معاوية بن سفيان، فخرج رَوْحُ إلى دست ميسان

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٢١٥.

مظهراً للسّواد، ولم يزل هنالك حتى قَدِم مالك بن الهيثم فأتاه هو وسفيان فأكرمهما وعَظّمهما»[١].

وقد ذكرنا تفاصيل ذلك في المبحث السابق عن سفيان بن معاوية وأن أبا العباس السفاح ولّاه على البصرة، فكان روح بن حاتم من العمال بولاية البصرة.

ولَمَّا تولّى الخلافة أبو جعفر المنصور اندلعت حركة قوية للخوارج بإقليم الأهواز وجهات فارس فبعث أبو جعفر المنصور لقتالهم يزيد بن حاتم المهلَّبيّ فظفر بهم ـ سنة١٣٨هـ ـ وكان معه رَوْح بن حاتم. قال الأصفهاني: «لما انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة وقد ظفر، خلع عليه المنصور وعقد له لواء ـ[الإمارة] ـ على كور الأهواز وسائر ما افتتحه»[٢]. ثم تولّى القيادة وحرب الخوارج بتلك الجهات رَوْح بن حاتم المهلَّبيّ قال أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني: «قال أبو دلامة: أخرجني المنصور في بعث مع رَوْح بن حاتم لقتال الشراة ـ وهُم الخوارج ـ فَلَمَّا التقى الجمعان قُلتُ لرَوْح: أما واللّه لو أن تحتي فرسك ومعي سلاحك لأثرتُ في عدوك اليوم أثراً ترتضيه، فضحك وقال: واللّه العظيم لأدفعنّ ذلك إليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك، ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليّ، ودعا بغيرهما فاستبدل به، فَلَمَّا حصل ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع، قلت له: أيها الأمير هذا مقام العائذ بك وقد قلتُ بيتين فأسمعهما، قال: هات، فأنشدته:

إنّي استجرتُكَ أن أُقَدم في الوغى ... لـتـطـاعـنٍ وتـنـازلٍ وضـرابِ
فـهَـبِ الـسـيـوف رأيتُـهـا مـشـهـورةً ... فـتـركـتُـهـا ومـضـيـتُ لـلـهـرابِ
مـاذا تـقـولُ لـمـا يـجـئ ومـا يـرى ... مـن واردات الـمـوت في الـنـشـابِ

فقال: دع عنك هذا وستعلم. وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة، فقال رَوْح: اخرج إليه يا أبا دلامة، فقلتُ: أنشدك اللّه أيها الأمير في دمي، قال: واللّه لتخرُجنَّ، فقلتُ: أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا وأنا واللّه جائعٌ ما شبعت، فأمر لي برغيفين ودجاجة، فأخذتُ ذلك وبرزت عن الصف، فَلَمَّا رآني الشاري أَقْبَل نحوي، عليه فرو قد أصابه المطر فابتلّ وأصابته الشمس فأنغل، وعيناه تقدان، فأسرع إليّ، فقلت له: أتقتُل من لا يقاتلك؟ قال: لا، قلتُ: أتقتل رجلاً على دينك؟ قال: لا، قلت: إن معي زاداً أحبّ أن آكله معك لتتأكد المودة

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٣٥٦.
(٢) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٩٠ جـ ٣.

بيننا ويرى العسكر هوانهم علينا، قال: فافعل. فتقدمتُ إليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها، والناس قد غلبوا ضحكاً، فَلَمَّا استوفينا الأكل، ودّعَني، فقلت له: إن رأيت أن لا تبرز اليوم فافعل، قال: قد فعلت، ثم انصرف وانصرفتُ فقلتُ لروح بن حاتم: أما أنا فقد كفيتك قرني ـ وخرج آخر من الشراة يدعو إلى البراز، فقال لي: اخرج إليه، فقلتُ:

إنِّـي أعـوذُ بِـرَوْح أن يُـقـدّمَـنِـي ... إلى البراز فتحزي بي بنو أسدِ

إن البـراز إلـى الأقـرانِ أعـلـمـه ... مما يُفرق بين الروح والجسدِ

قد خالفتك المنايا إن صدمت لها ... وأصبحت لجميع الخلق بالرصدِ

إنّ المهلّبَ حُبّ الموتِ أورثكم ... وما ورثتُ اختيار الموتِ من أحدِ

فضحك وأعفاني[1].

وانطلق روح بن حاتم وجنوده فهزموا الخوارج وعاد أكثرهم إلى الطاعة، ومكث روح بن حاتم أميراً قائداً بتلك المنطقة من الأهواز وفارس، وكان يزيد بن حاتم أميراً لتلك الجهات، بينما كان سفيان بن معاوية المهلّبيّ ـ منذ سنة ١٣٩هـ ـ والياً للبصرة.

* * *

قال الطبري: «وفي سنة١٤٢هـ نقض أصبهبذ طبرستان العهد بينه وبين المسلمين، وقَتَل من كان ببلاده من المسلمين. ولَمَّا انتهى إلى أبي جعفر المنصور خبر الأصبهبذ وما فعل بالمسلمين وجّه إليه رَوْح بن حاتم وخازم بن خزيمة ـ بالعساكر ـ ومعهم مرزوق أبو الخصيب مولى أبي جعفر، فأقاموا على حصنه محاصرين له ولمن معه في حصنه وهم يقاتلونهم حتى طال عليهم المقام (عدة أشهر) ثم احتال أبو الخصيب في ذلك وقال لأصحابه ـ (أي للأمير رَوْح بن حاتم والقائد خازم بن خزيمة) ـ أضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي، ففعلوا ذلك به، ولحق بالأصبهبذ صاحب الحصن فقال له: إني رُكب مني أمرٌ عظيم ضُربتُ وحُلق رأسي ولحيتي تهمة منهم لي أن يكون هَوايَ معك. وأخبره أنه معه وأنه دليل له على عورة عسكرهم، فقبل منه ذلك الأصبهبذ وجعله في خاصته وألطفه، وكان باب مدينتهم من حجر يُلقى إلقاء يرفعه الرجال وتضعه عند فتحه وإغلاقه وكان قد وكل به الأصبهبذ ثقات أصحابه وجعل ذلك نوباً بينهم، فقال له أبو الخصيب: ما أراك وثقتَ بي ولا قبلتَ نصيحتي، قال: وكيف ظننتَ ذلك؟ قال: لتركك

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١١٩ جـ ٩.

الاستعانة بي فيما يعنيك وتوكيلي فيما لا تثق به إلا بثقاتك، فجعل يستعين به بعد ذلك فيرى منه ما يحِبُّ إلى أن وثق به فجعله فيمن ينوب في فتح باب مدينته وإغلاقه فتولّى له ذلك حتى أنس به.

ثم كتب أبو الخصيب إلى رَوْح بن حاتم وخازم بن خزيمة وصيَّر الكتاب في نشابة ورماها إليهم، وأعلمهم أن قد ظفر بالحيلة ووعدهم ليلةً وسماها لهم في فتح الباب، فَلَمَّا كان في تلك الليلة فتح لهم، فدخلوا فقتلوا من فيها من المقاتلة.. فمصَّ الأصبهبذ خاتماً له فيه سمٌّ فقتل نفسه. وقد قيل: إن دخول رَوْح بن حاتم وخازم بن خزيمة طبرستان كان في سنة١٤٣هـ»[1].

وبينما كان رَوْح بن حاتم في طبرستان سنة١٤٢ ـ ١٤٣هـ أصبح يزيد بن حاتم والياً لمصر سنة١٤٣ ـ ١٥٢هـ وعمر بن حفص المهلّبيّ الأزدي والياً للسند (١٤٢ ـ ١٥١هـ) ثم أصبح عمر بن حفص والياً لأفريقيا الشمالية سنة (١٥١ ـ ١٥٤هـ) ثم تولّى أفريقيا الشمالية يزيد بن حاتم (١٥٤ ـ ١٧٠هـ) وكان الخليفة أبو جعفر المنصور قد مات في ذي الحجة ١٥٨هـ وتولّى الخلافة المهدي بن أبي جعفر المنصور.

ولاية رَوْح بن حاتم للسند (١٥٩ ـ ١٦١هـ):

قال الطبري: «في سنة١٥٩هـ مات عامل السند فاستعمل المهدي مكانه رَوْح بن حاتم بمشورة أبي عبيد اللَّه الأشعري وزير المهدي»[1].

وقال ابن الأثير: «لَمَّا استعمل المهدي يزيد بن حاتم على أفريقيا استعمل أخاه روحاً على السند، فقيل له: يا أمير المؤمنين لقد باعدت بين قبريهما»[2].

فانطلق موكب رَوْح بن حاتم المهلّبيّ إلى السند ـ باكستان ـ ودخل عاصمتها مدينة المنصورة ومكث والياً لبلاد السند زهاء سنتين ونصف. قال الطبري: «وفي سنة١٦١هـ عزل المهديُّ رَوْحَ بن حاتم عن السند وولّى مكانه نصر بن محمد بن الأشعث». وجاء في ترجمة رَوْح بن حاتم بكتاب الجامع «ولّاهُ المهديّ السند ثم نقله إلى البصرة» ـ وبالتالي عاد رَوْح بن حاتم من السند إلى البصرة في أواسط سنة١٦١هـ.

بينما تولّى السند نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي اليماني. ولم يتولَّ رَوْح بن حاتم البصرة في تلك السنة، فقد كان الوالي على البصرة صالح بن

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٧٨ جـ ٩ وص٣٢٧ جـ ٩.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٨٥ جـ ٥.

داود بن عليّ بن عبد اللّه بن العباس وكان الوالي على الكوفة إسحاق بن الصباح الكندي (١٥٩ ـ ١٦٤هـ) فربما بات رَوْح بن حاتم نائباً لصالح بن داود بالبصرة إلى أن أصبح والياً للبصرة.

* * *

ولاية رَوْح بن حاتم للبصرة والكوفة ومعالم عهده (١٦٥ ـ ١٦٨هـ)

في مطلع سنة١٦٥هـ أصبح الأمير رَوْح بن حاتم المهلَّبيّ والياً للبصرة. قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين:

«صعِد رَوْح بن حاتم المنبر، فَلَمَّا رآهم قد شَفَنوا أبصارهم[1] وفتحوا أسماعهم نحوه، قال: نكِّسوا رؤوسكم، وغُضّوا أبصاركم، فإن المنبر مركَبٌ صعب، وإذا يسَّر اللَّهُ فتح قُفلٍ تَيسَّر»[2].

وقد بدأت ولايته للبصرة أوائل سنة١٦٥هـ. قال ابن خلدون: «في سنة١٦٥هـ ولَّى المهدي على البصرة روح بن حاتم المهلَّبيّ». وقال الطبري: «كان الوالي على البصرة سنة١٦٥هـ رَوْح بن حاتم» وفيها ـ سنة١٦٥هـ ـ مات بالبصرة الأمير اليماني يزيد بن منصور الحميري خال الخليفة المهدي فصلّى عليه الأمير رَوْح بن حاتم وتم دفنه بالبصرة.

وكانت ولاية البصرة تضم إقليم البصرة بالعراق وإقليم البحرين ـ (منطقة الخليج العربي) ـ وإقليم الأهواز ـ في إيران ـ وكانت مدينة البصرة عاصمة الولاية ومقر الوالي الأمير رَوْح بن حاتم. قال بامطرف في كتاب الجامع: «وكان رَوْح بن حاتم موصوفاً بالعلم والشجاعة والحزم». وولَّى رَوْح بن حاتم على القضاء بالبصرة خالد بن طليق ابن الصحابي عمران بن حصين الخزاعيّ اليماني.

وبينما كان رَوْح بن حاتم والياً للبصرة، كان يزيد بن حاتم والياً لأفريقيا الشمالية، وخالد بن يزيد بن حاتم والياً لإقليم جُرجان في إيران، وكان الوالي على اليمن منصور بن يزيد بن منصور الحميري (١٦٤ ـ ١٦٦هـ).

قال الطبري: «وفي سنة١٦٦هـ وُلِّي الفضل بن سليمان الطوسي الطائي خُراسان وسجستان.. وكان الوالي على البصرة رَوْح بن حاتم، وعلى القضاء بالبصرة خالد بن طليق الخزاعي.. وعلى أفريقيا يزيد بن حاتم، وعلى طبرستان والرّويان يحيى الحرشي، وعلى الموصل أحمد بن إسماعيل الهاشمي، وقيل:

---

(١) شفنوا أبصارهم: الشفن أن يرفع طرفه ناظراً إلى الشيء كالمتعجب.
(٢) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص ٢٤٩ جـ ٢.

موسى بن كعب الخثعمي»[١] وكذلك كان من الولاة اليمانيين الحسن بن قحطبة الطائي والي أرمينية، ومنصور بن يزيد الحميري والي اليمن.

وكان من كبار العلماء بالبصرة الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي اليماني. قال عنه الأستاذ أحمد أمين:

«الخليل بن أحمد الفراهيدي: ذو العقل الجبار المبتكر الذي قَلَّ أن يوجد له نظير في علماء ذلك العصر، فهو أول مبتكر للمعاجم العربية، وهو أول مبتكر لعلم العروض، وهو الذي اخترع علم الموسيقى العربية، وهو الذي عمل النحو الذي نعرفه إلى اليوم»[٢].

وقال أبو علي القالي في كتاب الأمالي: «بعث رَوْح بن حاتم إلى كاتب له بثلاثين ألف درهم وكتب إليه: قد بعثتُ إليك بثلاثين ألف درهم لا أُقَلِّلها تكَبُّراً، ولا أُكَثِّرها تَمَنُّناً، ولا أَسْتَثِيبُك عليها ثناء، ولا أقطعُ بها عنك رجاءَ. والسلام. وأنشد:

أمُـدُّ يـداً عـنـد الـوَدَاع قـصـيـرةً وأبْسُطها عند اللقاء فأعْجَلِ»[٣]

* * *

وفي سنة١٦٧ ـ ١٦٨هـ أصبح الأمير رَوْح بن حاتم والياً للكوفة ـ وربما جمع له المهدي ولاية البصرة والكوفة ـ واستمر يزيد بن حاتم والياً لأفريقيا الشمالية، وكان الوالي على مصر موسى بن مصعب الخثعمي (١٦٧ ـ ١٦٨هـ) والوالي على اليمن سليمان بن يزيد الحارثي (١٦٧ ـ ١٦٨هـ). قال الطبري:

«وفي سنة١٦٧هـ تُوفي عيسى بن موسى بالكوفة، ووالي الكوفة يومئذٍ رَوْح بن حاتم، فأشهَدَ رَوْح بن حاتم على وفاته القاضي وجماعة من الوجوه. وقيل: إن عيسى بن موسى تُوفي ورَوْح بن حاتم على الكوفة لثلاث بقين من ذي الحجة، فحضر رَوْح جنازته، فقيل له: تقدَّم فأنت الأمير ـ [أي تقدّم في الصلاة عليه] ـ فقال: ما كان اللّه ليرى رَوْحاً يصلّي على عيسى بن موسى فليتقدم أكبر ولده. فأبوا عليه وأبَىٰ عليهم. فتقدم العباس بن عيسى فصلّى على أبيه[٤].

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٨ جـ ١٠.
(٢) ضحى الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص ٢٩٠ـ وقد توفي الخليل الفراهيدي سنة ١٧٥هـ.
(٣) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٦ جـ ٣ ـ ولم يذكر هل كان ذلك بالبصرة أو بالكوفة أو بالقيروان.
(٤) كان عيسى بن موسى بن علي بن عبد اللّه بن العباس ولّى عهد المهدي فعزله من ولاية العهد بالهادي بن المهدي.

وبلغ ذلك المهديّ فغضب على رَوْح بن حاتم وكتب إليه: قد بلغني ما كان من نكوصك عن الصلاة على عيسى، أبنفسك أم بأبيك أم بجدك كنتَ تصلّي عليه، أو ليس إنما ذلك مقامي لو حضرتُ فإذْ غِبتُ كنت أولى به لموضعك من السلطان. فأمر بمحاسبته وكان يلِي الخراج مع الصلاة والأحداث. وتُوفي عيسى والمهديُّ واجدٌ عليه وعلى ولده وكان يكره التقدم عليه لجلالته». [ص ٩ جـ ١٠].

وقد غضب المهديّ على رَوْح بن حاتم وأمر بمحاسبته ـ سنة١٦٨هـ ـ ولكنه لم يعزله. فقد ذكر الطبري أنه: «كان العامل على الكوفة في هذه السنة رَوْح بن حاتم» إلّا أن المهديّ أراد إرضاء أقارب عيسى بن موسى فأظهر الغضب على رَوْح بن حاتم وأمر بمحاسبته على خراج ولاية البصرة لأنه عزله عن البصرة واستمر والياً للكوفة ثم انتهت ولايته للكوفة بتولية موسى بن عيسى بن موسى على الكوفة أواخر سنة١٦٨هـ.

وعندئذٍ ـ في سنة١٦٨هـ ـ تطاول الشاعر بشار بن برد على رَوْح بن حاتم بن قَبيصة بن المهلّب. وبشار هو ـ كما جاء في كتاب الأغاني ـ: بشار بن برد بن يرجوخ. كان جده يرجوخ مِن طخارستان مِن سبيْ المهلّب، وكان أبوه ـ برد ـ مِن فيء خيرة القشيرية امرأة المهلّب وكان مقيماً لها في ضيعتها بالبصرة المعروفة بخيرفان مع عبيد لها وإماء، فوهبت برداً بعد أن زوّجته لامرأة من بني عقيل كانت متصلة بها فولدت له امرأته ـ وهو في ملكها ـ بشاراً، فأعتقته العقيلية»[1] ولم يكن بشار حاقداً على آل المهلّب والأزد لأن جده وأبيه كانا من عبيد آل المهلّب، فقد مدح بشار الهيثم بن معاوية العتكي الأزدي أمير البصرة (١٥٥ ـ ١٥٦هـ) بقصيدة أولها: (إنّ السلام أيها الأمير) ومدح أيضاً رَوْح بن حاتم. وجاء في كتاب الأغاني: «إن بشار بن برد ورَدَ بغداد فقَصَدَ يزيدَ بن مزيد وسأله أن يذكره للمهديّ، فسوّفه أشهراً، ثم ورد رَوْح بن حاتم ـ أمير البصرة ـ فبلغه خبر بشار، فذكره للمهديّ من غير أن يلقاه وأمر بإحضاره، فدخل إلى المهديّ وأنشده شعراً مدحه به فوصله بعشرة آلاف درهم».

ثم تطاول بشار فيما بعد على الأزد ورَوْح بن حاتم، ربما حين علم بأن المهديّ غضب على رَوْح بن حاتم لأنه رفض أن يصلّي على جنازة عيسى بن موسى في ذي الحجة ١٦٧هـ. قال الأصفهاني: (هجا بشارُ بن برد رَوْحَ بن حاتم،

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٢٠ جـ ٣.

فبلغه ذلك، فقذفه وتهدد). وذكر الأصفهاني شعراً لبشار هجا فيه الأزد، فيكون الأصوب (هجا بشارُ الأزد، فبلغ ذلك رَوْح بن حاتم، فتوعده وتهدده، فَلَمَّا بلغ ذلك بشاراً قال يهجو رَوْح بن حاتم:

تهددني أبو خلفٍ وعن أوتاره ناما
بسيفٍ لأبي صُفرة لا يقطع إبهاما
كأنّ الورس يعلوه إذا ما صدره قاما

فبلغ شعره رَوْحاً فقال: كل مالي صدقة إن وقعت عيني عليه لأضربنه ضربة بالسيف ولو أنه بين يدي الخليفة. فبلغ ذلك بشاراً فرحل من فوره إلى الخليفة المهديّ ـ وكان المهديّ يومئذٍ برُصافة الكوفة ـ فقال له: ما جاء بك؟ فأخبره بقصة رَوْح، وعاذ به. فقال المهديّ: يا نصير وجّه إلى رَوْح من يحضره الساعة. فوجّه نُصير رسولاً إلى رَوْح ـ[فظن روح أن المهديّ يريد أن يوليه ولاية فأسرع إليه] ـ فَلَمَّا دخل رَوْح إلى المهديّ قال له: إنّي بعثتُ إليك في حاجة، فقال رَوْح: عند أمرك يا أمير المؤمنين فمُرْ ما شئت سوى بشار فإني حلفتُ في أمره يمين غموس، فقال المهديّ: قد علمتُ وإياه أردتُ، قال رَوْح: فاحتل ليميني يا أمير المؤمنين. فأحضر المهديّ القضاة والفقهاء فاتفقوا على أن يضربه ضربة على جسمه بعرض السيف، وكان بشار وراء الخيش فأخرجه وأُقْعِد، واستل رَوْح سيفه فضربه ضربة بعرضه، فقال: أوه باسم اللّه، فضحك المهديّ وقال له: ويلك إنما ضربك بعرضه فكيف إذا ضربك بحدّه». [ص ٢٢ جـ ٣].

وقد انتهت ولاية رَوْح بن حاتم للكوفة في أواخر سنة١٦٨هـ ثم مات الخليفة المهديّ في ٢٣ محرم سنة١٦٩هـ وتولّى الخلافة موسى الهادي بن المهديّ.

***

أنباء رَوْح بن حاتم بعد انتهاء ولايته للكوفة إلى وفاته:

في سنة١٦٩هـ أصبح الأمير رَوْح بن حاتم والياً لأرمينية، وكان الحسن بن قحطبة الطائي قد انتهت ولايته لأرمينية سنة١٦٨هـ. قال البلاذري: «ووُلّي أرمينية بعد الحسن بن قحطبة عثمان بن عمارة ثم رَوْح بن حاتم»[١] وفي أوائل سنة١٧٠هـ غزا الروم ثغور المسلمين الشامية في جنوب تركيا. قال البلاذري: «فبعث موسى الهادي بعثاً مع رَوْح بن حاتم وبعثاً مع حمزة بن مالك بن الهيثم فمات الهادي قبل

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٢١٢ وص ١٩٤.

أن ينفذوا، وتولّى الخلافة هارون الرشيد بن المهديّ»[1] وذلك في ربيع الأول سنة ١٧٠هـ.

ثم ولّى هارون الرشيد الأمير رَوْح بن حاتم على فلسطين (١٧٠ ـ ١٧١هـ) وكان أخوه الأمير يزيد بن حاتم والياً لأفريقيا الشمالية منذ سنة ١٥٤ ـ ١٧٠هـ ومات يزيد بن حاتم بالقيروان في رمضان سنة ١٧٠هـ واستخلف ابنه داود بن يزيد بن حاتم فتولّى داود أفريقيا الشمالية تسعة أشهر ثم استقدم الرشيد رَوْح بن حاتم من فلسطين وولّاهُ على أفريقيا الشمالية، فقَدِمها في رجب ١٧١هـ وتولاها حتى وفاته بالقيروان في رمضان سنة ١٧٤هـ وتم دفنه إلى جانب قبر أخيه يزيد بن حاتم، عليهما رحمة الله تعالى.

---

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٢١٢ وص ١٩٤.

٤

جرير بن يزيد البَجْلي.. أمير البصرة، وداهية عصره

هو الأمير جرير بن يزيد بن جرير بن عبد اللّه البَجْلي اليماني أمير البصرة في خلافة يزيد بن الوليد ثم في خلافة هارون الرشيد. قال عنه المسعودي في مروج الذهب:

«كان جرير بن يزيد البجلي واحدَ أهل زمانه وداهية عصره»[١].

وهو حفيد الزعيم اليماني الصحابي جرير بن عبد اللّه البجلي. قال الحافظ ابن حجر في ترجمته بكتاب الإصابة:

«جرير بن عبد اللّه بن جابر بن مالك بن نضرة بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمة بن حرب بن عدي البجلي، الصحابيّ المشهور.. وفي الصحيحين أن النَّبِيَّ ﷺ قال له: «استنصت الناس في حجة الوداع».. وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ بعثه إلى ذي الخلصة فهدمها. وفي الصحيح عن جرير قال: ما حجبني رسول اللّه ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تَبَسّم.. وكان جرير جميلاً، قال عمر: هو يوسف هذه الأمة.. وروى الطبراني من طريق إبراهيم بن إسماعيل الكهيلي قال: كان طول جرير ستة أذرع. وروى الطبراني من حديث عليّ مرفوعاً: جرير منّا أهل البيت»[٢].

وقال الحافظ ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب:

«جرير بن عبد اللّه البجلي.. قال فيه رسول اللّه ﷺ حين أَقْبَلَ وافداً عليه: «يطلع عليكم خيرُ ذي يَمَنٍ على وجهه مَسْحة مَلَكٍ». فطلع جرير. وفيه ـ فيما رُوِيَ ـ قال رسول اللّه ﷺ: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه». وبعثه رسول اللّه ﷺ إلى ذي الكلاع وذي رُعين باليمن ـ يدعوهما إلى الإسلام، فأسلما ـ. وكان عمر بن

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٣٠٣ جـ ٣.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٢٣٢ جـ ١.

الخطاب يقول: جرير بن عبد اللَّه يوسف هذه الأمة. يعني في حسنه»[١].

وانطلق جرير على رأس فرسان قبيلة بَجِيلة من اليمن إلى الفتوحات بالعراق، وكان من كبار قادة فتوح العراق ومن الولاة الأمراء في خلافة عمر وعثمان، وفيه قال الشاعر: «وخيرُ أمير بالعراق جرير» وكان جرير خطيباً بليغاً يُقنع الناس بخطبته وقوة حجّته، وفي ذلك قال الشاعر:

لعَمْر أبيك والأنباء تَنْمىٰ   لقد جلّى بخطبته جريرُ

ومات جرير بن عبد اللَّه البجلي رضي اللَّه عنه بالكوفة في خلافة معاوية، بعد سنة٥١ هجرية.

وكان من أعلام قبيلة بَجِيلة في العصر الأموي أسد بن عبد اللَّه القسري أمير خُراسان وخالد بن عبد اللَّه القسري أمير العراقين والمشرقين سنة١٠٥ ـ ١٢٠هـ في خلافة هشام بن عبد الملك. ولَمَّا تولّى الخلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك ـ في رجب ١٢٦هـ ـ ولّى على العراق ومشارقها منصور بن جمهور الكلبي، فولّى منصور جرير بن يزيد بن جرير بن عبد اللَّه البَجلي على البصرة. وعن ذلك قال الطبري:

«ولّى يزيد بن الوليد على العراق منصور بن جَمْهُور الكلبي، فقَدِم منصور الكوفة في رجب ١٢٦هـ، واستعمل جرير بن يزيد بن جرير على البصرة»[٢].

ومكث جرير أميراً للبصرة إلى أن تولّى الخلافة مروان بن محمد سنة١٢٧هـ وانتقضت عليه العراق واندلعت حركات المعارضة اليمانية ضد خلافته وسياسته العصبية، فكان من أبرز قادة المعارضة بالعراق منصور بن جمهور الكلبي وإسماعيل بن عبد اللَّه القسري بالكوفة وسليمان بن حبيب بن المهلّب في الأهواز بولاية البصرة، وربما كان جرير مع تلك الحركة بالكوفة أو البصرة إلى أن بعث مروان بن محمد الجيوش إلى العراق وولّى عليها ابن هبيرة الفزاري سنة١٢٩هـ فانتهت حركات المعارضة تلك ولحق منصور بن جمهور الكلبي بالسند، ولحق بعض الشخصيات بخُراسان، أمثال يزيد بن حاتم المهلّبيّ، وربما أيضاً جرير بن يزيد البجلي، وانضووا في الدعوة العباسية. فقد ذكر المسعودي: «المعرفة بين جرير وبين أبي مسلم بخراسان». فيكون ذلك عند إظهار الدعوة العباسية بمرو خراسان في أوائل سنة١٣٠هـ، وكان من أبناء عمومة جرير بن يزيد البجلي

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر ـ ص ٢٣٣ جـ ١.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٨ جـ ٩.

أسلم بن أبي سلام البجلي. قال صاحب أخبار الدولة العباسية: «وبعث أبو مسلم الخراساني أسلمَ بن أبي سلام البجلي إلى عليّ بن جُديع الكرماني يعرض عليه أمره ودعوته، ويُعلمه أنّه مؤمّره على نفسه ومجاهد معه من خالفه. وأنّ الإمام ـ إبراهيم ـ قد أمره بذلك. ولقي سليمان بن كثير الخزاعيّ عليَّ بن الكرماني يومئذٍ مع أسلم البجلي، وأقبلا عليه يحرضانه ويرغّبانه، فلم يزالا به حتى أجابهما إلى قبول الدعوة، فأخذا بيعته وانصرفا»[١].. وقد كان انضواء علي بن جُديع الكرماني الأزدي في الدعوة العباسية ـ في شهر جمادى سنة١٣٠هـ نقطة فاصلة، فتم هزيمة نصر بن سيار أمير خراسان وسيطرت الدعوة العباسية على بلاد خُراسان، ثم انطلق قحطبة بن شبيب الطائي بالعساكر إلى أقاليم إيران ودخل العراق فهزم جيش ابن هبيرة أمير العراق بالفرات بينما ثار محمد بن خالد القسري البجلي بالكوفة وأعلن الدعوة العباسية فبعث إليه ابن هبيرة القائد حوثرة بن سهيل الباهلي في خمسة عشر ألف مقاتل بينهم نحو أربعة آلاف من بجيلة ـ حيث ـ قال الطبري:

«نزل حوثرة بن سهيل ومن معه مدينة ابن هبيرة [شاهي] وتهيأ للمسير إلى محمد بن خالد القسري.. فبينا محمد بن خالد في القصر بالكوفة إذْ أتاه بعض طلائعه فقال له: خيل قد جاءت من أهل الشام [أي من جند حوثرة] فوجّه إليهم عدة من خيوله فأقاموا بباب دار عمر بن سعد إذْ طلعت الرايات لأهل الشام فتهيؤوا لقتالهم، فنادى الشاميون: نحن بجِيلة وفينا مليح بن خالد البجلي جئنا لندخل في طاعة الأمير ـ محمد بن خالد ـ فدخلوا. ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بحدل الكلبي ـ ففعلوا مثل بجيلة ـ فَلَمّا رأى حوثرة ذلك من صنيع أصحابه ارتحل نحو واسط» [ص ٩/١٢١] وبذلك فقد كان لبجيلة دورٌ هامّ في قيام الخلافة العباسية، وكان محمد بن خالد القسري أول أمير للكوفة في العصر العباسي.

* * *

ولَمّا تولّى الخلافة أبو جعفر المنصور وأراد أبو مسلم الخراساني الانتقاض سنة١٣٧هـ كان لجرير بن يزيد البجلي دورٌ هامّ في إجهاض فتنة أبي مسلم الخراساني. وعن ذلك قال المسعودي في مروج الذهب:

«سار أبو مسلم من الجزيرة وقد أجمع على خلاف المنصور، واجتاز على طريق خراسان متنكباً العراق يريد خراسان. وسار المنصور من الأنبار يريد المدائن فنزل برومية المدائن، وكتب إلى أبي مسلم: إنّي قد أردتُ مذاكرتك بأشياء لم يحتملها الكتاب فأقْبِلْ فإن مقامك عندنا قليل، فقرأ الكتاب ومضى على حاله.

(١) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٢٨٨.

فسَرّحَ إليه المنصور جرير بن يزيد بن جرير بن عبد اللّه البجلي، وكان جرير واحدَ أهل زمانه وداهية عصره، وكانت المعرفة بينه وبين أبي مسلم قديمة بخراسان، فأتاه فقال له: أيها الأمير ضَرَبتَ الناس عن عرض لأهل هذا البيت ثم تنصرف على هذه الحالة، ما آمَنُ أن يعيبك مَنْ هنالك ومَنْ ههنا، وأن يُقال طلب بثأر قوم ثم نقضي بيعتهم فيخالفك من تأمن مخالفته إياك، وأن الأمر لم يبلغ عند خليفتك ما تكره ولا أرى أن تنصرف على هذه الحال. فأراد أبو مسلم أن يجيب إلى الرجوع، فقال له مالك بن الهيثم: لا تفعل، فقال أبو مسلم لمالك: ويلك لقد بُليت بإبليس وما بُليت بمثل هذا قَطْ. يعني الجريري. فلم يزل به حتى أقْبَلَ به على المنصور». [ص ٣٠٣ جـ ٣].

وقال الطبري: «وجّه أبو جعفر المنصور إلى أبي مسلم الخراساني جرير بن يزيد بن جرير بن عبد اللّه البجلي وكان واحد أهل زمانه، فخدعه وردّه» [ص ١٦٢ جـ ٩].

ولَمَّا مَثَلَ أبو مسلم الخراساني بين يدي أبي جعفر المنصور، واجهه المنصور بعدة تُهم من بينها قيامه بقتل سليمان بن كثير الخزاعي اليماني نقيب نقباء الدعوة العباسية بخراسان. قال الطبري: «قال أبو حفص: وكان أمير المؤمنين دعا عثمان بن نهيك [العكّي اليماني وهو صاحب شرطته] وأربعة من الحرس وقال لهم: إذا ضربت بيدي إحداهما على الأخرى فاضربوا عدو اللّه» ـ فَلَمَّا ضرب المنصور بيديه وثبوا على أبي مسلم وقتلوه، وذلك لخمس بقين من شعبان سنة١٣٧هـ.

ولم يزل جرير بن يزيد البجلي من رجال الدولة إلى خلافة الرشيد بن المهديّ بن المنصور. وقد ذكر ابن الأثير:

«ولاة البصرة أيام الرشيد.. منهم: جرير بن يزيد». [ص ١٣١ جـ ٥/ الكامل].

ومات جرير بن يزيد البجلي وهو أمير البصرة في خلافة الرشيد بعد سنة١٧٥هـ.

٥

مالك بن عليّ الخزاعيّ.. أمير البصرة، وقائد طريق خُراسان

هو فتى العرب الأمير اليمانيّ الهمام مالك بن عليّ الخزاعي أمير البصرة ثم أمير مناطق طريق خراسان في خلافة هارون الرشيد. وفيه قال الشاعر بكر بن النطاح:

يا عينُ جُودي بالدموع السجام ... على الأمير اليمنيّ الهُمام

.. كان لأهل الأرض في كفّه ... غنىً عن البحر وصوبِ الغمام

وكان في الصبح كشمس الضُحَىٰ ... وكان في الليل كبدر الظلام[1]

وقد ذكره الطبري في الذين تولوا البصرة في خلافة الرشيد، قال الطبري: «ولاة البصرة في خلافة الرشيد: محمد بن سلميان بن عليّ بن عبد اللّٰه بن عباس. سليمان بن عيسى بن موسى.. مالك بن عليّ الخزاعي»[2].

وكذلك ذكر ابن الأثير أن «ولاة البصرة في خلافة الرشيد.. (منهم) مالك بن عليّ الخزاعي»[3].

ولم يذكر الطبري وابن الأثير سنة ومدة ولايته للبصرة. وقد ذكر الطبري أنه: «في سنة١٧٦هـ ولّى الرشيدُ عليَّ بن الحجاج الخُزاعيّ على جُرجان»[2] وغالب الظن أنه والد مالك بن عليّ الخزاعي الذي أصبح فيما بعد والياً للبصرة، ويمكن تقدير زمن ولايته للبصرة بالفترة ما بين سنة١٨١هـ وسنة١٩٠هـ.

قال أبو العباس المبرّد: «قال أبو الشَمَقمَق ـ وهو مروان بن محمد ـ يمدح مالك بن عليّ الخُزاعيَّ ويَذُمُّ سعيد بن سَلم الباهلي:

قد مَرَرْنا بمالك فوَجَدناهُ ... جواداً إلى المكارم يَنمي

ما يُبالي أتاهُ ضَيفٌ مُخِفٌّ ... أم أتته يأجُوجُ من خَلفِ رَدْمِ

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٥٧ جـ ١٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١١٢ جـ ١٠.

(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٣١ جـ ٥.

فانتهينا إلى سعيد بن سَلْم فإذا ضَيْفُهُ من الجوع يَرْمي
. . فارْتَحلنا من عند هذا بِحَمْدٍ وارْتَحَلْنا من عند هذا بِذَمٍّ

وقال أبو الشمّقمَق:

قال لي الناسُ زُرْ سَعيدَ بن سَلْم قلتُ للناس: لا أزورُ سَعيدا
وأميري فتى خُزاعةَ بالبصرة قد عَمَّها سَماحًا وجُودا
ولَنِعْمَ الفتى سَعيدٌ ولكن مالكٌ أكْرمُ البَريَّةِ عُودا»[١]

وفي حوالي سنة١٨٩هـ انتهت ولاية مالك بن عليّ الخزاعي للبصرة، وولّاهُ الرشيد على مناطق طريق خُراسان، إذْ أنه ـ وكما ذكر الطبري ـ «في سنة١٨٩هـ ولّى الرشيدُ عبد اللّهِ بن مالك الخزاعيّ طبرستان، والرّيّ، والرُّويان، وذنباوند، وقومس، وهَمَذان». [ص ٩٧ جـ ١٠] ويبدو أنه في تلك السنة ـ ١٨٩هـ ـ وَلّى الرشيد مالك بن عليّ الخزاعي مناطق الطريق بين العراق وخُراسان. وقد جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«مالك بن عليّ الخُزاعيّ: قائدٌ، من أشراف عصره، ولّاهُ الرشيدُ العباسي طريق خُراسان، وفيه يقول بكر بن النَّطّاح:

فتىً شَقِيَتْ أمْوالُهُ بسماحه كما شَقِيت قيسٌ بأرماح تَغْلبِ»[٢]

وقد أسلفنا ذكر النصوص التاريخية بأنه كان والياً للبصرة، فولايته على طريق خُراسان كانت بعد ذلك، حيث قال الأصفهاني: «كان مالك بن عليّ الخزاعي يتولّى طريق خُراسان، وصدر إليه بكر بن النطاح فأحسن تقبُّله وجعله في جُنده وأحسن له الرزق»[٣]. قال أبو العباس المبرد: «قال بَكْرُ بن النَّطّاح في كلمةٍ له يمدح فيها مالك بن عليّ الخُزاعي:

عَرَضْتُ عليها ما أرادت من المنَى لتَرْضَى فقالتْ قُمْ فجئنا بِكَوْكَبِ
فقلتُ لها: هذا التَّعَنُّتُ كلُّهُ كمن يَتَشَهَّى لحم عَنْقَاءَ مُغْرِبِ
فلو أنني أصْبَحْتُ في جودِ مالكٍ وعِزَّتِهِ ما نال ذلك مَطْلَبي
فَتَى شَقِيَتْ أموالُهُ بسَمَاحه كما شَقِيَتْ قَيْسٌ بأرْماحِ تَغْلِبِ»[٤]

وجاء في هامش كتاب التنبيه على كتاب الأمالي: «أن أكثر مدائح بكر بن

(١) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرد ـ ص ٢٤ و٢٥ جـ ٢.
(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٤٧٤.
(٣) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٥٧ جـ ٧.
(٤) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرّد ـ ص ٢٢ جـ ٢.

النطاح في مالك بن علي الخزاعي»[١] وقد جاء ذلك تعليقاً على أنه «قال بكر بن النطاح:

أَقُولُ لِمُرتادٍ نَدَى غَيْرِ مالكٍ كفَى بَذْلَ هذا الخَلْقِ بعضُ عِدَاتِهِ
فتًى جَادَ بالأموال من كل جانبٍ وانهبها في عَودِهِ وبداتِه
ولو خَذَلتْ أموالُه جُودَ كفِّهِ لقاسَمَ من يرجوه شَطْرَ حيَاتِهِ
ولو لم يجد في العُمْرِ قِسْماً لزائرٍ وجاز لهُ الإعطاءُ مِن حَسَناتِه
لجادَ بها من غير كفرٍ بربِّه وشارَكَه في صَوْمه وصَلاتِه»

ومكث مالك بن عليّ الخزاعي أميراً قائداً لمحور طريق خُراسان الممتد من حُلوان في العراق إلى بلاد خُراسان، وكان مقره مدينة حُلوان بالعراق، واستمر كذلك في خلافة المأمون بن هارون الرشيد.

وجاء في كتاب الأغاني للأصفهاني أنه ـ «عاثت الشُراة ـ الخوارج ـ بالجبل عيثاً شديداً وقتلوا الرجال والنساء والأطفال، فخرج إليهم مالك بن عليّ الخزاعيّ وقد وردوا حُلوان، فقاتلهم قتالاً شديداً، فهزمهم عنها، وما زال يتبعهم حتى بلغ قرية يُقال لها حدان، فقاتلوه عندها قتالاً شديداً، وثبت الفريقان إلى الليل حتى حجز بينهم، وأصابت مالكاً ضربة على رأسه أثْبَتَتْه، وعلم أنه ميت، فأمر بردّه إلى حُلوان، فما بلغها حتى مات. فدُفِن على باب حُلوان، وبُنيت لقبره قبة على قارعة الطريق. وقال بكر بن النطاح يرثيه:

يا عين جُودي بالدموع السجَام على الأميرِ اليمنيِّ الهُمام
على فتىٰ الدنيا وصنديدها وفارس الدين وسيفِ الإمام
لا تذخري الدمع على هالكٍ أيْتَم إذْ أودى جميع الأنام
طاب ثرى حُلوان إذْ ضمَّنت عظامه، سقياً لها مِن عظام
أغْلَقت الخيراتُ أبوابَها وامتنعت بعدك يابْن الكرام
وأصبحت خيلُك بعد الوجى والقرّ تشكو منك طول الجمام
إرحلْ بنا نقربُ من مالكٍ كيما نُحيِّي قبره بالسلام
كان لأهل الأرض في كفِّه غنى عن البحر وصوبِ الغمام
وكان في الصبح كشمس الضُحى وكان في الليل كبدر الظلام
وسائلٍ يَعْجبُ من موته وقد رآه وهو صعب المرام

(١) التنبيه على كتاب الأمالي ـ أبو عبيدة البكري ـ ص ٧٨.

قلتُ له: عهدي به مُعْلِماً يضربهم عند ارتفاع القتام
والحرب من طار لها لم يكد يفلت من وقع صقيلٍ حُسام
لم ينظر الدهر لنا إذْ عدا على ربيع الناس في كل عام
لن يستقيلوا أبداً فقده ما هيج الشجو دعاء الحمام

وقال بكر بن النطاح أيضاً يرثيه:

لهفي على البطل المعرض خدّه وجبينه لأسنةِ الفرسانِ
خرق الكتيبة مُعْلِماً مُتَنكِباً والمرهفات عليه كالنيرانِ
ذهبت بشاشةُ كلّ شيءٍ بعده فالأرض موحشة بلا عمرانِ
هَدَمَ الشُراةُ غداة مصرع مالكٍ شرف العلا ومكارم البنيانِ
قتلوا فتى العرب الذي كانت به تقوى على اللزبات في الأزمانِ
حرموا معدّاً ما لديه وأوقعوا عصبية في قلب كل يمانِ
هَوَتِ الجدود عن السعود لفقده وتمسكت بالنحس والدبران
لا يبعدن أخو خزاعة إذْ ثوى مستشهداً في طاعة الرحمنِ
عزّ الغواة به وذلّت أمةٌ محبوة بحقائق الإيمان
وبكاه مصحفه وصدر حسامه والمسلمون ودولة السلطان..»[1]

وقد جاء في ترجمة مالك بن علي الخزاعي بكتاب الجامع أنه توفي سنة٢٢٢هـ الموافق ٨٣٧ ميلادية[2] فتكون وفاته في خلافة المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور.

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٥٨ جـ ٧.
(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٤٧٤.

٦

عامر بن إسماعيل المُسْلِي.. قاتل الخليفة مروان بن محمد.. وأمير واسط

هو القائد اليمانيّ عامر بن إسماعيل المُسْلِي المذحجيّ، وهو من كبار القادة الشجعان الذين أسسوا الخلافة العباسية، وبسيفه سقط مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، ثم تولّى إقليم واسط بالعراق في خلافة أبي جعفر المنصور.

ونستهل هذا المبحث عن عامر بن إسماعيل بذكر ما يلي:

قبيلة عامر بن إسماعيل ومنطقته باليمن:

إن عامر بن إسماعيل مِنْ بني مُسلية مِنْ مَذْحج. ومُسْلية هو ـ كما جاء في كتاب الأمالي ـ «مُسلية بن عامر بن عمرو بن عُلّة بن جَلْد بن مذحج»[١]. وجاء في كتاب الجامع: «بنو مُسلية بن عامر: بطن من مذحج، وهم بنو عمرو بن عُلة بن جلد»[٢] وقال الأكوع في هامش صفة جزيرة العرب: «مُسلية: أبو قبيلة من مذحج، وهو مُسلية بن عامر بن عُلة بن جَلْد»[٣] ومنطقة بني مُسلية هي سرو مَذْحج بمحافظتي البيضاء وأبين في الجمهورية اليمنية حالياً، وقد ذكر الحسن بن أحمد الهمداني منطقة وقرى بني مُسلية في سرو مَذْحج، حيث قال الهمداني:

«سَرْوُ مَذْحج: أوله الرّباحة والسلف وحُمر وتناعم لرُهاء. المرواح: لبني صائد وينتسبون إلى دوس الأزد. الجازة: لبني عامر بطنُ من مُسليَة. الشَعْب: لآل كتيف وهم من بني مُسلية وهم أشرافهم. مَيْض وشَبْثان لبني مُسلية ولهم نخلان وادٍ كبير. حُمَر: لرُهاء ولمُسلية.. المضمار: وادٍ كبير لبني ظَبْيَة وهُم من بني مُسلية..

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٤٧ جـ ٣.

(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٥٧٣.

(٣) صفة جزيرة العرب ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ـ ص ١٨١ و٢٠١ ـ ٢٠٣.

وفي الطريق اليمنى إلى أبين: وادي برع به مُسلية.. ثم ذو سُكَيْر لبني مُسلية.. ومن قرى أبين: نخع يسكنها بنو مُسلية»[1]. وقد حقق القاضي محمد بن علي الأكوع في الهامش تلك المناطق وهي:

ـ الرّباحة: بلدة لآل عزان تقع شرق مدينة البيضاء. حُمر: بلدة وواد دعوته في يافع مجاور للبيضاء. تناعم: هي التي تُسمى اليوم ذي ناعم. الجازة: بلدة شرقي البيضاء. الشَعْب: بلد بين مذوقين وعُوَّين شرقي البيضاء. مَيْض: بلدة في شمال البيضاء. شبثان: موضع آهل بالسكان وهو من بلاد آل الرصاص بالبيضاء وكذلك نخلان.. وكانت مدينة حَصِي عاصمة السرو، وكان يسكنها سلاطينها آل الجلال من بني مُسلية حتى اندثرت في القرن العاشر الهجري وحلّت محلها مدينة البيضاء، وتقع شرق شمالي مدينة البيضاء بمسافة نصف ساعة. ولمُسلية بقية في مراد يقال لهم بنو مسلي[1].

انتقال عامر بن إسماعيل إلى الكوفة وجُرجان:

وقد انتقلت فرقة من بني مُسلية من منطقتهم باليمن إلى الكوفة وسكنوا بها منذ أيام الفتوحات، فكان بالكوفة منطقة سكنية خاصة بهم هي (محلة بني مُسلية بالكوفة) [ص ٥٧٣/ الجامع]،

ثم انتقلت من اليمن جماعة من بني مُسلية إلى الكوفة في ولاية يزيد بن المهلّب للعراق ومشارقها في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان سنة٩٦ ـ ٩٧هـ. وكان منهم غالباً: أبو عامر إسماعيل المُسلي، وأبو عبيدة قيس بن السري المُسْلي، وعامر بن إسماعيل المُسْلي، وغيرهم من رجالات بني عامر، وربما أيضاً بعض جيرانهم من الأزد، وقد سلف قول الهمداني: «المرواح: لبني صائد وينتسبون إلى الأزد. الجازة: لبني عامر بطنٌ من مُسلية». [ص ١٨١/ صفة].

وقد يكون عمرو بن سعيد الأزدي من بني صائد وسار في جماعة منهم مع أبي عامر إسماعيل والذين معه من بني مُسلية إلى الكوفة، وكان مسيرهم للجهاد، فمكثوا فترة يسيرة في محلة إخوانهم من بني مسلية بالكوفة ثم ساروا للجهاد مع يزيد بن المهلّب لما سار لفتح إقليم جُرجان سنة٩٨هـ، حيث جاء في كتاب أخبار الدولة أنه:

«غزا بكير مع يزيد بن المهلّب خراسان ودخل معه جُرجان حين أُفتتحت.

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ـ ص ١٨١ و٢٠١ ـ ٢٠٣.

وكان بكير في عدة من بني مُسلية رهط عامر بن إسماعيل قد شهدوا فتح جُرجان مع يزيد بن المهلّب»[1].

وقد فتح يزيد بن المهلّب إقليم جُرجان سنة٩٨هـ وقام ببناء مدينة جُرجان ـ عاصمة للإقليم ـ وأوطن بجُرجان قوة وجماعات من العرب، وكانوا خمسة أخماس، خمسهم من الأزد، وخُمسهم مِنْ مذحج من بني مُسلية وغيرهم، وخمسهم من جند أهل الشام، وخُمسهم من مُضَر وتميم، والخمس الخامس من أهالي إقليم جُرجان من الفُرس والموالي المسلمين. وولّى يزيد بن المهلّب على جُرجان جهم بن زَحر الجعفيّ المذحجيّ وهو أول أمير لجُرجان في الإسلام.

وكان ممّن استقر بجُرجان: أبو عامر إسماعيل المُسْلي، وأبو عبيدة قيس بن السري المُسْلي، وعمرو بن سعيد الأزدي، وتزوج عامر بن إسماعيل بابنة عمرو بن سعيد، حيث جاء في أخبار الدولة أنه:

«كان تحت عامر بن إسماعيل امرأة من الأزد يُقال لها ماوية بنت عمرو بن سعيد وهي بنت خالة عامر»[1]. وكان ذلك منذ ما بين سنة١٠٠هـ وسنة١٢٠هـ في ولاية خالد بن عبد اللّه القسري للعراق ومشارقها وولاية أسد بن عبد اللّه القسري لخراسان، وكان إقليم جُرجان من أقاليم ولاية خراسان.

أنباء عامر بن إسماعيل في مرحلة الدعوة العباسية:

كان أبو عامر إسماعيل المُسلي وأبو عبيدة قيس بن السري المُسلي وأبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي قد دخلوا في الدعوة العباسية السِّرِّية منذ وقت مبكر. ولَمَّا تم تكوين التنظيم السِّرِّي للدعوة العباسية بخراسان ـ سنة١٢٢هـ ـ كان عامر بن إسماعيل أيضاً قد انضوى في الدعوة العباسية، حيث أشرف بكير بن ماهان ـ المُسْلي بالولاء ـ على اختيار نقباء الدعوة العباسية في مرو ـ عاصمة خراسان ـ وكان أبرزهم سليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء وقحطبة بن شبيب الطائي ومالك بن الهيثم الخزاعي، ثم توجه بكير من مدينة مرو إلى جُرجان ومعه عدد من رجالات الدعوة ومال جمعه سليمان بن كثير ورجالات الدعوة بمرو. قال صاحب أخبار الدولة: «ولَمَّا قَدِم بكير جُرجان أقام بها شهراً، وجمعت الشيعة ـ شيعة بني العباس ـ مالاً وحُلياً. . وكانت تحت عامر بن إسماعيل امرأة من الأزد يقال لها ماوية بنت عمرو بن سعيد وهي بنت خالة عامر وقد قبلت الدعوة عن عامر، فخلعت ما كان عليها من حُليّ فبعثت به، وكان سوارَيْ ذهبٍ وطوقَ ذهبٍ

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق عبد العزيز الدوري ـ ص ١٩١ و٢٢٤.

وخاتم ذهبٍ وخُلخالَ فضةٍ. وبعثت أُمُّ الهيثم امرأة أبي عون بثلاثة أبرد وَبْرٍ من غزل يدها وسوارَيْ فضة. فحمل بكير ما جمعوه، وشَخَصَ معه من جُرجان أبو عون، وحسن بن زرارة ابن عم عامر، وأبو نصير الجرجاني، وسار حتى قَدِم الكوفة وأقام يسيراً، ثم توجه إلى محمد بن عليّ ـ [هو والذين معه] ـ فدفع إليه ما قَدِم به». [ص ٢٢٤].

قال الطبري: «وفي سنة١٢٤هـ كان مقدم جماعة من شيعة بني العباس الكوفة يريدون مكة: توجّه سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب من خراسان وهم يريدون مكة سنة١٢٤هـ فدخلوا الكوفة»[١]. ـ ثم مضوا من الكوفة ومعهم بكير بن ماهان وأبو سلمة الخلّال إلى مكة ثم إلى محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن العباس في منزله بمنطقة الشراة بالبلقاء في الشام ـ قال الطبري: «قَدِم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب مكة فلقوا محمد بن عليّ.. وأعطوا محمد بن عليّ مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم، وقال لهم: ما أظنُّكم تلقوني بعد عامي هذا فإن حدث بي حدثٌ فصاحبكم إبراهيم بن محمد فإنّي أثِق به، وأوصيكم به خيراً فقد أوصيته بكم»[١]. وجاء في أخبار الدولة أنه «قال محمد بن عليّ لإبراهيم بن محمد..: عليك بهذا الرجل ـ يعني بكيراً ـ فإنّه ثقة في المشهد والمغيب، وهذا من بعده ـ يعني أبا سلمة ـ، إن هذا الحيّ من بني مُسلية خاصتي وموضع سرّي، وهُم مني بمنزلة لحمتي، منهم القائم بأمرنا، ومنهم قاتل اللعين ابن اللعين بأكناف مصر»[٢]. وجاء في أخبار الدولة أيضاً أنه:

«قال محمد بن عليّ لبكير: أنتم ـ بنو مُسلية ـ خاصتي وثقاتي وأمنائي منكم القائم بأمرنا، ومنكم قاتلُ فرعون هذه الأمة. عمرو أو عامر، واحدُ أبيه، شعاره في عسكره على عسكر اللعين أشدُّ من لهيب النار»[٢]. ويعني عامر بن إسماعيل المُسلي وأنه سيقتل فرعون هذه الأمة، يعني مروان بن محمد.

ولَمَّا مات محمد بن عليّ وقام بإمامة الدعوة العباسية إبراهيم بن محمد ـ وكما جاء في أخبار الدولة ـ «شَخَصَ بكيرُ إلى خراسان، فبدأ بجُرجان فلقيه أبو عون وعامر بن إسماعيل وخالد بن برمك وأبو إسماعيل، فنعى إليهم محمد بن عليّ وأخبرهم أن الإمام بعده إبراهيم وأنه جعل وصيته إليه، وقرأ عليهم كتاب إبراهيم

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٨٣ و٢٩٩ جـ ٨.

(٢) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٢٣٨ وص ٢٠٠ وص ٢٤١.

بالأمر بعده، فسلموا لأمره ورضوا به»[1]، وكان ذلك في الأشهر الأولى من سنة١٢٥هـ ثم سار بكير إلى مرو خراسان فأخبر النقباء بمثل ذلك. وأقام بكير نحواً من شهرين، ثم عزم على الإنصراف وقال لهم: ليتوجّه عدّةٌ منكم إلى إبراهيم ليلقوه، وتعرّفوه أنفسَكم وتخبروه بطاعتكم، فشَخَص معه من مَرْو: قَحْطبة بن شبيب، ومالك بن الهيثم، وأبو سيف، وأبو حُميد والأزهر بن شعيب، فأقْبَلَ بهم حتى قَدِم جُرجان، فَشَخَص معه من جرجان: أبو عون وأبو بصير. فأقْبلوا إلى الكوفة، فبلغهم بها موت هشام واستخلاف الوليد بن يزيد وذلك سنة١٢٥هـ، فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى مضوا إلى مكة، فلقوا بها إبراهيم ـ (وذلك في رمضان سنة١٢٥هـ) ـ. ثم انصرفوا إلى خُراسان فلمّا قَدِموها لقوا إخوانهم ـ بجرجان وخُراسان ـ فخبّروهم عن إبراهيم وفضله وفقهه، فسرّوا بذلك ودعوا له. [ص ٢٤١].

وفي سنة١٢٦هـ بعث إبراهيم الإمام ثلاث رايات سوداء (شعار الدعوة العباسية) إلى قادة الدعوة في جُرجان وخُراسان، وسار بها أبو سلمة الخلال من الكوفة «فبدأ أبو سلمة بجُرجان فدفع راية إلى أبي عون، وهو يومئذٍ رئيس القوم بجُرجان، ثم نفذ إلى مرو فدفع راية إلى سليمان بن كثير. .» [ص ٢٤٨].

وكان أبو عون عبد الملك الأزدي هو رئيس جماعة الدعوة العباسية في جُرجان، وكان عامر بن إسماعيل الرجل الثاني في قيادة الدعوة بجُرجان. وقد بعث إبراهيم الإمام أبا سلمة مرة ثانية إلى خراسان سنة١٢٧هـ. «فسار أبو سلمة إلى جُرجان ونزل بأبي عامر إسماعيل، ولقيته جماعتهم بها، ودفع إليهم كتاباً من إبراهيم الإمام يأمرهم فيه بالاجتماع والاستعداد فإذا دخلت سنة١٣٠هـ فأظهروا دعوتكم. . ثم سار إلى مرو، فأخبر من بها بمثل ذلك. . ثم انصرف إلى الكوفة [في شوّال ١٢٧هـ] ومضى إلى إبراهيم الإمام» ـ وكذلك «في سنة١٢٧هـ حَجّ سليمان بن كثير وقحطبة بن شبيب الطائي والتقيا بإبراهيم الإمام» ثم انصرفا إلى خُراسان من طريق جُرجان، وربما التقيا بأبي عون وعامر بن إسماعيل، ثم توجّهَا إلى مرو خراسان، وقد كثر الذين دخلوا في الدعوة العباسية سنة١٢٧ ـ ١٢٨هـ.

وغني عن البيان أن تلك الاتصالات واللقاءات كانت تتم بشكل سرّي، وكان عامل مروان بن محمد على خُراسان نصر بن سيار القيسي. وجاء في تاريخ الطبري أن «بكر بن فراس البهراني كان عامل جُرجان» ـ وهو بهرانيٌّ من يمانية الشام ـ. ولم يأت ذكر غيره مما يشير إلى استمراره عاملاً لجُرجان إلى سنة١٢٩ ـ ١٣٠هـ.

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٢٣٨ وص ٢٠٠ وص ٢٤١.

ولَمَّا تم إظهار الدعوة العباسية بمرو خُراسان في شوال ١٢٩هـ قال نصر بن سيار: «سيأتيهم من بِجُرْجان من أصحابهم، وفيهم رجالٌ قد رسخوا في هذا الأمر..» قال صاحب أخبار الدولة «وكتب نصر بن سيار إلى عامل جُرجان وإلى مَنْ بها مِنْ وجوه مُضَر يخبرهم بمكان من قِبَلهم ويسألهم حبسهم والشدّة عليهم، فَلَمَّا انتهى ذلك إلى مَنْ بها من وجوه مُضَرْ، مشوا إلى العامل فقالوا له: ابعث إلى هؤلاء القوم فأحبسهم، فبعث إليهم فحبسَ منهم عدّة فيهم أبو عون، وعامر بن إسماعيل، وأبو إسماعيل محمد بن سعد، وسنان بن عبد اللّه، وأبو نصيب». [ص ٢٩٤] ـ وكان ذلك في أواخر سنة١٢٩هـ، وربما في أوائل سنة١٣٠هـ، ولكن المصدر لم يذكر كيف خرج أبو عون وعامر بن إسماعيل من الحبس. وغالب الظن أن العامل خلّى سبيلهم لأنهم لم يكونوا قد أظهروا أية دعوة في جُرجان، فخشي أن يؤدي حبسهم إلى غضب وثورة عشائرهم عليه.

وفي جمادى الأولى سنة١٣٠هـ سيطرت الدعوة العباسية على مرو خُراسان وانسحب نصر بن سيار من مرو إلى نيسابور. وفي شعبان سنة١٣٠هـ انطلق من مرو جيش الدعوة العباسية بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي إلى طوس وإقليم نيسابور وكان عامر بن إسماعيل من قادة ذلك الجيش. قال الطبري: «توجّه قَحْطبة إلى طوس ومعه عدَّة من القوَّاد، منهم أبو عون عبد الملك بن يزيد، ومقاتل بن حكيم العكّي، وخالد بن برمك، وخازم بن خزيمة، والمنذر بن عبد الرحمن، وعثمان بن نهيك، وجهور بن مرار، وأبو العباس الطوسيُّ ـ الطائي ـ، وعبد اللّه بن عثمان الطائي، وسَلَمة بن محمد، وأبو غانم عبد الحميد بن ربعيّ ـ الطائي ـ، وأبو حُميد ـ الحميري ـ، وأبو الجهم، وعامر بن إسماعيل، ومحرز بن إبراهيم، في عدّة من القوّاد، فلقي من بطوس فانهزموا.. ووجّه قحطبة مقاتل بن حكيم العكيّ على مقدمته إلى نيسابور فبلغ ذلك نصر بن سيار فارتحل هارباً حتى نزل قومس وتفرَّق عنه أصحابه، فسار إلى نباتة بن حنظلة بجرجان»(١).

وقد مكث قحطبة بإقليم نيسابور إلى نهاية شهر شوال سنة١٣٠هـ وكان نباتة بن حنظلة القيسي قد وصل بجيش مرواني كبير من الأهواز إلى جُرجان «وخَنْدق نباتة بن حنظلة حول مدينة جُرجان، وكان خندقه نحواً من فرسخ، وأقْبَلَ قحطبة إلى جُرجان في ذي القعدة سنة١٣٠هـ ومعه أُسيد بن عبد اللّه الخزاعيّ، وخالد بن برمك، وأبو عون عبد الملك بن يزيد، وموسى بن كعب المَرائيّ،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٠٤ و١٠٦ جـ ٩.

والمسيب بن زهير، وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي. وعلى ميسرته أُسيد بن عبد اللّه، وعلى مقدمته الحسن بن قحطبة»[١]. ولَمَّا صار قحطبةُ على مشارف جُرجان وتهيأ للهجوم صباح يوم ٣ ذي الحجة، أشار عليه عامر بن إسماعيل برأي كان له أثره الفعال في تحقيق النصر، فقد شاهد عامر بن إسماعيل أن نباتة بن حنظلة اعتمد على سكان مدينة جرجان في المرابطة على أسوار المدينة وأبوابها وداخلها، بينما رابط نباتة وجند الشام الذين قدموا معه وفلول خراسان في الخندق خارج المدينة.

«فدنا عامر بن إسماعيل من قَحْطبة وقال له: أيها الأمير، ينادي مناديك الساعة في موقفك، وتبعث بذلك إلى الأبواب كلّها: إنّ من دخل داره من أهل جُرْجان فهو آمن، فإنّي أرجو أن يرفضّ عن نباتة كثير من الناس. فقال قحطبة: سرّك اللّه وبرّك، أصبتَ وأحسنتَ، ناد: مَنْ دخل داره من أهل جُرجان وأغلق بابه فهو آمن. فلمّا نُوديَ به في كل الأبواب تسلَّل خلق كثير، ونباتة لم يتحلل من موضعه، فأقْبلَ رجلٌ من المدينة فدنا من نباتة فكلّمه بشيء فمال إليه برأسه يتفهّم كلامه ثم استوى على دابّته وكلّم إنساناً يليه وعطف نباته بفرسه راجعاً إلى المدينة، فقال عامر: انهزم القوم وربِّ الكعبة. ونادى قحطبة: أن احملوا، فحملوا، وانهزم القوم.. واستولى قحطبة على المدينة ليومه وهو يوم السبت ٣ ذي الحجة سنة١٣٠هـ»[٢].

وبذلك انتهت سلطة الخلافة المروانية من أقاليم ولاية خراسان جميعها بما فيها إقليم جُرجان في ذي الحجة ١٣٠هـ.

الدور القيادي لعامر بن إسماعيل في السيطرة على أقاليم إيران:

في شهر محرم ١٣١هـ انطلق الأمير قَحْطبة الطائي من جُرجان إلى إقليم الرَّيّ، فهرب من كان بها من العمال والجيش المرواني، فدخل قحطبة إقليم ومدينة الرّيّ بدون قتال في صفر ١٣١هـ فأقام بها، ووجّه منها أربعة قادة بالعساكر إلى أربع جهات ومناطق، كل قائد على رأس قوة من العساكر، وهم: الحسن بن قحطبة الطائي إلى منطقة هَمَذَان، فسيطر عليها، وأبو عون عبد الملك الأزدي إلى منطقة دَسْتَبيّ ومدينة أبهر، فسيطر عليها وأقام بها. ومقاتل بن حكيم العكّي إلى مدينة قُمْ، فسيطر عليها وتمركز بها. وعامر بن إسماعيل المُسْلي حيث كما جاء في أخبار الدولة:

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٠٤ و١٠٦ جـ ٩.
(٢) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٣٣٠.

«وكَّل قَحْطبة عامر بن إسماعيل بالطرق ما بين الرَّي وهَمَذَان، وأمره أن ينزل قصر تُستَر، ويضع المسالح». [ص ٣٣٩] ـ والمسالح هي الحاميات العسكرية ـ ففعل، وكان معه ثلاثة آلاف.

قال الطبري: «وكتب ابن هبيرة ـ أمير العراق ـ إلى عامر بن ضُبارة المريّ وإلى ابنه داود بن يزيد أن يسيرا إلى قحطبة، وكانا بكرمان، فسارا في خمسين ألفاً حتى نزلوا أصبهان بمدينة جَيّ» [ص ١١٣ جـ ٩] وعندئذٍ ـ كما جاء في أخبار الدولة: «. . كتب قَحْطبةُ إلى عامر بن إسماعيل أن يتقدم إلى أصبهان، وكتب إلى مقاتل العكي أن يوجّه إليه رجلاً في خمسمائة فارس، وكتب إلى أبي عون ـ في أبهر ـ أن يوجّه إليه رجلاً في خمسمائة أخرى، فوجّه إليه العكيُّ المخارقَ بن غفار الطائي، ووجَّه أبو عون أبا الجنيد الأعور، وتوافى المخارق وأبو الجنيد إلى عامر بن إسماعيل ـ فسار عامر حتى نزل التيمرة بأصبهان» ـ ثم كتب قحطبةُ إلى أبي عون وهو بأبهر أن يتوجّه فيمن معه حتى ينزل قرية تُسمّى آبة من أصبهان ـ (فسار أبو عون حتى نزل آبة) ـ وكتب قحطبة إلى مقاتل العكيّ ـ في قُم ـ وإلى عامر بن إسماعيل: إن دهمهم من عدوّهم ما لا قوة لهم به أن ينضموا إلى أبي عون ويطيعوه.

وأقْبَلت خيلٌ من ابن ضُبارة مع رجل من بني مَرّة يقال له عُجرة في نحو من سبعة آلاف رجل يريدون عامر بن إسماعيل ـ[وهو في التيمرة] ـ وأمر عامرٌ المخارقَ بن غفّار أن يخرج في أصحابه، فيقف على شرف بينه وبين العسكر قَدْرَ ميلٍ، فخرج المخارق، فأتاه رجل من أهل القرية وهو مرعوب فقال: رأيت خيل ابن ضُبارة من وراء هذا الشرف نزولاً يسقون دوابَّهم فارتفعت عنهم، وجئتُ إليكم أعلمكم. فأمر بالتهيؤ، وركب وعبأ أصحابه، فلم ينته المخارق إلى ذلك الشرف حتى رأى رَهَجَ القوم، فأرسل إلى عامر يخبره بذلك ثم وقف حتى تبيّنهم وتبيّن راياتهم فانصرف إلى عامر فأخبره، فبرز عامر من القرية وعَبّأ أصحابه. ووضع الميمنة والميسرة والكمين. فَلَمَّا كان بين العسكرين نحوٌ من غلوةٍ وقفوا، وأقبل رجل منهم حتى إذا كان حيث يُسمع كلامه قال: يا معشر المسلمين اتقوا اللّه وراجعوا جماعتكم ولكم الأمانُ على ما أحدثتم في هذه الفتنة ولكم العطاء والرزق الواسع. فقال عامر: يا قاسم كلِّمْهُ، وقاسم كاتبه يومئذٍ، وادعهم إلى كتاب اللّه وسنة نبيه وإلى الرضا من آل رسوله. فكلمه قاسم، وكان متكلماً، فقال: إنّا واللّه ما ننازعكم دنياكم وما عليها نقاتلكم، ولكنّا ندعوكم إلى كتاب اللّه وسنّة نبيّه وإلى الرضا من أهل بيته، فإن قبلتم كنا وأنتم متعاونين على ذلك. فقال المتكلم من

القوم: هذا كلام. ثم حمل القوم على عامر وأصحابه حملة رجل واحد، فتضعضعوا، ولم ينهزموا. فصاح بهم عامر ـ وكان صيّتاً في الحرب: يا معشر المؤمنين أصدقوهم الحملة فقد هزمهم اللّه. فشدّوا عليهم، وحمل صاحب الكمين، فَلَمَّا عاينوا الكمين، وَلَّوْا منهزمين، وقد قُتِل منهم نحوٌ من سبعمائة رجل، وكانوا على خيولٍ مطهّمة فنجوا عليها، وحوى عامر أثقالهم، وكتب إلى أبي عون وإلى العكيّ بما صنع اللّه بهم، وكتب إلى قحطبة ـ في الريّ ـ يخبره بما صنع اللّه لهم، فَلَمَّا ورد كتاب عامر إلى قحطبة وقرأه قال: اللّه أكبر، وكبَّر الناس حتى ارتجّ العسكر بالتكبير، ثم انفتل فسجد طويلاً» [ص ٣٤٠ ـ ٣٤١] ـ وكان ذلك النصر الذي حققه عامر بن إسماعيل ـ في جمادى الثانية ١٣١هـ ـ أول انتصار على جيش ابن ضُبارة. «فَلَمَّا بلغ الخبر ابن ضُبارة، وجّه خيلاً عظيمة مع أبي بكر بن كعب العقيلي، فأقبل حتى نزل التيمرة الكبرى، وخندقَ على نفسه وعلى أصحابه. فكتب عامر إلى أبي عون ـ في آبه ـ وإلى العكيّ ـ في قُمّ ـ، فوافاه أبو عون ومن معه، وزحفوا جميعاً إلى خيل ابن ضُبارة، فالتفوا بالتيمرة فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل. وانصرفت خيل ابن ضُبارة فتركوا خندقهم ـ في الليل ـ ولحقوا بابن ضُبارة. وأصبح عامر وأبو عون وأصحابهم، فبلغهم جلاء عدوهم عن خندقهم فتحولوا إليه ونزلوه، وكتبوا بذلك إلى قحطبة الطائي. ولم يبرح العكّي من موضعه بقُمّ، وذلك أنه بلغه أن خيل الشام قد توجهت إلى قُمّ، فأقام لذلك». [ص ٣٤١]. ومكث عامر وأبو عون وجنودهما بمنطقة التيمرة الكبرى بإقليم أصبهان.

* * *

وفي رجب سنة١٣١هـ سار قحطبة الطائي بالعساكر والقادة الذين معه من الرّي إلى أصبهان، وانضمّ إليه مقاتل بن حكيم العكي والقوات التي معه، وأبو عون وعامر بن إسماعيل وجنودهما، وسار عامر بن ضُبارة المرّي وجيشه، فعسكر على مسافة فرسخ من جيش قحطبة، «وعبّأ قَحْطبةُ أصحابه، فجعل على الميمنة مقاتل بن حكيم العكّي، وعلى الميسرة عبد الحميد بن ربعي الطائي. وجعل عامر بن إسماعيل في الخلف ردءاً لهم». والتقى الفريقان بجابلُق من أرض أصبهان في ٧ رجب ١٣١هـ فتقاتلوا. قال الطبري: «. . قال قحطبة: احملوا عليهم، فحمل عليهم العكّي. . وكان ابن ضبارة في خيل ليس معه رجالة، وقحطبة معه خيل ورجالة، فرموا الخيل بالنشاب، فانهزم ابن ضبارة. .» [ص ١١٤ جـ ٩].

قال صاحب أخبار الدولة «وحمل محمد بن نباتة وهو في ميسرة جيش ابن ضُبارة حملة شديدة على ميسرة جيش قحطبة وعليها عبد الحميد بن ربعي الطائي،

فهزم ميسرة قحطبة هزيمة شديدة، وكان عامر بن إسماعيل في المؤخرة، فصاح عامر يومئذٍ: يا فتيان أعينوا إخوانكم. فشدّوا على ابن نباتة وعسكره، ثم أن سالماً صاحب لواء عامر شدّ على رجل منهم يُقال له عُجرة وكان على مقدمة ابن ضُبارة فطعنه في فخذه، فولّى عجرة هارباً.. قال القاسم، كاتب عامر: إعتور عُجرةَ أسدُ بن مرزبان وسالمُ صاحب لواء عامر فطعناه جميعاً. وبينا هم كذلك صاح صائح: قُتِل ابن ضُبارة. فانهزم القوم وولّوا جميعاً منهزمين.. وكانت الوقعة بجابلق من أرض أصبهان يوم السبت لسبع بقين من رجب سنة١٣١هـ.. وتصدّع جند ابن ضُبارة عن أصبهان وقفرت بهم الطرق حتى انتهوا إلى ابن هبيرة بالعراق.. وقال الشاعر في موقعة جابلق:

سما عامرُ المرّي في يوم جَابُلَقْ ... بزحف بني مروان يطلبُ بالذحلِ
.. هنالك عبّا قحطبُ الخير جمعهُ ... وجرّد سيفَ الحقّ فيهم على رسلِ
وكان له العكيّ خيرَ مؤازرٍ ... يحوطُ جناحَ القلبِ بالخيلِ والرَّجْل
وما خار فيها عامرٌ حين عرّدت ... كتائبنا خوفَ الأسنّة والنبلِ
حمىٰ ميسرتنا أن تضامَ وإنّما ... تَكَشّفُ أخيارُ الكماةِ لدى الفعلِ
بفتيان صدقٍ ليس فيهم مواكلٌ ... ولا ناكِلٌ في الجدّ منهم وفي الهزلِ
فما لبث المريُّ أن فُضّ جمعُهُ ... وأصبحَ مسلوبَ الإمارة والشمل
وغودرَ في قاع من الأرض صفصفٍ ... بمصرع ذلّ لا كبير ولا سهل

وينطق ذلك الشعر بأن عامر بن إسماعيل كان ثالث ثلاثة قادة صنعوا ذلك النصر الكبير في موقعة أصبهان التي أدت إلى زوال السلطة المروانية من أغلب بقية أقاليم إيران، والقادة الثلاثة هم الأمير قحطبة الطائي، ومقاتل بن حكيم العكّي وعامر بن إسماعيل المسلي المذحجيّ.

ولَمّا انهزم الجيش المرواني ولحق فلولهم بابن هبيرة الفزاري بالعراق، قال رجل من بني فزارة رهط ابن هبيرة:

لحى اللّهُ طيّا في الرجال فإنها ... إلى الكفر تعشو كالليوث الهواصرِ
تريدُ زوالَ الملكِ عن مستقرّه ... وتوقدُ نيرانَ الحروب المساعرِ
فما ولدت طيّاً ومَذْحجَ حُرّةٌ ... ولا حاولتْ بالرشدِ إحدى المفاخرِ

فأجابه عبد اللّه بن عمير المسلي المذحجي، وهو ابن عم عامر بن إسماعيل، قائلاً:

أتسمو إلى طيىءٍ ولولا ضرابُها ... لمالتْ قناةُ الدين بل لم تهاجرِ

إذا غضبوا شقّوا السماء تكاثراً وأظلمَ أُفقاها على كلّ ناظرِ
وهدّوا الجبالَ الشمّ هدّاً ونهنهوا كواكب إلّا يمسكوها تَناثرِ

ومذحجُ وطِيء إخوة. وهما: ابنا أدد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وفي آخر شعبان ورمضان سنة١٣١هـ تقدّم قَحطبة إلى نهاوند فحاصرها، ووجّه قحطبةُ عامر بن إسماعيل في ثلاثة آلاف مقاتل إلى الدَّيْنور، فحارب عامرٌ عبد الصمدِ الحروري بالدينور فهزمه عامر وسيطر على الدينور وأقام بها. وانتصر قَحطبة واستولى على نهاوند في ٥ ذي القعدة ١٣١هـ فاكتملت بذلك السيطرة على كافة أقاليم إيران.

الدور القيادي لعامر مع أبي عون في الانتصار بولاية الموصل:

وفي ذي الحجة ١٣١هـ تقدّم قحطبة الطائي ودخل إقليم حُلوان بالعراق، ووجّه قحطبةُ أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي في أربعة آلاف إلى منطقة شهرزور بولاية الموصل وكان مروان بن محمد قد وجّه عثمان بن سفيان في نخبة خيله إلى شهرزور ـ قال صاحب أخبار الدولة ـ «. . فسار أبو عون حتى نزل قلعة النُسير، ثم كتب إليه قَحْطبةُ أن يُقيم حتى يوافيه عامر بن إسماعيل، وكتب إلى عامر وهو بناحية الدينور يأمره بالانضمام فيمن معه وهم ثلاثة آلاف رجل إلى أبي عون، فسار عامر بن إسماعيل فوافى أبا عون بسن سُميرة ـ[وسن سُميرة: على خمسة فراسخ من الدينور]، ومضى أبو عون، ومعه عامر، إلى شهرزور في طريقٍ وعرٍ صعب حتى نزل البحيرة التي لقيته فيها خيل مروان. وبلغ قحطبة أنّ مروانَ قد جمع لِمَنْ توجّه في ذلك الوجه ـ جيشاً قوياً ـ فكتب إلى أبي عون يأمره بالانصراف إليه، وورد عليه كتابه وقد دنا منه عثمان بن سفيان، فَلَمّا قرأ أبو عون كتاب قحطبة شاور أصحابه، فأشاروا عليه بالانصراف. وكان قد انضاف إلى عامر بن إسماعيل رجل من بني الحارث يقال له عَفّان بن سعيد في نحوٍ من مائة رجل من قومه ـ من بني الحارث بن كعب وهم من مذحج ـ فقال عَفّاق لعامر: ما الذي رأى صاحبكم من الانصراف؟ والله لئن فعلتم ليقتلنكم الذرُّ فضلاً عن الناس، أنّي أعلم بالقوم منكم، إنهم قد مُلئوا منكم رعباً. فأرسل عامر إلى أبي عون بمقالة الرجل، فجاء أبو عون إلى عامر، واجتمع بالرجل فسمع منه. وصبّحهم عثمان بن سفيان في خيوله ـ وكانوا أربعة آلاف، وقيل: عشرة آلاف ـ وأتت أبا عون طلائعه فأخبرته بدنوّه منه، فخرج أبو عون ـ لقتال عثمان ـ وتخلّف عامر لمرضه في مؤخرة

العسكر وعَبَّأ أبو عون من معه، فَلَمَّا قرب منهم، إذا أصوات تكبير من خلفهم، فنظر فإذا هو عامر قد أقْبَلَ فانضمّ إليه، فصار في الميمنة. وكان أول من حمل على خيل مروان يومئذٍ الموصلية الذين كانوا مع عامر ـ وهم عفّاق الحارثيّ وأصحابه ـ وحمل الناس على خيل مروان فصبروا قليلاً ثم ولّوا فقُتِلوا عن آخرهم» ـ قال الطبري: كانت وقعة شهرزور في ٢٠ ذي الحجة ١٣١هـ».

قال صاحب أخبار الدولة: «وأشار عفّاق بن سعيد الحارثي على أبي عون أن يتقدم إلى مدينة الموصل فإن مروان وترهم وأساء إليهم وما هو إلا أن يسمعوا بخبر الدعوة ومن يقرب منهم من أهلها حتى يسوّدوا ويجيبوا، فَقَبل ذلك منه ومضى إلى الموصل. وانحاز أهل الموصل وأهل التخومات إلى عسكر أبي عون، فصار في سبعة آلاف ـ من أهل الموصل ـ ونزل قرية يُقال لها قرية الملح..» [ص ٣٥٩] ـ قال الطبري: «وأقام أبو عون بناحية الموصل.. بقية ذي الحجة وشهر المحرم سنة١٣٢هـ، وفرض فيها لخمسة آلاف رجل..» [ص ١١٦ و١٣٠ جـ ٩].

بينما انتصر قَحْطبة على جيش ابن هبيرة أمير العراق في الفرات بالقرب من الكوفة في ٨ محرم ١٣٢هـ ومات قَحْطبة، ودخل جيشه الكوفة بقيادة حميد بن قَحْطبة والحسن بن قَحْطبة في ١٣ محرم ١٣٢هـ. وكان أبو عون ومعه عامر بن إسماعيل بمنطقة قرية الملح بالقرب من نهر الزاب الصغير بولاية الموصل.

وأقْبَلَ الخليفة مروان بن محمد بجيش كبير ونزل بمنطقة نهر الزاب الكبير، وأوقع أبو عون بخيل لمروان وعبر الزاب الصغير وتقدم إلى الزاب الكبير ـ في صفر ١٣٢هـ ـ ووصلت الإمدادات إلى أبي عون حتى بلغ جيشه زهاء ثلاثين ألفاً. ثم بعث أبو العباس السفاح عمه عبد اللّٰه بن عليّ أميراً على الجيش بالزاب ـ في شهر جمادى ـ وتمت هزيمة مروان وجيشه بالزاب الكبير في ١١ جمادى الثانية ١٣٢هـ. ومضى مروان إلى حرّان ثم إلى دمشق ومنها إلى فلسطين. ودخل عبد اللّٰه بن عليّ بالجيش العباسي دمشق في ١٠ رمضان ١٣٢هـ ومعه أبو عون، وحميد بن قحطبة، وعامر بن إسماعيل، وغيرهم من القادة. ثم سار عبد اللّٰه بن عليّ إلى فلسطين وقد نزل مروان بنهر أبي فُطْرُس، فأجفل مروان إلى العريش ومضى إلى مصر. وكتب أبو العباس السفاح إلى عبد اللّٰه بن عليّ وهو بنهر أبي فُطْرُس: أن وجّه صالح بن عليّ مع قادة وعسكر في طلب مروان إلى مصر. قال الطبري: «فسار صالح بن عليّ في ذي القعدة سنة١٣٢هـ ومعه ابن فتان وعامر بن

إسماعيل وأبو عون، فقدّم صالح بن عليّ أبا عون على مقدمته وعامر بن إسماعيل. .» [ص ١٣٦ جـ ٩].

* * *

نبأ انهزام ومقتل مروان بن محمد على يد عامر بن إسماعيل في مصر:

قال المسعودي في مروج الذهب: «رحل صالح بن عليّ في طلب مروان ومعه أبو عون عبد الملك بن يزيد وعامر بن إسماعيل المَذحجي؛ فلحقوه بمصر وقد نزل بُوصِيرَ»(١).

وجاء في تاريخ الطبري أنه: «. . قَدّم صالح بن عليّ أبا عون على مقدمته وعامر بن إسماعيل. . وبلغ مروان فأحرق ما كان حوله من علف وطعام وهرب، ومضى صالح فنزل النيل، وبلغه أن خيلاً لمروان بالساحل يحرقون الأعلاف، فوجّه إليهم قوّاداً فأخذوا رجالاً فقدموا بهم على صالح وهو بالفسطاط، فعبر مروان النيل وقطع الجسر وحرّق ما حوله، ومضى صالح يتبعه ـ (وعلى مقدمته أبو عون وعامر) ـ فالتقى هو وخيل لمروان على النيل فاقتتلوا فهزمهم صالح، ثم سار إلى خليج فعبروا ورأوا رهجاً فظنّوه مروان، فبعث طليعة فلم يلقوا أحداً ينكرونه فرجعوا إلى صالح، فارتحل صالح فنزل موضعاً يقال له ذات الساحل. فقَدَّم أبو عون عامر بن إسماعيل ومعه شعبة بن كثير فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم وأسروا منهم رجالاً، فسألوهم عن مروان فأخبروهم بمكانه على أن يُؤمِّنوهم، وساروا فوجدوه نازلاً في كنيسة في بُوصير. .»(٢) وقال الطبري: «قال عليّ بن محمد أخبرني إسماعيل بن الحسن بن عامر بن إسماعيل قال: لقينا مروان ببوصير ونحن في جماعة يسيرة فشدّوا علينا فانضوينا إلى نخل ولو يعلموا بقلتنا لأهلكونا، فقلتُ لِمن معي من أصحابي: «إن أصبحنا فرأوا قلتنا وعددنا لم ينج منّا أحد. . فكسرتُ جفن سيفي وكسر أصحابي جفون سيوفهم، فكأنها نارٌ صُبّت عليهم فانهزموا. .»(١) وقال المسعودي «هجموا على عسكر مروان وضربوا بالطبول، وكبروا ونادوا: يا لثارات إبراهيم، فظن مَنْ في عسكر مروان أن قد أحاط بهم سائر المسوِّدة، فَقُتِل مروان. . وكان قتله ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة١٣٢هـ» وقال المسعودي: «إن عامر بن إسماعيل قتل مروان ببوصير. وقيل: إن ابن عم لعامر بن إسماعيل يقال له نافع بن عبد الملك قتل مروان في تلك الليلة وهو لا يعرفه»(٣).

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٢٦١ جـ ٣.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٣٦ جـ ٩.
(٣) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٢٦١ و٢٧١ جـ ٣.

وجاء في رواية الطبري السالفة أن عامر بن إسماعيل قال: «.. فكسرتُ جفن سيفي وكسر أصحابي جفون سيوفهم.. فكأنّها نارٌ صُبّت عليهم فانهزموا، وحمل رجلٌ على مروان فضربه بسيفه فقتله.. وقال عليّ بن محمد: حدثنا الكنانيُّ قال: سمعتُ أشياخنا بالكوفة يقولون: مُسْلِيةُ قتلة مروان». [ص ١٣٦ جـ ٩] وجاء في أخبار الدولة العباسية «أن مروان بن محمد قتله عامر بن إسماعيل ببوصير»[١].

وبذلك تؤكد غالبية النصوص التاريخية أن عامر بن إسماعيل هو الذي قتل مروان بن محمد، وأنه كما ذكر المسعودي «وقيل: إن ابن عم لعامر يُقال له نافع بن عبد الملك قتل مروان في تلك الليلة». وهذا يشير إلى اشتراك نافع بن عبد الملك المُسْلي في قتل مروان مع عامر بن إسماعيل، ولعل نافع هو الذي قطع رأس مروان. قال ابن خلدون: «انهزم مروان وطُعِن فسقط، وقُطع رأسه، وبعث به طليعة أبي عون إليه، وكان طليعة أبي عون عامر بن إسماعيل»[٢]. وقال الطبري: «بعث عامر بن إسماعيل برأس مروان إلى أبي عون، فبعث بها أبو عون إلى صالح بن عليّ، وبعث صالح برأسه مع يزيد بن هانيء إلى أبي العباس السفاح، يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة ١٣٢هـ.. ودفع صالح بن عليّ الغنائم إلى أبي عون.. وخَلّف أبا عون على مصر، وانصرف إلى الشام». [ص ١٣٦ جـ ٩] وقال الطبري: «ثم دخلت سنة١٣٣هـ، وكتب أبو العباس إلى أبي عون بإقراره على مصر والياً عليها». [ص ١٤٨ جـ ٩].

أنباء عامر بن إسماعيل في مصر بعد مقتل مروان:

لقد سقط مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بسيف عامر بن إسماعيل المُسْلي المذحجي في بُوصِيَر بالفيوم بصعيد مصر، وكان مروان قد اتخذ كنيسة بُوصِيَر مقراً وقصراً له وأسكن بناته ونسائه وأهله بالكنيسة، قال المسعودي في مروج الذهب:

«لَمَّا قَتَل عامرُ بن إسماعيل مروانَ بن محمد وأراد الكنيسة التي فيها بنات مروان ونساؤه، إذا بخادم لمروان شاهر السيف يحاول الدخول عليهن، فأسروا الخادم وسألوه عن أمره، فقال: أمرني مروان إذا هو قُتِلَ أن أضرب رقاب بناته ونسائه، ـ ثم قال ـ لا تقتلوني فإنكم والله إن قتلتموني ليُفْقَدَنّ ميراث رسول الله ﷺ. فقالوا: انظر ما تقول؟ قال: إن كذبتُ فاقتلوني، هلمّوا فاتبعوني،

(١) أخبار الدولة العباسية ـ ص ٢٩٣.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٥٠١.

ففعلوا - [أي أخرجوه من محبسه الذي كانوا حبسوه فيه، وساروا معه بأمر عامر بن إسماعيل] - فأخرجهم من بُوصِيَر إلى موضع رمل، فقال: اكشفوا هنا، فكشفوا، فإذا البُرْدَ والقَضِيب ومِخْصر قد دفنها مروان، فوجّه بها عامر بن إسماعيل إلى عبد اللّه بن عليّ، فوجّه بها عبد اللّه إلى أبي العباس السفاح، فتداولت ذلك خلفاء بني العباس إلى أيام المقتدر» [ص ٢٧١/٣] - ونرى أن عامر بن إسماعيل وجَّه بالبُرْد والقضيب والمِخْصر إلى أبي عون عبد الملك الأزدي لأنّه والي مصر وقد أقرّه وكتب إليه أبو العباس السفاح بولايته على مصر في أول سنة١٣٣هـ وكان عامر بن إسماعيل بمثابة نائب لأبي عون في صعيد مصر وجنوبها، فبعث عامر بالبرد والقضيب والمِخْصر إلى أبي عون - بالفسطاط عاصمة ولاية مصر - فوجّه أبو عون بذلك إلى عبد اللّه بن عليّ بالشام فوجّه بها عبد اللّه إلى أبي العباس السفاح بالكوفة. وذلك سنة١٣٣هـ.

قال المسعودي في مروج الذهب: «واتصل بأبي العباس السفاح ما كان من أمر عامر بن إسماعيل وقتله لمروان ببوصير، وأن عامراً لما احتزّ رأس مروان واحتوى على عسكره، دخل الكنيسة التي كان فيها مروان فقعد على فراشه - [أي على كرسي وسرير الخلافة] - وأكل من طعامه، فخرجت إليه بنت مروان الكبرى، وكانت تُعرف بأم مروان، وكانت أَسَنَّهُنَّ، - [أي كانت أكبر بنات الخليفة مروان بن محمد] - فقالت: يا عامر إن دهراً أنزل مروان عن فُرشه حتى أقعدك عليها فأكلت من طعامه واحتويت أمره وحكمت في مملكته لقادِرٌ أن يُغيّر ما بك من نعمه. وبلغ أبا العباس السفاح فعله وكلامها، فاغتاظ من ذلك وكتب إليه: ويلك أما كان لك في أدب اللّه عز وجل ما يزجرك عن أن تأكل من طعام مروان وتقعد على مهاده وتتمكّن من وساده، أما واللّه لولا أن أمير المؤمنين تأول ما فعلت على غير اعتقاد منك لذلك ولا شهوة لمَسِّك من غضبه وأليم أدبه ما يكون لك زاجراً ولغيرك واعظاً، فإذا أتاك كتاب أمير المؤمنين فتقرب إلى اللّه تعالى بصدقة تطفيء بها غَضَبه وصلاة تظهرُ بها الاستكانة، وصُمْ ثلاثة أيام، ومُرْ جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك». [ص ٢٧١ جـ ٣] - ومكث عامر بن إسماعيل بمصر مدة ولاية أبي عون لمصر وذلك إلى عهد خلافة أبي جعفر المنصور - سنة١٤٠هـ - ثم عاد إلى العراق.

أنباء ولاية عامر بن إسماعيل لمنطقة واسط.. إلى وفاته سنة١٥٧هـ:

وتولّى عامر بن إسماعيل منطقة واسط بالعراق في خلافة أبي جعفر المنصور، وقد ذكر الطبري في أحداث سنة١٤٥هـ أنه: «قال ابن أبي الكرام: بعثني عيسى بن موسى ومعي مائة من الجند إلى أبي جعفر المنصور، فجئنا حتى

إذا أشرفنا على النجف كبّرنا، وعامر بن إسماعيل يومئذٍ بواسط». [ص ٢٣٠ جـ ٩] ـ ثم كان عامر قائداً للإمدادات العسكرية التي بعثها المنصور إلى الحسن بن قحطبة أمير أرمينية. قال البلاذري: «انتقض أهل أرمينية في ولاية الحسن بن قحطبة الطائي وكان رئيسهم موشائيل الأرمني، فبعث إليه أبو جعفر المنصور الإمداد وعليهم عامر بن إسماعيل، فواقع الحسنُ موشائيل فَقُتِل وفُضت جموعه، واستقامت الأمور للحسن». [ص ٢١٢ ـ فتوح البلدان].

قال الطبري «وفي سنة١٥٧هـ تُوفي عامر بن إسماعيل المسلي بمدينة السلام ـ بغداد ـ فصلّى عليه أبو جعفر المنصور، ودُفن في مقابر بني هاشم» ـ وهي مقابر الخلفاء العباسيين وأسرتهم وعظماء رجال الدولة ومنهم كان عامر بن إسماعيل عليه رحمة اللّه.

٧

طلحة بن إسحاق الكِنْدي.. أمير الكوفة

(١٣٦ ـ ١٤٧هـ)

هو الأمير طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، حفيد الصحابي الزعيم اليماني الأشعث بن قيس الكندي زعيم كندة وحضرموت عند ظهور الإسلام، وفيه قال الشاعر:

قَيْسٌ أبو الأشعثِ بِطْرِيقُ اليَمَنْ   لا يسأل السائلُ عنه ابنُ مَنْ

أشبَعَ آل اللّه مِنْ بُرٍّ عَدَنْ[1]

وفَدَ الأشعث بن قيس من حضرموت باليمن إلى رسول اللّه ﷺ بالمدينة المنورة في ثمانين راكباً من فرسان كندة وأخذ مكانه بين الصحابة[2] ثم انطلق من اليمن في آلاف الفرسان إلى العراق وكان من قادة فتح القادسية وفتوح العراق وفتح نهاوند سنة٢٠هـ وفيه قال الشاعر:

لسْتَ كالأشْعثِ المُعَصّبِ بالتاجِ   غلاماً قد ساد وهو فطيمُ

جدّه آكل المُرّارِ وقيسٌ   خطبه في الملوكِ خطبٌ عظيمُ

فله عزّة الملوك، وللأشعث   تاجان، حادثٌ وقديمُ

وتاج الأشعث القديم أنه كان ملكاً قبل الإسلام، وتاجه الحادث أنه كان من كبار الأمراء في الفتوحات وواليأ لأذربيجان وأرمينية في عصر الخلفاء الراشدين. قال البلاذري: «غزا المغيرة بن شعبة أذربيجان سنة٢٠هـ ففتحها ثم كفروا فغزاها الأشعث بن قيس الكندي ففتح حصن باجروان وصَالَحَهم، ومضى صلح الأشعث إلى اليوم. وقَدِم الوليد بن عقبة أذربيجان ومعه الأشعث بن قيس ـ في خلافة عثمان بن عفان ـ فولّاه أذربيجان. فتتبع الأشعث بن قيس أذربيجان حاناً حاناً ففتحها، وأسكنها ناساً من العرب من أهل العطاء والديوان، وأمرهم بدعاء الناس إلى

(١) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص ١٨ جـ ١.

(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٥٤ جـ ٤.

الإسلام. - [ومكث الأشعث والياً لأذربيجان في خلافة عثمان بن عفان] - ثم ولّى علي بن أبي طالب الأشعثَ أذربيجانَ، فَلَمَّا قَدِمَها وجَدَ أكثر أهلها قد أسلموا وقرؤوا القرآن، فأنزل الأشعثُ في أردبيل جماعة من أهل العطاء والديوان من العرب ومَصّرها وبَنَىٰ مسجدها»[١]. ومكث الأشعث بن قيس والياً لأذربيجان حتى آلت الخلافة إلى معاوية سنة٤١هـ فعاد إلى الكوفة وسكن بها حتى وفاته، وكان معه نجله محمد بن الأشعث. قال الحافظ ابن حجر: «محمد بن الأشعث بن قيس الكندي: ذكر ابن مندة أنه وُلد في عهد النبي ﷺ.. أُمه أم فروة أخت أبي بكر الصديق»[٢].

وقد نشأ محمد بن الأشعث في اليمن ثم انتقل إلى الكوفة وصار من رؤساء اليمنيين المقيمين بالعراق، ثم أصبح أميراً والياً للموصل أيام عبد اللّه بن الزبير (٦٥ - ٦٦هـ) قال الطبري: «كان عبد اللّه بن الزبير قد بعث محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل، وأمره بمكاتبة ابن مطيع، غير أن ابن مطيع لا يقدر على عزله إلا بأمر ابن الزبير. وكان محمد بن الأشعث قبل ذلك منقطعاً بإمارة الموصل لا يكاتب أحداً دون ابن الزبير فَلَمَّا قَدِم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني من قِبل المختار أميراً تنحى له عن الموصل»[٣]، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني هو صهر محمد بن الأشعث. وكان سعيد بن قيس الحاشدي الهمداني من كبار أقيال اليمن. قال الأصفهاني: «وكان أعشى همدان من أخوال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لأن أم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث: أم عمرو بنت سعيد بن قيس الهمداني»[٤] وكان لمحمد بن الأشعث من الأولاد: القاسم، وعبد الرحمن، والمنذر، وإسحاق، وإسماعيل، أُمهم أم عمرو بنت سعيد بن قيس. قال الحافظ ابن حجر: «كان المحمدون الذين يكنون أبا القاسم أربعة: محمد بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن طلحة، ومحمد بن سعد، ومحمد بن الأشعث - وذكر الزبير بن بكار: إن مصعب بن الزبير لَمَّا غزا المختار بعث على مقدمته محمد بن الأشعث وعبيد اللّه بن علي بن أبي طالب فقتلا سنة٦٧هـ» [ص ٥٠٩/ ٣] قال الطبري: «فَلَمَّا أصبح مصعب بن الزبير أقْبَلَ يسيرُ بمن معه فمرّ بالمهلَّب بن أبي صُفرة الأزدي، فقال له المهلَّب: يا له فتحاً ما أهنأه لو لم يكن محمد بن الأشعث قُتِل، قال: صدقت فرحم اللّه محمداً.

---

(١) فتوح البلدان - البلاذري - ص ٣٢٤.
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر - ص ٥٠٩ جـ ٣.
(٣) تاريخ الأمم والملوك - الطبري - ص ١١٠ جـ ٧.
(٤) الأغاني - الأصفهاني - ص ١٤٥ جـ ٥.

ثم سار غير بعيد ثم قال: يا مهلّب هل علمت أن عبيد اللّه بن علي بن أبي طالب قُتِل؟ قال: إنا للّه وإنّا إليه راجعون.. وقال أعشى همدان في رثاء محمد بن الأشعث:

تأوّبَ عَيْنَكَ عُوّارُهَا   وعاد لنفسك تذْكارُهَا
وما ذاقَتِ العينُ طَعْمَ الرُقا   دِ حتى تبلّجَ إسفارُها
وقام نُعاةُ أبي قاسم   فأسبل بالدمع تَحْدارُها
فحقّ العيون على ابن الأشجّ أن لا يُفتّرَ تَقطارُها
وألّا تَزالَ تُبَكّي له   وتَبتَلُّ بالدمع أشفارُها
عليك محمدُ لما ثَوَيْتَ   تبكي البلادُ وأشجارُها
.. فيا واهِبَ الوُصَفَاءِ الصِبَا   ح قد يُعجِبُ الصفَّ شُوّارها
ويا واهب البَكَرات الهِجَا   نِ عُوذاً تجاوَبُ أبكارها
وكنتَ كدجْلةَ إذ تَرْتَمي   فيُقذَفُ في البحر تيَّارُها
وكنتَ إذا بلدةٌ أصفَقَت   وآذَنَ بالحرب جبّارُها
بعثتَ عليها ذواكي العيو   نِ حتى تَواصلَ أخبارُها
بإذنِ من اللّهِ والخيلُ قد   أُعِدّ لذلك مِضْمَارُها
.. فلا تَبعَدنَّ أبا قاسِم   فقد يَبلغُ النفسَ مقدارها)[1]

ثم كان عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من كبار الزعماء والأمراء، تولّى أقاليم الأهواز ثم سجستان ومكران في خلافة عبد الملك بن مروان. قال المسعودي في مروج الذهب: «تولّى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سجستان وبُسْتَ والرحج، فحارب مَنْ هنالك من أمم الترك، وهم أنواع من الترك يُقال لهم الغوز والخلج، وحارب مَنْ يلي تلك البلاد من ملوك الهند»[2] وكان مع عبد الرحمن في ولايته لسجستان الشاعر أعشى همدان، وقال فيه:

يا أيها القرم الهجان الذي   يبطشُ بطش الأسد اللابد
والفاعل الفعل الشريف الذي   ينمى إلى الغائب والشاهد
تجبي سجستان وما حولها   متكئاً في عيشك الراغد
لا ترهب الدهر وأيامه   وتجرد الأرض مع الجارد

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٥٣ جـ ٧.
(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ١٣٨ جـ ٣.

ومنها قول الأعشى لعبد الرحمن:

إنْ تـك مـن كـنـدة فـي بـيـتـهـا ... فـإنّ أخـوالـك مـن حـاشـد
شـم الـعـرانـيـن وأهـل الـنـدى ... ومـنـتـهـى الـضـيـفـان والـرائـد
كـم فـيـهـم مـن فـارس مُـغْـلِـم ... وسـائـس لـلـجـيـش أو قـائـد
وراكـب لـلـهـول يـجـتـابـهً ... مـثـل شـهـاب الـقـبـس الـواقـد

وأم عبد الرحمن هي أم عمرو بنت سعيد بن قيس الهمداني الحاشدي، لذلك قال الأعشى:

(فـإنّ أخـوالـك مـن حـاشـد)

وفي سنة٨١ ـ ٨٢هـ ثار عبد الرحمن وخلع عبد الملك بن مروان وبويع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالخلافة ونودي بناصر المؤمنين وانضوت تحت لوائه بلاد سجستان وكرمان وفارس والبصرة والكوفة وهزم الحجاج بن يوسف الثقفي عامل العراق حتى ألجأه إلى تخوم الشام. ولَمَّا بويع عبد الرحمن بالخلافة في العراق وغيرها وخلع الناس عبد الملك بن مروان، قيل: كيف يبايعون لابن الأشعث وهو كنديٌّ من اليمن ويخلعون ابن مروان وهو من صليبة قريش. فقال أعشى همدان يرد عليهم ويمدح ابن الأشعث:

يـأبَـىٰ الإلـهُ وعـزّ ديـن مـحـمـدٍ ... وجـذور مُـلْـكٍ قـبـل آل ثـمـود
أن تـأنـسـوا بـمـذمـمـين عـروقـهـم ... في الـنـاس إن نُـسِـبـوا عـروق عـبـيـد
كـم مـن أبٍ لـك كـان يـعـقـد تـاجـه ... بـجـبـيـن أبـلـج مـقـولٍ صـنـديـدِ
وإذا سـألـت الـمـجـد أيـن مـحـلـه ... فـالـمـجـد بـيـن مـحـمـد وسـعـيـد
بـيـن الأشَـجّ وبـيـن قـيـسٍ بـاذخٌ ... بـخ بـخ لـوالـده ولـلـمـولـود
ما قَصَّرَتْ بك أن تنال مدى العلا ... أخـلاقُ مـكـرمـة وارث جـدود
قـرم إذا سـامـى الـقـروم تـرى لـه ... أعـراق مـجـدٍ طـارفٍ وتـلـيـدِ
وإذا دعـا لـعـظـيـمـةٍ حـشـدت لـهُ ... هـمـدانُ تـحـت لـوائـه الـمـعـقـود
يـمـشـون في حِـلَـقِ الـحـديـد كـأنّـهـم ... أسـدُ الأبـاء سـمـعـنَ زأر أُسـودِ
وإذا دعـا فـي آل كـنـدة أجـفـلـوا ... بـكـهـول صـدقٍ سـيـدٍ ومَـسُـودِ
وشـبـاب مـأسـدة كـأنّ سـيـوفـهـم ... فـي كـل مـلـحـمـة بـروق رعـودِ

ولَمَّا أخفقت الثورة لجأ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى بلاد رتبيل ومات بها سنة٨٤هـ وقُتِل معه أخوه القاسم بن محمد بن الأشعث.

ثم اشترك آل الأشعث في ثورة يزيد بن المهلَّب ضد الخليفة الأموي يزيد بن

عبد الملك والتي انتهت بمقتل يزيد بن المهلَّب في صفر سنة١٠٢هـ ثم مقتل المفضل بن المهلَّب حيث قال الطبري: «فقُتِل مع المفضل بن المهلَّب النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ومحمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكندي، وجُرح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحة شديدة وهرب إلى حُلوان فَدُلَّ عليه فَقُتِل»[(١)] .

وبذلك خرج آل الأشعث وآل المهلَّب من الميدان السياسي بالعصر الأموي ولكن الزعامة الشعبية لآل المهلَّب في البصرة ولآل الأشعث بين اليمنيين بالكوفة تواصلت في عهد ولاية خالد بن عبد اللّٰه القسري للعراق سنة١٠٥ ـ ١٢٠هـ، وكانت الكوفة وسكانها تنقسم إلى أربعة أرباع لكل منها قائد، وقد ذكر الطبري في أحداث سنة١٢٢هـ إنه: «كان على أرباع الكوفة، على ربع أهل المدينة: إبراهيم بن عبد اللّٰه بن جرير البَجَلِي، وعلى مذحج وأسد: عمرو بن أبي بذل العبدي، وعلى كندة وربيعة: المنذر بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، وعلى تميم وهمدان: محمد بن مالك الهمداني الخيواني». [ص ٨/٢٧٣].

ثم أدى قيام الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك بقتل الأمير خالد بن عبد اللّٰه القسري في محرم ١٢٦هـ وتعصب الخليفة مروان بن محمد على اليمانية لَمَّا تولَّى الخلافة سنة١٢٧هـ إلى انضواء الزعامات اليمانية في الدعوة العباسية وكان منهم آل الأشعث بزعامة طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكندي.

* * *

كان طلحة الزعيم الشعبي لعشائر كندة وحضرموت وكبير آل الأشعث بالكوفة، كان هو ومحمد بن خالد بن عبد اللّٰه القسري أبرز الزعامات اليمانية بالكوفة لما دخل قَحْطبة بن شبيب الطائي بجيش الدعوة العباسية إلى العراق وعَسْكر في غربي الفرات في ٥ محرم ١٣٢هـ فثار محمد بن خالد القسري وطلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكندي وأظهرا الدعوة العباسية بالكوفة في ٦ محرم ١٣٢هـ. وعن ذلك جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية ما يلي نصه: «..عَسْكَرَ قَحْطبة بن شبيب الطائي في غربي الفرات لخمس خلون من محرم سنة١٣٢هـ. وكتب قَحْطبةُ إلى أبي سَلَمَة يخبره بعبوره الفرات، وبعث بكتابه مع أبي ماجد، رجلٌ من همدان، فَلَمَّا وصل إليه الكتاب بعث إلى محمد بن خالد

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٥٨ جـ ٨.

القسري رسولاً يقول له: قد كنتَ تتمنى هذا اليوم، فقد بلغته، فأظْهر السواد، وأخرجْ في عشيرتك ومواليك، فبعث محمد بن خالد إلى مواليه وقومه وجيرته وصنائع أبيه، فاجتمع إليه منهم نحو ألف رجل، فأخبرهم برأيه وما أجمع عليه، وأمرهم ألّا يبيتوا حتى يفرغوا من سوادهم. وبعث أبو سلمة بمثل ذلك إلى طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكندي، فتأهبَ (طلحة في نحو ألف رجل)، وبدره محمد بن خالد فخرج من منزله في جماعة كثيرة، ودس له أبو سَلَمَة أصحابه، ومن كان من جيرته، فيمن يليهم، وأرغبوهم في الخروج لِلّحوق بمحمد بن خالد، ففعلوا.. وبلغ ذلك زياد بن صالح صاحب شرطة ابن هبيرة ـ وهو نائبه بالكوفة ـ فهرب من القصر ولحق بابن هبيرة. ومضى محمد بن خالد حتى أتى القصر وليس فيه أحد، فدخله، ثم خرج إلى المسجد الجامع، وذلك يوم الاثنين ٦ محرم ١٣٢هـ، ووافاه طلحة بن إسحاق في جماعة قومه. فصعد محمد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه، وخَلَع مروان.. وكان فيما تكلم به يومئذٍ أن قال: يا أهل الكوفة إن اللّه قد أكرمكم بهذه الدعوة المباركة، وقد طلبها الأبناء بعد الآباء، فحرموها حتى ساقها اللّه إليكم، هذه جنود الحق قد أظلتكم، داخلة عليكم أحد اليومين، فقومُوا فبايعُوا»[1]. فقامَ الناس يبايعون محمد بن خالد وقد وقف إلى جانبه طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث، فانتهت سلطة الخلافة الأموية وبدأ عصر الخلافة العباسية بالكوفة والعراق، وتولّى محمد بن خالد الكوفة وكان يُقال له الأمير حتى ظهور أبي العباس السفاح ومبايعته ـ علناً ـ بالكوفة في ١٣ ربيع الثاني ١٣٢هـ.

واشترك طلحة بن إسحاق الكندي على رأس ثلاثة آلاف من يمانية الكوفة في موقعة الزاب ضد الخليفة مروان بن محمد وجيشه بالموصل والجزيرة الفراتية. وقد ذكره الطبري باسم (إسحاق بن طلحة) فقد يكون ابن طلحة بن إسحاق، وغالب الظن أنه إسحاق بن طلحة، وكان أبو عون يقاتل مروان بالزاب. قال الطبري: «فوجَّه أبو سَلَمَة إلى أبي عون عيينةَ بن موسى والمنهالَ بن فتان وإسحاقَ بن طلحة، كل واحد في ثلاثة آلاف، فَلَمَّا ظهر أبو العباس بعث سَلَمَة بن محمد في ألفين وعبد اللّه الطائي في ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن ربعي الطائي في ألفين ووداس بن نضلة في خمسمائة إلى أبي عون». [ص ١٣٠/٩] وبذلك كان إسحاق بن طلحة ـ أو طلحة بن إسحاق ـ من قادة موقعة الزاب التي انهزم فيها مروان بن محمد في جمادى الثانية ١٣٢هـ ثم اكتمل قيام الخلافة العباسية بمقتل

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٣٦٧.

مروان بن محمد على يَدَيْ عامر بن إسماعيل المذحجي في بوصير بمصر في ٢٧ ذي الحجة ١٣٢هـ.

* * *

وقد أصبح طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكندي أميراً للكوفة ـ بالنيابة ـ في خلافة أبي العباس السفاح لأن منطقة الكوفة ومنها مدينة الأنبار كانت مقرَّ أبي العباس السفاح وولّى عليها ابن عمه عيسى بن موسى بن عليّ العباسي فكان طلحة يتولّى الكوفة بالنيابة وكان هو أمير الكوفة لَمَّا مات الخليفة أبو العباس في ذي الحجة ١٣٦هـ واستخلف أخاه أبا جعفر المنصور وكان في الحج فتوجه إلى الكوفة حيث قال الطبري: «في محرم ١٣٧هـ كان قدوم المنصور من مكة فوجد عيسى بن موسى قد شَخَص إلى الأنبار واستخلف على الكوفة طلحة بن إسحاق بن محمد بن الأشعث، فدخل أبو جعفر المنصور الكوفة»[١].

ومكث طلحة بن إسحاق الكندي أميراً للكوفة بالنيابة لعيسى بن موسى وكان عيسى هو ولي عهد أبي جعفر المنصور ووالي إقليم الكوفة فكان طلحة نائبه بالكوفة ثم عزل أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى من ولاية العهد وولاية الكوفة سنة١٤٧هـ فانتهت بذلك نيابة طلحة بالكوفة. . وكان ابن عمه إسحاق بن الصبَّاح الكندي قائداً للشرطة بالكوفة سنة١٥٣ ـ ١٥٩هـ ثم أصبح والياً للكوفة في خلافة المهدي بن المنصور.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٥٦ جـ ٩.

٨

إسحاق بن الصبَّاح الكِنْدي.. والي الكوفة (١٥٩ ـ ١٦٤/ ١٨٠ ـ ١٩٠هـ) وابنه يعقوب بن إسحاق الكِنْدي فيلسوف العرب والإسلام

هو الأمير اليماني إسحاق بن الصبّاح بن عمران بن إسماعيل بن الأمير محمد بن الأمير الصحابي الأشعث بن الملك قيس بن معدي كرب الكندي. وهو والد فيلسوف العرب والإسلام يعقوب بن إسحاق بن الصبّاح الكِنْدي. قال الشاعر نُصيب يمدح الأمير إسحاق بن الصبّاح الكِنْدي أمير الكوفة في أبيات له:

فتى مِنْ بني الصبَّاح يَهتَزُّ للنَدَى … كما اهتزَّ مسنونُ الغِرارِ عتيقُ

.. وإنْ عُدَّ أنساب الملوكِ وجَدْتَه … إلى نسبٍ يعلُوهُم ويَفوقُ(١)

وفيما يلي أنساب الأعلام والأمراء الملوك من آل الأشعث أسرة إسحاق بن الصباح:

الملك قيس بن معدي كرب الكندي

الصحابي الأشعث بن قيس (ت: بعد ٤٥هـ)

الأمير محمد بن الأشعث (ت: ٦٧هـ)

إسماعيل — الأمير عبد الرحمن (ت: ٨٤هـ) — إسحاق — القاسم (ت: ٨٤هـ) — المنذر (ت: بعد ١٢٣هـ)

(أبناء إسحاق): الأمير طلحة (ت: بعد ١٥٠هـ) — محمد (ت: ١٠٢هـ) — عثمان (ت: ١٠٢هـ)

(إسماعيل) عمران

الصبّاح

إسحاق بن الصبّاح أمير الكوفة (١٥٩ ـ ١٦٤هـ) (١٨٠ ـ ١٩٠هـ) — محمد

(محمد) الفضل أمير الكوفة (٢٠٣هـ)

الفيلسوف يعقوب بن إسحاق بن الصبّاح بن عمران بن إسماعيل بن محمد الأشعث (١٨٥ ـ ٢٦٠هـ)

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٣٣ جـ ٢٠.

وكان إسحاق بن الصباح قبل أن يصبح والياً للكوفة قائداً للشرطة بالكوفة منذ سنة١٥٣ ـ ١٥٩هـ حيث كان الوالي على الكوفة سنة١٥٣هـ محمد بن سليمان بن علي بن عبد اللَّه بن عباس. قال ابن الأثير: «وفي سنة١٥٣هـ توفي عُبيد ابن بنت أبي ليلى قاضي الكوفة، فاستُقضِي مكانه شريك بن عبد اللَّه النخعي»[١] وبمشورة القاضي شريك بن عبد اللَّه النخعي المذحجي اليماني تولَّى إسحاق بن الصباح الكِنْدي قيادة الشرطة بالكوفة منذ سنة١٥٣هـ وكان يومئذٍ شاباً، فقال أحد الشعراء الحاسدين لإسحاق بن الصباح:

لَسْتَ تَعدو بأن تكون ولَوْ نِلتَ سُهَيْلاً صنيعةً لشريكِ[٢]

وكان ذلك في ولاية محمد بن سليمان العباسي للكوفة سنة١٥٣ ـ ١٥٥هـ ثم عزل أبو جعفر المنصور محمد بن سليمان عن ولاية الكوفة ولم يولِّ عليها والياً واحداً وإنما جعل لكل شأن من شؤون الولاية أميراً بما يعني صيرورة ولاية الكوفة تابعة للخليفة مباشرة، فكان على القضاء والصلاة شريك بن عبد اللَّه النخعيّ، وعلى الشرطة إسحاق بن الصباح الكندي، وعلى الأحداث عيسى بن لقمان ثم إسماعيل بن أبي إسماعيل، وذلك حتى وفاة أبي جعفر المنصور واستخلاف المهدي بن أبي جعفر المنصور في ذي الحجة ١٥٨هـ. ثم ولَّى المهدي إسحاق بن الصباح على الكوفة سنة١٥٩هـ. وقد ذكر الطبري رواية جمعت ودمجت المناصب التي تولاها من سنة١٥٣ ـ ١٥٩هـ حيث قال: «في سنة١٥٩هـ عزل المهدي إسماعيل بن أبي إسماعيل عن الكوفة وأحداثها، واختُلف في مَنْ ولَّى مكانه، فقال بعضهم: وُلِّي مكانه إسحاق بن الصباح الكنديّ الأشعثيّ بمشورة شريك بن عبد اللَّه قاضي الكوفة. ويُقال: أن شريك بن عبد اللَّه كان على الصلاة والقضاء، وعيسى بن لقمان على الأحداث ثم أُفرِد شريك بالولاية فجعل على شُرطه إسحاق بن الصباح الكِنْدي فقال بعض الشعراء:

لَسْتَ تَعْدوُ بأن تكونَ وَلَوْ نلْتَ سُهَيْلاً صنيعةً لشريكِ

وقال جعفر بن محمد: ضمّ المهديُّ إلى شريك الصلاة مع القضاء وولَّى شُرطه إسحاق بن الصباح، ثم وُلِّي إسحاق بن الصبَّاح الصلاة والأحداث بعدُ»[٢].

عهد ولاية إسحاق بن الصبّاح للكوفة (١٥٩ ـ ١٦٤هـ):

وفي أواسط سنة١٥٩هـ جمع الخليفة المهديّ مناصب ولاية الكوفة

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٧ جـ ٥.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٣٢٩ جـ ٩.

لإسحاق بن الصباح الكِنْدي، وتَضُمُّ مناصب الوالي إمرة الأحداث والصلاة والشرطة وغيرها. فأصبح إسحاق بن الصباح والياً لولاية الكوفة. وفي ذلك قال ابن خلدون: «ولّى المهدي على الكوفة سنة١٥٩هـ إسحاق بن الصبّاح الأشعثيّ الكنديّ». وقال الطبري:

«وُلّي إسحاق بن الصباح بن عمران بن محمد بن الأشعث الكوفة، فولّى على شُرطه النعمان بن جعفر الكندي، فمات النعمان فولّى على شُرطه أخاه يزيد بن جعفر الكندي»[1] وأقرّ إسحاق بن الصباح القاضي شريك على القضاء بالكوفة واستعمل ثابت بن موسى على الخراج حيث جاء في تاريخ الطبري أنه:

«في سنة١٥٩هـ كان ـ الوالي ـ على الكوفة إسحاق بن الصباح الكِنْدي، وعلى خراجها ثابت بن موسى، وعلى قضائها شريك بن عبد اللّه النخعي»[1] وقد ذكر الطبري من الولاة اليمانيين في تلك السنة أنه «. .كان الوالي على اليمن رجاء بن رَوْح بن زنباع. وعلى اليمامة بشر بن المنذر البجلي. . وعلى خُراسان أبو عون عبد الملك بن يزيد. وفيها ـ أي سنة١٥٩هـ ـ وُلّي حمزة بن مالك بن الهيثم الخُزاعي سجستان. . ورَوْح بن حاتم المهلّبيّ السند. وكان على أفريقيا يزيد بن حاتم» وكذلك كان على أرمينية الحسن بن قحطبة. وكان على فلسطين نصر بن محمد بن الأشعث وعلى مصر موسى بن عُليّ اللخمي ـ «وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن منصور الحميري خال المهدي عند قدومه من اليمن بكتاب المهدي إليه يأمره بالإنصراف إليه وتوليته إياه الموسم وإعلامه اشتياقه إليه».

واستمر إسحاق بن الصباح والياً للكوفة سنة١٦٠هـ حيث قال الطبري: «كان على الكوفة في هذه السنة إسحاق بن الصباح الكندي. وعلى قضائها شريك بن عبد اللّه. وعلى البصرة محمد بن سليمان بن عليّ بن عبد اللّه بن عباس، وعلى قضائها عبيد اللّه بن الحسن. وكان على السند رَوْح بن حاتم، وعلى أفريقيا يزيد بن حاتم. . وعلى اليمن رجاء بن رَوْح بن زنباع» ـ [ص ٣٣٧ جـ ٩] ـ وكذلك كان على فلسطين نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي، وعلى مصر موسى بن عُليّ اللخمي، وعلى أرمينية الحسن بن قحطبة الطائي، وعلى سجستان حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي.

واستمر إسحاق بن الصباح والياً للكوفة سنة١٦١ و١٦٢ و١٦٣هـ. حيث جاء في أنباء سنة١٦١هـ بتاريخ الطبري أنه:

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٣٢٩ جـ ٩.

«كان عامل الكوفة إسحاق بن الصباح الكِنْدي، وعلى سواد الكوفة يزيد بن منصور الحميري. وفيها وُلِّي نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي السند مكان رَوْح بن حاتم.. ووُلِّي سَلَمَة بن رجاء مصر.. وكان على أفريقيا يزيد بن حاتم».

وجاء في أحداث سنة١٦٢هـ أنه: «كانت عُمال الأمصار عُمالها في السنة التي قبلها.. وفيها غزا الصائفة الحسن بن قحطبة الطائي في ثلاثين ألفاً فبلغ حَمّة أذروليه، وسمته الروم التنين..» [ص ٣٤٢/ ٩].

«وفي سنة١٦٣هـ كان على الكوفة إسحاق بن الصباح الكِنْدي وعلى قضائها شريك بن عبد اللّه.. وعلى البصرة محمد بن سليمان.. وعلى السند نصر بن محمد بن الأشعث.. وعلى أفريقيا يزيد بن حاتم».

وكان إسحاق بن الصباح جواداً كريماً. قال الأصفهاني في كتاب الأغاني: «كان إسحاق بن الصباح الأشعثي الكندي صديقاً لِنُصيب ـ الشاعر ـ وقَدِم نُصِيبُ قدمة من الحجاز، فدخل على إسحاق بن الصباح وهو يَهَبُ لجماعةٍ وردوا عليه بُرّاً وتمراً فيحملونه على إبلهم ويمضون. فوهَبَ إسحاقُ بن الصباح لنصيب جاريةً حسناء يُقال لها مسرورة، فأردفها خلفه، ومضى وهو يقول:

إذا احتقبوا بُرّاً فأنتِ حقيبتي ... من الشَّرَفياتِ الثقالِ الحقَائبِ
ظفرتُ بها من أشعثيٍّ مُهذّبٍ ... أغرٌّ طويلِ الباعِ، جمّ المواهبِ
فداً لك يا إسحاقُ كلُّ مُبخَّلٍ ... ضجورٍ إذا عضّت شدادُ النوائبِ
إذا ما بخيلُ المال غَيَّبَ مالَه ... فمالُك عدٌّ حاضرٌ غيرُ غائبِ
إذا اكتسب القومُ الثراء فإنّما ... يرى الحمدَ غُنماً من كريم المكاسبِ

وقال فيه أيضاً:

فتى من بني الصبَّاح يَهتزُّ للنَدى ... كما اهتزَّ مسنونُ الغِرارِ عتيقُ
فتى لا يذمُّ الضيفُ والجارُ رِفدَه ... ولا يجتَويه صاحبٌ ورفيقُ
أغرٌّ لأبناء السبيلِ مواردٌ ... إلى بيتِه تَهديهمُ وطريقُ
وإن عُدَّ أنساب الملوك وجدتَه ... إلى نسبٍ يعلوهُمُ ويفوقُ
فما في بني الصبَّاح إن بَعُدَ المدَى ... على الناس إلا سابقٌ وعريقُ
وإنّي لِمَن شاحَنتمُ لمُشاحِنٌ ... وإنّي لِمَنٍ صادقتمُ لصديقُ»[١]

* * *

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٣٣ جـ ٢٠.

وقد مكث إسحاق بن الصباح والياً للكوفة خمس سنين (١٥٩ ـ ١٦٤هـ) وانتهت ولايته أواخر سنة١٦٤ هجرية. قال الطبري: «وفي سنة١٦٤هـ شَخَص المهديّ إلى الكوفة حاجًّا ـ أي في طريقه إلى الحج ـ فأقام برُصافة الكوفة أياماً، ثم خرج متوجهاً إلى الحج حتى انتهى إلى العقبة، فغلا عليه وعلى من معه الماء وخاف ألا يحمله ومن معه ما بين أيديهم، وعرضت له مع ذلك حُمّى، فرجع من العقبة ـ [ووجّه صالح بن أبي جعفر المنصور إلى مكة ليحج بالناس] ـ وغضب المهديّ على يقطين بسبب الماء لأنه كان صاحب المصانع، واشتد على الناس ـ الذين كانوا مع المهدي ـ العطش في منصرفهم حتى أشفوا على الهلكة»[1] ويبدو أن غضب المهدي بسبب ذلك امتد إلى إسحاق بن الصباح الكِنْدي أمير الكوفة، فقد انتهت ولايته للكوفة في أواخر سنة١٦٤هـ حيث ذكر الطبري في نهاية سنة١٦٤هـ أنه «كان على صلاة الكوفة وأحداثها هاشم بن سعيد منصور، وعلى قضائها شريك بن عبد اللّه النخعيّ. . وكان على اليمن منصور بن يزيد بن منصور (الحميري). . وفيها ـ أي سنة١٦٤هـ ـ عزل المهدي محمد بن سليمان عن ولاية البصرة. . ثم ولّى المهديّ على البصرة رَوْح بن حاتم المهلّبيّ سنة١٦٥هـ»[1] ومكث رَوْح بن حاتم والياً للبصرة وكذلك الكوفة إلى سنة١٦٨هـ حيث لم يزل إسحاق بن الصباح من أعلام الشخصيات بالكوفة.

الولاية الثانية لإسحاق بن الصباح على الكوفة في خلافة الرشيد (حـ/ ١٨٠ ـ ١٩٠هـ)

ثم تولّى إسحاق بن الصباح الكندي ولاية الكوفة مرة ثانية في خلافة هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور (١٧٠ ـ ١٩٣هـ) وقد أجملت المصادر التاريخية ذكر أسماء (ولاة الأمصار في خلافة الرشيد) حيث قال الطبري:

«ولاة الكوفة في خلافة الرشيد: موسى بن عيسى، يعقوب بن موسى بن عيسى، إسحاق بن الصباح الكندي»[1].

وكذلك ذكر ابن الأثير في كتاب الكامل (ولاة الأمصار أيام الرشيد) وقال «ولاة الكوفة: موسى بن عيسى بن موسى. محمد بن إبراهيم. عبيد اللّه بن محمد بن إبراهيم. يعقوب بن أبي جعفر. موسى بن عيسى بن موسى. العباس بن عيسى بن موسى. إسحاق بن الصباح الكندي. . موسى بن عيسى. جعفر بن أبي جعفر المنصور»[2].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٣٤٦ جـ ٩ وص ١١٣ جـ ١٠.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٣٠ جـ ٥.

وليس في ذلك تحديد لزمن ومدة الولاة، وربما بدأت ولاية إسحاق بن الصباح الكندي في خلافة الرشيد حوالي سنة ١٨٠هـ ومكث والياً للكوفة إلى حوالي سنة ١٩٠هـ وقد مات الرشيد في سنة ١٩٣هـ وتولّى الخلافة الأمين بن الرشيد ولَمَّا زحف طاهر بن الحسين الخزاعي بجيش المأمون إلى الكوفة كان عامل الأمين عليها العباس بن الهادي فكتب إلى طاهر بن الحسين بخلعه الأمين ومبايعته المأمون فأقرّه طاهر أميراً على الكوفة وذلك في رجب سنة ١٩٦هـ وكان طاهر بن الحسين هو نائب المأمون على العراق إلى نهاية سنة ١٩٨هـ. وكان إسحاق بن الصباح قد بلغ من الكبر عتياً. ومات بعد سنة ٢٠٠هـ.

نبأ الفضل بن محمد بن الصبّاح أمير الكوفة (٢٠٣هـ):

وهو الفضل بن محمد بن الصبّاح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكِنْدي. كان أميراً قائداً شجاعاً في خلافة المأمون بن هارون الرشيد. ففي سنة ٢٠٢هـ ثار إبراهيم بن المهدي بن أبي جعفر المنصور على الخليفة المأمون، وبويع إبراهيم بن المهدي في بغداد وغيرها وتولّى قيادة جيشه حميد بن عبد الحميد ووقعت معركة في ٥ ربيع الثاني ٢٠٢هـ ذكر الطبري في خبرها أنه «شدّ أصحاب سعيد وأبي البط والفضل بن محمد بن الصباح الكِنْدي على عسكر حميد فانتهبوا ما فيه وهزموه». ثم ذكر الطبري أنهم «ولّوا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصباح الكندي، مِن أهل ورؤساء الكوفة». [ص ٢٤٧ جـ ١٠] ثم انضوى رؤساء الكوفة في طاعة إبراهيم بن المهديّ فعزل الفضل عن ولاية الكوفة، وانتهت حركة إبراهيم بن المهدي سنة ٢٠٣هـ. ولم يزل الفضل بن محمد بن الصباح من الرؤساء في خلافة المأمون، وكان الفضل آخر الأمراء من آل الأشعث بن قيس الكندي في العصر العباسي.

* * *

أنباء الفيلسوف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي (١٨٥ ـ ٢٦٠هـ):

هو فيلسوف العرب والإسلام يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكندي. وُلد يعقوب بن إسحاق بالكوفة سنة ١٨٥هـ وكان أبوه والياً عليها.. وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«يعقوب بن إسحاق بن الصبَّاح الكندي، أبو يوسف: فيلسوف العرب والإسلام في عصره، وأحدُ أبناء ملوك كندة. نشأ في البصرة، وانتقل إلى بغداد

فتعلّم بها، واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك. ألَّفَ وترجم وشرح كتباً كثيرة يزيد عددها عن ثلاثمائة..»(١).

وجاء في كتاب تاريخ العلوم عند العرب ما يلي نصه:

«وُلد يعقوب الكندي بالكوفة سنة١٨٥هـ وكان أبوه أميراً عليها. درس في البصرة، واشتهر بالفلسفة والطب والمنطق والرياضيات مِن حسابٍ وهندسةٍ وفلك. وقد اختاره المأمون وعَهَدَ إليه بترجمة كتب أرسطو. وكان مهندساً قديراً، كما كان طبيباً حاذقاً وفيلسوفاً عظيماً، إعترف له (باكون) إذ يقول إن الكندي والحسن بن الهيثم في الصف الأول مع بطليموس.. واعتبره بعض المؤرخين واحداً من ثمانية هم أئمة العلوم الفلكية في القرون الوسطى، كما اعتبره (كاردانو) من الاثني عشر عبقرياً الذين ظهروا في العالم.

وكان الكِندي يرى أن الاشتغال بالكيمياء بقصد الحصول على الذهب مضيعة للوقت، وكان لا يؤمن بأثر الكواكب في أحوال الناس، ولا يقول بما يقول به المنجمون من التنبؤات القائمة على حركة الأجرام، وإن اهتم بالفلك من الناحية العلمية، وألّف فيه رسائل ومُؤلّفات قيّمة.. لاحظ أوضاع النجوم والكواكب وخاصة الشمس والقمر بالنسبة للأرض، وما ينشأ عنها من ظواهر يمكن تقديرها من حيث الكم والكيف والزمان والمكان، وربط بين ذلك وبين نشأة الحياة على الأرض في آراء تتسم بالخطورة والجرأة.

له كتاب في البصريات، وآخر في الموسيقى، ووضع رسالة في زرقة السماء تُرجمت إلى اللاتينية، وفيها يقول إن اللون الأزرق لا يختص بالسماء بل بالأضواء الأخرى الناتجة عن ذرات الغبار وبخار الماء الموجود في البحر. وله رسالة في المد والجزر امتدحها المستشرق (دي بور) وقال: إن نظرياتها وُضِعت على أساس تجريبي.

وقد أثَّر الكندي في الفلسفة الإسلامية وله فيها مؤلفات وتصانيف، وأراد أن يجمع بين فلسفة أفلاطون وفلسفة أرسطو، ومنهجه الفلسفي منطقيٌّ رياضيّ. وكان يقول: إن الحق الكامل لم يصل إليه أحد وأنه يتكامل بالتدريج بفضل تضامن أجيال المفكرين. ويقول: إنّ الفلسفة لا تُنال إلا بالرياضيات. أي أن الإنسان لا يكون فيلسوفاً إلا إذا درس الرياضيات فقد جعل الرياضيات جسراً للفلسفة. وقد ألّف في الإيقاع الموسيقي قبل أن تعرفه أوروبا بقرون.

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٦٥٦.

وكان الكندي منصرفاً إلى الحياة الجادة عاكفاً على الحكمة ينظر فيها التماساً لكمال نفسه، ويقول: (العاقلُ مَنْ يظنُّ أن فوق علمه علماً، فهو أبداً يتواضع لتلك الزيادة، والجاهل يظنُّ أنه قد تناهى فتمقته النفوس)(١).

وجاء في الجامع أنه «أصاب الكندي عند المأمون (١٩٧ ـ ٢١٨هـ) وعند المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ) منزلة عظيمة وإكراماً».

وقال المسعودي في ترجمة الخليفة المعتصم بن هارون الرشيد: «وللمعتصم أخبار حسان.. منها ما حَكَى عنه من حسن السيرة والاستقامة يعقوب بن إسحاق الكندي في رسالته المترجمة بسيل الفضائل».

وذكر المسعودي في مروج الذهب ما يعتقده «طلاب صنعة الكيمياء من الذهب والفضة وأنواع الجوهر.. وصنعة الأكسيرات وإقامة الزئبق وصنعته فضة وغير ذلك.. وقد صَنَّفَ يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي رسالة في ذلك وجعلها مقالتين يذكر فيها تَعَذُّر فعل الناس لِمَا انفردت الطبيعة بفعله، وخُدَعَ أهل هذه الصناعة وحِيَلَهم، وتَرْجَمَ هذه الرسالة بإبطال دعوى المدَّعين صنعة الذهب والفضة من غير معادنها. وقد نقض هذه الرسالة على الكندي أبو بكر محمد بن زكريا الرازي.. وأرى القول أن ما ذكره الكندي فاسد، وأن ذلك قد يتأتىٰ فعله»(٢). وأقول إن رأي الرازي والمسعودي فاسد، والصحيح ما ذكره الكندي باستحالة فعل الناس لِمَا انفردت الطبيعة بفعله، واستحالة صنع الذهب والفضة والجواهر من غير معادنها.

وقد تعرّض الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي للوشاية والأذى أيام خلافة المتوكل جعفر بن محمد بن هارون الرشيد (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ) وصودرت كُتبه، ثم رُدت إليه. ثم تولّى الخلافة المنتصر بن المتوكل ستة أشهر ومات، فاجتمع ذوو التأثير من رجال الدولة «فأجمع رأيهم على أن لا يولّوا أحداً من وُلْدِ المتوكل. ثم أجمعوا على توليه أحمد بن محمد بن المعتصم». قال الطبري: «وإنما فعل محمد بن موسى هذا لأن أحمد بن محمد بن المعتصم صاحب الفيلسوف الكندي. فقبلوا رأيه.. وأحضروا أحمد بن محمد بن المعتصم ليلة ٦ ربيع الآخر ٢٤٨هـ وبايعوه بالخلافة»(٣).

---

(١) قراءات في تاريخ العلوم عند العرب ـ حميد موراني ود. عبد الحليم منتصر ـ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ ـ جامعة الموصل ـ ١٩٧٤م.

(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٢٥٨ جـ ٤.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٨٣ جـ ١١.

وقد بلغ الفيلسوف الكندي مكانة علمية عظيمة وخالدة عبر التاريخ، وجاء في ترجمته بكتاب الجامع أنّ:

«..مِنْ كُتُبه: (اختيارات الأيام) و(تحاويل السنين) و(إلهيّات أرسطو) و(رسالة في الموسيقى) ورسالة (الأدوية المركّبة) تُرجمت إلى اللاتينية وطُبعت بها. و(رسم المعمور) خرائط وصور عن الأرض، ذكره المسعودي. و(الترفق في العطر) و(السيوف وأجناسها) رسالة. و(القول في النفس) رسالة نُشرت في مجلة الكتاب. و(المدّ والجزر) و(ذوات الشعبتين) وهي آلة فلكية. و(خمس رسائل: أولها في ماهية العقل) تُرجمت إلى اللاتينية. و(الشعاعات) و(الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد) نُشرت باسم (كتاب الكندي إلى المعتصم باللّه في الفلسفة الأولى). وقد نشر الدكتور أبو ريدة (رسائل الكندي) في جزئين، اشتملا على بعض رسائله. وللشيخ مصطفى عبد الرزاق: كتاب (فيلسوف العرب والمُعَلّم الثاني) عن الكندي والفارابي»[(١)].

وجاء في كتاب تاريخ العلوم عند العرب أنه:

«تزيد مؤلفات الكندي على ٢٣٠ كتاباً، منها ٢٢ في الفلسفة، ١٦ في الفلك، ١١ في الحساب، ٣٢ في الهندسة، ٢٢ في الطب، ١٢ في الطبيعيات، ٧ في الموسيقى، ٥ في النفس، ٩ في المنطق، ورسائل في الأدوية المركّبة، وفي المدّ والجزر، وبعض الآلات الفلكية، وعلم المعادن، والجواهر»[(٢)].

وقد تُوفي فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي حوالي سنة ٢٦٠هـ الموافق ٨٧٣ ميلادية.

---

(١) الجامع ـ بامطرف ـ ص ٦٥٦.

(٢) تاريخ العلوم عند العرب ـ حميد موراني وعبد الحليم منتصر ـ ص ١٣٨.

٩

مالك بن الهَيْثَم الخُزَاعي.. والي الموصل

(١٣٨ ـ ١٤٥هـ)

هو الأمير اليمانيّ أبو نصر مالك بن الهَيْثَم الخُزاعيّ، وهو من كبار النقباء والقادة الذين أسسوا الخلافة العباسية، ثم أصبح والياً لولاية الموصل سنة١٣٨ ـ ١٤٥هـ وكان كما قال عنه ابن الأثير «كان خير أمير»(١) وقال بامطرف في ترجمته بكتاب الجامع:

«مالك بن الهيثم الخزاعيّ: من نقباء بني العباس. خرج على بني أُميَّة سنة١١٧هـ هو وسليمان بن كثير وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ وخالد بن إبراهيم وطلحة بن زُريق، ودعوا لبيعة بني العباس وظهر أمرهم، فقبض عليهم أسد بن عبد اللّه القسري أمير خراسان، وأطلق مالك. فكان بعد ذلك مع أبي مسلم الخُراساني. تُوفي بعد مقتل أبي مسلم بعد سنة١٣٧هـ»(٢).

وأقول: بل بعد سنة١٤٧هـ، وقد غاب عن بامطرف أن مالك بن الهيثم كان والياً للموصل سنة١٣٨ ـ ١٤٥هـ، وكان قبل ذلك من كبار القادة المؤسسين للخلافة العباسية.

أنباء مالك بن الهيثم في الدعوة العباسية:

كان مالك بن الهيثم من اليمانيين المقيمين بالموصل والجزيرة الفراتية، وانتقل منها إلى خُراسان في عهد ولاية يزيد بن المهلَّب لخُراسان وللعراق ومشارقها سنة٩٦ ـ ٩٩هـ فاستقر بمدينة مرو خراسان التي كان بها الكثير من رجالات خُزاعة وهُم من الأزد الذين فقدوا مكانتهم القيادية في الدولة بعد إخفاق ثورة يزيد بن المهلَّب الأزدي ومقتله سنة١٠٢هـ. وكان سليمان بن كثير الخزاعيّ أول من دخل في الدعوة العباسية السِّرّية من رجالات العرب الذين بخراسان فدخل مالك بن الهيثم في الدعوة على يده منذ سنة١٠٦هـ حيث بعث محمد بن علي بن

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٦٩ جـ ٤.
(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٤٧٥.

عبد اللّه بن عباس إلى خراسان بكير بن ماهان المُسْلِي بالولاء للبدء في نشر الدعوة العباسية السِّرِّية هناك. قال صاحب أخبار الدولة: «فأقام بكير بمرو نحو شهرين، وأتاه سليمان بن كثير بمالك بن الهيثم وعمرو بن أعين وزياد بن صالح وطلحة بن زُريق وأبي النجم، وأتاه بخالد بن إبراهيم، وأتاه علاء بن الحريث في عدّة من خُزاعة فبايعوه. وأخبرنا المهاجر بن عثمان قال: سمعتُ مالك بن الهيثم يقول: إنّي لجالس في المسجد بمرو ومعي موسى بن كعب، ونحن نتحدث، إذْ طلع علينا بكير ومعه أبو عبيدة المُسْلِي، فَلَمَّا أبصرته قمتُ إليه، فقال لي موسى: أين تذهب؟ فقلتُ: ألقى هذا الرجل، وأرجع إليك الساعة. فلقيت بكيراً فسلمتُ عليه فقال: مَنْ جليسك فقد رأيته كلمك حيث قُمت؟ فقلت: رجلٌ من بني تميم وهو لنا وادّ.. فقال لي: إن كنتَ تثق به فادعه وتوثق منه، واحذر العامة من قومه. ثم خرج من المسجد. وانصرفتُ إلى موسى وهو في مجلسه الذي كنّا فيه، فقال لي: مَنِ الرجل الذي قمت إليه؟ فقلتُ: أخٌ لنا، وأن معه لبضاعةً وهو يعرضها. فقال: أرني بعض متاعه، فقلتُ: إنّه يستر ذلك، قال: فنحن نستر عليه، فقلت: عليك عهد اللّه وميثاقه لتسترنَّ عليه؟ فقال: نعم، فأخبرته خبره وما قدم له، قال: فانهض بنا إليه، فقُمنا، فأتيناه، فأدخلته عليه، فبايعه، وتشمّر معنا في الدعوة»[1].

وفي سنة١١٧هـ وشى بعض المُضَرية إلى أسد بن عبد اللّه القسري اليماني أمير خراسان بأن سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وطلحة بن زريق وخالد بن إبراهيم وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ يدعون سراً إلى (الرضا من آل محمد) وإلى الخروج على الخلافة الأموية، وكان سليمان ومالك وطلحة من اليمانية، وخالد من ربيعة حلفاء اليمن، وموسى ولاهز من تميم المُضَرية. فَلَمَّا تم الرفع بهم، تم اعتقال الستة وإحضارهم إلى الأمير أسد القسري، قال الطبري: «.. فقال لهم أسد: يا فَسقَة ألم يقل اللّه تعالى: عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ منه واللَّهُ عزيزٌ ذو انْتِقَام. فقال سليمان بن كثير: أتكلمُ أم أسكت؟ قال: بل تكلم، قال: نحن واللّه كما قال الشاعر:

لـو بـغـيـرِ الـمـاءِ حَـلْـقـي شَـرِقٌ   كنتُ كالغَصّان بالماءِ اعْتِصارِي

تدري ما قصتنا، صِيدت واللّه العقارب بيدك أيها الأمير إنّا أناس من قومك، وأن هذه المُضريّة إنما رفعوا إليك هذا ـ تعصباً علينا ـ.. فقال ابن شريك بن الصامت الباهلي: إن هؤلاء القوم قد أُخِذوا مرّةً بعد مرّة. فقال مالك بن الهيثم:

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٢٠٢.

أصلح اللّهُ الأمير ينبغي لك أن تعتبر كلام هذا بغيره، [يعني أنه من المضرية] وقالوا له: كأنّك يا أخا باهلة تطلبنا بثأر قتيبة نحن واللّه كنا أشد الناس عليه. فبعث بهم أسد إلى الحبس، ثم دعا عبد الرحمن بن نعيم ـ الغامدي ـ فقال له: ما ترى؟ قال: أرى أن تمنَّ بهم على عشائرهم، قال: فالتميميّان اللّذان معهم؟ قال: تخلّي سبيلهما، فقال أسد: أنا إذاً من عبد اللّه بن يزيد نفيٌّ، قال: فكيف تصنع بالربعيّ؟ قال: أخلي واللّه سبيله»[١]. فأطلق الأمير أسد سراح سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وطلحة بن زريق وخالد بن إبراهيم الربعيّ، وعاقَبَ موسى بن كعب ولاهز بن قريظ في مجلسه «فقال لاهز: واللّه ما في هذا الحق أن تصنع بنا هذا وتترك اليمانيين والربعيّ، فضربه ثلاثمائة سوط وأمر بصلبه فقال الحسن بن زيد الأزدي: هو لي جارٌ وهو بريء مما قُذف به، قال: فالآخر؟ قال: أعرفه بالبراءة، فخلَّى أسد سبيلهم»[١]. فتوقفوا عن نشاط الدعوة في عهد ولاية أسد وولاية خالد القسري للعراق والمشرقين وذلك إلى سنة١٢٠هـ.

ثم عاد نشاط الدعوة العباسية وتم في سنة١٢٢هـ اختيار النقباء الإثني عشر للدعوة العباسية بخراسان، وكان أبرزهم سليمان بن كثير الخُزاعي نقيب النقباء وقحطبة بن شبيب الطائي ومالك بن الهيثم الخزاعي. كما تم اختيار وتسمية نظراء النقباء والدعاة القادة بالمناطق، وكان منهم: أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي، العلاء بن حريث الخزاعي، نصر بن مالك بن الهيثم، محمد بن الأشعث الخزاعي، غيلان بَن عبد اللّه الخزاعي، محمد بن سليمان بن كثير، وغيرهم. وكان غالبية النقباء والنظراء والقادة الدعاة من اليمانية وقد سلف ذكر أسمائهم جميعاً.

وسار أربعة من قيادة الدعوة العباسية بخراسان للقاء محمد بن علي بن عبد اللّه بن عباس تحت ستار أداء العمرة بمكة سنة١٢٤هـ حيث قال الطبري: «توجّه سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب من خراسان وهم يريدون مكة سنة١٢٤هـ فَلَمَّا دخلوا الكوفة أتوا عاصم بن يونس العجلي وهو في الحبس قد أُتُّهم بالدعاءِ إلى ولد العباس ومعه عيسى وإدريس ابنا معقل العجلي حبسهما يوسف بن عمر الثقفي فيمن حبس من عمال خالد بن عبد اللّه القسري ومعهما أبو مسلم يخدمهما، فقالوا: من هذا؟ قالوا: غلام معنا، وقد كان أبو مسلم يسمع عيسى وإدريس يتكلمان في هذا الرأي فإذا سمعهما بكى، فَلَمَّا رأوا ذلك منه دعوه إلى ما هم عليه، فأجاب وقَبِلَ»[٢]. وقال الطبري: «قَدِم

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٢٨ جـ ٢.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٨٣ و٢٩٩ جـ ٨.

سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قُريظ وقحطبة بن شبيب مكة، فلقوا ـ في قول بعض أهل السير ـ محمد بن عليّ فأخبروه بقصة أبي مسلم وما رأوا منه، فقال لهم: أحُرٌّ هو أم عبد؟ قالوا: أما عيسى فيزعم أنه عبد وأما هو فيزعم أنّه حرٌّ، قال: فاشتروه وأعتقوه، وأعطوا محمد بن عليّ مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم. وقال لهم: ما أظنُّكم تلقوني بعد عامي هذا فإن حَدَثَ بي حدثٌ فصاحبكم إبراهيم بن محمد فإنّي أثق به، وأوصيكم به خيراً فقد أوصيتُه بكم، فصدروا من عنده. وتُوفي محمد بن عليّ في مستهل ذي القعدة»[1]. وقد ذكر الطبري ذلك في أحداث سنة١٢٥هـ، والأصوب أنه في أواخر سنة١٢٤هـ فَلَمَّا مات محمد بن عليّ صار ابنه إبراهيم بن محمد إماماً للدعوة العباسية فبعث إبراهيم بكيراً إلى قادة الدعوة بخراسان وكتب إليهم ينعى أباه ويخبرهم بقيامه، فسار بكير ـ في الأشهر الأولى من سنة١٢٥هـ ـ إلى جُرجان ومرو خراسان فأخبرهم بوفاة محمد بن عليّ وقيام إبراهيم مقامه وناولهم كتاب إبراهيم فأجابوا إلى طاعته، قال صاحب أخبار الدولة: «فقال لهم بكير ليتوجّه عدّة منكم إلى إبراهيم ليلقوه وتعرّفوه بأنفسكم وتخبروه بطاعتكم. فشَخَصَ معه من مرو قحطبة بن شبيب، ومالك بن الهيثم وأبو سيف، وأبو حميد الحميري، والأزهر بن شعيب. . وشَخَصَ معه من جُرجان أبو عون وأبو بصير، فساروا إلى الكوفة، ولبثوا بها يسيراً ثم مضوا إلى مكة فلقوا إبراهيم ـ في رمضان سنة١٢٥هـ ـ ثم انصرفوا إلى خراسان وأخبروا أصحابهم عن إبراهيم وفقهه، فسرّوا بذلك ودعوا له». وذلك في أوائل سنة١٢٦هـ.

قال الطبري: «وفي سنة١٢٧هـ كتب بكير بن ماهان إلى إبراهيم بن محمد أنّه في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وقد استخلف حَفْص بن سليمان ـ وهو أبو سَلَمة الخلال ـ، وكتب إبراهيم إلى أبي سَلَمَة يأمره بالقيام بأمر أصحابه، وكتب إلى أهل خراسان بذلك. . ومضى أبو سلمة إلى خُراسان فصدّقوه وقبلوا أمره. وفي هذه السنة توجّه سليمان بن كثير ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب إلى مكة فلقوا إبراهيم بن محمد الإمام بها وأعلموه أن معهم عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم ومسكاً ومتاعاً كثيراً، فأمرهم بدفع ذلك إلى ابن عروة. وكانوا قَدِموا معهم بأبي مسلم ذلك العام فقال سليمان بن كثير لإبراهيم بن محمد: إنّ هذا مولاك». [ص ٦٦ جـ ٩] وكان أبو مسلم يخدم ابن معقل العجلي في حبسه بالكوفة ولا يعلم أحد أصله ودخل في الدعوة السِّرِّية، فَلَمَّا جاء سليمان بن

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٨٣ و٢٩٩ جـ ٨.

كثير ولاهز وقحطبة إلى الكوفة والتقوا بأبي سَلَمَة الخلال اشترى أبو سَلَمة الخلّال أبا مسلم من عيسى بن معقل العجلي، وسار سليمان بن كثير وقحطبة ولاهز وأبو سلمة ومعهم أبو مسلم إلى إبراهيم الإمام فلقوه بمكة حيث كما ذكر الطبري في النص السالف «قَدِموا معهم بأبي مسلم فقال سليمان بن كثير لإبراهيم بن محمد: إنّ هذا مولاك». وقال البلاذري: «ذكر بعض ولد قحطبة: إن أبا مسلم كان عبداً للعجليين فابتيع للإمام إبراهيم بسبعمائة درهم، وإن اللّذين أهدياه سليمان بن كثير ولاهز بن قريظ»[١].

وفي سنة١٢٨ ـ ١٢٩هـ استكمل سليمان بن كثير وأصحابه النقباء ـ وفي طليعتهم قحطبة ومالك بن الهيثم ـ الاستعداد لإظهار الدعوة العباسية وكان قد كثر جمعهم بأقاليم خراسان، وكتب سليمان بن كثير إلى إبراهيم الإمام أن يبعث أحد أهل بيته من بني العباس ليتم إظهار الدعوة، فلم يرغب إبراهيم في أن يبعث أحد أهل بيته وقام ببعث أبي مسلم (الخراساني) وكتب إلى النقباء أنه (من أهل بيتي) وأمره بأن لا يخالف سليمان بن كثير الخزاعي. حيث كما قال د. فاروق عمر:

«لم يكن موقف سليمان الخزاعي نقيب نقباء الدعوة في خُراسان ودياً من أبي مسلم الخُراساني أول الأمر، فلم يقبله في صفوف الدعوة.. لقد كان سليمان الخزاعي يتوقع أن يرسل إبراهيم الإمام أحد العرب وخاصة من بني هاشم لتمثيله في خراسان، ولم يكن يتخيل أنه سيرسل له مولى ولذلك رفضه. ولكن نفور بعض النقباء من كبرياء سليمان الخزاعي هو الذي جعلهم يميلون إلى قبول أبي مسلم الخُراساني، وخاف سليمان الخزاعي من حدوث تصَدّع في صفوف مجلس النقباء فقبل أبا مسلم مضطراً بعد أن رفضه في بادىء الأمر. وكان موقف أبي مسلم مرناً يدلّ على ذكاء حيث تقرّب من سليمان الخزاعيّ ونال ثقته بعد فترة قصيرة وأعْلَمَه بأن إبراهيم الإمام أوصاه بألّا يعصي له (أي لسليمان) أمراً، ثم استطرد قائلاً لسليمان: (أحسن بي الظنّ فأنا أطوع لك من يمينك). وهكذا دخل أبو مسلم الخُراساني في صفوف الثوار وعمل معهم. ولم يمض وقت طويل حتى أعلنت الثورة من قِبل سليمان الخزاعي بعد أن وصله الأمر بذلك من إبراهيم الإمام وبواسطة قحطبة بن شبيب الطائي»[٢].

وكان سليمان بن كثير الخزاعي لَمّا ارتضى بأبي مسلم ـ وكما جاء في كتاب أخبار الدولة ـ «بعث سليمان إلى رؤساء الشيعة ـ شيعة بني العباس ونقباء الدعوة ـ

---

(١) أنساب الأشراف ـ البلاذري ـ ص ٣٥٨ جـ ٣.

(٢) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٣.

وسليمان يومئذٍ المنظور إليه منهم، فأخبرهم بما كتب إبراهيم إلى أبي مسلم، وإن الرأي ما أمر به من نصبه لأمرهم، وقال لهم: ننصبه وندبّر الأمر له، فذاك أرهبُ عند عدونا وأشدّ لهيبتهم له ـ أو لنا ـ وإعظامهم أمره ـ أو أمرنا. فاتّسقوا واتفقوا على ذلك». [ص ٢٧٢].

وكان لمالك بن الهيثم الخزاعي دوران بارزان، دور في المشاورة والآراء بمجلس النقباء بعد الاتفاق على تنصيب أبي مسلم، ودور في القيادة بصيرورته أمير العسكر عند إظهار الدعوة العباسية. قال صاحب أخبار الدولة: «فلمّا ارتضوا بأبي مسلم قال سليمان بن كثير: انظروا في الموضع الذي تبتدئون بإظهار أمركم فيه. فقال أبو النجم ـ مولى آل أبي معيط ـ وعدّة وافقوه على رأيه: نرى أن يكون أول ظهور أمرنا بخوارزم فإنّها بلاد منقطعة عن نصر بن سيار، فإلى أن يرسل إلينا عسكره يكون قد تسامع بنا إخواننا فيأتونا ويكثر جمعنا فنقوى على من يأتينا. وقال موسى بن كعب ولاهز: مرو الرُوذ فإنّها متوسطة بين مرو وبلخ. وقال مالك بن الهيثم والعلاء بن حريث وطلحة بن زُريق: مرو الرُّوذ فإنّ بها خلقاً كثيراً من إخواننا، وبها السلطان قد وهن أمره، ومَنْ يقاتله يقوينا عليه ويقوى بنا عليه، ومتى يقوَ بها أمرُنا يقوَ في غيرها. فقال أبو مسلم لسليمان بن كثير: ما تقول يا أبا محمد؟ قال: ما أرى إلا كما قالوا، فإن قوتنا بمرو الرُوذ أعظم وعدوّنا أضعف. فأطبقوا على ذلك ورضوا به». [ص ٢٧٤] ـ وكانت كافة القرارات تتخذ بعد مثل ذلك التشاور في مجلس النقباء. واجتمع أهل الدعوة العباسية من أقاليم خراسان إلى قرية سليمان بن كثير بضواحي مرو في أواخر رمضان ١٢٩هـ وكان ذلك أول تجمع علنيّ كبير لهم، «فأفطروا وقد كثر جمعهم، وسوّدوا ثيابهم، ونصبوا أعلامَهم، ونشروا راياتهم، فصلّى بهم سليمان بن كثير يوم العيد، وهي أول جماعة كانت لأهل الدعوة.. ثم إنّ سليمان بن كثير وعدّةً ممن كان غزا مغازي خراسان وصحّت تجاربه في الحرب ـ ومنهم مالك بن الهيثم ـ تناظروا فيما بينهم فرأوا أن يخندقوا على أنفسهم، ولقوا أبا مسلم فأشاروا عليه بذلك. فركب سليمان بن كثير وأبو مسلم فارتادا موضع خندق، فلم يجدا موضعاً أوفق لهما من قرية ماخوان، فخندق أبو مسلم بها خندقاً حصيناً وتحوّل إليه ـ بالعسكر ـ في ٨ ذي القعدة ١٢٩هـ وقد كثر جمعهم.. وكان أسلم بن صبيح على الرسائل، فاجتمعوا يوماً لينظروا في شيء من أمورهم فأرادوا أن يرسلوا في شيءٍ اتفقوا عليه فلم يجدوا بحضرتهم أحداً، فقال سليمان بن كثير: هذا وهنٌ، أرى أن ننتخب عدة رجال يكونون حرساً أو أشباه حرس، يحفظون أبا مسلم، فإن احتجنا إلى من

نرسله أو نوجّهه في بعض أمورنا تناولنا ذلك منهم وكانوا حفظةً لِمَا يرد علينا من الأموال والغنائم، وننتخب رجلاً يقوم بأمر عسكرنا يذبّ عنه ويحكم بين أهله وينفي أهل الريب منه. فقبلوا ذلك منه واتفقوا عليه. وولّوا أبا نصر مالك بن الهيثم أمر العسكر كهيئة صاحب الشُّرطة، وجعلوا نصر بن مالك خليفته يسير بين يدي أبي مسلم إذا ركب»[١].

الدور القيادي لمالك بن الهيثم في تأسيس الخلافة العباسية:

وكان مالك بن الهيثم قائد أول مواجهة حربية مع عسكر نصر بن سيار عامل مروان على خراسان في الأشهر الأولى من سنة١٣٠هـ. قال الطبري: «وجّه نصر بن سيار مولًى له يُقال له يزيد في خيل عظيمة لمحاربة أبي مسلم، فوجّه إليه أبو مسلم مالك بن الهيثم الخزاعي، فالتقوا بقرية تُدعى آلين، فدعاهم مالك إلى الرضا من آل محمد فاستكبروا عن ذلك، فصافهم مالك من أول النهار إلى العصر، ثم ترجّل مالك وحضّ أصحابه وقال: إنّي لأرجو أن يقطع اللّه منهم طرفاً، فاجتلدوا جلاداً صادقاً، فقُتِل من شيعة بني مروان أربعة وثلاثون رجلاً، وحمل عبد اللّه بن عثمان الطائي على يزيد مولى نصر بن سيار وهو عميد القوم فأسره وانهزم أصحابه»[٢]. ولَمَّا هرب نصر بن سيار من مرو الرُّوذ ودخلها أبو مسلم والنقباء وعسكر الدعوة العباسية في جمادى الثانية سنة١٣٠هـ وبات أبو مسلم أميراً لخراسان، قال الطبري: «جعل أبو مسلم مالك بن الهيثم على شُرطه»[٢]. وذلك امتداد لِمَا قام به سليمان بن كثير والنقباء حيث «ولّوا مالك بن الهيثم أمر العسكر كهيئة صاحب الشرطة وجعلوا نصر بن مالك بن الهيثم خليفته يسير بين يدي أبي مسلم إذا ركب».

وانطلق قحطبة بن شبيب الطائي بالجيش فاجتاح بقية أقاليم خُراسان ودخل جُرجان ـ في ذي الحجة سنة ١٣٠هـ ـ ثم هزم الجيش المرواني في موقعة أصبهان بإيران ـ في رجب سنة ١٣١هـ ـ وعندئذٍ سيطر محمد بن الأشعث الخزاعي على كرمان ومالك بن الهيثم على سجستان ـ بشرق إيران ـ وتقدّم قحطبةُ إلى نهاوند واستولى عليها في ذي القعدة سنة١٣١هـ، فباتت أقاليم إيران بيد الدعوة العباسية ثم بدأت المواجهة في أقاليم العراق.

قال ابن خلدون: «بعث قَحْطبةُ أبا عون عبد الملك بن يزيد ومالك بن الهيثم

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٢٧٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٨٥ جـ ٩ـ وص ١٠٤ جـ ٩.

في أربعة آلاف إلى شهرزور، وبها عثمان بن سفيان، فقاتلوا عثمان آخر ذي الحجة فانهزم وقُتِل، ومَلَك أبو عون بلاد الموصل. . وبعث إليه قحطبةُ بالمدد»[1] ـ وكان المدد بقيادة عامر بن إسماعيل المُسلي المذحجي فرابط مع أبي عون ببلاد الموصل، وعاد منها مالك بن الهيثم حيث جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية أنه «كتب قحطبةُ إلى سفيان بن معاوية ورَوْح بن حاتم المهلَّبيين، فسوّدا وخرجا بالبصرة، ومتولي البصرة يومئذٍ سَلْم بن قتيبة ـ (عامل ابن هبيرة) ـ. . فانهزم سفيان ورَوْح، وخرج رَوْح إلى دست ميسان مظهراً للسواد، ولم يزل هنالك حتى قَدِم مالك بن الهيثم، فأتاه هو وسفيان فأكرمهما وعظَّمهما». [ص ٣٥٦] ـ وكان ذلك في شهر ربيع سنة١٣٢هـ، وانضوت العراق في الخلافة العباسية وبويع أبو العباس السفاح بالخلافة، وكان يزيد بن هبيرة عامل مروان على العراق قد تحصن بمدينة واسط مع فلول جيشه، وحاصره الحسن بن قحطبةَ الطائي بفرقة من الجيش العباسي.

قال الطبري: «وقَدِم أبو نصر مالك بن الهيثم من ناحية سجستان، فأوفد الحسن بن قحطبةَ وفداً إلى أبي العباس ـ الخليفة ـ بقدوم أبي نصر عليه، وجعل على الوفد غيلان بن عبد اللّه الخزاعي، وكان غيلان واجِداً على الحسن لأنه سرّحه إلى رَوْح بن حاتم مدداً له. فَلَمَّا قَدِم على أبي العباس قال له: يا أمير المؤمنين مُنّ علينا برجل من أهل بيتك، قال: أو ليس عليكم رجل من أهل بيتي الحسن بن قحطبة؟ قال: يا أمير المؤمنين مُنّ علينا برجل من أهل بيتك ننظر إلى وجهه وتَقِرُّ أعيننا به، قال: نعم يا غيلان، فبعث أخاه أبا جعفر المنصور فجعل غيلان على شرطته، فقدم واسط، فقال أبو نصر لغيلانَ: ما أردتُ إلّا ما صنعتَ. . وقيل: إن أبا العباس لما وَجَّه أبا جعفر إلى واسط لقتال ابن هبيرة، كتب إلى الحسن بن قحطبةَ: إن العسكرَ عسكرُك والقُوّادَ قوّادُك ولكن أحببتُ أن يكون أخي حاضراً فاسمعْ له واطعْ واحسِنْ مؤازرته. وكتب إلى أبي نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك. فكان الحسن المدبر لذلك العسكر بأمر أبي جعفر المنصور» [ص ٩/١٤٣].

والظاهر أن وجود مالك بن الهيثم إلى جانب الحسن بن قحطبةَ في واسط أدى إلى نوع من التنافس غير العلني حول مركز القائد نظراً لمكانة مالك بن الهيثم الكبيرة، فبعث أبو العباس أبا جعفر المنصور إلى واسط مكان الحسن، وأرضى ذلك مالك بن الهيثم فقال لغيلان الخزاعيّ: ما أردتُ إلا ما صنعتَ. فتولَّى أبو جعفر القيادة العامة، وكان الحسن ومالك بن الهيثم أكبر قائدين معه في قتال ابن هبيرة

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٤٩٣.

وأصحابه، قال الطبري: «فَقَاتلهم أبو نصر مالك بن الهيثم يوماً فانهزم أهل الشام (أي عسكر ابن هبيرة) إلى خنادقهم.. وترجّل لهم أبو نصر فاقتتلوا عند الخنادق.. ومكثوا أياماً ثم خرج أهل الشام أيضاً ـ للقتال ـ فحثّ أبو نصر جنوده من أهل خُراسان ـ العرب ـ على القتال، فهزموا أهل الشام إلى دجلة فجعلوا يتساقطون في دجلة. وصُرِع ابن مالك بن الهيثم ـ من فوق جواده ـ فحماهُ رَوْح بن حاتم، فمرّ أبوه فقال: قد قتلوك يا بنيَّ، لعن اللّه الدنيا بعدك، وحملوا على أهل الشام فهزموهم حتى أدخلوهم مدينة واسط.. وكان أبو نصر في حصار ابن هبيرة يملأ السفن حطباً ثم يضرمها بالنار لتحرّق ما مرت به، فكان ابن هبيرة يهيّيء حَرّاقات فيها كلاليب تجرُّ تلك السفن. فمكثوا بذلك أحد عشر شهراً، فَلَمَّا طال ذلك على أصحاب ابن هبيرة طلبوا الصلح ولم يطلبوه حتى جاءهم خبر قتل مروان، أتاهم به إسماعيل بن عبد اللّه القسريّ وقال لهم: علامَ تقتلون أنفسكم وقد قُتِل مروان». [ص ٩/١٤٤] ـ وبقدوم إسماعيل بخبر مقتل الخليفة مروان بن محمد في مصر على يد عامر بن إسماعيل المسليّ المذحجي ـ في ٢٧ ذي الحجة ١٣٢هـ ـ انتهت المواجهة في واسط والتي كان مالك بن الهيثم من أبرز قادتها حتى تم النصر، واكتمل بذلك تأسيس الخلافة العباسية.

* * *

نبأ مالك بن الهيثم وأبي مسلم الخراساني إلى مقتل أبي مسلم:

ثم عاد مالك بن الهيثم من العراق إلى خراسان سنة١٣٣هـ بعد وقت قصير من قيام أبي مسلم الخراساني بتصفية سليمان بن كثير. وعن ذلك قال د. فاروق عمر: «دبّر أبو مسلم أمر اغتيال سليمان بن كثير الخُزاعيّ نقيب النقباء وأهم شخصية في الدعوة العباسية. وبرّر ذلك بكونه شَكّ في نوايا سليمان وتآمره ضد السلطة. ولم يكتف بذلك بل قتل محمد بن سليمان الخزاعي.. والواقع أن أبا مسلم قتل سليمان الخزاعيّ وابنه لأنهما كانا ينافسانه على الزعامة في خراسان، ولقدم سليمان في الدعوة ونفوذه الكبير على القبائل اليمنية والربعية، وقد قتله دون أخذ موافقة الخليفة أبي العباس أو الأمير أبي جعفر المنصور الذي كان موجوداً في خُراسان مما سبَّب غضبه الشديد، ولكنه كتم غضبه ولم ينكر ذلك على أبي مسلم. إن اغتيال الخزاعي يدلّ على اعتداد أبي مسلم بشخصيته وقوة نفوذه حتى إنه لم يعد يهتم برأي الخليفة أبي العباس في العراق، ولذلك قال أبو جعفر لأخيه أبي العباس بعد رجوعه إلى العراق: (إن أبا مسلم يفعل ما يريد، وإنّي أرجو أن تتغدى به قبل أن يتعشى بك).. وكان إرسال الخليفة لأخيه أبي جعفر إلى خُراسان يهدف

إلى جسِّ النبض والتعرّف عن قُرب على نفوذ أبي مسلم ونواياه..»[1].

وجاء في تاريخ الطبري أنه: «انصرف أبو جعفر من عند أبي مسلم فقال لأبي العباس: لَسْتَ خليفةً ولا أمرُكَ بشيء إن تركت أبا مسلم ولم تقتله، قال: كيف؟ قال: واللّه ما يصنع إلا ما أراد، قال أبو العباس: اسكت فاكتمها»[2].

ونرى أن عودة مالك بن الهيثم إلى خراسان سنة١٣٣هـ ربما كان حتى لا ينفرد أبو مسلم الخراساني بالنفوذ والتأثير الكامل في غياب زعامات عربية كبيرة هناك. وقد نال مالك بن الهيثم ثقة أبي مسلم وبات من كبار قادته، وكان أبو مسلم يستشيره فيشير عليه وينصحه مشورة صادقة. وولّى أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي إقليم الصُغد وبُخارى [وهو إقليم جمهورية أوزبكستان حالياً] وكان من أقاليم ولاية خراسان. قال د. فاروق عمر: «..وقد حاول الخليفة أبو العباس تقليص نفوذ أبي مسلم الخراساني أو اغتياله عدة مرات.. منها حين حرّض زياداً بن صالح الخزاعي وسبيع الأزدي على قتله إذا سنحت فرصة مناسبة ولكن الخطة لم تنجح»[1].

وكانت محاولة زياد الخزاعي سنة١٣٥هـ حيث قال الطبري: «في سنة١٣٥هـ كان خروج زياد بن صالح الخزاعيّ ـ عامل الصُغد وبخارى ـ وراء نهر بلخ. فشخَصَ أبو مسلم من مَرْو للقائه حتى انتهى إلى آمل ومعه سِباع بن النعمان الأزديّ وهو الذي كان قَدِم بعهد زياد بن صالح من قِبل أبي العباس وأمره إن رأى فرصة أن يثِبَ على أبي مسلم فيقتُله. فدفع أبو مسلم سِباعاً إلى عامل آمل وأمره بحبسه عنده، وعبر أبو مسلم إلى بُخارى، فَلَمَّا نزلها أتاه أبو شاكر وأبو سعد الشرويّ في قوّاد قد خلعوا زياداً، فسألهم أبو مسلم عن أمر زياد ومَنْ أفسده؟ فقالوا: سِباع بن النعمان، فكتب إلى عامله على آمل أن يضرب عنقه. ففعل. ولَمَّا أسلم زياداً قوّادَه ولحقوا بأبي مسلم لجأ زياد إلى دهقان بَارْكَث فوثب عليه الدهقان فضرب عنقه وجاء برأسه إلى أبي مسلم»[2]. وكان الدهاقين العجم يحبون أبا مسلم لأنه في الأصل منهم. ولم يظهر لأبي مسلم وجود أية علاقة لأبي العباس بمحاولة زياد الخزاعي وسباع الأزدي، واستمر مالك بن الهيثم من كبار القادة مع أبي مسلم أمير خراسان.

وفي سنة١٣٦هـ استأذن أبو مسلم من الخليفة أبي العباس لأداء فريضة

---

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٥ ـ ٩٦.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٤٢ و١٥٣ جـ ٩.

الحج، فأذن له، فخرج أبو مسلم من خراسان ومعه ثمانية آلاف جندي والخزائن والأموال، وكان مالك بن الهيثم مع أبي مسلم. قال د. فاروق عمر: «لم يأمن الخليفة جانب أبي مسلم وتحركاته، ولذلك أمره ألّا يجلب معه أكثر من ٥٠٠ من الجند، ولكن أبا مسلم أجابه: إنّي قد وترت الناسَ ولست آمن على نفسي. فردّ الخليفة قائلاً (أقْبِل في ألف فإنما أنت في سلطان أهلك ودولتك، وطريق مكة لا يحتمل العسكر). ومع ذلك فقد جاء أبو مسلم في ٨٠٠٠ فرّقهم في طريق نيسابور والريّ، ودخل العراق في ألف ومعه الأموال والخزائن. وقد عيّن الخليفةُ أخاه أبا جعفر أميراً للحج، وقد أغضب هذا الإجراء أبا مسلم الذي كان يعلّق آمالاً كبيرة لكي يكون أميراً للحج في تلك السنة». [ص ٩٧].

ومضى أبو مسلم إلى الحج بجنوده الألف ومعه مالك بن الهيثم، وحجّ أبو جعفر المنصور بالناس، وبينما هو في الحج مات أبو العباس السفاح في ١٣ ذي الحجة ١٣٦هـ بالأنبار واستخلف أخاه أبا جعفر المنصور فبايعه الناس لما أتاه الخبر وهو منصرف من الحج في منطقة من طريق مكة وكان ممن بايعه أبو مسلم الخراساني ومالك بن الهيثم، وعادا معه إلى الكوفة والأنبار في العراق ـ في محرم ١٣٧هـ ـ وما لبث أن انتقض عبد اللّه بن عليّ أمير الشام ـ عم أبي جعفر المنصور ـ ودعا إلى نفسه بالخلافة وسيطر على الشام والجزيرة الفراتية. وكان أبو مسلم يريد العودة إلى خراسان فلم يأذن له أبو جعفر المنصور وأمره بالتوجه لقتال عبد اللّه بن عليّ بالشام والجزيرة الفراتية. فأرسل أبو جعفر أبا مسلم مع عدد من القواد لحرب عمه الثائر. وكان إرسال أبي مسلم إلى الشام كسباً للخليفة، ذلك لأنه استطاع أن يثنيه عن السفر إلى خُراسان مقر حكمه ومصدر قوّته ولو لفترة من الزمن.. ولم يكن في نية أبي مسلم أن يزجّ نفسه في الخصام بين الخليفة الجديد وعمه الثائر، وكان يعتزم السفر إلى خُراسان وحاول إقناع الخليفة أبي جعفر قائلاً: (إن شئتَ أتيتُ خُراسانَ فأمددتُك بالمال). على أن أبا جعفر أمره بالمسير إلى الشام وقمع التمرد فيها». [ص ٩٨].

وكان مالك بن الهيثم أكبر قائد في الجيش الذي وجّهه أبو جعفر مع أبي مسلم الخُراساني لقتال عبد اللّه بن عليّ والذين معه بالشام. قال الطبري: «مضى أبو مسلم من الأنبار، وبعث على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي.. وكتب أبو جعفر إلى الحسن بن قَحْطبة الطائي وكان خليفته بأرمينية أن يوافي أبا مسلم، فَقَدِم الحسن بن قحطبة (من أرمينية) إلى أبي مسلم وهو بالموصل». [ص ٩/١٥٧] ثم ساروا إلى الجزيرة وحاربوا عبد اللّه بن عليّ والذين معه في معركة أسفرت عن

هزيمة عبد اللّه بن عليّ وانتهاء حركته في ٧ جمادى الثانية ١٣٧هـ ثم ـ كما ذكر د. فاروق عمر ـ «أرسل أبو جعفر وفداً ليحصي الغنائم التي استولى عيها أبو مسلم من عسكر عبد اللّه بن عليّ، مما أغضب أبا مسلم فهمّ بقتل الرسول وتعرّض للخليفة ناعتاً إياه بكلمات جارحة. ولكن الخليفة تصرّف بحلم ورباطة جأش، فأرسل رسالة إلى أبي مسلم يوليه الشام ومصر ويتجاوز له ولقواده عن جميع الأموال والغنائم التي حصلوا عليها، ويَعِدهم بمضاعفتها. على أن أبا مسلم قرّر العودة إلى خُراسان مخالفاً أوامر الخليفة بتوليته على الشام ومصر، وسار في طريقه ـ قاصداً خراسان ـ ويقول ابن أعثم الكوفي: إن الحسن بن قَحْطبة الطائي كتب إلى الخليفة عن تصرفات أبي مسلم رسالة قال فيها: يا أمير المؤمنين إن الشيطان الذي كان ينفخ في رأس عبد اللّه بن علي قد انتقل إلى رأس أبي مسلم». [ص ٩٨].

وبينما أبو مسلم في طريق حُلوان متوجهاً إلى الريّ قاصداً خُراسان كتب إليه الخليفة أبو جعفر المنصور يدعوه إلى القدوم إليه فأجاب عليه أبو مسلم بكلام فيه تهديد بخلعه من الخلافة، وامتنع من القدوم إليه. قال المسعودي في مروج الذهب: «وسرّح المنصور إليه جرير بن يزيد البجلي وكان واحد أهل زمانه وداهية عصره.. فقال له: أيها الأمير.. إن الأمر لم يبلغ عند خليفتك ما تكره، ولا أرى أن تنصرف على هذا الحال. فأراد أبو مسلم أن يجيب إلى الرجوع، فقال له مالك بن الهيثم: لا تفعل. فقال لمالك: ويلك لقد بليتُ بإبليس وما بليت بمثل هذا قط. يعني الجريري. فلم يزل (جرير) به حتى أقْبَلَ به على المنصور»[1]. وجاء في تاريخ الطبري أنّه: «قال أبو مسلم لمالك بن الهيثم: يا مالك أما تسمع ما يقول لي هذا، فقال مالك: لا تسمع كلامه ولا يهولنك هذا منه فَلَعمري ما هذا بكلامه وإن ما بعد هذا أشدّ منه، فامْضِ لأمرك ولا ترجع فواللّه لئن أتيت أبا جعفر ليقتُلنك ولقد وقع في نفسه منك شيءٌ لا يأمنك أبداً». [ص ١٦٣ جـ ٩].

ولكنَّ أبا مسلم لم يأخذ بمشورة مالك بن الهيثم، وربما كان أبو مسلم يرتاب في مالك بن الهيثم لأنه من أبناء عمومة سليمان بن كثير الخزاعي وزياد بن صالح الخزاعي ومحمد بن سليمان وعليّ بن جديع الأزدي الذين قتلهم أبو مسلم، ولأنّ خزاعة والأزد لهم ثأر. ولكنَّ أبا مسلم لم يُظهر ارتياباً في مالك بن الهيثم بل استخلفه على أثقاله، وسار أبو مسلم ـ مع جرير ـ إلى أبي جعفر المنصور. ولَمَّا بلغ أبا جعفر مشورة مالك بن الهيثم لأبي مسلم ارتاب في مالك بن الهيثم. ولَمَّا مَثَلَ أبو

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٣٠٢ جـ ٣.

مسلم بين يدي أبي جعفر المنصور واجهه بعدة تُهم، أهمها قيامه بقتل سليمان بن كثير الخزاعي، حيث ـ كما قال د. فاروق عمر ـ «إن أهمّ تهمة وُجِّهت إلى أبي مسلم الخُراساني هي قتله لسليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء في خُراسان، وقتله لعدد من شيوخ القبائل العربية أمثال علي بن جُديع الأزدي وعثمان بن جُديع الأزدي وأفلح بن مالك ومحمد بن سليمان الخزاعيّ». وقال الطبري: «قال أبو جعفر المنصور لأبي مسلم الخراساني: ما دعاك إلى قتل سليمان بن كثير وهو أحد نقبائنا قبل أن ندخلك في شيء من هذا الأمر؟ قال: أراد الخلاف وعصاني فقتلته، فقال المنصور: وحاله عندنا حاله فقتلته وتعصيني وأنت مخالفٌ عليّ، قتلني اللّه إن لم أقتلك». وكان أبو جعفر قد أمر عثمان بن نهيك العكيّ الأزديّ قائد الحرس فأعدّ له أربعة من الحرس وقال لهم: إذا صفقتُ بيديّ فشأنكم، فصفق أبو جعفر بيديه، فخرجوا فقتلوا أبا مسلم وذلك لخمس ليالٍ بقين من شعبان سنة١٣٧هـ.

* * *

أنباء مالك بن الهيثم بعد مقتل أبي مسلم.. وولايته للموصل:

لقد قال بامطرف في ترجمة مالك بن الهيثم بكتاب الجامع أنه «..كان مع أبي مسلم الخراساني. وتُوفي بعد مقتل أبي مسلم». [ص ٤٧٥] ـ وقد غاب عن بامطرف أنباء مالك بن الهيثم بعد ذلك، فقد جاء في تاريخ الطبري أنه:

«لمّا قُتِل أبو مسلم كتب أبو جعفر المنصور إلى أبي نصر مالك بن الهيثم كتاباً على لسان أبي مسلم يأمره بحمل ثِقله وما خلف عنده وأن يَقْدِم، وخَتَم الكتاب بختم أبي مسلم، فَلَمَّا رأى أبو نصر نقش الخاتم تاماً علم أن أبا مسلم لم يكتب الكتاب فقال: أفعلتموها، وانحدر إلى هَمَذَان. فكتب أبو جعفر إلى أبي نصر عهده على شهرزور ووجّه رسولاً إليه بالعهد، فأتاه حين مضى الرسول بالعهد أنه قد توجّه إلى هَمَذَان، فكتب أبو جعفر إلى زهير بن التركي وهو عامل هَمَذَان إن مرّ بك أبو نصر فاحبسه، فسبق الكتاب إلى زهير وأبو نصر بهمذان فأخذه فحبسه في القصر. وقيل: إن أبا نصر مالك بن الهيثم لَمَّا مضى إلى هَمَذَان كتب أبو جعفر إلى زهير بن التركي: إن للّه دمك إن فاتك مالك. فأتى زهير مالكاً فقال له: إنّي قد صنعتُ لك طعاماً فلو أكرمتني بدخول منزلي، فقال: نعم. وهيأ زهير أربعين رجلاً تخيّرهم، فجعلهم في بيتين يفضيان إلى المجلس الذي هيأه، فَلَمَّا دخل مالك قال زهير: يا أدهم عجل طعامك فخرج أولئك الأربعون إلى مالك فشدّوه وثاقاً» حيث كما ذكر الطبري في الرواية الأولى «..فأخذه فحبسه في القصر، وكان زهير مولًى لخزاعة،

فأشرف أبو نصر على إبراهيم بن عريف وهو ابن أخي أبي نصر لأمه فقال له: يا إبراهيم تقتل عمك؟ قال: لا واللّه أبداً (فحاصر إبراهيم القصر) فأشرف زهير فقال لإبراهيم: إنّي مأمور، واللّه إنه لِمن أعزّ الخلق عليّ ولكني لا أستطيع أن أرد أمر أمير المؤمنين وواللّه لئن رمى أحدكم بسهم لأرمينّ إليكم برأسه. وقَدِم صاحب كتاب العهد على أبي نصر بعهده على شهرزور، فخلّى زهير سبيله لهواه فيه.. وقَدِم أبو نصر على أبي جعفر المنصور فقال له: أشَرت على أبي مسلم بالمضي إلى خراسان؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين كانت له عندي أياد وصنائع فاستشارني فنصحتُ له..». وقال الطبري في رواية ثانية: «دعا أبو جعفر بمالك بن الهيثم فحدثه بمثل ذلك، فاعتذر إليه بأنه أمره بطاعته وإنما أطاعه وخفّ له الناس بمرضاته، وأنه قد كان في طاعتهم قبل أن يعرف أبا مسلم. فَقَبل منه». [ص ٩/١٦٨].

وأقام مالك بن الهيثم وأولاده والذين معه من أهله بالكوفة، وكان مالك بن الهيثم بمدينة الهاشمية لَمَّا ثارت جماعة يُقال لهم الراوندية وقصدوا نحو أبي جعفر المنصور وهو في القصر بمدينة الهاشمية وكانوا يومئذٍ ستمائة رجل، فحملوا على القصر، وتنادى الناس، وغُلقت أبواب المدينة، فوقف أبو نصر مالك بن الهيثم في باب القصر يدافع عنه، وأقبل الجنود وأهل السوق فقاتلوا الراوندية فقتلوهم. قال الطبري: «لَمَّا كان يوم الراوندية قام أبو نصر على باب القصر وقال: أنا اليوم البواب لا يدخلُ أحدٌ القصر وأنا حيٌّ. فقال أبو جعفر: أين مالك بن الهيثم؟ فأخبروه عنه، فرأى أنه قد نصح له.. واستعمله على الموصل» [ص ٩/١٦٨]، وكان ذلك في أواخر سنة١٣٧هـ.

وتوجّه مالك بن الهيثم إلى ولاية الموصل في أوائل سنة١٣٨هـ فتولّاها بالاشتراك مع إسماعيل بن عليّ بن عبد اللّه بن عباس ـ عم أبي جعفر المنصور ـ ثم عزل إسماعيل بن عليّ وولّى مالك بن الهيثم ولاية الموصل جميعها حيث قال ابن الأثير في كتاب الكامل في التاريخ: «ثم دخلت سنة١٤٢هـ وفيها عزل المنصور عمه إسماعيل عن الموصل واستعمل عليها مالك بن الهيثم الخزاعي. وكان مالك خير أمير»[1].

وبينما كان مالك بن الهيثم والياً لولاية الموصل التي تمتد إلى أطراف أذربيجان وأطراف الجزيرة الفراتية كان الحسن بن قحطبة الطائي والياً لأرمينية. قال البلاذري: «ووجّه أبو جعفر المنصور عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام والياً على

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٦٩ جـ ٤ـ وص ٢٠ جـ ٥.

الجزيرة وثغورها، فتوجّه سنة١٤٠هـ ومعه الحسن بن قحطبة ـ لغزو ثغور الروم ـ وقطع البعوث على أهل الشام والجزيرة فتوافى معه سبعون ألفاً، فعسكر على ملطية [في جنوب تركيا]. . وكان مع عبد الوهاب في هذه الغزاة نصر بن مالك بن الهيثم ونصر بن سعد الكاتب فقال الشاعر:

تكنّفكَ النصرانُ: نصرُ بن مالك ونصرُ بن سعدٍ، عزّ نصرك من نصر»[1]

ومكث مالك بن الهيثم والياً لولاية الموصل جميعها من سنة١٤٢ ـ ١٤٥هـ. قال ابن الأثير: «وفي سنة١٤٥هـ عزل المنصور مالك بن الهيثم عن الموصل»[2] وبذلك انتهت ولاية مالك بن الهيثم للموصل، ولا بد أنه كان ابن نحو خمس وسبعين سنة. ومات بعد سنة١٤٧هـ.

الولاة من أبناء مالك بن الهيثم:

إن الدور الكبير لمالك بن الهيثم في تأسيس وترسيخ الخلافة العباسية يتجلى أيضاً في استمرار الولاة والأمراء القادة من أبناء مالك بن الهيثم وأحفاده في العصر العباسي أكثر من مائة سنة، فكان آل مالك بن الهيثم من بيوت الولاة والأمراء العرب اليمانيين الذين اشتهروا بالكفاءة الإدارية والقيادية مثل آل المهلّب وآل قحطبة وآل الأشعث الكندي وآل الأشعث الخُزاعي وآل عبد المدان الحارثي وغيرهم.

فقد كان من أبناء مالك بن الهيثم الولاة الأمراء:

ـ **نصر بن مالك. . أمير الشرطة**: وهو أحد نظراء النقباء، وكان من قادة الغزوات إلى أرض الروم (في تركيا) وفيه قال الشاعر: (تكنفك النصرانُ نصرُ بن مالك. .) ثم أصبح أميراً للشرطة في بغداد للخليفة المهدي بن أبي جعفر المنصور. قال ابن الأثير: «وفي سنة١٦١هـ تُوفي نصر بن مالك من فالج أصابه وولّى المهدي بعده شرطته حمزة بن مالك» [ص ٦١/ ٥]، وقال الطبري: «توفي نصر بن مالك ـ سنة١٦١هـ ـ وصلّى عليه المهدي، ودُفن في مقابر بني هاشم». [ص ٣٤١/ ٩].

ـ **حمزة بن مالك. . أمير سجستان ثم أمير خُراسان**: قال الطبري: «في سنة١٥٩هـ ولّى المهدي على سجستان حمزة بن مالك بن الهيثم». [ص ٣٢٦/ ٩] فمكث والياً لسجستان إلى سنة١٦١هـ ثم عاد إلى بغداد وتولّى الشرطة بعد أخيه

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ١٩٢.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٦٩ جـ ٤ـ وص ٢٠ جـ ٥.

نصر فترة. ثم تولَّى خُراسان في خلافة الرشيد. قال الطبري: «في سنة١٧٦هـ ولّى الرشيد على خُراسان حمزة بن مالك بن الهيثم وكان حمزة يُلقب بالعروس» [ص ٦٠/ ١٠] ـ ومكث والياً لخراسان إلى سنة١٧٧هـ ثم عاد منها، وتُوفي سنة١٨١هـ.

ـ **عبد اللّه بن مالك.. أمير شمال إيران:** كان أميراً للشرطة في عاصمة الخلافة بغداد في خلافة المهدي ثم الهادي ثم هارون الرشيد. قال الطبري «وفي سنة١٨٩هـ ولّى هارون الرشيد عبد اللّه بن مالك طبرستان، والرّي، والرُّويان، ودنباوند، وقومس، وهَمَذَان»(١). وهي أقاليم شمال إيران. وكان عبد اللّه بن مالك من أمراء الغزو إلى أرض الروم (في تركيا) مع الرشيد سنة١٩٠ ـ ١٩١هـ. قال الطبري «وفي سنة١٩٢هـ تحركت الخرَّميّة بناحية آذربيجان فوجّه إليهم الرشيد عبد اللّه بن مالك»(١) فأخمد حركة الخرّمية بأذربيجان. ولم يزل من كبار الأمراء إلى أن مات أيام الأمين سنة١٩٤هـ.

ـ **ثابت بن نصر بن مالك.. أمير الثغور:** قال الطبري: «في سنة١٩٢هـ وَلّى الرشيد ثابت بن نصر بن مالك الثغور، وغزا فافتتح مطمورة. وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم ـ في الأسرى ـ على يدي ثابت بن نصر بن مالك»(١). ومكث ثابت أميراً للثغور ـ في جنوب تركيا ـ إلى أيام خلافة الأمين بن الرشيد وصراعه مع المأمون حوالي سنة١٩٦هـ.

ـ **العباس بن عبد اللّه بن مالك.. أمير الرّي:** كان أمير إقليم الرّيّ، شمال إيران للمأمون في خلافة الأمين حيث كان الرشيد قد ولّى المأمون خراسان وآسيا الوسطى قبل وفاته سنة١٩٣هـ وتولَّى الأمين الخلافة. قال الطبري: «بدأ الأمين في التدبير على المأمون ـ سنة١٩٤هـ ـ فكان من التدبير أنه كتب إلى العباس بن عبد اللّه بن مالك وهو عامل المأمون على الرّيّ وأمره بأن يبعث إليه بغرائب غروس الرّي، مريداً بذلك إمتحانه، فبعث إليه ما أمره به، فبلغ ذلك المأمون فعزله»(١).

ـ **محمد بن عبد اللّه بن مالك.. أمير اليمن:** كان والياً لليمن في خلافة الأمين سنة١٩٤ ـ ١٩٥هـ وكان من خِيرة الولاة الذين تولوا اليمن، وقد ذكرنا النصوص التاريخية عن عهده في المبحث الخاص بولايته لليمن.

ـ **المطّلب بن عبد اللّه بن مالك.. أمير الموصل ثم أمير مصر:** كان

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٩٧ و١٠٩ و١٣١ جـ ١٠.

المُطّلب بن عبد اللّه بن مالك بن الهيثم من كبار الأمراء والزعماء. تولّى ولاية الموصل أيام الأمين والمأمون سنة١٩٤ ـ ١٩٧هـ. وسيأتي المبحث الخاص بعهد ولايته للموصل، ثم أصبح والياً لمصر في خلافة المأمون سنة١٩٨ ـ ٢٠٠هـ ثم عاد إلى بغداد وكان من كبار الزعماء حتى وفاته بعد سنة٢١٠هـ.

ـ **نصر بن حمزة بن مالك.. أمير الثغور**: كان من كبار القادة بالعراق. قال ابن الأثير: «واستعمل الواثقُ نصر بن حمزة الخزاعي على الثغور في جمادى الأولى سنة٢٣١هـ»[1]. فمكث أميراً للثغور بجنوب تركيا في خلافة الواثق.

ـ **أحمد بن نصر بن حمزة بن مالك.. أمير الكوفة**: ذكره الطبري في أحداث عهد خلافة المستعين بن محمد بن المعتصم بن الرشيد (٢٤٨ ـ ٢٥٢هـ) حيث قال: «كان عامل الكوفة أحمد بن تصر بن مالك الخزاعي» [ص ١٢٥/ ١١] ـ ولا بد أنه (أحمد بن نصر بن حمزة بن مالك) وقد ذكر الطبري أخاه (عبد اللّه بن نصر بن حمزة بن مالك) وكان من كبار القادة سنة٢٥١هـ.

ـ **منصور بن نصر بن حمزة بن مالك بن الهيثم.. أمير واسط**: كان أميراً لمنطقة واسط بالعراق في خلافة المستعين ثم المعتز العباسي (٢٥١ ـ ٢٥٥هـ). وننتهي من ذلك إلى أن الولاية والإمارة تعاقبت في بني مالك بن الهيثم إلى سنة٢٥٥هـ.

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٢٧٥ جـ ٥.

١٠

إسماعيل بن خالد القَسْري.. والي الموصل

(١٥١ ـ ١٥٤هـ)

هو الأمير اليماني إسماعيل بن خالد بن عبد اللَّه القَسْري أمير الموصل.. قال ابن الأثير: «في سنة١٥١هـ استعمل المنصور على الموصل إسماعيل بن خالد بن عبد اللَّه القسري»[1].

وكانت ولاية الموصل تضم مناطق كبيرة شمال العراق إلى مناطق ربما يقع بعضها في أذربيجان ـ بإيران ـ وفي جنوب تركيا، فقد كانت مناطق الأكراد ومناطق شهرزور والصامغان ودراباذ وغيرها مضمومة إلى الموصل، وكانت غالبية العرب في الموصل من اليمن فعندما تم فتح الموصل ومناطقها وجميع معاقل الأكراد في خلافة عمر بن الخطاب ولَّى عمر عليها الأمير هرثمة بن عرفجة البارقي الأزدي اليماني فأسكن هرثمة العرب بها وكانت غالبيتهم من الجند والعشائر اليمنية. قال البلاذري في فتوح البلدان: «ولَّى عمرُ بن الخطاب هرثمة بن عرفجة البارقيّ الموصل، وكان بها الحصن وبِيع النصارى ومنازل لهم قليلة عند تلك البِيع ومحلة لليهود، فَمَصّرها هرثمةُ فأنزل العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع. وحدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده قال: أول من اختط الموصل وأسكنها العربَ ومَصَّرَها هرثمة بن عرفجة البارقي.. ولَمَّا اختط هرثمة الموصل وأسكنها العرب أتى الحديثة وكانت قرية قديمة فيها بيعتان وأبيات النصارى فَمَصَّرها وأسكنها قوماً من العرب»[2]. ولَمَّا استقر أولئك العرب بالموصل ومناطقها نزعت إليهم فيما بعد عشائرهم من الأزد ومذحج وهَمْدان وغيرهم فاستقروا وانتشروا بتلك البلاد.

وقد ولَّى الخليفة أبو جعفر المنصور على الموصل مالك بن الهيثم الخُزاعيّ (١٣٨ ـ ١٤٥هـ) ثم «في سنة١٤٥هـ عزل المنصور مالك بن الهيثم عن الموصل

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٦ و٣٧ جـ ٥.

(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٣٢٨.

بابنه جعفر بن أبي جعفر المنصور» ـ وهذا يؤكد أهمية ولاية الموصل واتساعها فتولية ابن الخليفة عليها شاهد على ذلك، وقد أسند ابن الخليفة إدارة وحكم الموصل إلى بعض القادة ولم يكن يقيم بالموصل غالباً، فوقعت حركات خوارج بالموصل.

فولّى أبو جعفر المنصور على الموصل سنة١٥١هـ إسماعيل بن خالد القسري فهدأت ولاية الموصل في أيام ولايته. قال ابن الأثير: «وفي سنة١٥٣هـ كان على الموصل إسماعيل بن خالد بن عبد اللّه القسري» وقال «في سنة١٥٤هـ كان على أفريقيا يزيد بن حاتم، وكان العمال ـ على الأمصار ـ مَنْ تقدم ذكرهم»[1] أي الذين كانوا عليها في السنة السابقة ومنهم إسماعيل بن خالد القسري، فكانت ولايته للموصل أربع سنوات إلى نهاية سنة١٥٤هـ. وانتهت ولايته بتولية موسى بن كعب الخثعمي في أوائل سنة١٥٥هـ على الجزيرة الفراتية والموصل.

١١

موسى بن كعب الخَثْعمي.. والي الجزيرة وأمير الموصل

(١٥٥ ـ ١٥٨هـ/ ١٦٦ ـ ١٦٧هـ)

هو الأمير اليماني موسى بن كعب بن سفيان الخَثْعمي، من قبيلة خثعم اليمنية، وهم بنو خَثْعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان[1].

ومناطق قبيلة خثعم باليمن هي منطقة رداع ـ بمحافظة البيضاء حالياً ـ ومنطقة بيشَة وتَبَالة ـ في السراة بأعالي اليمن. وقد ذكر مناطقهم الحسن بن أحمد الهمداني قائلاً:

«.. المحجر الأعلى والمحجر الأسفل والأكراب والمتار لبني مُنبه وهُم من خَثْعم كلهم»[2].

وقال الأكوع في الهامش: «المحجر الأعلى والمحجر الأسفل: مِنْ ظاهر رداع.. والمتار: قرية في الشمال الشرقي من رداع، ودعوتهم في قائفة»[2] وقائفة هي قيفة حالياً.

وقال الهمداني: «بلد خثعم: أعراض بَيْشَة وتَرْج وتبَالة.. وما جاور بيشة من بلد خثعم»[2].

وهي مناطق معروفة بعسير وسراة أعالي اليمن.

وقد انتقلت فرقة من عشائر خثعم ـ من منطقتيها باليمن ـ إلى الشام والجزيرة الفراتية في الفتوحات والعصر الأموي، واشتهر منهم مالك بن عبد اللّه الخثعمي. قال الحافظ ابن حجر في ترجمته بكتاب الإصابة:

«مالك بن عبد اللّه بن سنان بن سرح الخثعمي.. قال البخاري وابن حِبان:

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٢٣.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق القاضي محمد الأكوع ـ ص ١٩٢ و٢٥٨.

له صحبة.. قال ابن حجر: وكان يعرف بمالك السرايا.. وكان يلي الصوائف حتى عرفته الروم. قال عطية بن قيس: وُلِّي مالك الصوائف زمن معاوية ثم يزيد ثم عبد الملك بن مروان. ولَمَّا مات كسروا على قبره أربعين لواءً»[1]. وقد مات غازياً مجاهدًا في أرض الروم ـ في تركيا ـ فكسر المسلمون على قبره أربعين لواءً حداداً عليه. وذلك حوالي سنة٧٥هـ.

* * *

وكان موسى بن كعب بن سفيان الخثعمي من الشخصيات القيادية وكبراء الأمراء في خلافة أبي جعفر المنصور، ومما يدل على علو مكانته أن أبا جعفر المنصور جمع له وولّاه ـ سنة١٥٥هـ ـ ولايتين: ولاية الجزيرة الفراتية، وولاية الموصل.

وكان ممَّن تولَّى الجزيرة الفراتية حُميد بن قَحْطبة الطائي (١٣٧ ـ ١٤٠هـ) ثم عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام، ثم ولَّى أبو جعفر المنصور أخاه العباس بن محمد الجزيرة الفراتية. قال ابن الأثير: «وفي سنة١٥٥هـ عزل المنصور أخاه العباس عن الجزيرة وولَّى مكانه موسى بن كعب الخثعمي»[2] وقال الطبري: «كان المنصور ولَّى أخاه العباس بن محمد الجزيرة ثم غضب عليه وعزله عن الجزيرة وغرّمه مالاً.. واستعمل المنصور على حرب الجزيرة وخراجها موسى بن كعب»[3]. وقال ابن خلدون: «عزل المنصور عن الجزيرة أخاه العباس وولَّى مكانه موسى بن كعب الخثعمي»[4]. وكذلك «في سنة١٥٥هـ كان على الموصل موسى بن كعب بن سفيان الخثعمي».

ومكث موسى بن كعب الخثعمي والياً للجزيرة الفراتية وللموصل سنة١٥٥ وسنة١٥٦ وسنة١٥٧ وسنة١٥٨هـ حيث جاء في تاريخ الطبري أنه: «في سنة١٥٨هـ غضب أبو جعفر المنصور على موسى بن كعب وكان عامله على الجزيرة والموصل، فوجّه المنصور ابنه المهديّ إلى الرقَّة ـ بالجزيرة ـ وأمره بالمرور على الموصل فإذا صار بالبلد أخذ موسى بن كعب فقيَّده، وولَّى خالد بن برمك الموصل مكانه، ففعل المهديّ ذلك.. وانصرف المهديّ إلى مدينة السلام من الرقّة فدخلها في شهر رمضان»[3]. وذكر الطبري عن سبب ذلك في سياق الرواية

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٣٤٧ جـ ٣.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٨ و٦٩ جـ ٥.
(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٨٦ و٢٨٩ جـ ٩.
(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص ٥١٣.

أنه: «ورد على المنصور انتقاضُ الموصل وانتشار الأكراد بها»[١]. وقال ابن خلدون: «في سنة١٥٨هـ. عزل المنصور موسى بن كعب لشيء بلغه عنه.. وكان قد ورد على المنصور انتقاض الموصل والجزيرة وانتشار الأكراد بها.. فعزل موسى بن كعب»[٢].

ونرى من ذلك أن موسى بن كعب كان له وجهة نظر بشأن اضطراب بعض مناطق الأكراد وأنه لم يرغب في استعمال العنف معهم، وربما لم يتجاوز الأمر امتناعهم عن أداء الخراج والواجبات المالية وأن موسى بن كعب تساهل معهم في ذلك. وقد أمر المنصور ابنه المهدي بأن يولِّي خالد بن برمك الموصل وهذا يشير إلى اتصال الأمر بالخراج وأنه ولَّى خالداً على الخراج. وعاد المهديّ ومعه موسى بن كعب من الموصل إلى الخليفة المنصور في رمضان ١٥٨هـ، فولّاه قيادة الشرطة ببغداد، فقد ذكر الطبري أنه «كان على الشرط ببغداد يوم مات أبو جعفر المنصور عمر بن عبد الرحمن ـ الأزدي ـ وقيل: كان على الشرط موسى بن كعب»[٢]. ونرى أن كليهما كانا على الشرطة وبذلك يزول التعارض. وقد تُوفي المنصور في ذي الحجة سنة١٥٨هـ وتولَّى الخلافة المهديّ بن أبي جعفر المنصور، وولَّى على الجزيرة الفضل بن صالح العباسي وعلى الموصل حسان الشروي الهمداني ثم محمد بن الفضل.

وعاد موسى بن كعب إلى ولاية الموصل مرة ثانية في خلافة المهدي سنة١٦٥ ـ ١٦٧هـ وكانت ولايته بالاشتراك مع أحمد بن إسماعيل بن علي العباسي الذي ربما كان عاملاً على الخراج وموسى بن كعب الوالي على غير الخراج، فقد ذكر ابن الأثير أنه «في سنة١٦٦ كان على الموصل أحمد بن إسماعيل، وقيل: موسى بن كعب الخثعمي» وكذلك «في سنة١٦٧هـ كان على الموصل أحمد بن إسماعيل، وقيل: موسى بن كعب الخثعمي»[٣]. ومات موسى بن كعب حوالي سنة١٦٨هـ.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٨٦ و٢٨٩ جـ ٩.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ ص ٥١٣.

(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٨ و٦٩ جـ ٥.

١٢

خالد بن يزيد المُهلَّبي.. أمير جُرجان ثم أمير الموصل

هو الأمير خالد بن يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المهلَّب الأزدي. أمير. تولَّى إقليم جُرجان في إيران ثم تولَّى الموصل في خلافة هارون الرشيد. قال ابن الأثير:

«لَمَّا دخل خالد بن يزيد بن حاتم الموصل انكسر لواؤه في باب المدينة، فتطيَّر منه، وكان معه أبو الشيص الشاعر[1] فقال في ذلك:

ما كان منكسر اللواء لطَيْرة	تُخْشَى ولا أمر يكون موبلا
لكن هذا الرمح أضعف ركنه	صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسُرِّيَ عن خالد»[2].

***

نشأ خالد بن يزيد بن حاتم بالبصرة، وهو نجل الأمير يزيد بن حاتم المهلَّبيّ أمير مصر في خلافة أبي جعفر المنصور سنة١٤٣ ـ ١٥٢هـ بينما كان عمر بن حَفْص بن قَبِيصة بن أبي صفرة الأزدي والياً لبلاد السند (١٤٢ ـ ١٥١هـ). وكان أبو عُيينة الشاعر ابن محمد بن أبي عُيينة بن المهلَّب صديقاً لخالد. وكان أبو عُيينة يحبُّ فاطمة بنت عمر بن حَفْص ولكن تزوجها عيسى بن سليمان بن علي بن عبد اللّه بن عباس ـ وهو ابن عم الخليفة أبي جعفر المنصور ـ وكان ذلك الزواج

---

(١) أبو الشيص هو الشاعر محمد بن رزين بن سليمان الخزاعي اليماني. قال الحافظ ابن كثير في كتاب البداية والنهاية: «في سنة ١٩٦هـ توفي أبو الشيص: كان أستاذ الشعراء وكان إنشاء الشعر ونظمه أسهل عليه من شرب الماء. ومن جيد شعره قوله:

وقف الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي	متأخَّرٌ عنه ولا مُتَقَدمُ
أجد الملامة في هواك لذيذة	حباً لذكرك فليلمني اللومُ
أشْبَهتِ أعدائي فصرتُ أحبهم	إذْ كان حظي منكِ حظي منهمُ
وأهنتني فأهنتُ نفسي صاغراً	ما مَنْ يهونُ عليكَ ممَّن تُكرمُ»

[ص ٢٣٨ جـ ١٠]

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٢٣ جـ ٥.

محل استياء أبناء محمد بن أبي عيينة بن المهلّب. قال أبو العباس المبرّد: «ومن شعر عبد الله بن محمد بن أبي عُيينة بن المهلّب قوله في عيسى بن سليمان، وكان تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمة بنت عمر بن حفص هَزار مَرْدَ وهو من ولد قبيصة بن أبي صُفرة ولم يلده المهلّب:

أفاطِم قد زُوِّجت عيسى فأيقِني ... بذُلٍّ لديهِ عاجلٍ غير آجِلِ

فإنك قد زُوِّجت عن غير خِيرةٍ ... فتىً من بني العباس ليس بعاقل

إلى آخر القصيدة[١]. قال أبو العباس المبرد: «وولَدُ عيسى من فاطمة هذه لَهُم شجاعةٌ ونجدةٌ وشدة أبدان. وفاطمة هي التي كان يَنسِبُ بها أبو عيينة أخو عبد الله ويُكنى عنها بدُنيا. ومن ذلك قوله لها:

دَعَوْتُكِ بالقرابة والجِوارِ ... دُعاءَ مُصرِّح بادي السِّرار

لأني عنكِ مُشْتغلٌ بنفسي ... ومُحْترِقٌ عليكِ بغير نارِ

وأنت تَوقّرين وليس عندي ... على نار الصبابة من وقارِ»[١]

وقال أبو الفرج الأصفهاني: «كان أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة يتعشق فاطمة بنت عمر بن حفص التي تزوجها عيسى بن سليمان، ويسرّ عشقها، ويُلقبها دُنيا كتماناً لأمرها. وكانت امرأة جليلة نبيلة شريفة، وكان يخاف أهلها أن يذكرها تصريحاً، ويرهب زوجها عيسى بن سليمان»[٢]. وقد ذكر الأصفهاني قصائد جيدة قالها أبو عيينة فيها، منها قصيدة مطلعها:

ضيّعتِ عهد فتى لعهدكِ حافظٌ ... في حِفظهِ عجبٌ وفي تضييعكِ

ثم تمادى أبو عيينة وأخذ يبعث الرسل إلى دارها فطردتهم فاطمة وهددتهم بالحبس والضرب، فقال أبو عيينة قصيدة ـ بعث بها إلى فاطمة ـ قال فيها:

ما لقلبي أرقّ من كل قلبِ ... ولحُبّي أشدّ مِن كل حُبِّ

ولِدُنيا على جنوني بِدُنيا ... أشتهي قربها وتكرهُ قُربي

.. قُلْ لِدُنيا إنْ لم تجبكِ لما بي ... رطبة من دموع عيني وكُتْبي

فعلام انتهرتِ بالله رُسْلي ... وتهددتهم بحبسٍ وضرب[٢]

ويبدو أن ذلك التمادي أثار استياء البيت العباسي ـ ومنهم الخليفة أبو جعفر المنصور ـ كما أثار استياء آل المهلّب بالبصرة ـ ومنهم خالد بن يزيد بن حاتم ـ وقد

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرد ـ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ جـ ١.

(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٩ جـ ١٨.

توجّه غضب المنصور إلى والد أبي عيينة، حيث جاء في كتاب الأغاني أنه:

«كان محمد بن أبي عيينة ـ والد أبي عيينة الشاعر ـ يتولّى الريّ لأبي جعفر المنصور.. قال وهب بن جرير: رأيت في منامي كأنّ قائلاً يقول لي:

مـــا يـــلـــقَـــىٰ أبـــو حـــربِ تـــعـــالـــى الـــلّـــهُ مِـــن كَـــرْبِ

فلم ألبث أن أخذ المنصورُ محمد بن أبي عيينة فحبسه وغرّمه، وكان ولّاه الريّ فأقام بها سنين»(١).

ويبدو أن ذلك يرتبط باستياء المنصور من تَمادي أبي عيينة في أمر فاطمة بنت عمر، فقام بعزل وحبس أبيه، ولكنه جعل العزل والحبس يبدو لأسباب مالية فقام بتغريمه مبلغاً مالياً ثم أطلق سراحه.

ثم أخذ خالد بن يزيد بن حاتم على عاتقه حل مشكلة أبي عيينة وتشبيبه بفاطمة بنت عمر امرأة عيسى بن سليمان، ابن عم الخليفة أبي جعفر المنصور، وذلك عندما أصبح خالد أميراً لجُرجان.

نبأ ولاية خالد لإقليم جُرجان والرّيّ:

قال الأصفهاني في كتاب الأغاني: «وُلِّي خالد بن يزيد بن حاتم جُرجان، فسأل خالدٌ أبا عيينة أن يصحبه ويخرج معه، ووعده الإحسان والولاية وأوسع له المواعيد. وكان أبو عيينة جندياً فجرد خالدٌ اسمه في جريدته وأخرج رزقه معه. فَلَمَّا صار أبو عيينة في جُرجان مع خالد أعطاه رزقه لشهر واحد واقتصر على ذلك وتشاغل عنه وجفاهُ..»(٢).

ويقع إقليم جُرجان في شمال غرب إيران. وكان الذي فتح إقليم جُرجان يزيد بن المهلَّب، وذلك في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان سنة٩٨هـ وقام يزيد بن المهلَّب بتشييد مدينة جُرجان وجعلها عاصمة لإقليم جرجان وأوطن بها عشائر يمانية من الأزد ومَذْحج استقروا بها ومَلَكوها، وولّى يزيد بن المهلَّب على جُرجان الأمير جهم بن زَحر الجعفيّ المذحجيّ وهو أول أمير لجُرجان في التاريخ العربيّ الإسلامي. ووقعت في جُرجان إحدى المعارك الكبيرة بين جيش الدعوة العباسية بقيادة قَحْطبة بن شبيب الطائي وبين الجيش الأمويّ المروانيّ وكان بقيادة نباتة بن حنظلة القيسيّ، فانهزم الجيش المروانيّ وسقط قائده قتيلاً، ودخل قَحْطبة

---

(١)الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٩ جـ ١٨.

(٢)الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٢٣ جـ ١٨.

الطائي مدينة جُرجان ومعه يزيد بن حاتم المهلَّبيّ وكبار القادة وذلك في ذي الحجة سنة١٣٠هـ وكان ذلك أول الانتصارات الكبيرة التي أدت إلى سقوط الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية سنة١٣٢هـ.

ويجاور إقليم جُرجان إقليم الرَّي ـ في إيران ـ وكان محمد بن أبي عيينة بن المهلَّب والياً لإقليم الرّي في خلافة أبي جعفر المنصور لسنوات عديدة، وربما كانت ولايته تشمل جُرجان أيضاً، وكان عمر بن حفص ـ والد فاطمة ـ والياً لبلاد السند (١٤٢ ـ ١٥١هـ) ثم والياً لأفريقيا الشمالية (١٥١ ـ ١٥٣هـ) بينما كان زيد بن حاتم ـ والد خالد ـ والياً لمصر (١٤٣ ـ ١٥٢هـ) ثم مات عمر بن حفص بأفريقيا فأصبح يزيد بن حاتم والياً لأفريقيا الشمالية (١٥٤ ـ ١٧٠هـ) بينما أصبح خالد بن يزيد بن حاتم والياً لإقليم جُرجان وكانت ولايته تشمل الرّي أيضاً، كما يدل على ذلك قيامه ببعث أبي عُيينة الشاعر مع القوة العسكرية المرابطة في الرّي. فقد ذكر الأصفهاني أنه:

«أعرس داود بن محمد بن أبي عُيينة أخو أبي عيينة الشاعر بالبصرة، وأخوه غائب يومئذٍ مع ابن عمه الأمير خالد بن يزيد بن حاتم بجرجان، فكتب داود إلى أخيه يخبره بسلامة أهله وسلامة أهل بيته وبخبر نقل أهله إليه، فقال أبو عيينة:

ألا ما لعينِكَ مُعتلةِ ... وما لدموعِكَ مُنهلةِ
وكيف بجُرجان صبر امرئٍ ... وحيدٍ بها غير ذي خلَّةِ
وأطول بليلك أطول به ... إذا عسكر القومُ بالأثلةِ
ووراءك من خيله حاشرٌ ... من القوم ليست له قبلةِ
يسوقك نحوهم مكرهاً ... وداود بالمِصْرِ في غفلةِ
عروس يُنعمُ من تحته ... سرير ومن فوقه كلّةِ
وما مُدنف بين عُوّاده ... يُنادي وفي سمعه ثَقْلةِ
بأوجع مني إذا قيل لي ... تأهّب إلى الرّيّ بالرحلة
وما لي وللريّ لولا الشقاء ... إن كنتُ عنها لفي عزلة
أكلّف أجبالها شاتياً ... على فرسٍ أو على بغلةِ. .»

فمرابطة أبي عيينة مع جنود خالد في الرّي يدلُّ على أن ولاية خالد كانت تشمل جُرجان والرّي معاً.

* * *

إن شعر أبي عُيينة في جُرجان والرّيّ هو أول شعر عربي يُقال في تلك

البلاد، وخاصة في غير الحروب، وقد مكث أبو عيينة جندياً في جيش خالد، ولـم يُولِّه خالد شيئاً، ولـم يُحسن معاملته، ومنعه من العودة إلى البصرة والعراق، وتعاقبت الفصول والسنونَ وأبو عيينة بجرجان، فقال أشعاراً ذمّ فيها خالداً. قال الأصفهاني: «فبلغه أن أبا عيينة قد هجاه وبسط لسانه فيه وذكره بكل قبيح عند أهل عمله ووجوه رعيته فلم يقدر على معاقبته لموضع أبيه وسنه ومحله في أهله».

ونرى أن الأصفهاني لم يفطن إلى سبب موقف خالد فقد كان إبقاء أبي عيينة في جُرجان ومنعه من العودة إلى البصرة يتصل بفاطمة بنت عمر بن حفص امرأة عيسى بن سليمان العباسي التي كان أبو عيينة يعشقها ويُسميها دُنيا في أشعاره. فقد توسع الأصفهاني في رواية أشعار قال إن أبا عيينة قالها يهجو خالداً، ولم يفطن إلى السبب النبيل لموقف خالد. فقد ذكر الأصفهاني أول قصيدة قالها أبو عيينة في جرجان قائلاً أنه: «قال يهجو خالداً» بينما القصيدة تبدأ باسم (دنيا) وموجهة إلى (دنيا).. وهي القصيدة التالية:

دُنيا دعوتُكِ مسرعاً فأجيبي ... وبما اصطفيتك في الهوى فأنيبي
دُومي، أدُم لك بالصفاءِ على النوَى ... إنّي بعهدكِ واثقٌ فثقي بي
ومن الدليل على اشتياقي عَبْرتي ... ومشيب رأسي قبل حين مشيبي
أبكي إليكِ إذا الحمامةُ طرَّبتْ ... يا حسن ذاك إليَّ من تطريبِ
تبكي على فِننِ الغصون حزينةً ... حزن الحبيبة من فراق حبيب
وأنا الغريب فلا ألام على البكا ... إن البكا حَسَنٌ بكل غريبِ
أفلا يُنادي للقفول برحلةٍ ... تَشْفي جوىً من أنفس وقلوبِ

يعني القفول إلى البصرة لأن خالد بن يزيد منعه من ذلك. ثم قال:

ما لي أصطفيتُ على التعسف خالداً ... والله ما أنا بعدها بأريب
تباً لصحبة خالدٍ مِن صُحبةٍ ... ولخالد ابن يزيد من مصحوب
يا خالد ابن قبيصة هيجت بي ... حرباً فدونك فاصطبر لحروبي
لَمَّا رأيتُ ضمير غشك قد بدا ... وأبَيْت غير تجهم وقطوب
خلّيتُ عنك مفارقاً لك عن قلىً ... ووهبتُ للشيطان منك نصيبي
فَلئِنْ نظرتُ إلى الرُّصافةِ مرةً ... نظراً يفرِّج كربة المكروب
لأمزقنك قائماً أو قاعداً ... ولأروين عليك كل عجيب
ولتأتين أبيك فيك قصائد ... حبّرتُها بتشكر مقلوب

وليُنْشدنّ بها الإمامُ قصيدةً ولَتُشْتَمنّ وأنت غير مهيب

فقوله: (وليُنشدن بها الإمامُ قصيدة) يعني بالرُّصافة رُصافة الكوفة، ويعني بالإمام الخليفة المهديّ بن أبي جعفر المنصور (١٥٨ ـ ١٦٩هـ) وهو الذي بَنَى الرُّصافة.

وقوله: (ولتأتين أبيك فيك قصيدة) يعني يزيد بن حاتم وكان والياً لأفريقيا الشمالية وعاصمته مدينة القيروان منذ سنة١٥٤هـ وفي خلافة المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩هـ) وكذلك في تلك الفترة كان الأمير رَوْح بن حاتم والياً للسند (١٥٩ ـ ١٦١هـ) ثم والياً للبصرة والكوفة (١٦٥ ـ ١٦٨هـ).

ويبدو أن الخليفة المهديّ ويزيد بن حاتم كانا يعرفان سبب موقف خالد بن يزيد بن حاتم من أبي عُيينة وأن ذلك لحماية سمعة الأسرتين العباسية والمهلَّبية من تشبيب أبي عيينة بفاطمة بنت عمر امرأة عيسى بن سليمان، بل ولحماية أبي عيينة نفسه من أن يتهور في أمر فاطمة بما يؤدي إلى مقتله.

ومن مشهور وصحيح شعر أبي عيينة وهو بجُرجان قصيدته التي أولها:

أَلَا خبّروا إن كان عندكم خبر أَنَقْفِلُ أم نثوي على الهمِّ والضَجَرْ
فإنْ أشْكُ مِن لَيْلِي بجُرجان طوله لقد كنتُ أشكو فيه بالبصرةِ القِصَرْ

ومنها قوله لخالد بن يزيد بن حاتم:

أبوكَ لنا غَيْثٌ يُعاشُ بوبله وأنت جرادٌ ليس يُبْقِي ولا يَذَرْ
له أثرٌ في المكرماتِ يسرُّنَا وأنتَ تُعَفِّي دائماً ذلك الأثرْ
لقد قُنِعَتْ قحطانُ خزياً بخالد فهل لكِ فيه يُخْزِكِ اللّهُ يا مُضَرْ

قال الأصفهاني: (قال الصولي: لم يجتمع لأحد من الشعراء المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومديح أبيه كما اجتمع لأبي عيينة في قوله في خالد بن يزيد بن حاتم:

أبوكَ لنا غيثٌ تعيشُ بِوبْلهِ وأنت جرادٌ ليس يُبْقي ولا يَذَرْ

وقال الزبير بن بكار: أُنْشِدَ هارون الرشيد قول أبي عيينة:

لقد قُنِعَتْ قحطانُ خزياً بخالدِ فهل لكِ فيه يُخْزِكِ اللّهُ يا مُضَرْ

فقال الرشيد: بل يوقرون ويشكرون».

وفي محرم سنة١٦٩هـ مات الخليفة المهديّ بن المنصور وتولّى الخلافة موسى الهادي بن المهدي، وكان خالد بن يزيد بن حاتم قد تصالح مع أبي عيينة

وأخبره أن عودته إلى البصرة لن تكون إلا بإذن الخليفة، فَلَمَّا تولَّى موسى الهادي الخلافة بعث إليه أبو عيينة أبياتاً منها قوله:

كيف صبري ومنزلي جُرجانُ والعراقُ البلاد والأوطان
قُلْ لموسى يا مالك الملك طوعاً بقيادٍ وفي يديك العنانُ
أنت بحرٌ لنا ورأيك فينا خير رأي، رأى لنا سلطانُ

قال الأصفهاني: «ولَمَّا قرأها موسى الهادي أمر له بصِلةٍ وبإعطائه ما فات من رزقه وبإقفاله من جيش خالد إليه». [ص ١٨/٢٥] فأتى كتاب الهادي بذلك إلى خالد، فأعطى أبا عيينة ما أمر به الهادي، وسرّحه من جيشه، فمضى أبو عُيينة إلى الهادي ثم عاد إلى البصرة، وكان الزمن قد أسدل الستار على حُبِّه لفاطمة (دُنيا).

ومكث خالد والياً لجُرجان في خلافة الهادي الذي ما لبث أن توفي سنة١٧٠هـ وتولَّى الخلافة أخوه هارون الرشيد بن المهدي، حيث استمر خالد أميراً لجُرجان وكان أخوه داود بأفريقيا الشمالية مع أبيه الأمير يزيد بن حاتم المهلَّبي.

قال ابن الأثير: «وفي سنة١٧٠هـ مات يزيد بن حاتم أمير أفريقيا واستخلف عليها ابنه داود.. وبقي داود أميراً إلى أن استعمل الرشيد عمه رَوْح بن حاتم على أفريقيا، وكانت إمارة داود تسعة أشهر، وقَدِم رَوْح بن حاتم أفريقيا في رجب ١٧١هـ. فَلَمَّا قَدِم رَوْح ـ وتولَّى أفريقيا ـ سار داود إلى الرشيد فاستعمله».

وقد أصبح داود بن يزيد بن حاتم والياً لمصر في خلافة الرشيد سنة١٧٣ ـ ١٧٥هـ، ثم ولَّى الرشيد أخاه المغيرة بن يزيد بن حاتم بلاد السند، فمات المغيرة سنة١٨٤هـ فولَّى الرشيد داود بن يزيد بن حاتم بلاد السند، ثم ولَّي خالد بن يزيد بن حاتم الموصل.

ولاية خالد للموصل في خلافة الرشيد:

كانت ولاية الموصل ولاية كبيرة تشمل مناطق شهرزور والصامغان ودراباذ وسائر مناطق الأكراد إلى جهات أذربيجان حين كان موسى بن كعب الخثعمي والياً للموصل في خلافة أبي جعفر المنصور وخلافة المهدي، وكذلك استمرت الموصل تشمل تلك المناطق في خلافة الرشيد. قال البلاذري: «لم تزل شهرزور وأعمالها مضمومة إلى الموصل حتى فُرقت في آخر خلافة الرشيد، فوُلِّي شهرزور والصامغان ودراباذ رجل مفرد»[1].

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٣٢٩.

وكان ممّن وُلِّي المُوصل في خلافة الرشيد الأمير يحيى بن سعيد الحرشي المذْحجيّ اليماني. قال ابن الأثير: «في سنة ١٨٠هـ استعمل الرشيد على الموصل يحيى بن سعيد الحرشي فأساء السيرة في أهلها وظلمهم وطالبهم بخراج سنين مضت، فجلا أكثر أهل البلد»[1]. ومكث يحيى الحرشي والياً على الموصل سنة ١٨٠ وسنة ١٨١هـ. ثم ولَّى الرشيد على الموصل هرثمة بن أعين الحضرمي. قال ابن الأثير: «في سنة ١٨٢هـ كان على الموصل هرثمة بن أعين.. وفي سنة ١٨٤هـ ولَّى الرشيد داود بن يزيد بن حاتم السند، ويحيى الحرشي الجبل»[1]. واستمر الأمير هرثمة بن أعين والياً للموصل إلى أن تولَّاها خالد بن يزيد بن حاتم أوائل سنة ١٩٠هـ ـ غالباً ـ قال ابن الأثير:

«في سنة ١٩٠هـ فَتَح الرشيدُ هرقلة وأخربها، وكان فَتْحها في شوّال، وكان الرشيد قد دخل البلاد ـ أرض الروم ـ في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفاً.. وأناخ عبد اللَّه بن مالك على (قلعة) ذي الكلاع، ووجّه داود بن عيسى بن موسى سائراً في أرض الروم في سبعين ألفاً.. وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف وملقونيه[2].. وكان على الموصل هذه السنة خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلَّب، ولَمَّا دخل الموصل انكسر لواؤه في باب المدينة فتطيَّر منه، وكان معه أبو الشيص الشاعر فقال في ذلك:

ما كان منكسر اللواء لطيرةٍ تُخْشَى ولا أمر يكون موبلا
لكنَّ هذا الرمح أضعف ركنه صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسُري عن خالد.. وفي سنة ١٩١هـ استعمل الرشيد على (غزو) الصائفة هرثمة بن أعين وضمّ إليه ثلاثين ألفاً، وأمر هرثمةَ ببناء طرسوس وتمصيرها ففعل.. ورَتّب الرشيدُ بدرب الحدث عبد اللَّه بن مالك الخزاعي.. وأقام الرشيد بدرب الحدث ثلاثة أيام من رمضان وعاد إلى الرّقّة»[3]. ـ وعندئذٍ في رمضان أو شوّال سنة ١٩١هـ استعمل الرشيد على الموصل محمد بن الفضل بن سليمان بن عليّ العباسي وانتهت ولاية خالد بن يزيد بن حاتم للموصل، بينما استمر أخوه داود والياً لبلاد السند، ومات الرشيد سنة ١٩٣هـ وتولَّى الخلافةَ الأمين بْنُ الرشيد فمكث داود والياً للسند، وولَّى الأمينُ أخاه محمد بن يزيد بن

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٠٣ و١٠٧.
(٢) جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «يزيد بن مخلد بن الحسين المهلَّبيّ، قائد من شجعان آل المهلَّب، آخر ما قام به فتح الصَّفصَاف وملقونية (بتركيا) سنة ١٩٠هـ» [ص ٦٥٣/ الجامع].
(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٢٣ و١٢٧ جـ ٥.

حاتم إقليم الأهواز ـ ربما عند وفاة خالد بن يزيد بن حاتم، حوالي سنة ١٩٤هـ ـ فمكث محمد بن يزيد بن حاتم والياً للأهواز إلى أن هاجمها طاهر بن الحسين الخزاعي داعياً للمأمون، فقاتله محمد إلى أن قُتِل على باب الأهواز سنة١٩٦هـ الموافق ٨١١م بينما انضوى داود بن يزيد بن حاتم في خلافة المأمون ومكث والياً للسند حتى وفاته سنة٢٠٥هـ الموافق ٨٢٠م.

١٣

المُطَّلب بن عبد اللّه الخزاعي.. والي المُوصل
(١٩٤ ـ ١٩٨هـ)

هو الأمير اليمانيّ المُطّلِب بن عبد اللّه بن مالك بن الهيثم الخزاعي، حفيد الأمير مالك بن الهيثم أمير الموصل في خلافة أبي جعفر المنصور سنة١٣٨ ـ ١٤٥هـ، ونجل الأمير عبد اللّه بن مالك قائد الشرطة في عاصمة دولة الخلافة ـ بغداد ـ في خلافة المهديّ والهادي والرشيد إلى سنة١٨٨هـ ثم أمير شمال إيران حيث قال الطبري: «في سنة١٨٩هـ ولّى الرشيدُ عبد اللّه بن مالك طبرستان، والرّيّ، والرُّويان، ودنباوند، وقومس، وهَمَذان»[1]. وهي أقاليم شمال إيران.

وكان المُطّلِب مع أبيه ـ عبد اللّه بن مالك ـ لَمّا غزا أرض الروم مع الخليفة هارون الرشيد سنة١٩٠ وسنة١٩١هـ.

قال الطبري: «وكان شخوص هارون الرشيد إلى بلاد الروم لعشر بقين من رجب سنة١٩٠هـ.. ودخلها في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفاً سوى الأتباع وسوى المتطوّعة وسوى من لا ديوان له.. وفتح الرشيد هِرَقْلة وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم، وأناخ عبد اللّه بن مالك على ذي الكلاع..»[1]. وقد ذكر الأصفهاني كبار القادة الذين كانوا مع الرشيد في حصار وفتح هرقلة وأن منهم هرثمة بن أعين وعبد اللّه بن مالك[2]... فَلَمّا تم فتح هرقلة ـ في شوّال ١٩٠هـ ـ وجّه الرشيد القادة الأمراء بالجيوش ومنهم عبد اللّه بن مالك ويزيد بن مخلد. قال الطبري:

«..وأناخ عبد اللّه بن مالك على ذي الكلاع.. وافتتح يزيد بن مخلد الصَفْصَاف ومَلَقُونيه.. وصار الرشيد إلى الطُّوَانة فعسكر بها، ثم رحل عنها وخَلَف عليها عُقبة بن جعفر بن محمد بن الأشعث وأمره ببناء منازل هنالك»[1] وذو الكلاع الذي أناخ عليه وحاصره عبد اللّه بن مالك هو حصن رومي منيع في تركيا. قال

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٩٧ و٩٨ جـ ١٠.

(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٤٦ جـ ١٨.

البلاذري: «. . والحصن المعروف بذي الكلاع إنما هو الحصن ذو القلاع لأنه على ثلاث قلاع، فحُرِّف اسمه. وتفسير اسمه بالرومية الحصن الذي مع الكواكب»[١]. وكان الوالي على الموصل في تلك السنة خالد بن يزيد بن حاتم المهلّبي.

وفي سنة١٩١هـ رابط عبد اللّه بن مالك في منطقة درب الحدث بتركيا، ومعه بعض أولاده، ومنهم المطَّلِب والعباس، وابن أخيه ثابت بن نصر بن مالك. قال الطبري: «وفي سنة١٩١هـ ولّى الرشيد غزو الصائفة هرثمة بن أعين. . ومضى الرشيدُ إلى درب الحدث فرتب هنالك عبد اللّه بن مالك. . وأقام الرشيد بدرب الحدث ثلاثة أيام من شهر رمضان ثم انصرف إلى الرّقة»[٢].

وفي أوائل سنة١٩٢هـ عاد عبد اللّه بن مالك إلى الرشيد فولّاه على اليمن، وولّى الرشيد على الثغور الشامية والجُزرية في جنوب تركيا وتخوم أرض الروم ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي، وكان المُطّلب معه بالثغور. قال ابن الأثير: «وفيها ـ سنة١٩٢هـ ـ استعمل الرشيد على الثغور ثابت بن نصر بن مالك، وغزا فافتتح مطمورة. . وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم وكان القيّم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي، وكانت عدة الأسرى من المسلمين ألفين وخمسمائة أسيرٍ»[٣]. فتم تبادل الأسرى وانعقد الصلح مع الروم، وأقام ثابت بن نصر بن مالك أميراً للثغور ومعه المطلب بن عبد اللّه بن مالك إلى حوالي سنة١٩٤هـ.

وخلال تلك الفترة كان الأمير عبد اللّه بن مالك قد تولّى اليمن سنة١٩٢هـ ثم عاد منها إلى الرشيد حيث: «تحركت الخرَّمية بناحية أذربيجان فوجّه إليهم الرشيدُ عبد اللّه بن مالك في عشرة آلاف، فقتل وسبى وأسر، ووافى الرشيد بقرماسين، فأمر بقتل الأسرى وبيع السبيّ»[٣] ـ وقد عاد عبد اللّه بن مالك من حملته على الخرّمية بأذربيجان إلى الرشيد في شوّال سنة١٩٢هـ ثم سار مع الرشيد إلى خُراسان. قال الطبري: «ولَمَّا بلغ الرشيد جُرجان ـ وذلك في صفر سنة١٩٣هـ ـ سيّر ابنه المأمون إلى مرو (عاصمة خراسان) وسيّر معه من القوّاد عبد اللّه بن مالك، ويحيى بن معاذ، وأسد بن يزيد، والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث». ثم سار الرشيد إلى مدينة طوس بخراسان واشتد عليه المرض فمات بطوس لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة١٩٣هـ.

---

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ١٧٤.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٠٠ جـ ١٠.
(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٢٨ جـ ٥.

ولَمَّا مات الرشيد انعقدت الخلافة لمحمد الأمين ابن الرشيد وكان ببغداد، وكان عبد اللّٰه المأمون ابن الرشيد في خُراسان وقد ولَّاهُ الرشيد عليها ومعه كوكبة من الأمراء والقادة منهم: عبد اللّٰه بن مالك، وهرثمة بن أعين، والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، وطاهر بن الحسين الخزاعي. وكان مع الرشيد لَمَّا تُوفي بمدينة طوس ابنه صالح بن الرشيد، والقائد حاتم بن هرثمة بن أعين، والفضل بن الربيع (الفارسي) وغيرهم. وقد ذكر الطبري رسالة من الأمين إلى أخيه صالح بن الرشيد في طوس، نقتطف منها قوله ما يلي نصه:

«. . وخُذ البيعة على مَنْ قِبلك مِنْ ولد أمير المؤمنين وأهل بيته وخاصته وعامته لمحمد (الأمين) أمير المؤمنين ثم لعبد اللّٰه (المأمون) ابن أمير المؤمنين، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين، على الشريطة التي جعلها أمير المؤمنين. .

وصَيِّرْ إلى عبد اللّٰه بن مالك أمر العسكر وأحداثه فإنه ثقةٌ على ما يلي، مقبولٌ عند العامة، واضمُمْ إليه جميع جند الشرط من الروابط وغيرهم إلى من معه من جُنده، ومُرْه بالجدِّ والتيقظ وتقديم الحزم في أمره كله، ليله ونهاره، فإن أهل العداوة والنفاق لهذا السلطان يغتنمون مثل هذه المصيبة»[١]. وأقام عبد اللّٰه بن مالك مع المأمون في خُراسان حيث «أقام المأمون يتولّى ما كان بيده من خُراسان والرّي، وأهدى إلى الأمين وكتب إليه وعظمه»[٢]. وكان مع عبد اللّٰه بن مالك في خراسان ابنه العباس فولَّاه المأمون إقليم الرّي، وعاد عبد اللّٰه بن مالك إلى بغداد وكان مريضاً، أو مرض ببغداد ـ سنة١٩٤هـ ـ «ولَمَّا مرض عبد اللّٰه بن مالك قال الشاعر المؤمل بن جميل:

ظـلّـت عـلـيّ الأرض مُـظـلـمـة إذْ قِـيـل عـبـد الـلّٰـه قـد وعـكـا
يـا لـيـت مـا بِـك بـي وإن تَـلِـفَـتْ نـفـسـي لـذاك وقَـلَّ ذاك لـكـا»[٣]

ولم نقف على تاريخ وفاة الأمير عبد اللّٰه بن مالك الخزاعيّ. وغالب الظن أنه مات في أواسط سنة١٩٤هـ الموافق ٨١٠م.

* * *

أنباء ولاية المُطَّلِب بن عبد اللّٰه بن مالك للموصل:

لقد كان المطّلِب بن عبد اللّٰه بن مالك مع ابن عمه ثابت بن نصر بن مالك

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٢٦ جـ ١٠.
(٢) الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ١٣٧ جـ ٥.
(٣) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٦١ جـ ١٦.

أمير ثغور الجزيرة الفراتية والشام منذ سنة١٩٢هـ، بينما كان أخوه العباس بخراسان حيث ولّاهُ المأمون إقليم الرّي (شمال إيران) وكان أخوه محمد بن عبد اللّه بن مالك باليمن فولّاه الخليفة الأمين ابن الرشيد على اليمن ـ في رجب سنة١٩٤هـ ـ وولّى المطّلب على الموصل. قال ابن الأثير: «في سنة١٩٤هـ كان على الموصل إبراهيم بن العباس استعمله الأمين»[١]. ثم ولّى الأمين على الموصل المطّلب بن عبد اللّه بن مالك في حوالي منتصف سنة١٩٤هـ، وكان المطّلِب أميراً شجاعاً شهماً كريماً ممدوحاً.

جاء في كتاب الأغاني: «إن الشاعر محمد بن وهيب الحِمْيَري قَصَدَ المطّلب بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي وقد وُلّي الموصل، وكان له صديقاً حفياً وكان كثير الرفد له والثواب على مدائحه فأنشده قوله فيه:

دِمَاء المُحبين لا تُعْقَلُ ... أما في الهوى حَكَمٌ يَعْدِلُ
تَعَبّدني حَوَرُ الغانياتِ ... ودان الشباب له الأخضلُ
ونظرة عينٍ تلافيتها ... ضراراً كما ينظر الأحول
مقسمة بين طرف الحبيب ... وطرف الرقيب متى يغفل
أذم على غربات النوى ... إليك السلو ولا أذهل
وقالوا عزاؤك بعد الفراق ... إذا حمّ مكروهه أجمل
أقِيدي دماً سفكته العيون ... بإيماضي كحلاء لا تكحل
فكل سهامك لي مقصد ... وكل مواقعها مَقْتَلُ
سلامٌ على المنزل المُستحيل ... وإن ضنّ بالمنطق المنزلُ
وغضّ الضريبة يلقي الخطوب ... يجدّ عن الدهر ما ينكلُ
تغلغل شرقاً إلى مغربٍ ... فَلَمَّا تبدّت له الموصلُ
ثوى حيثُ لا يُستمال الأريب ... ولا يؤلف اللقن الحوّلُ
لدى مَلِكٍ قابلته السعود ... وجانبه الأنجمُ الأُفّلُ
لأيامه سطوات الزمان ... وإنعامه حين لا موئلُ
سما بك مالكُ للباهرات ... وأوحدك المرباء الأطولُ
وليس بعيداً بأن تحتذي ... مذاهبَ آسادها الأشبُلُ

فَوَصله المطِلّبُ وأحسن جائزته، وأقام عنده مدة ثم استأذنه في الانصراف فلم

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٤١ جـ ٥.

يأذن له وزاد في ضيافته وجرايته، وجدّدَ له صلة، فأقام عنده برهة أخرى»[١].

* * *

وبينما كان المطّلب والياً لولاية الموصل (ويمكن القول بينما كان الشاعر محمد بن وهيب الحميري عنده بالموصل)، وقعت أمور ثلاثة لا بد أنها كانت محل متابعة واهتمام المُطّلب، حيث كان أخوه العباس والياً للرّي وكان أخوه محمد والياً لولاية اليمن، وبدأ الصراع على الخلافة بين الأمين والمأمون.

لقد كان العباس بن عبد اللّه بن مالك ثالث أبرز ثلاثة أمراء مع المأمون ببلاد خُراسان والرّيّ، وهُم هرثمة بن أعين الحضرمي أمير سمرقند وبلاد ما وراء النهر ومعه طاهر بن الحسين الخزاعيّ بسمرقند يحاربان المتمرد رافع بن الليث. والعباس بن عبد اللّه بن مالك أمير الرّيّ. قال الطبري في أحداث سنة١٩٤هـ: «كان طاهر بن الحسين مع هرثمة بن أعين في حصار رافع بن الليث بسمرقند، ولَمَّا دخل رافعٌ في الأمان استأذن هرثمة المأمون في القدوم عليه، فعبر هرثمة نهر بلخ بعساكره والنهر جامد، فتلقاه الناسُ وولّاهُ المأمون على الحرس [أي أن المأمون اتخذ هيئة الخلفاء]، فأنكر ذلك كله الأمين، فبدأ بالتدبير على المأمون، فكان من التدبير أن الأمين كتب إلى العباس بن عبد اللّه بن مالك وهو عامل المأمون على الرّيّ، وأمره أن يبعث إليه بغرائب غروس الرّيّ، مريداً بذلك امتحانه، فبعث إليه ما أمره به. فبلغ ذلك المأمون.. فوجّه الحسن بن علي المأموني وعزل العباس بن عبد اللّه بن مالك»[٢] ثم ولّى المأمون على إقليم الري طاهر بن الحسين الخزاعي، فقد ذكر الطبري في أحداث سنة١٩٥هـ. أنه «كان طاهر بن الحسين عامل المأمون على الرّي»[٢].

وفي شهر ربيع سنة١٩٥هـ قام الخليفة الأمين بخلع أخيه المأمون من ولاية العهد، وأَخَذَ البيعة لابنه موسى بن الأمين بولاية العهد وكان موسى طفلاً صغيراً، وجعل الأمينُ صاحبَ أمره كله علي بن عيسى بن ماهان (الفارسي)، ثم ولّى الأمينُ علي بن عيسى بن ماهان أقاليم شمال إيران ووجهه في خمسين ألفاً لمحاربة المأمون، فسار بالجيش من بغداد إلى هَمَذَان ثم من هَمَذَان إلى إقليم الرّي ـ في رجب ١٩٥ هجرية ـ قال الطبري:

«وكتب المأمون إلى طاهر بن الحسين وهو يومئذٍ عامل المأمون على الرّي، فأمره أن يضبط ناحيته ويكون على حذر وعدّة»[٢].

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٤٩ جـ ١٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٣٠ و١٤٨ جـ ١٠.

ثم سار طاهر بن الحسين الخزاعي من مدينة الرّي في عشرة آلاف ـ غالبيتهم من العرب ـ فالتقى بعلي بن عيسى بن ماهان وجيشه بمشارف الرّي في شعبان ١٩٥هـ ـ «وشدّ طاهر بن الحسين على عباس بن الليث مولى المهدي ـ (وكان قائد قلب جيش ابن ماهان) ـ فشدّ عليه طاهر وشدّ يديه على مقبض السيف فضربه فقتله، فسُمي طاهر يومئذٍ ذا اليمينين لأنه أخذ السيف بيديه وكانت ضربة طاهر هي الفتح»[١] فانهزم جيش ابن ماهان وسقط ابن ماهان قتيلاً، وكتب طاهر بالنصر إلى المأمون بمدينة مرو، فَلَمَّا وصل كتاب طاهر إلى المأمون دخل إليه القوّاد وسلموا عليه بالخلافة.

آنذاك (في شعبان ١٩٥هـ) قام الأمين بعزل محمد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي عن ولاية اليمن، وكان محمد من خيرة الولاة، وقد ذكرنا أخباره في المبحث الخاص بولايته لليمن. قال تاج الدين اليماني: «استعمل الأمينُ ـ على اليمن ـ محمد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي، فاستخرج من عمال حماد أموالاً جليلة، وعَدَلَ في الناس. ثم عزله الأمين واستعمل سعيد بن عبد اللّه الكناني في شعبان سنة١٩٥هـ»[٢] ويدل الزمن ـ وهو شعبان ١٩٥هـ ـ على أن ذلك ربما يرتبط بتأييد طاهر بن الحسين الخزاعي للمأمون وانتصاره على جيش الأمين في الرّي، مما أدى إلى مبايعة المأمون ومناداته بالخليفة في ولاية خراسان وإقليم الرّي وبقية أقاليم إيران التي ما لبث أن اجتاحها طاهر بن الحسين ثم دخل مدينة حُلوان بالعراق في أواخر سنة١٩٥هـ ثم أخذ يتهيَّأ للزحف إلى الأهواز وإلى الكوفة والبصرة بجنوب العراق.

وكان الشاعر محمد بن وهيب الحميري من اليمانيين المقيمين بالبصرة، وقد سلف ذكر نبأ وفادته إلى المطّلب بن عبد اللّه بن مالك أمير الموصل والقصيدة التي مدحه بها، وأنه «أقام عنده بالموصل مدة ثم استأذنه في الانصراف ـ إلى البصرة ـ فلم يأذن له وزاد في ضيافته وجرايته فأقام عنده برهة أخرى». قال الأصفهاني: «ثم دخل محمد بن وهيب إلى المطّلب فأنشده:

ألا هل إلى فيء العقيق وظلّه ... إلى قصر أوسي فالحزير معادُ
وهل لي بأكناف المُصلّى فسفحه ... إلى السور مغدى ناعم ومَرَادُ
فلا تُنسني نهر الأبلةِ نيّة ... ولا عرصات المربدين بُعادُ

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٣٠ و١٤٨ جـ ١٠.
(٢) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ٢٢.

هنالك لا تبني الكواكب خيمة ولا تتهادى كلثم وسعادُ
أجدّي لا ألقى النوى مطمئنة ولا يزدهيني مضجعٌ ومهادُ

فقال له المطّلب: أبَيْتَ إلا الوطن والنزوع إليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، وأوقر له زورقاً من طُرَف الموصل، وأذن له»[(١)].

ومضى محمد بن وهيب من الموصل إلى البصرة. وفي ذات الفترة تقريباً كان طاهر بن الحسين الخُزاعي قد سيطر على الأهواز، وبعث منها ـ في أوائل سنة١٩٦هـ ـ الشاعر عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيينة بن المهلّب إلى البصرة يدعو إلى خلع الأمين والبيعة للمأمون بالخلافة وكان عامل الأمين بالبصرة منصور بن المهدي، فاستجاب كثير من أهل البصرة لعبد اللّه بن محمد بن أبي عُيينة وكان لآل المهلّب والأزد تأثير ووجود كبير في البصرة. ثم دعا عبد اللّه منصور بن المهدي أمير البصرة إلى خلع الأمين والبيعة للمأمون وأن يكتب بطاعته إلى طاهر بن الحسين الخزاعي، فاستجاب إلى ذلك. وكان طاهر قد تقدم من الأهواز ودخل منطقة واسط وبث خيله ما بين واسط والكوفة. قال الطبري: «ووجّه طاهر قائداً من قُوّاده يقال له أحمد بن المهلّب نحو الكوفة وعليها يومئذٍ العباس بن موسى الهادي ـ عامل الأمين ـ فَلَمَّا بلغ العباس خبر أحمد بن المهلّب خَلَع الأمين وكتب بطاعته إلى طاهر وببيعته للمأمون. وكتب منصور بن المهدي وكان عاملاً للأمين على البصرة بطاعته إلى طاهر. وكانت بيعة منصور بن المهدي بالبصرة وبيعة العباس بن الهادي بالكوفة وبيعة المطّلب بن عبد اللّه بن مالك بالموصل للمأمون وخلعهم الأمين في رجب سنة١٩٦هـ»[(٢)].

قال أبو العباس المبرّد: «وكان عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيينة مِنْ رؤساء مَنْ أخذ البصرة للمأمون، وكان معاضداً لطاهر بن الحسين في حروبه»[(٣)]. وقال عبد اللّه يعاتب ذا اليمينين طاهر بن الحسين ويذكر دوره بالبصرة قصيدة مطلعها:

أيا ذا اليمينين إنّ العتا ب يُغري صدوراً ويشفي صدورا

ومنها قوله يذكر دوره في (مصر البصرة) ـ أي ولاية البصرة:

ألم أكُ بالمِصر أدعو البعيد إليك وأدعو القريب العشيرا
ألم أكُ أوّل آتٍ أتاك بطاعة من كان خلفي بشيرا

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٤٩ جـ ١٧.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٧٢ جـ ١٠.
(٣) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرد ـ ص ٢٥٠ جـ ١.

وقال في قصيدة ثانية:

قد كان لي بالمِصر يومٌ جامعٌ لكَ مُصلِحٌ فيه لكل فسادِ
ودعوتُ منصوراً فأعلنَ بيعةً في جَمْع أهل المِصر والأجنادِ[1]

فكتب منصور بن المهدي ببيعته للمأمون وبطاعته إلى طاهر بن الحسين في ذات الوقت الذي كتب المطّلب بن عبد اللّه بن مالك أمير الموصل إلى ابن عمه طاهر بن الحسين بخلعه الأمين ومبايعته المأمون.

قال الطبري: «وكانت بيعة منصور بن المهدي بالبصرة وبيعة العباس بن الهادي بالكوفة وبيعة المطّلب بن عبد اللّه بن مالك بالموصل للمأمون وخلعهم الأمين في رجب ١٩٦هـ. ولَمّا كتبوا إلى طاهر ببيعتهم للمأمون وخلعهم الأمين أقرّهم طاهر على أعمالهم»[2].

وكان طاهر بن الحسين هو نائب المأمون على العراق والمشرق، فاستمر المُطّلب والياً للموصل، ومنصور والياً للبصرة، والعباس والياً للكوفة. قال الطبري: «وولّى طاهر داود بن عيسى بن موسى مكة والمدينة، ويزيد بن جرير القسري اليمن». قال أبو العباس المبرّد: «وولّى طاهر بن الحسين عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيينة اليمامة والبحرين وغَوْص البحر»[1] ـ أي منطقة الخليج العربي ـ ولم تبق بيد الخليفة الأمين سوى بغداد والمناطق المحيطة بها حيث حاصرها طاهر بن الحسين وحارب عسكر الأمين حتى مقتل الأمين ودخول طاهر بغداد في أواخر شهر محرم سنة١٩٨هـ وبذلك اكتملت الخلافة للمأمون، وكان المطّلب ما يزال بالموصل والياً عليها.

* * *

وفي صفر سنة١٩٨هـ انتهت ولاية المطّلب للموصل بتوليته على مصر. قال ابن خلدون: «..في صفر سنة١٩٨هـ ولّى المأمون على مصر المطّلب بن عبد اللّه بن مالك بن الهيثم الخزاعي، وقَدِمها من مكة في منتصف ربيع الأول سنة١٩٨هـ..»[3] ومكث المطّلب والياً لمصر إلى رمضان سنة٢٠٠هـ كما سيأتي في المبحث الخاص بعهد ولايته لمصر في فصل (الولاة اليمنيين لمصر في العصر العباسي) ثم عزله المأمون عن مصر، فخرج منها إلى مكة، ثم توجّه المطّلب من

(١) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرد ـ ص ٢٥٠ جـ ١.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٧٢ جـ ١٠.
(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٩٦ جـ ٤.

مكة إلى بغداد في أوائل سنة٢٠١هـ واشترك في قيادة حركة المعارضة العربية التي اندلعت في بغداد ضد قيام المأمون بتولية حسن بن سهل الفارسي على العراق إلى أن عاد المأمون من خراسان إلى بغداد في صفر سنة٢٠٤هـ فكان المطّلب من كبار القادة الذين استقبلوا المأمون لما دخل بغداد ومعه طاهر بن الحسين الخزاعي في صفر سنة٢٠٤هـ.

ولم يزل المطلب من كبار الشخصيات، وكان المطّلب يُكنى أبا القاسم، ومات ببغداد حوالي سنة٢٠٦هـ، فرثاه دِعْبل بن عليّ الخزاعيّ بأبيات قال فيها:

كانت خُزاعةُ ملء الأرض ما اتسعت ... فقصّ مرّ الليالي مِنْ حواشيها
هذا أبو القاسم الثاوي ببلقعة ... تسفي الرياحُ عليه مِنْ سوافيها
هَبَّت وقد علمت أن لا هبوب به ... وقد تكون حسيراً إذْ يُباريها
أضحى قرى للمنايا إذْ نزلن به ... وكان في سالف الأيام يقريها

١٤

ذو اليمينين طاهر بن الحسين الخُزاعي.. أمير العراق والمشرق

(١٩٦ ـ ٢٠٥هـ)

هو ذو اليمينين طاهر بن الحسين بن مُصْعب بن رُزيق بن أسعد بن عامر بن بياضة الخزاعيّ اليمانيّ القحطاني. وله قال عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيينة بن المهلّب:

أحَلَّكَ اللّهُ من قَحْطان منزلةً في الرأسِ حيثُ أحَلَّ السَمْعَ والبَصَرا[1]

وهذا الشعر شاهد لا تخطىء دلالته على نسبه العربي اليمانيّ القحطانيّ العريق.

كان الحسين بن مُصعب ـ والد طاهر ـ يُقيم في خراسان، فوقع الالتباس والظن عند بعض الرواة بأنه من أهل خراسان العجم وأنه مولى خزاعة، والصحيح أنه مِنْ خُزاعة، ومِنْ أرفع بيوت خُزاعة الأزدية اليمانية القحطانية. وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«الحسين بن مُصْعب بن زريق الأزدي، مِنْ بني رُزيق بن عامر: أحد الوجوه المُقدمين.. وهو والد طاهر بن الحسين. مات بخراسان ـ سنة١٩٩هـ ـ وحضر المأمون جنازته»[2].

وكان الحسين بن مُصعب من أعلام الشخصيات العربية بخراسان في خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨هـ) وخلافة المهدي بن المنصور (١٥٨ ـ ١٦٩هـ) حيث كان الحسين بن مصعب عاملاً لمنطقة بوشنج وباذغيس من بلاد خُراسان حين وُلد طاهر بن الحسين هناك سنة١٥٩هـ. وقد جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرد ـ ص ٢٥١ جـ ١٠.

(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٧٨ وص ٢٨٣.

«طاهر بن الحسين بن مُصعب الخزاعيّ. من كبار الوزراء والقوّاد، وُلِد في بوشنج من أعمال خراسان سنة١٥٩هـ (٧٧٥م) وسكن بغداد، فاتصل بالمأمون في صباه، وكانت لأبيه منزلة عند الرشيد..»(١).

وقد سكن طاهر ببغداد عند عمه عبد اللّه بن مالك بن الهيثم بن طلحة بن عبد اللّه بن خَلَف بن أسعد بن عامر بن بياضة الخزاعي، وكان عبد اللّه بن مالك أمير الشرطة ببغداد. ثم عاد طاهر بن الحسين إلى خراسان وأصبح عاملاً لمنطقة بوشنج وباذغيس منذ حوالي سنة١٨٠هـ، حيث وُلد عبد اللّه بن طاهر بن الحسين في باذغيس سنة١٨٢هـ. وكان الحسين بن مُصعب ـ والد طاهر ـ من كبار الشخصيات في مرو عاصمة خُراسان، وذلك في خلافة هارون الرشيد بينما كان طاهر عاملاً لمنطقة بوشنج وباذغيس. وفي سنة١٩٢هـ ولّى الرشيدُ هرثمة بن أعين على خراسان فاستقر بمدينة مرو. قال الطبري: «واستقدم هَرْثمةُ طاهر بن الحسين فحضر عنده»(٢) ـ أي استقدمه من بوشنج وباذغيس إلى مدينة مرو ـ فانتقل طاهر وأسرته إلى مدينة مرو، وكان الحسين بن مصعب ـ والد طاهر ـ مقيماً بمدينة مرو، ثم سار الخليفة هارون الرشيد قاصداً خراسان، ولَمّا صار بجُرجان في صفر ١٩٣هـ «وجّه الرشيد ابنه المأمون إلى مرو، ووجّه معه عدّة من القوّاد بينهم عبد اللّه بن مالك» ـ فسار المأمون إلى مرو ـ عاصمة خراسان ـ وأقام بها والياً على خُراسان، وتوجه طاهر بن الحسين مع هرثمة بن أعين إلى سمرقند وما وراء النهر، وحاربا رافع بن الليث الذي خرج عن الطاعة ببلاد سمرقند، بينما وصل هارون الرشيد إلى مدينة طوس في خراسان. قال الطبري: «واستقبل الرشيد وجوه أهل خُراسان وفيهم الحسين بن مصعب»(٣). ومرض الرشيد بمدينة طوس ومات بها في جمادى الثانية سنة١٩٣هـ.

***

ولَمّا مات الرشيد تولّى الخلافة محمد الأمين بن الرشيد، ومكث المأمون بخراسان والياً على بلاد خراسان والرَّي. وكان المأمون هو وليّ العهد والخليفة بعد الأمين. وكان طاهر بن الحسين مع هرثمة بن أعين يحاصران رافع بن الليث والمتمردين معه بسمرقند، حيث قال الطبري في أحداث سنة١٩٤هـ: «كان طاهر بن الحسين مع هرثمة بن أعين في حصار رافع بن الليث بسمرقند، ولَمّا

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٧٨ وص ٢٨٣.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٢٨ جـ ٥.
(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٢٧ و١٣٠ و١٤٧ جـ ١٠.

دخل رافع في الأمان استأذن هرثمة المأمون في القدوم عليه، فعبر هرثمة نهر بلخ بعساكره والنهر جامد، فتلقاهُ الناس وولّاه المأمون على الحرس ـ[أي أن المأمون اتخذ هيئة الخلفاء]ـ فأنكر ذلك كله الأمين..»[1]. وكذلك قال ابن الأثير: «أقام هرثمة بن أعين بسمرقند ومعه طاهر بن الحسين، ثم قَدِم هرثمة على المأمون فأكرمه وولّاه الحرس، فأنكر ذلك كله الأمين، فكان مما وتر عليه أنه كتب إلى العباس بن عبد اللّه بن مالك وهو عامل المأمون على الرّي، يأمره أن يُنْفِذ بغرائب غروس الرّي إليه، يريد امتحانه، فبعث إليه بما أمره، وكتم ذلك عن المأمون.. فبلغ ذلك المأمون فعزله بالحسن بن عليّ المأموني»[2]. ثم استقدم المأمون طاهر بن الحسين من سمرقند وولّاهُ إقليم الرّي، حيث ذكر الطبري في أحداث سنة١٢٥هـ أنه «كان طاهر بن الحسين عامل المأمون على الرّي»[1].

وفي شهر ربيع سنة١٢٥هـ قام الخليفة الأمين بخلع أخيه المأمون من ولاية العهد، وأَخَذَ البيعة لابنه موسى بن الأمين بولاية العهد وكان موسى طفلاً صغيراً، وجعل أمره كله إلى عليّ بن عيسى بن ماهان (الفارسي) ثم بعث الأمينُ عليّ بن عيسى بن ماهان في خمسين ألفاً لمحاربة المأمون وولّاهُ هَمَذان والرّيّ وما يليها، فسار بالجيش من بغداد إلى هَمَذان في رجب سنة١٢٥هـ، قال الطبري: «وكتب المأمون إلى طاهر بن الحسين وهو يومئذٍ عامل المأمون على الرّي، فأمره أن يضبط ناحيته ويكون على حذر وعدّة»[1].

انتصار طاهر بن الحسين على ابن ماهان في الرَّي وتسميته بذي اليمينين:

قال المسعودي: «سيّر الأمينُ عليّ بن عيسى بن ماهان في جيش عظيم نحو المأمون، فَلَمَّا قرب من الرَّي قيل له: إن طاهر بن الحسين بها، فقال: ما طاهر إلا شوكة من أغصاني أو شرارة من ناري، وما مثل طاهر يؤمَّرُ على جيش، وما بينه وبين الموت إلّا أن تقع عينه على سوادكم، فإنّ السِّخَال لا تقوى على نِطَاح الكِبَاش، والثعالبُ لا تقدر على لقاء الأُسْدِ. فقال له ابنه: ابعث طلائع وارْتَدْ موضعاً لعسكرك، فقال: ليس مثل طاهر يُستعدُّ له بالمكايد والاحتراز والتحفظ، إنّ حال طاهر يؤدي إلى أمرين: إما أن يتحصَّنَ بالرّي فيثب به أهلها ويكفونا مؤنته، أو يُخليها ويُدْبر راجعاً لو قد قربت خيولنا منه.. وسار عليّ بن عيسى حتى دنت عساكره من الرّي، وتبيّن ما عليه طاهر من الجد وأهبة الحرب وضم الأطراف،

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٢٧ و١٣٠ و١٤٧ جـ ١٠.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٣٨ جـ ٥.

فَعَدَلَ إلى رُسْتاق من رساتيق الرّي متياسراً عن الطريق، فنزل به، وانبسطت فيه عساكره. وأَقْبَلَ طاهر [من مدينة الرّي] في نحو من أربعة آلاف فارس ـ [وقيل: في عشرة آلاف]، فأشرف على عساكر عليّ بن عيسى وتبيَّن كثرتها وعدّة ما فيها، فعلم أن لا طاقة له بذلك الجيش، فقال لخواص من معه: نجعلها خارجية، وَكَرْدَسَ خيله كراديس [أي كتائب] وصمد في القلب في نحو سبعمائة. وخرج إليه من القلب العباس بن الليث مولى المهدي [وكان قائد قلب جيش ابن ماهان] وكان فارساً، فقصده طاهر وضمّ يديه على سيفه فضربه ضربة أتى عليه.. وكان سبب هزيمة الجيش ضربة طاهر بيديه جميعاً للعباس بن الليث، وبذلك سُمي طاهر ذا اليمينين، لجمعه يديه على السيف»[1]. قال الطبري: «..وانتهت الهزيمة إلى عليّ بن عيسى بن ماهان فجعل ينادي أصحابه: أين أصحاب الأسورة والأكاليل يا معشر الأبناء إليّ.. ورماه رجل من أصحاب طاهر بسهم فقتله، ووضعوا فيهم السيوف فقتلوهم وأسروهم. ونادى طاهر في أصحاب عليّ بن عيسى: من وضع سلاحه فهو آمن، فطرحوا أسلحتهم ونزلوا عن دوابهم. ورجع طاهر إلى مدينة الرّيّ وبعث إلى المأمون.. ولَمَّا أتى المأمون كتاب طاهر بخبر عليّ بن عيسى وما أوقع اللّه به، قعد المأمون للناس فكانوا يدخلون فيهنئونه ويدعون له بالعز والنصر، وفي ذلك اليوم أُعلن خلع محمد الأمين ودُعاءَ الخلافة للمأمون في جميع كُور خراسان وما يليها.. وأمدّ المأمون طاهر بن الحسين بالرجال والقوّاد وسَمّاه ذا اليمينين»[2]. ـ وكان ذلك في شعبان سنة١٩٥هـ.

وقال القاضي محمد بن علي الأكوع في ترجمة طاهر بن الحسين في هامش قرة العيون:

«هو أبو الطيب طاهر بن الحسين بن مُصعب بن زريق الخزاعي الملقب: ذا اليمينين ـ وسُمّي بذي اليمينين لأنه ضرب شخصاً في مواقعته عليّ بن عيسى بن ماهان فقدّه نصفين وكانت الضربة بيساره، فقال فيه بعض الشعراء:

كلتا يديه يمينٌ حين تضربه

فلقّبه المأمون ذا اليمينين»[3]. وقال بامطرف في ترجمته بكتاب الجامع «..لُقّب بذي اليمينين لأنه ضرب رجلاً بشماله فقدّه نصفين. لَقّبه بذلك المأمون». [ص ٢٨٣].

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٣٩٩ جـ ٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٥٣ و١٥٥ جـ ١٠.

(٣) قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٣٨.

وفي شوال سنة١٩٥هـ تَقَدّم ذو اليمينين طاهر بن الحسين الخزاعي بجيشه إلى قزوين وكان كثير بن قادرة وهو من عُمال الأمين «فَلَمَّا قرب منه هرب كثير وأصحابه وأجلى قزوين، وجعل طاهر فيها جنداً وولَّاها رجلاً من أصحابه. وسار طاهر إلى هَمَذَان وبها عبد الرحمن الأبناوي عامل الأمين في جيش، فقاتلهم طاهر وأصحابه، فقُتِل عبد الرحمن الأبناوي وقُتِل من أصحابه مقتلة كبيرة واستبيح عسكرهم، وامتلأت قلوبهم خوفاً ورعباً، فولّوا منهزمين لا يلوون على شيء حتى صاروا إلى العراق، وأقْبَلَ طاهر يحوز بلدة بلدة وكورة كورة حتى دخل حُلوان ـ بالعراق ـ فخندق بها وحصّن عسكره» ـ وذلك في أواخر سنة١٩٥هـ ـ وقال المسعودي في مروج الذهب: «لَمَّا قتل طاهر بن الحسين عليّ بن عيسى بن ماهان سار فنزل حُلوان، وذلك على خمسة أيام من مدينة السلام، فتعجب الناس من زيادة أمره، وإدبار أصحاب الأمين وغلبتهم على كل حال، وأيقنت القلوبُ بغلبة طاهر وظهور المأمون» [ص ٤٠٦/٣].

ولاية طاهر بن الحسين على العراق والمشرق.. وانتصاراته على الأمين:

في أوائل سنة١٩٦هـ كانت بلاد خراسان وأقاليم مشارق العراق (إيران حالياً) وبلاد السند (باكستان) قد انضوت جميعها في خلافة المأمون، وكان المأمون مقيماً بخُراسان ويحكمها بنفسه، وكان الوالي على بلاد السند داود بن يزيد بن حاتم المُهلَّبيّ ـ منذ خلافة الرشيد ـ فأعلن داود خلع الأمين ومبايعة المأمون ومكث والياً للسند، ووصل عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيينة بن المهلَّب من عند داود بالسند إلى طاهر بن الحسين، وكان طاهر هو أمير وقائد المأمون على مشارق العراق وله عُمال نواب بالرّيّ وقزوين وهَمَذَان عندما دخل حُلوان. ثم رابط هرثمة بن أعين في حُلوان، وتوجّه طاهر إلى إقليم الأهواز فهزم عامل الأهواز وسيطر عليها، وكانت الأهواز تابعة لولاية البصرة.

ثم تقدّم طاهر من الأهواز إلى أقاليم جنوب العراق بصفته أميراً وقائداً ونائباً للمأمون على العراق والمشرق ـ أو بتعبير أدق على ما ينضوي تحت يده من العراق والجزيرة العربية ـ وكانت له سلطة تعيين وإقرار الأمراء على الأقاليم بصفته نائباً ووالياً للمأمون، بالمعارضة لخلافة الأمين.

قال الطبري: «وأقام طاهر بالأهواز وأنفذ عماله في كُوَرها، وولّى على اليمامة والبحرين وعُمان مما يلي الأهواز ومما يلي عمل البصرة. ثم أخذ طاهر على طريق البرّ متوجهاً إلى واسط وبها يومئذٍ السنديّ بن يحيى والهيثم بن شعبة فجعلت

المسالح والعمّال تتقوّض مُسْلَحةً مسلحةً وعاملاً عاملاً كلما قرب طاهر منهم تركوا أعمالهم وهربوا عنها حتى قرب من واسط، فقال السندي والهيثم: إنه طاهر ولا عار علينا في الهرب منه، فتركا واسطاً وهربا عنها، ودخل طاهر واسطاً» [ص ١٧٢ جـ ١٠].

وبعث طاهر بن الحسين عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيينة بن المهلّب إلى البصرة يدعو أهلها وعاملها منصور بن المهديّ إلى خلع الأمين والبيعة للمأمون. قال أبو العباس المبرد: «وكان عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيينة من رؤساء من أخذ البصرة للمأمون، وكان معاضداً لطاهر بن الحسين في حروبه». وقال عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيينة يعاتب طاهر بن الحسين ـ فيما بعد ـ ويذكر دوره بالبصرة قصيدة مطلعها:

أيـاذا الـيـمـيـنَـيـنِ إنّ الـعِـتـابَ ... يُـغـري صُـدوراً ويَـشـفـي صـدورا
وكـنـتُ أرى أنّ تـركَ الـعِـتـاب ... خـيـرٌ وأجـدرُ أن لا يـضـيـرا

ومنها قوله يذكر دوره بالمِصر، مِصر البصرة:

ألـم أكُ بـالـمِـصـرِ أدعـو الـبـعـيـد ... إلـيـك وأدعـو الـقـريـب الـعـشـيـرا
ألـم أكُ أول آتٍ أتـاك ... بـطـاعـة مـن كـان خـلـفـي بـشـيـرا

وقال في قصيدة ثانية:

قـد كـان لـي بـالـمِـصـرِ يـومٌ جـامِـعٌ ... لـكَ مُـصـلِـحٌ فـيـه لـكـل فـسـاد
ودعـوْتُ مـنـصـوراً فـأعـلـنَ بـيـعـة ... في جَمْع أهل المِصرِ والأجنادِ[(١)]

وقد كتب منصور بن المهدي بطاعته وطاعة أهل البصرة إلى طاهر بن الحسين في ذات الوقت الذي كتب به أمير الكوفة بذلك، وكان طاهر قد بعث القائد أحمد بن المهلّب الأزدي في قوة من الفرسان إلى الكوفة. قال الطبري: «ووجّه طاهر ـ من واسط ـ قائداً من قوّاده يُقال له أحمد بن المهلّب نحو الكوفة وعليها يومئذٍ العباس بن موسى الهادي، فَلَمَّا بلغ العباس خبر أحمد بن المهلّب خلع محمداً الأمين وكتب بطاعته إلى طاهر وببيعته للمأمون. ونزلت خيل طاهر فمّ النيل وغَلَبَ على ما بين واسط والكوفة. وكتب منصور بن المهدي ـ وكان عاملاً للأمين على البصرة ـ إلى طاهر ببيعته. ورحل طاهر حتى نزل طرنايا، فأقام بها يومين وأنفذ كتبه بالتولية إلى العمال. وكانت بيعة منصور بن المهديّ بالبصرة وبيعة العباس بن الهادي بالكوفة

(١) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرد ـ ص ٢٥٠ جـ ١.

وبيعة المطلب بن عبد اللّٰه بن مالك بالموصل للمأمون وخلعهم الأمين في رجب سنة١٩٦هـ ولَمَّا كتبوا إلى طاهر ببيعتهم للمأمون وخلعهم الأمين أقرّهم طاهر على أعمالهم. وولّى داود بن عيسى بن موسى مكة والمدينة، ويزيد بن جرير القَسْري البجلي اليمن»[1].

* * *

ويتبيَّن من مجمل ذلك عدم صواب الظن أو الزعم بأن الذين أيدوا المأمون كانوا العجم، فالصحيح أن الذين قاموا بأمر المأمون هم من الأمراء والقادة العرب وفي طليعتهم ذي اليمينين طاهر بن الحسين الخزاعي وكان غالبية عسكره من العرب المرابطين بخراسان لما هزم جيش الأمين بقيادة عليّ بن عيسى بن ماهان الفارسي في موقعة الرّيّ حيث كان غالبية قادة وجيش الأمين في تلك الموقعة من العجم وعلى رأسهم ابن ماهان وابن ليث مولى المهديّ، بينما كان غالبية قادة وجيش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين من العرب اليمانيين، وانضمّ إليه كثير منهم لَمَّا دخل حُلوان وواسط بالعراق.

لقد أصبح طاهر بن الحسين الخزاعي نائباً للمأمون على العراق والمشرق ـ وبصفة خاصة من شهر رجب سنة١٩٦هـ ـ وكان ولاة وأمراء جميع الولايات التي انضوت في خلافة المأمون من العرب، وهُم: داود بن يزيد بن حاتم المهلّبيّ الأزدي اليماني أمير بلاد السند والمطّلب بن عبد اللّٰه بن مالك الخزاعي اليماني أمير الموصل ومنصور بن المهدي العباسي أمير البصرة، بعث إليه طاهر بن الحسين عبد اللّٰه بن محمد بن أبي عيينة بن المهلّب فخلع الأمين وبايع للمأمون وكتب بطاعته إلى طاهر. والعباس بن الهادي أمير الكوفة بعث إليه طاهر القائد أحمد بن المهلّب الأزدي فخلع الأمين وبايع للمأمون وكتب بطاعته إلى طاهر. ويزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد اللّٰه القَسْري: قال الطبري: «عقد له طاهر على ولاية اليمن وبعث معه خيلاً كثيفة، وضمن له يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد اللّٰه القسري أن يستميل قومه وعشيرته من ملوك أهل اليمن وأشرافهم ليخلعوا محمداً الأمين ويبايعوا عبد اللّٰه المأمون.. ومضى يزيد بن جرير إلى اليمن فدعا أهلها إلى خلع الأمين وبيعة المأمون وقرأ عليهم كتاباً من طاهر بن الحسين يعدهم العدل والإنصاف ويرّغبهم في طاعة المأمون، فأجاب أهل اليمن إلى بيعة المأمون واستبشروا بذلك وبايعوا للمأمون وخلعوا الأمين، فسار فيهم يزيد بن جرير بأحسن سيرة وأظهر عدلاً وإنصافاً، وكتب بإجابتهم وبيعتهم إلى المأمون وإلى طاهر بن

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٦٨ جـ ١٠.

الحسين». [ص ١٧٢ جـ ١٠] ـ قال أبو العباس المبرّد: «وولّى طاهر بن الحسين عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيينة اليَمامةَ والبَحْريْنِ وغَوْصَ البحرِ» [ص ٢٥٠ جـ ١] ـ قال الطبري: «وولّى طاهر داودَ بن عيسى بن موسى بن عليّ بن عبد اللّه بن عباس مكة والمدينة». فجميع أولئك الولاة الأمراء من العرب اليمانيين وبني العباس. وبذلك انضوت أغلب أقاليم العراق وجميع الجزيرة العربية في خلافة المأمون على يد الأمير طاهر بن الحسين الخزاعيّ نائب المأمون على العراق والمشرق منذ شهر رجب سنة١٩٦هـ وكان المأمون مقيماً بخراسان والأمين ببغداد.

قال المسعودي: «وكان أهل خراسان يُسَلِّمُون على المأمون بالخلافة، ويُدْعَى له على المنابر في الأمصار والحرمين والكُور والسهل والجبل مما حَوَاه طاهر بن الحسين وغَلَبَ عليه، ويُسلِّم على محمد ـ الأمين ـ بالخلافة مَنْ كان ببغداد خاصة لا غيرها»[1].

* * *

ولَمَّا انضوت البصرة وواسط والكوفة والموصل وغيرها تحت لواء طاهر بن الحسين ـ قال المسعودي ـ «بلغ محمداً الأمين فجمع قوّاده وبطانته عندما ظهر أمر طاهر.. وقال: «أما واللّه لقد حُدِّثْتُ بأحاديث الأمم السالفة، وقرأت كتبها، حروبها وقصص من أقام دولها، فما رأيتُ في ذلك كله حديثاً لرجل منهم كهذا الرجل ـ يعني طاهراً ـ في إقدامه وسياسته، وقد قصدني واجترأ عليَّ، وتملّى الهامة العظيمة من الجُند ومجمع القوّاد وساسة الحروب، فهاتوا ما عندكم. فقالوا: يُبْقِي اللّهُ أمير المؤمنين، يكفيه كما كَفَى الخلفاء قبله بَغْيَ من بَغَى عليهم». [ص ٤٠٦/ ٣].

قال الطبري: «وتوجّه طاهر إلى المدائن وفيها جند كثير من خيول محمد ـ الأمين ـ عليهم البرمكيّ قد تحصن بها والمددُ يأتيه كل يوم من محمد ـ الأمين ـ فَلَمَّا قرب طاهر من المدائن وكان منها على رأس فرسخين، نزل فصلّى ركعتين وسبَّح فأكثر التسبيح فقال: اللهم نسألك نصراً كنصرك المسلمين يوم المدائن. وسار، فَلَمَّا سمع أصحاب البرمكيّ صوت طبوله أسرجوا الدوابّ وأخذوا في تعبيتهم وجعل مَنْ في أوائل الناس ينضمّ إلى أواخرهم، وأخذ البرمكيّ في تسوية الصفوف فكلما سوّى صفاً انتقض واضطرب عليه أمرهم، فقال: اللّهم إنّا نعوذ بك من الخذلان ثم قال لصاحب ساقته: خلّ سبيل الناس فإنّي أرى جُنداً لا خير عندهم، فركب بعضهم بعضاً نحو بغداد، فنزل طاهر المدائن.. وتَقَدّم طاهر حتى صار إلى الدرزيجان [وبها عسكر للأمين] فسيّر إليهم الرجال فلم يجر بينهما كثير

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٤ جـ ٤.

قتال حتى انهزموا وأخذ طاهر بن الحسين ذات اليسار إلى نهر صرصر فعقد بها جسراً ونزلها. . وهزم هرثمة بن أعين جيشاً للأمين بجللتا في رمضان وزحف هرثمة فنزل النهروان. وأقام طاهر على نهر صرصر وشمّر في محاربة محمد الأمين وجُند أهل بغداد فكان لا يأتيه جيش إلّا هزمه». [ص ١٧٠ ـ ١٧٢ جـ ١٠].

قال المسعودي: «ولَمَّا انهزم جيش الأمين بين يدي طاهر، قال سليمان بن أبي جعفر: ما أَسْرَعَ ما انتصر اللَّهُ للمأمون بكبش المشرق. يعني طاهراً. وفي ذلك يقول الشاعر:

فـالـلَّـه لـلـمـأمـون خـيـر مُـوَازر والـماجدُ القـمقام كبش المشـرق

ولَمَّا أُحيط بمحمد ـ الأمين ـ من الجانب الشرقي والغربي، وكان هرثمة بن أعْيَنَ نازلاً مما يلي النهروان بالقرب من باب خُرَاسان وثلاثة أبواب، وطاهر من الجانب الغربي مما يلي الياسرية وباب المحول والكُناسة. . وقد كان المخلوع ـ الأمين ـ جَهَّزَ جماعة من رجاله لدفع المأمونية، فمالوا نحو هرثمة، وكان طاهر بن الحسين يمدّ هرثمة بالرجال، فَلَمَّا مال من ذكرنا إلى حرب هرثمة وعلى الجيش بشر وبشير الأَزْديّانِ بعث إليهما طاهر يتوعَّدُهما، فلم يأمنا صَولته، فخليا عن الجيش وانفضَّ الجمع، وكان طاهر قد نزل البستان المعروف بباب الكناس الطاهري. . وضاق الأمر بمحمد الأمين ففرّق في قُوَّاده المحدّثِينَ دون غيرهم خمسمائة ألف درهم وقارورة غالية، ولم يُعْطِ قدماء أصحابه شيئاً. فأتت طاهراً عيونه وجواسيسه بذلك، فراسلهم وكاتبهم، ووعَدَهم ومَنَّاهم، وأغرى الأصاغر بالقادة حتى غضبوا لذلك، وشَغَّبُوا على الأمين، وذلك يوم الأربعاء لست ليالٍ خلون من ذي الحجة سنة١٩٦هـ، فقال رجل من المشغِّبة على الأمين:

قُـل لأمـيـن الـنـاس فـي نـفـسـه مـا شَـتَّـتَ الـجُـنْـدَ سوى الـغـالـيـه
وطـاهـرٌ ـ نـفـسـي فِـدى طـاهـر ـ بـرُسْـلِـه والـعُـدَّةِ الـكـافـيـه[(١)]
أضـحـى زِمـامُ الـمُـلـك فـي كـفّـهِ مُـقـابِـلاً لـلـفـئـة الـبـاغـيـه[(٢)]
قـد جـاءك الـلـيـثُ بـشـدّاتـه مُـسـتَـكـلـبـاً فـي أُسـدٍ ضـارِيَـه
فـاهـربْ ولا مَـهْـرَبَ مـن مـثـلـه إلّا إلـى الـنـارِ أو الـهـاويـه

ونقل طاهر من الياسرية فنزل باب الأنبار ببغداد» [ص ٤٠٩/٣].

وقال الطبري: «صار طاهر بن الحسين إلى البستان الذي على باب الأنبار يوم

(١) في الطبري: (وطاهرُ نفسي تقِي طاهراً).
(٢) في الطبري: (مقاتلاً للفئة الباغية).

الثلاثاء ١٢ ذي الحجة ١٩٦هـ فنزل البستان بقواده وأجناده وأصحابه، ونزل من لحق بطاهر من المستأمنة من قوّاد الأمين وجنده في البستان وفي الأرباض وألحقهم جميعاً بالثمانين في الأرزاق، وضاعف ـ الأرزاق ـ للقوّاد وأبناء القوّاد الخواصّ، وأجرى عليهم وعلى كثير من رجالهم الأموال.. وحج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ مِن قِبل طاهر بن الحسين، ودعا للمأمون بالخلافة وهو أول موسم دُعِيَ له فيه بالخلافة بمكة والمدينة». [ص ١٧٣/ ١٠] وكان الأمراء على الولايات الذي ولّاهم أو أقرّهم طاهر بن الحسين ـ منذ رجب ١٩٦هـ ـ فكان على الموصل المطّلب بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي، وعلى الكوفة العباس بن موسى الهادي، وعلى البصرة منصور بن المهدي، وعلى اليمن يزيد بن جرير القسري، وعلى الحجاز داود بن عيسى العباسي، وعلى اليمامة والبحرين عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيينة بن المهلّب.

* * *

وفي سنة١٩٧هـ وقعت معارك كثيرة متفرقة في بغداد ومشارفها بين طاهر بن الحسين وجيشه الذي يحاصر بغداد من جهة وبين الأمين وعساكره والذين معه داخل بغداد من جهة أخرى. قال الطبري: «وجعل طاهر قوّاداً من قوّاده بنواحي بغداد، فجعل العلاء بن الوضاح الأزدي في أصحابه ومن ضمّ إليه بالرباضة على المحول الكبير، وجعل نعيم بن الوضاح الأزدي أخاه فيمن كان معه بما يلي ربض أبي أيوب على شاطىء الصراة، ثم غادى القتال وراوح أشهراً وصبر الفريقان جميعاً، فكانت لهم فيها وقعة بالكناسة باشرها طاهر بنفسه، قتل فيها بشر كثير من أصحاب الأمين». [ص ١٨٥/ ١٠]. وقد ذكر الطبري والمسعودي أنباء العديد من الوقائع وكان أغلبها لصالح طاهر بن الحسين، ولكن المواجهة لم تُحسم في بغداد إلى نهاية تلك السنة.

قال الطبري: «وحجّ بالناس في هذه السنة ـ وهي سنة١٩٧هـ ـ العباس بن موسى بن عيسى بتوجيه طاهر إياه على الموسم بأمر المأمون بذلك. وكان على مكة في هذه السنة داود بن عيسى». [ص ١٩١/ ١٠]ـ وكذلك كان الوالي على اليمن يزيد بن جرير القسري، وعلى الموصل المطلب بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي، وعلى السند داود بن يزيد بن حاتم المهلّبي. أما البصرة فقد ذكر الطبري إنه «في هذه السنة لحق منصور بن المهدي بالمأمون من العراق». ومؤدى ذلك انتهاء ولاية منصور للبصرة، وقد ذكر أبو العباس المبرّد «أن إسماعيل بن جعفر بن

سليمان بن عليّ بن عبد اللّه بن العباس كان صديقاً لعبد اللّه بن محمد بن أبي عُيَيْنة، فوصله ابن أبي عُيينة بذي اليمينين طاهر بن الحسين فَوَلّاه البصرة وولّى ابن أبي عُيينة اليمامة والبحرين وغَوْص البحر» [ص ٢٥٠/ ١] - فتكون تولية إسماعيل البصرة سنة١٩٧هـ.

ثم دخلت سنة١٩٨هـ وعقد طاهر بن الحسين العزم على حسم المواجهة مع الأمين في بغداد، فجاء في تاريخ الطبري: «إن طاهراً غدا يوم الخميس - لتسع بقين من محرم - على المدينة الشرقية وأرباضها والكرخ وأسواقها وقنطرتي الصراة واشتد عندهما القتال، واشتد طاهر على أصحابه وباشر القتال بنفسه وقاتل من كان بدار الرقيق فهزمهم حتى ألحقهم بالكرخ، وقاتل طاهر بباب الكرخ وقصر الكرخ فهزم أصحاب الأمين، ومرّ طاهر لا يلوي على أحد حتى دخل قسراً بالسيف، وأمر مناديه فنادى بالأمان لمن لزم منزله، ووضع بقصر الوضاح وسوق الكرخ والأطراف قوّاداً وجنداً في كل موضع على قدر حاجته منهم، وقصد إلى مدينة المنصور (داخل بغداد) فأحاط بها وبقصر زبيدة وقصر الخلد بالخيول والعدة والسلاح.. وخرج محمد الأمين بأمّه وولده إلى مدينة المنصور وتفرق عنه عامة جنده في السكك والطرق لا يلوي منهم أحد على أحد. وفي ذلك يقول عمرو الورّاق:

يا طاهر الظّهرِ الذي ... مثالُهُ لم يُوجدِ
يا سيدَ ابنِ السيدِ ابنِ ... السيدِ ابنِ السيدِ
رجعت إلى أعمالها الأ ... ولى عراة محمد
من بين نطافٍ وسو ... اطٍ وبين مُقرَّدِ
ومسوَّد بالنّهب سا ... د وكان غير مسوَّدِ
ذلوا لعزِّكَ واستكا ... نوا بعد طُول تمرُّد

وقال أيضاً عمرو الورّاق في ذلك:

إذا ما شِئْتَ أن تغْضِبَ جُنديّاً وتستأمِرْ
فقل يا معشرَ الأجنا ... دِ قد جاءكُمُ طاهرْ

وتحصن محمد الأمين بمدينة المنصور هو ومن يُقاتِل معه، وحصره طاهر وأخذ عليه الأبواب ومنع عنه وعن أهل مدينة المنصور الدقيق والماء وغيرهما.. وكان إبراهيم بن المهدي نازلاً مع محمد المخلوع في مدينة المنصور في قصره بباب الذهب لَمّا حصره طاهر.. وقال المدائني: لما كان ليلة الجمعة لسبع بقين من المحرم سنة١٩٨هـ. دخل محمد الأمين مدينة المنصور هارباً من القصر الذي كان

يُقال له الخلد.. ومكث محمد محصوراً في مدينة المنصور يوم الجمعة والسبت..»[١].

وتشاور الأمين مع أصحابه واستقر رأيه على أن يخرج في حراقة ـ أي سفينة ـ حتى يصير إلى الجزيرة الفراتية والشام، فيجبوا الأموال ويجمعوا الرجال ويعودوا للحرب ـ وقد ذكر المسعودي ذلك في خبر طويل ـ قال المسعودي: «..وخرج الأمين في الليل.. إلى المَشْرَعة والحراقة قائمة فنزل ودخل الحرّاقة، وقد كان طاهر نَمَى إليه خروجه، فبعث بالرجال والملاحين في الزوارق على الشط، فأتى أصحاب طاهر عُراة فغاصوا تحت الحراقة فانقلبت بمن فيها.. وسَبَح الأمين فوقع نحو عسكر طاهر، فقبض عليه بعض أصحاب طاهر، فأتى به قرينا غلام طاهر، فاستأذن فيه طاهراً، فأتاه الإذن في الطريق وقد حمل إلى طاهر، فقُتل في الطريق، وذلك ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم سنة١٩٨هـ..»[٢] قال ابن كثير: «ولَمّا قُتل الأمين هدأت الفتن وخمدت الشرور، وأمن الناس، وطابت النفس، ودخل طاهر بغداد وخطبهم يوم الجمعة خطبة بليغة ذكر فيها آيات كثيرة من القرآن، وأن اللّه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأمرهم فيها بالجماعة والسمع والطاعة»[٣].

وجاء في تاريخ الطبري عن المدائني: «أن طاهراً كتب إلى المأمون بالفتح: أما بعد، فالحمد للّه المتعالي ذي العزة والجلال والمُلك والسلطان الذي إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون لا إله إلا هو الرحمٰن الرحيم، كان فيما قدّر اللّه فأحكم ودبر فأبرم انتكاث المخلوع ببيعته وانتقاضُه بعهده وارتكاسه في فتنته وقضاؤه عليه القتل بما كسبت يداه وما اللّه بظلام للعبيد، وقد كتبت إلى أمير المؤمنين أطال اللّه بقاءه في إحاطة جند اللّه المدينة ـ مدينة المنصور ـ والخلد وأخذهم بأفواهها وطرقها ومسالكها في دجلة نواحي أزقة مدينة السلام وانتظام المسالح حواليها، وحَدْري السفن والزواريق بالعرّادات والمقاتلة إلى ما واجه الخلد وباب خراسان تحفظاً بالمخلوع وتخوفاً من أن يروغ مراغاً ويسلك مسلكاً يجد به السبيل إلى إثارة فتنة وإحياء نائرة أو يُهايج قتالاً بعد أن حصره اللّه عزّ وجلّ وخذله.. فَلَمّا وافى خروج المخلوع على من وكّلتُ بباب خُراسان ـ بالمدينة ـ نهضوا عند طلوعه عليهم فبادرهم نحو المشرعة وقرّب هرثمة إليه الحراقة فسبق

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ جـ ١٠.
(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٤١٩ ـ ٤٢٠ جـ ٣.
(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٢٤٣ جـ ١٠.

المخلوع أصحابي إليها، فبادر بعضهم الحرّاقة فتكفأت بهم حتى أغرقت، ورمى المخلوع عند ذلك بنفسه من الحرّاقة في دجلة متخلصاً إلى الشط، فابتدره عدة من أوليائي.. وتناولوه بأسيافهم، فأُوتي عليه، فأتاني الخبر بذلك فأمرت بحمل رأسه.. لَمَّا أصبحتُ: هاج الناسُ واختلفوا في المخلوع فمُصدّق بقتله ومكذب وشاكّ وموقن فرأيت أن أطرح عنهم الشبهة في أمره، فأتيت برأسه لينظروا إليه فيصحّ بعينهم وينقطع بذلك بَعَل قلوبهم، وغَدوتُ نحو المدينة فاستسلم من فيها وأعطى أهلها الطاعة.. وقد وضعتِ الحربُ أوزارها وتلافى بالسلام والإسلام أهله وبَعَّد اللّه الدغل عنهم وأصارهم إلى الأمن والسكون والدّعة والاستقامة والحمد للّه على ذلك.. وأنا أسأل اللّه أن يهنىء أمير المؤمنين نعمته ويتابع له فيها مزيده.. إنه سميع لطيف. وكُتب يوم الأحد لأربع بقين من المحرم سنة١٩٨».

«وبعث طاهر برأس الأمين ـ أو بخبر الأمين ـ مع البردة والقضيب والخاتم مع محمد بن الحسن بن مصعب ابن عمه. فأمر له المأمون بألف ألف درهم». قال الطبري: «لَمَّا قُتل محمد الأمين وصل خبره إلى المأمون في خريطة من طاهر يوم الثلاثاء ١٢ صفر سنة١٩٨هـ وأظهر المأمون الخبر وأذن للقوّاد فدخلوا عليه، وقام الفضل بن سهل ـ وزير المأمون ـ فقرأ الكتاب بالخبر، فهُنىء المأمون بالظفر ودعوا اللّه له»[١].

خطبة ذي اليمينين في بغداد.. وما بعد الخطبة:

وقد خطب ذو اليمينين طاهر بن الحسين الخزاعي خطبة بليغة في بغداد يوم الجمعة ٢ صفر سنة١٩٨هـ، إذ أنه: «لَمَّا قُتل الأمين وأعطى طاهر الأمان الأبيض والأسود وهدأ الناس دخل طاهر المدينة ـ مدينة المنصور ـ يوم الجمعة فصلّى بالناس وخطبهم خطبة بليغة..» فجاء في تاريخ الطبري أنه «لَمَّا صعد طاهر المنبر يوم الجمعة وحضره من بني هاشم والقوّاد وغيرهم جماعة كثيرة، قال: الحمد للّه مالِكِ المُلكِ يؤتيه من يشاء ويُعزُّ من يشاء ويُذلُّ من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا يُصلحُ عمل المفسدينَ ولا يَهدِي كيد الخائنين، إنّ ظهور غلبتِنا لم يكن من أيدينا ولا كيدنا بل اختاره اللّهُ للخلافة إذْ جعلها عماداً لدينه وقواماً لعباده ولضَبْط الأطراف وسد الثغور وإعداد العدّة وجمْع الفيء وإنفاذ الحكم ونشر العدل وإحياء السنة بعد إذبال البطالات والتلذذ بموبق الشهوات، والمُخْلِدُ إلى الدنيا مُستحسنٌ لداعي غرورها محتلبٌ درّة نعمتها أَلِفٌ لزهرة روضتها كَلِفٌ برونق

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٠٨ جـ ١٠.

بهجتها، وقد رأيتم من وفاء موعود اللّٰه عز وجلّ لمن بَغَى عليه وما أحلّ به من بأسه ونقمته لِمَا نكب عن عهده وارتكب معصيته وخالف أمره، فتمسكوا بدقائق عُصُم الطاعة واسلكوا مناحي سبيل الجماعة، واحذروا مصارع أهل الخلاف والمعصية الذين قدحوا زناد الفتنة وصدعوا شعب الألفة فأعقبهم اللّٰهُ خسار الدنيا والآخرة». [ص ٢٠٥/ ١٠].

وانصرف الأمير طاهر بن الحسين من المدينة إلى مقره ومعسكره بالبستان عند باب الأنبار من أبواب بغداد وكان البستان هو مقر طاهر بن الحسين منذ شهر ذي الحجة سنة١٩٦هـ واستمر كذلك بعد نهاية الأمين، فَلَمَّا خطب طاهر بالمدينة خطبته سالفة الذكر ـ يوم الجمعة ٢ صفر سنة١٩٨هـ ـ عاد من المدينة إلى مقره بالبستان.

قال الطبري: «ولَمَّا فتح طاهر بن الحسين بغداد كتب إلى أبي إسحاق المعتصم ـ ابن هارون الرشيد ـ، وقد ذكر بعضهم أنه إنما كتب بذلك إلى إبراهيم بن المهدي، وقال الناس: كتبه إلى أبي إسحاق المعتصم، أما بعد فإنه عزيز عليّ أن أكتب إلى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التأمير ولكنه بلغني أنك تميلُ بالرأي وتُصْغِي بالهوى إلى الناكث المخلوع، وإن كان كذلك فكثير ما كتبتُ به إليك وإن كان غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة اللّٰه وبركاته، وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات:

ركوبكَ الأمرَ ما لم تبل فرْصتُهُ ... جهلٌ ورَأيكَ بالتَّغريرِ تَغريرُ

أقبحْ بِدُنيا ينالُ المخطئونَ بها ... حَظ المُصِيبِينَ والمَغْرورُ مغرورُ»

[ص ٢٠٥/ ١٠]

وكان طاهر بن الحسين يقول الشعر، قال الطبري: (وذُكر أن طاهراً قال:

مَلكْتُ الناسَ قَسْراً واقتدارًا ... وقَتَّلتُ الجبابرة الكبارا

ووجهتُ الخلافة نحو مَرْوٍ ... إلى المأمون تَبْتَدِرُ ابتدارا»

* * *

قال ابن كثير: «وأمر طاهر بن الحسين بتحويل زُبيدة ـ أُم الأمين ـ من قصر أبي جعفر إلى قصر الخلد، فخرجت يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول من هذه السنة، وبعث بموسى وعبد اللّٰه ابني الأمين إلى عمهما المأمون بخراسان، وكان ذلك رأياً سديداً. وقد وثب طائفة من الجند على طاهر بعد خمسة أيام [من مقتل الأمين] وطلبوا منه أرزاقهم فلم يكن عنده إذ ذاك مال، فتحزبوا واجتمعوا ونهبوا بعض متاع، ونادوا: يا موسى يا منصور، واعتقدوا أن موسى بن الأمين هناك ـ ببغداد ـ

وإذا هو قد سيّره إلى عمه المأمون، وانحاز طاهر بمن معه من القوّاد ناحية وعزم على قتالهم بمن معه، ثم رجعوا إليه واعتذروا وندموا، فأمر لهم برزق أربعة أشهر بعشرين ألف دينار اقترضها من بعض الناس، فطابت الخواطر»(١).

وكان الجند الذين شغبوا وطلبوا أرزاقهم هم من الجند الذين كانوا مع الأمين ثم دخلوا في الطاعة، فَلَمَّا شغبوا وطلبوا من طاهر أرزاقهم، أحرقوا ونهبوا بعض المتاع، فعزم طاهر على قتالهم، فاعتذر بعض وجوههم بأن ذلك من فعل السفهاء والأحداث وسألوه الصفح عنهم، فقال لهم طاهر: أقسم باللّه لئن عُدتم لمثلها لأضعنّ السيف فيكم، وأمر لهم برزق أربعة أشهر، فرضوا وسكنوا. فقال في ذلك بعض أهل بغداد:

آلى الأميرُ وقولُهُ وفِعالُهُ ... حقٌّ، بِجَمْعِ مَعاشِرِ الذُّعَّارَ
إنْ هاج هائجُهُم وشَغْبَ شاغِبٌ ... من أيّ ناحيةٍ من الأقطار
ألّا يناظر معشراً من جمْعهم ... إمهال ذي عَدْلٍ وذي أنظار
حتى يُنيخَ عليهمُ بعظيمة ... تدع الدِيار بلاقِعَ الآثار

* * *

قال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش قرة العيون: إن ذا اليمينين طاهر بن الحسين الخزاعيّ، أحدُ أعلام الدهر وحماة الدولة جوداً وشكيمة وحنكة وشجاعة، ومن شعره:

إذا أعجبتك خلال امرىء ... فكنه يكن منك ما يعجب
فليس على المجد والمكرمات ... إذا جئتها حاجب يحجب

ومن شعره أيضاً:

يكفيك من قوم شواهد أمرهم ... فخذ صفوهم قبل امتحان الضمائر
فإن امتحان القوم يوحش بينهم ... وما لك إلا ما ترى في الظواهر
وإنك إن فتشت لم تر مخلصاً ... وابدأ لك التفتيش خبث السرائر

ومن كلامه: ما أحوج الكاتب إلى نفس تسمو به إلى أعلى المراتب، وطبع يقوده إلى أكرم الأخلاق وهمّة تكفه عن دنس الطمع ودناءة الطبع»(٢).

وقال الحافظ ابن كثير: «وقد كان طاهر بن الحسين كريماً ممدحاً يحبّ

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٢٤٣ جـ ١٠.
(٢) قرة العيون ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٣٩.

الشعراء ويعطيهم الجزيل، ركب يوماً في حرّاقة فقال فيه شاعر:

عجبتُ لحرّاقةِ ابن الحسين لا غرقتْ كيفَ لا تغرقُ
وبحرانِ من فوقها واحدٌ وآخرُ من تحتها مُطبقُ
وأعجبُ من ذاك أعوادها وقد مسَّها كيف لا تورقُ

فأجازه بثلاثة آلاف دينار» [ص ٢٦٠/ ١٠].

وكان طاهر بن الحسين قد ولّى على البصرة إسماعيل بن جعفر العباسي. قال أبو العباس المبرد: «كان إسماعيل بن جعفر صديقاً لعبد اللّه بن محمد بن أبي عيينة، وكان عبد اللّه من رؤساء مَنْ أخذ البصرة للمأمون، وكان معاضداً لطاهر بن الحسين في حروبه، وكان إسماعيل بن جعفر جليل القدر مطاعاً في مواليه وأهله، وكانت الحال بينهما ألطفَ حالٍ، فوصله ابن أبي عيينة بذي اليمينين فَوَلّاهُ البصرة وولّى ابن أبي عُيينة اليمامةَ والبَحْرَيْن وغَوْصَ البحر. فَلَمَّا رجعا إلى البصرة تنكَّرَ إسماعيل لابن أبي عُيينة، فهاج بينهما من التباعد على مثل ما كان بينهما من المُقاربة، ثم عُزِل ابن أبي عُيينة، فلم يزل يهجو إسماعيلَ، وسأل ذا اليمينين عَزْلَهُ فدافعه، وضرّ بالرجل، فكان يهجو من يواصل إسماعيل.. وقال عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيينة يعاتب ذا اليمينين:

مَنْ مُبلِغٌ عني الأميرَ رسالةً محصورةً عندي عن الإنشادِ
كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفَتى فتَهونُ غير شماتة الحُسَّادِ
ما لي أرى أمْري لديكَ كأنّه من ثِقْلِه طَودٌ من الأطوادِ
وأراك تُرْجِيه وتُمضي غيره في ساعةِ الإصدارِ والإيرادِ
اللّهُ يعلمُ ما أتيتُكَ زائراً من ضيقِ ذاتِ يَدٍ وضيقِ بلاد
لكن أتَيْتُكَ زائراً لك راجياً بك رتبةَ الآباء والأجدادِ
قد كان لي بالمِصرِ يومٌ جامعٌ لكَ مُصْلِحٌ فيه لكل فسادِ
ودعوتُ منصوراً فأعلنَ بيعةً في جَمْع أهل المِصرِ والأجنادِ
بارَتْ مُسارَعتي إليكَ بطاعتي كلَّ البَوار وآذنتْ بكسادِ
في الأرض مُنفَسَحٌ ورزقٌ واسعٌ لي عنك في غَوْري وفي إنجادي

وقال أيضاً يعاتبه قصيدة طويلة مطلعها:

أيا ذا اليمينين إنّ العِتا بَ يُغري صُدوراً ويَشفي صدورا
وكنتُ أرى أنّ تركَ العِتا بِ خيرٌ وأجدرُ أن لا يَضيرا
إلى أن ظننتُ بأن قد ظننْتَ بأني لنفسيَ أرضى الحقيرا

وقال أيضاً يعاتب طاهر بن الحسين:

ما لي رأيتُكَ تُدْني كلَّ مُنسَكِتٍ	إذا تَغَيَّبَ مُلْتاثٍ إذا حَضَرا
إذا تَنَسَّمَ ريحَ الغَدْرِ قابلَها	حتى إذا نَفَخَت في أنفه غَدَرا
أَحَلَّكَ اللَّهُ مِن قَحْطانَ منزلةً	في الرأس حيثُ أَحَلَّ السمعَ والبَصرا
فلا تُضِعْ حَقَّ قَحْطانٍ فتُغضِبَها	ولا رَبيعةَ كلَّا لا ولا مُضَرا
أعطِ الرِجالَ على مقدار أنفسهم	وأولِ كُلاً بما أوْلى وما صَبَرا[1]

وذكر الأصفهاني في كتاب الأغاني: «أن إسماعيل بن جعفر بن سليمان كان والياً للبصرة خليفة لطاهر بن الحسين، فأساء مجاورة ابن أبي عيينة حتى تباعد ما بينهما. فخرج إلى طاهر ليشكو إسماعيل ويسعى في عزله عن البصرة، فبعد عليه ذلك بعض البعد، وسافر طاهر بن الحسين إلى وجه أمر بالخروج إليه، فصحبه ابن أبي عيينة في سفره، فتذمم من ذلك، وأمر بإيصاله إليه، فَلَمَّا دخل ابن أبي عيينة إليه سأله عن حوائجه وأدناه وأمره برفعها فقال:

من أوحشته البلاد لم يُقمِ	فيها ومن آنسته لم يرم

وهي قصيدة طويلة ذكرها الأصفهاني، ومنها قوله:

يا ذا اليمينين لم أزرك ولم	آتك من خلة ومن عدم

فأجابه طاهر بن الحسين بقصيدة أولها:

مَنْ تَسْتَضِفْه الهمومُ لم يَنَمِ	إلا كنوم المريض ذي السقمِ

ومنها قوله لابن أبي عيينة:

وقد علمنا أن لست تصحبنا	لفاقة فيك لا ولا عدم
أنت امرؤ لا تزول عن كرم	إلا إلى مثله من الكرم
وأنت من أُسرة جحاجحة	فازوا بحسن الفعال والشيم
فما ترم من جسيم منزلة	فالحكم فيها إليك فاحتكم

فاحتكم عليه ابن أبي عيينة عزل إسماعيل بن جعفر عن البصرة فعزله عنها وأمر له بمائة ألف درهم، فقال:

يا ذا اليمينين قد أوقرتني مِنناً	تترى هي الغاية القصوى من المنن
ولستُ أستطيع من شكر أجيءُ به	إلا استطاعة ذي روح وذي بدن

(١) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرد ـ ص ٢٥٠ ـ ٢٥٣ جـ ١.

لو كنتُ أعرف فوق الشكر منزلة   أوفى من الشكر عند اللّه في الثمن
أخلصتُها لك من قلبي مهذبة   حذواً على مثل ما أوليت من حسن»[1]

انتقال طاهر بن الحسين إلى الجزيرة الفراتية:

وفي أوائل سنة١٩٩هـ انتهت ولاية طاهر بن الحسين للعراق والمشرق، وكان المأمون ما يزال مقيماً في خراسان. قال الطبري: «كتب المأمون إلى طاهر بن الحسين وهو مقيم ببغداد بتسليم جميع ما بيده من الأعمال في البلدان كلها إلى الحسن بن سهل وأن يشخص إلى الرَّقّة، وولّاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب وجعل إليه حرب نصر بن شبث.. وشَخَص طاهر إلى الرَّقَّة في جمادى الأولى سنة١٩٩هـ..» [ص ١٠/٢٢٧]. وكذلك قال الحافظ ابن كثير: «ولّى المأمون الحسن بن سهل نيابة العراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن، وكتب المأمون إلى طاهر بن الحسين أن ينصرف إلى الرَّقَّة لحرب نصر بن شبث، وولّاه نيابة الجزيرة والشام والموصل والمغرب، وكتب إلى هرثمة بن أعين بنيابة خراسان. وفي سنة١٩٩هـ قَدِم الحسن بن سهل بغداد نائباً عليها من جهة المأمون. وتوجّه طاهر إلى نيابة الجزيرة والشام ومصر (الموصل) وبلاد المغرب». [ص ٢٤٤/ ١٠ـ البداية والنهاية].

فانصرف طاهر من بغداد إلى مدينة الرَّقَّة ـ (في سورية) ـ بالجزيرة الفراتية في جمادى الأولى سنة١٩٩هـ فأقام بها نائباً للمأمون على الجزيرة والموصل والشام. وبينما هو بالرّقة مات أبوه بخراسان.

قال ابن الأثير: «وفي سنة١٩٩هـ توفي الحسين بن مُصعب بن رُزيق، أبو طاهر بن الحسين بخراسان، وكان طاهر بالرَّقة، وحضر المأمون جنازته، ووجّه المأمون إلى طاهر يعزيه بأبيه». [ص ١٧٦/ ٥ـ الكامل].

وفي سنة٢٠٠ ـ ٢٠٢هـ وبينما طاهر في الرّقّة اندلعت بالعراق معارضة وحروب ضد الحسن بن سهل الفارسي الذي ولّاه المأمون على العراق وقال بنو العباس والقادة والجند العرب ببغداد: «لا يتولّى علينا الحسن بن سهل المجوسي ابن المجوسي» وحاربوه. وكان من زعماء المعارضة المطّلب بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي، وكان الحسن بن سهل بمدينة واسط (جنوب العراق).

وفي ذي الحجة سنة١٠١هـ تلقى الحسن بن سهل وهو بمدينة واسط مكتوباً من الخليفة المأمون بأخذ البيعة لعلي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٧ ـ ١٨ جـ ١٨.

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولياً لعهد المأمون وخليفة للمسلمين من بعده وبأن يطرح الناس الثياب السوداء ـ شعار العباسيين ـ ويلبسوا الخضراء. وقد كتب المأمون بذلك إلى الأمراء بالآفاق وأخذ البيعة لعلي بن موسى في خُراسان واتخذ الثياب الخضراء، ولَمَّا وصل كتاب المأمون إلى الحسن بن سهل كتب إلى عيسى بن محمد بن أبي خالد ببغداد «يأمره بأخذ البيعة لعلي بن موسى وأن يأمر بني العباس والقوّاد والجند بلبس الخضرة في أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم ويأمر أهل بغداد جميعاً بذلك».

قال الطبري: «فَلَمَّا أتى عيسى الخبر دعا أهل بغداد إلى ذلك، فقال بعضهم: نبايع ونلبس الخضرة وقال بعضهم: لا نبايع ولا نلبس الخضرة ولا نخرج هذا الأمر من ولد العباس، وإنما هذا دسيس من الفضل بن سهل، فمكثوا بذلك أياماً وغضب ولد العباس من ذلك واجتمع بعضهم إلى بعض وتكلموا فيه، وقالوا: نولّي بعضنا ونخلع المأمون وكان المتكلم في هذا والمتقلد له إبراهيم ومنصور ابنا المهدي». [ص ٢٤٣/ ١٠].

وقال ابن الأثير: «..وفي ذي الحجة خاض الناس (ببغداد) في البيعة لإبراهيم بن المهدي وخلع المأمون، وكان سبب ذلك إنكار الناس لولاية الحسن بن سهل ولبيعة علي بن موسى.. وفي أول يوم من المحرم ـ وقيل في الخامس من المحرم ـ سنة٢٠٢هـ بايع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي بالخلافة وخلعوا المأمون.. وكان المُتولّي لأخذ البيعة المطّلب بن عبد اللّه بن مالك». [ص ١٩١/ ٥].

فاضطربت الأمور بالعراق ثم إن بعض قادة المأمون بخراسان أخبروه ـ في أواسط سنة٢٠٢هـ ـ بأسباب نقمة القوّاد والناس عليه وإن من أسباب ذلك كما جاء في تاريخ الطبري:

«إن طاهر بن الحسين قد أبلى في طاعة المأمون ما أبلى وافتتح ما افتتح وقاد إليه الخلافة مزمومة حتى إذا وطأ الأمر، صُيّر في زاوية من الأرض بالرَّقّة وقد حُظِرت عليه الأموال حتى ضعف أمره وشغب عليه جنده، وأنه لو كان طاهر خليفتك ببغداد لضبط المُلك ولم يجترأ عليه بمثل ما اجترىء به على الحسن بن سهل».

عودة طاهر إلى العراق وولايته الثانية للعراق ومشارقها:

وفي أواخر سنة٢٠٣هـ توجّه المأمون من خراسان إلى جُرجان والرّي فأقام بها شهر ذي الحجة وكتب إلى طاهر بن الحسين وهو بالرَّقة أن يوافيه إلى النهروان

(بالعراق) ليدخلا بغداد معاً، وصار المأمون إلى النهروان يوم السبت ـ من شهر صفر ـ فأقام ثمانية أيام، ووافاه طاهر إلى النهروان، ومضيا إلى بغداد فدخلها المأمون لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر سنة٢٠٤هـ.

قال الطبري: «فَلَمَّا قَدِم المأمون بغداد نزل الرُّصافة وقَدِم معه طاهر فأمره بنزول الخيزرانية مع أصحابه، ثم تحوّل المأمون فنزل قصره على شط دجلة». [ص ٢٥٤/ ١٠].

قال ابن كثير: «ثم استعرض المأمون حوائج طاهر بن الحسين، فكان أول حاجة سألها أن يرجع إلى لباس السّواد، فإنه لباس آبائه من دولة ورثة الأنبياء. فَلَمَّا كان السبت الآخر وهو ٢٨ من صفر ٢٠٤هـ جلس المأمون للناس وعليه الخضرة، ثم أمر بخلعة سوداء فألبسها طاهراً، ثم ألبس بعده جماعة من الأمراء السواد، فلبس الناسُ السواد وعادوا إلى ذلك، فعلم منهم بذلك الطاعة والموافقة، وعاد إلى لبس السّواد». [ص ٢٥٠/ ١٠ ـ البداية والنهاية].

قال الطبري: «وولى المأمون طاهر بن الحسين الجزيرة والشُرَط وجانبيْ بغداد ومعاون السواد» [ص ٢٥٥/ ١٠]. وبذلك أصبح طاهر بن الحسين ـ منذ صفر سنة٢٠٤هـ ـ أميراً لجانبي بغداد الشرقي والغربي وأميراً لمناطق سواد العراق وأميراً للشرطة مع استمراره أميراً للجزيرة الفراتية، وكان عبد اللّه بن طاهر خليفة أبيه بالرَّقّة والجزيرة الفراتية.

قال ابن كثير: «ثم دخلت سنة٢٠٥هـ وفيها ولّى المأمون طاهر بن الحسين نيابة بغداد والعراق وخُراسان إلى أقصى عمل المشرق، ورضي عنه ورفع منزلته جداً. وولّى المأمون مكان طاهر على الرَّقّة والجزيرة يحيى بن معاذ، وقَدِم عبد اللّه بن طاهر بن الحسين إلى بغداد في هذه السنة وكان أبوه قد استخلفه على الرَّقة». [ص ٢٥٥ جـ ١٠].

وكان قدوم عبد اللّه بن طاهر من الرَّقة إلى بغداد في أوائل سنة٢٠٥هـ. قال الطبري: «. . واستخلفه أبوه على الشرطة وأعمال بغداد» [ص ٢٦٤/ ١٠].

وكان طاهر بن الحسين في هذه الفترة (٢٠٤ ـ ٢٠٥هـ) يقيم ببغداد وبمدينة حُلوان ـ في شرق وسط العراق ـ لأنها مركز سواد العراق وما يليه من أعمال المشرق (في إيران) لأن ولاية طاهر امتدت إلى أقصى عمل المشرق، وبينما كان طاهر بمدينة حُلوان ـ غالباً ـ كان عبد اللّه بن طاهر نائباً لأبيه على الشرطة وأعمال بغداد.

وكان الشاعر دِعبل بن عليّ الخزاعيّ ـ الذي وصفه عبد اللّه بن طاهر بأنه ـ

«لسان اليمن وشاعرها والذابُّ عنها والمحامي لها والمرامي دونها»[١] كان دعبل قد هجا المأمون في أيام النقمة العربية على المأمون واستخلاف إبراهيم بن المهدي ببغداد (٢٠٢ ـ ٢٠٣هـ) فَلَمَّا عاد المأمون إلى بغداد واستقر بها ـ سنة ٢٠٤هـ ـ هرب دِعبل إلى جهات إقليم الجبل (بشمال إيران) وتوعّده المأمون. «وقال دِعبل يهجو المأمون:

ويَسُومُني المأمونُ خطَّةَ عارِفٍ ... أوَ ما رأى بالأمس رأسَ محمدِ
يُوفي على هَام الخلَائفِ مثلَ ما ... يوفي الجبالُ على رؤوس القَردِدِ
ويَحِلُّ في أكنافِ كلِّ ممنَّعٍ ... حتى يُذَلِّلَ شاهقاً لم يُصْعَدِ
إنَّ التِّراتِ مُسَهَّدٌ طُلَّابُهَا ... فاكففْ لُعَابَك عن لعابِ الأسودِ
إنّي من القوم الذين سيوفهم ... قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله ... واستنقذوك من المحل الأوهد

وكان المأمون حليماً. لم يزد على أن قال: قَاتَلَ اللَّه دِعبلاً متى كنتُ خاملاً وفي حُجر الخلافة وُلِدتُ، وبدرّها غُذيت»[٢]. وجاء في كتاب الأغاني أنه:

«قال عبد اللّه بن طاهر: إن المأمون لم يزل يطلب دعبل وهو طائر على وجهه حتى دُسّ إليه قول دِعبل:

علم وتحكيم وشيب مفارق ... تطميس ريعان الشباب الرائق
وإمارة في دولة ميمونة ... كانت على اللذات أشغب عائق
أنَّى يكون وليس ذاك بكائن ... يرث الخلافة فاسق عن فاسق
إنْ كان إبراهيمُ مضطلعاً بها ... فلَتَصلحَنْ من بعده لِمُخارِقِ
ولَتَصلحن من بعد ذاك لِزُلزُلٍ ... ولتصلحَنّ من بعده للمارق

فَلَمَّا قرأها المأمون ضحك وقال: قد صفحتُ عن كل ما هجانا به إذْ قَرَنَ إبراهيم بمخارق في الخلافة وولّاه عهده، وكتب المأمون إلى أبي [في حُلوان] ـ أن يكاتبه بالأمان ويحمل إليه مالاً وإن شاء أن يقيم عنده أو يصير إلى حيث شاء فليفعل. فكتب إليه أبي بذلك، وكان واثقاً به، فصار إليه، فحمله وخلع عليه وأجازه وأعطاه المال، وأشار عليه بقصد المأمون، ففعل، فَلَمَّا دخل وسلَّم عليه تبسَّم في وجهه ثم قال: أنشدني قولك:

مدارس آياتٍ خَلَتْ مِن تلاوةٍ ... ومنزل وحيٍّ مقفر العرصات

.. فأنشده إياها إلى آخرها..» [ص ٥٨/ ١٨].

---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٤٤ جـ ١٨. (٢) قرة العيون ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٣٩.

وفي ذي القعدة سنة٢٠٥هـ انتقل الأمير طاهر بن الحسين من العراق إلى خُراسان. قال الطبري: «عقد المأمون لطاهر بن الحسين على خراسان والجبل من حُلوان إلى خُراسان، وكان المأمون ولّى على خُراسان غسان بن عبّاد وهو ابن عم الفضل بن سهل، حتى بلغه خروج عبد الرحمن النيسابوري المطوعي بنيسابور، فأشْخَصَ طاهر إلى خراسان.. وأقام طاهر شهرين في عسكره بحلوان ثم شَخَص إلى خراسان.. وكان شخوص طاهر من بغداد إلى خُراسان يوم الجمعة لليلة بقيت من ذي القعدة سنة٢٠٥هـ» ـ ومكث عبد اللّه بن طاهر نائباً لأبيه على أعمال بغداد والشرطة.

قال ابن الأثير: «وفي سنة٢٠٦هـ ولّى المأمونُ عبد اللّه بن طاهر من الرّقة إلى مصر.. وكتب إليه أبوه كتاباً جمع فيه كل ما يحتاج إليه الأمراء من الآداب وحسن السياسة وغير ذلك. وقد أثْبَتُّ منه أحسنه لِمَا فيه من الآداب والحث على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم لأنه لا يستغني عنه أحدٌ من ملك أو سوقة.. ولَمّا رأى الناس هذا الكتاب تنازعوه ونسخوه وشاع أمره، وبلغ المأمون خبره فدعا به، فقرىء عليه، فقال: ما أبقى طاهر شيئاً من أمر الدنيا والدين والتدبير والرأي والسياسة وإصلاح المُلك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به ابنه. وسار عبد اللّه إلى عمله، فاتّبع ما أمر به وَعَهَدَ إليه (أبوه في الكتاب) وسار بسيرته»[1].

ومكث الأمير ذو اليمينين طاهر بن الحسين بخراسان والياً عليها حتى وفاته يوم الجمعة لخمس بقين من شهر جمادى الأولى سنة٢٠٧هـ (الموافق ٨١٢ ميلادية). فولّى المأمون على خراسان ابنه طلحة بن طاهر، وبعث المأمون إلى عبد اللّه بن طاهر أمير الجزيرة والشام يعزيه بوفاة أبيه، قال ابن كثير: «وكان الذي سار إلى عبد اللّه بن طاهر في الرّقة يعزيه في أبيه القاضي يحيى بن أكثم عن أمر المأمون».

وكان عبد اللّه بن طاهر عظيماً مثل أبيه، بل كان من أعظم الولاة فقد حكم الجزيرة الفراتية والشام ومصر (٢٠٦ ـ ٢١٢هـ) ثم حكم خُراسان وآسيا الوسطى (٢١٣ ـ ٢٣٠هـ) وقال عنه الذهبي (كان عبد اللّه بن طاهر من كبار الملوك). وسيأتي في المبحث الخاص بولايته للشام ومصر أنه كذلك كان.

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٩٧ جـ ٥ ـ وقد ذكر الطبري وابن الأثير نص رسالة طاهر بن الحسين إلى ابنه عبد اللّه بن طاهر وهي وثيقة هامة في أدب ونظام السياسة والحكم.

١٥

علي بن الحسين الهَمَداني.. أمير الموصل وأذربيجان

(١٩٨ ـ ٢٠٢هـ)

هو الأمير اليماني علي بن الحسين بن صالح الهمداني أمير الموصل بعد المطّلب بن عبد اللّه بن مالك الخزاعيّ أمير الموصل (١٩٤ ـ ١٩٨هـ).

تولّي علي بن الحسين الهمداني الموصل ومعها أذربيجان سنة١٩٨هـ ـ أو سنة١٩٩هـ ـ وكان ابن عمه عبد اللّه بن جعفر الهمداني بأذربيجان، وكانت الميانج وخلباثا من مناطق أذربيجان وسكنتها عشائر يمانية من هَمْدان. قال البلاذري: «. . وأما الميانج وخلباثا فمنازل الهمدانيين، وقد مَدّن عبد اللّه بن جعفر الهمداني محلته بالميانج»[1]. أي جعلها مدينة في أذربيجان.

ومن أنباء عهد ولاية عليّ بن الحسين الهمداني بالموصل، قال ابن الأثير: «وفي سنة٢٠٠هـ وقعت الفتنة بالموصل بين بني سامة وبني ثعلبة، فاستجارت ثعلبة بمحمد بن الحسين الهمداني وهو أخو علي بن الحسين أمير البلد، فأمرهم بالخروج إلى البرية ففعلوا فتبعهم بنو سامة في ألف رجل إلى العوجاء وحصروهم فيها، فبلغ الخبر علياً ومحمداً ابني الحسين فأرسلا الرجال إليهم واقتتلوا قتالاً شديداً فقُتِل من بني سامة جماعة وأُسر جماعة منهم ومن بني تغلب ـ وكانوا معهم ـ فحبسوا في البلد، ثم إن أحمد بن عمر بن الخطاب التغلبي أتى محمداً وطلب إليه المسالمة، فأجابه إليه، وصلح الأمر، وسكنت الفتنة»[2].

وفي سنة٢٠١هـ كان ابتداء أمر بابك الخرّمي بمنطقة من أذربيجان حيث «تحرّك بابك الخرمي في الجاويذانية أصحاب جاويذان صاحب البذ [والبذ: كورة بين أذربيجان وأران] وادعى أن روح جاويذان دخلت فيه وأخذ في العيث والفساد، وتفسير جاويذان: الدائم الباقي. ومعنى خرم: فرج، وهي مقالات المجوس،

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٣٢٦.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٨٠ و١٨٤ جـ ٥.

والرجل منهم ينكح أمه وأخته وابنته ولهذا يسمونه دين الفرج ويعتقدون مذهب التناسخ وأن الأرواح تنتقل من حيوان إلى غيره»[١].

وكان الخرّمية قد تحركوا لأول مرة بأذربيجان سنة١٩٢هـ في خلافة هارون الرشيد حيث قال الطبري وابن الأثير: «في سنة١٩٢هـ تحركت الخرمية بناحية أذربيجان، فوجّه إليهم الرشيدُ عبد اللَّه بن مالك ـ والد المُطَّلب ـ في عشرة آلاف، فقتل وسبى وأسر، ووافاه بقرماسين فأمره بقتل الأسرى وبيع السبي» [ص ١٢٨/ ٥].

قال الطبري: «وفي سنة٢٠١هـ تحرك بابك الخُرَمِيّ في الجاوِيذَانية أصحاب جاويذان صاحب البذ، وادّعى أن روح جاويذان دخلت فيه، وأخذ في العيث والفساد ـ بأذربيجان ـ»[٢] وكانت دولة الخلافة منشغلة بالفتن والحركات التي اشتعلت ضد المأمون وتم في بغداد خلع المأمون ومبايعة إبراهيم بن المهدي في محرم سنة٢٠٢هـ وفي إطار تلك الحركات بات عليّ بن الحسين الهمداني أميراً متغلباً بولاية الموصل ولم يعد مرتبطاً بخلافة المأمون، وقد شملت الفتن والحركات العراق والموصل والشام ومصر والجزيرة العربية.

قال ابن الأثير: «وفي سنة٢٠٢هـ قُتِل علي بن الحسين الهمداني وأخوه أحمد وجماعة من أهل بيته، وكان متغلباً على الموصل. وسبب قتله أنه خرج ومعه جماعة من قومه ـ همدان ـ ومن الأزد فَلَمَّا نظر إلى رستاق نَيْنَوىٰ والمرج قال: نِعْم البلاد لإنسان واحد، فقال بعض الأزد: فما نصنع نحن؟ قال: تلحقون بعُمان، فانتشر الخبر.

ثم إن علياً أخذ رجلاً من الأزد يُقال له عون بن جبلة فبنى عليه حائطاً، فمات فيه، وظهر خبره، فركبت الأزد وعليهم السيد ابن أنس، فاقتتلوا. واستنصر علي بن الحسين بخارجي يقال له مهدي بن علوان فأتاه فدخل البلد وصلّى بالناس ودعا لنفسه، واشتدت الحرب وكانت أخيراً على عليّ بن الحسين وأصحابه، فخرجوا عن البلد إلى الحديثة ـ حديثة الموصل ـ فتبعهم الأزد إليها فقتلوا عليّاً وأخاه أحمد وجماعة من أهلهما، وسار أخوهما محمد إلى بغداد فنجا. وعادت الأزد إلى الموصل وغلب السيد عليها وخطب للمأمون وأطاعه. والهمداني هاهنا نسبة إلى همدان ـ بسكون الميم والدال المهملة ـ وهي قبيلة من اليمن»[٣].

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٨٠ و١٨٤ جـ ٥.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٤٤ جـ ١٠.
(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٩٢ جـ ٥.

١٦

السَّيِّدُ بن أَنَس الأزدي..
أمير الموصل وأذربيجان
(٢٠٢ ـ ٢١١هـ)

هو الأمير اليماني السَّيِّد بن أَنَس الأزدي. جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«السَّيِّد بن أَنَس الأزدي: أمير الموصل، وأحد الشجعان الفصحاء، كان المأمون العباسي يقرّبه ويعتمد عليه ويسيّره لقتال أهل العيث في الدسكرة وغيرها، وكانت عادته إذا التقى بالعدو أن يتقدم الجيش، ويحمل وحده بنفسه..»[١].

بدأت ولاية السَّيِّد بن أنس للموصل غداة مقتل أميرها عليّ بن الحسين الهمداني سنة٢٠٢هـ حيث «غَلَبَ السيد على الموصل وخطب المأمون وأطاعه»[٢] وكان محمد بن الحسين الهمداني نجا عند مقتل أخيه ولحق ببغداد، وكان المأمون يومئذٍ بخراسان، وكان الوالي على الجزيرة الفراتية وما جاورها طاهر بن الحسين الخزاعي، ومكث السَّيِّد بن أنس أميراً للموصل حتى قدوم المأمون من خراسان إلى العراق ودخوله بغداد في صفر سنة٢٠٤هـ ومعه طاهر بن الحسين الخزاعيّ حيث استخلف طاهر ابنه عبد اللّٰه بن طاهر على الجزيرة الفراتية، وأصبح طاهر أميراً للشرطة ولجانبيْ بغداد ومعاون السواد.

قال ابن الأثير: «وفيها ـ سنة٢٠٤هـ ـ انحدر السَّيِّد بن أنس الأزدي من الموصل إلى المأمون ببغداد، فتظلَّم منه محمد بن الحسين بن صالح الهمداني وذكر أنه قتل أخوته، فأحضره المأمون فَلَمَّا حضر قال له: أنت السيد؟ فقال: أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس، فاستحسن ذلك، فقال: أنت قتلت أخوة هذا؟ قال: نعم ولو كان معهم لقتلته لأنهم أدخلوا الخارجي بلدك وأعلوه على منبرك وأبطلوا دعوتك. فعفا عنه واستعمله على الموصل»[٢].

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٢٥٦.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٩٦ و٢٠٤ جـ ٥.

فتولَّى السَّيِّد بن أنس ولاية الموصل وكانت أذربيجان مضمومة إلى ولاية وأمير الموصل. قال ابن الأثير: «وفي سنة٢٠٥هـ استعمل المأمونُ طاهر بن الحسين على المشرق، من مدينة السلام إلى أقصى عمل المشرق.. وفيها قَدِم عبد اللّه بن طاهر بن الحسين بغداد من الرَّقّة وكان أبوه استخلفه بها، فَلَمَّا قَدِم إلى بغداد جعله المأمون على الشرطة.. وفيها مات داود بن يزيد ـ ابن حاتم المهلَّبيّ ـ عامل السند فولَّاها المأمون بِشر بن داود بن يزيد بن حاتم.. وولَّى عيسى بن محمد بن أبي خالد أرمينية وأذربيجان ومحاربة بابك الخرّمي.. وكان على الموصل السَّيِّد بن أنس.. وفي سنة٢٠٦هـ ولَّى المأمون عبد اللّه بن طاهر من الرَّقَّة (الجزيرة الفراتية) إلى مصر.. وفيها نكب بابك الخرمي عيسى بن محمد بن أبي خالد[1]. وكان السَّيِّد بن أنس سابع سبعة ولاة يمانيين في تلك الفترة، وهُم: الأمير طاهر بن الحسين الخزاعي والي خراسان (٢٠٥ ـ ٢٠٧هـ) ثم ابنه طلحة بن طاهر والي خراسان (٢٠٧ ـ ٢١٢ ـ) والأمير بشر بن داود بن يزيد بن حاتم المهلَّبيّ والي السند (٢٠٥ ـ ٢١٢هـ) والأمير نعيم بن وضاح الأزدي والي اليمن (٢٠٦ ـ ٢٠٨هـ) والأمير إسحاق بن مصعب الخزاعي أمير الشرطة وجانبي بغداد وسواد العراق، والأمير عبد اللّه بن طاهر الخزاعي والي الجزيرة الفراتية والشام إلى مصر (٢٠٦ ـ ٢١٢هـ) والأمير السَّيِّد بن أنس الأزدي والي الموصل وأذربيجان.

قال ابن الأثير: «وفي سنة٢٠٧هـ أمر المأمونُ السَّيِّد بن أنس والي الموصل بقصد بني شيبان وغيرهم من العرب لإفسادهم في البلاد فسار إليهم وكبسهم بالدسكرة فقتلهم وأخذ أموالهم وعاد إلى الموصل.

وفي سنة٢٠٩هـ ولَّى المأمون عليّ بن صدقة المعروف بزريق على أرمينية وأذربيجان، وأمره بمحاربة بابك، وأقام بأمرة أحمد بن الجنيد الأسكافي فأسره بابك، فولَّى إبراهيم بن الليث بن الفضل التُجيبي أذربيجان» وكانت ولاية عليّ بن صدقة لأذربيجان في إطار ولاية السَّيِّد بن أنس للموصل وأذربيجان ـ غالباً ـ ثم إن عليّ بن صدقة ـ المعروف بزريق ـ انتقض وتمرَّد على الدولة. قال ابن الأثير:

«كان زريق عليّ بن صدقة الأزدي الموصلي قد تغلَّب على الجبال ما بين الموصل وأذربيجان، وجرى بينه وبين السَّيِّد بن أنس أمير الموصل حروب كثيرة. فَلَمَّا كانت هذه السنة ـ وهي سنة٢١١هـ ـ جمع زريق جمعاً كثيراً، قيل: كانوا أربعين ألفاً، وسيّرهم إلى الموصل لحرب السيد، فخرج إليهم السيد في أربعة

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٩٦ و٢٠٤ جـ ٥.

آلاف فالتقوا بسوق الأحد، فحين رآهم السيد حمل عليهم وحده، وهذه كانت عادته أن يحمل وحده بنفسه، وحمل عليه رجل من أصحاب زريق فاقتتلا فقتل كل واحد منهما صاحبه لم يُقتل غيرهما. وكان هذا الرجل قد حلف بالطلاق إن رأى السيد أن يحمل عليه فيقتله أو يُقتل دونه لأنه كان له على زريق كل سنة مائة ألف درهم، فقيل له: بأي سبب تأخذ هذا المال؟ فقال: لأنني متى رأيت السيد قتلته، وحلف على ذلك فوفى به. فَلَمَّا بلغ المأمون قتل السَّيِّد بن أنس غضب لذلك وولّى محمد بن حميد الطوسي حرب زريق وبابك الخرمي واستعمله على الموصل». [ص ٥/٢١٤].

وكانت مدة ولاية السَّيِّد بن أنس تسع سنوات منذ سنة٢٠٢هـ حتى مقتله آخر سنة٢١١هـ الموافق ٨٢٦ ميلادية.

17

محمد بن حميد الطائي.. أمير الموصل وأذربيجان

(٢١٢ ـ ٢١٤هـ)

هو الأمير محمد بن حميد الطوسي النبهاني الطائي والي الموصل وأذربيجان بعد السيّد ابن أنس الأزدي. قال ابن الأثير: «لَمَّا بلغ المأمون قتل السَّيِّد بن أنس غضب لذلك وولّى محمد بن حميد الطوسي حرب زريق وبابك الخرّمي، واستعمله على الموصل.. فسار محمد بن حميد إلى الموصل ومعه جيشه، وجمع ما في الموصل من الرجال من اليمن وربيعة، وسار لحرب زريق ومعه محمد بن السَّيِّد بن أنس الأزدي ـ وكان زريق قد تغلب على الجبال ما بين الموصل وأذربيجان ـ فبلغ الخبر إلى زريق فسار نحوهم فالتقوا على نهر الزاب، فراسله محمد بن حميد يدعوه إلى الطاعة فامتنع فناجزه محمد واقتتلوا، واشتد قتال الأزد مع محمد ابن السيد طلباً بثأر السيد فانهزم زريق وأصحابه، ثم أرسل يطلب الأمان فأمنه محمد بن حميد فنزل إليه، فسيّره إلى المأمون»[١]. وبذلك انتهت فتنة زريق سنة٢١٢هـ ومكث محمد بن حميد بالموصل والياً عليها «وكتب المأمون إلى محمد بن حميد يأمره بأخذ جميع مال زريق من قرى ورستاق ومال وغيره، يأخذ ذلك لنفسه، فجمع محمد أولاد زريق وأخوته وأخبرهم بما أمر به المأمون فأطاعوا لذلك، فقال لهم: إن أمير المؤمنين قد أمرني به وقد قبلتُ ما حباني منه ورددته عليكم فشكروه على ذلك»[١]. قال ابن الأثير: «وكان محمد بن حميد ممدوحاً جواداً».

وفي سنة٢١٣هـ سار الأمير محمد بن حميد إلى بلاد أذربيجان وكان قسمٌ منها في الطاعة وقسمٌ منها بيد زعماء مسلمين متغلبين عليها وقسمٌ ثالث بأعالي أذربيجان بيد بابك الخرمي وأصحابه الخرمية غير المسلمين. قال ابن الأثير: «سار محمد بن حميد إلى أذربيجان واستخلف على الموصل محمد ابن السيد وقَصَدَ

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٢١٦ جـ ٥.

المخالفين المتغلبين على أذربيجان فأخذهم ـ أسرى ـ منهم يعلى بن مرة ونظراؤه وسيّرهم إلى المأمون»[١] وبذلك أعاد محمد بن حميد ذلك القسم الأكبر من أذربيجان إلى الطاعة، ورَسّخ فيه سلطة دولة الخلافة.

وفي سنة٢١٣ ـ ٢١٤هـ تقدّم الأمير محمد بن حميد إلى المناطق التي بيد بابك الخرمي، وكان عبد اللّه بن طاهر بن الحسين الخزاعي بمنطقة الدينور ـ في غرب إيران ـ يبعث العساكر والمتطوعة والمؤن إلى محمد بن حميد لمحاربة بابك الخرمي. «وسار محمد بن حميد نحو بابك الخرمي، وقد جمع محمد العساكر والآلات والميرة فاجتمع معه عالم كثير من المتطوعة من سائر الأمصار، فسلك المضائق إلى بابك، وكان كلما جاوز مضيقاً أو عقبة ترك عليه من يحفظه من أصحابه إلى أن نزل بمدينة بهشتادسر وحفر خندقاً، ثم شاور في دخول بلد بابك (التي هو متحصن بها في جبل كبير هناك) فأشاروا عليه بدخوله من وجه ذكروه له، فقبِلَ رأيهم، وعَبّى أصحابه وجعل على القلب محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي المعروف بأبي سعيد، وعلى الميمنة السعدي بن أصرم، وعلى الميسرة العباس بن عبد الجبار اليقطيني، ووقف محمد بن حميد خلفهم في جماعة ينظر إليهم ويأمرهم بسد خلل إن رآه، وكان بابك الخرّمي يشرف عليهم من الجبل وقد كمن لهم الرجال تحت كل صخرة، فَلَمَّا تقدم أصحاب محمد وصعدوا في الجبل مقدار ثلاثة فراسخ خرج عليهم الكمناء وانحدر بابك إليهم فيمن معه، وانهزم الناس فأمرهم أبو سعيد ومحمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا وفرُّوا على وجوههم. وصبر محمد بن حميد مكانه فرأى جماعة وقتالاً فقصدهم فرأى الخرّمية يقاتلون طائفة من أصحابه، فحين رآه الخرّمية قصدوه فقاتلهم وقاتلوه، وضربوا فرسه بمزراق فسقط إلى الأرض، وأكبوا على محمد بن حميد فقاتلوه وقاتلهم حتى استشهد، وكان محمد بن حميد ممدوحاً جواداً فرثاه الشعراء وأكثروا، منهم أبو تمام الطائي[٢].

وجاء في كتاب الأغاني أنه (قال أبو تمام في محمد بن حميد الطوسي:

وما مات حتى مات مضروب سيفه ... من الضرب، واعتلت عليه القنا السُمُر
وقد كان فوت الموت سهلاً، فردّه ... إليه الحفاظ المرُّ والخلقُ الوعرُ
فأثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت أخمصك الحشر

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٢١٦ جـ ٥.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٢١٨ جـ ٥.

غدا غدوة والحمدُ نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجرُ
كأنّ بني نبهان يوم مصابه نجوم سماء خرّ من بينها البدر
يُعَزّونَ عن ثاوٍ يُعزى به العُلىٰ ويبكي عليه البأس والجودُ والشعرُ»[١]

وكان استشهاد الأمير محمد بن حميد الطائي بأذربيجان سنة ٢١٤هـ الموافق ٨٢٩ ميلادية.

وكان محمد بن حميد قد استخلف على الموصل محمد بن السَّيِّد بن أنس الأزدي فمكث أميراً عليها.

وفي سنة ٢٢٤هـ ولّى الخليفة المعتصم بن الرشيد عبد اللّه بن السَّيِّد بن أنس على الموصل، وكانت له حرب مع قوم من الأكراد[٢]. وفي سنة ٢٣٠هـ كان الوالي على الموصل غانم بن حميد الطوسي الطائي ومكث والياً للموصل إلى خلافة المتوكل العباسي إذ أنه «في سنة ٢٣٢هـ كان أمير الموصل غانم بن حميد الطوسي»[٢]. وذكر ابن الأثير في أحداث سنة ٢٥٢هـ أنه «كان الوالي على الموصل عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي». فيكون هو آخر الولاة اليمانيين للموصل.

(١) الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - ص ٩٩ جـ ١٥.
(٢) الكامل - ابن الأثير - ص ٢٥٨ و٢٧٩ جـ ٥.

الولاة اليمانيون لمصر في العصر العباسي وأنباء عهودهم

لقد كانت ولاية مصر من أهم الولايات في دولة الخلافة العربية الإسلامية، وكان اليمنيون يمثلون الغالبية العظمى من العرب الذين دخلوا مصر في الفتح العربي الإسلامي وكان للصحابة والأمراء والعلماء والقادة والقبائل اليمانيين الذين استقروا في مصر الدور الأكبر في تأسيس وترسيخ العصر العربي الإسلامي في ربوع مصر، وبصفة خاصة في عصر الخلفاء الأمويين حيث كان أغلب الولاة الذين حكموا مصر في العصر الأموي من اليمنيين، وكان في طليعتهم ثلاثة من الصحابة اليمنيين حكموا مصر في خلافة معاوية بن أبي سفيان وخلافة يزيد بن معاوية وهم:

ـ الصحابي عُقْبة بن عامر الجهني القضاعيّ الحِمْيَري.. والي مصر سنة٤٤ ـ ٤٧هـ.

ـ الصحابي معاوية بن حُديج السكوني التُجيبي الحضرمي.. والي مصر سنة٤٨ ـ ٥١هـ.

ـ الصحابي مَسْلمة بن مَخْلَد الأنصاري الأزدي.. والي مصر سنة٥١ ـ ٦٢هـ.

ثم في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦ ـ ٩٦هـ) تولّى مصر الأمير اليماني قرّة بن شريك العبسي المذحجيّ من سنة٨٩ ـ ٩٦هـ.

ثم تولّى مصر في خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩هـ) الأمير اليماني عبد الملك بن رفاعة اللخمي والي مصر سنة٩٦ ـ ٩٩هـ ثم عزله الخليفة عمر بن عبد العزيز وولّى على مصر أميراً يمانياً آخر هو أيوب بن شرحبيل الحميري والي مصر سنة٩٩ ـ ١٠١هـ. ثم تولّى الخلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥هـ) فولّى على مصر الأمير اليماني بشر بن صفوان الكلبي سنة١٠١ ـ ١٠٢هـ ثم أخاه الأمير حنظلة بن صفوان الكلبي سنة١٠٣ ـ ١٠٦هـ، وتولّى حنظلةُ مصر مرة ثانية في خلافة هشام بن عبد الملك سنة١١٩ ـ ١٢٤هـ.

بينما في خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥هـ) تعاقب على ولاية مصر خمسة ولاة يمنيين وهم: حنظلة بن صفوان الكلبي (١٠٥ ـ ١٠٦هـ)،

حَفْص بن الوليد الحضرمي (١٠٨هـ)، الوليد بن رفاعة اللخمي (١٠٩ ـ ١١٧هـ) ثم عبد الرحمن بن خالد الفهمي اللخميّ (١١٧ ـ ١١٨هـ) ثم حنظلة بن صفوان الكلبي مرة ثانية (١١٩ ـ ١٢٤هـ) ثم حفص بن الوليد الحضرمي مرة ثانية من سنة١٢٤هـ إلى أيام خلافة مروان بن محمد سنة١٢٨هـ.

وكان عبد الملك بن مروان اللخمي آخر ولاة مصر في العصر الأموي. جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «عبد الملك بن مروان بن موسى بن نُصير اللخمي، آخر أمير وُلّي مصر في العصر الأموي، كان يلي خراجها قبل ذلك، ثم وُلّي الإمارة سنة١٣٢هـ لمروان بن محمد، رحل عبد الملك من مصر سنة١٣٣هـ بعد بروز الدولة العباسية ومقتل مروان بن محمد». [ص ٣٥٣] بينما تولّى مصر أبو عون عبد الملك الأزدي أول الولاة اليمنيين لمصر في العصر العباسي والذين نذكرهم في المباحث التالية.

* * *

١

أبو عون عبد الملك الأزدي.. أمير مصر

(١٣٢ ـ ١٤١هـ)

هو الأمير اليماني القائد أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي، أول ولاة مصر في العصر العباسي. قال الطبري في نهاية أنباء سنة١٣٢هـ: «وكان العامل على الشام عبد اللّه بن عليّ، وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد»[١] قال الطبري: «ثم دخلت سنة١٣٣هـ. . وفيها كتب أبو العباس إلى أبي عون بإقراره على مصر والياً عليها»[١] وبذلك فإن أبا عون هو أول ولاة مصر في العصر العباسي وكان له في تأسيس الخلافة العباسية دور كبير.

دور أبي عون في تأسيس الخلافة العباسية إلى دخوله مصر:

كان أبو عون من رجالات الأزد اليمنيين الذين دخلوا إقليم جُرجان بولاية خُراسان لَمَّا افتتح يزيد بن المهلَّب أمير العراق ومشارقها إقليم جُرجان في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة٩٨هـ حيث قام يزيد بن المهلَّب بتشييد مدينة جُرجان وأوطن فيها قوة وعشائر عربية كان خُمسهم من الأزد وخُمسهم من مذحج. قال ابن خلدون: «وبَنَىَ يزيد بن المهلَّب مدينة جُرجان ولم تكن بُنيت قبل ذلك، واستعمل على جُرجان جهم بن زَحر الجُعفيّ ـ المذحجيّ»[٢].

ولَمَّا ظهرت الدعوة العباسية كان أبو عامر إسماعيل المُسْلِي المذحجي وأبو عون عبد الملك الأزدي رئيسا الذين بجُرجان من مذحج والأزد، وكانا من أول الذين انضووا في الدعوة العباسية بجُرجان وخُراسان. ففي سنة١٢٢هـ تم اختيار اثني عشر نقيباً وعشرين نظراء نقباء للدعوة العباسية، قال صاحب أخبار الدولة العباسية: «وهذه تسمية العشرين وهم نظراء النقباء: أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي، مقاتل بن حكيم العكّي، خازم بن خزيمة، أبو مالك أُسيد بن عبد اللّه

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٤٧ و١٤٨ جـ ٩.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٤١٤.

الخزاعي، محمد بن الأشعث الخزاعي.. الخ»[1]. فكان أبو عون هو الأول بين نظراء النقباء.

وفي سنة١٢٣هـ قام رجالات الدعوة العباسية بجُرجان وخُراسان بجمع الأموال لإرسالها إلى محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن عباس إمام الدعوة حيث جاء في كتاب أخبار الدولة ما يلي: «..كانت المرأة تخرج من جميع حُليّها الذي على جسدها فتبعث به، وكانت تحت عامر بن إسماعيل امرأة من الأزد يُقال لها ماوية بنت عمرو بن سعيد وقد قَبِلَت الدعوة عن عامر فخلعت ما كان عليها من حُليّ فبعثت به وكان سوارَيْ ذهبٍ وطوق ذهبٍ وخاتم ذهبٍ وخلخالَ فضةٍ، وبعثت أمُّ الهيثم امرأة أبي عون بثلاثةَ أبرد وبرٍ من غَزْل يدها وسوارَيْ فضّة. وشَخَصَ مع بكير من جُرجان: أبو عون، وحسن بن زرارة ابن عم عامر، وأبو نصير الجُرجاني، ومَنْ معه من أهل مرو، وسار فيمن سَمَّينا حتى قَدِم الكوفة فأقام بها يسيراً ثم توجهوا إلى محمد بن عليّ»[1] فالتقى أبو عون وإياهم بمحمد بن عليّ ثم عادوا إلى جُرجان.

وفي أواخر سنة١٢٤هـ مات محمد بن عليّ وقام بإمامة الدعوة العباسية إبراهيم بن محمد بن عليّ، فبعث إبراهيم بكيراً إلى جُرجان وخُراسان. قال صاحب أخبار الدولة العباسية: «فبدأ بكير بجُرجان، فلقيه أبو عون وعامر بن إسماعيل وأبو إسماعيل وخالد بن برمك، فنعى إليهم محمد بن عليّ وأخبرهم أن الإمام بعده إبراهيم وأنه جعل وصيته إليه، وقرأ عليهم كتاب إبراهيم ينعى إليهم فيه أباه، ويعظهم ويأمرهم وينهاهم، ويقرّب لهم أمرهم. فسلّموا لأمره ورضوا به. وسار بكير إلى مرو خُراسان [فلقيه سليمان بن كثير وقَحْطبة وأصحابهم] ودفع إليهم كتاب إبراهيم، وأقام بين أظهرهم نحواً من شهرين، ثم عزم على الانصراف وقال لهم: ليتوجّه عدّةٌ منكم إلى إبراهيم ليلقوه وتعرّفوه أنفسكم وتخبروه بطاعتكم. فَشَخَصَ معه (من خراسان) قَحْطبة بن شبيب، ومالك بن الهيثم، وأبو سيف، وأبو حُميد الحميريّ، والأزهر بن شعيب، فأَقْبَلَ بهم حتى قدم جُرجان، فشَخَص معهم من جُرجان أبو عون وأبو بصير، فأقبلوا حتى قدموا الكوفة فبلغهم بها موت هشام بن عبد الملك واستخلاف الوليد بن يزيد وذلك في سنة١٢٥هـ فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى مضوا إلى مكة، فلقوا إبراهيم ـ الإمام ـ ودفعوا إليه مالاً كثيراً كانوا قدموا به» [ص ٢٤١] ـ وكذلك تحدثوا معه في شؤون الدعوة ووقت إظهارها (وقال لهم: كل ما هو آت قريب، وأمرهم بالانصراف فانصرفوا ـ وذلك في

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق عبد العزيز الدوري ـ ص ٢٢٠ و٢٢٤.

رمضان أو ذي الحجة سنة١٢٥هـ ـ ومضوا إلى خُراسان، فَلَمَّا قَدِموها لقوا إخوانهم فخبّروهم عن إبراهيم وفضله وفقهه فسرّوا بذلك ودعوا له» [ص ٢٤١].

وفي سنة١٢٧هـ بعث إبراهيم الإمام بثلاث رايات سوداء ـ وهي رايات الدعوة العباسية ـ مع أبي سَلَمَة الخلال إلى قادة الدعوة بخراسان وجُرجان. قال صاحب أخبار الدولة: «فَشَخَصَ أبو سَلَمة إلى خُراسان، فبدأ بجُرجان فدفع راية إلى أبي عون، وهو يومئذٍ رئيس القوم، وقد لقي الإمامين محمداً وإبراهيم، وعظم قدره في الدعوة، ثم نفذ إلى مرو فدفع إلى سليمان بن كثير الخزاعي راية سوداء، وبعث براية إلى ما وراء النهر. . وكان سليمان بن كثير صاحب أمر الدعوة بخراسان. . ونصر بن سيار يومئذٍ والي خراسان. . » [ص ٢٤٧].

وفي أواسط سنة١٢٩هـ التقى قحطبة بن شبيب الطائي بإبراهيم الإمام ثم عاد بتعليماته إلى سليمان بن كثير وأبي مسلم الخراساني والنقباء بإظهار الدعوة، فاجتمع الآلاف من الذين دخلوا في الدعوة بخراسان إلى قرية سليمان بن كثير في مرو الشاهجان وأظهروا أمرهم في شوّال سنة١٢٩هـ ثم خندقوا وعسكروا في ماخوان ـ في ذي القعدة ـ وكان نصر بن سيار القيسي عامل مروان بن محمد في مرو الرُّوذ، فكتب إلى الخليفة مروان بن محمد رسالتين ذكر فيهما أبا عون، حيث جاء في كتاب أخبار الدولة ما يلي:

«قال نصر بن سيار: قد أُطْبِقت علينا الطالقان ومرو الرُّوذ وبَلْخ وما على شط النهر وأبيورد، وهذه مرو الشاهجان قد بلغ فيها ـ أمرهم ـ ما بلغ، ثم يأتيهم من بجُرجان من أصحابهم وفيهم رجال قد رسخوا في هذا الأمر وقاموا به، وصاحبهم الذي أنغل البلاد وأفسد جُرجان وسيّر في كورخراسان وهو صاحب طاعتهم أبو عون.

وكتب نصر بن سيار إلى مروان كتاباً أُصيبت نسختُه في عدة كتب من أسرار مروان يوم قتله عامر بن إسماعيل ببوصير. وهو: أما بعد، فإن بجُرجان حيّة منطوية بين أحجار، قد أنغلت على أمير المؤمنين ما بين الريّ إلى السُّغْد وكثير من العراق، وهو أبو عون، وبكنيته يُعرف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يَخرج ـ [أو: يكتب] ـ إلى صاحب جُرجان مِن رأيه فيه ما يقطع فيه دائرة السوء ويستأصل شأفته، فعل». [ص ٢٩٣].

وبعد ذلك الكتاب ـ أو قبله ـ «كتب نصر بن سيار إلى صاحب جُرجان وإلى مَنْ بها من وجوه مُضَر، يخبرهم بمكان مَن قِبَلهم مِنْ القوم، ويسألهم حبسهم

والشدة عليهم. فَلَمَّا انتهى ذلك إلى مَنْ بها من وجوه مُضَر مشوا إلى العامل فقالوا له: ابعث إلى هؤلاء القوم فاحبسهم. فبعث العامل إليهم فحبَس منهم عدّة، فيهم: أبو عون، وعامر بن إسماعيل، وأبو إسماعيل محمد بن سعد، وسنان بن عبد اللّه، وأبو نصير» [ص ٢٩٤].

ويبدو أن عامل جُرجان ـ ابن بكر البهرانيّ ـ ما لبث أن أطلق سراح أبي عون وعامر والذين معهم، لأنهم لم يكونوا قد خرجوا وأظهروا الدعوة، ولأنّ في حبسهم استثارة لعشائرهم بجُرجان. ولذلك كتب نصر بن سيار ـ في أوائل سنة١٣٠هـ ـ إلى مروان بن محمد الرسالة التي قال فيها:

(إنّ بجُرجان حيَّة منطوية بين أحجار، قد أَنْغَلَتْ على أمير المؤمنين ما بين الريّ إلى السُغْد وكثير من العراق، وهو أبو عون، وبكنيته يُعرف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلى عامل جُرجان مِن رأيه فيه ما يقطع فيه دائرة السوء ويستأصل شأفته، فَعَلْ).

وقبل أن يكتب مروان جواباً على ذلك سيطرت الدعوة العباسية على مرو خراسان في شهر جمادى سنة١٣٠هـ وانسحب نصر بن سيار إلى نيسابور. ثم زحف جيش الدعوة العباسية بقيادة قَحْطبة بن شبيب الطائي إلى طوس ونيسابور ـ في شعبان ـ ومعه كوكبة من القادة في طليعتهم أبو عون، حيث قال الطبري: «توجّه قَحْطبة إلى طوس ومعه عدّة من القوّاد، منهم: أبو عون عبد الملك بن يزيد، ومقاتل بن حكيم العكيّ.. الخ»[1]. وقال الطبري: «فلقي قَحْطبةُ مَنْ بطوس.. وجعل على ميمنته مقاتل بن حكيم وأبا عون..»[1] فانتصر قَحْطبة على الجيش المرواني في طوس ثم دخل نيسابور وهرب منها نصر بن سيار.. ثم تقدّم قَحْطبة إلى جُرجان ومعه كوكبة من القادة بينهم أبو عون وعامر بن إسماعيل.. قال الطبري: «أَقْبَلَ قَحْطَبَةُ إلى جُرجان في ذي القعدة ومعه أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي، وخالد بن برمك، وأبو عون عبد الملك بن يزيد، وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، ومقاتل بن حكيم، وعامر بن إسماعيل..»[1] فتمت هزيمة الجيش المرواني والسيطرة على جُرجان يوم السبت ٣ ذي الحجة سنة١٣٠هـ، ثم سيطر قَحْطبة على إقليم الرّي ـ في إيران ـ في صفر سنة١٣١هـ ووجّه أبا عون إلى إقليم دَسْتَبى ـ الواقع بين الرّي وهَمَذان ـ في غرب شمال إيران.

قال صاحب أخبار الدولة: «بلغ قحطبةَ أن بِدَسْتَبى قوماً من الخوارج

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٠٤ و١٠٥ جـ ٩.

والصعاليك قد تجمعوا هناك، فوجّه إليهم أبا عون في أهل جرجان، فخرج أبو عون حتى نزل أبهر من دَسْتَبى، ثم توجّه إلى الخوارج ومن تلفّف إليهم، فدعاهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإلى الرضا من آل محمد، فلم يجيبوه، وقاتلوه فظفر بهم بعد قتالٍ شديد، وتحصّن عدة منهم حتى أمّنَهم أبو عون فخرجوا إليه، وأقام معه عدّة وافترضوا ـ [أي أصبحوا من جنوده] ـ وانصرف بقيتهم إلى أوطانهم. فكتب أبو عون إلى قَحْطبة بذلك، وكتب إليه قَحْطبة يأمره بالمقام في موضعه، وبثَّ خيوله فيما يليه، وبَسَطَ الأمان لمن أتاه، وتألّف الناس. فأقام أبو عون بمدينة أبهر نحواً من ثلاثة أشهر».

وفي شهر جمادى سنة١٣١هـ بدأت المواجهات مع الجيش المرواني في إقليم أصبهان ـ في إيران ـ وكان جيشاً كبيراً بقيادة ابن ضُبارة المرّي القيسي، فوجّه قَحْطبة الطائي ـ من مقره في إقليم الري ـ مقاتل بن حكيم العكيّ الأزدي في أربعة آلاف إلى مدينة قُمّ فرابط مقاتل بن حكيم فيها ثم أمدّه قَحْطبةُ بستة آلاف (وكان قَحْطبة قد وكَّل عامر بن إسماعيل المُسْليّ بالطرق ما بين الريّ وهَمَذان، ونزل عامر قصر تُستر، ووضع المسالح. فكتب قَحْطبة إلى عامر أن يتقدّم إلى أصبهان، وكتب إلى مقاتل العكيّ يأمره أن يوجّه إليه رجلاً في خمسمائة فارس، وكتب إلى أبي عون أن يوجّه إليه رجلاً في خمسمائة أخرى، فوجّه إليه العكيُّ المخارق ابن غفّار الطائي، ووجّه أبو عون أبا الجنيد الأعور، وتوافى المخارق وأبو الجنيد إلى عامر بن إسماعيل ـ فسار عامر ونزل قرية التيمرة بأصبهان ـ ثم كتب قَحْطبة إلى أبي عون وهو بأبهر أن يتوجّه من موضعه فيمن معه حتى ينزل قرية آبه من أصبهان ـ فسار أبو عون ونزل قرية آبه ورابط فيها ـ وكتب قَحْطبة إلى مقاتل العكيّ وعامر بن إسماعيل: إن دهمهم من عدوّهم ما لا قوة لهم به أن ينضموا إلى أبي عون ويطيعوه) [ص ٣٣٩].

واشترك أبو عون وعامر بن إسماعيل في هزيمة قوة من الجيش المرواني بالتيمرة الكبرى في أصبهان، ثم انضمّا بجنودهما إلى قَحْطبة الطائي في موقعة جابلق بأصبهان حيث تمت هزيمة الجيش المرواني وقتل أميره عامر بن ضبارة في ٢٣ رجب سنة١٣١هـ. ثم توجّه قَحْطبة إلى نهاوند وحاصرها إلى أن دخل نهاوند ـ ومعه يزيد بن حاتم وأبو عون ـ في ٥ ذي القعدة سنة١٣١هـ.

* * *

وكان أبو عون أمير الجيش الذي تقدّم إلى شهرزور بولاية الموصل في ذي الحجة سنة١٣١هـ. قال الطبري: «وجّه قَحْطبةُ أبا عون عبد الملك بن يزيد

ومالك بن طريف في أربعة آلاف إلى شهرزور، وبها عثمان بن سفيان.. فنزلا على فرسخين من شهرزور فأقاما به يوماً وليلة ثم ناهضا عثمان بن سفيان في العشرين من ذي الحجة..» [ص ٩/١١٦].

وجاء تفصيل ذلك في كتاب أخبار الدولة العباسية بعنوان (فتح شهرزور) ما يلي نصه:

«كان مروان بعث عثمان بن سفيان في نخبة خيله على طريق شهرزور، فانتهى الخبر إلى قَحْطبة بنزوله شهرزور، فوجّه أبا عون، فسار حتى نزل قلعة النُسير. ثم كتب إليه أن يقيم حتى يوافيه عامر بن إسماعيل، وكتب إلى عامر وهو بناحية الدينور يأمره بالانضمام فيمن معه - وهم ثلاثة آلاف رجل - إلى أبي عون، فسار عامر فوافى أبا عون بسن سُميرة[1]. ومضى أبو عون إلى شهرزور في طريق وعرٍ صعب، ومضى حتى نزل البحيرة التي لقيته فيها خيل مروان. وبلغ قَحْطبة أنّ مروانَ قد جمع لمن توجّه في ذلك الوجه، فكتب إلى أبي عون يأمره بالانصراف إليه، وورد عليه كتابه، وقد دنا منه عثمان بن سفيان، فَلَمَّا قرأ أبو عون كتاب قَحْطبة شاور أصحابه، فأشاروا عليه بالانصراف. وكان قد انضاف إلى عامر بن إسماعيل رجل من بني الحارث يُقال له عفّاق بن سعيد في نحو مائة رجل من قومه - كانوا بالموصل - فقال لعامر: ما الذي رأى صاحبكم من الانصراف؟ والله لئن فعلتم ليقتلنّكم الذرُّ فضلاً عن الناس، إنّي أعلمُ بالقوم منكم، إنهم قد مُلئوا منكم رعباً. فأرسل عامر إلى أبي عون بمقالة عفّاق الحارثي، فجاء أبو عون إلى عامر، واجتمع بعفّاق فسمع منه. وصبّحهم عثمان بن سفيان، وأتت أبا عون طلائعهُ فخبّرته بدنوّه منه، فخرج أبو عون، وقد تخلّف عامر لمرضه في العسكر، فأقْبَل أبو عون نحوهم، وبينه وبينهم جبل صغير، وعبّأ أبو عون من معه. فَلَمَّا اقترب منهم، إذا أصوات وتكبير من خلفه فنظر فإذا هو عامر قد أقْبَلَ، فانضمّ إليه وقد أشرف على القوم، فصار في ميمنة أبي عون. وكان أول من حمل يومئذٍ الموصلية الذين كانوا مع عامر، وحمل الناس عليهم فصبروا قليلاً ثم ولّوا فَقُتلوا عن آخرهم» [ص ٣٥٨]- وكانت موقعة شهرزور في ٢٠ ذي الحجة، قال الطبري: «.. فَقُتِل عثمان بن سفيان، وبعث أبو عون بالبشارة - إلى قحطبة - مع إسماعيل بن المتوكل، وأقام أبو عون في بلاد الموصل.. ولَمَّا بلغ مروان خبر أبي عون وهو بحرّان ارتحل مروان منها ومعه جنود الشام والجزيرة مقبلاً إلى أبي عون حتى انتهى

(١) سن سميرة: تقع على خمسة فراسخ من الدينور.

إلى الموصل ثم أخذ في حفر الخنادق من خندق إلى خندق حتى نزل الزاب الأكبر، وأقام أبو عون بشهرزور بقية ذي الحجة وشهر المحرم من سنة١٣٢هـ وفرض فيها لخمسة آلاف رجل» [ص ٩/١١٦].

وخلال ذلك انتصر قَحْطبة على ابن هبيرة أمير العراق في موقعة غرب الفرات ومات قَحْطبة في ٨ محرم ١٣٢هـ ودخل جيشه الكوفة بقيادة حميد بن قَحْطبة والحسن بن قَحْطبة في ١٣ محرم وقد سيطر عليها محمد بن خالد القسري، وتم توزير أبي سلمة الخلال حتى ظهور أبي العباس السفاح. وتوجّه حميد بن قَحْطبة في عشرة آلاف إلى المدائن فنزل بها. وبدأت المواجهة بين أبي عون ومروان في الزاب الأصغر ثم الزاب الأكبر.

* * *

قال الطبري ذكرنا: «أن أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزديّ وجّهه قَحْطبة إلى شهرزور من نهاوند فقتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل، وبلغ مروان بن محمد أن عثمان قد قُتِل فأقْبَلَ من حَرّان ثم أتى الموصل فنزل على دجلة ـ بالزاب الكبير ـ وحفر خندقاً، فسار إليه أبو عون فنزل الزاب..» [ص ٩/١٣٠].

قال صاحب أخبار الدولة: «وأتى أبا سلمة كتاب أبي عون بأنه قد أوقع بخيل لمروان وعبر الزاب الصغير وتَقَدّم نحو الزاب الكبير، فقلق أبو سَلمة وكتب إلى حُميد بن قَحْطبة أن يوجّه مِن قِبَلِه كلثوم بن شبيب الأزدي والمخارق بن غَفّار الطائي وذؤيب بن الأشعث في أصحابهم إلى أبي عون (فوجّههم إليه في أربعة آلاف) وضَرَب أبو سَلَمة البعث على من فُرِض له العطاء من أهل الكوفة (فوجههم مع إسحاق بن طلحة الكندي وكانوا ثلاثة آلاف).. وكتب أبو مسلم إلى موسى بن كعب وهو بالرّي يأمره بإمضاء أصحابه مع ابنه عيينة بن موسى إلى أبي عون، وكتب إلى عثمان بن قرطة وهو بالدينور في ألفيْ رجل وإلى محمد بن صول بنهاوند في سبعمائة، وأمضاهم إلى أبي عون». [ص ٣٧٨].

وقال الطبري: «وجّه أبو سلمة إلى أبي عون عُيينة بن موسى والمنهال بن فتات وإسحاق بن طلحة كل واحد في ثلاثة آلاف، فَلَمّا ظهر أبو العباس السفاح ـ في ربيع الثاني ١٣٢هـ ـ بعث سَلَمة بن محمد في ألفين وعبد اللّه الطائي في ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن ربعي الطائي في الفين ووداس بن فضلة في خمسمائة إلى أبي عون [ص ٩/١٣٠]» فبلغ جيش أبي عون في الزاب الكبير نحو ٣٢٠٠٠ مقاتل، وكان مع الخليفة مروان بن محمد مائة ألف وعشرين ألفاً، يقول عنهم القاضي سعدي أبو جيب:

«أما جند مروان فكانوا من أهل الجزيرة وأهل الشام ومعه بنو أميَّة، ولئن كان ولاء أهل الجزيرة لمروان فليس من المعقول أن يكون أهل الشام على مثل ذلك الولاء له.. وكان من الواجب على مروان أن يلحظ هذا وأن يختار جنده من قيس فقط وبعبارة ثانية من أهل الجزيرة.. فعندما استعد الفريقان للهجوم الكبير أمر مروان قبيلة قضاعة (اليمانية) أن تبدأ القتال فأبت، وأخذت كل قبيلة تأبى طاعة أمره وتحيله إلى قبيلة أخرى»(١).

وقبل الهجوم الكبير بعث أبو العباس السفاح عمه عبد اللَّه بن عليّ أميراً للجيش في الزاب، «فسار عبد اللَّه بن عليّ حتى قَدِم إلى أبي عون، فتحوّل له أبو عون من سرادقه.. وسار عبد اللَّه بن عليّ بالعسكر وعلى ميمنته أبو عون إلى مروان فانهزم مروان، قال الطبري: «قال مخلد بن محمد: لَمَّا انهزم مروان من الزاب كنت في عسكره، فلقيه عبد اللَّه بن عليّ فيمن معه وأبو عون وجماعة قواد منهم حُميد بن قَحْطبة فانهزم مروان.. وكانت هزيمة مروان بالزاب صبيحة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة١٣٢هـ»(٢).

وكان أبو عون القائد الفعلي لانتصار موقعة الزاب، وجاء في التراجم بكتاب الجامع ما يلي نصه:

«عبد الملك بن يزيد العتكي الأزديّ: من القادة الشجعان، قاد الجيش العباسي في موقعة الزاب فهزم الجيش الأموي وبذلك وضع نهاية الدولة الأموية على عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أُمية»(٣).

وقد فات صاحب الجامع أن يذكر أن عبد الملك بن يزيد العتكيّ الأزدي هذا هو أبو عون، وهو الذي امتدّ دوره القيادي في تأسيس الخلافة العباسية حتى اكتملت نهاية الدولة الأموية وسقط مروان بن محمد قتيلاً في مصر ثم أصبح والياً لمصر، فبعد موقعة الزاب انسحب مروان إلى الشام.

قال الطبري: «ومضى مروان حتى مرّ بدمشق، وعليها الوليد بن معاوية بن مروان ـ وهو ختن لمروان متزوج بابنة له ـ فَخَلّفه بها وقال له: قاتلهم حتى يجتمع أهل الشام. ومضى مروان إلى فلسطين.. وقَدِم عبد اللَّه بن عليّ دمشق فحاصرها وعليها الوليد بن معاوية.. فنزل عبد اللَّه بن عليّ على باب شرقي، ونزل أبو عون على باب كيسان، ونزل حُميد بن قحطبة على باب توما، وصالح بن عليّ على

(١) مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية ـ سعدي أبو جيب ـ ص ١١٦.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٣٤ جـ ٩.

(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٣٥٤.

باب الجابيه. . فحاصروا أهل دمشق والبلقاء، وتعصب الناس بالمدينة فقاتلوا بعضهم بعضاً، وقتلوا الوليد بن معاوية. .» [ص ٩/١٣٥] ـ وكان ما حدث داخل دمشق هو ثورة من اليمانية بقيادة الحارث بن عبد الرحمن الحرشي المذحجيّ بعد وصول عبد اللّه بن عليّ وأبي عون ومرابطة أبي عون عند باب كيسان. قال المسعودي: «فوثب بدمشق الحارث بن عبد الرحمن الحرشي»[١].

وذكر د. فاروق عمر في كتابه (التاريخ الإسلامي) ما يلي:

«في حصار دمشق استغاث عبد اللّه بن عليّ العباسي بالقبائل اليمنية لتتخلّى عن الأمويين قائلاً: إنكم وإخوتكم من ربيعة كنتم بخُراسان شيعتنا وأنصارنا، وأنتم دفعتم إلينا مدينة دمشق، وقتلتم الوليد بن معاوية. وأنتم منّا وبكم قوام أمرنا»[٢].

وقال الطبري: «تعصب الناس بدمشق فقاتلوا بعضهم بعضاً وقتلوا الوليد بن معاوية، ففتحوا الأبواب يوم الأربعاء لعشر مضين من رمضان سنة١٣٢هـ وكان أول من صعد سور المدينة من باب شرقي عبد اللّه الطائي» [ص ٩/١٣٥]. فدخل عبد اللّه بن عليّ وأبو عون وحُميد بن قَحْطبة والذين معهم دمشق في ١٠ رمضان ١٣٢هـ، وأقام عبد اللّه بن عليّ والذين معه بدمشق خمسة عشر يوماً ثم سار إلى الأردن، وولّى عليها حميد بن قحطبة، ثم مضى إلى فلسطين ومعه صالح بن عليّ وأبو عون وعامر بن إسماعيل، وكان مروان بمنطقة نهر أبي فُطْرُس ـ قرب يافا ـ بفلسطين، فأجفل إلى العريش ومضى إلى مصر في ذي القعدة ١٣٢هـ.

* * *

دخول أبي عون مصر وعهد ولايته لمصر:

قال المسعودي: «ولحق مروان بمصر، ونزل عبد اللّه بن علي نهر أبي فُطْرُس، وذلك يوم الأربعاء للنصف من ذي القعدة سنة١٣٢هـ، ورحل صالح بن عليّ (من نهر أبي فُطْرُس) في طلب مروان ومعه أبو عون عبد الملك بن يزيد وعامر بن إسماعيل المَذْحجيّ فلحقوه بمصر وقد نزل بُوصير»[٣].

وقال ابن خلدون: «جاء عبد اللّه بن عليّ فنزل نهر أبي فُطْرُس، ووصله هناك كتاب أبي العباس السفاح بأن يبعث صالح بن عليّ في طلب مروان، فسار صالح في ذي القعدة وعلى مقدمته أبو عون وعامر بن إسماعيل، فأجفل مروان إلى

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٢٦٤ جـ ٣.
(٢) التاريخ الإسلامي ـ فاروق عمر ـ ص ٧٦.
(٣) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٢٦١ جـ ٣.

النيل ثم إلى الصعيد، ونزل صالح الفسطاط، وتقدمت عساكره فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم وأسروا منهم، ودلوهم على مكانه ببوصير، فسار إليه أبو عون وبيّته هنالك..»[١].

وكان مروان قد نزل في قرية بوصير بالفيوم وكانت بها كنيسة اتخذها مروان مقرّاً له، وكان أبو عون في منطقة يقال لها (ذات الساحل) حين علم من الأسرى بأن مروان ببوصير، قال الطبري: «..قدم أبو عون عامر بن إسماعيل ومعه شعبة بن كثير فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم وأسروا منهم رجالاً، فأخبروهم بمكان مروان على أن يؤمّنوهم»[٢]. وعندئذٍ أقام صالح بن عليّ بذات الساحل، وسار أبو عون بالعسكر إلى موضع متقدم فرابط فيه، ووجّه عامر بن إسماعيل في قوة من العسكر إلى بوصير، فهاجم عامرُ بن إسماعيل مروان بن محمد وعسكره فانهزموا وسقط مروان قتيلاً بسيف عامر بن إسماعيل وذلك ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة١٣٢هـ.

قال الطبري: «فبعث عامر بن إسماعيل برأس مروان إلى أبي عون، فبعث بها أبو عون إلى صالح بن عليّ، وبعث صالح برأسه مع يزيد بن هانىء إلى أبي العباس يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة١٣٢هـ. ورجع صالح إلى الفسطاط، ثم انصرف إلى الشام ودفع الغنائم إلى أبي عون والسلاح والأموال والرقيق إلى الفضل بن دينار، وخَلّفَ أبا عون على مصر»[٢]. ثم ذكر الطبري أسماء الولاة في نهاية سنة١٣٢هـ حيث قال: «وكان العامل على البصرة في هذه السنة سفيان بن معاوية المهلّبيّ، وعلى فارس محمد بن الأشعث، وعلى السند منصور بن جمهور، وعلى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان عبد اللّٰه بن محمد، وعلى كور الشام عبد اللّٰه بن عليّ، وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد»[٢]. ويتبيَّن من ذلك إلى أنه بعد مقتل مروان توجه صالح بن عليّ وأبو عون من ذات الساحل إلى مدينة الفسطاط عاصمة مصر ـ يوم الاثنين ٢٩ ذي الحجة ـ فأقام أبو عون بالفسطاط والياً لمصر وانصرف صالح بن عليّ إلى أخيه عبد اللّٰه بن علي بالشام.

***

قال الحافظ ابن كثير: «ثم دخلت سنة١٣٣هـ.. وفيها توفي داود بن علي بالمدينة في ربيع الأول فَلَمّا بلغ السفاح موته استناب على الحجاز خاله زياد بن عبيد اللّٰه الحارثي، وولّى اليمن لابن خاله محمد بن يزيد بن عبيد اللّٰه، وجعل

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٥٠١.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٣٦ جـ ٩ وص ١٤٧ جـ ٩.

إمرة الشام لعميه عبد اللّه وصالح ابني عليّ، وأقرّ أبا عون على الديار المصرية نائباً»[١].

وقال الطبري: «ثم دخلت سنة ١٣٣هـ. . وفيها كتب أبو العباس إلى أبي عون بإقراره على مصر والياً عليها، وإلى عبد اللّه وصالح ابني عليّ على أجناد الشام» [ص ١٤٨/ ٩].

ويتبيَّن من ذلك عدم صواب رواية ذكرها ابن خلدون حيث قال: «جاءت الدولة العباسية فولَّى السفاح على مصر عمه صالح بن عليّ وبقيت في ولايته يستخلف عليها فاستخلف أولاً محصن بن فاني الكندي ثمانية أشهر ثم أبا عون عبد الملك بن يزيد»[٢]. والصواب أن أبا العباس السفاح ولَّى أبا عون على مصر ولم يكن خليفة لصالح بن علي، وقد سلف نص ابن كثير والطبري بتولية أبي عون، وكذلك قال ابن خلدون نفسه: «في سنة ١٣٣هـ ولَّى أبو العباس السفاح عمه عبد اللّه بن عليّ الشام، وأبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي مصر»[٣].

وكان من أنباء عهد ولاية أبي عون لمصر ما يلي:

ـ بدأت ولاية أبي عون في اليوم التالي لمقتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين في بوصير بالفيوم ـ في ٢٨ ذي الحجة ١٣٢هـ ـ وجاء في ترجمة أبي عون بكتاب الجامع أنه «وُلِّي الحكم على مصر سبع سنوات من ١٣٣ ـ ١٣٦هـ ومن ١٣٧ ـ ١٤١ هـ»[٤] ـ أي في خلافة أبي العباس السفاح (١٣٣ ـ ١٣٦هـ) ثم في خلافة أبي جعفر المنصور من سنة ١٣٧ ـ ١٤١هـ. فتكون المدة ثماني سنوات.

ـ وكان للزعامات والشخصيات اليمانية في مصر وفي عاصمتها الفسطاط دور في انضواء مصر في الخلافة العباسية، فبالرغم من أن عامل مروان على مصر كان عبد الملك بن مروان اللخمي اليماني فإن مشاعر اليمنيين في مصر لم تكن مع مروان بن محمد، وكانت غالبية الشخصيات والقادة والجند في الفسطاط من اليمانية، وكان من أبرز الشخصيات في مصر بعد الوالي، عبد اللّه بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج التُّجيبي الحضرمي، وعبد الأعلى بن سعيد الجيشاني الرُّعَيْني وهو من حجر رعين بلواء إب في اليمن، وعياش بن عُقبة بن

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٥٦ جـ ١٠.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٩٥ جـ ٤.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٥٠٣.
(٤) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٤٢٥ ـ وجاء فيه أنه (أبو عون الهنائي بالولاء) والصواب أنه أزدي من بني العتيك كما سلف التبيين.

كلب الحضرمي، جاء في ترجمتهم بكتاب الجامع ما يلي:

«عبد الأعلى بن سعيد الجيشاني الرعيني، من حُجر رُعَيْن: أول من سوَّد (أي لبس السواد شعار العباسيين ودعا إليهم) بمصر. كان ذلك سنة١٣٢هـ. وكان من أبرز رجال الدولة العباسية بمصر»[١] ـ وذلك في عهد أبي عون، وحتى وفاة عبد الأعلى سنة١٦٣هـ.

«عبد اللّٰه بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج التجيبي، المعروف بالتجيبي الأمير. كان هو وأبوه من أكابر المصريين من أعوان بني أمية في عهدهم. وهو أول من خطب في رداء أسود شعار العباسيين»[١] وقد كان والده (عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج: قاضي مصر، وأحد كبار العلماء. توفي سنة٩٥هـ» وكذلك كان عبد اللّٰه بن عبد الرحمن من القضاة العلماء في عهد أبي عون والعصر العباسي ثم أصبح والياً لمصر سنة١٥٢هـ.

«عياش بن عقبة بن كليب الحضرمي: قائد بحري، وُلّي بحر مصر لمروان بن محمد الأموي. وكان من ثقات الأمير صالح بن عليّ العباسي. وله رواية في الحديث»[١] وقد استمر عياش قائداً لبحر مصر في عهد أبي عون والعصر العباسي. وتوفي سنة١٦٠هـ.

ـ وقد استلم أبو عون عبد الملك الأزدي ولاية مصر من عبد الملك بن مروان اللخمي عامل مروان بن محمد بدون قتال، بل إن عبد الملك اللخمي لم يقاتل مع مروان عندما انسحب مروان إلى بوصير في الفيوم وسقط قتيلاً ـ في ٢٨ ذي الحجة ١٣٢هـ ـ وقد جاء في ترجمته بكتاب الجامع أنه: «. . رحل من مصر سنة١٣٣هـ بعد بروز الدولة العباسية ومقتل مروان بن محمد» [ص ٣٥٣]ـ وقد رحل إلى دمشق واستقر بها لأنه من يمانية دمشق.

ـ وكان عامر بن إسماعيل المُسْليّ المذحجيّ نائباً لأبي عون في بوصير بالفيوم وصعيد مصر منذ مقتل مروان بن محمد. وفي أوائل سنة١٣٣هـ «وجّه عامر بن إسماعيل ـ من بوصير ـ بنات مروان بن محمد وجواريه والأسارى إلى أبي عون ـ بالفسطاط ـ ووجّه أبو عون ببنات مروان إلى عبد اللّٰه بن عليّ بالشام. .» قال المسعودي «ولَمّا قَتَلَ عامرُ بن إسماعيل مروان بن محمد وأراد الكنيسة التي فيها بنات مروان ونساؤه إذا بخادم لمروان شاهر السيف يحاول الدخول عليهن، فأخذوا الخادم، فسُئل عن أمره، فقال: أمرني مروان إذا هو قُتِل أن أضرب رقاب

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٢٩٧ و٣٣٧ و٤٢٥.

بناته ونسائه»[١]. فحبسه عامر بن إسماعيل فترة ثم ـ«قال الخادم: لا تقتلوني فإنكم والله إن قتلتموني ليُفْقَدَن ميراث رسول الله ﷺ. فقالوا له: انظر ما تقول؟ قال: إن كذبت فاقتلوني، هلمّوا فاتبعوني. ففعلوا، فأخرجهم من قرية بوصير إلى موضع رمل، فقال: اكشفوا هنا، فكشفوا، فإذا البُرْد والقَضِيب ومِخْصَر قد دفنها مروان»[١] ـ وكان الخلفاء الأمويون يتداولون ذلك البُرد والقضيب والمِخْصَر الذي كان لرسول الله ﷺ، فَلَمَّا عثر عامر بن إسماعيل على البُرد والقضيب والمِخْصَر سنة١٣٣هـ بعث بذلك إلى أبي عون فبعثها أبو عون إلى عبد الله بن عليّ في الشام ليوجّهها إلى أبي العباس السفاح بالكوفة، ففعل. وقال المسعودي: «وجّه عامر بن إسماعيل بها إلى عبد الله بن عليّ، فوجّه بها عبد الله إلى أبي العباس السفاح، فتداولت ذلك خلفاء بني العباس إلى أيام الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ) فيُقال: إن البُرْد كان عليه في يوم مقتله»[١].

ـ وفي أواسط سنة١٣٣هـ وصل إلى مصر الأمير محمد بن الأشعث الخزاعي على رأس قوة عسكرية متوجهاً إلى أفريقيا (ليبيا ـ تونس) وربما أمده أبو عون أمير مصر بقوة من جند ولاية مصر، وكان قد تغلب على أفريقيا زعماء محليون منذ أيام مروان بن محمد. قال ابن خلدون: «وفي سنة١٣٣هـ بعث أبو العباس السفاح محمد بن الأشعث الخزاعي إلى أفريقيا ففتحها»[٢] وقال الطبري: «في سنة١٣٣هـ توجّه محمد بن الأشعث إلى أفريقيا فقاتلهم قتالاً شديداً حتى فتحها.. وحجّ بالناس هذه السنة زياد بن عبيد الله الحارثي ـ أمير الحجاز ـ وكان العامل على قنسرين وحمص ودمشق عبد الله بن عليّ، وعلى فلسطين صالح بن عليّ، وعلى مصر عبد الملك بن يزيد أبو عون»[٣].

وفي سنة١٣٤هـ كتب محمد بن الأشعث الخزاعي إلى أبي العباس السفاح بطاعة المتغلبين على أفريقيا، وعاد محمد بن الأشعث عن طريق مصر إلى أبي العباس. قال الطبري: «وكان على مصر سنة١٣٤هـ أبو عون». وكذلك قال الطبري: «في سنة١٣٥هـ كان على المدينة المنورة زياد بن عبيد الله الحارثي.. وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد، وعلى البلقاء وفلسطين صالح بن عليّ..»[٣] ـ وكان على الشام عبد الله بن عليّ، وعلى الجزيرة الفراتية وأرمينية أبو جعفر المنصور، وعلى فارس محمد بن الأشعث الخزاعي، وعلى خراسان أبو

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٢٦١ و٢٦٢ جـ ٣.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٥٠٧.
(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٤٨ و١٥٢ جـ ٩.

مسلم الخراساني، وكان الوالي على اليمن عليّ بن الربيع الحارثي.

ـ وفي أواسط سنة١٣٦هـ وجّه أبو العباس السفاح عمه عبد اللّه بن عليّ أمير الشام لغزو بلاد الروم، وأمر كبار الأمراء والقادة بالمسير معه في ذلك الغزو، ويبدو أن أبا عون سار من مصر للمشاركة في ذلك الغزو مع عبد اللّه بن عليّ، وأن أبا العباس أسند ولاية مصر إلى عمه صالح بن عليّ أمير فلسطين ـ حتى عودة أبي عون ـ. فقد جاء في تاريخ الطبري أنه «في سنة١٣٦هـ. . كان على مصر صالح بن عليّ». ويبدو أن ذلك هو الزمن الصحيح لما جاء في تاريخ ابن خلدون من أنه «ولّى السفاح على مصر عمه صالح بن عليّ فاستخلف عليها أولاً محصن بن فاني الكندي ثمانية أشهر ثم أبا عون عبد الملك بن يزيد». [ص ٢٩٥ جـ ٤] ـ ومؤدي ذلك عودة أبي عون إلى ولاية مصر بعد ثمانية أشهر، وذلك في الأشهر الأولى من سنة١٣٧هـ. وكان أبو العباس السفاح قد مات في ٢٣ ذي الحجة ١٣٦هـ وتولّى الخلافة أبو جعفر المنصور فانتقض عمه عبد اللّه بن عليّ ـ أخو صالح بن عليّ ـ بالشام ودعا لنفسه بالخلافة وسيطر على الشام والجزيرة الفراتية وتم القضاء على حركته في جمادى الثانية ١٣٧ هجرية.

وقد عاد أبو عون إلى مصر والياً عليها في حوالي شهر رجب سنة١٣٧هـ وجاء في رواية ابن خلدون أن صالح بن عليّ استخلف أبا عون، وقد انتقل صالح بن عليّ إلى دمشق وولّاه أبو جعفر المنصور على الشام وانتهت بذلك علاقته بمصر. وقد جاء في كتاب الجامع: أن أبا عون «وُلّي الحكم على مصر من سنة١٣٣ ـ ١٣٦ هجرية ومن سنة١٣٧ ـ ١٤١هـ».

وكانت هذه الفترة الثانية (١٣٧ ـ ١٤١هـ) في خلافة أبي جعفر المنصور حيث استقر أبو عون والياً لمصر، وجاء في تاريخ الطبري: أن موسى بن كعب تولّى مصر في تلك الفترة نفسها، وكذلك جاء في تاريخ الطبري: أن موسى بن كعب كان والياً للسند في سنة١٣٧ ـ ١٤١هـ، وغنيّ عن البيان أنه لا يمكن أن يكون والياً للسند ـ في أقصى شرق دولة الخلافة ـ ووالياً لمصر في ذات الوقت، اللهم إلا إذا كان الذي في السند (موسى بن كعب التميمي) ـ وهو كذلك وقد ذكر الطبري أنه (في سنة١٤١هـ توفي موسى بن كعب التميمي بالسند) ـ ونرى أن الذي كان بمصر هو (موسى بن كعب الخثعمي) وفي هذه الحالة لا بد أنه كان عاملاً على الخراج بمصر لأن الوالي على مصر كان أبو عون إلى سنة١٤١هـ.

ـ وفي سنة١٣٨ ـ ١٤١هـ اضطربت أفريقيا الشمالية وسيطر الخوارج الإباضية وقبيلة وربجومة البربرية على تونس وطرابلس (ليبيا). فرأى أبو جعفر المنصور أن يولّي على مصر وأفريقيا الشمالية والياً واحداً. قال ابن خلدون «. . فولّى أبو جعفر

المنصور على مصر وأفريقيا محمد بن الأشعث، فنزل مصر»[(١)]. وكان ذلك سنة١٤١هـ حيث انتهت بذلك ولاية أبي عون وموسى بن كعب. قال الطبري: «في سنة١٤١هـ عزل المنصور موسى بن كعب عن مصر وولَّاها محمد بن الأشعث»[(٢)]. وبتولية محمد بن الأشعث الخزاعي انتهت ولاية أبي عون لمصر والتي دامت ثماني سنوات من ذي الحجة ١٣٢هـ إلى أوائل سنة١٤١هـ.

* * *

أنباء أبي عون بعد انتهاء ولايته مصر إلى وفاته:

عاد أبو عون من مصر بعد انتهاء ولايته سنة١٤١هـ واستقر بمدينة البصرة ـ ذات الأغلبية الأزدية ـ وكان الوالي على البصرة سفيان بن معاوية المهلَّبيّ الأزدي سنة١٣٩ ـ ١٤٥هـ، ثم ولَّى أبو جعفر المنصور أبا عون ولاية خراسان حوالي سنة١٤٣هـ حيث ظهر نشاط الدعوة العلوية لمحمد بن عبد اللَّه بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب وامتدّ ذلك النشاط من المدينة المنورة إلى خراسان وكانت شيعة محمد بن عبد اللَّه بن حسن ينتظرون خروجه وانطلاق حركته للثورة في سائر الأقاليم، وكان المنصور قد حبس بعض أقاربه ومنهم محمد بن عبد اللَّه بن عمر وكان يشبه محمد بن عبد اللَّه بن حسن، حيث ذكر الطبري في أحداث سنة١٤٤هـ ما يلي: «كان محمد بن عبد اللَّه بن عمر محبوساً عند أبي جعفر المنصور وهو يعلم براءته حتى كتب إليه أبو عون من خُراسان: أُخْبِرُ أمير المؤمنين أن أهل خُراسان قد تقاعسوا عني وطالهم أمر محمد بن عبد اللَّه. فأمر أبو جعفر بمحمد بن عبد اللَّه بن عمر فَضُرِبَتْ عنقه وأرسل برأسه إلى خُراسان، وأقسم لهم أنه رأس محمد بن عبد اللَّه..» وقال الطبري في رواية ثانية: «مات محمد بن عبد اللَّه بن عمر في الحبس فأخذ أبو جعفر المنصور رأسه فبعث به مع جماعة من الشيعة إلى خُراسان، فطافوا في كُور خراسان [أي أقاليم خراسان] وجعلوا يحلفون باللَّه أن هذا رأس محمد بن عبد اللَّه وأن أمه فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ يُوهمون الناس أنه محمد بن عبد اللَّه بن حسن الذي كانوا [أي الشيعة] يجدون خروجه على أبي جعفر في الرواية» [ص ٢٠١ جـ ٩] وأدت تلك الخدعة إلى إجهاض الحركة المتوقعة في خراسان عندما خرج محمد بن عبد اللَّه بن حسن بالمدينة المنورة وانتهت حركته بمقتله في رمضان ١٤٥هـ قال الطبري:

«وكان عون بن أبي عون خليفة أبيه بباب أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور،

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٩٢ جـ ٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٧٧٧ جـ ٩.

فَلَمَّا قُتِل محمد بن عبد اللَّه بن حسن وجّه أبو جعفر برأسه إلى أبي عون بخُراسان مع محمد بن أبي الكرام وعون بن أبي عون، فَلَمَّا قَدِما به ارتاب أهل خُراسان وقالوا: أليس قد قُتِل مرّةً وأُوتينا برأسه، ثم تكشَّف لهم الخبر وعلموا حقيقته» [ص ١٩٩ جـ ٩].

ومكث أبو عون والياً لخراسان ثماني سنوات إذْ أنه في سنة١٥٠هـ وقعت فتنة (استاذيس) الذي أعطاه كثير من العجم وتغلب على هَرَاة ومرو الرُّوذ فحاربه عدد من القادة العرب حتى حاصروه في جبل وكان أبو عون في طخارستان. قال الطبري: «فَقدِم أبو عون من طخارسان ونزل استاذيس على حكمه، فحكم فيهم أن يُوثق استاذيس وأهل بيته بالحديد وأن يُعتق الباقون وهم ثلاثون ألفاً» [ص ٩/٢٧٨].

ثم ولّى أبو جعفر المنصور على خُراسان حُميد بن قحطبة الطائي سنة١٥١هـ فمكث حميد والياً لخراسان ثماني سنوات حتى وفاته في خلافة المهدي بن المنصور سنة١٥٩هـ. قال الطبري: «في سنة١٥٩ مات حُميد بن قحطبة وهو عامل للمهدي على خراسان، فولّى المهديّ مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد» [ص ٩/٣٢٦]ـ وبذلك تولّى أبو عون حكم خراسان مرة ثانية سنة١٥٩ ـ ١٦٠هـ وكان قد بلغ من الكبر عتياً. قال الطبري: «وفي سنة١٦٠ عُزِل أبو عون عن خُراسان عن سخطة» [ص ٩/٣٣٤]. وكان أبو عون يومئذٍ في نحو الثمانين من عمره فاستقر بمدينة البصرة ومرض بها حيث جاء في تاريخ الطبري:

«إن أبا عون عبد الملك بن يزيد مرض فعاده المهديّ، فإذا منزلٌ رثٌّ وإذا طاق صفّته التي هو فيها لِبْن وإذا مضربة ناعمة في مجلسه، فجلس المهديُّ على وسادة وجلس أبو عون بين يديه. فبرَّهُ المهديُّ وتوجّع لعلته، فقال أبو عون: أرجو عافية اللَّه يا أمير المؤمنين وألا يميتني على فراش حتى أُقْتَلَ في طاعتك ـ أو طاعته ـ وإنّي لأرجو أن لا أموت حتى أبلى اللَّه في طاعتك [أو طاعته] ما هو أهله، فإنّا قد رُوينا ورُوِينا [كذا وكذا]، فأظهر له المهديُّ رأياً جميلاً، وقال: أوصني بحاجتك وسَلني ما أردتّ واحتكم في حياتك ومماتك فواللَّه إن عجز مالك عن شيء توصي به لأحتملنّه كائناً ما كان فقُلْ وأوصِ، فشكره أبو عون وقال: يا أمير المؤمنين حاجتي أن ترضى عن عبد اللَّه بن أبي عون. . ثم انصرف المهديّ فَلَمَّا كان في الطريق قال لبعض من كان معه من ولده وأهله: ما لكم لا تكونون مثل أبي عون، واللَّهُ ما كنتُ أظنُّ منزله إلا مبنياً بالذهب والفضة، وأنتم إذا وجدتم بنَيْتم بالساج والذهب» [ص ١٧ جـ ١٠].

ومات أبو عون بالبصرة حوالي سنة١٦٢هـ الموافق ٧٨٤ ميلادية.

٢

محمد بن الأشعث الخُزاعي..
والي مصر (١٤١هـ) وأمير أفريقيا
(١٤٢ـ١٤٨هـ)

هو ثاني الولاة اليمانيين لمصر في العصر العباسي، أبو نصر محمد بن الأشعث بن عُقبة بن أهبان ـ مُكلِّمُ الذئب ـ ابن الأكوع بن عيّاد بن ربيعة بن كعب الخزاعيّ اليعربيّ القحطاني. وهو حفيد الصحابي أهبان الخُزاعي الذي كلَّم الذئب، قال الحافظ ابن حجر في ترجمته بكتاب الإصابة في تمييز الصحابة:

«أهبان بن الأكوع بن عيّاد بن ربيعة الخزاعي.. وهو الذي كلَّمه الذئب.. ذكره الطبري في الصحابة. قال: ومن ولده جعفر بن محمد بن الأشعث بن عُقبة بن أهبان بن الأكوع.. واسم الأكوع سنان..»[1]. ثم ذكره الحافظ ابن حجر مرة أخرى باسم (أهبان بن أوس) وقال «.. قال البخاري: له صُحبة.. وروى البخاري في تاريخه من طريق أنيس بن عمرو عن أهبان بن أوس أنه كان في غنم له فشدّ الذئب على شاة منها فصاح عليه فأقعى الذئب على ذنبه. قال: فخاطبني فقال: من لها يوم تشغل عنه. قال البخاري: إسناده ليس بالقوي. وأورد ابن السكن في ترجمته حديث أبي نضرة عن أبي سعيد قال: بينما راع يرعى غنماً له إذْ عدا الذئب على شاة من غنمه فحال بينه وبينها فأقعى الذئب فقال: تحولُ بيني وبين رزق ساقه اللّه إليّ. وذكر ابن الكلبي وأبو عبيد والبلاذري والطبري أن مكلّم الذئب هو أهبان بن الأكوع بن عياد»[1].

والظاهر أن الخلاف إنما هو بسبب اسم الأكوع، لأن الأكوع لقب، وقد جاء في الترجمة الأولى «أن اسم الأكوع سنان» وكذلك يمكن القول «أن اسم الأكوع أوس» وبالتالي فإن أهبان بن أوس هو أهبان بن الأكوع. وقد شهد أهبان الفتوحات واستقر بالكوفة، ومات بها في ولاية المغيرة بن شعبة للكوفة في خلافة معاوية، حوالي سنة٤٨هـ.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٧٨ جـ ١.

وكان ابنه عُقبة بن أهبان أميراً عاملاً لعمر بن الخطاب على صدقات كلب وبلقين وغسان بالشام. قال ابن حجر:

«عُقْبة بن أهبان. . ذكر الطبري أن عمر بن الخطاب استعمله على صدقات كلب وغيرها، وفي ذلك دلالة على أنه وُلد في عهد النبي ﷺ. وأبوه صحابي مشهور. وأنشد فيه ابن الكلبي لبعض الشعراء:

رحلتُ على غذافرة أمونِ إلى ابْنِ مُكلِّم الذئبِ ابن أوسٍ»[1]

وقد سكن عُقبة بن أهبان بمناطق كلب وغسان بالشام في فلسطين منذ أيام خلافة عمر بن الخطاب وولاية معاوية للشام إلى خلافة معاوية والعصر الأموي، وربما توفي حوالي سنة٨٠هـ.

وكان ابنه (محمد بن الأشعث بن عقبة بن أهبان الخزاعي) من رجالات جُند يمانية الشام في خلافة هشام بن عبد الملك وولاية خالد بن عبد اللّه القسري للعراق والمشرقين (١٠٥ ـ ١٢٠هـ) حيث توجّه إلى خُراسان فرقة من جند الشام غالبيتهم من اليمانية وفيهم كتيبة من فرسان خُزاعة اليمنيين الذين استقروا بفلسطين والشام، فدخلوا خراسان في ولاية أسد بن عبد اللّه القسري لخراسان سنة١١٧ ـ ١٢٠هـ وشهدوا معه موقعة الجوزجان وفتح بلاد خاقان سنة١١٩هـ حيث جاء في تاريخ الطبري أنه: «جعل أسدُ في ميمنة جيشه الأزد وتميم وأضاف إليهم أهل فلسطين عليهم مصعب بن عمرو الخزاعي»[2] فتأمير مصعب بن عمرو الخزاعي على الجند الذين جاؤوا من فلسطين يدل على أن غالبيتهم من خزاعة، وقد استقروا ورابطوا في الجيش العربي بخُراسان ثم انضووا في الدعوة العباسية وكان من أبرزهم محمد بن الأشعث. قال بامطرف في ترجمته بكتاب الجامع:

«محمد بن الأشعث بن عُقبة الخُزاعيّ: والٍ، من كبار القوّاد في عصر المنصور العباسي. ولاّهُ المنصور على مصر سنة١٤١هـ ثم أمره باستنقاذ أفريقيا من بعض المتغلبة. .»[3].

وأقول: بل كان محمد بن الأشعث من كبار القواد والأمراء قبل عهد المنصور، وهو من كبار القادة المؤسسين للخلافة العباسية.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٨٠ جـ ٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٣٧ جـ ٨.

(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٤٩٧.

أنباء محمد بن الأشعث قبل أن يتولّى مصر:

لقد كان محمد بن الأشعث من قادة الجيش العربي المرابط في خُراسان وانضوى في الدعوة العباسية على يد سليمان بن كثير الخزاعي ومالك بن الهيثم الخزاعي، وكان سليمان ومالك من النقباء الاثني عشر للدعوة العباسية، وتم تسمية واختيار عشرين رجلاً نظراء للنقباء وكانوا من القادة العسكريين ومنهم محمد بن الأشعث. قال صاحب أخبار الدولة: «وهذه تسمية العشرين وهم نظراء النقباء: أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي، مقاتل بن حكيم العكيّ، خازم بن خزيمة التميمي، أبو مالك أُسيد بن عبد اللّه الخزاعي، محمد بن الأشعث الخزاعي، أبو الجهم بن عطية، الفضل بن سليمان الطوسي الطائي.. محمد بن سليمان بن كثير، أُمية بن أعين الخزاعي، عمرو بن الأشعث البارقي، العلاء بن حُريث الخزاعي.. إلخ»[1].

وفي شوّال سنة١٢٩هـ تم إظهار الدعوة العباسية في مرو خراسان وجعلوا أبا مسلم الخراساني بمثابة الأمير ومعه النقباء لا يقطع أمراً إلا بمشورتهم وعلى رأسهم سليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء «.. وقال سليمان بن كثير: ننتخب رجلاً يقوم بأمر عسكرنا يذبّ عنه ويحكم بين أهله، فقبلوا ذلك منه واتفقوا عليه، فولّوا أبا نصر مالك بن الهيثم الخزاعي أمر العسكر كهيئة صاحب الشُّرطة، وجعلوا نصر بن مالك خليفته يسير بين يدي أبي مسلم إذا ركب»[1] فتولّى مالك بن الهيثم قيادة العسكر إلى أن هزموا عامل خراسان وسيطروا عليها سنة١٣٠هـ ثم انطلق قَحْطبة بن شبيب الطائي بجيش الدعوة العباسية إلى أقاليم شمال إيران. قال الطبري: «ووجّه أبو مسلم محمد بن الأشعث إلى الطّبَسَيْن وفارس»[2] فسار محمد بن الأشعث بكتيبة من الفرسان حتى دخل الطّبَسَيْن، قال البلاذري: «..وهُما حصنان يُقال لأحدهما طبس وللآخر كرين، وهما بابا خراسان»[3]. وذلك من جهة إقليم كرمان في شرق جنوب إيران، حيث يتصل رستاق الطّبَسَيْن بإقليم كرمان الذي يرتبط بإقليم فارس ـ في جنوب إيران ـ وكان بكرمان وفارس يومئذٍ جيش مرواني كبير بقيادة الأمير عامر بن ضُبارة المرّي القيسي «فكتب ابن هبيرة ـ أمير العراق ـ إلى عامر بن ضُبارة يأمره بالمسير لقتال قَحْطبة، ووجّه معه ابنه داود، فسارا من كرمان في خمسين ألفاً حتى نزلا مدينة أصبهان» ـ وذلك في

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ١١٩ وص ٢٧٩.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٠٤ جـ ٩ وص ١٤٧ جـ ٩.
(٣) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٣٩٤.

صفر سنة١٣١هـ ـ فهزمهم قَحْطبة في موقعة جابلق بأصبهان في رجب سنة١٣١هـ، وعندئذٍ تقدّم محمد بن الأشعث الخزاعي من الطَّبَسَيْن وسيطر على كرمان وإقليم فارس بينما تقدم قَحْطبة الطائي إلى نهاوند واستولى عليها في ذي القعدة سنة١٣١هـ ومكث محمد بن الأشعث أميراً على إقليم فارس (جنوبي إيران). قال الطبري: «في سنة١٣٢هـ وجّه أبو مسلم محمد بن الأشعث عاملاً على فارس»[1]. بينما تقدم ذكر أن محمد بن الأشعث كان بفارس منذ سنة١٣١هـ. وبالتالي فقد أصبح عاملاً على بلاد فارس عند انضواء العراق في الخلافة العباسية وظهور ومبايعة أبي العباس السفاح بالخلافة في شهر ربيع الثاني سنة١٣٢هـ حيث كتب أبو العباس إلى سفيان بن معاوية المهلّبيّ في البصرة بولايته عليها، ولا بد أنه أقرّ محمد بن الأشعث على ولاية فارس. قال الطبري: «في سنة١٣٢هـ كان ـ الوالي ـ على البصرة سفيان بن معاوية المهلّبي، وعلى فارس محمد بن الأشعث الخزاعي، وعلى السند منصور بن جمهور ـ الكلبي ـ، وعلى الشام عبد اللّه بن عليّ، وعلى مصر عبد الملك بن يزيد أبو عون، وعلى خُراسان أبو مسلم»[1]. فكان محمد بن الأشعث أول أمير لبلاد فارس في العصر العباسي ومؤسس العصر العباسي ببلاد فارس.

وكان محمد بن الأشعث أميراً قائداً شجاعاً. قال ابن خلدون: «لَمَّا استقام الأمر لأبي العباس السفاح.. ولّى عمه إسماعيل بن عليّ على الأهواز.. وولّى عمه عيسى بن عليّ على فارس، وعليها محمد بن الأشعث، فَلَمَّا قَدِم عليه عيسى همّ محمد بن الأشعث بقتله..»[2]. وقال الطبريّ: «وجّه أبو العباس عمه عيسى بن عليّ ـ والياً ـ على فارس وعليها محمد بن الأشعث فهمّ به، فقيل له: إن هذا لا يسوغ لك.. ثم ارتدع عن ذلك لِمَا تخوّف من عاقبته، فاستحلف عيسى بالأيمان المحرجة أن لا يعلو منبراً ولا يتقلد سيفاً إلا في جهاد. فلم يَلِ عيسى بعد ذلك عملاً ولا تقلد سيفاً إلا في غزو» [ص ١٤٧/ ٩].

وقال ابن خلدون: «.. همّ محمد بن الأشعث بقتل عيسى.. ثم أقصر عن قتله واستحلفه بأيمان لا مخارج لها أن لا يعلو منبراً ما عاش ولا يتقلد سيفاً إلا في جهاد، فوفى عيسى بذلك بقية عمره»[2] وجاء في نهاية الرواية أنه: «واستعمل أبو العباس بعده على فارس عمه إسماعيل بن علي». بينما ذكر الطبري نفسه أسماء الولاة في نهاية سنة١٣٢هـ فقال: «كان على فارس محمد بن الأشعث» وهذا يعني

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٠٤ جـ ٩ وص ١٤٧ جـ ٩.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٥٠٣.

أن أبا العباس ربما قام بربط ولاية فارس بعمه إسماعيل أمير الأهواز مع استمرار محمد بن الأشعث أميراً لبلاد فارس.

وفي أواسط سنة١٣٣هـ قاد الأمير محمد بن الأشعث حملة عسكرية عباسية إلى أفريقيا الشمالية (طرابلس ـ تونس) وكانت بيد بعض المتغلبين عليها وأبرزهم عبد الرحمن بن حبيب الفهري. قال ابن خلدون: «في سنة١٣٣هـ. بعث أبو العباس السفاح محمد بن الأشعث إلى أفريقيا ففتحها». وقال الطبري: «وفيها ـ سنة١٣٣هـ ـ توجّه محمد بن الأشعث إلى أفريقيا فقاتلهم قتالاً شديداً حتى فتحها» [ص ١٤٨/٩] ـ وقد أذعن المتغلبون للطاعة وكتب عبد الرحمن بن حبيب الفهري إلى أبي العباس بطاعته، فعاد محمد بن الأشعث إلى أبي العباس ثم إلى ولاية فارس. قال الطبري: «وفي سنة١٣٣هـ كان ـ الوالي ـ على الأهواز إسماعيل بن عليّ، وعلى فارس محمد بن الأشعث، وعلى السند منصور بن جمهور.. وعلى المدينة ومكة زياد بن عبيد اللّه الحارثي.. وعلى الشام عبد اللّه بن عليّ، وعلى مصر عبد الملك بن يزيد أبو عون» [ص ١٤٨/٩] ـ وكذلك سنة١٣٥هـ. ثم مات أبو العباس السفاح في ذي الحجة ١٣٦هـ وتولّى الخلافة أبو جعفر المنصور فمكث محمد بن الأشعث أميراً لإقليم فارس إلى أن وجّهه المنصور إلى إقليم الرّيّ ـ شمال إيران ـ حيث تمرّد القائد جَهْور العجلي.

قال الطبري: «في سنة١٣٨هـ خلع جَهْور بن مرار العجليّ أبا جعفر المنصور، فوجّه المنصور إليه محمد بن الأشعث في جيش عظيم، فلقيه محمد فاقتتلوا قتالاً شديداً، ومع جَهْور نخب فرسان العجم زيادود لاستاخنج، فَهُزم جهور وأصحابه وقُتِل من أصحابه خلق كثير، وأُسر زيادود لاستاخنج، وهرب جهور فلحق بأذربيجان، فأُخذ بعد ذلك ـ أسيراً ـ باسباذرُو فَقُتل». [ص ١٧٠/٩] ـ ومكث محمد بن الأشعث أميراً قائداً بإقليم الرَّيّ.

وفي سنة١٣٨ ـ ١٤١هـ تغلبت الخوارج الإِباضية وقبيلة وربجومة البربرية على أفريقيا الشمالية، وكان الوالي على مصر أبو عون ومعه موسى بن كعب، فبعث أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث والياً على مصر وأفريقيا.

* * *

ولاية محمد بن الأشعث لمصر وأفريقيا الشمالية:

قال ابن خلدون: «كان أبو جعفر المنصور لَمَّا وقع بأفريقيا ما وقع من الفتنة ومَلَكَت قبائل وربجومة القيروان، وفَدَ عليه رجالات من جُند أفريقيا يشكون ما نزل

بهم ويستصرخونه، فولَّى على مصر وأفريقيا محمد بن الأشعث»[(١)].

وجاء في رواية الطبري أنه «في سنة١٤١هـ عُزِل موسى بن كعب عن مصر ووليِّها محمد بن الأشعث» [ص ١٧٧ جـ ٩] وجاء في ترجمته بكتاب الجامع: «محمد بن الأشعث بن عُقبة الخزاعي: والٍ، من كبار القوّاد في عصر المنصور العباسي، ولَّاه المنصور مصر سنة١٤١هـ ثم أمره باستنقاذ أفريقيا من بعض المتغلبة..» [ص ٤٩٧]، والأصوب كما ذكر ابن خلدون:

«إن أبا جعفر المنصور لَمَّا وقع بأفريقيا ما وقع من الفتنة ومَلَكت قبائل وربجومة القيروان، وَفَدَ عليه رجالات من جند أفريقيا يشكون ما نزل بهم ويستصرخونه، فولَّى على مصر وأفريقيا محمد بن الأشعث، فنزل مصر»[(١)].

لقد انطلق محمد بن الأشعث إلى مصر ـ على رأس نحو عشرين ألفاً من الفرسان العرب ـ حيث «نزل مصر» والمقصود (الفسطاط) عاصمة مصر، فَسَلّم أبو عون وموسى بن كعب مقاليد الولاية لمحمد بن الأشعث فاستقر محمد بدار الإمارة بالفسطاط والياً لمصر وأفريقيا معاً ـ سنة١٤١هـ ـ فكان أول من جُمعت له ولاية مصر وأفريقيا في العصر العباسي، ثم بعث محمد بن الأشعث فرقة عسكرية إلى طرابلس (ليبيا) بقيادة أبي الأحوص العجليّ، فسار إليه من القيروان أبو الخطاب عبد الأعلى أمير الخوارج الإباضية فلقيه بمنطقة سرت ـ في ليبيا ـ فتقاتلوا، فَقُتل عمرو بن الأحوص وانهزم الجيش الذي معه، وعاد من نجا منهم إلى مصر، وذلك في أواخر سنة١٤١هـ.

وقد أدى ذلك إلى انتهاء ولاية محمد بن الأشعث لمصر سنة١٤٢هـ حيث جاء في تاريخ الطبري أنه «..في سنة١٤٢هـ ـ عُزِل محمد بن الأشعث عن مصر ووليها نوفل بن الفرات ثم عُزل نوفل ووليِّها حُميد بن قَحْطبة» [ص ٩/١٧٩].

وقد اقترن عزل محمد بن الأشعث عن مصر بتوليته على أفريقيا الشمالية ومسيره لقتال الخوارج المتغلبين عليها والذين كان أميرهم أبو الخطاب عبد الأعلى الإباضي حيث كما جاء في كتاب الجامع «سار محمد بن الأشعث في أربعين أو خمسين ألفاً سنة١٤٢هـ فقتل أبا الخطاب سنة١٤٤هـ ودخل القيروان». [ص ٤٩٧] ـ وقال ابن خلدون «لقي محمد بن الأشعث أبا الخطاب بسرت فانهزم أبو الخطاب وقُتل عامة أصحابه وذلك سنة١٤٤هـ. وقام ابن الأشعث بأمر أفريقيا

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٩٢ جـ ٤.

وضَبَطها . .»[ص ١٩٢/٤] ـ ومكث محمد بن الأشعث إلى سنة١٤٨هـ والياً لأفريقيا الشمالية.

وفي سنة١٤٨هـ وقع اضطراب في القيروان فَقَفَل محمد بن الأشعث إلى المشرق وتولّاها نائبه الأغلب بن سالم فولّاه المنصور عليها. وأقام محمد بن الأشعث بفلسطين وكان ابنه نصر بن محمد بن الأشعث أميراً لفلسطين.

واختتم محمد بن الأشعث حياته بالمسير لجهاد الروم في تركيا سنة١٤٩هـ. قال البلاذري: «في سنة١٤٩هـ سار أبو جعفر المنصور من بغداد إلى الموصل ثم أغزى منها الحسن بن قحطبة الطائي وبعده محمد بن الأشعث الخزاعي، وجعل عليهما العباس بن محمد وأمره أن يغزو بهم كمخ [في تركيا] فساروا، فمات محمد بن الأشعث بآمد»(١). وكان موت محمد بن الأشعث سنة١٤٩هـ الموافق ٧٦٦ ميلادية.

وكان ابنه نصر بن محمد بن الأشعث أميراً لفلسطين إلى خلافة المهدي سنة١٦١هـ. قال الطبري: «وفي سنة١٦١هـ ظفر نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين بعبد الله بن مروان فَقَدِم به على المهدي قبل أن يوليه على السند.. وفي سنة١٦١هـ ولّى المهدي نصر بن محمد بن الأشعث السند فشَخَصَ إليها.. وفي سنة١٦٤هـ توفي نصر بن محمد بن الأشعث بالسند» ثم كان جعفر بن محمد بن الأشعث من كبار الأمراء، ولّاه هارون الرشيد على خراسان سنة١٧١ ـ ١٧٣هـ ثم ولّى الرشيد على خراسان العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث سنة١٧٣ ـ ١٧٥هـ ولم يزل من كبار الأمراء حتى وفاته بعد ١٩٣هـ ثم كان عقبة بن محمد بن الأشعث والياً للموصل في خلافة المستعين سنة٢٥٣هـ وهو آخر الولاة من ذلك البيت اليماني الكريم.

---

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ١٨٨.

٣

حُمَيْد بن قَحْطَبَة الطائي.. والي مصر

(١٤٢ ـ ١٤٣هـ)

هو ثالث الولاة اليمنيين لمصر في العصر العباسي، الأمير حُميد بن قَحْطَبة بن شبيب بن خالد بن معدان النبهاني الطائي.

جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «حُمَيْد بن قَحْطَبة بن شبيب الطائي: أمير. من القادة الشجعان. وُلّي إمرة مصر سنة١٤٣هـ، ثم إمرة الجزيرة. ووُجِّه لغزو أرمينية سنة١٤٨هـ ولغزو كابول سنة١٥٢هـ ثم جُعل أميراً على خراسان»[1].

إن ولاية حميد بن قَحْطَبة لمصر سنة١٤٢ ـ ١٤٣هـ هي مرحلة قصيرة من مراحل تاريخه المجيد منذ تأسيس الخلافة العباسية، فهو من كبار القادة والأمراء اليمانيين الذين أسسوا الخلافة العباسية وقادوا انتصاراتها. قال د. فاروق عمر: «إن الأحداث الفاصلة التي وقعت في القرن الثاني الهجري تشهد على الأهمية الكبرى والدور الفاصل الذي قام به العرب.. ولذلك كان قادة الجيش ـ العباسي ـ من العرب، وفيما عدا المناصب العسكرية احتل العرب المناصب الإدارية والسياسية الحساسة

الولايات التي تولاّها حُميد بن قَحْطبة

- تولّى حُميد بن قَحْطبة الطائي قيادة منطقة المدائن بالعراق سنة١٣١هـ وكان من كبار قادة الجيش العباسي في دخول دمشق والجزيرة الفراتية سنة١٣٢هـ وتولى إقليم نهر الأردن بالشام.
- وفي سنة١٣٧ ـ ١٤٠هـ كان حُميد بن قَحْطَبة والياً للجزيرة الفراتية.
- وفي سنة١٤٢هـ وُلّي حُميد بن قَحْطَبة مصر ومكث والياً لمصر إلى ذي القعدة سنة١٤٣هـ.
- وتولّى قيادة الجيش العباسي في القضاء على حركة محمد بن عبد اللّه بن حسن العلوي وأخيه إبراهيم بالحجاز والبصرة سنة١٤٥هـ. ثم كان أميراً في الجزيرة الفراتية وثغور أرمينية إلى سنة١٥٠هـ.
- ثم وُلّي حُميد بن قَحْطبة خراسان وآسيا الوسطى سنة١٥١هـ حتى وفاته سنة١٥٩هـ.

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٨٥.

والعالية، وتحفل المصادر بأسماء الولاة العرب الذين أثبتوا كفاية عالية في الإدارة مثل آل قَحْطَبة وآل المهلَّب. .»[١] وهذا التنويه بآل قَحْطَبة يجعل من المفيد عدم الاقتصار على ذكر أن حميد بن قَحْطبة تولّى مصر.

أنباء حميد بن قَحْطبة قبل ولايته لمصر:

لقد كان حُميد بن قَحْطَبة مقيماً بخراسان مع أبيه القائد قَحْطَبة بن شبيب الطائي وأخيه الحسن بن قَحْطبة عند ظهور الدعوة العباسية، فكان قَحْطبة من أبرز النقباء الاثني عشر للدعوة العباسية في خراسان والذين تم اختيارهم وتسميتهم سنة١٢٢هـ حيث جاء في كتاب أخبار الدولة: «. .فأجمعوا على اختيار الاثني عشر وهُم: أبو عبد الحميد قَحْطَبة بن شبيب الطائي من بني نبهان، أبو النجم عمران بن إسماعيل، أبو محمد سليمان بن كثير الخُزاعي، أبو نصر مالك بن الهيثم الخزاعي. . إلخ»[٢]. وقد تم اختيارهم من بين السبعين الذين كانوا قد دخلوا في الدعوة العباسية ثم اختاروا نظراء النقباء والدعاة القادة في الإقاليم. قال صاحب أخبار الدولة: «تسمية نظراء النقباء بعضهم من السبعين وهم: خازم بن خزيمة، محمد بن الأشعث، محمد بن سليمان بن كثير، حُميد بن قَحْطَبة، الحسن بن قَحْطبة. . إلخ»[٢]. فكان حميد بن قَحْطبة وأخوه الحسن من نظراء النقباء القادة.

وفي شوّال ١٢٩هـ تم إظهار الدعوة العباسية بخراسان حيث كما قال د. فاروق عمر: «. . أُعْلِنَتِ الثورة من قِبَل سليمان الخزاعي بعد أن وصله الأمر بذلك من إبراهيم الإمام وبواسطة قَحْطَبة بن شبيب الطائي. . ونجحت الثورة العباسية في السيطرة على خراسان ـ سنة١٣٠هـ ـ وتقدمت جيوش العباسيين نحو العراق بقيادة قَحْطَبة بن شبيب الطائي»[٣].

وقد سلف ذكر الدور القيادي الكبير لقَحْطَبة بن شبيب الطائي في الانتصار على الجيوش المروانية بأقاليم إيران وكان معه الحسن بن قَحْطَبة بينما كان حُميد مرابطاً في بعض ثغور خراسان، قال صاحب أخبار الدولة: «وشَخَصَ قَحْطَبة من أصبهان إلى نهاوند في آخر شعبان سنة١٣١هـ وقد حاصرها الحسن قبل قدوم أبيه نحواً من خمسين ليلة، فَلَمَّا قَدِمها قَحْطبةُ، وجّه الحسن فيمن معه إلى قرماسين، وأمره أن يقيم بها، ويفرّق مسالحه ويحتفظ بالطرق ويبذرق القوافل، وأقام قَحْطَبة

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٧٦.
(٢) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق عبد العزيز الدوري ـ ص ٢١٣ و٢٢٢.
(٣) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٣.

محاصراً لأهل نهاوند»[١]. وأثناء ذلك ـ في رمضان وشوّال ـ «أقْبَلَ القوّاد من خراسان إلى قَحْطَبة، ثمانية عشر قائداً في نحوٍ من خمسة عشر ألفاً، فيهم حُميد بن قَحْطَبة في ثلاثة آلاف رجل، فَلَمَّا قَدِم حُميد على أبيه ولّاهُ المقدمة على الحسن، فاستعفى حميد لمكان الحسن، فأعفاه، وولّاهُ على الساقة»[١]. فكان حُميد على ساقة جيش أبيه عندما سيطر على نهاوند في ٥ ذي القعدة سنة١٣١هـ وعندما دخل إقليم حُلوان بالعراق في ذي الحجة سنة١٣١هـ حتى انتصر قَحْطَبة على ابن هبيرة عامل مروان على العراق في موقعة الفرات بالقرب من الكوفة في ٨ محرم ١٣٢هـ ومات قَحْطَبة في ذلك اليوم. قال صاحب أخبار الدولة:

«واشتدّ حزن أصحاب قَحْطَبة عليه، وخافوا دخول الوهن عليهم بهلاكه، فاجتمع القوم، فتناظروا في أمرهم، فأجمعوا على الرضا بحُميد بن قَحْطَبة، فبايعوه وسلموا له الأمر. وقدم الحسن بن قَحْطَبة إلى الكوفة في الجنود.. وأقبل حُميد بن قَحْطَبة يسير بالناس حتى نزل دير الأعور ـ [بظاهر الكوفة] ـ ثم دخل العباسية ـ [بظاهر الكوفة] ـ فنزلها يوم الجمعة، يوم عاشوراء ـ ١٠ محرم ١٣٢هـ ـ وصلّى بالناس بالكوفة يومئذٍ محمد بن خالد القسري.. وأرسل أبو سلمة الخلال إلى حُميد بن قَحْطَبة ـ وهو بالعباسية ـ أن يدخل الكوفة بأحسن هيئة، وأن يُظهروا زينتهم ويُشهروا سلاحهم وأعلامهم وقوتهم، ففعل، وعبَّأ الجُند، ووجّههم كراديس حتى توافوا بنهر بني سليم ـ [داخل الكوفة] ـ وأرسل أبو سلمة إلى محمد بن خالد فيما يأمره به. وبعث حُميد إلى أبي سلمة جماعة من القوّاد فيهم مقاتل بن حكيم العكيّ في ألف رجل، وخازم في ألف رجل، وبسّام في ألف رجل» [ص ٣٧١ ـ ٣٧٣] ـ وكان على رأسهم الحسن بن قَحْطَبة، فأتوا أبا سلمة وهو في داره، فخرج إليهم وسار معهم إلى المعسكر، فاستقبله حُميد بن قَحْطَبة والقوّاد، وبايعوه وزيراً للخليفة العباسي ـ وكان قَحْطَبة أوصاهم بذلك قبل موته ـ فولوا أبا سلمة الأمر حتى الظهور العلني للخليفة وسمّوه (وزير آل محمد)، وبدأ بذلك عصر الخلافة العباسية بالعراق ومشارقها، وكان أبو سلمة يُمثل الخليفة.

وولّى أبو سلمة محمد بن خالد القسري على الكوفة، ووجّه وولّى الحسن بن قَحْطَبة أميراً قائداً لمحور واسط إلى البصرة ـ جنوب شرق العراق ـ وحُميد بن قَحْطَبة أميراً قائداً لمحور المدائن إلى تخوم الموصل ـ شمال العراق ـ وعن ذلك:

قال الطبري: «وجّه أبو سلمة الحسن بن قَحْطَبة إلى ابن هبيرة بواسط وضمّ

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٣٥١.

إليه قوّاداً منهم خازم بن خزيمة، ومقاتل بن حكيم العكّي، وخفاف بن منصور، وسعيد بن عمرو، وزياد بن مشكان، والفضل بن سليمان الطائي، وعبد الكريم بن مسلم، وعثمان بن نهيك العكيّ، وزهير بن محمد، والهيثم بن زياد، وأبو خالد المروزي، وغيرهم، ستة عشر قائداً، وعلى جميعهم الحسن بن قَحْطَبة. ووجّه أبو سلمة حُميد بن قَحْطَبة إلى المدائن في قوّاد منهم عبد الرحمن بن نعيم (الغامدي) ومسعود بن علاج، كل قائد في أصحابه» [ص ٩/١٢١] - وقال صاحب أخبار الدولة -: ووجّه أبو سَلَمَة حُميد بن قَحْطَبة إلى المدائن في عشرة من القوّاد، وأمره أن يفرض لمن أتاه من أهل العراق، وأمضاه على شط الفرات إلى الجزيرة، فنفذ حُميد إلى المدائن. وأنفذ مالك بن طرّاف في خمسة آلاف رجل إلى هيت، فكان يكتب إلى حُميد بأخبار الجزيرة وما يأتيه عن مروان. وأتاه عدّة من وجوه كلب بطاعتهم فأنفذهم إلى أبي سَلَمة، فكانوا أول من سوّد من أهل الشام.. وأتى أبا سَلَمَة كتاب أبي عون قد أوقع بخيل لمروان، وعبر الزاب الصغير وتقدم نحو الزاب الكبير، فكتب إلى حُميد أن يوجّه من قِبَله كلثوم بن شبيب الأزدي والمخارق بن غفار الطائي وذويب بن الأشعث في أصحابهم إلى أبي عون. ففعل» [ص ٣٧٨].

وفي شهر جمادى سنة١٣٢هـ وجّه أبو العباس السفاح عمه عبد اللّه بن عليّ أميراً على الجيش العباسي في الزاب فسار ومعه حُميد بن قَحْطَبة وجماعة من القوّاد، فتولّى عبد اللّه بن علي القيادة العامة وأبو عون قيادة الميمنة وتم هزيمة مروان بن محمد وجيشه في الزاب. قال الطبري «قال مخلد بن محمد: لَمَّا انهزم مروان من الزاب كنت في عسكره، فلقيه عبد اللّه بن عليّ فيمن معه وأبو عون وجماعة قوّاد منهم حُميد بن قَحْطَبة، فهُزم مروان..»[1].

قال الطبري: «وقَدِم عبد اللّه بن علي دمشق فحاصرها وعليها الوليد بن معاوية - عامل مروان - فنزل عبد اللّه بن عليّ على باب شرقي، وأبو عون على باب كيسان، وحُميد بن قَحْطَبة على باب توما، وصالح بن عليّ على باب الجابية.. (وهي أبواب دمشق) وتعصب الناس بدمشق فقاتلوا بعضهم بعضاً وقتلوا الوليد بن معاوية -[قتله اليمانية] - ففتحوا الأبواب يوم الأربعاء لعشر مضين من رمضان سنة١٣٢هـ وكان أول من صعد سور المدينة عبد اللّه الطائي»[1]. ودخل عبد اللّه بن عليّ ومعه أبو عون وحُميد بن قَحْطَبة وصالح بن عليّ وكبار القادة دمشق وانضوت دمشق في الخلافة العباسية.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك - الطبري - ص ١٣٤ و١٣٥ جـ ٩.

وكان الشام ينقسم إدارياً إلى أربعة أقسام إدارية يُقال لها أجناد وهي: جُند دمشق، وجند حمص مع قنسرين، وجُند الأردن، وجُند فلسطين، وكان عامل مروان بن محمد على دمشق الوليد بن معاوية الأموي، وعلى الأردن ـ وعاصمتها طبرية ـ ثعلبة بن سلامة العاملي القضاعي اليماني، وعلى فلسطين ـ وعاصمتها الرملة ـ عبد العزيز بن الرحامس الكناني القيسي. وكان مروان بن محمد قد أمر الوليد بن معاوية بالتصدي للجيش العباسي في دمشق وسار قاصداً إقليم نهر الأردن وفلسطين. قال الطبري: «مرَّ مروان بالأردن فَشَخص معه ثعلبة بن سلامة العاملي وكان عامله عليها، وتركها ليس عليها والٍ حتى قَدِم عبد اللّه بن عليّ فولّى عليها». وقال: «سار عبد اللّه بن علي من دمشق ـ في أواخر رمضان ـ يريد فلسطين فنزل نهر الكسوة ثم ارتحل إلى الأردن فأتوه وقد سوّدوا» [ص ٩/١٣٥].

ولم يذكر الطبري اسم الأمير الذي ولّاه عبد اللّه بن عليّ الأردن، إلا أنه ذكر في واقعة لاحقة أنه: «كتب عبد اللّه بن عليّ إلى حُميد بن قَحْطَبة، فقَدِم عليه من الأردن» [ص ٩/١٣٩]. ويتبيَّن من ذلك أن الذي تولّى الأردن هو حُميد بن قَحْطَبة وهو أول أمير لمنطقة الأردن في العصر العباسي. وكان مروان بن محمد لَمّا سار من الأردن إلى فلسطين ثار وتغلب على فلسطين ابن ضبعان الجُذامي اليماني فنزل مروان منطقة نهر أبي فُطْرُس. فَلَمَّا قَدِم عبد اللّه بن عليّ الأردن ولّى عليها حُميد بن قَحْطَبة ـ في شوال ١٣٢هـ ـ ومضى عبد اللّه بن عليّ إلى نهر أبي فُطْرُس فأجفل مروان إلى العريش ورحل إلى مصر، وأقام عبد اللّه بنهر أبي فُطْرس، وحُميد بن قَحْطَبة أمير بالأردن، وتوجه صالح بن عليّ وأبو عون وعامر بن إسماعيل إلى مصر في منتصف ذي القعدة ١٣٢هـ في طلب مروان بن محمد.

آنذاك ـ في أواسط ذي القعدة ـ اندلعت في قنسرين حركة أموية بقيادة أبي الورد مجزأة بن الكوثر وهو من قوّاد مروان وكان قد أظهر الطاعة والمبايعة لأبي العباس وأقام بقنسرين ثم «خلع أبو الورد أبا العباس بقنسرين ودعا أهل قنسرين إلى ذلك فأجابوه»، وكثر جمعهم وبايعوا لأبي محمد السفياني. قال الطبري: «وكتب أبو العباس إلى عبد اللّه بن عليّ وهو بفُطْرُس أن يُقاتل أبا الورد. ثم وجّه [عبد اللّه بن عليّ من دمشق] عبد الصمد بن عليّ إلى قنسرين في سبعة آلاف، ثم وجّه بعده ذؤيب بن الأشعث في خمسة آلاف، فلقي عبد الصمد أبا الورد في جمع كثير، فانهزم عبد الصمد والذين معه حتى أتوا حمص. ثم خرج عبد اللّه بن عليّ متوجهاً نحو حمص وقنسرين، واستخلف بدمشق أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي.. وكتب عبد اللّه بن عليّ إلى حُميد بن قَحْطَبة، فَقَدِم عليه من الأردن .

وسار عبد اللّٰه بن عليّ فنزل على أربعة أميال من حمص» ـ وكان أبو محمد السفياني بمرج الأخرم في أربعين ألفاً ـ حيث كما جاء في تاريخ الطبري: «أقْبَلَ عبد اللّٰه بن عليّ ومعه عبد الصمد وحُميد بن قَحْطَبة، فالتقوا ـ بأبي محمد السفياني ـ فاقتتلوا قتالاً شديداً، واضطرهم أبو محمد إلى شِعب ضيق فجعل الناس يتفرقون. فقال حُميد بن قَحْطَبة لعبد اللّٰه بن عليّ: على ما نُقيم، هم يزيدون ونحن ننقص، ناجزهم. فاقتتلوا يوم الثلاثاء آخر ذي الحجة، وثبت لهم عبد اللّٰه وحُميد بن قَحْطَبة فهزموهم. وثبت أبو الورد في نحو خمسمائة فقتلوا جميعاً، وهرب أبو محمد السفياني. وأمّنَ عبد اللّٰه بن عليّ أهل قنسرين وسوّدوا وبايعوا، ثم انصرف إلى دمشق» [ص ٩/١٣٩] وكذلك عاد حُميد بن قَحْطَبة إلى الأردن ومكث أميراً عليها في إطار ولاية عبد اللّٰه بن عليّ للشام إلى سنة١٣٦هـ وذلك في خلافة أبي العباس السفاح.

* * *

وفي ذي الحجة سنة١٣٦هـ مات أبو العباس السفاح واستخلف أخاه أبا جعفر المنصور وكان عمه عبد اللّٰه بن عليّ أمير الشام بأفواه الدروب متوجهاً لغزو الروم ـ في تركيا ـ ومعه العديد من الأمراء والقادة وفيهم حُميد بن قَحْطَبة، وبينما هم في موضع يُقال له دلوك بأفواه الدروب أتى عبد اللّٰه بن عليّ نبأ وفاة أبي العباس واستخلاف أبي جعفر المنصور، فجمع عبد اللّٰه بن عليّ القادة والجند وأخبرهم بوفاة أبي العباس ودعاهم إلى نفسه، فبايعوه بالخلافة رغبة ورهبة. قال الطبري: «فبايعه أبو غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي وخفاف المروذي وأبو الأصبغ وجميع من كان معه من القوّاد وفيهم حُميد بن قَحْطَبة وحياش بن حبيب ومخارق بن غفار وغيرهم. فَلَمَّا فرغ من البيعة ارتحل إلى مدينة حرّان ـ [وهي عاصمة الجزيرة الفراتية] ـ وبها مقاتل بن حكيم العكيّ وكان أبو جعفر المنصور استخلفه على الجزيرة، فأراد عبد اللّٰه بن عليّ مقاتلاً على البيعة، فلم يجبه، وتحصّن منه، فأقام عليه وحصره ـ أربعين يوماً ـ حتى استنزله من حصنه وقتله» ـ وذلك في شهر صفر سنة١٣٧هـ ـ. قال الطبري:

«كتب عبد اللّٰه بن عليّ كتاباً لحُميد بن قَحْطَبة ووجّهه إلى حلب وعليها زفر بن عاصم. فسار حُميد حتى إذا كان ببعض الطريق فكّر في كتابه وقال: إن ذهابي بكتاب لا أعلم ما فيه لغرر. ففك الطومار فقرأه، فإذا فيه (إذا قَدِم عليك حُميد بن قَحْطَبة فاضرب عنقه) فَلَمَّا رأى ما فيه دعا أُناساً من خاصته فأخبرهم الخبر وشاورهم، وقال: مَنْ أراد منكم أن ينجو فَلْيسِر معي فإنّي أريد أن آخذ

طريق العراق، ومَنْ لم يُرد منكم أن يَحمِلَ نفسه على السير فلا يفشين سرّي وليذهب حيث أحب.

فاتّبعه على المسير معه ناسٌ من أصحابه، فأمر حُميد بدوابه فأُنعِلت وأنعل أصحابه دوّابهم وتأهبوا للمسير معه، ثم فوَّز بهم وبَهْرجَ الطريق، فأخذ على ناحية من الرُّصافة، رصافة هشام بالشام، وبالرصافة يومئذٍ مولى لعبد اللّه بن عليّ يقال له سعيد البربري، فبلغه أن حُميد بن قَحْطَبة قد خالف عبد اللّه بن عليّ وأخذ في المفازة، فسار في طلبه فيمن معه من فرسانه فلحقه ببعض الطريق، فَلَمّا بصر به حُميد بن قَحْطَبة ثنى فرسه نحوه حتى لقيه فقال له: ويحك أما تعرفني، واللّه ما لك في قتالي خير، فارجعْ فلا تقتل أصحابي وأصحابك فهو خيرٌ لك. فَلَمّا سمع كلامه عرف ما قال له فرجع إلى موضعه بالرُّصافة.

ومضى حُميد ومَن كان معه، فقال له قائد حرسه موسى بن ميمون: إنّ لي بالرصافة جاريةً فإن رأيتَ أن تأذن لي فآتيها فأوصيها ببعض ما أريد ثم ألحقك. فأذن له حُميد، فسار موسى بن ميمون إليها فأقام عندها، ثم خرج من الرصافة يريد اللحاق بحُميد، فلقيه سعيد البربري مولى عبد اللّه بن عليّ فأخذه وقتله».

وكان حُميد قد مضى فيمن معه من القادة والفرسان إلى أبي جعفر المنصور في الأنبار بالعراق، ثم كان من قادة الجيش الذي وجهه أبو جعفر المنصور مع أبي مسلم الخراساني لقتال عبد اللّه بن عليّ والذين معه.

قال الطبري: «ومضى أبو مسلم سائراً من الأنبار لم يتخلف عنه من القوّاد أحدٌ، وبعث على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعيّ وكان معه حُميد بن قَحْطَبة.. وكتب أبو جعفر المنصور إلى الحسن بن قَحْطَبة وكان خليفته بأرمينية أن يوافي أبا مسلم، فقَدِم الحسن بن قَحْطَبة على أبي مسلم وهو بالموصل، وساروا إلى عبد اللّه بن عليّ».

«قال مسلم بن المغيرة: كنت مع الحسن بن قَحْطَبة بأرمينية، فَلَمّا وجّه أبو جعفر المنصور أبا مسلم إلى الشام، كتب أبو جعفر إلى الحسن بن قَحْطَبة أن يوافيه ويسير معه ـ لقتال عبد اللّه بن عليّ ـ فقَدِمنا على أبي مسلم وهو بالموصل، فأقام أياماً فَلَمّا أراد أن يسير قلت للحسن: أنتم تسيرون إلى القتال وليس بك إليّ حاجة فلو أذنتَ لي فأتيتُ العراق فأقيمُ حتى تقدِموا إن شاء اللّه. فقال: نعم ولكن أعلمني إذا أردت المسير، فقلت: نعم. فَلَمّا فرغتُ وتهيأت أتيتُه وقلتُ: أتيتُك أودّعُك، قال: قف لي بالباب حتى أخرجَ إليك فخرجتُ ووقفتُ. وخرج فقال لي: إنّي أريد أن ألقي إليك شيئاً لتُبلِغه أبا أيوب ولولا ثقتي بك لم أخبرك ولولا

مكانك من أبي أيوب لم أبعثك، فأبْلغ أبا أيوب أنّي قد ارتبتُ بأبي مسلم منذ قدِمتُ عليه وأنه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرأه ثم يلوي شدقه ويرمي بالكتاب إلى أبي نصر فيقرأه ويضحكان استهزاءً. قلتُ: نعم، قد فهمت ـ فسرت إلى الأنبار ـ فلقيتُ أبا أيوب وأنا أرى أنّي قد أتيته بشيء ـ فأخبرته ـ فضحك وقال: نحن لأبي مسلم أشد تهمة منّا لعبد اللّه بن عليّ» ـ ونقل أبو أيوب رسالة الحسن بن قَحْطَبة الشفوية إلى أمير المؤمنين.

بينما في ميدان المواجهة التقى جيش أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وجيش عبد اللّه بن علي في نصيبين بالجزيرة الفراتية فطالت المواجهة وكان أبو مسلم الخراساني ـ أمير خراسان ـ هو أمير جيش المنصور، والحسن بن قَحْطَبة ـ أمير أرمينية ـ قائد ميمنة جيش المنصور، حيث ـ كما جاء في تاريخ الطبري:

«وكان قد عُمِل لأبي مسلم عريش، فكان يجلس عليه إذا التقى الناس [أي الجيشان] فينظر إلى القتال، فإن رأى خللاً في الميمنة أو في الميسرة أرسل إلى صاحبها: افعلْ كذا، قدّم خيلك كذا، أو تأخر كذا إلى موضع كذا، حتى ينصرف بعضهم عن بعض. فَلَمَّا كان يوم الثلاثاء أو الأربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة١٣٧هـ التقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً فَلَمَّا رأى ذلك أبو مسلم مكر بهم فأرسل إلى الحسن بن قَحْطَبة وكان على الميمنة: أن أعرِ الميمنة وضُمَّ أكثرها إلى الميسرة وليكُن في الميمنة حُماة أصحابك وأشدّاؤهم ـ ففعل ـ، فَلَمَّا رأى ذلك أهل الشام ـ [أي جيش عبد اللّه بن عليّ] ـ أعروا ميسرتهم وانضموا إلى ميمنتهم. ثم أرسل أبو مسلم إلى الحسن: أن مُرْ أهل القلب فليحملوا مع من بقي في الميمنة على ميسرة أهل الشام، ـ فأمرهم الحسن ـ فحملوا عليهم فحطموهم، وجال أهل القلب والميمنة فهزموهم»[1]. فكان الحسن بن قَحْطَبة هو القائد الذي تم على يده النصر وانهزام جيش عبد اللّه بن عليّ في ذلك اليوم، وهرب عبد اللّه بن عليّ وانتهت فتنته، وكتب أبو مسلم بالخبر إلى أبي جعفر المنصور.

ثم أرسل أبو جعفر المنصور وفداً ليحصي الغنائم، وكتب إلى أبي مسلم الخراساني بتوليته على الشام فغضب أبو مسلم وقال: يوليني على الشام وخراسان لي، وتعرض للخليفة أبي جعفر المنصور بكلمات جارحة، وقرر العودة إلى خراسان معارضاً أوامر الخليفة. قال د. فاروق عمر: «وتذكر الروايات أن أبا مسلم كان يستهزىء برسائل الخليفة التي ترِد عليه، ويقول الكوفي: إن الحسن بن قَحْطَبة

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٥٩ جـ ٩.

كتب إلى الخليفة عن تصرفات أبي مسلم رسالة قال فيها: يا أمير المؤمنين إن الشيطان الذي كان ينفخ في رأس عبد اللّه بن عليّ قد انتقل إلى رأس أبي مسلم»[١]. قال الطبري: «..ومضى أبو مسلم من الجزيرة مُجمعاً على الخلاف وخرج من وجهه معارضاً يريد خراسان»[٢] وكان الخليفة أبو جعفر المنصور قد كتب إلى حُميد بن قَحْطَبة بتوليته على الجزيرة الفراتية، فأقام حُميد بالجزيرة والياً عليها، ومضى الحسن بن قَحْطَبة إلى أرمينية التي هو أميرها، وذلك في رجب أو شعبان سنة١٣٧هـ.

***

وكان حُميد بن قَحْطَبة ثالث ولاة الجزيرة الفراتية في العصر العباسي حيث كان أبو جعفر المنصور والياً للجزيرة الفراتية وأرمينية في خلافة أبي العباس السفاح (١٣٣ ـ ١٣٦هـ) ثم تولّى الجزيرة الفراتية مقاتل بن حكيم العكيّ اليماني (١٣٦ ـ ١٣٧هـ) حتى مقتله في فتنة عبد اللّه بن عليّ، ثم أصبح حُميد بن قَحْطبة والياً للجزيرة الفراتية منذ رجب ١٣٧هـ إلى ١٤٢هـ. قال الطبري: «في سنة١٣٧هـ كان الوالي على المدينة ومكة زياد بن عبيد اللّه الحارثي.. وعلى خراسان أبو داود خالد بن إبراهيم، وعلى الجزيرة حُميد بن قَحْطَبة..» [ص ١٦٩/ ٩].

قال الطبري: «في سنة١٣٧هـ خرج ملبَّد بن حرملة الشيباني، فَحكَّم بناحية الجزيرة ـ (أي أعلن أن لا حكم إلا للّه) ـ فسارت إليه روابط الجزيرة، وهم ـ (أي الخوارج) ـ يومئذٍ فيما قيل ألف، فقاتل ملبَّد روابط الجزيرة فهزمهم، ثم سارت إليه روابط الموصل فهزمهم، ثم سار إليه يزيد بن حاتم المُهلّبيّ فهزمه ملبّد بعد قتال شديد.. ثم سار إليه حُميد بن قَحْطَبة وهو يومئذٍ الوالي على الجزيرة فلقيه ملبَّد فهزمه وتحصّن منه حُميد وأعطاه مائة ألف درهم على أن يكفّ عنه».

قال الطبري: «وزعم الواقدي أن ظهور ملبّد وتحكيمه سنة١٣٨هـ». ثم ذكر الطبري في أحداث سنة١٣٨هـ أنه: «وجّه حُميد بن قَحْطَبة إلى ملبَّد عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار بن عبد الرحمن[٣]، فأكْمَنَ له الملبّد مائة فارس فَلَمَّا لقيه عبد العزيز خرج عليه الكمين فهزموه وقتلوا عامة أصحابه» [ص ١٧٠/ ٩] ثم

---

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٨.

(٢) بعث أبو جعفر المنصور إلى أبي مسلم جرير بن يزيد البجلي فخدع أبا مسلم ورده إلى أبي جعفر فقتله في ٢٥ شعبان ١٣٧هـ.

(٣) كان عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي قائد شرطة أبي العباس ثم أبي جعفر المنصور ثم أصبح والياً لخراسان سنة ١٤٠ ـ ١٤١هـ.

سار ملبّد وأصحابه إلى الموصل فتم القضاء عليه بالموصل. ومكث حُميد بن قَحْطَبة والياً للجزيرة الفراتية إلى سنة١٤١هـ.

وكانت مدينة ملطية وهي من ثغور الجزيرة الفراتية في جنوب تركيا قد تعرضت لغزو ملك الروم قسطنطين سنة١٣٨هـ وهَدّم الروم ملطية فلم يبقوا منها إلا هرياً. قال البلاذري في فتوح البلدان: «ولَمَّا كانت سنة١٣٩هـ كتب المنصور إلى صالح بن عليّ يأمره ببناء ملطية وتحصينها. ثم رأى أن يوجّه عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام والياً على الجزيرة وثغورها، فتوجَّه في سنة١٤٠هـ ومعه الحسن بن قَحْطَبة (أمير أرمينية وأذربيجان) وقطع البعوث على أهل الشام والجزيرة فتوافى معه سبعون ألفاً فعسكر على ملطية وقد جمع الفعلة (أي العمال) من كل بلد فأخذ في بناء ملطية. وكان الحسن بن قَحْطَبة ربما حمل الحجر حتى يناوله البنَّاء وجعل يغذي الناس ويعشيهم من ماله، مبرزاً مطابخه، فغاظ ذلك عبد الوهاب فكتب إلى أبي جعفر المنصور يُعلمه أنه يُطعم الناس وأن الحسن بن قَحْطَبة يُطعم أضعاف ذلك التماساً لأن يطوله ويُفسد ما يصنع ويهجنه بالإسراف والرياء وأن له منادين ينادون الناس إلى طعامه. فكتب إليه أبو جعفر: يا صبي، يُطعِم الحسنُ من ماله وتُطعِمُ من مالي، ما أتيتُ إلّا من صغر خطرك وقلّة همتك وسفه رأيك. وكتب أبو جعفر إلى الحسن بن قَحْطَبة: أن أطْعِم الناس ولا تتخذ منادياً. فكان الحسن يقول: مَنْ سَبَق إلى بناء شرفة فله كذا، فجدّ الناس في العمل حتى فرغوا من بناء ملطية ومسجدها في ستة أشهر، وبنىٰ للجند الذين أُسكنوها لكل عرافة بيتان سفليان وعليتان فوقهما واصطبل، والعرافة عشرة نفر إلى خمسة عشر رجلاً، وبنىٰ لها مسلحة على ثلاثين ميلاً منها، ومسلحة على نهر يدعى قباقب يدفع في الفرات [بتركيا] وأسكن المنصور ملطية أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها من ثغورهم، على زيادة عشرة دنانير في عطاء كل رجل ومعونة مائة دينار سوى الجعل الذي تجاعله القبائل بينها، ووضع فيها شحنتها من السلاح، وأقطع الجند المزارع، وبنى حصن قلوذية. وأقْبَلَ قسطنطين الطاغية ـ ملك الروم ـ في أكثر من مائة ألف فنزل جيحان فبلغه كثرة العرب فأحجم عنها. ورجع أهل ملطية إليها»[١].

وقد جاء في نص البلاذري السالف: أن أبا جعفر المنصور وجّه عبد الوهاب والياً على الجزيرة وثغورها سنة١٤٠هـ ومؤدّى ذلك انتهاء ولاية حُميد بن قَحْطَبة للجزيرة في تلك السنة، بينما يستفاد من رواية الطبري أن عبد الوهاب كان أميراً

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ١٩١.

للغزو بثغور الجزيرة. قال الطبري: «في سنة١٤٠هـ غزا الحسن بن قَحْطَبة الصائفة مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام». ولم يذكر تولية عبد الوهاب مِمَّا قد يعني استمرار حُميد والياً للجزيرة إلى سنة١٤١هـ حيث قال الطبري: «في سنة١٤٢هـ ولَّي أبو جعفر المنصور على مصر محمد بن الأشعث ثم عُزل عنها محمد.. ووليها حُميد بن قَحْطَبة، وولَّى أبو جعفر أخاه العباس بن محمد الجزيرة والثغور»(١).

* * *

ولاية حُميد بن قَحْطَبة لمصر (١٤٢ ـ ١٤٣هـ):

في سنة١٤٢هـ أصبح حُميد بن قَحْطَبة الطائي والياً لمصر وهو ثالث الولاة اليمنيين لمصر في العصر العباسي.

وترتبط توليته على مصر بعزل محمد بن الأشعث الخزاعي، وبتعبير أصح بتولية محمد بن الأشعث أفريقيا الشمالية ومسيره إليها لقتال الخوارج المتغلبين عليها. إذ أنه ـ كما جاء في كتاب الجامع ـ «سار محمد بن الأشعث إلى أفريقيا في أربعين أو خمسين ألفاً سنة١٤٢هـ» ـ وقد استخلف محمد بن الأشعث على مصر نائبه نوفل بن الفرات ثم قَدِم حُميد بن قَحْطَبة والياً لمصر وتولّاها وذلك ـ كما ذكر الطبري ـ سنة١٤٢هـ.

وقد جاء في ترجمة حُميد بكتاب الجامع ما يلي:

«حُميد بن قَحْطَبة الطائي: أمير. من القادة الشجعان. وُلِّي إمرة مصر سنة١٤٣هـ ثم إمرة الجزيرة»(٢) والصواب أنه كان أميراً للجزيرة الفراتية سنة١٣٧ ـ ١٤١هـ ثم وُلِّي إمرة مصر سنة١٤٢ ـ ١٤٣هـ.

«في سنة١٤٢هـ كان ـ الوالي ـ على المدينة محمد بن خالد القسري، وعلى مكة الهيثم بن معاوية ـ الأزدي ـ وعلى الكوفة عيسى بن موسى ـ العباسي ـ وعلى البصرة سفيان بن معاوية ـ المهلَّبيّ ـ وعلى مصر حُميد بن قَحْطَبة الطائي» [ص ١٧٩/٩].

وكذلك في سنة١٤٢هـ كان الوالي على اليمن عبد اللّه بن الربيع الحارثي، وعلى السند عمر بن حَفْص المهلَّبيّ، وعلى خراسان عبد الجبار بن عبد الرحمٰن الأزدي، وعلى الرّي محمد بن أبي عيينة بن المهلَّب، وعلى الأهواز يزيد بن حاتم

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٧٩ جـ ٩.
(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٨٥.

المهلَّبيّ، وعلى أرمينية الحسن بن قَحْطَبة الطائي، وعلى أفريقيا محمد بن الأشعث الخزاعي.

وفي أواسط سنة١٤٣هـ اشتد قلق الخليفة أبو جعفر المنصور من الدعوة العلوية السِّرِّية لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن العلوي، فاستقدم حُميد بن قَحْطَبة من مصر إلى الكوفة فاستخلف حُميد نوفل بن الفرات بمصر وقَدِم إلى أبي جعفر المنصور في رمضان أو شوّال ١٤٣هـ ثم بعث المنصور يزيد بن حاتم المهلَّبيّ والياً لمصر.

قال ابن الأثير: «في سنة١٤٣هـ عُزِل حُميد بن قَحْطَبة عن مصر واستُعمل عليها نوفل بن الفرات ثم عُزِل نوفل واستُعمل عليها يزيد بن حاتم المهلَّبيّ»[١].

وجاء في ترجمة حُميد بكتاب الجامع أنه «وُلِّي إمرة مصر سنة١٤٣هـ ثم إمرة الجزيرة»[٢].

وبذلك انتهت ولاية حُميد بن قَحْطَبة لمصر في رمضان أو شوّال سنة١٤٣هـ، وعاد أميراً للجزيرة الفراتية.

أنباء حُميد بن قَحْطَبة بعد انتهاء ولايته لمصر:

في سنة١٤٥هـ اندلعت في المدينة المنورة والحجاز وفي البصرة بالعراق حركة علوية شيعية كبيرة بزعامة محمد بن عبد اللّه بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب حيث سيطر على المدينة وما إليها من الحجاز وبويع بالخلافة في المدينة المنورة في رجب سنة١٤٥هـ وتلقَّب بالمهدي ووجّه أخاه إبراهيم إلى البصرة فخرج معه أشياع الدعوة العلوية وسيطروا على البصرة والأهواز ـ في رمضان ـ وكانت الدعوة قد انتشرت سراً في أغلب الولايات، وكان الخليفة أبو جعفر المنصور قد استقدم الأمير حُميد بن قَحْطَبة إلى الكوفة فتولَّى قيادة الجيش بها.

وكتب أبو جعفر المنصور إلى محمد بن عبد اللّه بن حسن رسالة قال فيها: «من عبد اللّه أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد اللّه بن حسن. أما بعد، ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ . . .﴾ الآيـــة [المائدة: ٣٣]. وإنّ لك ذمة اللّه وعهده وميثاقه إن تُبْت قبل أن نقدر عليك أن نؤمّنك على نفسك ومن تابَعَك وجميع شيعتك، وأن أعطيك ألف ألف درهم، وأنزلك من البلاد حيث شئت وأقضي لك ما شئت من الحاجات، وأن أطلق مَن

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٦٧ جـ ٥.
(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٨٥.

سُجِن من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك، ثم لا أتبع أحداً منكم بمكروه.. والسلام». فأجابه محمد بن عبد اللّه بن حسن برسالة نقتطف منها قوله: «من محمد المهدي أمير المؤمنين إلى عبد اللّه بن محمد. أما بعد، ﴿طسٓمٓ * تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ * لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ...﴾ [الشعراء: ١ ـ ٣] ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣] (إلخ الآية). وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي أعطيتني فقد تعلم أنّ الحق حقنا، وأن أبانا علياً عليه السلام كان الوصيّ والإمام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء. وقد تعلم أن ليس أحدٌ من بني هاشم يشدّ بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل نسبنا، فأنا أوسط بني هاشم نسباً وخيرهم أُمّاً وأباً.. فولدني من النبيين أفضلهم محمد ﷺ ومن أصحابه أقدمهم إسلاماً وأوسعهم علماً عليّ بن أبي طالب، ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خويلد، ومن بناته فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.. ولك عهد اللّه إن دخلت في بيعتي أن أؤمنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته إلا حدّاً من حدود اللّه أو حقاً لمسلم أو معاهد.. والسلام». فأجابه أبو جعفر المنصور برسالة طويلة ذكرها ابن خلدون نقتطف منها قوله: «من عبد اللّه أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد اللّه بن حسن، أما بعد، فقد أتاني كتابك وبلغني كلامك.. فأما ما ذكرت من أنك ابن رسول اللّه ﷺ فإن اللّه عز وجل قد أبى ذلك فقال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. ولكنكم قرابة ابنته، وأنها لقرابة قريبة غير أنها امرأة لا تحوز الميراث ولا يجوز أن تُؤمّ فكيف تورث الإمامة من قِبلها.. ولقد علمت أن اللّه تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ وعمومته أربعة فأجابه اثنان أحدهما جدي (العباس) وكفر به اثنان أحدهما جدك (أبو طالب).. ولقد طلب الإمامة جدك (عليّ بن أبي طالب) فأبَىٰ الناس إلا تقديم الشيخين (أبي بكر وعمر) ثم كان في أصحاب الشورى فكل دفعه عنها، وبويع عثمان. ثم قُتل عثمان، وحارب جدك طلحة والزبير ودعا سعداً إلى بيعته فأغلق بابه دونه، ثم أفضى أمر جدّك إلى أبيك الحسن فسلمه إلى معاوية بخزف ودراهم، فإن كان لكم فيها شيئاً فقد بعتموه»[١].

ثم وجّه أبو جعفر المنصور ولي عهده عيسى بن موسى بن عليّ العباسي وحُميد بن قَحْطَبة الطائي في جيش من الكوفة لمواجهة حركة محمد بن عبد اللّه بن حسن بالمدينة المنورة. قال الطبري: «وجّه المنصور إلى محمد بن عبد اللّه بن حسن بالمدينة عيسى بن موسى.. وعلى مقدمة عيسى حُميد بن قَحْطَبة.. ونزل

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٦ جـ ٤.

عيسى بقصر سليمان بالجرف صبيحة ١٢ رمضان سنة١٤٥هـ». وقال المسعودي في مروج الذهب: «في سنة١٤٥هـ كان ظهور محمد بن عبد اللّه بن حسن وكان يُدعى بالنفس الزكية وكان قد بويع له في كثير من الأمصار.. فأخرج إليه أبو جعفر المنصور من الكوفة عيسى بن موسى، وتبعه حُميد بن قَحْطَبة في جيش كثيف» [ص ٣٠٦/ ٣]. وانتشر المنادون تحت رايات جيش المنصور ينادون: «يا أهل المدينة إن اللّه قد حرّم دماء بعضنا على بعض فهلمّوا إلى الأمان. يا أهل المدينة من قام تحت راياتنا فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن». واستمر ذلك النداء يوم السبت والأحد إلى صباح الاثنين وانصرف كثير من أهل المدينة وما إليها من القرى والمناطق عن محمد وشيعته.

وفي يوم الاثنين ١٤ رمضان اندلع القتال في الثنية وبدأ بالمبارزة بين فرسان من الفريقين..

قال الطبري: «نادى محمد بن عبد اللّه بن حسن يومئذٍ حُمَيد بن قَحْطبة: يا حُميد إن كُنتَ فارساً وأنتَ تعتدّ ذلك فابرز لي فأنا محمد بن عبد اللّه بن الحسن. فقال حُميد: قد عرفتُك أنت الكريم ابن الكريم الشريف ابن الشريف لا واللّه لا أبرز لك وبين يديّ من هؤلاء الأغمار إنسان واحد». (اهـ).

وكان أبرز أصحاب وقادة محمد بن عبد اللّه بن حسن رجل يقال له ابن خضير من ولد مصعب بن الزبير، فكان حُميد يتجنب قتال محمد ويدعو ابن خضير إلى الأمان ويشحّ بهما عن الموت..

قال الطبري: «حدثني عثمان بن المنذر بن مصعب بن الزبير عن رجل من بني ثعلبة بن سعد قال: كنتُ بالثنية، وكان ابن خضير مع محمد بن عبد اللّه، فجعل حُميد بن قَحْطَبة يدعو ابن خضير إلى الأمان ويشحُّ به عن الموت، وهو يشدُّ على الناس بسيفه مُرتجلاً فخالط القوم، فضربه ضاربٌ على أليته.. وضربه ضارب على حُجاج عينه، وخرّ، فابتدره القومُ فحزّوا رأسه.. قال ابن بخت مولى حُميد بن قَحْطَبة: أتيناه برأس ابن خضير فواللّه ما جعلنا نستطيع حمله لما كان به من الجراح» ـ ودخل جماعة من أصحاب حُميد وسيطروا على المسجد النبوي. قال الطبري: «ولَمّا نظر أصحاب محمد بن عبد اللّه بن حسن إلى العَلَم الأسود على منارة المسجد النبويّ فَتّ ذلك في أعضادهم، ودخل حُميد بن قَحْطَبة من زقاق أشجع على محمد بن عبد اللّه فقتله.. وقال عبد اللّه بن جعفر: طعنه حُميد بن قَحْطَبة في صدره فصرعه.. وقال مسعود الرّحال: رأيت محمداً يومئذٍ

باشر القتال بنفسه، فأنظر إليه حين ضربه رجلٌ بسيف دون شحمة أذنه اليمنى فبرك لركبتيه وتعاوروا عليه، وصاح حُميد بن قَحْطَبة: لا تقتلوه، فكفُوا، وجاء حُميد ـ فوجده مقتولاً ـ وقال جواد بن غالب: كان عيسى بن موسى اتهم حُميد بن قَحْطَبة بأنه لا يبالغ في قتال محمد فقال: أتتهمني، فواللّه لأضربنّه حين أراه بالسيف، فنزل إليه وهو مقتول فضربه بالسيف ليبرّ يمينه». وبمقتل محمد ـ في ١٤ رمضان ـ انتهت الفتنة بالمدينة المنورة والحجاز، وتوجه عيسى وحميد إلى مكة لأداء العمرة، ثم عادوا إلى الكوفة، وكان إبراهيم بن عبد اللّه بن حسن قد سيطر على البصرة والأهواز فَلَمَّا كان قبل الفطر بثلاثة أيام أتاه خبر مقتل أخيه محمد، وخطب إبراهيم بالناس يوم عيد الفطر بالبصرة واستنفرهم للمسير لقتال أبي جعفر المنصور بالكوفة، ثم اتخذ إبراهيم معسكراً بالمأخور من خريبة البصرة، ولَمّا اجتمع إليه الشيعة سار بهم قاصداً الكوفة، حيث كما جاء في تاريخ الأمم والملوك «وجّه أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى في خمسة عشر ألفاً وجعل على مقدمته حُميد بن قَحْطَبة في ثلاثة آلاف.. وأَقْبَلَ إبراهيم ومعه جماعة كثيرة، فالتقوا بباخمري وهي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة فاقتتلوا بها قتالاً شديداً، فانهزم حُميد بن قَحْطَبة وكان على مُقدمة عيسى وانهزم الناس معه، فعرض لهم عيسى يناشدهم اللّه والطاعة فلا يلوون عليه ومروا منهزمين، وأَقْبَلَ حُميد بن قَحْطَبة منهزماً فقال له عيسى: يا حُمَيد اللّه اللّه والطاعة، فقال: لا طاعة في الهزيمة ومرّ الناس كلهم حتى لم يبق منهم أحدٌ بين يدي عيسى ومعسكر إبراهيم، فثبت عيسى في مكانه وهو في نحو مائة رجل.. وأقبل إبراهيم في عسكره يدنو ويدنوُ غبارُ عسكره إلى مكان عيسى ومن معه. فبينا هُم على ذلك إذا حُميد بن قَحْطَبة قد أَقْبَلَ وكرّ راجعاً يجري بفرسه نحو إبراهيم لا يعرّج على شيء، فكرّ الناس يتبعونه حتى لم يبق أحدٌ ممن كان انهزم إلا كرّ راجعاً بعد حُميد ـ [وكان انهزام حميد وإياهم في البداية خطة من حُميد لاستخراج عسكر إبراهيم من معسكرهم ومكانهم الحصين فَلَمَّا خرجوا أَقْبَلَ حُميد وفرسانه] ـ فقاتلوا القوم قتالاً شديداً إلى أن جاء سهم عائرٌ لا يُدرى من رمى به فوقع في حلق إبراهيم بن عبد اللّه بن حسن فنحره فتنحى عن موقفه وقال: أنزلوني فأنزلوه عن فرسه وهو مثخن واجتمع إليه خاصته وأصحابه يحمونه، ورأى حُميد بن قَحْطَبة اجتماعهم فقال لأصحابه: شدّوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم من موضعهم وتعلموا ما اجتمعوا عليه، فشدّوا عليهم حتى أفرجوا عن إبراهيم وخلصوا إليه فحزّوا رأسه ـ [وصاحوا: قُتِل إبراهيم ورفعوا رأسه فَلَمَّا رأى الشيعة ذلك ولّوا الأدبار، وأمر حُميد بعض جنوده فحملوا

رأس إبراهيم إلى عيسى بن موسى] - فبعث عيسى برأس إبراهيم إلى أبي جعفر المنصور، وكان مقتل إبراهيم يوم الاثنين لخمس بقين من ذي القعدة سنة١٤٥هـ، وجاء الخبر إلى أبي جعفر المنصور بهزيمة إبراهيم وبرأسه، فتمثل ببيت مُعقر بن أوس البارقيّ اليمانيّ:

فألقَتْ عصاها واستقرّ بها النَّوَى كما قرّ عيْناً بالإياب المُسافرُ»

وبذلك انتهت أخطر فتنة وحركة علويّة شيعية للقضاء على الخلافة العباسية، وكان الدور الكبير لحُميد بن قَحْطبة في ذلك امتداداً للدور الأكبر لأبيه قحطبة الطائي وله ولأخيه الحسن في تأسيس الخلافة العباسية.

* * *

وعاد الأمير حُميد بن قَحْطَبة إلى الجزيرة الفراتية سنة١٤٦هـ واستمر والياً عليها. قال الطبري: «وفي سنة١٤٨هـ وجّه أبو جعفر المنصور حُميد بن قَحْطَبة إلى أرمينية لحرب الترك الذين قتلوا حرب بن عبد اللّه وعاثوا بتفليس، فسار حُميد إلى أرمينية فوجدهم قد ارتحلوا وانصرفوا - إلى بلادهم - ولم يلق منهم أحداً» [ص ٩/٢٧٦] - وكان رحيلهم وهروبهم نصراً من اللّه لحُميد بن قَحْطَبة بدون قتال. وعاد حُميد من أرمينية إلى الجزيرة الفراتية.

وفي سنة١٥١هـ أصبح حُميد بن قَحْطَبة والياً لبلاد خراسان وآسيا الوسطى وغزا كابول سنة١٥٢هـ ومكث حُميد والياً لخراسان وآسيا الوسطى ثماني سنين حتى وفاته بخراسان سنة١٥٩هـ الموافق ٦٧٦ ميلادية.

٤

يزيد بن حَاتِم المُهَلَّبيّ.. والي مصر

(١٤٣ ـ ١٥٢هـ)

هو الأمير يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المُهَلّب بن أبي صُفرة الأزدي اليماني، وهو أحد عظماء الولاة العرب اليمانيين في العصر العباسي، وفيه قال الشاعر ابن المولى:

يا واحد العرب الذي
أضحى وليس له نظير
لو كان مثلك آخرٌ
ما كان في الدنيا فقير[(١)]

قال ابن الأثير: «في سنة١٤٤هـ كان الوالي على مصر يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المهلّب، وهو الذي قال فيه ربيعة بن ثابت يمدحه ويهجو يزيد بن أسيد السُلَمي:

لشَتَّان ما بين اليزيدين في النَّدَى ... يزيدُ سُلَيْمٍ والأغرُّ ابن حَاتِم

وكان مُمْدحاً جواداً»[(٢)].

المناصب والولايات
التي تولأها الأمير يزيد بن حاتم المهلّبي

- كان يزيد بن حاتم من الزعماء اليمانيين الذين أسسوا الخلافة العباسية. وأصبح والياً للأهواز وجهات فارس سنة١٣٧ ـ ١٤٢هـ في خلافة المنصور.
- في سنة١٤٣هـ أضحى يزيد بن حاتم والياً لمصر، فحكم مصر ثماني سنين إلى سنة١٥٢هـ.
- ثم أصبح يزيد بن حاتم والياً لأفريقيا الشمالية (ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب) من سنة١٥٤هـ حتى وفاته بالقيروان في رمضان ١٧٠هـ/ ٧٨٧م.

وهو من أبرز الذين أشار إليهم د. فاروق عمر حيث قال: «..كان قادة الجيش ـ العباسي ـ من العرب. وفيما عدا المناصب العسكرية احتل العرب المناصب الإدارية والسياسية الحساسة والعالية، وتحفل المصادر بأسماء الولاة

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٨٧ جـ ٤.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٧٦ جـ ٤.

العرب الذين أثبتوا كفاية عالية في الإدارة مثل آل قحطبة وآل المهلّب . . »[١] .

أنباء يزيد بن حاتم قبل ولايته لمصر :

لقد كان آل المهلّب رأس اليمانيين الذين استقروا في البصرة بالعصر الأموي . قال الشاعر ثابت قُطنة الأزدي في المفضّل بن المهلّب :

كان المُفَضَّلُ عزّاً في ذوي يَمَنٍ وعصمة وثمالاً في المساكين

وكان حاتم ـ والد يزيد بن حاتم ـ من الأمراء الولاة وكانت له أراضٍ وضياعٌ مشهورة بالبصرة يجري فيها نهر يتفرع من نهر دجلة ، ويُقال لها الحاتمية . وقد ذكرها البلاذري في الضياع المشهورة بالبصرة قائلاً :

«والحاتمية : لحاتم بن قَبيصة بن المهلّب»[٢] .

وفي الحاتمية بالبصرة كان مولد يزيد بن حاتم ـ حوالي سنة١٠٢هـ ـ وسمّاه أبوه (يزيد) تيمناً بعمه (يزيد بن المهلّب) . وكان يزيد بن المهلّب والياً للعراق ومشارقها وخراسان في خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩هـ) وكان حاتم من أمراء ذلك العهد حيث جاء في تاريخ الأمم والملوك أنه : «استعمل يزيد بن المهلّب على سمرقند وبُخارى ابنه معاوية بن يزيد ، وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المُهلّب»[٣] .

وفي سنة١٠١هـ ثار يزيد بن المُهلّب ضد الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك وانضوت البصرة وغيرها تحت لواء يزيد بن المُهلّب ، ثم انهزم جيشه وقُتِل يزيد بن المُهلّب في صفر سنة١٠٢هـ وسقط أغلب رجالات آل المُهلّب قتلى عندما أخفقت تلك الثورة . وفي تلك الأجواء كان مولد يزيد بن حاتم الذي قال ـ فيما بعد ـ الشاعر ابن المولى :

أنار به آل المهلّب بعدما هوى منكبٌ منهم بليل ومنكبُ

وما زال إلحاح الزمان عليهم بنائبةٍ كادت لها الأرض تَجْرَبُ

ويعني بذلك نائبة مقتل يزيد بن المُهلّب والعديد من آل المُهلّب سنة١٠٢هـ ثم نائبة مقتل داود بن حاتم في خلافة مروان بن محمد سنة١٢٩هـ حيث كان سليمان بن حبيب بن المُهلّب قد ثار وسيطر على إقليم الأهواز وكان معه بالأهواز داود بن حاتم ـ أخو يزيد بن حاتم ـ وجماعة من آل المُهلّب . وولّى مروان بن محمد على العراق يزيد بن هبيرة الفزاري القيسي في رمضان ١٢٩هـ . قال الطبري : «ووجّه ابن هبيرة

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٧٦.

(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٣٦٢.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٢٠ جـ ٨ وص ٨١ جـ ٩.

إلى سليمان بن حبيب بن المُهلَّب بالأهواز نباتة بن حنظلة ـ في جيش ـ فوجّه إليه سليمانُ داودَ بن حاتم، فالتقوا بالمريان على شاطىء دجيل فانهزم الناس ـ [أي أصحاب داود] ـ وقُتِل داود بن حاتم. وفي ذلك يقول خلف بن خليفة:

نَفْسِي الفدا لِدَاوُد الجِمَىٰ إذْ أسْلَمَ الجَيْشُ أبا حاتم
مُهَلَّبيٌّ مُشرِقٌ وَجْهُهُ ليس على المعروف بالنادمِ
سألتُ من يعلمُ لي عِلمَهُ حقاً ما الجاهلُ كالعالمِ
قالوا عَهِدْناهُ على مَرْقبٍ يَحْمِلُ كالضرغامةِ الصّارِمِ
ثم انثنى منجدلاً في دم يَسْفَحُ فَوْقَ البَدَنِ الناعِم
وأقْبَلَ القِبطُ على رأسهِ واختصموا في السَّيْفِ والخاتم»[1]

وكان خلف بن خليفة مقيماً في مرو الرُّوذ بخراسان، ويبدو أنه قال هذا الشعر عند وصول يزيد بن حاتم مع كوكبة من آل المُهلَّب إلى هناك بعد مقتل داود بن حاتم ـ في أواخر سنة١٢٩هـ ـ وانضوى يزيد بن حاتم والذين معه في الدعوة العباسية التي انضوى فيها كافة الأزد وغيرهم من اليمانية الذين بخراسان، فانهزم نصر بن سيار عامل مروان على خراسان في مرو الرُّوذ وانسحب إلى نيسابور ـ في شهر جمادى سنة١٣٠هـ ـ ثم تقدم قَحْطَبة بن شبيب الطائي إلى نيسابور فهرب نصر بن سيار إلى قومس والرّي ـ في شعبان ١٣٠هـ ـ وكان يزيد بن حاتم وعمر بن حَفْص المهلَّبيّ من قادة قحطبة الطائي. ومضى قحطبة بالقادة والجيش الذين معه إلى جُرجان، وكان بها نباتة بن حنظلة القيسي ـ الذي قتل هو وجنوده داود بن حاتم بالأهواز ـ فانهزم نباتة بن حنظلة وسقط قتيلاً في جُرجان ـ في ذي الحجة ١٣٠هـ ـ ثم هزم قحطبةُ الجيش المرواني بأصبهان ـ في رجب سنة١٣١هـ ـ وسار إلى نهاوند حيث كان ليزيد بن حاتم دور هام في الاستيلاء على نهاوند بعد أن حاصرها قَحْطَبة ثلاثة أشهر، فقد كان في مدينة نهاوند جيش مرواني من جند الشام والجزيرة أميرهم مالك بن أدهم الباهلي ومعه قائد من يمانية الشام هو النضر بن حُميد اللخمي، وكان بها أيضاً جيش مرواني من فلول جُند خراسان وكانوا ثلاثة آلاف. فَلَمّا طال حصار نهاوند ـ وكما جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية:

«قال قَحْطَبةُ ليزيد بن حاتم المهلَّبيّ: يا أبا خالد، هؤلاء الذين يأتونك على سور المدينة أهل فلسطين وصاحبهم ـ فيما ذُكر لي ـ النضر بن حُميد اللخميّ، فأته وكلِّمه وادعُهُ إلى قبول الأمان فلعله يأنس بك للعشرية. فأتاه يزيد بن حاتم ـ وكلَّمه

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٢٠ جـ ٨ وص ٨١ جـ ٩.

من مكان في السور ـ فذكر له أفعال مروان في قومه واستهانته بهم وإيثار غيرهم عليهم، ودعاه إلى الدخول في أمره، وأعلمه ما ـ سيكون ـ له من الحظ في إجابته الدعوة. فقال النضر: واللّه إنّي لأعلم أن الأمر كما ذكرتَ ولكني إذا نظرتُ فلم أرَ عليَّ نعمةً إلا من بني مروان تذمّمْتُ من الغدر بهم وقد تضايقت الأمور عليهم. فقال يزيد بن حاتم: نفسك أوجب عليك حقاً، فاتقِ اللّه وانظرْ لها، فإنّك قد أعذرت في وفائك لبني مروان. فقال النضر: أما الدخول معكم فلا يكون ومن بني مروان خليفة، وأما الخروج عن مدينة نهاوند هذه فإنّا نجيبكم إليه على أن تؤمّنونا وتوثّقوا لنا. فرجع يزيد بن حاتم إلى قَحْطبة، فأعلمه ذلك، فأعطى قَحْطبة مَنْ بنهاوند من أهل الشام خاصة ما وثقوا به (فرجع يزيد إلى النضر فأخبره بذلك من جدار في سور المدينة) فَلَمَّا استوثق للنضر بن حُميد في ذلك لقي مالك بن أدهم ـ وقد كانوا جهدوا في حصارهم حتى صاروا إلى أكل لحوم الدواب والميتة ـ فقال له: علام نقتل أنفسنا بالجوع ونعرّضها للقتل، وقد انقطعت الأمداد عنّا وقد بذلوا لنا الأمان؟ إقْبَل أيّها الرجل أمانهم قبل أن تلتقي حلقتا البطان عليك فتسألُ ذلك فلا تُجاب إليه. فقال مالك بن أدهم: وكيف لنا بذلك؟ فقال النضر: أنا لك به، هذا يزيد بن حاتم رسول قَحْطبة بذلك، أفتريدُ أوثق منه؟ فقال مالك: حسبي إن كان ابناً ليزيد بن حاتم. فدنا النضر من يزيد فكلمه ومالك يسمع كلامهما، قال: فأوثقوا لنا. فتراسلوا في ذلك، وهم يسرونه، حتى صاروا منه إلى ما أرادوا»[(١)].

ويدل قول النضر بن حُميد لمالك بن أدهم (هذا يزيد بن حاتم رسول قَحْطَبة بذلك أفتريدُ أوثق منه؟) وقول مالك: (حسبي إن كان ابناً ليزيد بن حاتم)؛ يدل ذلك على المكانة والسمعة العالية ليزيد بن حاتم حتى في الشام وبين قادة وجند أهل الشام، وبموجب العهد والميثاق الذي أعطاه قَحْطبة لهم من خلال يزيد بن حاتم، خرج جند الشام من نهاوند بسلام، ودخل قَحْطبة والذين معه ويزيد بن حاتم نهاوند يوم الاثنين لخمس ليالٍ خلون من ذي القعدة سنة١٣١هـ. وانضوت مناطق نهاوند وقرماسين والدينور تحت لواء قَحْطَبة والدعوة العباسية.

قال صاحب أخبار الدولة: «وكَاتَبَ قَحْطبة الناس ـ بالعراق ـ يدعوهم، فكتب إلى إسحاق بن مسلم العقيلي (في هيت) وكتب إلى سفيان بن معاوية ورَوْح بن حاتم المُهلّبيين بالبصرة. . وبعث قَحْطبة بكتابه إلى سفيان ورَوْح مع رجل من أصحاب يزيد بن حاتم، فسوَّدا وخرجا بالبصرة. ومتولّي البصرة يومئذٍ

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٣٥٣.

سَلْم بن قتيبة ـ (عامل ابن هبيرة) ـ فبذل لهما مالاً كثيراً على ألّا يخالفا، فأبيا» [ص ٣٥٦].

وثار سفيان ورَوْح بالبصرة بينما دخل حُميد بن قَحْطبة إقليم حُلوان بالعراق ـ في ذي الحجة ـ ثم تقدم إلى الفرات فهزم ابن هُبيرة ـ عامل مروان على العراق ـ بالقرب من الكوفة في ٨ محرم ١٣٢هـ، ومات قَحْطبةُ، وتولّى القيادة العامة حُميد بن قَحْطَبة والحسن بن قَحْطبة فمضيا مع القادة ـ ومنهم يزيد بن حاتم ـ ودخلوا الكوفة، فبدأ بذلك عصر الخلافة العباسية، وتم توزير أبي سلمة الخلال فتولّى أبو سلمة الأمور حتى ظهور أبي العباس السفاح. قال البلاذري: «ووجّه أبو سلمة يزيد بن حاتم المهلّبي في أربعمائة إلى عين التمر»(١). فرابط يزيد بن حاتم بمنطقة عين التمر، وبعث أبو سلمة والحسن بن قَحْطَبة المدد إلى روح بن حاتم وسفيان المهلّبيّ بالبصرة، ولَمّا ظهر أبو العباس السفاح ـ في ١٣ ربيع الثاني ١٣٢هـ ـ ولّى سفيان بن معاوية المهلّبيّ على البصرة.

وكان ابن هبيرة ـ عامل مروان على العراق ـ قد تحصن مع قادته وفلول جيشه بمدينة واسط، فولّى أبو العباس السفاح أخاه أبا جعفر المنصور قيادة الجيش في حصار واسط، وكان من أبرز القادة مع أبي جعفر المنصور في حصار واسط الحسن بن قَحْطبة، ومالك بن الهيثم الخزاعي، ويزيد بن حاتم، ورَوْح بن حاتم. فأثناء المعركة مع جند ابن هبيرة في واسط ـ وكما ذكر الطبري ـ «. . صُرِع ابن مالك بن الهيثم فحماهُ رَوْح بن حاتم». ثم لَمّا طلب ابن هبيرة وأصحابه الأمان جعل له أبو جعفر أماناً وكتب له كتاباً، فكان ابن هبيرة يأتي إلى أبي جعفر المنصور في خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل، ـ قال الطبري ـ «فقال يزيد بن حاتم لأبي جعفر: أيها الأمير، إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر وما نقص من سلطانه شيء فإذا كان يسير في هذه الفرسان والرّجالة فما يفعل عبد الجبار وجهور(٢) فقال أبو جعفر لحاجبه سلام بن سليم: قل لابن هبيرة يدع الجماعة ويأتينا في حاشيته، فقال له سلام ذلك، فجاء في نحوٍ من ثلاثين، فقال له سلام: كأنك تأتينا متباهياً. . فكان بعد ذلك يأتي في ثلاثة. . ثم كتب أبو العباس إلى أبي جعفر يأمره بقتل ابن هبيرة» ـ فقَتَلَهُ.

ولَمّا تولّى أبو جعفر المنصور الخلافة خرج الخوارج الأزارقة في الأهواز

(١) أنساب الأشراف ـ البلاذري ـ ص ٤١٠ جـ ٣.

(٢) كان عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي قائد شرطة الخليفة أبي العباس السفاح ثم قائد شرطة الخليفة أبي جعفر المنصور.

وجهات فارس وتغلبوا عليها، وخرجت فرقة ثانية من الخوارج بقيادة ملبَّد بن حرملة الشيباني في الجزيرة الفراتية، فوجّه أبو جعفر المنصور يزيد بن حاتم لقتال ملبّد حتى يقْدِم إليه حُميد بن قَحْطَبة الطائي فيتوجه يزيد لقتال الخوارج الأزارقة بالأهواز.

قال الطبري: «في سنة١٣٧هـ خرج مَلَبَّد بن حرملة بناحية الجزيرة، فسارت إليه روابط الجزيرة فهزمهم، ثم سارت إليه روابط الموصل فهزمهم، ثم سار إليه يزيد بن حاتم المهلَّبيّ فهزمه ملبَّد بعد قتال شديد بينهما وقَتَل قائداً من قوّاده.. ثم سار إلى ملبّد حُميد بن قَحْطَبة وهو يومئذٍ على الجزيرة» [ص ١٦٩/ ٩] ـ فتولّى حُميد قتال ملبّد والذين معه، بينما توجّه يزيد بن حاتم لقتال الخوارج الأزارقة بإقليم الأهواز وجهات فارس فهزمهم ودخلوا في الطاعة. قال أبو الفرج الأصفهاني:

«لَمَّا انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة وقد ظفر، خلع عليه المنصور وعقد له لواء ـ الإمارة ـ على كُور الأهواز وسائر ما افتتحه»(١).

فأصبح يزيد بن حاتم أميراً لإقليم الأهواز وما جاوره من جهات فارس، وبسط الأمان والاستقرار وسيادة الدولة في تلك البلاد، ومكث والياً عليها. ووفد إليه من المدينة المنورة الشاعر ابن المولى واسمه محمد بن عبد اللّه بن مسلم ـ قال الأصفهاني ـ «فدخل إلى يزيد بن حاتم ـ بالأهواز ـ ابن المولى وقد مدحه، فاستأذنه في الإنشاد ـ [أي في إلقاء القصيدة التي مدحه بها] ـ فأذن له، فأنشده:

ألا يا لِقَوْمي هَلْ لِمَا فات مَطْلَبُ ... وهل يُعذرن ذو صبوة وهو أشيبُ
يَحنُّ إلى ليلىٰ وقد شطَّ النوى ... بليلىٰ كما حنّ اليراعُ المثَقّبُ
تقربتُ ليلى كي تثيب فزادني ... بعاداً على بُعدٍ إليها التقربُ
فداويتُ وَجدي باجتنابٍ فلم يكن ... دواء لما أبقاهُ منها التَجَنُّبُ
فلا أنا عند النأي سالٍ لِحبّها ... ولا أنا منها مُشتفٍ حين تصقبُ
وما كنتُ بالراضي بما غيره الرضا ... ولكنني أنوي العزاء فأُغْلَبُ
ولَيْلٍ خداريّ الرواق جَشَمْتُه ... إذا هابه السارون لا أتَهَيبُ
لأظفر يوماً مِنْ يزيد ابن حَاتِم ... بحبل جوارٍ، ذاك ما جئتُ أطلُبُ
بلوتُ وقَلّبتُ الرجال كما بلا ... بِكفّيه أوساط القداح مُقَلِّبُ

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٩٠ جـ ٣.

وصَعّدَني همّي وصوّب مرة ... وذو الهمِّ ـ دوماً ـ مُصْعِدٌ ومُصَوِّبُ
لأعرف ما أتلي، فلم أر مثله ... من الناس فيما حاز شرقٌ ومغربُ
أكرَّ على جيشٍ وأعظم هيبةٍ ... وأوهبَ في جودٍ لِمَا ليس يُوهبُ
تَصَدّىٰ رجالٌ في المعالي ليلحقوا ... مَداكَ وما أدركته فتذبذبوا
ورُمْتَ الذي راموا فأذللتَ صَعْبَهُ ... وراموا الذي أذللتَ منه فاصعبوا
فما تتناول من منال سنيةٍ ... يساعدك فيها المنتهى والمَرْكَبُ
ومنصب آباءٍ كرام نَمَاهُمُ ... إلى المجد آباءٌ كرامٌ ومنصبُ
كواكبُ دُجْنٍ كلما انقَضّ كوكبٌ ... بدا منهم بدرٌ مُنيرٌ وكوكبُ
أنار به آل المهلَّب بعدما ... هوى منكبٌ منهم بليلٍ ومنكبُ
وما زال إلحاحُ الزمانِ عليهم ... بنائبةٍ كادت لها الأرض تجربُ
فلو أبقتِ الأيامُ حيّاً نفاسةً ... لأبْقَاهُم للجود نابٌ ومخلبُ
وأنت ليوميْ نعمةٍ ونكايةٍ ... كما فيهما للناس كان المُهلّبُ
ألا حبذا الأحياء منكم وحبذا ... قبورٌ بها موتاكم حين غُيِّبُوا

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم، وبفرسٍ بسرجه ولجامه، وخلعة، وأقْسَم على من كان بحضرته أن يجيزوه كل واحد بما يمكنه، ففعلوا، فانصرف بملء يديه» [ص ٩٠/ ٣].

ووفد الشاعر ابن المولى مرة ثانية من المدينة المنورة إلى يزيد بن حاتم بالأهواز حوالي سنة١٤١هـ حيث قال الأصفهاني: «وفَدَ ابن المولى على يزيد بن حاتم ومدحه بقصيدته التي قال فيها:

يا واحد العرب الذي ... أضحى وليس له نظير
لو كان مِثْلَكَ آخرٌ ... ما كان في الدنيا فقير

فدعا يزيد بن حاتم بخازنه وقال: كم في بيت مالي؟ فقال له: مِن الورِق والعين بقيّة عشرين ألف دينار، فقال: إدفعها إليه، ثم قال: يا أخي المعذرة إلى اللّه وإليك، واللّه لو أن في ملكي أكثر لَمَا احتجبتها عنك» [ص ٨٧/ ٣].

وفي سنة١٤٢هـ انتقض أصبهبذ طبرستان وقتل من ببلده من المسلمين فوجّه إليه أبو جعفر المنصور رَوْح بن حاتم المهلَّبيّ وخازم بن خزيمة في جيش فهزما الأصبهبذ وفتحا طبرستان وأقام روح بن حاتم قائداً بها. قال الطبري: «وفيها ـ سنة١٤٢هـ ـ وجّه أبو جعفر المنصور عُمر بن حَفْص بن قَبِيصة بن أبي صُفرة عاملاً على السند والهند ـ [وولى حُميد بن قَحْطَبة مصر] ـ وكان ـ الوالي ـ على

المدينة محمد بن خالد القسري، وعلى مكة الهيثم بن معاوية ـ الأزدي ـ، وعلى الكوفة عيسى بن موسى، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية المهلّبي، وعلى مصر حُميد بن قَحْطَبة. . وفي سنة١٤٣هـ عُزل حُميد بن قَحْطَبة عن مصر وولّيها نوفل بن الفرات ثم عُزل نوفل ووُلّيها يزيد بن حاتم المهلّبي»(١).

* * *

ولاية يزيد بن حاتم لمصر ومعالم عهده (١٤٣ ـ ١٥٢هـ):

في رمضان أو شوال سنة١٤٣هـ ولّى الخليفة أبو جعفر المنصور الأمير يزيد بن حاتم المُهلّبيّ على مصر. وقد جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«يزيد بن حاتم بن قَبِيْصَة بن المهلّب بن أبي صُفرة الأزدي. أبو خالد. أميرٌ، من القادة الشجعان في العصر العباسي. وُلّي الديار المصرية سنة١٤٤هـ للمنصور. فمكث ـ والياً ـ سبع سنين وأربعة أشهر. . وكان جواداً ممدوحاً شديد الشَّبه بجَدِّه المهلّب في الدهاء والشجاعة»(٢).

والأصوب أن يزيد بن حاتم وُلّي مصر سنة١٤٣هـ ومكث ثماني سنين وأربعة أشهر والياً لمصر، ومن أنباء ومعالم عهده ما يلي:

ـ في رمضان ١٤٣هـ استقدم أبو جعفر المنصور الأمير حُميد بن قَحْطَبة من مصر فاستخلف عليها نائبه نوفل بن الفرات، فولّى أبو جعفر المنصور على مصر يزيد بن حاتم ـ في شوّال ١٤٣هـ ـ فمضى إليها عن طريق المدينة المنورة فأقام بالمدينة أياماً والتقى بأميرها محمد بن خالد القسري، وزار المسجد النبوي وضريح رسول اللّه ﷺ، حيث جاء في كتاب الأغاني من طريق أحمد بن زهير عن الزبير بن بكار عن عبد الملك بن عبد العزيز عن ابن المولى قال:

«كنت أمدح يزيد بن حاتم، فَلَمَّا ولّاه المنصور مصر أَخَذَ على طريق المدينة، فلقيته، فأنشدته وقد خرج من مسجد رسول اللّه ﷺ إلى أن صار إلى مسجد الشجرة، فأعطاني رزمتي ثياب وعشرة آلاف دينار، فاشتريت بها ضياعاً تغلّ ألف دينار، أقوم في أدناها وأصيح بقيِّمي ولا يسمعني وهو في أقصاها»(٣).

وقد مضى موكب يزيد بن حاتم من المدينة المنورة إلى مصر فدخل الفسطاط عاصمة مصر ـ في شوّال أو ذي القعدة ـ وكان الأمير بها نوفل بن الفرات الذي

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٧٩ جـ ٩.
(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٦٥٠.
(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٦٩ جـ ٤.

استخلفه حُميد بن قَحْطَبة، فَسَلَّم إليه مقاليد الأمور. قال ابن الأثير:

«في سنة١٤٣ عزل المنصور حُميد بن قَحْطَبة عن مصر واستعمل عليها نوفل بن الفرات ثم عزل نوفل واستعمل عليها يزيد بن حاتم»(١).

وقال الطبري: «في سنة١٤٣هـ عُزِل حُميد بن قَحْطَبة عن مصر ووليها نوفل بن الفرات ثم عُزِل نوفل ووليها يزيد بن حاتم». وقال في أسماء الولاة بنهاية سنة١٤٣هـ: «كان على مصر يزيد بن حاتم»(١). فولايته لمصر بدأت في شوّال أو ذي القعدة سنة١٤٣هـ.

ـ وقام يزيد بن حاتم بتولية وإقرار العُمال على المناصب العليا بولاية مصر، وأهمها قيادة الشرطة وقوى الأمن، وولاية القضاء، وإمرة بحر مصر والإسكندرية. فولّى يزيد بن حاتم على الشرطة نصر بن حبيب بن المهلّب، وكان على بحر مصر عياش بن عقبة بن كليب الحضرمي فاستمر في منصبه إلى وفاته سنة١٦٠هـ، وولّى يزيد بن حاتم على القضاء إبراهيم بن يزيد الرُعَيْنيّ اليماني، جاء في ترجمته بكتاب الجامع:

«إبراهيم بن يزيد الرعيني، مِنْ قُضاة مصر، ولّاه الأمير يزيد بن حاتم قضاء مصر سنة١٤٤هـ، وكان ورعاً فاضلاً، واستمر قاضياً إلى أن توفي سنة١٥٤هـ».

ـ قال ابن الأثير في كتاب الكامل: «وفي سنة١٤٤هـ. كان على مصر يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب، وهو الذي قال فيه ـ ربيعة ـ ابن ثابت يمدحه ويهجو يزيد بن أسيد السُلَمي:

لشتّان ما بين اليزيدين في النَّدَىٰ　　يزيد سُلَيْم والأغرُّ ابن حاتم

في أبيات كثيرة. وكان مُمدحاً جواداً» [ص ٣٧٦/ ٤].

وكان يزيد بن أسيد السُلمي أميراً لإقليم من أقاليم أرمينية وهو من بني بُهْثَة بن سُلَيم القيسية العدنانية فقصده الشاعر ربيعة بن ثابت الرَّقي وهو من بني أسد القيسية، من أهل الرَّقّة بالجزيرة الفراتية، وكان قد أملق، وعليه ديون، ورهن منزله ـ جاء في كتاب الأغاني أنه:

«قال ربيعة بن ثابت: رحلتُ إلى يزيد بن أسيد بأرمينية، فأعلمتُه بحالي ومدحته وأقَمْتُ عنده حولاً، فوهب لي خمسمائة درهم، فتحملتُ، وصرتُ بها إلى منزلي، فلم يبق معي شيء كبير، وكان منزلي مرهوناً، فنزلت في دارٍ بكراء

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٧٩ جـ ٩.

ـ [أي في منزل بإيجار] ـ فقلتُ: لو أتيتُ يزيد بن حاتم. ثم قلتُ هذا ابن عمي ـ يزيد بن أسيد ـ فعل بي هذا الفعل فكيف بغيره. ثم حملتُ نفسي على أن آتي يزيد بن حاتم، فأُعلم بمكاني، فتركني أشهراً حتى ضجرتُ، فكتبتُ بيتاً في رقعةٍ، فألقيته في دهليزه فوقعت الرقعة في يد حاجبه، فأوصلها إليه، فقرأ البيت وهو:

أراني ولا كفران للّه راجعاً ... بخُفَّيْ حُنَينٍ من يزيد ابن حاتم

فبعث إليّ، فَلَمَّا دخلتُ إليه قال: هيه أنشدني ما قُلتَ، فتَمَنعتُ، فقال: واللَّه لتُنشدني، فأنشدته».

ـ وكان ربيعة بن ثابت لَمَّا دخل إلى يزيد بن حاتم، مدحه بقصيدة ذكر الأصفهاني أنه «قال ربيعة بن ثابت يمدح يزيد بن حاتم:

مَنْ لِعَيْنٍ رأت خيالاً مُطيفا ... واقفاً هكذا علينا وقوفا

طارقاً موهناً ألمّ فحيّا ... ثم ولىٰ فهاج قلباً ضعيفا

ليت نفسي وليتَ أنفس قومي ... يا يزيد النَّدَى تقيك الحتوفا

ليس يخشىٰ، مهلَّبيٌّ كريمٌ، ... حاتميٌّ قد نال فرعاً منيفا»

وعندئذٍ قال له يزيد بن حاتم: هيه، أنشدني ما قُلت في الرقعة، فتَمنّعَ ربيعة، فقال: واللَّه لتُنشِدني، فأنشده البيت وهو:

أراني ـ ولا كفران باللّه ـ راجعاً ... بخُفّي حُنَينٍ من يزيد ابن حاتم

«فقال يزيد بن حاتم: واللَّه لا ترجع كذلك، ثم قال: انزعوا خُفّيْه، فنُزِعا، فحشاهما دنانير ـ ذهباً ـ وأمر له بغلمانٍ وجوارٍ وكسوةٍ، وقضى ديونه، فانصرف ربيعة بن ثابت ـ إلى الرَّقَّة ـ وهو يقول:

لشَتَّانَ ما بينَ اليزيدَيْن في النَّدَىٰ ... يزيد سُليْم والأغرُّ ابن حَاتِم

يزيد سُليْم سالم المال، والفتى ... أخو الأزد للأموال غير مُسَالِم

فَهَمُّ الفتى الأزديّ إنفاق ماله، ... وهَمُّ الفتى القيسيّ جمع الدراهم

فلا يحسَبُ التمتام أنّي هجوته ... ولكنني فَضّلْتُ أهل المكارم

فيا ابن أسيدٍ لا تُسام ابن حاتِمٍ ... فتقرع إن ساميتَهُ سن نادم

هو البحرُ إن كلفتَ نفسك خوضهُ ... تهالكتَ في موجٍ له مُتلاطم»

[ص ٣٧/ ١٥ ـ الأغاني]

ووفد الشاعر ربيعة الرّقي إلى الأمير يزيد بن حاتم عدة مرات، بحيث قال

الأصفهاني: «استفرغ ربيعة الرّقي جهده في مدح يزيد بن حاتم وله فيه عدة قصائد مختارة يطول ذكرها» [ص ٤٠/ ١٥ ـ الأغاني].

ـ ومن أنباء عهد ولاية يزيد بن حاتم لمصر وقوع تمرد من القبط الذين في منطقة سخا بمصر سنة ١٥٠هـ فوجّه يزيد بن حاتم إليهم قوة من الفسطاط بقيادة نصر بن حبيب بن المهلَّب قائد الشرطة حيث جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «نصر بن حبيب المهلَّبيّ: أمير، كان على شرطة يزيد بن حاتم بمصر وأفريقيا، وعقد له يزيد بن حاتم على أهل مصر يوم خرج القبط في سخا سنة ١٥٠هـ فبيّتهم القبط، وأُصيب نصر بطعنتين، وانهزم من معه إلى الفسطاط» [ص ٦١٢]. ثم قضى يزيد بن حاتم على التمرد بالحكمة أو بالقوة.

ـ ووفد إلى يزيد بن حاتم في مصر الشاعر ابن المولى محمد بن عبد اللّه بن مسلم الأنصاري بالولاء. قال الأصفهاني:

«استفرغ ابن المولى مدحه في يزيد بن حاتم وقال فيه قصيدته التي يقول فيها:

يا واحد العرب الذي دانت له ... قحطانُ قاطبةً وسَادَ نِزارا
إنّي لأرجو إن لقيتُكَ سالماً ... أن لا أعالج بعدك الأسفارا
رِشت النّدىٰ ولقد تكسَّرَ ريشُه ... فعلا النَّدَىٰ فوق البلاد وطارا

وقصده بها إلى مصر وأنشده إياها، فأعطاه حتى رضي. ومرض ابن المولى عنده بمصر مرضاً طويلاً وثقل حتى أشفى فَلَمَّا أفاق من علته ونهضَ، دخل عليه يزيد بن حاتم متعرفاً خبره وقال له: لوددتُ واللّه يا أبا عبد اللّه أن لا تعالج بعدي الأسفار حقاً، ثم ضاعف صلته» [ص ٨٧/ ٣].

ـ وفي شهر ربيع سنة ١٥٢هـ انتهت ولاية يزيد بن حاتم لمصر. قال الطبري: «في سنة ١٥٢هـ عُزِل يزيد بن حاتم عن مصر». ثم «في مطلع سنة ١٥٤هـ ولّى أبو جعفر المنصور يزيد بن حاتم أفريقيا» ـ فمكث يزيد بن حاتم والياً لأفريقيا الشمالية حتى وفاته بالقيروان ـ في خلافة الرشيد بن المهدي بن المنصور ـ في رمضان سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٧م.

٥

عبد اللَّه بن عبد الرحمن التُّجيبيّ.. أمير مصر

(١٥٢ ـ ١٥٥هـ)

هو خامس الولاة اليمنيين الذين حكموا مصر في العصر العباسي، الأمير عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج بن جَفْنة بن قُتَير التُّجَيْبِيّ السكوني الحضرمي.. والي مصر سنة١٥٢ ـ ١٥٥هـ.

كان جده معاوية بن حُديج من كبار الزعماء اليمنيين الذين دخلوا مصر في الفتح العربي الإسلامي لمصر في خلافة عمر بن الخطاب. قال الحافظ ابن حجر في ترجمته بكتاب الإصابة في تمييز الصحابة:

«معاوية بن حُديج بن جفنة بن تُجيب السكوني.. ذكره ابن سعد فيمن وُلِّي مصر من الصحابة. وقال ابن يونس: وَفَد على رسول اللَّه ﷺ وشهد فتح مصر ثم كان الوافد على عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية... وأخرج له أبو داود والنسائي حديثاً في السهو في الصلاة، والنسائي حديثاً في التداوي بالحجامة والغسل، والبغوي حديثاً قال فيه: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «غدوة في سبيل اللَّه أو روحة خير من الدنيا وما فيها»[(١)].

وكان معاوية بن حديج من قادة فتح أفريقيا الشمالية في خلافة عثمان بن عفان، ثم كان أمير الفتح لأفريقيا في خلافة معاوية بن أبي سفيان ثم أصبح والياً لمصر في خلافة معاوية سنة٤٨ ـ ٥١هـ. قال عنه الحسن بن أحمد الهمداني:

«معاوية بن حُديج بن جفنة بن قُتَير التجيبي، سيدُ تُجيب ورأس اليمانية بمصر.. وكان إذا وَفَد على معاوية بن أبي سفيان قُلِّسَت له الطُرق، والتَّقِليس أن يُضرب عليها قباب الرياحين»[(٢)]. ومات معاوية بن حديج في مصر سنة٥٢هـ الموافق ٦٧٢م.

وكان ابنه عبد الرحمن من كبار رجال الدولة بمصر في عهود خلافة بني

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٤٣١ جـ ٣.

(٢) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ٢٣١ جـ ٢.

مروان. وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج التُجيبيّ الكندي الحضرمي: قاضي مصر، وأحد كبار علمائها. جُمع له القضاء وخلافة السلطان فيها. وكان ثقة في الحديث، توفي سنة٩٥ هجرية»[1].

بينما جاء في كتاب الكامل لابن الأثير أنه: «في سنة١١٠هـ غزا الصائفة عبد اللّه بن عقبة الفهري وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج»[2] وكذلك قال الطبري «في سنة١١٠هـ. . كان على جيش البحر فيما ذكر الواقدي عبد الرحمن بن معاوية بن حديج»[3] فإذا كان عبد الرحمن مات ـ كما في كتاب الجامع ـ سنة٩٥هـ فالذي كان على جيش البحر سنة١١٠هـ هو عبد اللّه بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج.

وكان عبد اللّه بن عبد الرحمن من كبار رجال الدولة بمصر في عهد خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وولاية حفص بن الوليد الحضرمي لمصر سنة١٢٤ ـ ١٢٨هـ ثم إن حَفْص بن الوليد عزله مروان بن محمد بن مروان في أول سنة١٢٨هـ وولّى على مصر حوثرة بن سهيل القيسي، فسار حَفْص ليُسلم عليه في دار الإمارة فقبض عليه حوثرة وضرب عنقه ـ بأمر مروان بن محمد ـ مما أدى إلى استياء غالبية اليمانية بمصر، وكان غالبية الجند والقادة بمصر من اليمانية. وبالرغم من أن مروان ولّى عبد الملك اللخمي اليماني على مصر في أول سنة١٣٢هـ فإن قلوب يمانية مصر إنقلبت على مروان ومالوا إلى الدعوة العباسية، فكان عبد الأعلى بن سعيد الجيشاني الرُعينيّ أولُ من سوّد بمصر ودعا إلى الخلافة العباسية بينما كان عبد اللّه بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج أول من خطب بمصر في رداء أسود شعار العباسيين. قال القاضي سعدي أبو جيب: «لَمّا جاء مروان منهزماً ودخل مصر في أواخر شوال سنة١٣٢هـ وجد جيش مصر قد تنكر له ورفع الرايات السود شعار بني العباس»[4] ثم سقط مروان قتيلاً بسيف عامر بن إسماعيل المذحجي اليماني في بوصير بالفيوم في ٢٧ ذي الحجة ١٣٢هـ وبدأ بذلك عصر الخلافة العباسية. فكان عبد اللّه بن عبد الرحمن من كبار رجال الدولة بمصر في عهود ولاية أبي عون (١٣٣ ـ ١٤١هـ) ومحمد بن الأشعث (١٤١ ـ ١٤٢هـ) وحميد بن قحطبة (١٤٢ ـ ١٤٣هـ) ويزيد بن حاتم المهلّبيّ (١٥٣ ـ ١٥٢هـ) ثم ولّاه أبو

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٣١٤.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٢٠٥ جـ ٤.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٩٦ جـ ٨.

(٤) مروان وأسباب سقوط الدولة الأموية ـ سعدي أبو جيب ـ ص ١٥٢.

جعفر المنصور على مصر بعد يزيد بن حاتم سنة١٥٢هـ. وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي نصه:

«عبد اللّه بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج التُّجيبي، المعروف بالتُّجيبي الأمير. أمير. كان هو وأبوه من أكابر المصريين من أعوان بني أُمية في عهدهم. ووُلِّي مصر للمنصور العباسي سنة١٥٢هـ. وهو أول من خطب في رداء أسود شعار العباسيين. استمر في ولايته إلى أن توفي سنة١٥٥هـ»[١].

وقد ذكر الطبري أن عامل مصر سنة١٥٢ ـ ١٥٧هـ كان محمد بن سعيد، مما يشير إلى أنه كان عاملاً على الخراج بينما كان عبد اللّه بن عبد الرحمن التُّجيبي هو الوالي الأمير. وكان من كبار رجال الدولة بمصر في عهده:

«عبد اللّه بن لهيعة الحضرمي: قاضي الديار المصرية وعالمها ومحدّثها في عصره.. وُلِّي القضاء بمصر سنة١٥٤هـ، وأجرى له أبو جعفر المنصور ثلاثين ديناراً كل شهر، فأقام قاضياً لمصر عشر سنين».

وقد استمر عبد اللّه بن عبد الرحمن التُّجيبي والياً لمصر إلى أن توفي بالفسطاط عاصمة مصر في شهر ـ ربيع الأول ـ سنة١٥٥هـ الموافق ٧٧٣ ميلادية.

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٣٣٧.

٦

محمد بن عبد الرحمن التُّجيبيّ.. أمير مصر

(١٥٥هـ)

هو سادس الولاة اليمنيين لمصر في العصر العباسي، الأمير محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج التُجيبيّ الحضرمي. حفيد الزعيم الصحابي معاوية بن حديج رضي اللّه عنه.

كان محمد بن عبد الرحمن مساعداً ونائباً لأخيه عبد اللّه بن عبد الرحمن والي مصر سنة١٥٢ ـ ١٥٥هـ فَلَمَّا توفي أخوه ـ في حوالي ربيع الأول ١٥٥هـ ـ استخلفه على مصر فكتب إلى الخليفة أبي جعفر المنصور بوفاة أخيه واستخلافه فكتب إليه الخليفة المنصور بإقراره والياً على مصر.

وقد جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج التُّجيبي: أحد ولاة مصر. كان فيها مع أخيه عبد اللّه، وله مواقف. واستخلفه أخوهُ عليها سنة١٥٥هـ فأقرّه الخليفة أبو جعفر المنصور» [ص٥١٨].

وكان من أعلام رجال الدولة بمصر في عهده:

«العباس بن عبد الرحمن صاحب شرطة مصر سنة١٥٥هـ. وهو من بني فَضّال، مِن تجيب. وبنو فَضّال بطن من تُجيب، من كندة حضرموت» [ص٤٣٩].

والقاضي «عبد اللّه بن لهيعة الحضرمي قاضي الديار المصرية وعالِمها ومُحدِّثها في عصره.. تولّى القضاء بمصر سنة١٥٤هـ.. فمكث قاضياً لمصر عشر سنين».

* * *

واستمر محمد بن عبد الرحمن والياً لمصر حتى وفاته في حوالي شهر ذي القعدة سنة١٥٥هـ حيث جاء في ترجمته أنه «أقام والياً ثمانية أشهر ونصف. ومات وهو على الولاية سنة١٥٥هـ/ ٧٧٢م».

* * *

ثم كان من أعلام ذلك البيت اليمانيّ بمصر: هاشم بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج: كان من كبار الموظفين في خلافة الرشيد وأيام الأمين والمأمون ولعب دوراً هاماً في الدعوة إلى خلع الأمين والبيعة للمأمون سنة١٩٦هـ. وهبيرة بن هاشم بن عبد اللّه بن عبد الرحمن: اشترك مع أبيه في الدعوة إلى المأمون ثم وُلّي قيادة شرطة مصر (١٩٦ ـ ١٩٨هـ). وحُديج بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن: كان أميراً عاملاً على الاسكندرية سنة١٩٨هـ. وعبد اللّه بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج. وهو أحد من وُلّي الاسكندرية، وقُتل في فتنة الأندلسيين والصوفيين بها ـ في ولاية المطلّب بن عبد اللّه الخزاعي لمصر ـ سنة١٩٩هـ/ ٨١٤م.

٧

موسى بن عُلَيّ اللَّخْميّ.. أمير مصر

(١٥٥ ـ ١٦١هـ)

هو سابع الولاة اليمانيين لمصر في العصر العباسي، الأمير موسى بن عُلَيّ ـ بالتصغير ـ ابن رباح اللَّخْميّ القُشيبي. من بني قُشَيْب، وهم بطن من قبيلة لَخْم اليمانية، استقروا في بركوت من الشرقية بمصر، ومنهم: «عُلَيّ بن رباح، من بني قُشَيب، من لَخْم: كان من كبار علماء مصر في زمانه. توفي سنة١١٤هـ».

وكان عُلَيُّ بن رباح قد دخل أفريقيا الشمالية في ولاية موسى بن نُصير اللخميّ لأفريقيا والمغرب (٨٦ ـ ٩٤هـ) فسكن القيروان وبها كان مولد ابنه موسى ثم عاد معه إلى مصر. وأصبح موسى بن عُلَيّ من علماء الحديث الثقاة بمصر في العصر العباسي وفي ولاية يزيد بن حاتم لمصر (١٤٣ ـ ١٥٢هـ) ثم أضحى من رجال الدولة في ولاية عبد اللّه بن عبد الرحمن التُجيبي (١٥٢ ـ ١٥٥هـ) وولاية محمد بن عبد الرحمن التجيبي (١٥٥هـ) فَلَمَّا مات محمد بن عبد الرحمن استخلفه على مصر وأقرّه الخليفة أبو جعفر المنصور، فمكث والياً لمصر ست سنين وشهرين. جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«موسى بن عُلَيّ (بالتصغير) ابن رباح اللخمي، أبو عبد الرحمن. من مشاهير تابعي التابعين. أمير مصر. . كان صالحاً من ثقاة المصريين في الحديث. قال أبو نعيم: رأيتُ عليه سواداً (والسواد شعار العباسيين يلبسه من ولّي لهم عملاً) فقلت له: لم دخلت في العمل؟ فقال: أكرهني عليه أبو جعفر (المنصور) وما فَرَقْتُ أحداً كفَرْقي إياه، ولم أكن رأيته. ولَمَّا تُوفي أمير مصر محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج سنة١٥٥هـ استخلف موسى عليها، فاستمر في ولايته لمصر ست سنين وشهرين. وكان وهو أمير مصر يذهب إلى المسجد ماشياً، ويجلس فيُحدِّث وهو في داخل المقصورة والناس وراءها» [ص٦٠١].

وكان موسى بن عُلَي والياً أميراً لكل شؤون الولاية باستثناء الخراج والجباية، وكذلك كان عبد اللّه بن عبد الرحمن ومحمد بن عبد الرحمن التجيبي، فكان

العامل على الخراج محمد بن سعيد (١٥٢ ـ ١٥٧هـ) ثم أبو ضمرة محمد بن سليمان (١٥٨ ـ ١٦١هـ) لذلك جاء في رواية الطبري وابن الأثير أنه (في سنة١٥٨ ـ ١٦٠هـ ـ كان على مصر محمد بن سليمان أبو ضمرة) ـ وبما أن الوالي على مصر كان موسى بن عُلَي اللخميّ يمكن إدراك أن أبا ضمرة كان على خراج مصر. وقد مكث موسى بن عُلَي والياً لمصر (ست سنين وشهرين) فيكون ذلك من حوالي ذي القعدة سنة١٥٥هـ إلى ذي الحجة ١٦١هـ ثم أعفاه الخليفة المهدي بن أبي جعفر المنصور من الولاية وعزل أبا ضمرة محمد بن سليمان. قال ابن الأثير: «وفي سنة١٦١هـ عُزل محمد بن سليمان أبو ضمرة عن مصر في ذي الحجة. ووُلِّيها سَلَمْة بن رجاء» [ص٦١/ ٥].

وكان موسى بن عُلَي قد بلغ من الكبر عتياً. ومات بالاسكندرية سنة١٦٣هـ الموافق ٧٨٠م.

٨

سَلَمَة بن رَجَاء الكِنْدي.. أمير مصر

(١٦١ ـ ١٦٢هـ)

هو الأمير سَلَمة بن رَجَاء بن حَيْوَة الكندي الحضرمي أمير مصر سنة١٦١ ـ ١٦٢هـ وهو ثامن الولاة اليمنيين لمصر في العصر العباسي. كان أبوه (رجاء بن حيوة) من أعلام اليمانيين الذين انتقلوا من اليمن إلى الشام في العصر الأموي، وهو الذي أشرف على بناء المسجد الأقصى بالقدس في خلافة عبد الملك بن مروان سنة٦٦ ـ ٧٣هـ وكان وزيراً لعبد الملك بن مروان ثم لسليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩هـ) ثم لعمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١هـ). قال عنه الحافظ ابن كثير: «رَجَاء بن حيوة الكندي: تابعيٌّ جليل، كبير القدر، ثقةٌ فاضلٌ عادل، وزيرٌ صدقٍ لخلفاء بني أُمية.

وكان مكحول الشامي إذا سُئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة. وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثّقوه في الرواية ـ رواية الأحاديث النبوية ـ»[١].

وأنباء رجاء بن حيوة في وزارته لخلفاء بني أُمية وفي علمه وفقهه وزهده كثيرة. ومات بفلسطين سنة١١٢هـ.

* * *

وكان سلمة بن رجاء من العلماء بفلسطين، فاضلاً مثل أبيه. ولَمَّا أعفى الخليفة المهدي بن المنصور الأمير العالم موسى بن عُلَي اللخميّ من ولاية مصر وعزل محمد بن سليمان أبا ضُمرة من منصب عامل الخراج، ولَّى على مصر سَلَمَة بن رجاء، وعلى الخراج عيسى بن لقمان. قال ابن الأثير: «في سنة١٦١هـ استعمل المهدي عيسى بن لقمان على مصر وفيها عُزل أبو ضمرة محمد بن سليمان عن مصر في ذي الحجة ووُلِّيها سَلَمة بن رجاء»[٢] ويزول اضطراب الرواية بالقول أنه في ذي الحجة ١٦١هـ ولَّى المهدي سَلَمة بن رجاء على مصر وعيسى بن لقمان على خراج مصر.

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٣٠٤ جـ ٩.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٦١ و٦٢ جـ ٥.

ومكث سلمة بن رجاء والياً لمصر إلى ذي القعدة ١٦٢هـ بينما تعاقب على الخراج ثلاثة عمال مما أدى إلى الالتباس بحيث جاء في رواية ابن الأثير أنه: «في سنة١٦٢هـ عُزل سلمة بن رجاء عن مصر ووليِّها عيسى بن لقمان في محرم وعُزل عنها في جمادى الآخرة، ووليِّها واضح مولى المهدي، ثم عُزل في ذي القعدة ووليِّها يحيى الحرشي»[١].

ونميل إلى أن عيسى بن لقمان ثم واضح ـ وربما يحيى الحرشي أيضاً ـ كانوا عمالاً على الخراج والجباية، وقد كانت مدة ولاية سلمة بن رجاء لمصر زهاء سنة كاملة، وانتهت في ذي القعدة سنة١٦٢هـ. وربما انتهت بوفاته.

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٦١ و٦٢ جـ ٥.

٩

يحيى الحُرَشي... أمير مصر

(١٦٢ ـ ١٦٣هـ)

هو الأمير يحيى بن سعيد بن عمرو الحُرَشي أمير مصر سنة١٦٢ ـ ١٦٣هـ. وهو من بني حُرَيْش. جاء في ترجمتهم بكتاب الجامع: «بنو الحُرَيْش: فخذ يُنسبون إلى الحُريش بن كعب بن ربيعة، مِنْ قيس مذحج. منازلهم الشام، منهم القائد البطل سعيد بن عمرو»[١]. وجاء في ترجمته: «سعيد بن عمرو الحريش. نسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة، من قيس مذحج. قائد من الولاة الشجعان.. ولّاهُ هشام بن عبد الملك غزو الخَزَر (وهي كما يذكر ياقوت، بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدَّربند) سنة١١٢هـ فرحل إلى أرمينية»[١].. قال البلاذري: «واقَعَ سعيد بن عمرو الحُرشي الخَزَر وقد حاصروا روثان فكشفهم عنها وهزمهم». قال ابن خلدون: «.. وجمع سعيد الحُرشي الغنائم وكتب إلى هشام بالفتح، ثم استقدمه هشام وولّى أخاه مَسْلَمة بن عبد الملك أرمينية وأذربيجان»[٢]. فعاد سعيد إلى الشام وكان ذلك سنة١١٢هـ. قال البلاذري: «ثم ولّى هشام بعد مَسْلَمة سعيدَ الحُرَشي أرمينية وأذربيجان، فأقام بالثغر سنتين»[٣].ـ وذلك سنة١١٤ ـ ١١٥هـ ـ ثم أمره هشام بالعودة، فعاد إلى الشام. وربما مات بعد سنة١٣٠هـ.

* * *

ثم كان يحيى بن سعيد الحُرشي من القادة الشجعان في خلافة أبي جعفر المنصور وخلافة المهدي بن المنصور. وولّاه المهدي على مصر في ذي القعدة سنة١٦١. حيث ذكر الطبري وابن الأثير أنه: «في ذي القعدة سنة١٦٢هـ وُلّي مصر يحيى الحُرشي»[٤]. فمكث والياً لمصر نحو سنة ـ إلى رمضان أو شوال

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٦٢ وص ٢٣٧.

(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٤١٦.

(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٤٥١.

(٤) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٦٢ و١٠٣ و١٠٩ جـ ٥.

سنة١٦٣هـ. ثم عزله المهدي، وبتعبير أدق نقله المهدي إلى ولاية طبرستان في شمال إيران وبحر قزوين.

قال الطبري: «في سنة١٦٤هـ كان ـ الوالي ـ على طبرستان والرّويان يحيى الحُرشي»[1]. . فمكث والياً عليها نحو أربع سنين. قال الطبري: «وعُزل يحيى الحرشي عن طبرستان والرّويان سنة١٦٧هـ»[1]. ولم يزل من الأمراء إلى خلافة هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، وولّاه الرشيد على الموصل. قال ابن الأثير: «في سنة١٨٠هـ استعمل الرشيد على الموصل يحيى بن سعيد الحرشي، فطَالَب أهلها بخراج سنين وظلمهم»[2] ومكث والياً للموصل إلى سنة١٨١هـ. ثم ولّى الرشيد يحيى الحرشي على الجبل سنة١٨٤هـ»[2]. ومات بعد سنة١٨٥هـ.

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٩ جـ ١٠.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٦٢ و١٠٣ و١٠٩ جـ ٥.

١٠
مَنْصُور بن يزيد الرُّعَيْني.. أمير مصر
(١٦٣ ـ ١٦٤هـ)

هو الأمير منصور بن يزيد بن منصور الرُّعيني الحميري. نجل خال الخليفة المهدي الأمير يزيد بن منصور وهو ـ كما ذكر المسعودي في مروج الذهب ـ «يزيد بن منصور بن عبد اللّه بن ذي سَهْم بن ذي سرح. مِنْ ولد ذي رُعَيْن، مِنْ ملوك حِمْير»[(١)].

كان يزيد بن منصور والياً لليمن سنة١٥٣ ـ ١٥٩هـ ثم استقدمه الخليفة المهدي بن المنصور من اليمن إلى العراق، وأضحى من كبار مستشاري الخليفة المهدي وكان معه ابنه (منصور بن يزيد بن منصور). قال الطبري: «وفي سنة١٦٣هـ صار المهدي إلى بيت المقدس فصلّى فيه ومعه العباس بن محمد والفضل بن صالح وخاله يزيد بن منصور»[(٢)] ـ وكان ذلك في رمضان ١٦٣هـ وكان الوالي على فلسطين إبراهيم بن صالح بن علي العباسي وعلى مصر يحيى بن سعيد الحرشي ـ قال الطبري: «وفيها عزل المهديُّ إبراهيم بن صالح عن فلسطين فسأله يزيد بن منصور حتى ردّه عليها»[(٢)].

وعندئذ ـ في رمضان أو شوال ١٦٣هـ ـ عزل المهديُّ يحيى الحرشي عن مصر وبدأت ولاية منصور بن يزيد بن منصور لمصر. جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«منصور بن يزيد بن منصور الرُّعينيّ الحِمْيريّ: من الأمراء. كان حاكماً لمصر سنة١٦٤هـ»[(٣)].

ومكث منصور والياً لمصر إلى شعبان أو رمضان سنة١٦٤هـ فكانت ولايته لمصر زهاء سنة واحدة.

* * *

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٣١٩ جـ ٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٣٤٥ جـ ٩.

(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٥٩٦.

وبعد انتهاء ولايته لمصر أصبح منصور بن يزيد بن منصور والياً لليمن ـ من رمضان ١٦٤هـ حتى سنة١٦٦هـ ـ ثم عاد إلى العراق وكان من كبار رجال الدولة، ووُلِّي خُراسان في خلافة الرشيد بن المهدي. قال الطبري: «في سنة١٧٩هـ ولَّى الرشيد على خراسان منصور بن يزيد بن منصور الحميري»[1]. ومكث والياً لخراسان إلى سنة١٨٠هـ. ثم عاد إلى البصرة، وتوفي بها بعد سنة١٨٠هـ/ ٨٠٢م.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٦٥ جـ ١٠.

١١

موسى بن مُصعب.. شر ملوك مصر

(١٦٧ ـ ١٦٨هـ)

هو الأمير اليماني موسى بن مُصْعَب الخَثْعَمي، من قبيلة خَثْعم بن أنمار بن أراشة بن عمرو بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.[1] ومنطقة خثعم في اليمن ذكرها الحسن بن أحمد الهمداني قائلاً: «المحجر الأعلى والمحجر الأسفل والأكراب والمتار لبني مُنبه وهم من خَثْعم كلهم»[2]. وقال القاضي محمد بن الأكوع في الهامش: «المحجر الأعلى والمحجر الأسفل: من ظاهر رداع. والمتار: قرية في الشمال الشرقي من رداع، دعوتهم في قائفة»[2].

وكان موسى بن مصعب رابع أربعة أمراء من خثعم في ذلك العصر العباسي. منهم موسى بن كعب بن سفيان الخثعمي أمير الجزيرة الفراتية والموصل سنة١٥٥ ـ ١٥٨هـ في خلافة أبي جعفر المنصور. ومنهم: «العباس بن سفيان الخثعمي: قائد بحري، كان أميراً على غازية البحر في خلافة المنصور العباسي. غزا قبرص بجيش سنة١٤٦هـ فكان أول من غزاها في العصر العباسي. ومات نحو سنة١٥٠ هجرية»[3]. ومنهم الغمر بن العباس الخثعمي أمير البحر في خلافة المهدي بن المنصور. قال الطبري: «في سنة١٦٠هـ غزا الغمر بن العباس الخثعمي من بحر الشام». وقال: «وفي سنة١٦١هـ غزا الغمر بن العباس في البحر»[4] وكان يغزو إلى سواحل الروم الأوروبية. ثم الأمير موسى بن مصعب الخثعمي أمير مصر سنة١٦٧ ـ ١٦٨هـ. قال الطبري: «في سنة١٦٧هـ كان العامل على مكة عبيد اللّه بن قثم، وعلى اليمن سليمان بن يزيد الحارثي، وعلى الكوفة رَوْح بن حاتم ـ المهلَّبي ـ. وعلى خراسان وسجستان الفضل بن سليمان الطوسي ـ الطائي

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٢٧.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٩٢.

(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٢٩٦ وص ٦٠٢.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٣٣٤ جـ ٩ وص ٩ جـ ١٠.

ـ، وعلى مصر موسى بن مصعب، وعلى أفريقيا يزيد بن حاتم ـ المهلَّبيّ ـ»[١].

وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «موسى بن مُصعب الخثعمي: أمير، من القوّاد في العصر العباسي، وُلِّي مصر سنة١٦٧هـ للمهدي، وتشدد في طلب الخراج، فنقم عليه الجند والناس. ثم ثار بعض أهل مصر فقاتلهم بالجُند، فانهزم جنده وقُتِل هو في مكان يُسمى العريرا. قيل: إنه كان ظالماً غاشماً، من شر ملوك مصر»[١]. ـ وكان مقتله ـ في حوالي شهر ذي القعدة سنة١٦٨هـ الموافق ٧٨٥م.

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٣٣٤ جـ ٩ وص ٩ جـ ١٠.

١٢

عَسَّامةُ المَعَافِريّ.. والي مصر

(١٦٨ ـ ١٦٩هـ)

هو الأمير اليماني عَسَّامة بن عمرو بن علقمة المعافري، والي مصر سنة١٦٨ ـ ١٦٩هـ. وهو من أبناء قبيلة ومنطقة المعافر باليمن.

قال ابن خلدون: «أما معافر فهُم: بنو معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وافترقوا في الفتوحات، وكان منهم المنصور بن أبي عامر حاجب هشام بالأندلس»[1].

ومنطقة المعافر هي بلواء تعز في اليمن. قال القاضي محمد الأكوع في هامش كلام الهمداني عن المعافر ما يلي: «المعافر هو ما يسمى اليوم الحجرية وهو من أفخم المخاليف وأشهرها، ولهذا سماهُ الأمير محمد بن أبان الخنفري دار الملك حيث قال:

حَلّوا المعافر دار المُلك فاعتزموا صِيدٌ مقَاولةٌ من نسل أحرار

ويقع مخلاف المعافر جنوب مدينة تعز فيما بين برداد والضباب شمالاً وما بين ذبحان وما تاخم أصابح لحج الصبيحة جنوباً وما بين بني مجيد بلاد المخا غرباً وخدير والجَنَد والسكاسك شرقاً»[2].

وكان لرجالات المعافر إسهامهم في الفتوحات العربية الإسلامية، «وكان لهم دور بارز في فتح مصر ولهم خطّة بالفسطاط ـ عاصمة ولاية مصر ـ وكان مرتبعهم في أتريب وَسَخا (كورة عاصمتها مدينة سَخَا الحالية بكفر الشيخ ومنوف) وقد أقام جانب منهم في الاسكندرية. وكانت المعافر من أكثر القبائل اليمنية عدداً في مصر، كانوا ـ كما ذكر المقريزي ـ عشرين ألفاً، ولذلك قال عنهم الشاعر عبد الرحمن بن الحَكَم:

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٣٦.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ٢٠٧.

وسَــدَّت مَـعَـافِـرُ أفـق الـبِـلادِ بِـمُـرعِـدِ جَـيْـشٍ لـهـا مُـبْـرِقِ»[1]

وكان منهم الأمير عسامة المعافري والي مصر، وهو كما جاء في ترجمته بكتاب الجامع: «عسامة بن عمرو بن علقمة المعافري، أبو داجن: أمير مصر. مولده ووفاته بها. وُلِّي شرطتها عدة مرات. واستخلفه موسى بن مصعب على إمارتها نيابة. وقُتل موسى سنة١٦٨هـ فأقرّه المهدي العباسي عليها. ثم عُزل بعد ثلاثة أشهر وأيام. وأُعيد إلى ولايتها بالنيابة، وأُقيل. وكان من ذوي الرأي والشجاعة»[1] وتوفي سنة١٧٦هـ/ ٧٩٢م.

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٥٨٠ و٣٧٤.

١٣

مَسْلَمة بن يحيى البَجَلِيّ.. والي مصر

(١٧٢ ـ ١٧٣هـ)

هو الأمير اليماني مَسْلَمة بن يحيى بن قُرَّة البَجَلِيّ أمير مصر في خلافة الرشيد بن المهدي سنة١٧٢ ـ ١٧٣هـ وهو من قبيلة بَجيلة اليمانية وهم: بنو بَجِيلة بن أنمار بن أراشة بن عمرو بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.[١] قال ابن خلدون: «أما بَجِيلة فبلادهم في سروات البحر إلى تبالة. وقد افترقوا على الآفاق في الفتح، فلم يبق منهم بمواطنهم إلا القليل.. وأما حالهم لأول الفتح الإسلامي فمعروف ورجالاتهم مذكورة»[١].

وقد دخلت فرقة من بجيلة إلى خُراسان في ولاية الأمير خالد بن عبد اللّه القَسْري البجلي للعراق والمشرقين سنة١٠٥ ـ ١٢٠هـ ـ في خلافة هشام بن عبد الملك ـ وولاية الأمير أسد بن عبد اللّه القَسْري لخراسان، ومنهم منصور بن مسلم البجلي قائد مقدمة جيش أسد بن عبد اللّه القسري في فتح الجوزجان وبلاد خاقان سنة١١٩ هجرية، والأشعث بن جعفر البجلي عامل أسد على إقليم مرو بخراسان.[٢] وأسْلم بن أبي سلام البجلي: كان مع سليمان بن كثير الخزاعي نقيب نقباء الدعوة العباسية في خراسان، وسار سليمان بن كثير وأسلم البجلي إلى عليّ بن جديع الكرماني زعيم الأزد بخراسان يدعوانه إلى الدخول في الدعوة سنة١٣٠هـ حيث جاء في كتاب أخبار الدولة أنهما «أقبلا عليه يحرضانه ويرغبانه حتى أجابهما إلى قبول الدعوة»[٣].

أما مسلمة بن يحيى البجلي فكان هو وأخوه جبريل من قادة الجيش العربي في خراسان لذلك جاء في ترجمته بالجامع أن (أصله من خراسان) والصواب أنه دخل خراسان أيام أسد القسري ثم عاد إلى العراق في جيش الدعوة العباسية

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٣٦.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٢٣٧ و٢٤٨ جـ ٨.

(٣) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٢٨٨.

سنة١٣٢هـ مع أخيه جبريل وغيرهما من فرسان بجيلة، ثم كان مسلمة وجبريل من قادة الجيش العربي بثغور الشام ودروب أرض الروم ـ بتركيا ـ سنة١٣٩هـ حيث قال البلاذري:

«أمر أبو جعفر المنصور بعمران مدينة المَصِّيصَة سنة١٣٩هـ. . فوجّه صالحُ بن عليّ جبرئيل بن يحيى البجلي إليها فعمرها وأسكنها الناس في سنة١٤٠هـ. . وبنى فيها مسجداً جامعاً في موضع هيكل كان بها. . .

قال أبو النعمان الأنطاكي: وبُنيت أذنة في سنة١٤١هـ وسنة١٤٢هـ والجنود معسكرون عليها مع مَسْلمة بن يحيى البجلي ومالك بن أدهم، وجهها صالح بن عليّ»[1].

ولم يزل القائدان جبرئيل ومسلمة مرابطين في ثغور الجزيرة الفراتية والشام. ففي سنة١٤٧هـ «غزا استرخان الخوارزميّ في جمع من الترك على المسلمين بناحية أرمينية. . وكان أبو جعفر المنصور حين بلغه تحزّب الترك فيما هنالك وجّه إليهم جبرئيل بن يحيى وكتب إلى حرب بن عبد اللّه الراوندي ـ [وكان حرب مقيماً بالموصل في ألفين من الجند] ـ بالمسير مع جبرئيل إليهم، فسار معه حرب، فقُتِل حرب، وانهزم جبرئيل»[2] وقد انسحب جبرئيل لكثرة العدو حتى قدوم الأمير حميد بن قحطبة الطائي سنة١٤٨هـ فدخل معه أرمينية وتفليس فهرب العدو منها[2].

وفي سنة١٥١هـ ولّى الخليفة أبو جعفر المنصور حُميد بن قَحْطبة بلاد خراسان وسار جبرئيل معه إلى خراسان وكان من كبار قوّاده، وولّاه على سمرقند وما وراء النهر. قال ابن الأثير: «في سنة١٥٩هـ ولّى جبرئيل بن يحيى سمرقند فبنى سورها وحفر خندقها»[3].

ومكث مسلمة بن يحيى البجلي بثغور الشام والعراق إلى أن ولّاه الخليفة هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور على مصر سنة١٧٢هـ. وكانت الفتن قد شاعت في مصر منذ مقتل أميرها موسى بن مصعب الخثعمي سنة١٦٨هـ فَلَمَّا ولّى الرشيد مسلمة البجلي سار إلى مصر في عشرة آلاف من الجند غالبيتهم من قبيلة بجيلة الذين كانوا في الجيش بالعراق فأصبحوا من رجال الجيش والشرطة بمصر

---

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ١٧٠ و١٧٢.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٢٦٤ و٢٧٦ جـ ٩.
(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٥٣ جـ ٥.

واستقروا بها في ولاية مسلمة لمصر سنة١٧٢هـ. حيث جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«مَسْلَمة بن يحيى بن قُرَّة البَجليّ الخُراساني: قائد. من الولاة في العصر العباسي. أصله من (قوّاد) خراسان، وكان من أكابر القوّاد. ولّاه الرشيد إمْرَة مصر سنة١٧٢هـ فدخلها ومعه عشرة آلاف من الجند..»[١] وجاء في ترجمة قبيلة بجيلة اليمنية ما يلي:

«دخلت بجيلة مصر في الجنود الذين صحبوا مسلمة بن يحيى البجلي عندما ولّاه الرشيد إمْرَة مصر سنة١٧٢ ـ ١٧٣هـ إذْ أن عشرة آلاف من الجند صحبوا مسلمة من العراق إلى مصر، وكان العدد الأكبر منهم من قبيلة بجيلة. وقد برز في مصر رجال من بجيلة، منهم عبد الرحمن بن مسلمة (١٧٢ ـ ١٧٣هـ) إذْ كان صاحب الشرطة لأبيه. وحبيب بن أبان البجلي وكان صاحب الشرطة سنة١٧٣هـ»[١].

وانتشرت الفتن بمصر في أيام ولاية مَسْلمة البجلي، فعُزل سنة١٧٣هـ وولايته أحد عشر شهراً[١]. ولكن بجيلة استمرت ذاتَ وجود فعالٍ في مصر، وكان منهم سليمان بن غالب البجلي صاحب الشرطة سنة١٩٣ ـ ١٩٦هـ والذي ـ كما سيأتي ـ أصبح والياً لمصر سنة٢٠١هـ.

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٥٧٣ وص ١٠٤.

١٤

محمد بن زهير الأزدي.. والي مصر
(١٧٣هـ)

هو الأمير اليماني محمد بن زهير بن محمد الأزدي الغامدي أمير مصر سنة١٧٣هـ. كان أبوه من قادة ورجالات الجيش العربي بخراسان في عهد أسد بن عبد اللَّه القسري أمير خراسان سنة١١٦ ـ ١٢٠هـ واستقر في مدينة أبيورد بخراسان مع كتيبة من الجيش العربي ثم انضوى في الدعوة العباسية فكان من السبعين الذين نهضوا بأمر الدعوة العباسية حيث جاء في كتاب أخبار الدولة أن:

«منهم، من أهل أبيورد سبعة رجال: عثمان بن نهيك العكّي، عيسى بن نهيك العكي، أبو العباس الفضل بن سليمان الطائي. عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، يزيد بن عبد الرحمن الأزدي، الهيثم بن معاوية العتكي، زهير بن محمد الأزدي الغامدي»[١].

وكان زهير بن محمد من قادة جيش الدعوة العباسية الذي دخل العراق مع قحطبة بن شبيب الطائي سنة١٣٢هـ حيث تحصّن ابن هبيرة ـ عامل مروان بن محمد ـ بمدينة واسط فسار إليه الحسن بن قحطبة مع كوكبة من القادة بينهم زهير بن محمد الأزدي. قال الطبري: «وجّه أبو سَلَمَة الحسن بن قحطبة إلى ابن هبيرة بواسط، وضمّ إليه قوّاداً منهم: خازم بن خزيمة، ومقاتل بن حكيم العكي.. والفضل بن سليمان الطائي، وعبد الكريم بن مسلم، وعثمان بن نهيك، وزهير بن محمد، والهيثم بن زياد، وأبو خالد المروزي، وغيرهم، ستة عشر قائداً، وعليهم الحسن بن قحطبة»[٢]. ثم استقر زهير بن محمد بالعراق.

وفي سنة١٤٣هـ ولّى الخليفة أبو جعفر المنصور يزيد بن حاتم المهلّبي على مصر فدخلها معه كوكبة من القادة الأزد بينهم محمد بن زهير بن محمد الأزدي حيث جاء في كتاب الجامع أنه: «لَمّا وُلّي حكم مصر يزيد بن حاتم المهلّبي

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٢١٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٢١ جـ ٩.

الأزدي (١٤٤ ـ ١٥٢هـ) جاء معه عدد من الأزد.. منهم العلاء بن رَزِين، وعبد الجبار بن عبد الرحمن وعبد العزيز بن عبد الجبار، وكان ممن اشتهر في مصر من الأزد محمد بن زهير حاكم مصر للرشيد العباسي»[1].

وفي حوالي شهر رجب ١٧٣هـ أصبح محمد بن زهير والياً لمصر فحكمها خمسة أشهر، وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «محمد بن زهير الأزدي: أمير، ولّاهُ الرشيد العباسي مصر سنة١٧٣هـ، فأقام والياً خمسة أشهر إلا أياماً، وعزله الرشيد، فعاد إلى بغداد، وجُعل في جُملة القوّاد»[1]. وتوفي حوالي سنة١٨٠هـ.

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٧٩ وص ٥٠٨.

١٥

داوُد بن يَزِيد بن حَاتِم.. أمير أفريقيا

(١٧٠ ـ ١٧١هـ) ووالي مصر (١٧٣ ـ ١٧٤هـ)

هو الخامس عشر من الولاة اليمنيين الذين حكموا مصر في العصر العباسي، الأمير داود بن يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المهلَّب الأزدي. قال الشاعر أبو عُيينة يُثني على داود ويذم ابن عمه قَبِيصة بن رَوْح بن حاتم:

أقَبيص لَسْتَ وإن جَهَدتَ بِمُدركٍ ... سَعْيَ ابن عَمِك ذي العلى داودِ

شَتَّان بينك يا قَبِيص وبينه ... إنّ المذمّم ليس كالمحمودِ

اختار داودُ بناء محامدٍ ... واخترت أكل شبارقٍ وثريد

قد كان مجد أبيك لو أحييته ... رَوْحُ ـ أبا خلف ـ كمجد يزيد

لكنْ جرى داودُ جري مُبَرزٍ ... فحوى المَدَى، وجريتَ جري بليد

داودُ محمود، وأنت مُذمّمٌ ... عجباً لذاك وأنتما من عُودِ

ولربّ عود قد يُشَقُّ لمسجدٍ ... نصفاً وسائره لحش يهودِ

فالحشُّ أنت له وذاك لمسجدٍ ... كم بين موضع مسلح وسجودِ

هذا جزاؤك يا قَبِيص لأنّه ... جادت يداهُ وأنت قفل حديد(١)

***

كان داود أشهر أبناء الأمير يزيد بن حاتم الذين برز منهم أربعة أمراء، خالد، وداود، والمغيرة، ومحمد. وكان داود مع أبيه الأمير يزيد بن حاتم في عهد ولايته لمصر سنة١٤٣ ـ ١٥٢هـ ثم ولايته لأفريقيا الشمالية (١٥٤ ـ ١٧٠هـ) ومات يزيد بن حاتم بالقيروان وهو والٍ لأفريقيا الشمالية في رمضان سنة١٧٠هـ في خلافة الرشيد، فأصبح داود والياً لأفريقيا الشمالية (ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب).

قال ابن الأثير: «مات يزيد بن حاتم في رمضان سنة١٧٠هـ وكانت ولايته لأفريقيا خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر، واستخلف ابنه داود ـ على أفريقيا ـ وانتقضت جبال باجة وخرج فيها الإباضية فسيّر إليهم داود جيشاً فظفر بهم الإباضية

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٢٢ جـ ١٨.

وهزموهم، فجهَّز إليهم داود جيشاً آخر فهزموا الإباضية وتبعهم الجيش فقتلوا منهم فأكثروا. وبقي داود أميراً إلى أن استعمل الرشيد عمه رَوْح بن حاتم على أفريقيا، وكانت إمارة داود تسعة أشهر»[١]. وقال ابن الأثير: «في سنة١٧١هـ استعمل الرشيد على أفريقيا رَوْح بن حاتم.. فقَدِمها في رجب وكان داود بن يزيد أخيه على أفريقيا فَلَمَّا وصل عمه رَوْح سار داود إلى الرشيد فاستعمله»[١].

* * *

قال ابن خلدون: «ووُلِّي داود بن يزيد بن حاتم مصر في محرم سنة١٧٤هـ»[٢] وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «وُلِّي داود إمرة مصر في أواخر سنة١٧٣هـ فقَدِمها في أوائل سنة١٧٤هـ وكان أمرها مضطرباً، فهدأت في أيامه»[٣].

وبينما كان داود والياً لمصر كان عمه رَوْح بن حاتم والياً لأفريقيا الشمالية، ومات روح بن حاتم بالقيروان ـ وهو والٍ لأفريقيا ـ في رمضان ١٧٤هـ وكان نصر بن حبيب بن المهلَّب قائداً لشرطة يزيد بن حاتم ثم قائداً لشرطة رَوْح بن حاتم بأفريقيا، فَلَمَّا مات رَوْح بن حاتم ولَّى هارون الرشيد نصر بن حبيب على أفريقيا الشمالية، وانتهت سنة١٧٤هـ والولاة على أمصار دولة الخلافة ـ منهم ـ «نصر بن حبيب المهلَّبي على أفريقيا الشمالية، وداود بن يزيد بن حاتم على مصر، والربيع بن عبد اللّه الحارثي على اليمن، والغطريف بن عطاء الجُرشي على خراسان».

وفي محرم سنة١٧٥هـ انتهت ولاية داود لمصر. قال ابن خلدون: «عزله الرشيد في محرم سنة١٧٥هـ لسنة من ولايته»[٢]. وجاء في كتاب الجامع أنه «كانت ولاية داود لمصر سنة ونصف شهر، وعُزِل سنة١٧٥هـ ثم ولَّاهُ الرشيد السند..»[٣].

* * *

وقد تولَّى داود بلاد السند بعد أخيه المغيرة بن يزيد بن حاتم الذي حكم بلاد السند في خلافة الرشيد وتوفي بالسند وهو والٍ عليها سنة١٨٤هـ فولَّى الرشيد مكانه داود بن يزيد بن حاتم. قال الطبري: «في سنة١٨٤هـ ولَّى هارون الرشيد داود بن يزيد بن حاتم المهلَّبي على السند»[٤].

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٨٤ و٨٥ جـ ٥.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٩٦ جـ ٤.
(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٢٠٢.
(٤) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٧١ جـ ١٠.

ومكث داود والياً لبلاد السند من سنة١٨٤ ـ ٢٠٥هـ، وبينما كان داود والياً للسند، ولّى الرشيد أخاه الأمير خالد بن يزيد بن حاتم على الموصل سنة١٩٠هـ. ومات الرشيد سنة١٩٣هـ وتولّى الخلافة الأمين بن الرشيد فاستمر داود والياً لبلاد السند في خلافة الأمين ثم في خلافة المأمون حتى توفي داود بن يزيد بن حاتم بالسند وهو والٍ عليها سنة٢٠٥هـ الموافق ٨٢٠ ميلادية.

وكان نجله بشر بن داود معه بالسند فَلَمَّا مات داود ولّى المأمون بشر بن داود بن يزيد بن حاتم بلاد السند فحكمها إلى سنة٢١٦هـ وله قال الشاعر إبراهيم السوّاق:

سَماؤك تُمْطِرُ الذهبا وحَرْبُك تلتظي لَهَبا[1]

(١) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرّد ـ ص ٢٥٣ جـ ١.

١٦

هَرْثَمَة بن أعْين.. أمير مصر

(١٧٨هـ)

هو الأمير القائد أبو حاتم هرثمة بن أعْين. . جاء في ترجمة ابنه ـ حاتم بن هرثمة ـ بكتاب الجامع ما يلي:

«حاتم بن هَرْثَمَة بن أَعْين. من بني سريع الحضارمة. والٍ من القادة في الدولة العباسية. وُلِّي شرطة مصر سنة١٧٨هـ في ولاية أبيه عليها»[١].

كان هرثمة بن أعين والياً لفلسطين، وكان قد وُلِّي فلسطين قَبْله الأمير رَوْح بن حاتم المهلَّبي ثم ولَّى الخليفة هارون الرشيد رَوْح بن حاتم أفريقيا الشمالية (١٧١ ـ ١٧٤هـ) وولَّى هرثمة بن أعين فلسطين، فكان هرثمة والياً لفلسطين سنة١٧٧ ـ ١٧٨هـ وكان الرشيد قد ولَّى على مصر ـ في رمضان ١٧٧هـ ـ إسحاق بن سليمان بن عليّ بن عبد اللّه بن العباس. قال ابن الأثير: «وفي سنة١٧٨هـ وثبت الحوفية بمصر على عاملهم إسحاق بن سليمان وقاتلوه، وأمدّه الرشيد بهرثمة بن أعين وكان على فلسطين، فقاتلوا الحوفية ـ وهم من قيس وقُضاعة ـ فأذعنوا بالطاعة وأدّوا ما عليهم للسلطان، فعزل الرشيدُ إسحاق عن مصر واستعمل عليها هرثمة»[٢].

فتولَّى هرثمة بن أعين حكم مصر، وولَّى ابنه حاتم بن هرثمة على الشرطة وقوى الأمن بمصر. ومكث هرثمة والياً لمصر ثلاثة أشهر، حيث قال ابن خلدون:

«ولَّى الرشيد هَرْثمة بن أعين على مصر ثم أمره بالمسير إلى أفريقيا لثلاثة أشهر من ولايته، سَلْخ سنة ثمان وسبعين ومائة»[٣]. وبذلك انتهت ولايته لمصر.

* * *

وقد تولَّى هرثمة بن أعين بعد ذلك أفريقيا الشمالية سنة١٧٩ ـ ١٨١هـ. قال

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٤٨.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٩٧ جـ ٥.

(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٩٥ جـ ٤.

ابن خلدون: «.. واستعفى هرثمة الرشيد من ولاية أفريقيا فأعفاه ورجع إلى العراق لسنتين ونصف من ولايته»[١] ـ وذلك في رمضان ١٨١هـ ـ. ثم ولَّاهُ الرشيد على الموصل سنة١٨٢هـ. قال ابن الأثير: «في سنة١٨٢هـ كان على الموصل هرثمة بن أعين» فمكث إلى أن ولَّاهُ الرشيد على الصائفة والغزو إلى أرض الروم ـ في تركيا ـ. قال ابن الأثير: «وفي سنة١٩١هـ استعمل الرشيد على الصائفة هرثمة بن أعين وضمّ إليه ثلاثين ألفاً.. وأمر هرثمة ببناء طرسوس وتمصيرها، ففعل.. وتم بناؤها سنة١٩٢هـ»[٢]. ثم ولَّاهُ الرشيد على خراسان سنة١٩٢ ـ ١٩٣هـ حتى وفاة الرشيد، ومكث هرثمة أميراً قائداً مع المأمون بخراسان، بينما ولَّى الأمين ابنه حاتم بن هرثمة على مصر سنة١٩٤ ـ ١٩٥هـ ـ كما سيأتي ـ ومات هرثمة سنة٢٠٠هـ.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٩٥ جـ ٤.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٢٧ جـ ٥.

١٧

اللّيث بن الفضل.. والي مصر

(١٨٢ ـ ١٨٧هـ)

هو الأمير أبو إبراهيم الليث بن الفضل التُّجَيبي. قال ابن خلدون: «وولّى الرشيد على مصر الليث بن الفضل..»[١] وقال الطبري: «في سنة٢٠٩هـ ولّى المأمون إبراهيم بن الليث بن الفضل التُجيبي أذربيجان»[٢] فالليث بن الفضل ـ هو إذاً ـ تُجَيْبيّ من قبيلة تُجيب اليمانية. وهو ثالث أمير من تُجيب يحكم مصر في العصر العباسي، وهم:

ـ عبد اللّه بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج التُّجيبيّ.. ولّاهُ على مصر المنصور العباسي سنة١٥٢هـ، واستمر في ولايته إلى أن توفي سنة١٥٥هـ.

ـ محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج التُّجيبي. استخلفه أخوه على ولاية مصر سنة١٥٥هـ فأقرّه الخليفة أبو جعفر المنصور، فاستمر والياً ثمانية أشهر ونصف، ومات وهو على الولاية سنة١٥٥هـ.

ـ الليث بن الفضل. قال ابن خلدون: «ولّى الرشيد ـ على مصر ـ الليث بن الفضل، فوُلّيها أربع سنين ونصفاً. وعُزل منتصف سنة سبع وثمانين ومائة»[٣]. فتكون مدة ولايته من أواخر سنة١٨٢هـ حتى أواسط سنة١٨٧هـ.

* * *

ثم كان ابنه إبراهيم بن الليث بن الفضل التُجيبي من الولاة الأمراء في خلافة المأمون بن الرشيد، ولّاه المأمون على بلاد أذربيجان سنة٢٠٩هـ ومكث والياً عليها إلى حوالي سنة٢١١هـ. ومات بعد تلك السنة.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٩٦ جـ ٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٢٦٩ جـ ١٠.

(٣) قال ابن خلدون: «ثم ولّى الرشيد قرابته أحمد بن إسماعيل بن عليّ (العباسي) منتصف سنة ١٨٧هـ فبقي عليها سنتين وشهرين. ثم ولّى مكانه عبد اللّه بن محمد بن الإمام إبراهيم (العباسي) وصرفه عنها آخر شعبان من سنة ١٩٠هـ لسنة وشهرين من ولايته». [ص٢٩٦/ ٤] ـ ثم وُلّي مصر مالك بن دلهم الكلبي.

١٨

مالك بن دَلْهَم.. والي مصر

(١٩٢ ـ ١٩٣هـ)

هو الأمير مالك بن دَلهَم الكلبي أمير مصر في أواخر خلافة الرشيد سنة١٩٢ ـ ١٩٣هـ. وهو من قبيلة كلب اليمانية التي كانت تسكن منطقة صعدة باليمن وانتشرت في الفتوحات وكان أغلبهم بالشام. وهم بنو كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة بن مالك بن حِمْيَر[١].

قال ابن خلدون: «ومنهم حنظلة بن صفوان بن توبل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل بن هرير بن أبي جابر بن زهير بن جناب الكلبيّ. وُلّي أفريقيا لهشام بن عبد الملك»[١]. وكان أخوه بشر بن صفوان الكلبي والياً لمصر سنة١٠١ ـ ١٠٢هـ وفي عهده دخلت مصر فرقة من قبيلة كلب اليمانية واستقرت بمصر، حيث جاء في كتاب الجامع عن دراسات القبائل العربية في مصر أنه: «لم تظهر كلب في مصر إلا في وقت متأخر، ومنهم بشر بن صفوان الكلبي وهو أول الكلبيين ظهوراً بمصر»[٢] وقد حكم بشر بن صفوان مصر سنة١٠١ ـ ١٠٢هـ ثم حكم مصر أخوه حنظلة بن صفوان سنة١٠٢ ـ ١٠٦هـ وسنة١١٩ ـ ١٢٤هـ في خلافة هشام بن عبد الملك ثم وُلّي حنظلة بن صفوان أفريقيا الشمالية سنة١٢٤ ـ ١٢٩هـ. ولَمَّا قامت الخلافة العباسية «كان شرحبيل بن مذيلفة الكلبي هو الذي قاد حركة التَّسْويد بالحوف الشرقي ـ بمصر ـ سنة١٣٢هـ مِمَّا يدل على أن جانباً من كلب أقاموا في الحوف الشرقي مع إخوانهم من القبائل اليمنية. ولعل أبا كروس (١٦٨ ـ ١٦٩هـ) كان شاعر كلب في مصر».

وكان مالك بن دَلْهم بن عيسى الكلبي من رجال الدولة بمصر في خلافة هارون الرشيد، في عهود الولاة الذين تعاقبوا على حكم مصر في خلافة الرشيد منذ مسلمة بن يحيى البجلي (١٧٢ ـ ١٧٣هـ) إلى الليث بن الفضل (١٨٢ ـ

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١١٤.

(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٤٦١ وص ٤٧٢.

١٨٧هـ) ثم ولَّاه الرشيدُ مصر سنة١٩٢هـ. وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«مالك بن دلهم بن عيسى الكلبيّ. مِمّن وُلِّي مصر ولَّاهُ الرشيد سنة١٩٢هـ، واستمر والياً لمصر عاماً وخمسة أشهر إلا أياماً»[١].

وانتهت ولايته لمصر في أواسط سنة١٩٣هـ. وقد توفي هارون الرشيد في جمادى الثانية ١٩٣هـ وتولّى الخلافة الأمين بن الرشيد. ومات مالك بن دلهم حوالي سنة٢٠٠هـ/ الموافق ٨١٥م.

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٤٦١ وص ٤٧٢.

١٩

حاتم بن هَرْثَمَة.. والي مصر

(١٩٤ ـ ١٩٥هـ)

هو الأمير حاتم بن هَرْثَمة بن أعْيَن الحضرمي أمير مصر في خلافة الأمين بن الرشيد سنة١٩٤ ـ ١٩٥هـ. قال ابن خلدون: «ولّى الأمين ـ على مصر ـ حاتم بن هرثمة بن أعين، فقَدِمها في شوال سنة أربع وتسعين ومائة»[١]. وجاء في ترجمته بكتاب الجامع: «حاتم بن هرثمة بن أعين، من بني سريع الحضارمة: والٍ من القادة في الدولة العباسية. وُلّي شرطة مصر سنة١٧٨هـ في ولاية أبيه عليها، وصُرِف عنها فعاد إلى العراق، فأعاده الأمين العباسي والياً عليها سنة١٩٤هـ. .»[٢].

وكان حاتم بن هرثمة بعد انتهاء قيادته للشرطة في مصر وعودته إلى العراق قد وُلّي قيادة حرس الخليفة هارون الرشيد، فكان مع الرشيد لَمَّا سار من العراق إلى طوس حيث مات الرشيد بمدينة طوس في جمادى الثانية ١٩٣هـ وكان معه ابنه صالح بن الرشيد، وكتب الأمين بن الرشيد رسالة إلى أخيه صالح يهمنا منها قوله فيها ما يلي نصه:

«وأقِرّ حاتم بن هرثمة على ما هو عليه، ومُرْهُ بحراسة ما يحفظ به قصور أمير المؤمنين فإنّه مِمّن لا يُعرَفُ إلّا بالطاعة ولا يَدينُ إلّا بها، بمعاقد من اللّه مما قدّم له من حال أبيه المحمود عند الخلفاء»[٣].

ثم في سنة١٩٤هـ ولّاهُ الأمين على مصر حيث قال ابن خلدون: «ولّى الأمين حاتم بن هرثمة بن أعين، فقَدِمها في شوال سنة أربع وتسعين ومائة. .» ـ والأصوب: في أوائل سنة١٩٤هـ ـ حيث كما جاء في ترجمته بكتاب الجامع «نزل حاتم بِبيس، وطلب أهل الأحواف فجاؤوه وعاهدوه على تأدية الخراج، ثم نقضوا

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٩٦ جـ ٤.

(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٤٨.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٢٧ جـ ١٠.

عهدهم، فبعث إليهم جيشاً فقاتلوه، فظفر بهم، وانتقل إلى الفسطاط ومعه رهائن منهم. وسكنت مصر في أيامه، وابتنى فيها القبة التي كانت تُعرف بقبة الهواء»[١].

ومكث حاتم والياً لمصر إلى منتصف سنة١٩٥هـ، عندما اندلعت الحرب على الخلافة بين الأمين والمأمون في شعبان ١٩٥هـ وكان هرثمة بن أعين مع المأمون في خراسان فأيده وبايعه بالخلافة، وعندئذ عزل الأمينُ حاتم بن هرثمة عن ولاية مصر. وجاء في ختام ترجمته بالجامع أنه «عزله الأمين سنة١٩٥هـ بعد ١٨ شهراً إلا أياماً من ولايته»[١]. وقال ابن خلدون: «..صرفه الأمين منتصف سنة١٩٥هـ وولّى جابر بن الأشعث الطائي»[٢].

وبذلك إنتهت ولاية حاتم بن هرثمة لمصر، وكان أبوه من كبار قادة وأمراء المأمون، وتوفي سنة٢٠٠هـ الموافق ٨١٥م.

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٤٨.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٩٦ جـ ٤.

٢٠

جابر بن الأشعث الطائي.. والي مصر
(١٩٥ ـ ١٩٦هـ)

هو الوالي العشرون من الولاة اليمنيين الذين حكموا مصر في العصر العباسي، جابر بن الأشعث بن يحيى بن النعمان الطائي أمير مصر في خلافة الأمين بن الرشيد سنة١٩٥ ـ ١٩٦هـ. وهو من قبيلة طيىء اليمانية وكانت منطقتها الأولى باليمن منطقة براقش بالجوف[١] ثم انتقلوا وانتشروا في نجد والعراق والشام وغيرها في الفتوحات. قال ابن خلدون: «وبمصر منهم سنبس والثعالب، بطنان مشهوران، فسنبس ابن معاوية بن شبل بن عمرو بن الغوث بن طيىء ـ ابن أدد بن عَرِيب بن زيد بن كهلان ـ، والثعالب الذين بصعيد مصر من بني ثعلب بن عمرو بن الغوث بن طيىء»[١].

وجاء في ترجمة طيىء بكتاب الجامع أنه: «لم تشترك طيىء في فتح مصر، ولكن حميد بن قَحْطَبة الطائي لَمَّا وُلِّي مصر سنة١٤٣هـ دخلها في عشرين ألفاً من الجُند، ويحتمل أن قبيلته طيىء كانت مُمثلة في هذا الجيش. وعلى أي حال فإن شواهد القبور تدل على وجود هذه القبيلة بمصر بعد ذلك الحين. ومن شخصيات طيىء البارزة بمصر يزيد بن عمران كان صاحب البريد سنة١٧٤هـ. وفي سنة١٩٥هـ وُلِّي مصر والٍ آخر من طيىء هو جابر بن الأشعث»[٢].

قال ابن خلدون: «ولّى الأمينُ جابر بن الأشعث بن يحيى بن النعمان الطائي منتصف سنة خمس وتسعين ومائة..»[٣] وجاء في ترجمته بكتاب الجامع: «جابر بن الأشعث بن يحيى الطائي: من ولاة مصر في عهد العباسيين. ولّاه الأمين العباسي إمرتها سنة١٩٥هـ. ثم إتصلت فتنة الأمين والمأمون بأهل مصر، فتعصب للمأمون بعضهم ووثبوا على جابر فقاتلوه وأخرجوه من ديارهم بعد ولايته بنحو عام واحد»[٢] وقال ابن خلدون «.. أخرجه الجُند منها سنة١٩٦هـ لسنة من ولايته»[٣]. وقد أخرجوه من الفسطاط عاصمة مصر.

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٣٠.
(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٢٨٧ وص ١٢٧.
(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٩٦ جـ ٤.

وكان من كبار رجال الدولة بمصر في عهده سليمان بن غالب البجلي صاحب الشرطة (١٩٣ ـ ١٩٦هـ) وإبراهيم بن البكاء البجلي قاضي مصر (١٩٥ ـ ١٩٦هـ). وكان هاشم بن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج التُّجيبي الكندي الحضرمي من كبار الموظفين بمصر ولعب دوراً مهماً في الدعوة إلى خلع الأمين العباسي. واشترك هبيرة بن هاشم مع أبيه في الدعوة إلى خلع الأمين سنة١٩٦هـ ثم تولَّى قيادة شرطة مصر. فالقادة والجند الذين تعصبوا للمأمون وخلعوا الأمين وأخرجوا جابر بن الأشعث كانوا من اليمانية. وكان منهم هاشم بن عبد اللَّه التجيبي، وهبيرة بن هاشم التجيبي الذي أصبح قائد الشرطة، ومن مواليهم عبّاد بن محمد بن حيّان الكندي بالولاء، وبات عبّاد والياً للمأمون على مصر سنة١٩٦ ـ ١٩٨هـ، قال ابن خلدون: «ثم عزله المأمون لسنة ونصف من ولايته في صفر سنة١٩٨هـ. وولَّى المطَّلب بن عبد اللَّه الخزاعي»[1]. وذلك حين استتب الأمر للمأمون بعد مقتل الأمين في أواخر محرم ١٩٨هـ على يد طاهر بن الحسين الخزاعي.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٩٦ جـ ٤.

٢١

المطّلب بن عبد اللَّه الخُزَاعيّ.. أمير الموصل
(١٩٤ ـ ١٩٧هـ) ووالي مصر (١٩٨ ـ ٢٠٠هـ)

هو الأمير اليماني المطّلب بن عبد اللَّه بن مالك بن الهيثم الخُزَاعيّ أمير الموصل سنة١٩٤ ـ ١٩٧هـ ووالي مصر في خلافة المأمون سنة١٩٨ ـ ٢٠٠هـ. وفيه قال لسان اليمن وشاعرها دِعْبِل بن عليّ الخزاعيّ:

أبـعـد مـصـر وبـعـد مـطّـلـب ... تـرجـو الـغِـنَـى إن ذا مِـن الـعَـجَـبِ
إن كـاثـرونـا جـئـنـا بـأسـرتـه ... أو واحـدونـا جِـئـنـا بِـمـطّـلـب[1]

* * *

كان المطّلب والياً للموصل بينما كان أخوه محمد بن عبد اللَّه بن مالك الخُزَاعيّ والياً لليمن في خلافة الأمين بن الرشيد سنة١٩٤ ـ ١٩٥هـ. وقد كان أبوهما الأمير عبد اللَّه بن مالك من كبار الأمراء في خلافة هارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣هـ) حيث كان أميراً للشرطة في عاصمة دولة الخلافة ـ بغداد ـ منذ عهد خلافة المهدي بن أبي جعفر المنصور ثم في خلافة الهادي وخلافة الرشيد ـ إلى سنة١٨٨هـ ـ ثم ولّاه الرشيد أقاليم شمال إيران. قال الطبري «في سنة١٨٩هـ ولّى الرشيدُ عبد اللَّه بن مالك طبرستان، والرَّيّ، والرُّويان، ودنباوند، وقومس، وهَمَذان»[2]. ولم يزل عبد اللَّه بن مالك من كبار الأمراء حتى وفاته ـ ببغداد ـ في أواسط سنة١٩٤هـ، في خلافة الأمين بن الرشيد. وعندئذ ولّى الأمينُ بن الرشيد المطّلب على ولاية الموصل، وكان أخوه محمد باليمن فولاه الأمين على اليمن في رجب سنة١٩٤هـ. قال المؤرخ تاج الدين اليماني: «استعمل الأمينُ محمد بن عبد اللَّه بن مالك الخزاعي ـ على اليمن ـ فاستخرج من عمال حَمّاد أموالاً جليلة، وعَدَل في الناس»[3]. وقال القاضي محمد بن علي الأكوع

---

(١) هو الشاعر دعبل بن علي الخزاعي: نشأ بالكوفة ثم إنتقل إلى بغداد. قال عنه الأمير عبد اللَّه بن طاهر بن الحسين الخزاعي أنه: «لسان اليمن وشاعرها والذابُّ عنها والمحامي لها والمرامي دونها». [ص ٥٧ جـ ١٨ ـ الأغاني].
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٩٧ جـ ١٠.
(٣) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ـ تاج الدين اليماني ـ ص ٢٢.

في هامش قرة العيون أن محمد بن عبد اللّه الخزاعي (.. ساس الناس سياسة لِيْن ورفق، وأحبّه أهل اليمن وأحبهم ورعى حرمتهم وآسى جراحهم، وهم قَدّروه واحترموه»[1]. وكذلك كان المطّلب بالموصل. قال الأصفهاني: «إن محمد بن وهيب الحِمْيري قَصَد المطّلب بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي وقد وُلّي الموصل، وكان له صديقاً حفياً وكان كثير الرفد له والثواب على مدائحه، فأنشده قوله فيه:

.. سلامٌ على المنزل المستحيل ... وإن ضَنّ بالمنطق المنزلُ
وغضّ الضريبة يلقى الخطوب ... يجدّ عن الدهر ما ينكل
تغلغل شرقاً إلى مغربٍ ... فَلَمَّا تبدّت له الموصِلُ
ثوى حيثُ لا يُستمال الأريبُ ... ولا يُؤلف اللّقن الحوّلُ
لدى مَلِكٍ قابلته السعودُ ... وجانبَهُ الأنجُمُ الأُفّلُ
لأيامه سطوات الزمان ... وإنعامه حين لا موئلُ
سَمَا بِكَ مَالِكُ للباهرات ... وأوحَدَكَ المرباءُ الأطولُ
وليس بعيداً بأن تحتذي ... مذاهبَ آسادها الأشْبُلُ

فوصله المطّلب وأحسن جائزته وأقام عنده مدة ثم استأذنه في الانصراف فلم يأذن له وزاد في ضيافته وجرايته وجَدّدَ له صلة، فأقام عنده برهة أخرى»[2]. وكان محمد بن وهيب من المقيمين بالبصرة، ولَمّا أذن له بالانصراف والعودة إلى البصرة ـ في أواسط سنة١٩٥هـ ـ «أمر له المطّلب بعشرة آلاف درهم وأوقرَ له زورقاً من طُرَفِ الموصل»[2].

وفي شعبان سنة١٩٥هـ اندلعت الحرب على الخلافة بين الأمين والمأمون وكان طاهر بن الحسين الخزاعيّ قائد جيش المأمون فهزم طاهر جيش الأمين بموقعة الرَّيّ في شعبان ١٩٥هـ. وعندئذ قام الأمين بعزل محمد بن عبد اللّه الخزاعي عن ولاية اليمن ـ ربما لأنه ابن عم طاهر بن الحسين ـ ولكنه لم يعزل المطّلب فاستمر والياً للأمين على الموصل حتى دخل طاهر بن الحسين وجيشه جنوب العراق سنة١٩٦هـ فخلع المطّلب الأمين بالموصل وبايع للمأمون وكتب بذلك إلى ابن عمه الأمير طاهر بن الحسين الخزاعي وكذلك فعل منصور بن المهدي أمير البصرة وعباس بن الهادي أمير الكوفة. قال الطبري: «وكانت بيعة منصور بن المهدي بالبصرة وبيعة العباس بن الهادي بالكوفة وبيعة المطّلب بن

---

(١) قرة العيون ـ ابن الديبع ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٣٦.
(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٤٩ جـ ١٧.

عبد اللّه بن مالك بالموصل للمأمون وخلعهم الأمين في رجب ١٩٦هـ ولَمَّا كتبوا إلى طاهر بن الحسين ببيعتهم للمأمون وخَلْعهم الأمين أقرّهم طاهر على أعمالهم، وولّى داود بن عيسى مكة والمدينة، ويزيد بن جرير القَسْري اليمن»[١]. وبذلك استمر المطّلب والياً للموصل باسم الخليفة المأمون بينما حاصر وحارب طاهر بن الحسين الخليفة الأمين وجيشه في بغداد حتى مقتل الأمين ودخول طاهر بن الحسين بغداد وانتهاء الفتنة في شهر محرم سنة١٩٨هـ فاكتملت بذلك الخلافة للمأمون، وكتب طاهر بن الحسين إلى المأمون في خراسان بنبأ النصر وبعث إليه ببردة وخاتم الخلافة مع ابن عمه حسين بن محمد بن مصعب الخزاعي فوصل إليه في ١٣ صفر ١٩٨هـ. وعندئذ ولّى المأمونُ المطّلب على مصر وكتب إليه عهد توليته على مصر، وكان المطّلب قد أَقْبَلَ من الموصل إلى بغداد ثم توجّه إلى مكة، فمضى منها ـ بفرسانه ـ إلى مصر.

* * *

قال ابن خلدون: «.. في صفر سنة١٩٨هـ. ولّى المأمون المطّلب بن عبد اللّه بن مالك بن الهيثم الخزاعيّ ـ مصر ـ وقَدِمها من مكة منتصف ربيع الأول»[٢].

وجاء في ترجمة المطّلب بكتاب الجامع ما يلي: «المطّلب بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي: والٍ. كان في مكة، ووُلّي إمرة مصر للمأمون العباسي سنة١٩٨هـ فقَدِم إليها والثورات قائمة، وأهلها فريقان، فريق من حزب الأمين وفريق من حزب المأمون..»[٣].

وقد دخل موكب المطّلب مدينة الفسطاط عاصمة مصر في منتصف ربيع الأول سنة١٩٨هـ، فتولّى حكم مصر، وسلم إليه أنصار المأمون مقاليد الحكم (أمثال عبّاد بن محمد بن حيّان، وهبيرة بن هاشم بن عبد اللّه بن عبد الرحمن التجيبي قائد الشرطة)، وكان من أبرز الشخصيات: «لَهِيعة بن عيسى الحضرمي: قاضٍ من حضارمة مصر. وُلّي قضاؤها سنة١٩٦هـ أيام خلع الأمين العباسي، والفتنة مشتعلة، وعطاء أهل الديوان معطّل، فجمع لهيعة أموال الأحباس (الأوقاف) وفرض فيها فروضاً، وأجرى العطاء، فحُمد له ذلك وصار سُنّة بعده، وسمِّيت (فروض لهيعة). وعُزل سنة١٩٨هـ وأُعيد مبتدأ سنة١٩٩هـ فاستمر إلى أن

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٧٢ جـ ١٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص٢٩٦ جـ ٤.

(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٥٧٧ وص ٤٦٧.

مات وهو على القضاء ـ سنة٢٠٤هـ ـ وكان يقول: أنا تاسع تسعة وُلُّوا قضاء مصر من حضرموت»[١].

وكان المطّلب حسن السياسة، فأصلح الأمور، ثم كما جاء في ترجمته: «عُزل المطّلب بعد نيف وسبعة أشهر من ولايته، وأمر المأمون بالقبض عليه فحُبس مدة، وثار أهل مصر في أيام خلفه (العباس بن موسى) فأطلقوا المطّلب وأعادوه إلى الإمارة.. وكان المطّلب حسن السياسة، وأقرّه المأمون»[١].

وقال ابن خلدون: «عُزل المطلب في شوال لثمانية أشهر من ولايته، وولّى المأمونُ العباس بن موسى فبعث عليها ابنه عبد اللّه فأقام عليها شهرين ونصفاً فقتله الجُندُ يوم النحر سنة١٩٨هـ وولّوا المطّلب»[٢].

وبذلك عاد المطّلب والياً لمصر في ١٠ ذي الحجة ١٩٨هـ بإرادة قادة وجند وأهل مصر، فأقرّه المأمون، وعرف بعدم صحة الوشاية والربش على المطّلب. وربما وصل كتاب المأمون إلى المطّلب بإقراره والياً لمصر مع الشاعر دعبل بن علي الخزاعي. وقد جاء في كتاب الأغاني للأصفهاني بسنده ما يلي:

«قال عبد اللّه بن أبي الشيص[٣] حدثني دِعْبِل قال: حَجَجْتُ أنا وأخي رُزين وأخذنا كُتباً إلى المطّلب بن عبد اللّه بن مالك وهو بمصر يتولّاها، فصرنا من مكة إلى مصر فصَحِبنا رجلٌ يُعرف بأحمد بن السرّاج فما زال يُحدثنا ويؤانسنا طول طريقنا ويتولّى خدمتنا كما يتولّاها الرفقاء والأتباع ورأيناه حسن الأدب، وكان شاعراً ولم نعلم إذْ كَتَمَنا نفسه، وقد علم ما قصدنا له، فعرضنا عليه أن يقول في المطّلب قصيدة ننحله إياها، فقال: إن شئتم. وأرانا بذلك سروراً وتقبلاً له، فعملنا قصيدة وقلنا له: ننشدها المطّلب، وإنك تنتفع بها، فقال: نعم. ووردنا مصر، فدخلنا إلى المطّلب وأوصلنا إليه كُتباً كانت معنا وأنشدناه، فسُرّ بموضعنا، ووصفنا له أحمد بن السراج هذا وذكرنا له أمره، فأذِنَ له. فدخل ونحن نظن أنه سينشده القصيدة التي نحلناه إياها، فَلَمَّا مَثَل بين يديه عَدَلَ عنها، وقال:

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٥٧٧ وص ٤٦٧.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٩٦ جـ ٤.

(٣) أبو الشيص هو الشاعر محمد بن رزين بن سليمان الخزاعي القائل لَمَّا وُلّي خالد بن يزيد بن حاتم المهلّبيّ الموصل:

ما كان منكسر اللواء لطيرة	تُخْشَى ولا أمر يكون موبلا
لكن هذا الرمح أضعف ركنه	صغر الولاية فاستقل الموصلا

وكان أبو الشيص أستاذ الشعراء وتوفي سنة ١٩٦هـ.

لَـمْ آتِ مـطّـلِـبـاً إلا بِـمـطّـلـبِ   وهـمـةٍ بَـلّـغـت بـي غـايـة الـرُّتَـبِ
أفـردتُـه بـرجـاءٍ أن تُـشـاركـه   فـيَّ الـوسـائـل أو ألـقـاه فـي الكُـتـبِ

-[وأشار إلى الكتب التي أوصلها دعبل، ثم قال:]-

رَحّلْتُ عِيْسِي إلى البيت الحرام على   ما كان مِن وصبٍ فيها ومِن نَصَبِ
أَلْقَى بـهـا وبـوجـهـي كـل هـاجـرة   تكاد تقدح بين الجلد والعصبِ
حتى إذا ما قضت نسكي ثَنَيْتُ لها   عَطْف الزمام فأمّتْ سَيّدَ العربِ

[يعني بسيد العرب: المطّلب بن عبد اللّه الخزاعي]:

فـأمـمـتـك وقـد ذابـت مـفـاصِـلُـهـا   مِن طول ما تعبٍ لاقتْ ومِن نَسَبِ
إنّي استجرتُ بأستارين مُسْتَلِماً   ركنينِ مطّلباً والبيت ذا الحجب

-[قال الرياش: قوله أستارين يجوز على معنى أستار كذا وأستار كذا]-

فـذاك لـلأجـل الـمـأمـول ألـمـسـه   وأنت للعاجل المرجوّ والطلبِ
هـذا ثـنـائـي وهـذي مـصـر سـانـحـة   وأنت أنـتَ وقـد ناديـتُ مِن كَثَبِ

فصاح المطّلب: لبيك لبيك، ثم قام إليه فأخذ بيده وأجلسه معه وقال: يا غلمان البدر [أي أكياس الدراهم] فأُحْضِرت، ثم قال: الخُلع [أي الأثواب] فَنُشِرت، ثم قال: الدواب، فقِيدت. فأمر له من ذلك بما ملأ عينه، فخرج بما أمر له به. فمكثتُ أياماً ثم ولّاني أسوان»[1].

ولم تذكر الرواية القصيدة التي مدح بها دِعْبلُ المطّلب في دار الإمارة بالفسطاط عاصمة مصر، وقد مكث عنده أياماً بالفسطاط قبل أن يوليه أسوان. قال أبو دلف «وكان المطّلب أصدق الناس لدعبل وأقربهم منه».

فربما سمع المطّلب منه بعض أشعاره. ومن أشهر أشعار دعبل الخزاعي قوله:

أيـن الـشـبـاب وأيـةً سَـلَـكـا   لا أيـن يـطـلـبُ ضـلّ بـل هـلـكـا
لا تـعـجـبـي يـا سَـلْـم مـن رَجُـلٍ   ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى
يـا لـيـت شـعـري كـيـف يـومـكـمـا   يـا صـاحـبـيّ إذا دمـي سُـفِـكـا
لا تـأخـذوا بـظـلامـتـي أحـداً   قلبي وطرفي في دمي اشتركا[1]

وكان دِعبل بن علي الخُزاعي ـ كما وصفه عبد اللّه بن طاهر بن الحسين ـ

---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٤٧ و٤٨ جـ ١٨.

«لسان اليمن وشاعرها، والذابُّ عنها والمحامي لها والمُرامي دونها» - ومن روائع شعر دعبل - في كتاب الأمالي - قصيدة أولها:

إذا غَزَوْنا فَمَغْزانا بِأنْقرةٍ وأهلُ سَلْمَى بِسِيفِ البحر من جُرُتِ
هَيْهات هَيْهات بين المنزِلَيْن لقد أنْضَيْتُ شوقي وقد طَوَّلْتُ مُلْتَفَتِي

وجاء في هامش البيت الأول بكتاب الأمالي: «جُرْت - بضم فسكون - قرية من قرى صنعاء باليمن، وقد حُرِّك لضرورة الشعر». وأقول على ضوء ذلك أنه شَبَّه وادي مخلاف جُرْت بالبحر في قوله (بِسِيف البحر) أي ساحل البحر، يعني وادياً غزير المياه كان بمخلاف جُرْت في منطقة غيمان - جنوب صنعاء -. وقال دعبل في تلك القصيدة:

قَوْمِي بَنُو حِمْيَرٍ والأَزْدُ إخوَتُهم وآلُ كِنْدَةَ والأحياءُ مِن عُلَتِ[1]
ثُبْتُ الحُلوم فإن سُلَّتْ حَفَائِظُهُم سَلُّوا السُيوفَ فأرْدَوْا كلَّ ذي عَنَتِ
نَفْسِي تُنَافِسُنِي في كلّ مَكْرُمة إلى المعالي ولو خالَفْتُها أبتِ
وكم زَحَمْتُ طريق الموت مُعْتَرِضاً بالسيف ضيقاً فأدّاني إلى السَّعَتِ
قال العواذل أوْدَى المالُ قلت لهم: ما بين أجْرٍ وفَخْرٍ لي ومَحْمَدتِ
أفْسَدْتَ مالَك: قُلتُ المالُ يُفْسدني إذا بَخِلْتُ به والجود مَصْلحتي
لا تَعْرِضَنَّ بمَزْحٍ لامرىءٍ طَبِنٍ ما راضَهُ قلبُهُ أجْراهُ في الشَّفَتِ
فَرُبَّ قافيةٍ بالمَزْحِ (جارية) مَشْؤُومةٍ لم يُرَدْ إنماؤها نَمَتِ
رَدُّ السُّلَى مُسْتَتِمّاً بعد قطعته كرَدِّ قافيةٍ من بعد ما مَضَت
إنِّي إذا قُلْتُ بيتاً مات قائلُهُ ومَنْ يُقالُ له والبَيْتُ لم يَمُتِ[2]

وجاء في كتاب الأغاني: «.. كانت القصيدة التي مدح بها دعبلُ المطّلب قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

أبعد مصر وبعد مطّلبٍ ترجو الغِنى إن ذا مِن العجب
إن كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطّلبِ»[3]

ولكن قوله (أبعد مصر وبعد مطّلب) يدل على أن هذا الشعر قاله دعبل فيما بعد.. قال أبو دلف: «كان المطّلب أصدق الناس لدعبل وأقربهم منه، وقد وَفَد إليه إلى مصر فأعطاه الأموال الجزيلة وولّاه أسوان»[3].

* * *

(١) قوله: إحياء عُلت: يعني عشائر عُلة بن جَلد بن مذحج، وهم قبيلة مذحج اليمنية.
(٢) الأمالي - أبو عليّ القالي - ص ١١١ جـ ٣.
(٣) الأغاني - الأصفهاني - ص ٤٨ جـ ١٨.

وكذلك في سنة١٩٩هـ ولّى المطّلب على الاسكندرية عبد اللّه بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن التُجيبيّ الحضرمي. وكان القاضي لَهِيعة بن عيسى الحضرمي قد عُزِل عن القضاء سنة١٩٨هـ ووُلّي على القضاء الفضل بن غانم الخزاعي، ثم أعاد المطّلب القاضي لهيعة الحضرمي قاضياً لمصر في أول سنة١٩٩هـ. وكان لهيعة تاسع تسعة من حضرموت وُلّوا القضاء بمصر، حيث قال د. عبد اللّه خورشيد: (ضرب الحضارمةُ الرقم القياسي في عدد من وُلّي القضاء منهم بمصر، ففي الفترة من ٨٤ ـ ٢٣٤هـ تولّى القضاء بمصر تسعة رجال من حضرموت، أولهم يونس بن عطية (سنة٨٤ ـ ٨٦هـ) وآخرهم لَهِيعة بن عيسى الحضرمي»[١].

وفي الشهور الأخيرة من سنة١٩٩هـ كان قدوم جماعة من عرب الأندلس ـ عن طريق البحر ـ إلى الاسكندرية. وغني عن البيان أن الأندلس كانت إمارة منفصلة عن دولة الخلافة في العصر العباسي، وكان يحكم الأندلس ـ سنة١٩٠هـ ـ الحَكَم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل. قال ابن خلدون: «كان الحَكَم بن هشام في صدر ولايته قد انهمك في لذاته، واجتمع أهل العلم والورع بقرطبة فثاروا به وامتنع فخلعوه وبايعوا محمد بن القاسم من عمومة هشام، وكان الربض الغربي من قرطبة محلة متصلة بقصر الحَكَم بن هشام فحاصروه وقاتلهم فغلبهم، وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم، ولحقوا بفاس وبالاسكندرية..»[٢] ـ وكان ذلك حوالي سنة١٩٩هـ ـ وكان عامل الاسكندرية عبد اللّه بن عبد الواحد التُجيبي. جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«عبد اللّه بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج التجيبيّ. أحدُ من وُلّي الاسكندرية.

قُتِل في فتنة الأندلسيين والصوفيين بها سنة١٩٩هـ/ ٨١٤م»[٣].

ثم تولّى الاسكندرية عمر بن هلال سنة١٩٩هـ. ولم تتفاقم قضية الأندلسيين بالاسكندرية إلا بعد قدوم موجة ثانية كبيرة منهم سنة٢٠٢هـ وذلك بعد عهد المطّلب وسيأتي نبأ ذلك.

* * *

وفي سنة٢٠٠هـ ظهر نشاط للدعوة العلوية بمصر، وجاء في كتاب الأغاني:

---

(١) القبائل العربية في مصر ـ د. عبد اللّه خورشيد ـ والجامع لبامطرف ـ ص ١٧٩.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٢٦ جـ ٤.
(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٣٣٨.

«إن رجلاً من العلويين كان قد تحرك بظجة (؟) فكان يبث دعاته إلى مصر، فوكَّل المطّلب بأبواب مصر من يمنع الغرباء دخولها» وقد عصفت الحركات العلوية بالعراق والحجاز واليمن سنة ٢٠٠هـ بحيث يبدو أن إحداها امتدت إلى مصر. وكان مما ساعد على ذلك أن الخليفة المأمون كان ما يزال مقيماً بخراسان وولّى على العراق والجزيرة العربية الحسن بن سهل الفارسي مما أدى إلى استياء عربي واسع. ويبدو ـ أيضاً ـ إن المأمون بعث قائداً من الموالي إلى مصر وهو (السري ابن الحكم مولى بني ضبّه وهو من أهل بلخ من الزط) وتولّى السري هذا القيادة بأبواب عاصمة مصر.

وفي تلك الأيام ـ بأواسط سنة ٢٠٠هـ ـ جاء دِعبل بن عليّ الخزاعيّ عامل أسوان إلى الفسطاط، فمنعه قائد حرس الأبواب من الدخول، فأغلظ دعبل الكلام مع القائد فضربه وحبسه عند البوابة. قال الأصفهاني: «.. لما جاء دِعبل مُنع ـ من الدخول ـ فأغلظ للذي منعه فقنّعه بسوط وحبسه، فمضى رزين ـ أخو دعبل ـ فأخبر المطّلب، فأمر بإطلاقه ودعا به، فخلع عليه ـ [أي أمر له بمال ليرضيه]ـ فقال له دعبل: لا أرضى أو تقْتُل الموكّل بالباب، فقال له المطّلب: هذا لا يمكن لأنه قائد من قوّاد السلطان، فغضب دعبل»[1].

وبعد ذلك بلغت المطّلب الأبيات التي قيل أنه هجاه بها، وهي أبيات مكذوبة على دِعبل وضعها رجل يُقال له إبراهيم بن العباس ونَسَبها إلى دِعبل ـ وكان دعبل بأسوان ـ وقد ذكر الأصفهاني روايات بأن دعبل هو الذي قالها في هجاء المطّلب، ثم ذكر الأصفهاني رواية فيها نصف الحقيقة حيث «قال إبراهيم بن المدبر: كنت أنا وإبراهيم بن العباس رفيقين نستكتب الشعر، وأنشدني قصيدة دعبل في هجاء المطّلب بن عبد الله بن مالك:

أمطّلبٌ أنت مُستعذِبٌ … سمام الأفاعي ومُستقبلُ

ـ (ومنها: تنوَّط مصر بك المخزيات … وتبصق في وجهك الموصل

وعاديت قوماً فما ضرّهم … وقَدّمْتَ قوماً فلم ينبلوا) ـ

قال: وقال لي دعبل نصفها لي ونصفها لإبراهيم بن العباس ـ [أو: قال لي إبراهيم بن العباس نصفها لي ونصفها لدعبل] كنت أقول مصراعاً فيجيزه ويقول هو مصراعاً فأجيزه». ـ ونرى أن إبراهيم بن العباس هو الذي وضع القصيدة مع صديق

---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٥٩ جـ ١٨. وقد ذكر الأصفهاني أشعاراً أخرى منسوبة إلى دعبل في هجاء المطلب وهي غير صحيحة.

له من أصحاب السري ابن الحكم البلخي، ونسبوها إلى دعبل، وبلغت المطّلب أبيات القصيدة منسوبة إلى دعبل، بحيث جاء في كتاب الأغاني أنه:

«بلغ المطّلب هجاء دعبل إياه فعزله عن أسوان فأنفذ إليه كتاب العزل مع مولى له وقال له: انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه وامنعه من الخطبة وانزله عن المنبر واصعد مكانه. فَلَمَّا علا ـ دعبل ـ المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب فقال له دعبل: دعني أخطب فإذا نزلتُ قرأته، قال: لا قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه، فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً». قال الأصفهاني: «قال عبد اللّه بن أبي الشيص، قال لي دعبل: قال لي المطّلب: ما تفكرتُ في قولك:

إن كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطّلب

إلا كنت أحب الناس إليّ، ولا تفكرتُ في قولك:

وعاديتَ قوماً فما ضرّهم وقدّمتَ قوماً فلم ينبلوا

إلا كنت أبغض الناس إليّ»[1].

وغالب الظن أن هذا الكلام بين دعبل والمطّلب كان في بغداد، بعد عودة دعبل إليها ثم انتهاء ولاية المطّلب وعودته إلى بغداد ـ سنة ١٠١هـ ـ وهو مقتضى قول دعبل:

أبعد مصر وبعد مطّلب ترجو الغنى إن ذا من العجب

إن كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطّلب

* * *

وفي شعبان أو رمضان سنة ٢٠٠هـ كتب الخليفة المأمون ـ من خراسان ـ بعزل المطّلب عن ولاية مصر وتولية السرّي بن الحكم البلخي الزطي مولى بني ضبّه على مصر، فلم يقبل المطّلب والقادة العرب بذلك وحارب السريّ ومن معه من الموالي والعجم، فَلَمَّا تفاقمت الفتنة رأى المطّلب أن يُنهي ولايته فخرج من مصر في موكب كبير إلى مكة في أواخر شهر رمضان سنة ٢٠٠هـ وأظهر أنه سيؤدي فريضة الحج.

قال ابن خلدون: «جرَت بين المطّلب وبين السري بن الحكم مولى بني ضبّه، وهو من أهل بلخ من قوم يقال لهم الزط، جرت بينه وبين المطّلب حروب،

---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٥٩ جـ ١٨. وقد ذكر الأصفهاني أشعاراً أخرى منسوبة إلى دعبل في هجاء المطلب وهي غير صحيحة.

وخرج هارباً من مصر إلى مكة ووُلِّيها السري بن الحكم في رمضان سنة٢٠٠هـ ثم وثب به الجند بعد ستة أشهر وولّوا سليمان بن غالب البجلي». [ص٢٩٦ جـ٤].

وقد اختتم بامطرف ترجمته للمطّلب بكتاب الجامع قائلاً إن المطّلب: «عزله المأمون عن مصر فأوقد فتنة فلم يفلح، فخرج هارباً إلى مكة. ومات بعد سنة٢٠٠هـ». [ص٥٧٧].

والواقع أن انتماء ولاية المطّلب لمصر وخروجه إلى مكة في رمضان سنة٢٠٠هـ لم يكن ختام حياته، فقد أقام هو والذين معه بمكة حتى أدى فريضة الحج ـ في ذي الحجة ٢٠٠هـ ـ ثم مضى إلى بغداد فوصل إليها في محرم أو صفر سنة٢٠١هـ، وكان له بها شأن كبير. وقد جاء في كتاب الأغاني عن طريق محمد بن عبد اللّه الخزاعي قال:

«لَمّا قَدِم المطّلب بن عبد اللّه بن مالك من الحج لقيه الشاعر محمد بن وهيب الحميري مستقبلاً مع من تلقاه، ودخل إليه مهنئاً بالسلامة بعد استقراره، وعاد إليه ثانية فأنشده قصيدة طويلة مدحه بها يقول فيها:

وما زلت أستدعي لك اللّه غائباً ... وأُظهر إشفاقاً عليك وأكتُمُ
وأعلمُ أن الجود ما غبتَ غائبٌ ... وإن الندى في حيثُ أنت مُخيم
إلى أن زجرتُ الطير سعداً سوانحاً ... وحَمّ لقاء بالسعود ومقدمُ
وظل يناجيني بمدحك خاطري ... وليليّ ممدود الرواقين أدهم
وقالوا طواه الحجُّ فاخشع لفقده ... ولا عيش حتى يُستهلَّ المحرمُ
سيفخر من ضمّ الحطيم وزمزم ... بِمطّلبٍ لو أنه يتكلمُ
وما خُلِقت إلا من الجود كفّه ... على أنها والباس خدنان توأمُ
أعدت إلى أكناف مكة بهجة ... خُزاعيّة كانت تجلّ وتعظم
ليالي سمار في الحجون إلى الصفا ... خزاعةُ إذْ خلّت لها البيت جُرهمُ
ولو نطقت بطحاؤها وحجونها ... وخيف منى والمأزمان وزمزمُ
إذاً لدعت أجزاء جسمك كلها ... تَنَافَسُ في أقسامه لو تُحكّمُ
ولو رُدّ مخلوق إلى بدء خلقه ... إذاً كنت جسماً بينهن تُقَسَّمُ
سَمَا بك منها كل خيف فأبطح ... نما بك منها الجوهر المتقدمُ

فوَصَله المطّلب صلة سَنِيّة وأهدى إليه هدية حَسَنة مِن طُرَف ما قَدِم به»[١].

---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص.

وكان المطّلب من زعماء المعارضة العربية التي اندلعت ببغداد سنة١٠١هـ ضد الخليفة المأمون بسبب توليته الحسن بن سهل الفارسي على العراق. قال الطبري: «وقد كان بنو هاشم - [العباسيون] - والقوّاد قالوا: نصيّر بعضنا خليفة ونخلع المأمون، وأرادوا منصور بن المهدي على الخلافة، فأبى ذلك، فلم يزالوا به حتى صيّروه أميراً خليفة للمأمون ببغداد والعراق، وقالوا: لا نرضى المجوسي ابن المجوسي الحسن بن سهل»[1]، وكذلك «ولّوا سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب الغربي - من بغداد - ونصر بن حمزة بن مالك الخزاعي الجانب الشرقي» قال ابن الأثير: «وفي ذي الحجة خاض الناس في البيعة لإبراهيم بن المهدي وخلع المأمون. وكان سبب ذلك إنكار الناس لولاية الحسن بن سهل ولبيعة علي بن موسى.. وفي أول المحرم - سنة٢٠٢هـ - بايع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي وخلعوا المأمون.. وكان المتولِّي لأخذ البيعة المطّلب بن عبد اللّه بن مالك»[2] وكذلك قال الطبري: «بايع أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي وخلعوا المأمون - في محرم سنة٢٠٢هـ - فَلَمَّا كان يوم الجمعة صعد إبراهيم المنبر فكان أول من بايعه عبيد اللّه بن العباس ثم منصور بن المهدي ثم سائر بني هاشم ثم القوّاد، وكان المتولّي لأخذ البيعة المطّلب بن عبد اللّه بن مالك»[1].

وكان المطّلب لا يرغب في خلع المأمون بقدر ما يريد أن يتدارك المأمون الأمور. بإزاحة وزيره فضل بن سهل الفارسي، وإزاحة الحسن بن سهل الفارسي عن حكم العراق ومشارقها، وإزاحة علي بن موسى العلوي من ولاية العهد، وإعادة المكانة المناسبة لطاهر بن الحسين الخزاعيّ. وكان من بين ما قاله بعض القادة للمأمون - كما ذكر الطبري: «.. إن طاهر بن الحسين قد أبلى في طاعته ما أبلى وافتتح ما افتتح وقاد إليه الخلافة مزمومة حتى إذا وطّأ الأمر، أُخرج من ذلك كله وصُيِّر في زاوية من الأرض بالرَّقة وقد حُظِرت عليه الأموال حتى ضعف أمره، وإنه لو كان على خلافتك ببغداد لضبط المُلك ولم يُجترأ عليه بمثل ما اجترىء على الحسن بن سهل، وإن طاهر بن الحسين قد تُنوسي هذه السنين، وإن الدنيا قد تفتقت من أقطارها. وسألوا المأمون المسير إلى بغداد. فَلَمَّا تحقق ذلك كله عند المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد»[1] - وقد تخلّص المأمون من وزيره فضل بن سهل - في شعبان ٢٠٢هـ - وسار إلى مدينة طوس ومعه عليّ بن موسى العلوي الذي كان قد جعله وليّ عهده بتأثير الفضل بن سهل، فمات عليّ بن موسى بطوس في

(١) تاريخ الأمم والملوك - الطبري ص ٢٤٠ و٢٤٣ و٢٥٠ جـ ١٠.
(٢) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ص ١٩١ جـ ٥.

صفر سنة٢٠٣هـ. وقيل إنه مات مسموماً. ويبدو أن المطّلب تلقى رسالة شفوية سِرِّية من المأمون بأن الفضل بن سهل انتهى وعلي بن موسى مات وبقاء الحسن بن سهل لن يطول وأنه قادم إلى بغداد وستزول كل أسباب النقمة. قال ابن الأثير: «وكان إبراهيم بن المهدي وعيسى بن محمد بن أبي خالد وغيرهما بالمدائن، وكان المطّلب بن عبد اللّه بن مالك قد عاد من المدائن فاعتلّ بأنه مريض، فأتى بغداد وجعل يدعو في السر إلى المأمون على أن المنصور بن المهدي خليفة المأمون ويخلعون إبراهيم». [ص١٩٢/ ٥] .

قال الطبري: «فأجاب المطّلب إلى ذلك منصور بن المهدي وخازم بن خزيمة وقوّاد كثير من أهل الجانب الشرقي. وكتب المطّلب إلى حميد بن عبد الحميد (بالكوفة) وعليّ بن هشام أن يتقدما فينزل حميد نهر صرصر وعليّ النهروان. فَلَمَّا تحقق الخبر عند إبراهيم سار من المدائن إلى بغداد فنزل زندورد وبعث إلى المطّلب ومنصور وخزيمة، فأما منصور وخزيمة فأعطيا بأيديهما، وأما المطّلب فإن أصحابه ومواليه قاتلوا عن منزله حتى كثر الناس عليهم وأمر إبراهيم منادياً فنادى: من أراد النهب فليأت دار المطّلب، فَلَمَّا كان وقت الظهر وصلوا إلى داره فانتهبوا ما وجدوا فيه وانتهبوا دور أهل بيته، وطلبوه فلم يظفروا به. وندم إبراهيم حيث صنع بالمطّلب ما صنع فلم يظفر به». [ص٢٥٠/ ١٠] ـ ومكث المطّلب متوارياً في الجانب الشرقي من بغداد ـ وكان داره في الجانب الشرقي ـ فَلَمَّا وصل الخليفة المأمون إلى الرّيّ ومشارف العراق: «جاء حميد بن عبد الحميد حتى نزل نهر صرصر يوم الأحد لليلتين خلتا من ذي القعدة فَلَمَّا كان يوم السبت نزل بالياسرية ـ[وهي من أبواب بغداد] ـ . . . وكان المطّلب يكاتب حميداً على أن يأخذ له الجانب الشرقي. . وكان أصحاب إبراهيم وقوّاده لَمَّا رأوا أن حميداً قد نزل في أرجاء عبد اللّه بن مالك تحوّل عامتهم إليه. . فَلَمَّا رأى ذلك إبراهيم أسقط في يديه فشق عليه، فَلَمَّا جَنَّه الليل اختفى ليلة الأربعاء ١٧ ذي الحجة ٢٠٣هـ وبعث المطّلب إلى حميد يخبره أنه قد أحدق بدار إبراهيم هو وأصحابه. . فركب حميد من ساعته فأتى باب الجسر، وجاء المطّلب إلى حميد فلقوه بباب الجسر، فأقبلوا إلى دار إبراهيم وطلبوه فلم يجدوه فيها، ولم يزل إبراهيم متوارياً حتى قدوم المأمون وبعدما قَدِم حتى كان من أمره ما كان. . وقد وافى المأمون النهروان ـ في صفر ٢٠٤هـ ـ فأقام بالنهروان ثمانية أيام وخرج إليه أهل بيته والقوّاد ـ ومنهم المطّلب ـ فسلموا عليه. ووافاه طاهر بن الحسين، فَلَمَّا قَدِم المأمون بغداد نزل الرّصافة وقَدِم معه طاهر بن الحسين فأمره بنزول الخيزرانية. . ثم ولّى المأمون

طاهر بن الحسين جانبيْ بغداد ومَعَاون السواد والشُرطة والجزيرة».

ولم يزل أبو القاسم المطّلب بن عبد اللّه بن مالك من كبار الشخصيات حتى وفاته ببغداد، وكان الشاعر دعبل بن عليّ الخزاعي بإقليم الجبل، فَلَمَّا بلغه وفاة المطّلب قال دِعبل:

كانت خُزَاعةُ ملء الأرض ما اتسعت ... فقَصّ مرُّ الليالي مِن حواشيها
هذا أبو القاسم الثاوي ببلقعةٍ ... تسفي الرياحُ عليه مِن سوافيها
هبَّت وقد علمت أن لا هبوب به ... وقد تكون حسيراً إذْ يُباريها
أضحى قرى للمنايا إذْ نزلت به ... وكان في سالف الأيام يقريها

٢٢

سليمان بن غالب البَجَلِيّ.. أمير مصر

(٢٠١ ـ ٢٠٢هـ)

هو الأمير القائد اليمانيّ سليمان بن غالب بن جبريل بن يحيى بن قُرّة البجلي أمير مصر. قال ابن خلدون: «جرَت بين المطّلب بن عبد اللّه بن مالك وبين السري بن الحكم مولى بني ضبّة حروب، وخرج المطّلب ـ إلى مكة، ووُلِّي مصر السري بن الحكم في رمضان سنة٢٠٠هـ ثم وثب به الجند بعد ستة أشهر وولّوا سليمان بن غالب بن جبريل بن يحيى بن قُرّة البجلي في ربيع الأول سنة٢٠١هـ»[(١)].

ومن المفيد التنويه إلى أن جده ـ جبريل بن يحيى البجلي ـ كان من الأمراء القادة في خلافة أبي جعفر المنصور، وإن جده ـ مسلمة بن يحيى البجلي ـ كان والياً لمصر في خلافة الرشيد بن المهدي بن المنصور. وقد كان جبريل ومَسْلمة من قادة الجيش العربي في ثغور الشام وتخوم أرض الروم ـ في جنوب تركيا ـ حيث قال البلاذري: «أمر أبو جعفر المنصور بعمران مدينة المصِّيصَة سنة١٣٩هـ.. فوجّه صالح بن عليّ [أمير الشام] جبريل بن يحيى البجلي إليها فعمرها وأسكنها الناس سنة١٤٠هـ.. قال أبو النعمان الأنطاكي: وبُنيت أذنة في سنة١٤٢هـ والجنود معسكرون عليها مع مَسْلَمة بن يحيى البجلي..»[(٢)] وانتقل جبريل إلى خُراسان سنة١٥١هـ حين وُلِّي حميد بن قحطبة الطائي خراسان. قال ابن الأثير: «وفي سنة١٥٩هـ وُلِّي جبريل بن يحيى سمرقند فبَنَى سورها وحفر خندقها»[(٣)] ولم يزل جبريل والياً لسمرقند إلى أيام خلافة هارون الرشيد بينما كان أخوه مَسْلَمة من القادة بثغور الشام والعراق ثم ولّاه هارون الرشيد مصر سنة١٧٢هـ فدخلها في عشرة آلاف من الجُند غالبيتهم من قبيلة بجيلة اليمانية حيث:

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٩٦ جـ ٤.

(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ١٧٠ و١٧٢.

(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٥٣ جـ ٥.

«دخلت بَجِيلةُ مِصرَ في الجنود الذين صحبوا مَسْلَمة بن يحيى البجلي عندما ولّاهُ الرشيد العباسي إمرة مصر سنة١٧٢ ـ ١٧٣هـ إذْ أن عشرة آلاف من الجند صحبوا مَسْلمة إلى مصر وكان العدد الأكبر منهم من قبيلة بجيلة. وقد برز في مصر رجالٌ من بَجِيلة منهم: عبد الرحمن بن حبيب البجلي صاحب الشرطة (١٧٢ ـ ١٧٣هـ) وحبيب بن أبان البجلي صاحب الشرطة (١٧٣هـ). وسليمان بن غالب البجلي وكان صاحب الشرطة سنة١٩٣ ـ ١٩٦هـ. .»[1].

ولَمَّا عزل الخليفة المأمون المطّلب بن عبد اللّه الخزاعي عن ولاية مصر وولّى السري بن الحكم الزّطّيّ مولى بني ضبة في رمضان سنة٢٠٠هـ اعترض القادة العرب في مصر على ذلك بقيادة سليمان بن غالب البجلي حيث كما ذكر ابن خلدون: ثار الجُنْدُ بالسري بن الحكم وولوا سليمان بن غالب البجلي في ربيع الأول سنة٢٠١ هجرية.

وجاء في ترجمة بجيلة بكتاب الجامع ما يلي:

«إن اشتراك سليمان بن غالب البجلي صاحب الشرطة في الحوادث العنيفة الدائرة حينذاك بمصر، واستيلاءه على حكم مصر بإرادة الجند وتأييدهم سنة٢٠١هـ ثم اشتراكه في الثورة العربية ضد المأمون العباسي سنة٢٠٢ ـ ٢٠٤هـ إن هذا كله لم يكن ليتمّ لولا وجود جماعة قوية من بجيلة بمصر».

وكذلك فقد أيّد القادة والجُند العرب ـ وغالبيتهم من اليمانية ـ سليمان بن غالب البجلي، فحين أصبح سليمان والياً لمصر بإرادة الجُند كان عياش بن لَهِيعة بن عيسى الحضرمي صاحب الشرطة بمصر سنة٢٠١هـ، وهو نجل القاضي لَهِيعة بن عيسى الحضرمي قاضي مصر في ولاية المطّلب (١٩٨ ـ ٢٠٠هـ) وقد استمر لَهِيعة قاضياً لمصر سنة٢٠١ ـ ٢٠٤هـ وحتى وفاته. وكان عبد العزيز بن عبد الجبار الأزدي من القادة بمصر، جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«عبد العزيز بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي: قائد.. وقد قُتل عبد العزيز وأهل بيته على يد السري بن الحكم عامل مصر للمأمون وذلك لثورتهم ودعوتهم إلى خلع المأمون ووليّ عهده عليّ بن موسى العلوي سنة٢٠٢هـ». [ص٤٢٦].

وكانت (الثورة العربية في مصر سنة٢٠٢ ـ ٢٠٤هـ ـ بقيادة الأمير سليمان بن غالب البجلي ـ ضد المأمون، والدعوة إلى خلع المأمون ووليّ عهده عليّ بن

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٠٤.

موسى العلوي) مثلما حدث في بغداد حيث «بايع الناس في بغداد إبراهيم بن المهدي وخلعوا المأمون من الخلافة في محرم ٢٠٢هـ وكان المتولّي لأخذ البيعة المطّلب بن عبد اللّه بن مالك أمير مصر السابق ـ» وقد شملت الحركات العربية الموصل والشام حيث تغلّب على الموصل الحسين بن عليّ الهمداني، وتغلّب على دمشق ابن بيهس، وانفرطت الأمور في مصر، فكان السري بن الحكم الزّطي هو عامل المأمون، بينما تغلّب الثائرون على أغلب مناطق مصر، وكان معاوية بن عبد الواحد التجيبيّ الكِنْدي يحكم الاسكندرية (٢٠٢ ـ ٢٠٤هـ) وتغلب الأندلسيون على الاسكندرية بزعامة أبي حفص البلوطي إلى أن وُلّي مصر عبد اللّه بن طاهر بن الحسين الخزاعي.

وقد مات السري بن الحكم عامل المأمون بمصر سنة٢٠٥هـ، ولم نقف على تاريخ وفاة سليمان بن غالب البجلي، وكان ما يزال من القادة في بعض مناطق مصر حين وصل الأمير عبد اللّه بن طاهر الخزاعي مصر والياً عليها، وأعاد الاستقرار وسلطة دولة الخلافة في ربوع مصر سنة٢١٠هـ.

وقد برز من أبناء سليمان بن غالب القائد محمد بن سليمان بن غالب البجلي وهو قائد الشرطة في مصر سنة٢٣٦ ـ ٢٣٨هـ في خلافة المتوكل العباسي.

٢٣

عبد اللّه بن طاهر الخُزَاعيّ
والي الجزيرة والشام ومصر
(٢٠٦ ـ ٢١٢هـ)

هو الأمير اليماني عبد اللّه بن طاهر بن الحسين الخُزاعي: قال المسعودي: (وفيه يقول الشاعر وقت كون عبد اللّه بن طاهر بمصر:

يقولُ أُناسٌ: إنّ مِصْر بعيدة، وما بعدت مِصْر وفيها ابن طاهر
وأبعدُ مِن مِصْر رجالٌ تَرَاهُمُ بحضرتنا معروفُهُم غير حاضر)[١]

وقال ابن الأثير: «كان عبد اللّه بن طاهر من أكثر الناس بذلاً للمال مع علم ومعرفة وتجربة وكان أديباً شاعراً»[٢]. بينما «قال الذهبي: كان عبد اللّه بن طاهر من كبار الملوك»[٣] ونذكر هنا ما يلي:

أولاً: أنباء عبد اللّه بن طاهر قبل ولايته للشام ومصر:

لقد وُلد عبد اللّه بن طاهر في باذغيس ببلاد خراسان سنة١٨٢هـ الموافق ٧٩٨م. وقد شاع في بعض الروايات والتراجم أنه (مولى خُزاعة) وإن أباه (مولى طلحة الطلحات عبد اللّه بن خلف الخزاعيّ). وبالبحث والتحقيق يتبيَّن عدم صحة ذلك الزعم، وإن الصحيح أنّه خُزاعيٌّ يمانيٌّ عربيٌّ قحطانيٌّ. ومن الأدلة على ذلك:

إنّ طاهر بن الحسين هو: طاهر بن الحسين بن مُصْعب بن رُزيق بن أسعد بن عامر بن بياضة الخزاعيّ، وطَلْحَةُ الطَلَحات هو: طلحة بن الصحابي عبد اللّه بن خَلَف بن أسعد بن عامر بن بياضة الخزاعيّ[٤]. فطلحة الطلحات هو جد الحسين بن مصعب والد طاهر بن الحسين. وقد جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٧٧ جـ ٤.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٢٧١ جـ ٥.
(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٣٣٦ و١٧٨ و٢٨٣.
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٣٠٣ جـ ٢.

يلي: «الحسين بن مصعب بن زريق الأزدي، مِنْ بني رُزيق بن عامر. أحد الوجوه المُقدمين في خلافة المأمون، وهو والد طاهر بن الحسين. .» وإنه «كان له منزلة عند الرشيد»[1].

وقد كان طاهر بن الحسين أميراً لمنطقة بوشنج وباذغيس ببلاد خُراسان في خلافة الرشيد سنة ١٨٠ ـ ١٩٢هـ، ولذلك كان مولد عبد اللّه بن طاهر في باذغيس ببلاد خراسان سنة ١٨٢هـ ثم انتقل طاهر إلى مدينة (مرو) ثم صار قائداً في سمرقند (١٩٣ ـ ١٩٤هـ) وكان الوالي على خراسان آنذاك المأمون بن هارون الرشيد، ثم ولّاهُ المأمون إقليم الرَّي ـ شمال إيران ـ حيث ذكر الطبري إنه «كان طاهر بن الحسين عامل المأمون على الرَّيّ»[2] فَلَمَّا وُلِّي طاهر إقليم الرّي انتقلت معه أسرته من خُراسان إلى الرَّي، وفيهم عبد اللّه بن طاهر، ثم تولّى طاهر قيادة جيش المأمون في محاربة الأمين، فدخل طاهر العراق سنة ١٩٦هـ وحاصر الأمين وجيشه ببغداد سنة ١٩٧هـ حيث قال الشاعر عمرو الورّاق:

يا طاهر الظُّهر الذي ... مِثالهُ لم يُوجَدِ
بالسَّيِّد ابن السيِّد ابن ... السيِّدِ ابن السيِّد

وفي هذا الشعر دلالة على أن طاهر بن الحسين وأسلافه من سادة العرب فهو طاهر بن الحسين بن مُصعب بن رُزيق بن أسعد بن عامر الخُزاعي اليمانيّ القحطاني. وانتهت الحرب بمقتل الأمين ودخول طاهر بغداد في محرم سنة ١٩٨هـ. واستقر طاهر بن الحسين ببغداد والياً للمأمون على العراق ومشارقها والجزيرة العربية، وفيه قال الشاعر عبد اللّه بن محمد بن أبي عُيَينة بن المهلَّب الأزدي:

أحَلّكَ اللّهُ مِنْ قَحطان منزلةً ... في الرأسِ حيثُ أحلّ السَّمْعَ والبَصَرا[3]

وهذا الشعر شاهد لا تخطىء دلالته على تأكيد النسب اليمانيّ القحطاني العريق لطاهر بن الحسين وعبد اللّه بن طاهر بن الحسين الخُزَاعي.

وقد دخل عبد اللّه بن طاهر العراق مع أبيه سنة ١٩٦هـ واستقر معه ببغداد منذ سنة ١٩٧ ـ ١٩٩هـ وكان يقول الشعر.

قال ابن الأثير: «ومن شعر عبد اللّه بن طاهر:

اسم من أهواه اسم حَسَن ... فإذا صحفته فهو حسن

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٣٣٦ و١٧٨ و٢٨٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٤٨ جـ ١٠.

(٣) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرّد ـ ص ٢٥١ جـ ١٠.

فــإذا أســقــطــت مــنــه فــاءه ... كــان نــعــتــاً لــهــواه الــمــخــتــزن
فــإذا أســقــطــت مــنــه يــاءه ... صــار فيــه بــعــض أســبــاب الــفــتــن
فــإذا أســقــطــت مــنــه راءه ... صــار شــيئاً يــعــتــرى عــنــد الــوســن
فــإذا أســقــطــت مــنــه طــاءه ... صــار مــنــه عــيــش ســكــان الــمــدن
فــســّروا هــذا فــلــن يــعــرفــه ... غــيــر مــن يــســبــح فــي بــحــر الــفــطــن

وهذا الاسم هو طريف)[١].

وفي سنة١٩٩هـ نقل المأمون طاهر بن الحسين من ولاية العراق إلى ولاية الجزيرة الفراتية. قال الطبري: «.. وشَخَصَ طاهر من بغداد إلى الرَّقّة في جمادى الأولى سنة١٩٩هـ». [ص٢٧٧ جـ١٠] ـ وكان عبد اللّه بن طاهر مع أبيه في الرَّقّة ـ بسورية ـ وكانت الرَّقّة عاصمة ولاية الجزيرة الفراتية وقد مكث طاهر بن الحسين بالرَّقّة والياً على الجزيرة الفراتية إلى أن قَدِم المأمون من خُراسان إلى الرَّي قاصداً العراق في ذي الحجة ٢٠٣هـ. قال الطبري: «وكتب المأمون إلى طاهر بن الحسين وهو بالرَّقّة أن يوافيه إلى النهروان». فاستخلف طاهر بالرَّقة عبد اللّه بن طاهر، وتوجّه في جماعة من جنوده إلى المأمون ووافاه بالنهروان في العراق ـ في صفر سنة٢٠٤هـ ـ ثم سار المأمون إلى بغداد فدخلها ومعه طاهر يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر سنة٢٠٤هـ. قال الطبري:

«فَلَمَّا قَدِم المأمونُ بغداد نزل الرُّصافة، وقَدِم معه طاهر بن الحسين فأمره بنزول الخيزرانية مع أصحابه، ثم تحوّل المأمون فنزل قصره على شَطِّ دجلة». [ص٢٥٤/ ١٠].

«وولَّى المأمونُ طاهر بن الحسين الجزيرة والشُّرط وجانبيْ بغداد ومَعَاون السواد». [ص٢٥٥/ ١٠] ـ فمكث عبد اللّه بن طاهر نائباً لأبيه بالجزيرة الفراتية وعاصمتها الرَّقّة ـ في سورية ـ سنة٢٠٤ ـ ٢٠٥هـ.

قال ابن كثير: «ثم دخلت سنة٢٠٥هـ وفيها ولَّى المأمون طاهر بن الحسين نيابة بغداد والعراق وخراسان إلى أقصى عمل المشرق ورضي عنه ورفع منزلته جداً. وولَّى المأمون مكان طاهر على الرَّقّة والجزيرة يحيى بن معاذ، وقَدِم عبد اللّه بن طاهر إلى بغداد في هذه السنة وكان أبوه قد استخلفه على الرَّقّة»[٢].

ولَمَّا قَدِم عبد اللّه بن طاهر من الرَّقّة إلى بغداد سنة٢٠٥هـ أصبح نائباً لأبيه

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٢٧١ جـ ٥.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٢٥٥ جـ ١٠.

على إمْرَة بغداد والشرطة، وكان طاهر بن الحسين يقيم تارة ببغداد وتارة بمدينة حُلوان ـ في شرق العراق ـ إذْ أنّه أمير سواد العراق إلى أقصى أقاليم مشارق العراق ومنها أقاليم الجبل والرَّيّ وهي شمال ووسط إيران. وكان الشاعر دِعبل بن عليّ الخزاعي قد هجا المأمون ـ (أيام المعارضة ومبايعة إبراهيم بن المهدي في بغداد بالخلافة سنة٢٠٢ ـ ٢٠٣هـ) ـ فَلَمَّا عاد المأمون إلى بغداد هرب دعبل إلى إقليم الجبل، وتوعّده المأمون: «وقال دعبل يهجو المأمون أبياتاً منها:

ويَسُومُنِي المأمونُ خُطَّةَ عارِفٍ ... أوَ مَا رأى بالأمس رأس محمد

.. إنّي من القوم الذين سيوفهم ... قتلت أخاك وشرّفتك بمقعد

شادوا بذكرك بعد طول خموله ... واستنقذوك من المحل الأوهد

وكان المأمون حليماً لم يزد على أن قال: قَاتَلَ اللّهُ دِعْبلاً متى كُنتُ خاملاً وفي حُجر الخلافة وُلِدتُ وبدرّها غُذيت»[(١)].

ودعا المأمون عبد اللّه بن طاهر بن الحسين. وقد جاء في كتاب الأغاني أنه: «دخل عبد اللّه بن طاهر إلى المأمون فقال له: أي شيء تحفظ يا عبد اللّه لدعبل؟ فقال: احفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين، فقال المأمون: هاتها ويحك، فأنشده عبد اللّه قول دعبل:

سقيا ورعيا لأيام الصبابات ... أيام أرفل في أثواب لذاتي

أيام غصني رطيبٌ من ليانته ... أصبو إلى غير جارات وكنات

دع عنك ذكر زمان فات مطلبه ... واقذف برجلك عن متن الجهالات

واقصد بكل مديح أنت قائله ... نحو الهداة بني بيت الكرامات

فقال المأمون: إنه قد وجد واللّه مقالاً، فقال: ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله في وصف غيرهم»[(٢)].

وقد ذكر عبد اللّه بن طاهر تلك القصيدة للمأمون للتخفيف من غضبه على دِعبل. وجاء في كتاب الأغاني:

«قال عبد اللّه بن طاهر: إن المأمون لم يزل يطلب دعبل وهو طائر على وجهه حتى دُسّ إليه قوله:

علمٌ وتحكيمٌ وشيبُ مفارقٍ ... تطميس ريعان الشباب الرائق

---

(١) قرة العيون ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٣٩.

(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٤٤ و٥٣ جـ ١٨.

وإمـارة فـي دولـة ميمـونـة ... كانت على اللذات أشغب عائق
أنّى يكـون وليـس ذاك بكـائن ... يـرثُ الخلافة فاسقٌ عن فاسق
إنْ كان إبراهيم مُضطلعاً بها ... فَلَتصْلَحَنْ مِن بعده لِمُخَارق
ولَتَصْلحن من بعد ذاك لِزُلْزُلٍ ... ولَتَصْلحن مِن بعده للمارق

فَلَمَّا قرأها المأمون ضحك وقال: قد صفحتُ عن كل ما هجانا به إذْ قَرَنَ إبراهيم بمخارق في الخلافة وولَّاهُ عهده، وكتب المأمون إلى أبي [في حُلوان] أن يكاتبه بالأمان ويحمل إليه مالاً وإن شاء أن يقيم عنده أو يصيرُ إلى حيثُ شاء. فكتب إليه أبي بذلك، وكان واثقاً به، فصار إليه، فخلع عليه وأجازه وأعطاه المال، وأشار عليه بقصد المأمون، ففعل. فَلَمَّا دخل إلى المأمون وسلم عليه تَبَسم في وجهه ثم قال: أنشدني قولك:

مدارس آياتٍ خلت مِنْ تلاوةٍ ... ومنزل وحيٍّ مقفر العرصات

فأنشده إياها إلى آخرها..»[1].

قال الأصفهاني: «.. ودخل دِعبل على عبد اللّه بن طاهر وهو ببغداد، فأنشده:

جئتُ بلا حرمة ولا سبب ... إليك إلا بحرمة الأدب
فاقض ذمامي إنني رجُلٌ ... غير مُلحٍّ عليك بالطلب

فانتقل عبد اللّه ودخل إلى منزله ووجّه إليه صرّة فيها ألف درهم وكتب إليه:

أعجلتنا فأتاك عاجل برّنا ... ولو انتصرت كثيره لم يقلل
فخُذ القليل وكُنْ كأنك لم تَسَلْ ... ونكون نحن كأننا لم نفعل»[1]

وقد سلف قول ابن الأثير: «كان عبد اللّه بن طاهر من أكثر الناس بذلاً للمال مع علم ومعرفة وتجربة وكان أديباً شاعراً». قال الحافظ ابن كثير: «ومن شعر عبد اللّه بن طاهر قوله:

نحن قومٌ يُلينا الخدّ والنّحْرُ ... على أننا نُلينُ الحديدا
طوعُ أيدي الصّبا تَصَيّدُنَا العينُ ... ومن شأننا نَصِيدُ الأُسودا
نملكُ الصّيدَ ثم تملِكُنا البيضُ ... المضيئاتُ أعيُناً وخُدودا
تتقي سُخْطَنا الأسودُ ونخشى ... سقَطَ الخشفِ حين تُبدي القعودا

ومن جيد شعره:

إغتفرْ زلّتي لتحرزَ فَضلَ الشُّكرِ ... مِني ولا يفوتَكَ أجري

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٤٤ و٥٣ جـ ١٨.

لا تَكِلْني إلى التوسّل بالعذر   لعلّي أن لا أقوم بعذري»[١]

وفي ذي القعدة سنة٢٠٥هـ توجه الأمير طاهر بن الحسين من بغداد إلى خراسان والياً على خُراسان وآسيا الوسطى ومكث عبد اللّه بن طاهر أميراً على الشرطة وأعمال بغداد إلى أن ولّاهُ المأمون الجزيرة والشام ومصر.

* * *

ثانياً: ولاية عبد اللّه بن طاهر للجزيرة والشام ومصر.. وأنباء عهده:

قال ابن الأثير: «في سنة٢٠٦هـ ولّى المأمون عبد اللّه بن طاهر من الرّقّة إلى مصر. وقيل: كانت توليته سنة٢٠٥هـ..»[٢] وقال الطبري: «في سنة٢٠٦هـ ولّى المأمون عبد اللّه بن طاهر الرّقّة.. وكان السبب في ذلك أن يحيى بن معاذ كان المأمون ولّاه الجزيرة فمات واستخلف ابنه أحمد على عمله. فدعا المأمونُ عبد اللّه بن طاهر في شهر رمضان، فقال بعضٌ: كان ذلك في سنة٢٠٥هـ وقال بعضٌ: في سنة٢٠٦. وقال بعضٌ: في سنة٢٠٧. فَلَمَّا دخل إليه قال له المأمون: يا عبد اللّه أنا أستخير اللّه منذ شهر وأرجو أن يُخير اللّه، ورأيتُ الرجلَ يصفُ ابنه لِيُطريه لرأيه فيه وليرفعه ورأيتُكَ فوق ما قال أبوك فيك، وقد مات يحيى بن معاذ واستخلف ابنه أحمد وليس بشيء، وقد رأيتُ توليتك الرّقّة والجزيرة، فقال عبد اللّه: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين وأرجو أن يجعل اللّه الخيرة لأمير المؤمنين وللمسلمين. فعقد له المأمون، ثم أمر أن تقطع حبال القصّارين عن طريقه وتُنَحّى عن الطرقات المظالُّ كيلا يكون في طريقه ما يردُّ لواءه. ثم عقد له لواءً مكتوباً عليه بصفرة ما يكتبُ على الألوية وزاد فيه المأمون (يا منصور) وخرج عبد اللّه ومعه الناس فصار إلى منزله، ولَمَّا كان من غدٍ ركب إليه الناس»[٣] ـ أي العسكر الذين سيسيرون معه ـ «وولّى عبد اللّه بن طاهر إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مُصعب الجسرين وجعله خليفته على ما كان طاهر أبوه استخلفه فيه من الشُرطة وأعمال بغداد، وذلك حين شَخَصَ عبد اللّه إلى الرّقّة»[٣].

لقد ولّى المأمون الأمير عبد اللّه بن طاهر ـ كما ذكر ابن الأثير ـ «من الرّقّة إلى مصر». ويشمل ذلك:

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٣٠٢ جـ ١٠.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٩٧ جـ ٥.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٢٥٨ جـ ١٠.

أ ـ ولاية الجزيرة الفراتية وثغورها. وتقع ثغور الجزيرة في جنوب تركيا حالياً. وكان الروم قد تغلبوا على بعضها.

ب ـ ولاية الشام وثغورها. وكان نصر بن شبث العقيلي متغلباً على حصن كيسوم وشمال حلب، ومحمد بن بيهس متغلباً على دمشق.

جـ ـ ولاية مصر. وكان عبيد اللّه بن السري متغلباً على الفسطاط عاصمة مصر، وأبو حفص البلوطي متغلباً على الاسكندرية.

وقد انطلق موكب الأمير عبد اللّه بن طاهر من بغداد إلى مدينة الرَّقّة بسورية ـ في شوال سنة٢٠٦هـ ـ وهو يومئذ ابن ٢٤ سنة. وسار عن طريق الموصل وكان أمير الموصل يومئذ السيّد بن أنس الأزدي، ومضى من الموصل إلى مدينة الرَّقة ـ عاصمة الجزيرة الفراتية ـ فاستقرّ بها مع قوّاده وجنوده في شوال سنة٢٠٦هـ، فقام بضبط الأمور، وقام بأعمال هامة في الجزيرة وثغورها. قال البلاذري في فتوح البلدان:

ـ «كانت عين الرومية وماؤها للوليد بن عقبة فأعطاها أبا زبيد الطائي، ثم صارت لأبي العباس أمير المؤمنين فأقطعها ميمون بن حمزة، ثم ابتاعها الرشيد من ورثته وهي من أرض الرَّقّة.. وكذلك غابة أرض سروج. وكان مرج عبد الواحد حمى للمسلمين.. ثم توثب الناس على مزارعه حتى قَدِم عبد اللّه بن طاهر الشام فردّه إلى الضياع»(١).

ـ وبينما عبد اللّه بن طاهر في الرَّقّة مات أبوه الأمير طاهر بن الحسين الخزاعي أمير خراسان وآسيا الوسطى، وكانت وفاته في ٢٥ جمادى الأولى سنة٢٠٧هـ فولّى المأمون مكانه إبنه طلحة بن طاهر، وبعث المأمون إلى الأمير عبد اللّه بن طاهر يعزيه بوفاة أبيه. قال ابن كثير: «وكان الذي سار إلى عبد اللّه بن طاهر في الرَّقّة يعزيه في أبيه القاضي يحيى بن أكثم عن أمر المأمون».

ـ وفي سنة٢٠٧ ـ ٢٠٨هـ تقدَّم الأمير عبد اللّه بن طاهر إلى ثغور الجزيرة التي كان الروم قد تغلبوا عليها ـ في تركيا ـ.

قال البلاذري: «كان الروم قد تغلبوا على حصن كمخ.. أيام هيج الأمين ابن الرشيد فهرب أهله وغلبت عليه الروم، ثم فتحه عبد اللّه بن طاهر في خلافة المأمون»(١).

وسار عبد اللّه بن طاهر إلى مدينة المصّيْصَة، وهي من الثغور الشامية في

---

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ١٧٠ و١٨٥.

جنوب تركيا، وكان جبريل بن يحيى البجلي قد قام ببناء المصيصة وأسكنها جماعة من العربِ والجُند في خلافة المنصور سنة١٤٠ ـ ١٤١هـ. قال البلاذري: «ولَمَّا استُخلف المهدي فرض بالمصيصة لألفيْ رجل ـ [يرابطون فيها] ـ ولم يقطعهم لأنه كانت قد شُحنت من الجند والمطوعة، ولم تزل الطوالع تأتيها من أنطاكية في كل عام فكثر مَنْ بها وقووا وذلك في خلافة المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩هـ)، ثم زاد المأمون في بناء المصَيْصَة أيام ولاية عبد اللّٰه بن طاهر بن الحسين»[(١)] . فقد قام عبد اللّٰه بن طاهر بتوسيع وزيادة بناء مدينة المصَيْصَة وتحصيناتها، كما رتب المقاتلين والحاميات العسكرية في حصن كمخ وفي المصيصة وغيرهما من الثغور في تركيا.

ـ وفي سنة٢٠٩هـ سار الأمير عبد اللّٰه بن طاهر لقتال نصر بن شبث العقيلي والذين معه في حصن كيسوم شمالي مدينة حلب، وكان نصر بن شبث هذا قائداً بحصن كيسوم ثم خلع المأمون وتغلب على ما جاوره من البلاد إلى سميساط وغيرها واستجاب له الكثير من الأعراب وأهل الطمع، وكان ذلك منذ سنة٢٠٠هـ. قال ابن الأثير: «وفي سنة٢٠٩هـ حاصر عبد اللّٰه بن طاهر نصر بن شبث بكيسوم وضيّق عليه حتى طلب الأمان، فأجابه إليه.. وسيّر نصراً إلى المأمون»[(٢)] .

وأما محمد بن بيهس الكلابي الذي كان متغلباً على دمشق فقد بادر إلى الطاعة عند قدوم عبد اللّٰه بن طاهر إلى الشام، فأقرّه عبد اللّٰه بن طاهر عاملاً على دمشق. قال ابن الأثير: «بقي ابن بيهس بدمشق إلى أن قَدِم عبد اللّٰه بن طاهر دمشق ودخل إلى مصر». [ص١٤٧/ ٥].

ـ ولَمَّا أتم الأمير عبد اللّٰه بن طاهر إصلاح الأمور بالجزيرة الفراتية والشام والثغور وبحر الشام، سار من الشام قاصداً مصر، في شهر محرم سنة٢١٠هـ. «فَلَمَّا صار عبد اللّٰه بن طاهر فيما بين سلمية وحمص لقيه البَطِين الشاعر الحِمْصي، فوقف على الطريق فقال:

مـرحـبـاً مـرحـبـاً وأهـلاً وسـهـلاً	بابن ذي الجُودِ طاهر ابن الحُسينِ
مـرحـبـاً مـرحـبـاً وأهـلاً وسـهـلاً	بـابـن ذي الـغُـرَّتيـنِ فـي الـدَّعـوتيـنِ
مـرحـبـاً مـرحـبـاً بِـمَـن كـفّـهُ الـبـحـر	إذا فــاض مُــزبِــد الـرَّجَــوَيــنِ
مـا يُـبـالـي الـمـأمـونُ ـ أيّـده الـلّـ	ـهُ ـ إذا كُـنـتُـمـا لـه بـاقـيَـيْـنِ
أنـت غَـرْبٌ وذاك شـرقٌ مـقـيـمـاً	أيّ فـتـىً أتـى مـن الـجـانـبـيـنِ

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ١٧٠ و١٨٥.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٢٠٧ جـ ٥.

وحقيقٌ إذْ كُنتُما في قديم لِرُزيقَ ومُصعبٍ وحُسينِ
أن تنالا ما نلتماهُ من المجدِ وأن تعلوا على الثَّقَلَيْنِ

فقال له عبد اللّه بن طاهر: من أنت؟ قال: أنا البَطِين الشاعر الحِمْصِيّ، فقال: يا فلان انظُر كَمْ بيتٍ قال، فقال: سبعة، فأمر له بسبعة آلاف درهم، ثم لم يزل معه حتى دخلوا مصر والاسكندرية».

إن قول الشاعر البطين: «أنت غرب وذاك شرقٌ مقيم..» قد يشير إلى أن عبد اللّه بن طاهر قد سار إلى مصر في حياة أبيه الأمير طاهر بن الحسين سنة٢٠٦ - ٢٠٧هـ لأن طاهر بن الحسين توفي في جمادى الأولى سنة٢٠٧هـ ما لم فإن الشاعر البطين يعني بقوله «أنت غرب وذاك شرق مقيم» الأمير طلحة بن طاهر بن الحسين أمير خراسان وآسيا الوسطى والأمير عبد اللّه بن طاهر بن الحسين أمير الجزيرة الفراتية والشام ومصر.

وقد مضى الأمير عبد اللّه بن طاهر من حمص إلى دمشق، وأقرّ ابن بيهس الكلابي عاملاً لدمشق ثم مضى من دمشق إلى مدينة الرملة بفلسطين قاصداً مصر، وكان عبد اللّه بن طاهر لابساً ملابس الحرب وفي ذلك قال:

وتَبَدَّلْتُ صقيلاً يمنياً بوشاحي
وتماديتُ بسَيْرٍ لِغُدُوٍّ ورَوَاح

ولذلك كان بعض الذين في موكبه أجود منه كساءً وهو متوجه إلى مصر. قال الطبري: «قال أبو السمراء: خرجنا مع الأمير عبد اللّه بن طاهر متوجهين إلى مصر حتى كنّا بين الرملة ودمشق، فإذا نحن بأعرابيّ قد اعترض فإذا شيخ فيه بقية على بعير له أورق، فسلم علينا فرددنا عليه السلام، وأنا إسحاق بن إبراهيم الرافقيّ وإسحاق بن أبي ربعي نُساير الأمير، وكنا يومئذ أفره من الأمير دوابَّ وأجود منه كساء، فجعل ينظر في وجوهنا، فقلتُ: يا شيخ قد ألححت في النظر أعرفت شيئاً أم أنكرته؟ قال: لا واللّه ما عرفتكم قبل يومي هذا، ولكنّي رجل حَسَن الفراسة في الناس جيد المعرفة بهم. فأشرتُ له إلى إسحاق بن أبي ربعي فقلت: ما تقول في هذا؟ - [يعني هل هو الأمير] - فقال الشيخ:

أرى كاتباً دَاهِي الكتابَةِ بَيّنٌ عليه وتأديبُ العراق مُنيرُ
له حركات قد يشاهِدنَ أنه عليمٌ بتقسيط الخراج بصيرُ

ونظر إلى إسحاق بن إبراهيم الرافقيّ فقال:

ومُظهِرُ نُسْكٍ ما عليه ضميرُهُ يحبُّ الهدايا بالرِّجالِ مكورُ

أخال به جُبناً وبُخلاً وشيمةً ... تُخبّرُ عنه أنّه لوزيرُ

ثم نظر إليّ فقال:

وهذا نديمٌ للأمير ومؤنسٌ ... يكونُ له بالقرْبِ منه سُرورُ

أخاله للأشعار والعِلْمِ راوياً ... فبعضُ نديمِ مرّةً وسميرُ

ثم نظر إلى عبد اللّه بن طاهر وقال:

وهذا الأميرُ المُرتجى سيْبُ كَفِّهِ ... فما إن له فيمن رأيتُ نظيرُ

عليه رِداءٌ مِن جمالٍ وهيْبَةٍ ... ووجْه بإدراك النجاح بشير

لقد عصِمَ الإسلامُ منذ بَدابَدٍ، ... به عاش معروف ومات نكير

إلا إنما عبد الإله ابن طاهرٍ ... لنا والدٌ برٌّ بنا وأميرُ

فوقع ذلك من عبد اللّه بن طاهر أحسن موقع وأعجبه ما قال الشيخ فأمر له بخمسمائة دينار، وأمره أن يصحبه إلى مصر». [ص٢٧٤ جـ١٠].

ودخل الأمير عبد اللّه بن طاهر مصر ـ في أواسط شهر صفر سنة ٢١٠هـ ـ فتوجّه إلى مدينة الفسطاط عاصمة مصر وكان عبيد اللّه بن السري متغلباً عليها، وكانت الفتن بمصر شائعة. فجاء في تاريخ الأمم والملوك: «إن عبد اللّه بن طاهر لَمَّا قرب من (عاصمة) مصر وصار منها على مرحلة، قَدّم قائداً من قوّاده إليها ليرتاد لعسكره موضعاً يعسكر فيه، وقد خَنْدَق عبيد اللّه بن السري عليها خندقاً. فاتصل الخبر بابن السريّ عن مصير القائد إلى ما قرب منها، فخرج بمن استجاب له من أصحابه إلى القائد الذي كان عبد اللّه بن طاهر وجّهَه لطلب موضع لمعسكره. فالتقى جيش ابن السريّ وقائد عبد اللّه بن طاهر وأصحابه وهم في قلّة. فجال القائدُ وأصحابه جولة، وأبرد القائد إلى عبد اللّه بن طاهر يخبره بخبره وخبر ابن السريّ، فحمل عبد اللّه بن طاهر رجاله على البغال، على كل بغل رجلين بآلتها وأدواتها، وجنّبوا الخيل، وأسرعوا بالسير ـ مع عبد اللّه بن طاهر ـ حتى لحقوا القائد وابن السري، فلم تكن مع عبد اللّه بن طاهر وأصحابه إلا حملة واحدة حتى انهزم ابن السري وأصحابه وتساقطت عامة أصحاب ابن السري في الخندق، فَمَنْ هَلَك منهم بسقوط بعضهم على بعض في الخندق كان أكثر ممن قتله الجند بالسيف. وانهزم ابن السري فدخل مدينة الفسطاط وأغلق على نفسه وأصحابه ومن فيها الباب، فحاصره عبد اللّه بن طاهر، فلم يعاوده ابن السري الحرب بعد ذلك حتى خرج إليه في الأمان».

«وقال عبد اللّه بن طاهر وهو محاصر بمصر عبيد اللّه بن السري:

بَكَرَتْ تَسْبِلُ دَمعاً إذْ رأت وشْكَ بَراحي
وتَبَدَّلْتُ صقيلاً يمنيّاً بوشاحي
وتَمادَيْتُ بِسَيْرٍ لِغُدُوٍ ورَوَاح
زعمتْ جَهلاً بأنّي تَعِبٌ غيْرُ مراح
أقصِري عني فإنّي سالكٌ قَصْدَ فلاحي
أنا للمأمون زندٌ منه في ظلّ جَناحِ
إنْ يُعَافِ اللّه يوماً فقريبٌ مُسْتَرَاحي
أو يكن هُلْكٌ فقولي بعسويلٍ وصياحِ
حلّ في مِصر قتيلٌ ودَعي عنكِ التّلاحي»

«وبعث عبيد اللّه بن السريّ إلى عبد اللّه بن طاهر لمّا ورد ـ عاصمة ـ مصر ومانعه من دخولها بألف وصيفٍ ووصيفةٍ مع كل وصيف ألف دينار في كيس حرير وبعث ذلك ليلاً، فردّ عبد اللّه بن طاهر ذلك إليه وكتب إليه. لو قبلتُ هديتك نهاراً لقبلتُها ليلاً، بَلْ أنتمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُون إرجعْ إلَيْهِمْ فلنأتينَّهُم بجُنُودٍ لا قِبَلَ لهم بها ولنُخرجَنَّهُم منها أذلَّةً وهم صاغرُون. فحينئذ طَلَبَ ابن السري الأمان من عبد اللّه بن طاهر وخرج إليه بالأمان»[1].

وقد دخل الأمير عبد اللّه بن طاهر مدينة الفسطاط عاصمة مصر واستقر في دار الإمارة يوم السبت ٢٥ صفر من سنة ٢١٠هـ وهو يومئذ ابن ٢٨ سنة. وكان من علماء ورجالات مصر يومئذ إدريس بن عبد الأعلى الصَّدَفيّ اليمانيّ، قال ابن الأثير:

«قال إدريس بن عبد الأعلى: أقْبَلَ إلينا فتى حدَثٌ من المشرق، يعني عبد اللّه بن طاهر، والدنيا عندنا مفتونة. قد غَلَب على كل ناحية من بلادنا غالب، والناس منهم في بلاء، فأصْلَحَ الدنيا، وأمَّنَ البريء وأخاف السقيم، واستوثقت له الرعية بالطاعة»[2].

وقال الطبري في تاريخ الأمم والملوك:

«ذكر عبد اللّه بن أحمد بن يوسف أن أباه ـ (وكان من علماء مصر) ـ كتب إلى عبد اللّه بن طاهر عند خروج عبيد اللّه بن السريّ إليه يهنئه بذلك الفتح: بلغني أعزّ اللّهُ الأمير ما فتح اللّه عليك وخروج ابن السريّ إليك، فالحمد للّه الناصر لدينه المعزّ لدولة خليفته على عباده المذلِّ لِمَن عَنَدَ عنه وعن حقه ورغب عن طاعته، ونسأل اللّه أن

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٢٧٤ ـ ٢٧٨ جـ ١٠.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٢٢ جـ ٥.

يظاهر له النعم ويفتح له بلدان الشرك، والحمد للّه على ما وليك به مُذ ظعنت لوجهك، فإنَّا ومَنْ قِبَلِنا نتذاكر سيرتك في حربك وسِلمك، ونُكْثِرُ التعجب لِمَا وُفِقت له من الشدة والليان في موضعهما. ولا نعلم سائس جُند ورعيةٍ عَدَلَ بينهم عَدْلَك، ولا عفا بعد القدرة عمّن آسفه وأضغنه عَفوك، ولقَلَّ ما رأينا ابنَ شرف لم يُلقِ بيده متكلاً على ما قدّمَتْ له أُبوّته، ومَنْ أُوتي حظاً وكفايةً وسلطاناً وولاية لم يخلد إلى ما عَفَا له حتى يخلَّ بمساماة ما أمامه. ثم لا نعلم سائساً استحق النجاح لحسن السيرة وكفّ معرّة الأتباع استحقاقك. وما يستجيزُ أحدٌ ممن قِبَلِنا أن يُقدِّم عليك أحداً يهوى عند الحاقة والنازلة المعضلة. فلْيَهنِك مَنّةُ اللّه ومزيده ويُسوِّغِكَ اللّه هذه النعمة التي حواها لك بالمحافظة على ما به تمت لك مِن التمسك بحبل إمامك ومولاك ومولى جميع المسلمين، ومَلَّاكَ وإيانا العيش ببقائه. وأنت تعلم أنك لم تزل عندنا وعند مَنْ قِبَلِنَا مكرّماً مُقدّماً معظّماً وقد زادك اللّه في أعين الخاصة والعامة جلالة وبجالة فأصبحوا يرجونك لأنفسهم ويعدّونك لأحداثهم ونوائبهم. وأرجو أن يوفقك اللّهُ لمحابِه كما وفّق لك صنعه وتوفيقه، فقد أحسنت جوار النعمة فلم تطغك ولم تزدد إلّا تذللاً وتواضعاً. فالحمد للّه على ما أنا لك وأودع فيك. والسلام».

«وقال طاهر بن خالد بن نزار الغساني: كتب المأمون إلى عبد اللّه بن طاهر وهو بمصر حين فتحها في أسفل كتابه:

أخـــي أنْـــتَ ومـــولاَيَ ... ومَـــنْ أشْـــكُـــرُ نُـــعْـــمَـــاهُ
فـــمـــا أحْـــبَـــبْـــتَ مِـــن أمْـــرٍ ... فـــإنّـــي الـــدَّهْـــرَ أهْـــواهُ
ومـــا تـــكْـــرهُ مِـــن شـــيءٍ ... فـــإنّـــي لَـــسْـــتُ أرضـــاهُ
لَـــكَ الـــلّـــهُ عَـــلَـــى ذلـــكَ ... لَـــكَ الـــلّـــهُ، لَـــكَ الـــلّـــه»[1]

قال الحافظ ابن كثير: «وكان عبد اللّه بن طاهر كريماً جواداً. . ولَمَّا ولّاه المأمون نيابة الشام ومصر صار إليها وقد رُسم له بما في ديار مصر من الحواصل، فحُمل إليه وهو في أثناء الطريق ثلاثة آلاف ألف دينار ففرَّقها كلها في مجلس واحد»[2]. ويبدو أنه فَرّق تلك الدنانير على القادة ورجال الدولة وعمال المناطق والجنود لَمَّا تهيأ للمسير من الفسطاط عاصمة مصر إلى الاسكندرية ثم سار بالجيش إلى الاسكندرية في رجب سنة ٢١٠هـ.

* * *

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٢٧٤ ـ ٢٧٨ جـ ١٠.

(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٣٠٢ جـ ١٠.

وكانت الاسكندرية آنذاك قد تغلبت عليها فرقة من عرب الأندلس ـ منذ سنة٢٠٤هـ ـ وقد ذكر خبرهم ابن خلدون قائلاً: «كان الحكم بن هشام ـ أمير الأندلس ـ في صدر ولايته قد انهمك في لذاته، واجتمع أهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثي وطالوت الفقيه وغيرهما فثاروا به، وامتنع فخلعوه وبايعوا محمد بن القاسم من عمومة هشام، وكان الربض الغربي من قرطبة محلة متصلة بقصره، وحصروه، وقاتلهم فغلبهم وافترقوا وهَدّم دورهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من أرض العدوة ـ بالمغرب ـ ولحقوا بالاسكندرية ونزل بها منهم جَمْعٌ. .» وقال ابن خلدون أيضاً: «إن أهل الربض الغربي من قرطبة، وكان محلة متصلة بقصر الحَكَم بن هشام نقموا عليه وثاروا به سنة٢٠٢هـ فأوقع بهم واستلحمهم وهدّم ديارهم ومساجدهم وأجْلَى الفلّ منهم إلى العدوة ونزلوا بفاس وغيرها، وغَرّب آخرين إلى الاسكندرية، فنزلوا وافترقوا في جوانبها. .»[١].

وقال الطبري: «حدثني غير واحد من أهل مصر أن مراكب أقْبَلَت من بحر الروم من قِبَل الأندلس فيها جماعة كبيرة أيام شغل الناس قِبَلهم بفتنة الجرويّ وابن السّرّي حتى أرسوا مراكبهم بالاسكندرية ورئيسهم يومئذ رجُلٌ يُدعى أبا حفص فلم يزالوا مُقيمين بها. .» [ص٢٧٥/ ١٠].

قال ابن خلدون: «وتلاحى رجل منهم مع جزار من سوقة الاسكندرية، فنادوا بالثأر واستلحموا كثيراً من أهل البلد وأخرجوا بقيتهم، وامتنعوا بها وولّوا عليهم أبا حفص عمر بن شعيب البلوطي ـ وهو من أهل قرية مطروح من عمل فحص البلوط المجاور لقرطبة ـ فقام برياستهم. .»[١] ـ فتغلبوا على الاسكندرية حتى قدوم عبد اللّه بن طاهر إليها في رجب ٢١٠هـ.

قال ابن الأثير: «وفي سنة٢١٠هـ أخرج عبد اللّه بن طاهر مَنْ كان تغلب على الاسكندرية ومن أهل الأندلس بأمان. . وكانوا لم يزالوا بها حتى قَدِم عبد اللّه بن طاهر فأرسل يؤذنهم بالحرب إن هم لم يدخلوا في الطاعة، فأجابوه وسألوه الأمان ـ (فأعطاهم الأمان) على أن يرتحلوا من الاسكندرية إلى بعض أطراف الروم التي ليست من بلاد الإسلام. فرحلوا ونزلوا بجزيرة أقريطش واستوطنوها وأقاموا بها». [ص٢١٢/ ٥].

وقد كان الأمير عبد اللّه بن طاهر حريصاً على سلامتهم لأنهم كانوا قوة وجماعة كبيرة يمكن أن يفتح بهم جزيرة أقريطش فيتوطنوها ويحكموها، ولذلك لم

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٢٦ وص ٢١١ جـ ٤.

يحاربهم وإنما ـ كما ذكر ابن خلدون ـ «زحف إليهم عبد اللّه بن طاهر صاحب مصر فحاصرهم بالاسكندرية، فاستأمنوا إليه، فأمّنهم، وبعثهم وأجازهم إلى جزيرة أقريطش، فعمروها، وأميرهم أبو حفص البلوطي»(١) ـ وجزيرة أقريطش هي جزيرة كريت بساحل اليونان ـ فاستوطنوها، وأقاموا بها، وعمروها، وحكموها، وكان أولهم أبو حفص عمر البلوطي ـ قال ابن خلدون: «.. وتداول مُلكها بنوه من بعده مدة مائة وأربعين سنة إلى أن مَلَكها أريانوس مَلِك القسطنطينية من يد عبد العزيز بن شعيب بن عمر البلوطي سنة خمسين وثلاثمائة للهجرة»(١).

* * *

وكان الأمير عبد اللّه بن طاهر بعد أن وجّه الأندلسيين من الاسكندرية إلى جزيرة كريت قد عاد إلى الفسطاط. عاصمة مصر في ٢٥ صفر سنة٢١١هـ، وقد توهمت رواية ذكرها الطبري أن ذلك تاريخ دخوله الأول إلى الفسطاط، والصواب أن ذلك وقت عودته من الاسكندرية إلى الفسطاط. قال الطبري:

«وأقام عبد اللّه بن طاهر بمصر والياً عليها وعلى سائر الشام والجزيرة»(٢).

قال المسعودي: «وفي عبد اللّه بن طاهر يقول الشاعر وقت كونه بمصر:

يقولُ أُناسٌ: إنَّ مِصْرَ بعيدة ... وما بعدت مِصْر وفيها ابنُ طاهر

وأبعد من مصر رجال تَرَاهُمُ ... بحضرتنا معروفهم غير حاضر

عن الخير مَوْتَى، ما تُبالي أزرتهم ... على طمع أم زرت أهل المقابر»

[ص٧٧/ ٤ مروج الذهب].

وجاء في هامش الكامل لابن الأثير ما يلي:

«ذكر الوزير أبو القاسم بن المعزّي: إنّ البطيخ العبدلاوي الذي بمصر منسوب إلى عبد اللّه بن طاهر هذا. قال ابن خلكان: لأنه كان يستطيبه. وقيل: لأنه أول من زرعه هناك». [ص٢٧١/ ٥].

ثم إنه كما ذكر الطبري: «قال رجل من أخوة المأمون للمأمون: يا أمير المؤمنين إن عبد اللّه بن طاهر يميلُ إلى ولد عليّ بن أبي طالب وكذا كان أبوه قبله. فدفع المأمون ذلك وأنكره. ثم عاد أخوه بمثل هذا القول، فدسَّ المأمون إليه رجلاً وقال له: إمض في هيئة القراء والنسّاك إلى مصر فادعُ جماعة من كبرائها إلى القاسم بن إبراهيم بن طباطبا (العلويّ) واذكرْ مناقبه وعلمه وفضائله ثم صرْ بعد

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٢٦ وص ٢١١ جـ ٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٧٦ جـ ١٠.

ذلك إلى بعض بطانة عبد اللّه بن طاهر، ثم ائته فادعه ورغّبه في استجابته له وابحثْ عن دفين نيته بحثاً شافياً وائتني بما تسمع منه. ففعل الرجلُ ما قال له المأمون وأمره به حتى إذا دعا جماعة من الرؤساء والأعلام قعد يوماً بباب عبد اللّه بن طاهر فَلَمّا دخل ناوله رقعة فأخذها فما هو إلا أن دخل وقرأ الرقعة حتى خرج الحاجب إلى الرجل فأدخله إليه، فقال له: قد فهمتُ ما في رقعتك من جملة كلامك فهات ما عندك، قال: ولي أمانك وذمة اللّه؟ قال: لك ذلك، فأظهر له الرجل ما أراد ودعاه إلى القاسم بن إبراهيم بن طباطبا (العلوي) وأخبره بفضله وعلمه وزهده. فقال له عبد اللّه بن طاهر: أتُنْصِفُني؟ قال: نعم، قال: هل يجب شكر اللّه على العباد؟ قال: نعم، قال: فهل يجب شكر بعضهم لبعض عند الإحسان والمنّة والتفضل؟ قال: نعم، قال: فتجيء إليّ وأنا في هذه الحالة التي ترى، لي خاتمٌ في المشرق جائز وفي المغرب كذلك وفيما بينهما أمري مطاع وقولي مقبول، ثم ما التفتُّ يميني ولا شمالي وورائي وقدّامي إلّا رأيتُ نعمة لرجل أنعمها عليّ ويداً لائحة بيضاء ابتدأني بها تفضلاً وكرماً، فتدعوني إلى الكفر بهذه النعمة وهذا الإحسان وتقول: اغدرْ بمن كان أوّلاً لهذا وآخراً واسعَ في إزالة خيط عنقه وسفك دمه؟ تراك لو دعوتني إلى الجنة عياناً من حيث أعلم أكان اللّه يحبُّ أن أغدر به وأكفر إحسانه ومنته وأنكث بيعته؟ فسكت الرجل. فقال له عبد اللّه بن طاهر: أما أنه قد بلغني أمرك وتاللّه ما أخاف عليك إلا نفسك فارحل عن هذا البلد فإن أمير المؤمنين إن بلغه أمرك كنتَ الجاني على نفسك ونفس غيرك. فَلَمّا أيسَ الرجل مما عنده جاء إلى المأمون فأخبره الخبر، فاستبشر وقال: ذلك غرس يدي وإلف أدبي وترب تلقيحي. ولم يُظهر من ذلك لأحد شيئاً ولا علم به عبد اللّه بن طاهر إلا بعد موت المأمون». [ص٢٧٧/ ١٠].

وكان شقيق المأمون الذي قال له إن عبد اللّه بن طاهر يميل إلى آل علي بن أبي طالب هو المعتصم فقد ذكر ابن الأثير أنه: «كان هذا القائل للمأمون المعتصم فإنه كان منحرفاً عن عبد اللّه بن طاهر» [ص٢١٤/ ٥].

ويبدو مما حدث فيما بعد أن المعتصم إنما كان يسعى ويرغب في أن يوليه المأمون الشام ومصر مكان عبد اللّه بن طاهر، وكان يشترك مع المعتصم في ذلك المسعى العباس بن المأمون. ويبدو ـ أيضاً ـ أن الأمير عبد اللّه بن طاهر قد تسرب إليه وجود كلام ومساعي لعزله والحلول محله من جانب المعتصم والعباس بن المأمون، وأن المأمون لم يوافقهما على ذلك، فأظهر عبد اللّه بن طاهر عدم حرصه على البقاء بمصر والياً لمصر والشام وقال كلاماً جعل المأمون مستعداً للنظر

في رغبة المعتصم والعباس. وقد ذكر الحافظ ابن كثير وكذلك جاء في هامش الكامل لابن الأثير ما يلي نصه:

«لَمَّا وُلِّي عبد اللّه بن طاهر الشام ومصر، وواجه مصر نظر إليها فاحتقرها وقال: قَبّحَ اللّه فرعون ما كان أخسه وأضعف همّته حين تبجح وتعاظم وقال: أنا ربكم الأعلى وقال: أليس لي مُلك مصر، فكيف لو رأى بغداد وغيرها».

ولا بد أن تلك الكلمات بلغت المأمون. ثم كتب المأمون إلى عبد اللّه بن طاهر بأن يَقْدِم إليه، فاستخلف عبد اللّه بن طاهر نواباً له بمصر والشام والجزيرة الفراتية، ومضى إلى بغداد فدخلها في ذي الحجة سنة٢١١هـ.

وقد ذكر الطبري أنه: «قَدِم عبد اللّه بن طاهر مدينة السلام فتلقاه العباس بن المأمون وأبو إسحاق المعتصم بن الرشيد وسائر الناس». [ص٢٧٨/ ١٠].

ومكث عبد اللّه بن طاهر في بغداد سنة٢١٢هـ وله أخبار مع المأمون، ولكنه استمر والياً لمصر والشام والجزيرة لأنّ نوابه فيها. ثم انتهت ولايته بتولية المعتصم والعباس بن المأمون مطلع سنة٢١٣هـ حيث قال الطبري:

«ثم دخلت سنة٢١٣هـ وفيها ولّى المأمون أخاه أبا إسحاق المعتصم الشام ومصر، وولّى ابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور، وأمر لكل واحد منهما ولعبد اللّه بن طاهر بخمسمائة ألف دينار». [ص٢٧٩ جـ١٠].

وقال الحافظ ابن كثير: «وولّى المأمون أخاه أبا إسحاق المعتصم نيابة الشام ومصر، وولّى ابنه العباس بن المأمون نيابة الجزيرة، وأطلق لكل منهما ولعبد اللّه بن طاهر خمسمائة ألف دينار، فلم يُرَ يومٌ أكثر إطلاقاً منه، أطلق فيه لهؤلاء الأمراء الثلاثة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار». [ص٢٦٧/ ١٠].

* * *

وفي سنة٢١٣هـ أصبح الأمير عبد اللّه بن طاهر والياً لخراسان وبلاد آسيا الوسطى كلها[1]، ومكث والياً عليها بقية خلافة المأمون وطيلة خلافة المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ) ثم في خلافة الواثق بن المعتصم إلى أن توفي عبد اللّه بن طاهر بخراسان وهو والٍ عليها يوم الاثنين ١١ ربيع الأول سنة٢٣٠هـ الموافق ٨٤٤ ميلادية.

---

(١) انظر أنباء عهد ولاية عبد اللّه بن طاهر لخراسان وآسيا الوسطى في الفصل الخاص بالولاة اليمنيين لخراسان في العصر العباسي.

٢٤

هَرْثَمة بن نَصْر الجبلي.. والي مصر
(٢٣٣ ـ ٢٣٤هـ)

هو الرابع والعشرون من الولاة العرب اليمنيين الذين حكموا مصر في العصر العباسي، الأمير هرثمة بن نصر الجَبَلي، وهو من بني جَبَلَة، من كندة حضرموت.

كان هرثمة بن نصر ـ (وابناه حاتم بن هرثمة ويحيى بن هرثمة) ـ من رجال الدولة أو القادة بالشام منذ خلافة المأمون وولاية عبد اللَّه بن طاهر للجزيرة والشام ومصر (٢٠٦ ـ ٢١٢هـ) ثم ولاية المعتصم بن الرشيد للشام ومصر (٢١٣ ـ ٢١٨هـ) ولَمَّا مات المأمون وتولَّى الخلافة المعتصم بن الرشيد (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ) ولَّى على مصر مولاه أشناس التركي فتعاقب أمراء من التركمان على مصر أيام المعتصم ثم الواثق بن المعتصم (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ).

وفي ذي الحجة ٢٣٢هـ تولَّى الخلافة المتوكل العباسي ـ وهو تاسع الخلفاء العباسيين ـ فولَّى هرثمة بن نصر الجبليّ على مصر في منتصف سنة٢٣٣هـ، وولَّى يحيى بن هرثمة طريق مكة.

قال ابن خلدون: «وُلِّي هرثمة بن نصر الجبلي مصر فَقَدِم إليها منتصف سنة٢٣٣هـ ثم مات سنة٢٣٤هـ وقام بأمره إبنه حاتم رضي اللَّه عنه»[1].

وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «هَرْثمة بن نصر الجَبَليّ. والٍ وُلِّي إمرة مصر سنة٢٣٣هـ. وفي أيامه ورد كتاب الخليفة المتوكل العباسي بترك الجدال في القرآن وانتهت المحنة التي كان المأمون العباسي قد بدأ بها [سنة٢١٨هـ] فاستبشر الناس بولايته. وعاجلته الوفاة بعد ١٥ شهراً و٨ أيام من ولايته لمصر. نسبته إلى جَبَلَة من كندة حضرموت»[2].

وقد كان هرثمة بن نصر سابع سبعة ولاة يمانيين في ذلك العهد، وهم: طاهر بن عبد اللَّه بن طاهر الخزاعي أمير خراسان وآسيا الوسطى (٢٣٠ ـ

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٦٩ جـ ٤.
(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٦٢٨.

٢٤٨هـ)، ومحمد بن إبراهيم بن مُصعب الخزاعي أمير فارس سنة (٢٣٢ ـ ٢٣٦هـ)، وغانم بن حميد الطوسي الطائي أمير الموصل: قال ابن الأثير: «كان أمير الموصل ـ سنة ٢٣٢هـ ـ غانم بن حميد الطوسي»[١]، وإسحاق بن إبراهيم الخزاعي أمير الشرطة وأعمال بغداد (٢٠٦ ـ ٢٣٥هـ)، ومحمد بن إسحاق بن إبراهيم الخزاعي: ولّاهُ المتوكل على فارس، وعقد له المنتصر بن المتوكل على اليمامة والبحرين في محرم ٢٣٦هـ ودامت ولايته عدة سنين. ويحيى بن هرثمة الجبلي. قال الطبري: «في سنة ٢٣٤هـ قَدِم يحيى بن هرثمة مكة، وهو والي طريق مكة بعليّ بن محمد ـ العلوي ـ من المدينة»[٢] وهرثمة بن نصر الجبلي أمير مصر سنة ٢٣٣ ـ ٢٣٤هـ حتى وفاته سنة ٢٣٤هـ الموافق ٨٤٩م.

---

(١) الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ٢٧٩ جـ ٥.

(٢) تاريخ الطبري ـ ص ٣١ جـ ١١.

٢٥

حَاتِم الجَبَليّ.. أمير مصر
(٢٣٤هـ)

هو الأمير العربي اليماني حاتم بن هرثمة بن نصر الجبلي الكندي الحضرمي.

قال ابن خلدون: «مات هرثمة بن نصر سنة٢٣٤هـ وقام بأمره إبنه حاتم رضي اللّه عنه»[١].

إن قول ابن خلدون «حاتم رضي اللّه عنه» يدلُّ على أن له مكانة جليلة قبل أن يصبح والياً لمصر بعد وفاة أبيه، وربما كان هو الذي يدير شؤون الدولة في عهد ولاية أبيه لمصر (٢٣٣ ـ ٢٣٤هـ) لأن أباه كان قد بلغ من الكبر عتياً. إن المكانة الجليلة لحاتم بن هرثمة تتجلى أيضاً في النجوم الزاهرة حيث قال عنه ابن تغري بردي:

«كان حاتم هذا جليلاً نبيلاً وعنده معرفة وحسن تدبير»[٢].

وقد وُلِّي حاتم بن هرثمة مصر بعد وفاة أبيه فترة قصيرة، وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«حاتم بن هرثمة بن نصر الجبليّ الكندي الحضرمي: والٍ. ممن وُلِّي مصر. استخلفه أبوه هرثمة على ولاية مصر سنة٢٣٤هـ، وأقرّه الخليفة المتوكل العباسي. ولم تطل مدته. كانت ولايته ٤٣ يوماً، وعُزِل»[٣].

وقد يكون عزله بسبب إبنه الأمير محمد بن حاتم بن هرثمة أمير أذربيجان، فقد ذكر ابن الأثير في أحداث سنة٢٣٤هـ هروب محمد بن البعيث إلى أذربيجان وأنه «.. هرب إلى مرند وهي مدينة حصينة، وأتاه من أراد الفتنة. وكان الوالي بأذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة، فَقَصَّر في طلبه، فولّى المتوكل حمدويه السغدي أذربيجان»[٤].

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٩٦ جـ ٤.

(٢) النجوم الزاهرة ـ ابن تغري بردي ـ ص ٢٧٤ جـ ٢.

(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٤٨.

(٤) الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ٢٨١ جـ ٥.

لقد عزل المتوكّل محمد بن حاتم عن أذربيجان، وفي ذات الفترة ـ تقريباً ـ عزل أباه حاتم بن هرثمة عن ولاية مصر، فانتهت بذلك ولاية حاتم لمصر في رمضان ٢٣٤هـ.

ثم ضمّ المتوكل ولاية مصر إلى أشناس التركي ثم عزله المتوكل في محرم ٢٣٥هـ وولّى ابنه المنتصر بن المتوكل على مصر، فاستخلف المنتصر عليها إسحاق بن يحيى وهو من أهل الخُتّل ثم عُزل عنها في ذي القعدة، ووُلّي على مصر عبد الرحمن الخزاعي.

٢٦

عبد الرحمن الخُزاعي.. آخر الولاة العرب لمصر

(٢٣٦ ـ ٢٣٨هـ)

هو الأمير العربي اليماني عبد الرحمن بن يحيى بن منصور بن طلحة الخُزاعيّ: والي مصر في خلافة المتوكل العباسي سنة٢٣٦ ـ ٢٣٨هـ[١].

وقد كانت جماعة من قبيلة خزاعة اليمانية دخلت مصر لَمّا وُلِّيها المُطّلِب بن عبد اللّه بن مالك الخزاعيّ في خلافة المأمون بن الرشيد (سنة١٩٨ ـ ٢٠٠هـ) إذْ أنه:

«لَمَّا وُلِّي المُطَّلِب مصر صحبه قوم من خُزاعة وسكنوا الفسطاط، وسُمِّي زقاق المطّلِبية باسمهم لأنهم سكنوا فيه»[٢].

وكان من أعلامهم بعد انتهاء ولاية المطّلِب لمصر: القائد عمرو بن وهب الخزاعي، كان من قادة جُند مصر وتوفي سنة٢٠١هـ. وعوف بن وهب الخزاعي، كان من قادة الجُند، ووُلِّي مصر استخلافاً مرتين، توفي سنة٢٠٤هـ[٢].

ولَمَّا وُلِّي مصر عبد اللّه بن طاهر الخزاعي وأقام بها سنة٢١٠ ـ ٢١١هـ كان لرجالات خُزاعة الذين بمصر مراكزهم في الجيش والدولة، وكان قادة الجيش ورجالات الدولة بصفة عامة من العرب، وربما كان عبد الرحمن بن يحيى بن منصور الخزاعي من القادة أو الموظفين منذ تلك الفترة.

وفي ذي القعدة سنة٢٣٦هـ أصبح عبد الرحمن بن يحيى بن منصور الخزاعيّ والياً لمصر، وكان عبد الرحمن أميراً شهماً شجاعاً، وكان من أركان عهده محمد بن سليمان بن غالب البجلي قائد شرطة مصر (٢٣٦ ـ ٢٣٨هـ).

وانتهت ولاية عبد الرحمن الخزاعي لمصر في صفر سنة٢٣٨هـ (الموافق ٨٥٣م)، وكان هو آخر الولاة العرب اليمانيين الذين حكموا مصر في العصر

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٩٦ جـ ٤.

(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٩٤.

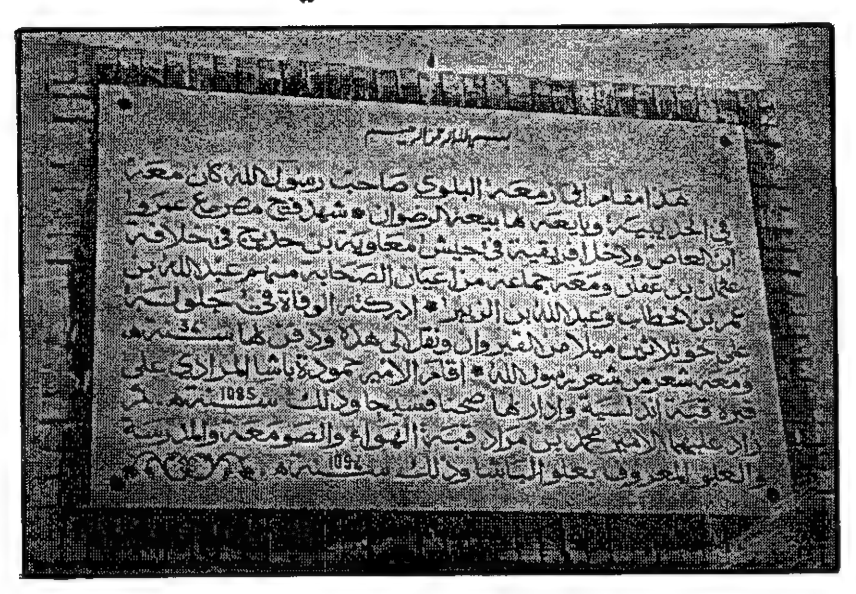
العباسي، أولهم أبو عون (١٣٢ ـ ١٤١هـ) وآخرهم عبد الرحمن بن يحيى بن منصور بن طلحة الخزاعي (٢٣٦ ـ ٢٣٨هـ) وهو آخر الولاة العرب لمصر[1].

(١) كان المعتصم أول من بدأ في تولية الترك الموالي على مصر وغيرها، فلَمّا تولّى الخلافة المتوكل العباسي عاد الولاة في مصر من العرب ـ غالباً ـ إلى عبد الرحمن الخزاعي ثم عُزل في صفر سنة ٢٣٨هـ، ووُلي مصر ابن إسحاق مولى بني ضبة وهو من هراة ثم يزيد بن دينار مولاهم حتى مقتل المتوكل بيد الترك في شوال ٢٤٧هـ، فأقرّ المنتصر بن المتوكل يزيد بن دينار على مصر فمكث إلى أيام المعتز العباسي ثم ولّى المعتز مكانه ابن خاقان التركي سنة ٢٥٤هـ ثم أحمد بن طولون التركي مؤسس الدولة الطولونية (٢٥٤ ـ ٢٩٢هـ).

الولاة اليمانيون لأفريقيا الشمالية (بلاد المغرب العربي) في العصر العباسي

المبحث الأول

نبذة عن الولاة اليمانيين في العصر الأموي



صورة شاهد قبر الصحابي أبي زمعة البلوي بأفريقية. جاء فيه ما يلي: «هذا مقام أبي زمعة البلوي صاحب رسول الله ﷺ كان معه في الحديبية وبايعه بيعة الرضوان. شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص ودخل أفريقية في جيش معاوية بن حديج في خلافة عثمان بن عفان ومعه جماعة من أعيان الصحابة منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير. أدركته الوفاة في جلوله على نحو ثلاثين ميلاً من القيروان ونقل إلى هذه ودُفن بها سنة٣٤هـ ومعه شعر من شعر رسول الله ﷺ».

لقد كان اليمانيون يمثلون الغالبية العظمى من العرب الذين دخلوا أفريقيا الشمالية في الفتوحات وأسسوا ورسخوا عصرها وتاريخها العربي الإسلامي. وقد وُلّي أفريقيا عشرة من الصحابة والأمراء اليمانيين نذكر نبذة عنهم فيما يلي:

١ ـ معاوية بن حُديج:

هو الزعيم اليماني الصحابي معاوية بن حُديج بن جَفْنَة التُّجيبي السكوني.

كان زعيم بني تُجيب وقبيلة السكون في حضرموت باليمن وكان من القادة في فتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب. قال الحافظ ابن حجر:

«معاوية بن حُديج بن جفنة بن تجيب السكوني.. شهد فتح مصر ثم كان الوافد على عمر بفتح الاسكندرية.. ووُلِّي غزو المغرب مراراً..»[1]. وجاء في شاهد قبر الصحابي أبي زمعة البلوي أنه «دخل أفريقيا في جيش معاوية بن حديج في خلافة عثمان بن عفان ومعه جماعة من أعيان الصحابة.. وأدركته الوفاة في جلولة.. ونقل إلى هذه ودُفن بها سنة٣٤هـ» وقد صولح حاكم أفريقيا (تونس) على أداء مبالغ مالية سنوية في خلافة عثمان فعاد الصحابة والجيش منها إلى مصر ولم يستقروا بها، ثم عزل الروم ذلك الحاكم وولوا بطريقاً رومياً. فَلَمَّا اجتمع أمر الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان وجّه معاوية بن حُديج لفتح أفريقيا سنة٤٤هـ وكان البطريق الرومي يحكم أفريقيا (تونس) إلى طرابلس ويمتد نفوذه إلى برقة. فسار معاوية بن حديج من الاسكندرية إلى برقة ثم طرابلس ثم قمونيه. قال ابن الأثير: «.. وكان معه عسكر عظيم فنزل عند قمونيه». ـ وكان ذلك بعد أن سيطر على برقة وطرابلس ـ قال ابن خلدون: «أغزى معاويةُ بن أبي سفيان معَاويةَ بن حديج أفريقيا فنزل قمونيه وسرح إليه البطريق ثلاثين ألف مقاتل فهزمهم.. وحاصر حصن جلولاء، وقاتل مدد الروم الذي جاءها من قسطنطينية، لقيهم بقصر الأحمر فغلبهم وأقلعوا إلى بلادهم، وافتتح جلولاء، ثم بث السرايا ودوخ أفريقيا فأطاعوا»[2] وقد مكث معاوية بن حديج أميراً قائداً بأفريقيا (تونس) سنة٤٤ ـ ٤٦هـ وكان هو أول من اختطّ القيروان وأسكن فيها جيشاً من العرب. قال الحافظ ابن عبد البر: «كان معاوية بن حديج قد اختط القيروان بموضع يدعى القرن»[3] وانتقل الموضع فيما بعد. «وله بأفريقيا آثار منها آبار في القيروان تعرف بآبار حديج وهي خارج باب تونس منحرفة عنه إلى الشرق»[4]. ثم عاد معاوية بن حديج إلى مصر وأصبح والياً لمصر سنة٤٧ ـ ٥٠ هجرية. قال ابن يونس (وهو أحد من وُلّي مصر من الصحابة) وتوفي سنة٥٢هـ.

٢ ـ رُوَيفع بن ثابت أمير طرابلس (ليبيا):

هو رُوَيْفع بن ثابت بن السكن النجّاري الأنصاري: صحابي، خطيب مفوّه، من الفاتحين. نزل بمصر، وأمّره معاوية على طرابلس الغرب سنة٤٦هـ وتوفي

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٤٣١ جـ ٣.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٨٥ جـ ٤ ـ واليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٣٥٢.
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر القرطبي ـ ص ١٠٩ جـ ٣.
(٤) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٥٨١ وص ٢١٦.

ببرقة وهو أمير عليها من قِبَل مَسْلَمة بن مخلَّد، سنة٥٦هـ. وقبره مشهور في الجبل الأخضر ببرقة. روى عن النبي ﷺ ثمانية أحاديث وكان فقيهاً من أصحاب الفُتْيَا من الصحابة[١].

٣ ـ مَسْلَمَة بن مُخَلَّد أمير مصر والمغرب:

هو مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصاري الخزرجي: صحابي، من كبار الأمراء، ولّاه معاوية بن أبي سفيان مصر وبلاد المغرب (أفريقيا الشمالية) سنة٥٠هـ وهو أول من جُمع له حكم مصر وبلاد المغرب، فأقام بمصر وسيّر جنود الفتح إلى المغرب في البر والبحر وعلى رأسهم أبو المهاجر دينار ففتح وبلغ تلمسان وأسلم على يده كسيله زعيم البربر، ومكث أبو المهاجر نائباً لمسلمة بن مخلد على أفريقيا الشمالية، ومكث مسلمة والياً لمصر وأفريقيا حتى وفاته سنة٦٢هـ في خلافة يزيد بن معاوية.

٤ ـ زهير بن قيس البلوي أمير أفريقيا:

هو الأمير زهير بن قيس البلوي من قبيلة بَلِيّ اليمانية. قال نشوان الحميري في شمس العلوم: «بَلِيٌّ: قبيلة من اليمن، والنسبة إليها: بلوي. وهم ولد بليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة ـ بن مالك بن حِمْير ـ قال الشاعر:

بَـلِـيٌّ وبـهـراءُ وخـولان إخـوة لعمرو ابن جافٍ فرع مَنْ قد تفرعا»[٢]

وكان زهير بن قيس البلوي من قادة الجيش العربي بأفريقيا، لما ولَّى يزيد بن معاوية عقبة بن نافع سنة٦٢هـ قال ابن خلدون: «فزحف عقبة بن نافع إلى البربر وجعل على مقدمته زهير بن قيس البلوي.. وكان كسيلة ملك أوروبة والبرنس من البربر قد اضطغن على عقبة بن نافع بما كان يعامله من الاحتقار.. وأرسل إلى البربر فاعترضوا عقبة في تهودا وقتلوه في ثلاثمائة من أصحابه.. ورجع زهير بن قيس إلى القيروان واعتزم على القتال وخالفه حنش بن عبد اللّه الصنعاني وارتحل إلى مصر واتبعه الناس[٣] فاضطر زهير إلى الخروج معهم وانتهى إلى برقة فأقام بها مرابطاً.

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٥٨١ وص ٢١٦.

(٢) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ١٨٤ جـ ١.

(٣) هو الفقيه حنش بن عبد اللّه بن عمرو بن حنظلة الصنعاني. غزا المغرب مع رويفع بن ثابت الأنصاري. وعاد من القيروان إلى مصر ثم إلى اليمن وأصبح والياً لليمن سنة ٧١ ـ ٧٢هـ ثم عاد إلى أفريقيا ودخلها مع حسان بن النعمان وهو أول من وُلّي عشور أفريقيا (تونس) ثم غزا ودخل الأندلس مع موسى بن نصير سنة ٩٥هـ وأسس جامع قرطبة، وابتنى جامع سَرقسطة بالأندلس وتوفي بسرقسطة سنة ١٠٠هـ.

واستأمن من كان بالقيروان إلى كسيلة فأمَّنَهم ودخل القيروان»[١]. ومكث زهير بن قيس البلوي أميراً في برقة ـ بليبيا ـ «ولَمَّا وُلّي عبد الملك بن مروان الخلافة بعث إلى زهير بن قيس بمكانه من برقة بالمدد وولّاه أفريقيا وحرب كسيلة فزحف زهير ودخل أفريقيا سنة٦٧هـ وهزم كسيلة وقتله. ثم قَفَل زهير من القيروان إلى المشرق زاهداً في المُلك، واعترضه بسواحل برقة أسطول صاحب قسطنطينية جاؤوا لقتاله فقاتلهم واستشهد رحمه اللّه تعالى»[١].

٥ ـ سفيان بن وهب الخولاني:

هو الأمير سفيان بن وهب الخولاني: صحابيّ. من الأمراء. شهد فتح مصر، وغزا شمال أفريقيا في سنة٦٧هـ أميراً لعبد العزيز بن مروان. ثم دخلها سنة٧٨هـ ـ مع حسان بن النعمان ـ وتوفي بها سنة٨٢ هجرية [٢].

٦ ـ حسان بن النعمان أمير أفريقيا الشمالية (٦٨ ـ ٨٥هـ):

هو الأمير اليماني حسان بن النعمان بن عَدِي الغساني: قائد، من رجال السياسة والحرب. وكان يُلقب بالشيخ الأمين. وُلّي أفريقيا في زمن معاوية بن أبي سفيان. ثم كان عاملاً على مصر في أيام عبد الملك بن مروان. واضطربت أفريقيا بعد استشهاد زهير بن قيس البلويّ فأمره عبد الملك بن مروان بالتوجه أميراً إليها[٢] فأقام حسان أميراً في برقة (ليبيا) وبها قصور حسان. وكانت القيروان وغيرها بيد كاهنة البربر المتحالفة مع الروم، قال ابن خلدون: «ثم إن عبد الملك بن مروان بعد أن قتل عبد اللّه بن الزبير وصفا له الأمر، أمر حسان بن النعمان بغزو أفريقيا وأمدّه بالعساكر، ودخل القيروان وافتتح قرطاجنة عنوة وفرّ من كان بها من الروم والفرنجة إلى صقلية والأندلس، ثم اجتمعوا في صطفورة وبنزرت وهزمهم ثانية وانحاز الفلّ إلى باجة وبونة فتحصنوا بها. ثم سار حسان إلى الكاهنة ملكة جرارة بجبل أوراس وهي يومئذ أعظم ملوك البربر فحاربها وانهزم المسلمون.. ثم بعث إليه عبد الملك بن مروان المدد سنة٧٤هـ فسار إلى أفريقيا فلقي الكاهنة وقَتَلها وامتلك جبل أوراس وما إليه ودوّخ نواحيه ـ سنة٧٨هـ ـ وأمَّن البربر وكتب الخراج عليهم وعلى من معهم من الروم والفرنج على أن يكون معه اثنا عشر ألف من البربر لا يفارقونه في مواطن جهاده»[٣]. وبذلك أتمّ حسان فتح الأوراس والمغرب

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٨٦ جـ ٤.

(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٢٤٠ وص ١٦٤.

(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٨٧ جـ ٤.

الأوسط، وكان معه أربعون ألف مقاتل غالبيتهم العظمى من اليمانية، ومنهم الفقيه حنش الصنعاني الذي قَدِم آنذاك من اليمن وسفيان بن وهب الخولاني وزياد المعافري وصالح الحميري جميعهم من القادة، وأقام الأمير حسان بن النعمان بالقيروان ودوّن الدواوين وولّى الولاة، وأعاد وجدّد بناء جامع القيروان سنة٨٤هـ، وهو الذي أسس (دار الصناعة) بتونس التي أنتجت عدداً ضخماً من السفن الحربية التي حملت الفاتحين العرب ـ فيما بعد ـ إلى الأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط. «ورجع حسان إلى عبد الملك بن مروان ـ سنة٨٥هـ ـ واستخلف على أفريقيا رجلاً اسمه صالح ـ الحميري ـ من جُنده»[1] واعتزل حسان الأعمال في أول خلافة الوليد بن عبد الملك، وتوجه إلى أرض الروم غازياً فتوفي بها بعد سنة٨٦هـ الموافق ٧٠٥ ميلادية.

٧ ـ موسى بن نُصير أمير أفريقيا الشمالية (٨٧ ـ ٩٣هـ):

هو الأمير اليماني موسى بن نُصير بن عبد الرحمن بن زيد اللّخْميّ. كان أبوه نُصير قائد حرس الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وولّى معاوية موسى بن نصير غزو البحر فغزا قبرص وأقام أميراً على قبرص وبنى بها حصوناً، ثم عاد إلى دمشق سنة٦٢هـ وكان من قادة عبد الملك بن مروان لما حارب مصعب بن الزبير ودخل العراق سنة٧١هـ، ووُلّي خراج البصرة ثم انتقل إلى مصر وغزا أفريقيا أيام حسان بن النعمان وعاد منها إلى مصر.

قال ابن خلدون: «ولَمَّا وُلّي الخلافة الوليد بن عبد الملك كتب إلى أمير مصر أن يبعث بموسى بن نصير إلى أفريقيا، فبعثه، وقَدِم القيروان وبها صالح خليفة حسان، فعقد له، فأقام موسى بن نصير بالقيروان والياً لأفريقيا ـ وبعث ابنه عبد اللّه في البحر إلى جزيرة ميورقة فغنم منها وسبى وعاد، ثم بعثه إلى ناحية أخرى وإبنه مروان كذلك. وتوجّه موسى بن نصير إلى ناحية ـ المغرب الأقصى ـ ثم غزا وفتح طنجة وافتتح درعة وصحراء تافيلات وأرسل ابنه إلى السوس، وأذعن البربر لسلطانه ودولته وأخذ رهائن المصامدة وأنزلهم بطنجة وذلك سنة٨٨هـ وولي عليها طارق بن زياد الليثي»[1].

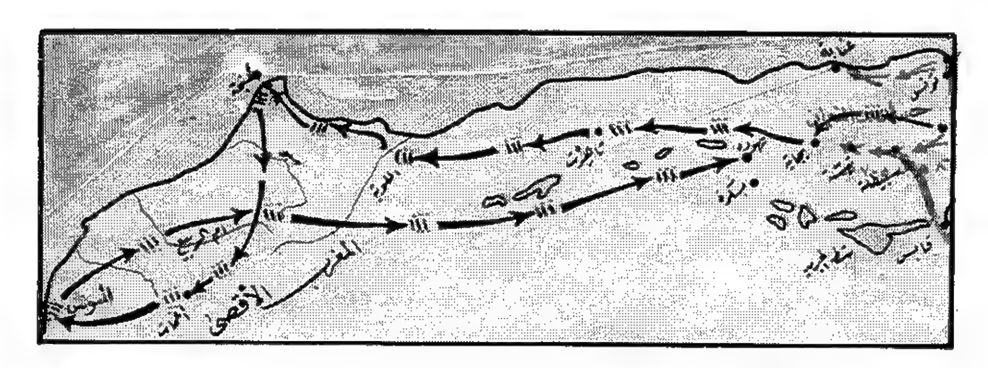
قال الحافظ ابن كثير: «كان موسى بن نُصير ذا رأي وتدبير وحزم وخبرة بالحرب، فافتتح بلاداً كثيرة مدناً وأقاليم.. وأسلم أهل المغرب على يديه، وبثّ فيهم الدين والقرآن»[2].

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٨٧ جـ ٤.

(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ١٧١ جـ ٩.

ومكث موسى بن نصير ببلاد المغرب، والياً لأفريقيا الشمالية جميعها إلى رمضان سنة٩٣هـ ثم استخلف عليها ابنه عبد اللّٰه بن موسى ومضى إلى الأندلس فأتمّ فتح بلاد الأندلس وأقام بها والياً أميراً إلى سنة٩٦هـ ثم عاد من الأندلس إلى الوليد بن عبد الملك في دمشق بموكب كبير وغنائم عظيمة فدخلها والوليد في مرض موته، فَلَمَّا مات وتولَّى الخلافة سليمان بن عبد الملك أبقاه عنده مستشاراً، وحج معه فمات في وادي القرى ـ بالمدينة ـ سنة٩٧هـ الموافق ٧١٥م.



خط فتوحات حسان بن النعمان وموسى بن نُصير لبلاد المغرب العربي.

٨ ـ عبد اللّٰه بن موسى بن نُصير أمير أفريقيا (٩٣ ـ ٩٧هـ):

هو الأمير اليماني عبد اللّٰه بن موسى بن نصير اللخميّ: من رجال الفتوح في المغرب، كان مع أبيه في أفريقيا الشمالية وغزا جزيرة ميورقة بحراً سنة٨٨هـ ـ وهي جزر البليار بأسبانيا ـ وعاد منها بالظفر والغنائم. ووجهه أبوه إلى السوس بأقصى المغرب الأقصى ففتحها وأسلم أهلها. وفي سنة٩٢هـ رابط الأمير موسى بن نصير في طنجة ووجّه منها طارق بن زياد بجيش إلى الأندلس فافتتح مناطق منها، ثم توجّه موسى بن نصير إلى الأندلس في ١٨٠٠٠ مقاتل غالبيتهم من اليمانية وذلك في رمضان سنة٩٣هـ واستخلف عبد اللّٰه بن موسى بن نصير على أفريقيا الشمالية فمكث عبد اللّٰه والياً عليها بينما أتم أبوه فتح بلاد الأندلس (أسبانيا والبرتغال) وتولّى حكمها إلى سنة٩٦هـ ثم استخلف عليها ابنه عبد العزيز بن موسى وعاد إلى دمشق، بينما استمر عبد اللّٰه والياً لأفريقيا إلى أواخر سنة٩٧هـ في خلافة سليمان بن عبد الملك ثم عزله سليمان وولّى محمد بن يزيد مولى قريش فعزله عمر بن عبد العزيز لما تولّى الخلافة سنة٩٩هـ.

وقد عاش عبد اللّٰه بن موسى بن نصير بالقيروان بينما ولّى عمر بن عبد العزيز على أفريقيا إسماعيل بن أبي المهاجر الأنصاري بالولاء ـ قال ابن

خلدون ـ «وكان حسن السيرة وأسلم جميع البربر في أيامه». وكان الوالي على الأندلس في خلافة عمر بن عبد العزيز السمح بن مالك الخولاني وله بها مآثر عظيمة وفتح أربونة وغيرها في جنوب فرنسا ومات سنة١٠٢هـ.

وكان آخر خبر عن عبد اللّه بن موسى بن نصير أنه «لَمَّا وُلِّي بشر بن صفوان الكلبي أفريقيا سنة١٠٢هـ اتهم عبد اللّه بن موسى بقتال يزيد بن عبد الملك (الخليفة بالشام) فنصبه، أي أقامه في مكان ظاهر ليراه الناس. ومات سنة١٠٣هـ.

٩ ـ بِشْر بن صفوان. . والي أفريقيا (١٠٢ ـ ١٠٩هـ):

هو الأمير اليماني بشر بن صفوان بن توبل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل الكلبيّ[١] كان والياً لمصر في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان سنة١٠١ ـ ١٠٢هـ «وبشر هذا هو الذي كوّن (الفرقة القضاعية) ـ في مصر ـ بأن أخرج المَهْرة من (الفرقة الكندية) وأخرج (تنوخاً) من الأزد، وأخرج (آل كعب) وأخرج (جُهَينة) من أهل الراية، وأخرج (خُشْناً) من لَخْم. وكَوّن من هؤلاء الذين أخرجهم (الفرقة القضاعية) التي اشتهرت بانتصاراتها الحربية في ليبيا سنة١٠٢هـ. ويعتبر ذلك التدوين ـ وهو تنظيم العطاء للجند المقاتلين ـ رابع تدوين بمصر. ثم جاءه كتاب يزيد بن عبد الملك بتأميره على أفريقيا سنة١٠٢هـ فخرج إليها، وأقام في القيروان، وغزا صقلية وغيرها[٢].

قال ابن خلدون: «ولى يزيد بن عبد الملك على أفريقيا بشر بن صفوان الكلبي فقَدِمها سنة١٠٣هـ فَمَهّدها وسَكّن أرجاءها وغزا بنفسه ـ جزيرة ـ صقلية، ومات مرجعه عنها»[٣] وكان موته بالقيروان في خلافة هشام سنة١٠٩هـ الموافق ٧٢٧م.

١٠ ـ حَنْظلة بن صفوان ـ والي أفريقيا والأندلس (١٢٤ ـ ١٢٩هـ):

هو عاشر الولاة اليمنيين لأفريقيا الشمالية في العصر الأموي، الأمير حنظلة بن صفوان بن توبل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل الكلبي القُضاعيّ الحِمْيريّ[١] وهو «أمير، من القادة الشجعان. استخلفه أخوه بشر على إمرة مصر سنة١٠٣هـ وأقرّه يزيد بن عبد الملك. فَلَمَّا مات يزيد وخَلَفه هشام بن عبد الملك صرف حنظلة سنة١٠٥هـ، ثم أعاده هشام ـ والياً على مصر ـ سنة١١٩هـ فأقام والياً عليها إلى سنة١٢٤هـ. ثم نُقِل إلى أفريقيا والياً عليها وثورة

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١١٤.
(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٠٨ وص ١٨٧.
(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٨٨ جـ ٤.

البربر مندلعة فيها، فقمعها. وأرسل إلى الأندلس فدانت له»[١]. وقد أرسل حنظلة إلى الأندلس أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي سنة١٢٤هـ فأصبح أميراً للأندلس ـ نائباً لحنظلة بن صفوان عليها ـ فأقام حنظلة بالقيروان والياً لأفريقيا الشمالية والأندلس، وأبو الخطار بقرطبة أميراً للأندلس وكثر جند الشام عنده ـ وغالبيتهم من اليمانية ـ فأسكن أهل حمص إشبيلية SEVILLE وسمّاها حمص، وأسكن أهل دمشق البيرة ELVIRA وسمّاها دمشق، وأهل الأردن ريّة وسماها الأردن، وأهل فلسطين شذونة SIDONA وسماها فلسطين. ومكث أبو الخطار أميراً للأندلس إلى أن ثار عليه بعض القادة والجند وخلعوه من الإمارة وولوا ثوابة بن سلامة الجذامي اليماني سنة١٢٨هـ ـ في خلافة مروان بن محمد ـ وكذلك مكث حنظلة بن صفوان والياً لأفريقيا إلى أن اضطرب أمر الخلافة في الشام واندلعت الحركات ضد مروان بن محمد (واضطربت أفريقيا فخرج من القيروان سنة١٢٩هـ وعاد إلى الشام)[١] فكان هو آخر الولاة الذين حكموا أفريقيا الشمالية جميعها في العصر الأموي.

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٠٨ وص ١٨٧.

محمد بن الأشعث.. أول ولاة أفريقيا الشمالية في العصر العباسي (١٣٣ ـ ١٣٤هـ) و(١٤١ ـ ١٤٨هـ)

هو الأمير اليمانيّ محمد بن الأشعث بن عُقْبة بن أهبان بن الأكوع الخُزاعيّ، حفيد الصحابي أهبان بن الأكوع مكلّم الذئب. قال الحافظ ابن حجر: «أهبان بن الأكوع بن عيّاد بن ربيعة الخزاعيّ.. وهو الذي كلّمه الذئب.. ومن ولده جعفر بن محمد بن الأشعث بن عقبة بن أهبان..»[1] وقال: «عُقبة بن أهبان.. ذكر الطبري أن عمر بن الخطاب استعمله على صدقات كلب وغيرها، وفي ذلك دلالة على أنه وُلد في عهد النبيّ ﷺ. وأبوه صحابيّ مشهور. وأنشد فيه ابن الكلبي لبعض الشعراء:

إلى ابْن مُكلّم الذئبِ ابن أوسٍ ... رحلتُ على غذافرة أمون»[1]

كان محمد بن الأشعث بن عقبة بن أهبان بن أوس الأكوع الخزاعيّ من كبار القادة الأمراء الذين ساهموا في تأسيس الخلافة العباسية، وهو أول أمير لإقليم فارس عند قيام الخلافة العباسية ومبايعة أبي العباس السفاح بالخلافة سنة١٣٢هـ ومكث أميراً عليها إلى أواسط سنة١٣٣هـ ثم وجّهه أبو العباس إلى أفريقيا وكانت بيد زعماء متغلبين على مناطقها والحروب والصراعات بينهم قائمة. فانطلق محمد بن الأشعث ومعه فرقة عسكرية إلى أفريقيا الشمالية في حوالي شهر رجب ١٣٣هـ لإدخالها في سلطة دولة الخلافة.

قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك:

«في سنة١٣٣هـ كتب أبو العباس السفاح إلى أبي عون بإقراره على مصر والياً عليها، وفيها (سنة١٣٣) توجّه محمد بن الأشعث إلى أفريقيا فقاتلهم قتالاً شديداً حتى فتحها»[2].

وكذلك قال ابن الأثير في كتاب الكامل:

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٧٨ و٨٠ جـ ١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٤٨ جـ ٩.

«في سنة١٣٣هـ توجه محمد بن الأشعث إلى أفريقيا فقاتل أهلها قتالاً شديداً حتى فتحها»[١].

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية:

«في سنة١٣٣هـ أقرّ أبو العباس أبا عون على الديار المصرية نائباً. وفيها توجه محمد بن الأشعث إلى أفريقيا فقاتلهم قتالاً شديداً حتى فتحها»[٢].

بينما قال ابن خلدون:

«وفيها ـ أي سنة١٣٣ ـ بعث أبو العباس محمد بن الأشعث إلى أفريقيا ففتحها»[٣].

ويتميز نص ابن خلدون بعدم ذكر وقوع (قتال شديد) وإنما «بعث أبو العباس محمد بن الأشعث إلى أفريقيا ففتحها». مما يعني أن الزعامات والقوى الرئيسية هناك استجابت للانضواء في الخلافة العباسية والبيعة لأبي العباس بالخلافة بدون قتال، أو بدون قتال شديد. وهو أمر لا بد أنه استغرق فترة قد تكون إلى منتصف سنة١٣٤هـ ومكث محمد بن الأشعث أميراً لأفريقيا في تلك الفترة، وكان من أبرز الزعامات الذين دخلوا في الطاعة عبد الرحمن بن حبيب الفهري أمير السلطة التي كانت متغلبة على القيروان عاصمة أفريقيا، فقد ذكر ابن خلدون أنه «بعث عبد الرحمن بن حبيب بطاعته إلى أبي العباس السفاح»[٤] وقال ابن الأثير: «خطب عبد الرحمن بن حبيب للخلفاء العباسيين وأطاع السفاح»[٥]. ويبدو أن الخلافة العباسية رأت عودة محمد بن الأشعث وفرقته العسكرية ـ للحاجة إليه في ترسيخ سلطة الخلافة العباسية بمشارق العراق ـ وأن يتولّى الأمر بأفريقيا عبد الرحمن بن حبيب الفهري والزعماء المحليين فعاد محمد بن الأشعث أميراً لإقليم فارس إلى أن مات أبو العباس وتولّى الخلافة أبو جعفر المنصور واستتب له أمر الخلافة بالمشرق سنة١٣٧هـ بينما قام عبد الرحمن بن حبيب الفهري بخلع أبي جعفر المنصور لينفصل بحكم أفريقيا عن دولة الخلافة سنة١٣٧ هجرية. قال ابن الأثير: «وكان خلعه المنصور مما أعان أخاه إلياس عليه، فاتفق جماعة من وجوه القيروان معه على أن يقتلوا عبد الرحمن ويولوه ويعيدوا الدعاء للمنصور. ودخل إليه إلياس

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٤١ جـ ٤.

(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٥٦ جـ ١٠.

(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٥٠٧.

(٤) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٩٠ جـ ٤.

(٥) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٢٧٩ جـ ٤.

ومعه أخوه عبد الوارث فَلَمَّا دخلا على عبد الرحمن قتلاه، وكان قتله في ذي الحجة سنة١٣٧هـ». قال ابن خلدون: «ولَمَّا قُتِلَ عبد الرحمن بن حبيب نجا ابنه حبيب إلى تونس ـ (أي مدينة تونس الساحلية) ـ وكان عمه عمران بن حبيب بتونس فلحق به، واتّبعه إلياس بن حبيب ـ بالجنود من القيروان ـ فاقتتلوا ملياً، ثم اصطلحوا على أن يكون لحبيب بن عبد الرحمن (مُدن) قفصة، وقسطلية، ونفزه، ولعمران تونس (المدينة) وصطفورة، ولإلياس بن حبيب سائر أفريقيا. وكان هذا الصلح سنة١٣٨هـ وسار إلياس مع أخيه عمران إلى تونس فغدر بعمران وقتله وجماعة معه، وعاد إلى القيروان وبعث بطاعته إلى أبي جعفر المنصور مع عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قاضي أفريقيا»[1].

ثم سار حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب إلى تونس وتغلب عليها وحاربه عمه إلياس بن حبيب، وخالفه حبيب إلى القيروان ودخلها، فرجع إلياس في طلبه فَلَمَّا توافقا تبارزا فقتله حبيب ودخل القيروان فَمَلكها آخر سنة١٣٨هـ، ثم تفاقمت الفتنة بأفريقيا. وكان محمد بن الأشعث آنذاك يتصدى لحركة تمرد في إيران حيث قال الطبري:

«خلع جهور بن مرار العجلي أبا جعفر المنصور ـ (بإقليم الرَّيّ) ـ فوجَّه إليه أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث الخزاعي في جيش عظيم ـ سنة١٣٨هـ ـ فقاتله محمد بن الأشعث قتالاً شديداً، ومع جَهْور نخب فرسان العجم زيادود لاستاحنج، فَهُزِم جهور وأصحابه وقُتِل من أصحابه خلق كثير، وأُسِر زيادود لاستاحنج، وهرب جهور فلحق بأذربيجان فأُخِذ بعد ذلك بسباذرو ـ [أسيراً] ـ فَقُتِل ـ» ـ [ص١٧٠/ ٩].

الفتنة بأفريقيا قبل الدخول الثاني لابن الأشعث:

لَمَّا قتل حبيب بن عبد الرحمن عمه إلياس ودخل القيروان في أواخر سنة١٣٨هـ، وكما ذكر ابن خلدون: «نجا عبد الوارث بن حبيب إلى وربجومه من قبائل البربر وكبيرهم يومئذ عاصم بن جميل. . فأجار عبد الوارث، وقاتلهم حبيب فهزموه إلى قابس (في تونس) واستفحل أمر وربجومه. وكتب مَنْ بالقيروان مِن العرب إلى عاصم بن جميل يدعونه للولاية عليهم واستحلفوه على الحماية والدعاء لأبي جعفر المنصور فلم يجب إلى ذلك». [ص٤٩١/ ٤] وقد جاء في رواية ابن

---

(١) هو القاضي عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري اليماني، قاضي القيروان، كان من العلماء، توفي بالقيروان سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م.

الأثير ما يلي: «.. كان مُقدم ورفجومه رجلاً اسمه عاصم بن جميل وكان قد ادّعى النبوة والكهانة فبدّل الدين وزاد الصلاة وأسقط ذكر النبي ﷺ من الأذان» ثم قال ابن الأثير: «فجهز عاصم مَنْ عنده من العرب على قصد القيروان، وأتاه رسل جماعة من أهل القيروان يدعونه إليهم وأخذوا عليه العهود بالحماية والصيانة وبالدعاء للمنصور»[١]. وقد سلف قول ابن خلدون أيضاً: «كتب مَنْ بالقيروان من العرب إلى عاصم بن جميل يدعونه للولاية عليهم والدعاء للمنصور فلم يجب إلى ذلك»[٢]. ونرى أن ذلك يدل على عدم صحة القول بأنه ادّعى النبوة وغير ذلك وإنما هو زعيم قومه البربر المسلمين وقد رفض الولاية والخطبة لأبي جعفر المنصور لأنه زعيم متغلب يريد الانفصال بحكم البلاد ولذلك لم يجب إلى ما دعوه إليه. قال ابن الأثير: «فسار إليهم عاصم في البربر والعرب فَلَمَّا قاربوا القيروان خرج من بها لقتالهم فاقتتلوا وانهزم أهل القيروان ودخل عاصم ومن معه القيروان، فاستحلت ورفجومه المحرمات.. وربطوا دوابهم في الجامع وأفسدوا فيه»[١].

وقال ابن خلدون: «.. فقاتلهم عاصم فهزمهم واستباح القيروان وخرّب المساجد واستهانها»[٢]. ونرى أن جوهر ذلك هو شمولية سلطة عاصم بن جميل للقيروان. وكان حبيب بن عبد الرحمن الفهري قد انهزم مع أصحابه إلى قابس «فسار عاصم من القيروان إلى حبيب والذين معه بقابس فهزمهم، ولحق حبيب بجبل أوراس فأجاره أهل جبل أوراس ـ وهم من البربر ـ فسار إليهم عاصم بن جميل فقاتلهم فهزموه وقتلوه مع جماعة من أصحابه، وقام بأمر وربجومة والقيروان بعده عبد الملك بن أبي الجعد الوربجومي فقتل حبيب بن عبد الرحمن وجماعة من أصحابه بأوراس في محرم سنة١٤٠هـ ورجع عبد الملك في قبائل وربجومة إلى القيروان واستولت وربجومة على أفريقيا وساروا في أهل القيروان بالعسف والظلم كما كان عاصم وأسوأ منه وافترق أهل القيروان بالنواحي فراراً بأنفسهم»[٢].

ولاية محمد بن الأشعث لأفريقيا (١٤١ ـ ١٤٨هـ):

قال ابن خلدون: «وكان أبو جعفر المنصور لما وقع بأفريقيا ما وقع من الفتنة ومَلَكت وربجومة القيروان، وفَدَ عليه رجالات من جند أفريقيا يشكون ما نزل بهم من وربجومة ويستصرخونه، فولّى على مصر وأفريقيا محمد بن الأشعث الخزاعي..» [ص١٩١/ ٤].

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٢٨٠ جـ ٤.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٩١ جـ ٤.

وكانت تولية محمد بن الأشعث سنة١٤١هـ. وكانت قد ظهرت بأفريقيا قوة ثانية وهم الأباضية (الخوارج) بزعامة عبد الأعلى بن السمح المعافري فسيطر على طرابلس ثم حارب وهزم عبد الملك بن أبي الجعد ومن معه من وربجومة ودخل القيروان في صفر ١٤١هـ. قال ابن خلدون: «ثم استخلف أبو الخطاب على القيروان عبد الرحمن بن رستم وسار إلى طرابلس للقاء العساكر القادمة من ناحية محمد بن الأشعث. . وكان أبو جعفر المنصور قد ولّى على مصر وأفريقيا محمد بن الأشعث فنزل مصر وبعث على أفريقيا أبا الأحوص عمرو بن الأحوص العجلي. .» [ص١٩٢/ ٤] فسار أبو الأحوص ومعه فرقة عسكرية فدخل ليبيا ثم تقدّم قاصداً طرابلس وعندئذ سار أبو الخطاب من القيروان لمواجهة العساكر القادمة من ناحية ابن الأشعث. قال ابن الأثير: «إن جماعة كثيرة من المسوّدة سيّرهم محمد بن الأشعث أمير مصر إلى طرابلس وعليهم أبو الأحوص العجلي، فخرج إليهم أبو الخطاب وقاتلهم وهزمهم سنة١٤٢هـ ـ وقتل أبا الأحوص ـ فعادوا إلى مصر واستولى أبو الخطاب على سائر أفريقيا». [ص٢٨١/ ٤].

وعندئذ اقتنع أبو جعفر المنصور بأن يتوجه الأمير محمد بن الأشعث بنفسه إلى أفريقيا للقضاء على المتغلبين وأن يكون والياً عليها ـ وليس على مصر وأفريقيا ـ ويبقى بها وتكون أفريقيا ولاية بذاتها، وولّى أبو جعفر المنصور حُميد بن قحطبة الطائي على مصر، وسار محمد بن الأشعث إلى ليبيا في أواسط سنة١٤٢هـ حيث جاء في ترجمته بكتاب الجامع أنه: «سار محمد بن الأشعث في أربعين أو خمسين ألفاً سنة١٤٢هـ. .»(١) بينما قال ابن الأثير: «سيّر أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث الخزاعي أميراً على أفريقيا فسار من مصر سنة١٤٣هـ فوصل إليها في خمسين ألفاً» والأرجح أنه سار في أربعين ألفاً (أربع فِرق)، فرقة بقيادته (غالبيتهم من الأزد) وفرقة بقيادة المخارق بن غفار الطائي (غالبيتهم من طيىء ومَذْحج) وفرقة بقيادة الحسن بن حرب الكندي (غالبيتهم من كندة وحضرموت) وفرقة بقيادة الأغلب بن سالم التميمي (غالبيتهم من تميم والمُضريّة). ودخل محمد بن الأشعث برقة وبعض مناطق طرابلس سنة١٤٣هـ. ثم انضمّ إليه عشرة آلاف من فرسان زناتة وغيرهم كانوا مع أبي الخطاب. قال ابن الأثير: «وبلغ أبا الخطاب مسير محمد بن الأشعث فجمع أصحابه من كل ناحية فكثُر جَمْعه وخافه ابن الأشعث لكثرة جموعه، فتنازعت زناتة وهوارة بسبب قتيل من زناتة فاتهمت زناتةُ أبا الخطاب بالميل إليهم ففارقه جماعة منهم، فقوي جنان ابن الأشعث وسار سيراً رويداً، ثم

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٤٩٧.

أظهر أن المنصور أمره بالعودة وعاد إلى ورائه ـ مسير ـ ثلاثة أيام سيراً بطيئاً، فوصلت عيون أبي الخطاب وأخبرته بعوده فتفرق عنه كثير من أصحابه وأَمِنَ الباقون، فعاد ابن الأشعث وشجعان عسكره مُجداً فصَبّح أبا الخطاب وهو غير متأهب للحرب فوضعوا السيوف في الخوارج (الأباضية) واشتد القتال، فقُتِل أبو الخطاب وعامة أصحابه ـ (الذين قاتلوا معه) ـ وذلك في صفر سنة١٤٤هـ»[١] ـ وقال ابن خلدون: «لقي محمد بن الأشعث أبا الخطاب بسرت (منطقة سرت) فانهزم أبو الخطاب وقُتِل عامة أصحابه وذلك سنة١٤٤هـ وبلغ الخبر عبد الرحمن بن رستم بالقيروان ففرّ عنها إلى تاهرت ـ وقام ابن الأشعث فافتتح طرابلس واستعمل عليها المخارق بن غفار الطائي»[٢] ـ وكان بطرابلس وجهاتها أبو هريرة الزناتي في ستة عشر ألفاً من البربر والخوارج فلقيهم ابن الأشعث فقاتلوه فقاتلهم وهزمهم سنة١٤٤هـ وولّى على طرابلس وإقليمها المخارق بن غفار الطائي ـ قال ابن الأثير: «وكتب محمد بن الأشعث إلى المنصور بظفره.. وضبط أفريقيا، وأمعن في طلب من خالفه من البربر وغيرهم، فسيّر جيشاً إلى زويلة ووران، فافتتح وران، وافتتح زويلة وقَتَل مقدمهم عبد اللّه بن سنان.. فَلَمَّا رأى البربر وغيرهم من أهل العبث والخلاف على الأمراء ذلك خافوه خوفاً شديداً وأذعنوا له بالطاعة»[١].

وكان من معالم عهد ولاية محمد بن الأشعث لأفريقيا الشمالية ما يلي:

١ ـ إنهاء مرحلة الفوضى والمتغلبين التي سادت منذ انتهاء ولاية حنظلة بن صفوان الكلبي بأواخر العصر الأموي (سنة١٢٩هـ) حتى قدوم وولاية محمد بن الأشعث (سنة١٤٢هـ) فحارب وهزم المتغلبين، وأذعن له أهل الخلاف بالطاعة، وأسس وأرسى دعائم سلطة الدولة في أرجاء تلك البلاد وآفاقها الممتدة.

قال ابن الأثير: «ورتب محمد بن الأشعث الولاة في الأعمال كلها»، أي في أقاليم أفريقيا الشمالية، ومنهم المخارق بن غفار الطائي بطرابلس (ليبيا) والحسن بن حرب الكندي بمنطقة قابس والأغلب بن سالم التميمي بطبنة والزاب. قال ابن خلدون: «قَدِم الأغلب بن سالم مع ابن الأشعث فولّاه على الزاب وطبنة». وكذلك ولّى محمد بن الأشعث عمالاً من شخصيات البربر بتلمسان وأوراس وغيرهما من بلاد المغرب. وأقرّ أبناء صالح بن منصور الحميري على أرض نكور بالمغرب وهو (صالح بن منصور الحِمْيري، المعروف بالعبد الصالح: أمير، من الداخلين إلى المغرب في أيام حسان بن النعمان الغساني وموسى بن نصير. افتتح أرض نكور

(١) الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ٢٨١ جـ ٤.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٩٢ جـ ٤.

بالمغرب وأسلم على يده بربر نكور، ومات بتمسامان ـ بعد سنة١٣٠هـ ـ ودفن بقرية (أقطى) على شاطىء البحر، واستمرت الإمارة من بعده في أبنائه زمناً بأرض نكور).

٢ ـ أقام محمد بن الأشعث بالقيروان ـ عاصمة أفريقيا الشمالية ـ وقام بإعادة إعمار ما خربته مرحلة بالقيروان. قال البلاذري: «دخل محمد بن الأشعث أفريقيا والياً عليها.. فَرَمّ مدينة القيروان»[١].

قال ابن الأثير: «وبَنَى محمد بن الأشعث سور القيروان وتمَّ ـ بناء السور ـ سنة١٤٦هـ».

٣ ـ وقام محمد بن الأشعث بضبط الأمور المالية. وتم اعتماد مبلغ مائة ألف دينار من بيت المال في مصر تُدفع سنوياً لبيت المال في أفريقيا. وكان الوالي على مصر يزيد بن حاتم المهلّبي الأزدي (١٤٤ ـ ١٥٢هـ) يبعث المائة ألف دينار سنوياً في عهد ولاية محمد بن الأشعث لأفريقيا ـ إلى سنة١٤٨هـ ـ واستمر ذلك الدعم المالي السنوي إلى عهد ولاية محمد بن مقاتل العكيّ لأفريقيا في خلافة هارون الرشيد.

٤ ـ ذكر الطبري في أنباء حركة محمد بن عبد اللّه بن حسن العلوي وأخيه إبراهيم التي اندلعت بالحجاز والبصرة سنة١٤٥هـ أنه: «قال أبو جعفر المنصور: فَرّقتُ جُندي، فمع المهدي بالريّ ثلاثون ألفاً ومع محمد بن الأشعث بأفريقيا أربعون ألفاً والباقون مع عيسى بن موسى، واللّه لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكري ثلاثون ألفاً»[٢]. وقد انتهت حركة محمد بن عبد اللّه بن الحسن وأخيه إبراهيم بالقضاء عليها في ذي القعدة سنة١٤٥هـ، ويمكن استنتاج أن أبا جعفر المنصور كتب إلى محمد بن الأشعث سنة١٤٦هـ بأن يعود قسم من الجيش الذي معه بأفريقيا فبعث بهم إليه.

٥ ـ في سنة١٤٧هـ «ثار على محمد بن الأشعث قائد من جُنده يقال له هاشم بن الشاحج بقمونية وتبعه جماعة من الجند، فسيّر إليه ابن الأشعث قائداً في عسكر فقتله هاشم وهزم أصحابه وجعل المُضَرية من قوّاد ابن الأشعث يأمرون أصحابهم باللحاق بهاشم بن الشاحج نكاية في ابن الأشعث لأنه تعصب عليهم. فبعث إليه ابن الأشعث جيشاً آخر فقاتلوه فانهزم هاشم وفرّ إلى تاهرت [منطقة تاهرت بالجزائر] وجمع طغام البربر فبلغ عسكره عشرين ألفاً فسار بهم إلى تهوذة

---

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٢٣٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٢٥٤ جـ ٩.

[منطقة تهوذة] فسيّر إليه ابن الأشعث جيشاً فانهزم هاشم وقُتِل كثير من أصحابه، فسار إلى ناحية طرابلس [وكان عاملها المخارق بن غَفّار الطائي] وتم قتل هاشم في صفر سنة١٤٧هـ وبذل محمد بن الأشعث الأمان لأصحاب هاشم جميعهم، وعادوا [إلى الخروج عن الطاعة في أواخر تلك السنة] فتبعهم ابن الأشعث فقتلهم». ـ قال ابن الأثير: «فغضبت المُضَرية واجتمعت على عداوته وخلافه، واجتمع رأيهم على إخراجه».

٦ ـ في سنة١٤٨هـ تآمر على محمد بن الأشعث قائد يقال له عيسى بن موسى الخراساني ومعه المضرية، فأنهى محمد بن الأشعث ولايته ـ تجنباً لعودة الفتن ـ وغادر القيروان: قال ابن الأثير: «سار ابن الأشعث من القيروان، ولقيته رسل المنصور بالبرّ والإكرام، فقَدِم على المنصور ببغداد، وبعث المنصور إلى الأغلب بن سالم ـ عامل الزاب ـ عهداً بولاية أفريقيا فَلَمَّا أتاه العهد قَدِمَ القيروان في جمادى الآخرة ١٤٨هـ وأخرج جماعة من قوّاد المضرية وسكن الناس». [ص٢٧/ ٥].

ثم سار محمد بن الأشعث للجهاد إلى أرض الروم مع الحسن بن قحطبة فمات في الطريق بآمد سنة١٤٩هـ الموافق ٧٦٦م.

المُخارق بن غَفّار.. أمير طرابلس
(١٤٤ ـ ١٥٠هـ) ووالي أفريقيا (١٥٠ ـ ١٥١هـ)

هو الأمير اليمانيّ المخارق بن غَفّار الطائي أمير طرابلس الغرب ـ ليبيا ـ سنة١٤٤ ـ ١٥٠هـ ثم والي أفريقيا الشمالية سنة١٥٠ ـ ١٥١هـ. وكان له قبل ذلك دور قيادي في تأسيس الخلافة العباسية.

أنباء المخارق قبل تأميره على طرابلس:

كان المخارق بن غفّار من قادة جيش الدعوة العباسية بقيادة الأمير قَحْطبة بن شبيب الطائي عندما سيطر على إقليم الرَّيّ ـ في أوائل سنة١٣١هـ ـ ووجّه قَحْطَبَةُ جيشاً بقيادة مُقاتل بن حكيم العكّي ومعه كوكبة من القادة بينهم المخارق إلى مدينة قُمّ ـ بإيران ـ فسيطروا عليها، ووجّه قَحْطبةُ عامر بن إسماعيل المُسَلّي المذحجيّ في ثلاثة آلاف إلى تُسْتَر، وأبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي في أربعة آلاف إلى أبهر، ثم ـ كما جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية:

«كتب قَحْطَبَةُ إلى عامر بن إسماعيل أن يتقدم إلى أصبهان، وكتب إلى مقاتل العكي يأمره أن يوجه إليه رجلاً في خمسمائة فارس، وكتب إلى أبي عون أن يوجّه إليه رجلاً في خمسمائة أخرى، فوجّه إليه العكيُّ مخارق بن غفّار، ووجّه أبو عون أبا الجنيد الأعور، وتوافى المخارق وأبو الجنيد إلى عامر بن إسماعيل»[1] ـ فنزل عامر بمنطقة التيمرة بأصبهان، فوجّه إليهم ابن ضُبارة عامل مروان بن محمد سبعة آلاف من الفرسان إلى منطقة قرية التيمرة في أصبهان بقيادة عجرة المرّي ـ «فأمر عامر بن إسماعيل المخارق بن غفار أن يخرج في أصحابه، فيقف على شرف بينه وبين العسكر قَدْرُ ميلٍ، فخرج المخارق، فأتاه رجلٌ من أهل القرية وهو مرعوب فقال: رأيتُ خيل القوم من وراء هذا الشرف نزولاً يسقون دوابّهم فارتفعتُ عنهم وجئتُ إليكم أُعلمكم. فأمر المخارقُ أصحابه بالتهيؤ، وسار وعبّأ أصحابه. فلم ينته المخارق إلى ذلك الشرف حتى رأى رَهَج القوم، فأرسل إلى عامر يخبره بذلك، ثم وقف حتى تبيّنهم وتبيّن راياتهم، فانصرف إلى عامر فأخبره، فبرز عامر

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٣٤٠ و٣٦٤.

من القرية (التيمرة) وعبّأ أصحابه، ووضع الميمنة والميسرة والكمين»[١] فحاربوا وهزموا ذلك الجيش المرواني، وسيطر قحطبة على أصبهان في رجب ١٣١هـ ثم دخل قحطبة بجيشه منطقة حُلوان بالعراق في ذي الحجة ١٣١هـ «وسار قحطبة نحو الكوفة وسرّب القوّاد بين يديه، وقَدَّم بين أيديهم المخارق بن غفّار وعبد اللّه الطائي في فرسان العسكر»[١]. ولَمَّا التحم جيش قحطبة وجيش ابن هبيرة عامل مروان بن محمد بالعراق في الفرات يوم ٨ محرم ١٣٢هـ «نظر قحطبة إلى أصحاب ابن هبيرة قد انتشروا في معسكرهم، فوجّه إليهم المخارق بن غفار وعبد اللّه الطائي وأسد بن مرزبان في أصحابهم، فشدّوا على من يليهم من جند ابن هبيرة فقتلوا عدة وانهزم القوم.. ثم عَبَرَ قحطبة بالفرسان فحمل على القوم حملة صادقة فهزمهم»[١]. ثم دخل جيش الدعوة العباسية الكوفة فقامت بذلك دولة الخلافة العباسية بالعراق ومشارقها.

وفي محرم وصفر ١٣٢هـ رابط حُميد بن قحطبة بمنطقة المدائن وأعالي العراق وكان معه عشرة من القوّاد منهم المخارق بن غفّار وكلثوم بن شبيب وذؤيب بن الأشعث في كتائبهم، كل كتيبة ألف مقاتل، بينما بدأت المعارك بين الخليفة مروان بن محمد وبين أبي عون عبد الملك الأزدي بمناطق الموصل، «وأتى كتاب من أبي عون بأنه قد أوقع بخيل لمروان وعبّر نهر الزاب الصغير وتقدم نحو الزاب الكبير، فوجّه حُميد من قِبله كلثوم بن شبيب الأزدي والمخارق بن غفّار وذؤيب بن الأشعث في أصحابهم مدداً إلى أبي عون. [ص٣٧٨].

وفي أواسط جمادى الأولى ١٣٢هـ وجّه أبو العباس السفاح عمّه عبد اللّه بن عليّ، فتولّى القيادة العامة لموقعة الزاب الكبير ضد مروان وجيشه، قال الطبري: «فَلَمَّا كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة وجّه عبد اللّه بن عليّ المخارق بن غفّار في أربعة آلاف فسار حتى نزل على خمسة أميال من عسكر عبد اللّه بن عليّ، فسرّح مروان إليه الوليد بن معاوية فلقي المخارق فانهزم أصحابه وأسروا وقتلوا منهم يومئذ عدّة، فبعثوا برؤوس القتلى وبالأسرى إلى مروان، فقال مروان: أدخلوا عليَّ رجلاً من الأسارى فأتوه بالمخارق وكان نحيفاً، فقال له: أنت المخارق؟ فقال: لا أنا عبد من عبيد ـ اللّه ـ أهل العسكر، قال: فتعرف المخارق؟ قال: نعم، قال: فانظر إلى هذه الرؤوس هل تراه؟ فنظر المخارق إلى رأس منها فقال: هو هذا: فخلّى مروان سبيله»[٢]. وجاء في رواية ثانية: «إن مروان قال له: أتعرف

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٣٤٠ و٣٦٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٣٠ وص ١٣٩ جـ ٩.

المخارق إن رأيته في هذه الرؤوس التي أُتينا بها؟ قال: نعم، فقال مروان: اعرِضوا عليه تلك الرؤوس فنظر المخارق إليها وقال: ما أرى رأسه في هذه الرؤوس وما أظُنه إلّا هرب. فخلى مروان سبيله»[١].

وفي ١١ جمادى الثانية ١٣٢هـ وقعت المعركة الحاسمة مع مروان «فلقيه عبد اللّه بن عليّ فيمن معه وأبي عون وجماعة قوّاد منهم حُميد بن قحطبة، فهزموه»[١]. وكان المخارق من القادة مع حميد بن قحطبة في الانتصار بالزاب ثم في حصار دمشق ودخولها مع عبد اللّه بن عليّ في ١٠ رمضان ١٣٢هـ وانضوت دمشق في الخلافة العباسية.

وفي ذي القعدة ١٣٢هـ وجّه عبد اللّه بن عليّ أخاه عبد الصمد بن عليّ إلى قنسرين وحمص لقتال أبي الورد صاحب مروان والذين معه بقنسرين. قال الطبري: «وجّه عبد اللّه بن عليّ ـ أخاه ـ عبد الصمد إلى قنسرين في سبعة آلاف وعلى حرسه المخارق بن غفّار، وعلى شُرطه كلثوم بن شبيب، ثم وجّه بعده ذؤيب بن الأشعث في خمسة آلاف.. ثم سار عبد اللّه بن عليّ بنفسه وكتب إلى حميد بن قحطبة فقَدِم عليه من الأردن.. فنزلوا على أربعة أميال من حمص..»[١] ثم حاربوا وهزموا القوم بقنسرين في آخر يوم من ذي الحجة ١٣٢هـ واستتب الأمر للخلافة العباسية.

ولم يزل المخارق بن غفّار من القادة بالشام ثم بالجزيرة الفراتية لما وُلّيها حُميد بن قحطبة الطائي (١٣٧ ـ ١٤٠هـ) ثم كان من قادة الجيش الذين دخلوا مصر لما وُلّي محمد بن الأشعث مصر وأفريقيا سنة١٤١هـ. ولَمّا سار محمد بن الأشعث إلى أفريقيا سنة١٤٢هـ ووُلّي حميد بن قحطبة مصر كان المخارق من أبرز القادة الذين دخلوا ليبيا مع محمد بن الأشعث وهزموا أبا الخطاب الأباضي بمنطقة سرت بليبيا في صفر سنة١٤٤هـ.

ولاية المخارق لطرابلس ثم لأفريقيا:

قال ابن خلدون: «هزم محمد بن الأشعث أبا الخطاب بسرت سنة١٤٤هـ وسار ابن الأشعث فافتتح طرابلس واستعمل عليها المخارق بن غفّار الطائي. وقام ابن الأشعث بأمر أفريقيا وضبطها، وولّى على طبنة والزاب الأغلب بن سالم التميمي[٢].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٣٠ وص ١٣٩ جـ ٩.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٩٢ جـ ٤.

فمكث المخارق بن غفّار أميراً على مدينة وإقليم طرابلس (ليبيا) في إطار ولاية محمد بن الأشعث لأفريقيا إلى سنة١٤٨هـ. ولَمّا عاد محمد بن الأشعث إلى المشرق وانتهت ولايته لأفريقيا الشمالية استمر المخارق أميراً لطرابلس، «وبعث أبو جعفر المنصور إلى الأغلب بن سالم التميمي عهداً بولاية أفريقيا، فَلَمّا أتاه العهد قَدِم ـ من طبنة ـ إلى القيروان في جمادى الآخرة سنة١٤٨هـ وأخرج جماعة من قواد المضَرية. وسكنَ الناس»[1].

وفي سنة١٤٩هـ وبينما المخارق بن غفار بطرابلس أميراً عليها قاد الحسن بن حرب الكندي إنقلاباً على الأغلب بن سالم. قال ابن الأثير: «.. سار الأغلب بن سالم يريد طنجة فاشتدّ ذلك على الجند وكرهوا المسير وتسللوا عنه إلى القيروان فلم يبق معه إلا نفر يسير، وكان الحسن بن حرب الكندي بمدينة تونس فكاتَبَ الجُنْدَ ودعاهم إلى نفسه فأجابوه فسار حتى دخل القيروان من غير مانع»[1]. وقال ابن خلدون: «خلع الجُندُ الأغلب بن سالم وكان الحسن بن حرب الكندي بقابس فكاتَبَ الجُنْدَ وثبّطهم عن الأغلب فلحقوا به وأقْبَلَ بهم إلى القيروان فَمَلكها»[2].

ويمكن تكييف ما حدث بأنه انقلاب عسكري أطاح بالأغلب بن سالم التميمي وتم تأمير الحسن بن حرب الكندي اليماني على أفريقيا (تونس) ولكن الأمير المخلوع الأغلب بن سالم لما بلغه خبر الانقلاب قام بتجميع أصحابه ومن أطاعه لاستعادة السلطة. قال ابن الأثير: «بلغ الأغلب بن سالم الخبر فعاد مُجِدّاً فقال له بعض أصحابه: ليس من الرأي أن تعدل إلى لقاء العدو في هذه العدة القليلة ولكن الرأي أن تعدل إلى قابس فإن أكثر من معه يجيء إليك لأنهم إنما كرهوا المسير إلى طنجة لا غير وتقوى بهم وتقاتل عدوك. ففعل ذلك ـ وسار إلى قابس ـ وكثر جمعه، ثم سار إلى الحسن بن حرب فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم الحسن وقُتل من أصحابه جمع كثير ومضى الحسن إلى تونس (مدينة تونس) في جمادى الآخرة سنة١٥٠هـ ودخل الأغلب القيروان. وحشد الحسن وجمع فصار في عدة عظيمة فقصد الأغلب فخرج إليه الأغلب من القيروان فالتقوا واقتتلوا فأصاب الأغلب سهم فقتله.. وكان ذلك في شعبان سنة١٥٠هـ»[1].

وكان المخارق بن غفار أمير طرابلس قد سار لمناصرة الأغلب بن سالم في المعركة التي هزمه فيها الحسن بن حرب الكندي بالقيروان حيث قال ابن خلدون: «.. أصاب الأغلب بن سالم سهمٌ فقتله، وقَدّم أصحابه المخارق بن غفار الطائي الذي كان أميراً على طرابلس وحملوا على الحسن فانهزم أمامهم إلى تونس»[1].

---

(١) الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ٢٧ جـ ٥. (٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٩٢ جـ ٤.

وقال ابن الأثير: «. . تقدّم على أصحاب الأغلب المخارق بن غفّار، فحمل على الحسن فهزمه فمضى منهزماً إلى تونس في شعبان، ووُلِّي المخارق أفريقيا في رمضان». [ص٢٦ جـ٥].

وبذلك أصبح المخارق بن غفّار والياً لأفريقيا واستقر بمدينة القيروان ـ عاصمة أفريقيا الشمالية ـ في رمضان سنة١٥٠هـ.

وكان من أنباء عهده ما ذكره ابن الأثير قائلاً: «وُلِّي المخارق أفريقيا في رمضان ووجّه الخيل في طلب الحسن بن حرب فهرب الحسن من تونس إلى كتامة فأقام شهرين ثم رجع إلى تونس فخرج إليه مَنْ بها من الجند فقتلوه». [ص٢٦/ ٥] وقال ابن خلدون: «انهزم الحسن بن حرب إلى تونس ثم لحق بكتامة وخيل المخارق في إتباعه ثم رجع إلى تونس بعد شهرين فقتله الجند. . وقام بأمر أفريقيا المخارق بن غفّار» [ص١٩٢/ ٤].

وقد كتب المخارق بن غفّار إلى الخليفة أبي جعفر المنصور بمقتل الأغلب بن سالم في شعبان ١٥٠هـ وربما كتب إليه المنصور عهداً بولاية أفريقيا ـ في رمضان ـ فتولاها المخارق حتى قدوم عمر بن حفص والياً لأفريقيا في صفر سنة١٥١هـ، فانتهت بذلك ولاية المخارق لأفريقيا.

إمْرة المخارق لإقليم الزاب بالجزائر:

ومكث المخارق بأفريقيا وكان من العمال القادة في ولاية عمر بن حَفْص الأزدي (١٥١ ـ ١٥٤هـ) ثم في ولاية يزيد بن حاتم المهلّبيّ. قال ابن خلدون: «. . دخل يزيد بن حاتم القيروان منتصف سنة١٥٥هـ. . وبعث المخارق بن غفّار ـ أميراً ـ على الزاب، ونزل طبنة». ـ فمكث المخارق بإقليم الزاب والأمور مستقرة إلى سنة١٦٤هـ.

قال ابن الأثير: «ثم انتقضت ورفجومة سنة١٦٤هـ بأرض الزاب وعليهم أيوب الهواري، فسيّر إليهم يزيد بن حاتم عسكراً عليهم يزيد بن مجزأ المهلّبي فالتقوا واقتتلوا فانهزم يزيد، وقُتِل المخارق بن غفّار صاحب الزاب. فولّى يزيد بن حاتم مكانه المهلّب بن يزيد المهلّبي وأمدّهم بجمع كثير، ولقوا ورفجومة واقتتلوا فانهزمت البربر وأيوب الهواري وقُتِلوا بكل مكان ولم يُقتل من الجند أحد». [ص٣٣/ ٥] فاستقرت أرض الزاب.

وكان مقتل المخارق بن غفّار بالزاب ـ وهو أمير عليها ـ سنة١٦٤هـ الموافق ٧٨١م.

عمر بن حَفْص.. أمير السند

(١٤٢ ـ ١٥١هـ) ووالي أفريقيا (١٥١ ـ ١٥٤هـ)

هو الأمير اليمانيّ عمر بن حَفْص بن عثمان بن قَبِيْصة بن أبي صُفرة العتكي الأزدي المُهلّبي، المعروف بلقب (هَزار مَرْدَ) ومعنى هَزار مَرْدَ ـ بلغة فارس والسند ـ (ألف رجل). قال عنه الأصفهاني: «. . كان من أشد الفرسان وأشجعهم»[1] ولّاه الخليفة أبو جعفر المنصور بلاد السند فَحَكَمها تسع سنين (١٤٢ ـ ١٥١هـ) ثم وُلّي أفريقيا الشمالية. قال البلاذري: «ولّى أبو جعفر المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صُفرة العتكي، وهو الذي سُمّي هزار مرد، وكان المنصور به معجباً، فدخل أفريقيا وغزا حتى بلغ أقصى بلاد البربر وابتنى هناك مدينة سماها العباسية»[2].

أنباء عمر بن حفص قبل ولايته لأفريقيا:

كان عمر بن حفص من أعلام آل المهلَّب المقيمين بالبصرة والذين كانوا رؤساء اليمانية هناك، فانضوى في الدعوة العباسية وكان من قادة جيش قَحْطبة بن شبيب الطائي لما سيطر على إقليم الرَّيّ في أوائل سنة١٣١هـ، فسار ابن ضبارة عامل مروان بن محمد بكرمان لقتال قحطبة ونزل بجيشه في أصبهان. قال صاحب أخبار الدولة العباسية:

«بلغ قَحْطَبَة إقبال ابن ضُبارة، فوجّه مقاتل بن حكيم العكّيّ في أربعة آلاف رجل إلى قُمّ (مدينة قُمّ) فشتّى بها. ووجّه قَحْطبةُ عُمر بن حَفْص العَتكي في خيل ضمّها إليه إلى أصبهان وأمره أن يتطرف خيول ابن ضُبارة ويكتب إليه بأخباره فإن دهمه أمر لا يقوى عليه انصرف إليه، فسار عمر حتى نزل رستاقاً من أصبهان يُسمى أنار. وأقْبَلَ ابن ضبارة فَلَمّا صار في أصبهان بلغه موضع عمر بن حَفْص، فوجّه إليه قائداً من قوّاده في ثلاثة آلاف فارس، فبيّتوه وقتلوا عدة من أصحابه، فنجا عمر وتحصّن في قرية من أصبهان تُدعى نميور، وبلغ قحطبة ما لقي عمر بن حَفْص. .»[3] فوجّه قَحْطَبَةُ القادة والكتائب إلى مناطق من أصبهان.

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٩ جـ ١٨.

(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٢٣٤.

(٣) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٣٣٨.

وقد ذكر الطبري أنه: «سار ابن ضُبارة وداود بن يزيد بن هُبيرة إلى قحطبة، وكانا بكرمان، فسارا في خمسين ألفاً حتى نزلوا أصبهان بمدينة جَيّ. فبعث إليهم قَحْطَبة مقاتلاً العكيّ، وأبا حَفْص المهلَّبي [وهو عمر بن حَفْص]. . وذؤيب بن الأشعث، وكلثوم بن شبيب، ومالك بن طريف، والمخارق بن غفّار، والهيثم بن زياد، وعليهم جميعاً مقاتل العكّيّ»[1]، ثم انضمّ إليهم قحطبة والذين معه فهزموا ابن ضبارة وجيشه بأصبهان في رجب ١٣١هـ وسيطروا على نهاوند ـ في ذي القعدة ـ وهزموا ابن هبيرة عامل مروان بالعراق ـ في محرم ١٣٢هـ. وكان عمر بن حفص من قادة القوة التي دخلت البصرة مدداً لسفيان بن معاوية المهلَّبيّ ورَوْح بن حاتم فسيطروا عليها، ولَمَّا ظهر أبو العباس السفاح ـ في ربيع الثاني ـ ولّى سفيان بن معاوية المهلّبيّ على البصرة، واستقر عمر بن حفص في داره بالبصرة وكان من أعلام الشخصيات بها.

ولَمَّا وُلِّي سليمان بن علي بن عبد اللَّه بن عباس البصرة (١٣٣ ـ ١٣٩هـ) تزوج ابنه عيسى بن سليمان فاطمة بنت عمر بن حَفْص. قال أبو العباس المبرّد: «تزوج عيسى بن سليمان فاطمة بنت عمر بن حَفْص هزار مَرْد، وهو من ولد قبيصة بن أبي صُفرة، ولم يَلِدْهُ المهلَّب»[2].

وقال أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني: «كان أبو عيينة بن محمد بن أبي عُيينة بن المهلَّب يهوى فاطمة بنت عمر بن حَفْص الملقب هزار مرد، وكانت امرأة نبيلة شريفة، تزوجها عيسى بن سليمان. .» وقال: «كانت فاطمة بنت عمر بن حَفْص هزار مرد التي تزوجها عيسى بن سليمان امرأة جليلة نبيلة، وكان أبوها من أشد الفرسان وأشجعهم. ذكر عيسى بن جعفر: إن عيسى بن موسى قال للمهلَّب بن المغيرة بن المهلَّب: أكان يزيد بن خالد أشجع أم عمر بن حفص هزار مرد؟ فقال: لم أشهد من يزيد بن خالد ما شهدتُه من عمر بن حفص وذلك أني رأيته يركض في طلب حمار وحشيّ حتى إذا حاذاه جمع جراميزه وقفز فصار على ظهره فقمص الحمارُ وجعل عمر بن حَفْص يحز معرفته إما بسيف أو بسكين حتى قتله. قال محمد بن يزيد: وحُدثت عن محمد بن المهلَّب أنه أنكر أن يكون أبو عيينة يهوى فاطمة، وكانت فاطمة من أنبل النساء وإنما كان يتعشق جارية لها»[3].

قال أبو العباس المبرد: «وأولاد عيسى بن سليمان من فاطمة ـ (بنت عمر بن حفص) ـ لهم شجاعةٌ ونجدة وشدّة أبدان»[2].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١١٣ جـ ٩.
(٢) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرد ـ ص ٢٥٤ جـ ١.
(٣) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٩ ـ ١٠ جـ ١٨.

وكان الخليفة أبو جعفر المنصور قد ولّى سفيان بن معاوية المهلّبي البصرة وأقاليمها سنة١٣٩هـ وولّى عُيَينة بن موسى بن كعب التميمي بلاد السند سنة١٤١هـ. قال الطبري: «ثم دخلت سنة١٤٢هـ وفيها خلع عيينة بن موسى بن كعب ـ أبا جعفر المنصور ـ بالسند.. وخرج أبو جعفر المنصور لما أتاه الخبر حتى نزل بعسكره في البصرة عند جسرها الأكبر، ووجّه عمر بن حَفْص عاملاً على السند والهند ومحارباً لعيينة بن موسى فسار حتى ورد السند وغَلَب عليها»[1]. ومكث عمر بن حَفْص والياً لبلاد السند (باكستان) تسع سنين، إلى أوائل سنة١٥١هـ. وخلال تلك الفترة كان يزيد بن حاتم المهلّبيّ والياً لمصر وكان محمد بن الأشعث والياً لأفريقيا (١٤٢ ـ ١٤٨هـ) ثم وُلِّيها الأغلب بن سالم فثار عليه الجُند وخلعوه وولّوا الحسن بن حرب الكندي فحاربه وهزمه المخارق بن غفّار، ووُلي المخارق أفريقيا في رمضان سنة١٥٠هـ وكان الحسن بن حرب الكندي قد قتل الأغلب بن سالم في شعبان فَلَمَّا وُلّي المخارق أفريقيا وجّه الخيل في طلب الحسن بن حرب فلحق الحسن بقبيلة كتامة البربرية ثم رجع بعد شهرين إلى تونس فقتله الجُند.

ولاية عمر بن حفص لأفريقيا وأنباء عهده:

في أوائل سنة١٥١هـ كتب أبو جعفر المنصور إلى عمر بن حفص بالقدوم من السند، فَلَمَّا وصل إليه ولّاه أفريقيا الشمالية فانطلق إليها في موكب يضم خمسمائة من فرسان الأزد وآل المهلّب.

قال ابن الأثير: «.. خاف المنصور على أفريقيا فوجّه إليها عمر بن حفص، وهو من ولد قَبِيصة بن أبي صُفرة، أخي المهلّب وإنما نُسِب لبيت المهلّب لشهرته. فقَدِمها في صفر سنة١٥١هـ في خمسمائة فارس..»[2].

وقال البلاذري: «.. ولّى المنصورُ عمرَ بن حَفْص.. وهو الذي يُسمى هزار مرد، وكان المنصور به معجباً..»[3].

وقال ابن خلدون: «.. بعث أبو جعفر المنصور على أفريقيا عمر بن حفص هزار مَرْد، من ولد قبيصة بن أبي صُفرة أخي المهلّب، فقَدِمها سنة١٥١هـ..»[4].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٧٢ جـ ٩.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣١ جـ ٥.
(٣) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٢٣٤.
(٤) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٩٢ جـ ٤.

وكان من معالم عهد ولايته لأفريقيا الشمالية (١٥١ ـ ١٥٤هـ) ما يلي:

١ ـ دخل الأمير عمر بن حَفْص مدينة القيروان ـ عاصمة أفريقيا الشمالية ـ في صفر سنة١٥١هـ في موكب يُضم خمسمائة من فرسان الأزد وآل المهلَّب، أبرزهم حبيب بن حبيب بن المهلَّب. وقد كان أمير أفريقيا يومئذ المخارق بن غفّار الطائي وكان المخارق بالقيروان، فسَلّم مقاليد الأمور إلى الأمير عمر بن حفص. وجاء في ترجمته بكتاب الجامع أنه: «وجّهه المنصور العباسي أميراً على أفريقيا، فدخل القيروان سنة١٥١هـ والفوضى قائمة فيها، فقضى على بعض أصحاب الفتنة»[١]. ولم يذكر ذلك ابن الأثير وابن خلدون ذلك.

وقد استهل الأمير عمر بن حفص عهده باجتماع شوروي. قال ابن الأثير: «. . قَدِم عمر بن حفص القيروان في صفر سنة١٥١هـ . . فاجتمع وجوه البلد، فوصَلَهم وأحسن إليهم، وأقام والأمور مستقيمة ثلاث سنين»[٢]. وكذلك قال ابن خلدون: «. . فاستقامت أموره ثلاث سنين»[٣].

٢ ـ وفي أواخر سنة١٥٣هـ «سار الأمير عمر بن حَفْص إلى الزاب لبناء مدينة طبنة واستخلف على القيروان حبيب بن حبيب بن المهلَّب»[٢] وقال البلاذري: «. . غزا عمر بن حفص حتى بلغ أقصى بلاد البربر وابتنى هناك مدينة سماها العباسية»[٤] وقال ابن خلدون: «سار عمر بن حفص لبناء السور على مدينة طبنة واستخلف على القيروان أبا حازم حبيب بن حبيب بن المهلَّب . . وكان على طرابلس الجنيد بن بشار عامل عمر بن حفص»[٣].

٣ ـ ولَمّا غزا عمر بن حفص حتى بلغ أقصى بلاد البربر بالمغرب وابتنى هناك مدينة سماها العباسية، وتوجه لبناء السور على مدينة طبنة في الزاب ـ بالجزائر ـ انتقضت وتحالفت على قتال الأمير عمر بن حفص والانفصال عن سلطة دولة الخلافة ثلاث قوى كبيرة، وهم:

أ ـ الأباضية (الخوارج) بزعامة أبي حاتم الأباضي (في طرابلس وتونس)، وبزعامة عبد الرحمن بن رستم في تاهرت (بالجزائر) وبزعامة عاصم السدراتي الأباضي ـ (من أهل سدراته بتونس) ـ وبزعامة المسعود الزناتي الأباضي (في قبائل زناتة).

ب ـ الصُفرية (وهم فرقة من الخوارج) بزعامة أبي قُرّة اليعقوبي الصُفْري

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٤٠٦.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣١ جـ ٥.
(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٩٢ جـ ٤.
(٤) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٢٣٤.

جيء ببعض الرعايات المختلفة من البربر وغيرهم من العرب، وكان منهم عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب الفهري القرشي، وكان مع أبي حاتم الأباضي.

وربما كان أولئك من المشايخ والعمال المحليين بمناطقهم، فقاموا بأكبر حركة انتقاض. قال ابن خلدون: «سار عمر بن حفص لبناء السور على مدينة طبنة واستخلف على القيروان أبا حازم حبيب بن حبيب بن المهلب، فلما توجه لذلك ثار البربر بأفريقيا. واجتمع البربر الأباضية بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم يعقوب الأباضي مولى كندة. وكان على طرابلس الجنيد بن بشار من قبل عمر بن حفص، فأمده بالعساكر، وقاتلوا أبا حازم، فهزمهم أبو حاتم وحصرهم بقابس. وانتقضت أفريقيا من كل ناحية ثم ساروا في عساكر إلى طبنة وحاصروا عمر بن حفص فيهم أبو قرة اليعقوبي في أربعين ألفاً من الصفرية. وعبد الرحمن بن رستم في خمسة عشر ألفاً من الأباضية جاؤوا معه، والمسعود الزناتي في عشرة آلاف من الأباضية، وأمم من الخوارج من صنهاجة وزناتة وهوارة ما لا يحصى...» [ص ١٩٣/ ٤] وقال ابن الأثير: «ساروا إلى طبنة فأحاطوا بها في اثني عشر عسكراً، منهم أبو قرة الصفري في أربعين ألفاً، وعبد الرحمن بن رستم في خمسة عشر ألفاً، وأبو حاتم الأباضي في عسكر كثير، وعاصم السدراتي الأباضي في ستة آلاف، والمسعود الزناتي الأباضي في عشرة آلاف فارس، وغير من ذكرنا. فلَمَّا رأى عمر بن حفص إحاطتهم به عزم على الخروج لقتالهم فمنعه أصحابه وقالوا: إنْ أُصِبْتَ تَلَفَ العرب. فعَدَل إلى إعمال الحيلة، فأرسل إلى أبي قرة مقدم الصفرية يبذل له ستين ألف درهم ليرجع عنه، فقال: بعد أن سُلِّم عليَّ بالخلافة أبيع حربكم بعرض قليل، ولم يجبه إلى ذلك. فأرسل إلى أخي أبي قرة فدفع إليه أربعة آلاف درهم وثياباً على أن يعمل في صرف أخيه والصفرية، فأجابه وارتحل من ليلته وتبعه العسكر منصرفين إلى بلادهم، فاضطر أبو قرة إلى اتباعهم» [ص ٣٢/ ٥].

وقال ابن خلدون: «[illegible] فدافعهم عمر بن حفص بالأموال وفرق كلمتهم وبذل للأصحاب أبي قرة مالاً [illegible] واضطر أبو قرة لاتباعهم» [ص ١٩٣/ ٤] قال ابن الأثير: «فلمَّا سارت الصفرية سيّر عمر بن حفص جيشاً إلى ابن رستم وهو في تهوذا فقاتلوه فانهزم ابن رستم إلى تاهرت فضعف أمر الأباضية عن مقاومة عمر فساروا عن طبنة» [ص ٣٢/ ٥] وكذلك قال ابن خلدون: «بعث عمر بن حفص جيشاً إلى عبد الرحمن بن رستم وهو بتهوذا فانهزم إلى تاهرت وضعف الأباضية عن حصار طبنة فأفرجوا عنها» [ص ١٩٣/ ٤].

بينما في القيروان التي كان عمر بن حفص استخلف عليها حبيب بن حبيب المهلَّبي: «حاصر أبو حاتم يعقوب الأباضي وأصحابه القيروان، وكثر جمعه، ولازم حصارها، وليس في بيت مالها دينار ولا في أهرائها شيء من الطعام، فدام الحصار ثمانية أشهر، وكان الجند يخرجون فيقاتلون الخوارج طرفيّ النهار حتى جهدهم الجوع». ـ وكذلك حتى مقتل حبيب بن حبيب المهلَّبي وهو يجاهد الخوارج بمشارف القيروان في حوالي شهر رمضان ١٥٤هـ ـ قال ابن الأثير: «وكان عمر بن حفص بطبنة يصلح أمورها ويحفظها ممن يجاوره من الخوارج، فَلَمَّا علم ضيق الحال بالقيروان سار إليها. ولَمَّا سار عمر بن حفص إلى القيروان استخلف على طبنة عسكراً، فَلَمَّا سمع أبو قرّة الصفري بمسير عمر بن حفص سار هو إلى طبنة فحصرها فخرج إليه من بها من العساكر وقاتلوه فانهزم منهم وقُتِل من عسكره خلق كثير. وكان الجند بالقيروان يخرجون فيقاتلون الخوارج طرفي النهار حتى جهدهم الجوع وأكلوا دوابهم ولحق كثير من أهلها بالبربر ولم يبق غير دخول الخوارج إليها، فأتاهم الخبر بوصول عمر بن حفص من طبنة، فنزل الهريش وهو في سبعمائة فارس فزحف الخوارج إليه بأجمعهم وتركوا (حصار) القيروان فَلَمَّا فارقوها سار عمر بن حفص إلى مدينة تونس، فتبعه البربر (الخوارج) فعاد إلى القيروان مجدّاً. .».

وقال ابن خلدون: «بلغ أبا حاتم الأباضي وأصحابه وهو على حصار القيروان مسير عمر بن حفص إليهم، فساروا للقائه فمال هو من الأربس إلى تونس ثم جاء إلى القيروان فدخلها».

٤ ـ كانت عودة الأمير عمر بن حفص إلى القيروان في أواخر رمضان ومطلع شوال ١٥٤هـ. قال ابن الأثير: «عاد عمر بن حفص إلى القيروان مجدّاً، وأدخل إليها ما يحتاج من طعام ودواب وحطب وغير ذلك».

وصَمَدَ عمر بن حفص وتصدَّى لأبي حاتم الأباضي وأصحابه الأباضية ـ الخوارج ـ الذين حاصروا مشارف القيروان وكانت بينه وبينهم وقائع كثيرة إلى نهاية ذي القعدة وأوائل ذي الحجة ١٥٤هـ وهو بانتظار وصول المدد من أبي جعفر المنصور وكان قد كتب إليه. قال ابن الأثير: «فطال الحصار حتى أكلوا دوابهم وفي كل يوم يكون بينهم حرب وقتال، فَلَمَّا ضاق الأمر بعمر بن حفص وبمن معه قال لهم: الرأي أن أخرج وأغير على بلاد البربر وأحمل إليكم الميرة، قالوا: إنّا نخاف بعدك، قال: فأرسل فلاناً وفلاناً يفعلان ذلك، فأجابوه، فَلَمَّا قال للرجلين، قالا: لا نتركك في الحصار ونسير عنك. فعزم على إلقاء نفسه إلى الموت. فأتى

الخبر إنّ المنصور قد سيّر إليه يزيد بن حاتم في ستين ألف مقاتل، وأشار عليه من عنده بالتوقف عن القتال إلى أن يصل العسكر. فلم يفعل وخرج إلى الخوارج وقاتل، فَقُتِل في منتصف ذي الحجة سنة١٥٤هـ».

وبذلك انتهى عهد عمر بن حفص وما لبث أن وصل الأمير يزيد بن حاتم المهلَّبيّ والياً لأفريقيا.

يزيد بن حاتم المهلبي.. والي المغرب العربي
(١٥٤ ـ ١٧٠هـ)

هو الأمير اليماني يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المُهلّب الأزدي، وهو من عظماء الولاة في العصر العباسي. كان والياً لمصر سنة١٤٣ ـ ١٥٢هـ ولَمَّا انتهت ولايته لمصر[(١)] عاد إلى البصرة، ثم سار مع الخليفة أبي جعفر المنصور إلى القدس سنة١٥٤هـ ومنها وجّهه إلى أفريقيا الشمالية (المغرب العربي).

قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك:

«في سنة١٥٤هـ كان خروج المنصور إلى الشام ومصيره إلى بيت المقدس وتوجيهه يزيد بن حاتم إلى أفريقيا في خمسين ألفاً.. وذُكِر أنه أنفق على ذلك الجيش ثلاثةَ وستين ألفَ ألفِ درهم»[(٢)].

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية:

«في سنة١٥٤هـ دخل أبو جعفر المنصور بلاد الشام وزار بيت المقدس وجهّز يزيد بن حاتم في خمسين ألفاً، وولّاه بلاد أفريقيا، وأمره بقتال الخوارج، وأنفق على هذا الجيش نحواً من ثلاث وستين ألف ـ ألف ـ درهم»[(٣)].

وقد سار يزيد بن حاتم بالجيش من القدس إلى مصر قاصداً ليبيا ـ في حوالي أوائل ذي الحجة ١٥٤هـ ـ وكان عمر بن حفص ما يزال يتصدى لحصار الخوارج بالقيروان. قال ابن الأثير: «فأتى الخبر أن المنصور قد سيّر إليه يزيد بن حاتم في ستين ألف مقاتل، وأشار عليه من عنده بالتوقف عن القتال إلى أن يصل العسكر فلم يفعل وخرج إلى الخوارج وقاتل، فقُتِل منتصف ذي الحجة ١٥٤هـ وقام بأمر الناس ـ في القيروان ـ حُميد بن صخر وهو أخو عمر لأُمه، فوادَعَ أبا حاتم الأباضي وصَالَحَه على أن حُميداً ومن معه لا يخلعون المنصور، ولا ينازعهم أبو حاتم في سوادهم وسلاحهم، وأجابهم إلى ذلك، وفتحوا له القيروان وخرج أكثر الجند إلى طبنة ـ بالزاب ـ. وأحرق أبو حاتم أبواب القيروان وثلم سورها، وبلغه

(١) أنباء يزيد بن حاتم وعهد ولايته لمصر في الفصل السابق.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٢٨٥ جـ ٩.
(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ١١١ جـ ١٠.

وطلبوا يزيد بن حاتم فسار إلى طرابلس لقتاله ... ووصل يزيد بن حاتم أفريقيا سنة ١٥٤هـ فلما قاربها سار إليه بعض جندها واجتمعوا به وساروا معه إلى طرابلس»(١). وبالتالي دخل يزيد بن حاتم طرابلس بدون قتال في أواسط ذي الحجة ١٥٤هـ.

وقال ابن خلدون: «[illegible] يزيد بن حاتم فقدم أفريقيا وأبو حاتم يعقوب بن حبيب الأباضي مستول عليها، فسار إلى طرابلس للقائه - أي لقتاله - واستخلف على القيروان عمر بن عثمان الفهري»(٢).

وأما أبو حاتم يعقوب الأباضي الصاحبة بالقيروان - وهو عمر بن عثمان - أن يأخذ سلاح الجند الذين بالقيروان وأن يفرق بينهم، فخالفه بعض أصحابه وقالوا: لا نغدر بهم، فمال إليهم عمر بن عثمان فانتقض على أبي حاتم وقتل بعض أصحابه وخرج إلى المخارق بن غفار. قال ابن خلدون: «فرجع أبو حاتم الأباضي إلى عمر بن عثمان والمخارق بن غفار، ففرا من القيروان ولحقا بجيجل من سواحل كتامة، فتركهما ثم استخلف على القيروان عبد العزيز بن السمح المعافري، وسار للقاء يزيد بن حاتم بطرابلس»(٢). وذلك في محرم أو صفر سنة ١٥٥هـ وكان أبو حاتم يعقوب الأباضي في جمع عظيم من الخوارج والذين تابعوهم من البربر - قال ابن الأثير:

«وسيّر يزيد بن حاتم طائفة من العسكر إلى قابس - [في تونس] - فلقيهم أبو حاتم فهزمهم فعادوا إلى يزيد».

«وسار أبو حاتم الخارجي إلى أجبال نفوسة - [وهي جنوب طرابلس في ليبيا] - فنزل في مكان وعر، وخندق على عسكره، وعبّى يزيد بن حاتم أصحابه وسار إليه فالتقوا في ربيع الأول سنة ١٥٥هـ فاقتتلوا أشد قتال، فانهزمت البربر وقتل أبو حاتم وأهل نجدته، وطلبهم يزيد بن حاتم في كل سهل وجبل، فقتلهم قتلاً ذريعاً، وكان عدة من قتل في المعركة ثلاثين ألفاً. وجعل آل المهلب يقتلون الخوارج ويقولون: يالثارات عمر بن حفص. وأقام يزيد بن حاتم شهراً يقتل الخوارج - [أو: يقاتل الخوارج] - ثم ارتحل إلى القيروان». [ص٣٣/ ٥].

وقال ابن خلدون: «سار أبو حاتم يعقوب الأباضي للقاء يزيد بن حاتم، وسار يزيد إلى طرابلس، فلحق أبو حاتم بجبال نفوسة واتبعته عساكر ليزيد فهزمهم، فسار إليه يزيد بنفسه وقاتله قتالاً شديداً فانهزم البربر وقتل أبو حاتم في [illegible]

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ص ٣٧ جـ ٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون - ص ١٩٣ جـ ٤.

ثلاثين ألفاً من أصحابه، وتتبعهم يزيد بالقتل بثأر عمر بن حفص. ثم ارتحل إلى القيروان. وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب الفهري مع أبي حاتم فلحق بكتامة وبعث يزيد في طلبه فحاصروهم فظفروا بهم وهرب عبد الرحمن وقُتل جميع من كان معه»[١].

وكذلك قال ابن الأثير: «كان عبد الرحمن بن حبيب الفهري مع أبي حاتم فهرب إلى كتامة، فسيَّر إليهم يزيد بن حاتم جيشاً فحصروا البربر وظفروا بهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وهرب عبد الرحمن وقُتل جميع من كان معه».

ومن المفيد التنبيه هنا إلى أن تلك الروايات استعملت اسم (البربر) تارة ومصطلح (الخوارج) تارة أخرى، وقد سلفت النصوص في المبحث السابق بأنهم من (الأباضية) ومن (الصفريّة) ـ وهما فرقتان من الخوارج ـ فليس صائباً استعمال اسم (البربر) لأنه يعطي انطباعاً خاطئاً بأن الصراع بين (عرب وبربر) بينما لم يكن كذلك، فزعيم الخوارج أبو حاتم الأباضي كان من الموالي وكذلك عبد الرحمن بن رستم الفارسي، وكان من أبرز أصحاب أبي حاتم شخصيات عربية أمثال عبد العزيز المغافري وعبد الرحمن الفهري، والذين كانوا معهم من البربر في الخروج على الدولة كانوا خوارج. فأخمد يزيد بن حاتم تلك الفتنة.

قال الحافظ ابن كثير في كتاب البداية والنهاية:

«في سنة١٥٥هـ دخل يزيد بن حاتم أفريقيا فافتتحها عوداً على بدء، وقتل من كان فيها ممن تغلب عليها من الخوارج، فقتل أمراءهم وأسر كبراءهم وأذلّ أشرافهم، وأبدل أهل تلك البلاد بالخوف أمناً وسلامة، وبالإهانة كرامة. وكان من جملة من قتل من أمرائهم أبو حاتم وأبو عباد الخارجيان..» [ص١١٣].

وقال الطبري: «في سنة١٥٥هـ كان افتتاح يزيد بن حاتم أفريقيا، وقَتْلَهُ أبا عاد وأبا حاتم ومن كان معهما، واستقامت بلاد المغرب..» [ص٨٥].

وكان من أنباء ومعالم عهد ولاية يزيد بن حاتم لبلاد المغرب العربي (أفريقيا الشمالية) ما يلي:

أولاً: بدأت ولاية يزيد بن حاتم بدخوله إقليم طرابلس (ليبيا) في ذي الحجة ١٥٤هـ، فبعث قوة من عسكره إلى مدينة تونس ـ الساحلية ـ (بقيادة المخارق بن غفّار الطائي)، وقوة إلى قابس.. وحارب وهزم يزيد بن حاتم الخوارج وأميرهم أبا حاتم يعقوب في جبل نفوسة (بليبيا) في ربيع الأول ١٥٥هـ، وتتبع الخوارج

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٩٣ جـ ٤.

والخارجين على الدولة بالمناطق الداخلية والساحلية (بليبيا وتونس والجزائر) فأخضعهم في شهر واحد، ثم سار إلى مدينة القيروان ـ عاصمة أفريقيا الشمالية ـ فدخلها في ربيع الثاني سنة١٥٥هـ. قال الحافظ ابن كثير:

«دخل يزيد بن حاتم القيروان، فمهّدها، وأقرّ أهلها، وقرّر أمورها، وأزال محذورها». [ص١٩٤/ ٤].

ثانياً: بسط الأمير يزيد بن حاتم سلطة الدولة في سائر بلدان أفريقيا الشمالية وولّى العمال الأكفاء في عواصمها وأقاليمها، ونشر العدل والاستقرار والأمان في آفاقها الممتدة. وقد أشار الطبري إلى ذلك قائلاً:

«واستقامت بلاد المغرب».

وقال ابن خلدون: «أذلّ يزيد بن حاتم الخوارج، ومهّد البلاد، فكانت ساكنة».

وقال ابن الأثير:

«صَفَت أفريقيا، وأحسن يزيد بن حاتم السيرة، وأمَّنَ الناس». [ص٣٣/ ٥].

وقد أعطى يزيد بن حاتم الأمان لجميع الذين شاركوا في الفتنة والانتقاض من شخصيات وقبائل بلاد المغرب العربي، فقد ذكر الطبري في أحداث ١٥٣هـ أنّ الذين انتقضوا وخرجوا وحاربوا الأمير عمر بن حفص «كانوا ـ فيما ذكر ـ ثلاثمائة ألف وخمسين ألفاً». وهذا يشير إلى أن الذين أمَّنهم يزيد بن حاتم ربما كانوا زهاء ثلاثمائة ألف، فعادوا إلى الطاعة ومن بينهم بعض زعماء البربر.

وقد ولّى يزيد بن حاتم العمال على أرجاء البلاد، ومنهم المخارق بن غفّار الطائي: ولّاه يزيد بن حاتم أرض الزاب وما يليها من الأوراس وبلاد هوارة وربجومة وزناتة بالمغرب. وكان من عمال المناطق الرئيسية أيضاً يزيد بن مجزأ المهلّبيّ، ومهلّب بن يزيد المهلّبي، وعبد اللّه بن يزيد بن حاتم، وغيرهم.

ثالثاً: وقد استقر الأمير يزيد بن حاتم بمدينة القيروان ـ عاصمة أفريقيا الشمالية ـ وشهدت القيروان في عهده نهضة عمرانية واقتصادية، وكان من ذلك ما ذكره د. صالح فياض قائلاً:

«قام يزيد بن حاتم بترتيب أسواق القيروان، وجعل لكل صناعة مكاناً خاصّاً بها على نسق الأسواق في مدن المشرق، وسرى نظام أسواقها إلى عواصم المغرب كله»[1].

---

(١) تعريب المغرب ـ د. صالح محمد فياض ـ مقال بمجلة المؤرخ العربي ـ العدد ٣٠ السنة ١٩٨٦م.

رابعاً: في السنة العاشرة من عهد يزيد بن حاتم وهي سنة ١٦٤هـ وقع تمرّد بقيادة أيوب الهواري بأرض الزاب.

قال ابن الأثير: «في سنة ١٦٤هـ انتقضت ورفجومة بأرض الزاب ـ وعليها أيوب الهواري ـ فسيَّر إليهم يزيد بن حاتم عسكراً كثيراً واستعمل عليهم يزيد بن مجزأ المهلَّبيّ، فالتقوا واقتتلوا فانهزم يزيد وقُتِل كثير من أصحابه، وقُتل المخارق بن غفّار صاحب الزاب» ـ قال ابن خلدون: «وكان المخارق بن غفار أثخن في البربر في وقائع كثيرة مع وربجومة وغيرهم» [ص١٩٣/ ٤] ـ قال ابن الأثير: «.. وقُتل المخارق بن غفّار صاحب الزاب فولّي مكانه المهلَّب بن يزيد المهلّبي، وأمدّهم يزيد بن حاتم بجمع كثير واستعمل عليهم العلاء بن سعيد المهلَّبي وانضمّ إليهم المنهزمون، ولقوا ورفجومة واقتتلوا فانهزمت البربر وأيوب الهواري وقتلوا بكل مكان، ولم يُقتل من الجند أحد» [ص٣٣/ ٥] وبذلك عاد الاستقرار إلى تلك المنطقة، وأصبح المهلَّب بن يزيد المهلَّبيّ أميراً عليها.

خامساً: وقد مكث يزيد بن حاتم والياً لأفريقيا الشمالية في خلافة أبي جعفر المنصور ثم في خلافة المهدي بن أبي جعفر المنصور (١٥٩ ـ ١٦٩هـ) ثم في خلافة الهادي بن المهدي (١٦٩ ـ ١٧٠هـ) وحتى خلافة هارون الرشيد بن المهدي خامس الخلفاء العباسيين، وقد تولّى هارون الرشيد الخلافة في ربيع الأول سنة١٧٠هـ واستمر يزيد بن حاتم والياً لأفريقيا الشمالية حتى وفاته بعاصمتها مدينة القيروان في رمضان سنة١٧٠هـ الموافق ٧٨٧م.

قال ابن الأثير: «مات يزيد بن حاتم في رمضان سنة١٧٠هـ وكانت ولايته خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر» ـ [ص٣٣/ ٥] ـ والمدة التي ذكرها ابن الأثير هي من تاريخ استقراره بمدينة القيروان، أما من تاريخ دخول يزيد بن حاتم أفريقيا وولايته عليها، فتكون ولايته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر، وتم دفنه بالقيروان في موكب مهيب.

الولاة بعد يزيد بن حاتم على أفريقيا

٥ ـ داود بن يزيد بن حاتم (١٧٠ ـ ١٧١هـ):

هو خامس الولاة اليمنيين لأفريقيا الشمالية في العصر العباسي، الأمير داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلَّب. جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«داود بن يزيد بن حاتم المهلَّبي: أمير، من الشجعان العقلاء، كان مع أبيه في أفريقيا واستخلفه أبوه عليها، فتولاها بعد وفاته سنة١٧٠هـ فأحسن تدبيرها». [ص٢٠٢].

وقال ابن الأثير في كتاب الكامل: «مات يزيد بن حاتم في رمضان سنة١٧٠هـ واستخلف ابنه داود على أفريقيا. . وانتقضت جبال باجة وخرج فيها الأباضية فسيّر إليهم داود جيشاً فظفر بهم الأباضية وهزموهم، فجهز إليهم داود جيشاً آخر فهزموا الأباضية وتبعهم الجيش فقتلوا منهم فأكثروا. وبقي داود أميراً إلى أن استعمل الرشيد عمه روح بن حاتم. وكانت إمارة داود تسعة أشهر» [ص٨٤/ ٥].

وقد انتهت ولاية داود في رجب سنة١٧١هـ ثم أصبح والياً لمصر سنة١٧٤ ـ ١٧٥هـ ثم ولَّاهُ الرشيد بلاد السند سنة١٨٤هـ فمكث داود والياً للسند حتى وفاته في خلافة المأمون سنة٢٠٥هـ الموافق ٨٢٠م.

* * *

٦ ـ رَوْح بن حاتم المهلَّبيّ (١٧١ ـ ١٧٤هـ):

هو سادس الولاة اليمنيين لأفريقيا الشمالية في العصر العباسي، الأمير روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلَّب. كان من كبار الأمراء بالعراق في خلافة أبي جعفر المنصور، ثم وُلِّي بلاد السند في خلافة المهدي بن المنصور سنة١٥٩ ـ ١٦١هـ. ثم ولَّاه المهديّ البصرة وأقاليمها (١٦٥ ـ ١٦٨هـ) وولَّاه الرشيد فلسطين (١٧٠ ـ ١٧١هـ) لذلك قال ابن الأثير: «كان روح بن حاتم أشهر بالشرق من يزيد بن حاتم، ويزيد أشهر بالغرب من روح». [ص٨٥/ ٥].

قال ابن خلدون: «لَمَّا بلغ الرشيد وفاة يزيد بن حاتم وكان أخوه رَوْح على فلسطين استقدمه وعزّاه في أخيه وولَّاه على أفريقيا فقَدِمها منتصف سنة إحدى وسبعين ومائة». [ص١٩٤/ ٤].

وذكر ابن الأثير أنه: «قال رَوْح بن حاتم: كنتُ عاملاً على فلسطين فأحضرني الرشيد فوصلتُ إليه فقال: أحسن اللَّهُ عزاءك في أخيك وقد وليتك مكانه لتحفظ صنائعه» قال ابن الأثير: «فسار رَوْح بن حاتم إلى أفريقيا فقَدِمها في رجب ١٧١هـ وكان داود بن يزيد على أفريقيا فَلَمَّا وصل عمه روح سار داود إلى الرشيد فاستعمله». [ص٨٥/ ٥].

قال ابن خلدون: «وكان يزيد بن حاتم قد أذلّ الخوارج ومَهَّدَ البلاد فكانت ساكنة أيام رَوْح بن حاتم» وكذلك قال ابن الأثير عن عهد روح بن حاتم بأفريقيا «لم تزل البلاد معه آمنة ساكنة من فتنة».

وفي رمضان سنة١٧٤هـ توفي الأمير رَوْح بن حاتم بمدينة القيروان، ودُفن إلى جانب قبر أخيه الأمير يزيد بن حاتم. قال ابن الأثير: «لَمَّا استعمل المنصور يزيد بن حاتم على أفريقيا استعمل أخاه رَوْحاً على السند فقيل له: يا أمير المؤمنين لقد باعدت ما بين قبريهما، فتوفي يزيد بالقيروان ثم وُلِّي رَوْح ـ أفريقيا ـ فتوفي بالقيروان ودُفن إلى جانب قبر أخيه يزيد، وكانت وفاته في رمضان سنة أربع وسبعين ومائة». ـ الموافق ٧٩١ ميلادية.

* * *

٧ ـ حبيب بن نصر المهلَّبيّ (١٧٤ ـ ١٧٦هـ):

هو الأمير حبيب بن نصر بن حبيب بن المُهلَّب. سابع الولاة اليمنيين لأفريقيا في العصر العباسي. وقد وقع التباس في الروايات، هل هو حبيب بن نصر؟ أم نصر بن حبيب؟

قال ابن خلدون: «مات رَوْح بن حاتم في رمضان ١٧٤هـ وكان الرشيد قد بعث بعهده سراً إلى نصر بن حبيب من قرابتهم فقام بالأمر بعد روح». ثم قال ابن خلدون نفسه: «لَمَّا توفي روح بن حاتم قام حبيب بن نصر مكانه». [ص١٩٤/ ٤].

وجاء في كتاب الجامع: «نصر بن حبيب المهلَّبي.. ولاَّهُ الرشيد أفريقيا سنة١٧٤هـ». [ص٦١٢].

وقال ابن الأثير: «إن الرشيد لما توفي روح استعمل بعده على أفريقيا نصر بن حبيب المهلَّبي» [ص٩٤/ ٥].

ويتبيَّن مما تقدم وجود التباس في هل هو نصر بن حبيب؟ أم حبيب بن نصر بن حبيب؟ ومن المفيد الإشارة هنا إلى ما يلي:

ـ كان حبيب بن المهلَّب من قادة جيش أبيه المهلَّب بن أبي صفرة لما ولَّاه

الخليفة عبد الملك بن مروان خُراسان سنة٧٨هـ فوجّه المهلّب من البصرة ابنه حبيباً إلى خراسان ثم سار المهلّب إليها وتولاها سنة٧٩هـ. قال الطبري: «وفي سنة٨٠هـ قطع المهلّب نهر بَلْخ فنزل على كشّ [منطقة كش]. . ووجّه المهلّب ابنه حبيباً إلى رَبِنجَن، فوافى صاحب بُخارى في أربعين ألفاً ـ [فحاربه حبيب] ـ فدعا رجل من المشْركين إلى المبارزة فبرز له جبلة غلام حبيب فقتل المشْرِك وحمل على جمعهم فقتل ثلاثة نفر ثم رجع ـ [ثم حمل حبيب بالعسكر عليهم] ـ ورجع العسكر ورجع العدو إلى بلادهم. ونزلت جماعة من العدو قريةً فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف فقاتلهم فظفر بهم فأحرقها، ورجع حبيب إلى أبيه» [ص٣/٨] ـ وذلك بعد أن أذعن صاحب بخارى للطاعة وأداء الجزية ـ ثم كان حبيب من قادة عهد أخيه يزيد بن المهلّب وله موقف مشهور حين وصل إلى هراة قوة من الجند الذين ثاروا على الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق فَلَمّا انهزموا لحقوا بمنطقة هراة وتغلبوا عليها سنة٨٣هـ فهزمهم يزيد بن المهلّب وأسر بعض قادتهم وكان منهم عبد الرحمن بن طلحة الطلحات الخزاعيّ اليماني، فكتب الحجاج إلى يزيد بأن يبعث إليه بأولئك الأسرى. قال الطبري: «لَمّا أراد يزيد بن المهلّب أن يوجّه الأسرى إلى الحجاج قال له أخوه حبيب: بأيّ وجه تنظر إلى اليمانية وقد بعثت ابن طلحة؟ فقال يزيد: هو الحجاج ولا يُتعرَّض له، فقال حبيب: وَطِّن نفسك على العزل ولا ترسل به. . فأطلقه يزيد بن المهلّب وأرسل بالباقين. فقال الفرزدق:

وَجَدَ ابنُ طلحةَ يَومَ لاقى قومه ... قحطانَ يومَ هَرَاة خيرَ المعْشَرِ»

ومكث يزيد بن المهلّب والياً بخراسان إلى سنة٨٥هـ بينما تولّى حبيب بن المهلّب إقليم كرمان (شرق إيران المتاخم للسند)، قال الطبري: «وفي سنة٨٦هـ عُزل حبيب بن المهلّب عن كرمان». [ص٦٠/٨] ـ فعاد حبيب إلى البصرة، ثم ولّاه الخليفة سليمان بن عبد الملك بلاد السند (باكستان) سنة٩٦ ـ ٩٩هـ. ومات في ثورة أخيه يزيد سنة١٠٢هـ.

ـ وكان نصر بن حبيب بن المهلّب قائد شرطة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب في عهد ولاية يزيد بن حاتم لمصر سنة١٤٣ ـ ١٥٢هـ «وعقد له يزيد بن حاتم على جند مصر يوم خرج القبط في سَخَا سنة١٥٠هـ، فبيّتهم القبط وأصيب نصر بطعنتين». ثم تعافى نصر بن حبيب واستمر قائداً لشرطة يزيد بن حاتم بمصر.

وكان أخوه حبيب بن حبيب بن المهلّب مع عمر بن حفص أمير أفريقيا (١٥١ ـ ١٥٣هـ) حيث ـ قال ابن الأثير ـ «أقام عمر بن حفص والأمور مستقيمة ثلاث سنين فسار إلى الزاب لبناء مدينة طبنة واستخلف على القيروان حبيب بن حبيب

المهلّبي فثار البربر (الأباضية) فخرج إليهم حبيب فَقُتل» ـ وكان ذلك في شعبان ١٥٣هـ.

ثم ولّي يزيد بن حاتم أفريقيا فدخلها نصر بن حبيب بن المهلّب معه حيث جاء في ترجمته بكتاب الجامع أنه «كان صاحب شرطة يزيد بن حاتم بمصر وأفريقيا». وقد مكث يزيد بن حاتم والياً لأفريقيا حتى وفاته سنة ١٧٠هـ.

ـ إن الذي وُلّي أفريقيا بعد روح بن حاتم هو حبيب بن نصر بن حبيب بن المهلّب، فقد ذكر ابن خلدون: إن الرشيد بعث بعهده إلى نصر بن حبيب فقام بالأمر بعد روح. ثم استدرك ابن خلدون وقال: «لَمَّا توفي روح بن حاتم قام حبيب بن نصر مكانه». وقال ابن الأثير: «إن الرشيد لما توفي رَوْح ـ في رمضان ١٧٤هـ ـ استعمل بعده على أفريقيا نصر بن حبيب المهلّبي». وقد مكث سنتين وثلاثة أشهر والياً وحُمدت سيرته. ثم ولّى الرشيد مكانه الفضل بن روح بن حاتم في محرم ١٧٧هـ، فانتهت بذلك ولاية نصر بن حبيب وعاد ـ غالباً ـ إلى البصرة.

وكان أخوه عبّاد بن حبيب من الشخصيات العلمية بالبصرة. قال أبو العباس المبرد: «قال عبّاد بن حبيب بن المهلّب:

إذا خَلَّةٌ نابتْ صديقَك فاغْتَنِمْ   مَرَمَّتَها فالدهرُ بالناس قُلَّبُ
وبادِرْ بمعروف إذا كنتَ قادراً،   زَوالَ اقْتِدارٍ أو غنىً عنك يُعْقِبُ»

* * *

٨ ـ الفَضْل بن رَوْح بن حاتم (١٧٧ ـ ١٧٨هـ):

هو ثامن الولاة اليمانيين لأفريقيا الشمالية في العصر العباسي. الأمير الفضل بن رَوْح بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب الأزدي أمير أفريقيا الشمالية سنة١٧٧ ـ ١٧٨هـ (٧٩٣ ـ ٧٩٤م).

قال ابن خلدون: «لَمَّا توفي رَوْح بن حاتم قام حبيب بن نصر مكانه، ثم سار الفضل بن روح إلى الرشيد فولاه على أفريقيا مكان أبيه فعاد إلى القيروان في محرم سنة سبع وسبعين ومائة». [ص١٩٤/ ٤].

وقال ابن الأثير: «كان الرشيد لما توفي روح استعمل بعده على أفريقيا حبيب بن نصر المهلّبي. فسار الفضل إلى الرشيد وخطب ولاية أفريقيا، فولّاه، فعاد إليها في المحرم سنة سبع وسبعين ومائة». [ص٩٤/ ٥].

وقد استقر الفضل بن روح بمدينة القيروان عاصمة أفريقيا الشمالية، وأقرّ العمال الأمراء بالمدن والأقاليم ومنهم العلاء بن سعيد المهلّبي أمير أرض الزاب

(الجزائر) وإبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي وكان عاملاً بالزاب وطبنة مع العلاء بن سعيد. وكان إسحاق بن محمود البربري كبير قبائل البربر بالمغرب هو العامل الأمير بتلك الجهات. فاستمر الهدوء والاستقرار في أغلب أفريقيا الشمالية باستثناء مدينة تونس الساحلية.

ـ قال ابن الأثير: «استعمل الفضل على مدينة تونس ابن أخيه المغيرة بن بشر بن روح ـ وكان غرّاً ـ فاستخفّ بالجند، وكان الفضل أيضاً قد أوحشهم وأساء السيرة معهم بسبب ميلهم إلى نصر بن حبيب الوالي قبله»، وكذلك قال ابن خلدون: «استعمل الفضل على تونس المغيرة ابن أخيه بشر بن روح وكان غلاماً غرّاً فاستخف بالجند، واستوحشوا من الفضل لما أساء فيهم السيرة وأخذهم بموالاة حبيب بن نصر، فاستعفى أهل تونس من المغيرة، فلم يستعفهم فانتقضوا..» (أهـ). وقال ابن الأثير: «اجتمع مَنْ بتونس ـ [مِن الجُند] ـ وكتبوا إلى الفضل يستعفون من ابن أخيه، فلم يجبهم عن كتابهم، فاجتمعوا على ترك طاعته. فقال لهم قائد من الخراسانية يقال له محمد ابن الفارسي: كل جماعة لا رئيس لها فهي إلى الهلاك أقرب فانظروا رجلاً يدبّر أمركم. قالوا: صدقت. فاتَّفَقُوا على تقديم قائد منهم يقال له عبد اللّٰه بن الجارود يعرف بعبدويه الأنباري فقدّمُوه عليهم وبايعوه على الطاعة وأخرجوا المغيرة عنهم..» [ص٩٥/ ٥].

وتتيح تلك النصوص إدراك عدم صواب ما جاء في كتاب الجامع بأن «الفضل بن روح بن حاتم.. استعمله الرشيد على أفريقيا سنة١٧٧هـ ولم يحسن السيرة في أهلها فنبذوا الطاعة وقاتلوه..». (أهـ) فالصواب هو أن الأمر يقتصر على معاملة الفضل بن روح لفرقة واحدة من الجيش وهم الجُند الخراسانيين والموالي.

ـ قال ابن خلدون: «فانتقضوا وقدّموا عليهم عبد اللّٰه بن الجارود وبايعوه على الطاعة وأخرجوا المغيرة ـ من مدينة تونس ـ وكتبوا إلى الفضل ـ (بالقيروان) ـ أن يولّي عليهم من أراد..» وقال ابن الأثير: «كتبوا إلى الفضل يقولون: إنّا لم نُخرج يداً عن طاعة ولكنه (المغيرة) أساء السيرة فأخرجناه، فولِّ علينا من نرضاه. فاستعمل عليهم ابن عمه عبد اللّٰه بن يزيد بن حاتم وسيّره إليهم. فَلَمَّا كان على مرحلة من تونس أرسل إليه ابن الجارود جماعة لينظروا في أي شيء قَدِم ولا يُحدثوا حدثاً إلا بأمر فساروا إليه وقال بعضهم لبعض: إن الفضل يخدعكم بولاية هذا ثم ينتقم منكم، فعدوا على عبد اللّٰه بن يزيد فقتلوه وأخذوا من معه من القوّاد أسارى». [ص٩٥/ ٥] ـ وقال ابن خلدون: «سار عبد اللّٰه بن يزيد إلى تونس ولَمَّا قاربها بعث ابن الجارود جماعة لتلقيه واستفهامه في أي شيء جاء، فعدوا عليه،

وقتلوه». [ص١٩٤/ ٤] ولم يكن معه قوّاد وإنما بعض المرافقين فأخذوهم أسارى. وكان ذلك في حوالي شهر جمادى الأولى سنة١٧٨هـ.

قال ابن الأثير: «فاضطر حينئذ عبد اللّه بن الجارود ومن معه إلى القيام والجد في إزالة الفضل، فتولّى ابن الفارسي الأمر» بينما قال ابن خلدون: «اضطر ابن الجارود إلى إظهار الخلاف، وتولّى كبر ذلك محمد بن الفارسي من قواد الخراسانية، وكتب إلى القوّاد والعمال في النواحي واستفسدهم على الفضل». قال ابن الأثير: «صار محمد بن الفارسي يكتب إلى كل قائد بأفريقيا ومتولّي مدينة يقول له: إنّا نظرنا في صنيع الفضل في بلاد [أو: في جُند] ـ أمير المؤمنين وسوء سيرته فلم يسعنا إلا الخروج عليه لنخرجه عنّا ثم نظرنا فلم نجد أحداً أولى بنصيحة أمير المؤمنين لبعد صوته وعطفه على جنده منك، فرأينا أن نجعل نفوسنا دونك فإن ظفرنا جعلناك أميرنا وكتبنا إلى أمير المؤمنين نسأله ولايتك، وإن كانت الأخرى لم يعلم أحد أننا أردناك، والسلام. فأفسد بهذا كافة الجُند على الفضل، وكثر الجمع عندهم». (أهـ)، وهم الجند الخراسانية والموالي غالباً.

في جمادى الثانية ١٧٨هـ وجّه الأمير الفضل بن روح عسكراً من القيروان لقتال ابن الجارود والذين معه من الجند بتونس. قال ابن الأثير: «سيّر إليهم الفضل عسكراً كثيراً فخرجوا إليه فقاتلوه فانهزم عسكره وعاد إلى القيروان منهزماً، وتبعهم أصحاب ابن الجارود فحاصروا القيروان يومهم ذلك. ثم فتح أهل القيروان الأبواب ودخل ابن الجارود وعسكره في جمادى الآخرة سنة١٧٨هـ وأخرج الفضل من القيروان ووكّل به وبمن معه من أهله من يوصلهم إلى قابس فساروا يومهم ثم ردَّهم ابن الجارود وقتل الفضل بن روح بن حاتم». وكذلك قال ابن خلدون: «كثر جموع ابن الجارود وخرج الفضل فانهزم ـ عسكره ـ واتّبعه ابن الجارود واقتحم عليه القيروان ووكّل به وبأهله من يوصلهم إلى قابس ثم ردّه من طريقه وقتله منتصف ١٧٨هـ» (أهـ).

وكان العلاء بن سعيد أميراً لإقليم الزاب فولّاه القادة والعمال العرب على أفريقيا بعد مقتل الفضل بن روح في منتصف سنة١٧٨هـ الموافق ٧٩٤م.

* * *

٩ ـ العلاء بن سعيد المهلّبي (١٧٨ ـ ١٧٩م):

هو تاسع الولاة اليمانيين لأفريقيا الشمالية في العصر العباسي العلاء بن سعيد المُهلّبي الأزدي. كان العلاء من القادة الذين دخلوا أفريقيا مع الأمير يزيد بن حاتم المهلّبيّ، وكان يزيد بن حاتم قد ولّى المخارق بن غفّار الطائي أرض الزاب

سنة١٥٥هـ. قال ابن الأثير: «. . وفي سنة١٦٤هـ انتقضت (قبيلة) ورفجومه بأرض الزاب وعليها أيوب الهواري، فسيّر إليهم يزيد عسكراً فالتقوا واقتتلوا فانهزموا وقُتِل المخارق بن غفار صاحب الزاب، وأمدّهم يزيد بن حاتم بعسكر كثير واستعمل عليهم العلاء بن سعيد المهلّبي ولقوا ورفجومه فاقتتلوا أشد قتال فانهزمت البربر وأيوب الهواري وقُتلوا بكل مكان، ولم يُقتل من الجند أحد. [ص٣٣/ ٥].

ومنذ ذلك الوقت ـ سنة١٦٤هـ ـ أصبح العلاء بن سعيد أميراً لأرض الزاب وما كان إليها من المناطق بالمغرب الأوسط (الجزائر) ولم يزل أميراً عليها إلى عهد ولاية الفضل بن روح بن حاتم لأفريقيا الشمالية ووقوع تمرّد ابن الجارود والجند الخراسانية وقيامهم بقتل الفضل بن روح في جمادى الثانية ١٧٨هـ. قال ابن خلدون: «ورجع ابن الجارود إلى تونس، وامتعض لقتل الفضل جماعة من الجند [العرب] مقدمهم مالك بن المنذر ووثبوا بالقيروان فملكوها. وسار إليهم ابن الجارود من تونس فقتل مالك بن المنذر وجماعة من أعيانهم، ولحق فلّهم بالأربس فقدّموا عليهم العلاء بن سعيد المهلّبي وعادوا إلى القيروان». [ص١٩٤/ ٤] وكذلك قال ابن الأثير: «. . فلحقوا بالأربس وقدّموا عليهم العلاء بن سعيد والي بلد الزاب وساروا إلى القيروان». [ص٩٥/ ٥].

وبتقديمهم العلاء بن سعيد المهلّبي عليهم أصبح العلاء أميراً لأفريقيا، اختاره العمال والقادة والجند العرب والبربر ـ في رجب ١٧٨هـ ـ وذلك في مواجهة ابن الجارود والذين معه من الجند الخراسانية الذين تغلبوا على القيروان والمناطق التابعة لها بتونس.

وسار العلاء بالجند العرب وقبائل البربر من الزاب ـ بالجزائر ـ نحو القيروان. وقد سلف قول ابن خلدون: إن الجُند قدموا عليهم العلاء بن سعيد المهلّبي وعادوا إلى القيروان. وقال ابن الأثير: «سار العلاء بن سعيد ومعه البربر إلى القيروان» [ص٩٥/ ٥]، فسيطر العلاء بن سعيد على الثغور حتى بلغ مشارف القيروان فرابط بها وتهيأ للتقدم إلى مدينة القيروان والقضاء على ابن الجارود والمتمردين في محرم ١٧٩هـ.

وعندئذ وصل الأمير هرثمة بن أعين إلى طرابلس، وكان هرثمة والياً لمصر. قال ابن خلدون: «ولّى الرشيد ـ على مصر ـ هرثمة بن أعين ثم أمره بالمسير إلى أفريقيا سلخ سنة١٧٨هـ». [ص٢٩٥/ ٤] ـ وقال ابن الأثير: «إن هارون الرشيد بلغه ما صنع ابن الجارود وإفساده أفريقيا فوجّه هرثمة بن أعين ومعه يحيى بن موسى لمحله عند أهل خراسان، وأمر أن يتقدم يحيى بن موسى فيتلطف بابن الجارود

ويستميله ليعاود الطاعة قبل وصول هرثمة. واتفق وصول يحيى بن موسى من عند الرشيد لما قصد العلاء بن سعيد ومن معه القيروان» (١) ـ فلما وصل الأمير هرثمة إلى طرابلس ـ وكما ذكر ابن خلدون ـ «بعث هرثمة إلى ابن الجارود يحيى بن موسى لتمحلة عند أهل خراسان ـ ويقال يقطين بن موسى ـ يرغبه في الطاعة، فأجابه بشرط الفراغ من العلاء بن سعيد». وقال ابن الأثير: «قدم يحيى بن موسى القيروان فجرى بينه وبين ابن الجارود كلام كثير فقال ابن الجارود: أنا على السمع والطاعة وقد قرب مني العلاء بن سعيد ومعه البربر فإن تركت القيروان وثب البربر فملكوها، ولكني أخرج إلى العلاء فإن ظفر بي فشأنكم والثغور وإن ظفرت به انتظرت قدوم هرثمة فأسلم إليه البلاد وأسير إلى أمير المؤمنين. وكان قصده المغالطة فإن ظفر بالعلاء منع هرثمة عن البلاد فعلم يحيى ذلك. وتوجه إلى هرثمة بطرابلس. أما العلاء بن سعيد المهلّبي فإنه لما علم الناس بقرب هرثمة منهم كثر جمعه وأقبلوا إليه من كل ناحية، وسار العلاء إلى ابن الجارود فعلم ابن الجارود إنه لا قوة له به فكتب إلى يحيى بن موسى يستدعيه ليسلم إليه القيروان فسار إليه في جند طرابلس في المحرم سنة ١٧٩هـ» [ص٩٥/٥].

قال ابن خلدون: «وخرج ابن الجارود من القيروان فراراً من العلاء بن سعيد المهلَّبي في محرم سنة ١٧٩هـ وتسابق العلاء ويقطين ـ أو يحيى بن موسى ـ إلى القيروان، فسبق إليها العلاء وملكها وفتك بأصحاب ابن الجارود ـ [وذلك في مستهل صفر] ـ ولحق ابن الجارود بهرثمة فبعث به إلى الرشيد، وكتب إليه يُعلمه: إن العلاء بن سعيد هو الذي أخرج ابن الجارود من القيروان. فأمره الرشيد بأن يبعث بالعلاء فبعث به ـ لما قَدِم هرثمة إلى القيروان في شهر ربيع الأول ـ وأحسن الرشيد إلى العلاء إلى أن توفي بمصر..» وقال ابن الأثير: «.. كتب الرشيد إلى هرثمة يأمره بإرسال العلاء إليه فسيّره فلما وصل لقيه صِلة كثيرة من الرشيد.. ولم يلبث العلاء بمصر إلاّ قليلاً حتى توفي».

* * *

١٠ ـ الأمير هرثمة بن أعين (١٧٩ ـ ١٨١هـ):

هو عاشر الولاة اليمانيين لأفريقيا الشمالية في العصر العباسي. الأمير أبو حاتم هرثمة بن أعين. جاء في ترجمة ابنه الأمير حاتم بكتاب الجامع ما يلي: «حاتم بن هرثمة بن أعين، من بني سريع الحضارمة: والٍ من القادة في الدولة العباسية. وَلِي شرطة مصر سنة ١٧٨هـ في ولاية أبيه عليها..» [ص١٤٨] ـ وقد انتقل أبوه الأمير

---

(١) تعريب المغرب ـ د. صالح محمد فياض ـ مقال بمجلة المؤرخ العربي ـ العدد ١٣ السنة ١٩٨٠م.

هرثمة بن أعين من مصر إلى أفريقيا وسار إليها فبلغ سنة ١٧٨هـ، فأقام بطرابلس حتى قضى العلاء بن سعيد المهلبي على تمرد ابن الجارود بالقيروان في منتصف صفر من سنة ١٧٩هـ ثم كتب إليه الرشيد بأن يبعث بالعلاء إليه، فتوجه إلى القيروان وبعث بالعلاء، وأقام بالقيروان والياً لأفريقيا.

قال ابن الأثير: «سار هرثمة إلى القيروان فقدمها في ربيع الأول سنة ١٧٩هـ فأمّن الناسَ وسكّنهم، وكان إبراهيم بن الأغلب بولاية الزاب فأكثر الهدية إلى هرثمة ولاطفه فولاه هرثمة ناحية من الزاب فحسن أثره فيها. وبَنَى هرثمة القصر الكبير بالمستنير سنة ١٨٠هـ وبنى سور مدينة طرابلس مما يلي البحر» [ص٩٦/ ج٥]

وفي أواسط سنة ١٨٠هـ انتقض عياض بن وهب الهواري (البربري) وكليب بن جميع الكلبي (اليماني) وجمعا الجموع، فسير إليهما هرثمة جيشاً ففرق جموعهما وقتل كثيراً من أصحابهما.

قال ابن الأثير: «ولما رأى هرثمة ما بأفريقيا من الاختلاف واصل كتبه إلى الرشيد يستعفي، فأمره بالقدوم عليه إلى العراق فسار عن أفريقيا في رمضان سنة ١٨١هـ فكانت ولايته سنتين ونصفاً». (أهـ) وقال ابن خلدون «لما رأى هرثمة كثرة الثوار والخلاف بأفريقيا استعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه ورجع إلى العراق لسنتين ونصف من ولايته، وبعث الرشيد على أفريقيا محمد بن مقاتل العكي فقدم القيروان في رمضان سنة ١٨١هـ».

١٩ ـ محمد بن مقاتل العكّي أمير أفريقيا (١٨١ ـ ١٨٤هـ):

هو الأمير محمد بن مقاتل بن حكيم العكّي، من قبيلة عك اليمانية في منطقة تهامة باليمن. قال الحسن الهمداني يذكر مناطق قبيلة عك بتهامة: «ذؤال المعقر والكدراء يسكنها خليط من عك والأشاعر، وباديتها جميعاً من عك. ثم المهجم وهي مدينة وادي سردد، وأكثر بواديها وشماليها لعك. ومور ـ وادي مور ـ وبه مدينة تسمى بلحة لعك، ومور أحد مشارب اليمن الكبار». [ص٧٤ ـ صفة جزيرة العرب]

وكان مقاتل بن حكيم العكي من كبار الأمراء القادة في تأسيس الخلافة العباسية، وولي الجزيرة الفراتية (١٣٦ ـ ١٣٧هـ) وقتل في فتنة عبد الله بن علي العباسي في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٣٧هـ.

قال ابن الأثير: «وفي سنة ١٨١هـ استعمل الرشيد على أفريقيا محمد بن مقاتل بن حكيم العكي لما استعفى منها هرثمة بن أعين. وكان محمد بن مقاتل هذا رضيع الرشيد، فقدم القيروان في أول رمضان فتسلمها، وعاد هرثمة إلى الرشيد» [ص١٠٣/

٥]ـ وقال ابن خلدون: «لَمَّا رأى هرثمة بن أعين كثرة الثوار والخلاف بأفريقيا استعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه. ثم بعث الرشيد على أفريقيا محمد بن مقاتل العكيّ، وكان رضيعه، فقَدِم القيروان في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة». [ص١٩٥/ ٤].

وكان محمد بن مقاتل العكيّ الحادي عشر من الولاة اليمانيين الذين حكموا أفريقيا الشمالية في العصر العباسي، وقد بدأ عهده في شهر رمضان سنة١٨١هـ واستقر بمدينة القيروان عاصمة أفريقيا الشمالية، وكان من أنباء عهده:

ـ في سنة١٨٢هـ قام مخلد بن مرّة الأزدي بمحاولة انقلاب عسكرية ضد الأمير محمد بن مقاتل العكّي بذريعة أنه سيىء السيرة. قال ابن الأثير: «لم يكن محمد بن مقاتل محمود السيرة فاختلف الجند عليه واتفقوا على تقديم مخلد بن مرّة الأزدي واجتمع إليه كثير من الجند والبربر وغيرهم، فسيّر إليه محمد بن مقاتل جيشاً فقاتلوه فانهزم مخلد واختفى في مسجد فأُخِذ وذُبح». (أهـ) وكذلك قال ابن خلدون: «كان محمد بن مقاتل مسيىء السيرة فاختلف عليه الجند وقدّموا مخلد ابن مرة الأزدي فبعث إليه العساكر فهُزم وقُتِل». (أهـ) ولم تذكر الرواية مكان تمرد ومقتل مخلد ابن مرّة الأزدي، وغالب الظن أنه كان بطرابلس الغرب (ليبيا) وانتهت محاولته بالفشل وعاد الاستقرار إلى ربوع أفريقيا الشمالية.

ـ وفي شعبان سنة١٨٣هـ تمرد تمّام بن تميم التميميّ عامل مدينة تونس الساحلية وهو بمثابة ابن عم إبراهيم بن الأغلب التميمي عامل الزاب (بالجزائر) وأخذ تمّام يجمع الجموع لمحاربة الأمير محمد بن مقاتل العكّي الذي يبدو أنه كتب بذلك إلى إبراهيم بن الأغلب عامل الزاب وأمره بالقدوم بعساكره لمواجهة تمرد ابن عمه تمام بتونس، ولكنه ما لبث أن زحف إلى القيروان في رمضان ١٨٣هـ. قال ابن الأثير: «خرج على محمد بن مقاتل بتونس تمام بن تميم التميمي في جمع كثير وساروا إلى القيروان في رمضان سنة ثلاث وثمانين وخرج إليه محمد بن مقاتل العكي في الذين معه فاقتتلوا بمنية الخيل فانهزم ابن العكي إلى القيروان». وقال ابن خلدون: «خرج بتونس تمام بن تميم التميمي سنة١٨٣ واجتمع إليه الناس وسار إلى القيروان فخرج إليه محمد بن مقاتل فانهزم أمامه ورجع إلى القيروان وتمام في اتّباعه إلى أن دخل عليه القيروان..» (أهـ) وكان ذلك في شهر رمضان مما يشير إلى أن الأمير محمد بن مقاتل أراد تجنيب مدينة القيروان وأهلها الحصار والحرب في الشهر الكريم، فأرسل إلى تمام يعرض عليه أن يخرج من القيروان إلى مدينة طرابلس وأن يدخل تَمّام القيروان ويؤمّنه ويُؤمّن جندها وأهلها. وكان محمد بن مقاتل يعلم أيضاً أن إبراهيم بن الأغلب التميمي لن

يلبث أن يصل بالعساكر من الزاب ويتولّى إخراج ومواجهة ابن عمه تمام.

قال ابن الأثير: «وسار تمام فدخل القيروان وأمَّنَ ابن العكّي على أن يخرج عن أفريقيا -[عن القيروان] - فسار في رمضان إلى طرابلس، فجمع إبراهيم بن الأغلب التميمي جمعاً كثيراً وسار إلى القيروان منكراً لما فعله تمام، فَلَمَّا قاربها سار عنها إلى تونس ودخل إبراهيم القيروان وكتب إلى محمد بن مقاتل - بطرابلس - يعلمه الخبر ويستدعيه، فعاد إلى القيروان». وكذلك قال ابن خلدون: «.. دخل تمام القيروان وأمَّنَ محمد بن مقاتل على أن يخرج عنها فسار محمد إلى طرابلس، وبلغ الخبر إلى إبراهيم بن الأغلب بمكانه من الزاب فانتقض لمحمد وسار بجموعه إلى القيروان وهرب تمام بين يديه إلى تونس، واستقدم محمد بن مقاتل من طرابلس وأعاده إلى إمارته بالقيروان آخر سنة ثلاث وثمانين ومائة».

ثم - في صفر ١٨٤هـ - «جمع تمام جمعاً وسار إلى القيروان ظناً منه أن الناس يساعدونه على قتال محمد بن مقاتل.. فقال إبراهيم بن الأغلب لمحمد بن مقاتل: الرأي أن أسير أنا ومن معي من أصحابي فنقاتله». - قال ابن خلدون: «.. فخرج إليه إبراهيم بأصحابه فهزمه وسار في اتّباعه إلى تونس واستأمن له تمام فأمَّنَه وجاء به إلى القيروان. وبعث (محمد بن مقاتل) به إلى بغداد فاعتقله الرشيد، واستوثق الأمر لمحمد بن مقاتل». وقال ابن الأثير: «استقر الأمر لمحمد بن مقاتل ببلاد أفريقيا».

قال ابن خلدون: «ولَمَّا استوثق الأمر لمحمد بن مقاتل - ببلاد أفريقيا - كره أهل البلاد ولايته، وداخلوا إبراهيم بن الأغلب في أن يطلب من الرشيد الولاية عليهم -**[الولاية على أفريقيا]** - فكتب إبراهيم إلى الرشيد في ذلك على أن يترك المائة ألف دينار التي كانت من مصر إلى أفريقيا. وعلى أن يحمل هو من أفريقيا أربعين ألفاً. وبلغ الرشيد غناؤه في ذلك واستشار أصحابه، فأشار هرثمة بولايته، فكتب له العهد على أفريقيا منتصف سنة١٨٤هـ فقام إبراهيم بالولاية وضبط الأمور، وقَفَل ابن مقاتل إلى المشرق». [ص١٩٦/ ٤].

وكان محمد بن مقاتل آخر الولاة الذين حكموا أفريقيا الشمالية (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب) جميعها، لأن بلاد المغرب الأوسط والأقصى انفصل بحكمها الأدارسة منذ سنة١٨٨هـ، وثار أهل طرابلس وأخرجوا عامل إبراهيم بن الأغلب فحاربهم إلى نهاية سنة١٨٩هـ ثم تحولت ولاية إبراهيم بن الأغلب فيما بعد إلى دولة الأغالبة بتونس.

وكانت مدة ولاية محمد بن مقاتل العكي لأفريقيا الشمالية نحو سنتين وعشرة أشهر، وذلك من رمضان سنة١٨١هـ إلى منتصف سنة١٨٤هـ الموافق ٨٠٠ ميلادية.

الولاة اليمانيون لأذربيجان وأرمينية والثغور الرومية في العصر العباسي

المبحث الأول

نبذة عن الولاة اليمانيين لأذربيجان وأرمينية وقادة الثغور قبل العصر العباسي

خارطة أذربيجان وأرمينية والثغور (جنوب تركيا).

افتتح العرب أذربيجان وأرمينية وتفليس (جورجيا) والثغور (جنوب تركيا) في سلسلة من الفتوح بدأت في خلافة عمر بن الخطاب وتواصلت في عصر الخلافة الأموية. وكان للأمراء والقادة اليمانيين دور كبير في فتح تلك البلدان، وفي نشر الإسلام في آفاقها، وكان من الولاة والأمراء اليمانيين في ذلك العصر:

١ ـ الأشعث بن قيس الكندي. فاتح وأمير أذربيجان (٢٢ ـ ٤٠هـ):

كان الزعيم اليماني الكبير الصحابي الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي ملكاً لمنطقة حضرموت باليمن وكان من كبار القادة الزعماء في فتوح العراق. قال الطبري: «قدم على سعد بن أبي وقاص بسيراف الأشعث بن قيس في ألف

وسبعمائة من أهل اليمن»[1]. وقال ابن خلدون: «سار سعد إلى سيراف فنزلها واجتمعت إليه العساكر ولحقه الأشعث بن قيس في ثلاثين ألفاً»[2]. وفي موقعة القادسية «قال الأشعث بن قيس: يا معشر العرب لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجرأ منكم على الموت ولا أسخى أنفساً عن الدنيا، تنافسوا ولا تجزعوا من القتل فإنه أماني الكرام ومنايا الشهداء»[1]. ثم تقدم الأشعث وبقية القادة والجيش العربي فهزموا العدو وتم النصر التاريخي بالقادسية.

قال البلاذري: «ووجه سعد بن أبي وقاص هاشم بن عتبة ومعه الأشعث بن قيس الكندي فَمَرَّ بالراذانات، وأتى دقوقا وخانيجار فغلب على ما هنالك وفتح كورة باجرمي إلى حدِّ شهرزور»[3]. وشهرزور ببلاد الموصل.

وفي سنة ٢٠ ـ ٢٢هـ اشترك عدد من القادة العرب في فتح منطقة من أذربيجان فقد ذكر البلاذري أنها فتحت بعد نهاوند على يد حذيفة بن اليمان. وذكر الطبري عن ابن إسحاق أنها فُتحت سنة٢٢هـ بإمارة المغيرة بن شعبة للكوفة. قال د. ناجي محسن: «عَقَدَ حذيفة صلحاً مع أهل أذربيجان دفعت بموجبه أذربيجان بعض ما عليها من تعهدات إلا أنها سرعان ما قاومت الحامية العسكرية التي تولاها الأشعث بن قيس الكندي..»[4]. قال البلاذري: «وروى ابن الكلبي: إن المغيرة بن شعبة غزا أذربيجان سنة٢٠هـ ففتحها ـ وصَالَحَ أهلها ـ ثم كفروا فغزاها الأشعث بن قيس ففتح حصن باجروان، وصالحهم على صلح المغيرة، ومضى صلح الأشعث حتى اليوم»[5].

وقد كان ما تم فتحه من أذربيجان آنذاك ـ سنة٢٠ ـ ٢٢هـ ـ في خلافة عمر بن الخطاب هو منطقة من أذربيجان صولح حاكمها المرزبان على ما صولح عليه، ورابطت فيها حامية عسكرية تُمثل السلطة العربية الإسلامية وكان الأشعث بن قيس هو أمير تلك الحامية. ثم انتقض مرزبان وأهل تلك المنطقة من أذربيجان سنة٢٥هـ ـ (في خلافة عثمان بن عفان وولاية الوليد بن عقبة للكوفة) ـ وقاوموا الحامية العسكرية التي كان أميرها الأشعث بن قيس ـ قال د. ناجي محسن ـ «فأمدّه والي الكوفة بجيش من الكوفة». وقال البلاذري والمدائني «غزا الوليد بن عقبة ـ

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٨٧ جـ ٤.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٢٩٤.

(٣) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٢٦٤.

(٤) القبائل العربية في المشرق ـ د. ناجي حسن ـ ص ١٧٠.

(٥) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٣٢٢.

والي الكوفة ـ أذربيجان سنة٢٥هـ ومعه الأشعث بن قيس.. فأغار على موقان والببر والطيلسان، وطلب أهل كُور أذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حُذيفة» قال البلاذري: «فَلَمَّا انصرف الوليدُ ولَّى الأشعثَ على أذربيجان، فانتقضت، فكتب إليه الأشعث يستمدّه، فأمدّه بجيش عظيم من أهل الكوفة، فتتبع الأشعثُ أذربيجان حاناً حاناً فافتتحها. والحان: الحائر في كلام أهل أذربيجان»[١].

والمقصود المنطقة أو الوحدة الإدارية. ولم يقتصر الأشعث على فتح المنطقة التي سبق مصالحة أهلها ثم انتقضت، وهي التي فيها حصن باجروان، وإنما اتخذ الأشعث حصن باجروان مقراً له ـ بصفته والي أذربيجان ـ ومضى إلى ما يليها من مناطق أذربيجان فافتتحها الواحدة بعد الأخرى. وقد بدأ الأشعث بفتح مناطق أذربيجان (الواقعة في إيران حالياً) ثم مناطق أذربيجان الواقعة في القوقاز (أرمينية قديماً). وأتم الأشعث فتح أذربيجان بقسميها حوالي سنة٣٠هـ وكان هو واليها جميعاً في خلافة عثمان بن عفان.

قال د. ناجي حسن: «استطاع الأشعث فتح أذربيجان منطقة بعد أخرى، وأسكن فيها ناساً من العرب وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام، وهو أول استيطان للعرب بإقليم أذربيجان»[٢] وقال البلاذري: «تتبع الأشعث بن قيس أذربيجان حاناً حاناً ففتحها وأسكنها ناساً من العرب من أهل العطاء والديوان وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام»[١]. وقال المسعودي: «كان الأشعث بن قيس عاملاً لعثمان بن عفان على أذربيجان وأرمينية»[٣] فمكث والياً عليها حتى وفاة عثمان بن عفان في ذي الحجة سنة٣٥هـ، وكذلك في خلافة علي بن أبي طالب سنة٣٦ ـ ٤٠ هجرية.

قال البلاذري: «وَلَّى عليّ بن أبي طالب الأشعثَ على أذربيجان فَلمّا قَدِمها وجَدَ أكثر أهلها قد أسلموا وقرؤوا القرآن. فأنزَلَ الأشعثُ ـ [أي أسكن] ـ في أردبيل جماعة من أهل العطاء والديوان من العرب، ومَصَّرَها، وبَنَى مسجدها»[٤]. وقال البلاذري في أنباء أرمينية: «وُلِّي الأشعث بن قيس لعلي بن أبي طالب أرمينية وأذربيجان»[٤] ومكث الأشعث بن قيس والياً عليها إلى نهاية خلافة علي بن أبي طالب سنة٤٠هـ. فكان الأشعث بن قيس هو فاتح وأمير أذربيجان ومؤسس عصرها العربي الإسلامي وناشر الإسلام بين أهلها في خلافة عمر وعثمان وعليّ رضي الله

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٣٢٢.
(٢) القبائل العربية في المشرق ـ د. ناجي حسن ـ ص ١٧٠.
(٣) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٢٨١ جـ ٢.
(٤) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٣٢٤ وص ٣٠٧.

عنهم وعنه فكانت ولايته نحو ١٨ سنة، ثم عاد إلى الكوفة، وتوفي بها حوالي سنة٤٢هـ.

* * *

٢ ـ عِيَاض بن غَنْم الأشعري فاتح وأمير أرمينية (١٩ ـ ٢٢هـ):

هو الصحابي عياض بن غَنْم الأشعري، من رجالات قبيلة الأشاعر بمنطقة تهامة باليمن (لواء الحديدة حالياً). وقد ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمة (عياض بن غنم الأشعري) أربعة أحاديث نبوية رواها عياض عن رسول اللّه ﷺ[1]. ثم انطلق عياض على رأس نحو ألف رجل من الأشاعر وتهامة إلى الشام في الفتوحات وكان قائد إحدى الكتائب في موقعة اليرموك[2] فشهد فتوح الشام مع أبي عبيدة بن الجراح. ثم كتب الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يوجّه عياضاً في ثمانية آلاف لفتح ديار بكر وربيعة الفَرَس وهي بلاد الجزيرة الفراتية ويقع قسم منها في جنوب تركيا حالياً، فانطلق عياض لفتحها. وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«عياض بن غَنْم الأشعري: صحابي، قائد، فاتح، أمَّرَه عمر بن الخطاب على جيش قوامه ثمانية آلاف مجاهد لفتح ديار بكر وربيعة الفَرَس، وقد ضمّ الجيش ألفاً من أجلّاء الصحابة»[2].

ودخل عياض أرض الجزيرة الفراتية وبدأ بفتح مناطقها سنة١٦هـ وولّاه عمر بن الخطاب عليها، وقد ذكر الطبري أنه: «في سنة١٦هـ كان عُمال عمر: على الشام أبو عبيدة، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص، وعلى الجزيرة عياض بن غنم الأشعري»[3]. وأتمّ عياض فتح الجزيرة وديار بكر سنة١٨هـ ثم تقدّم منها إلى بلاد أرمينية.

قال الإمام أبو عبد اللّه محمد بن عمر الواقدي: «نزل عياض بن غنم الأشعري ميافارقين ثم جمع الصحابة واستشارهم وقال لهم: إنّي عولتُ على المسير إلى ديار أرمينية وإلى أرزن الروم فأشيروا عليّ أي طريق نسلك؟.. فقام رجل من المعاهدين من أهل ديار بكر فقال: أيها الأمير أتأذن لي أن أتكلم؟ فقال عياض: مَنْ له رأي فليتكلم..»[4] فتكلم الرجل وذكر للأمير عياض أن يبدأ بفتح

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٥٠ جـ ٣.

(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٦٠٤ وص ٤٢٦.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٨٨ جـ ٤.

(٤) فتوح الشام ـ أبو عبد اللّه الواقدي ـ ص ١٠٤ ـ ١٠٨ جـ ٢.

حصنين في الطريق أحدهما حصن (لغوب) واسم صاحبه (يطالقون) وثانيهما (سوقاريا) وما جاوره من القلاع، فإذا فتحهما مضى إلى (أرزن). فقام الأمير عياض الأشعري بتقسيم جيشه إلى فرقتين، ووجّه الفرقة الأولى لفتح حصن لغوب، وسار عياض بالفرقة الثانية إلى سوقاريا، ففتحت الفرقتان حصن لغوب وسوقاريا والقلاع والمناطق التابعة لهما، وفرض عياض عليهم الجزية يؤدونها من العام القادم إلّا من أسلم فله ما لنا وعليه ما علينا.

وفي ربيع الأول سنة١٩هـ تقدم الأمير عياض بن غَنْم الأشعري بجيشه العربي الإسلامي إلى منطقة أرزن ومنطقة بدليس، وكان يحكم أرزن الملك درفشيل صاحب أرزن الروم فاستجاب للدخول في الطاعة وأداء الجزية فصالحه الأمير عياض على شروط المصالحة، فتم فتح أرزن صلحاً. . وبعث الأمير عياض القائد قيس بن مكشوح المرادي وعبد اللّه يوقَنَا ـ وكان راهباً فأسلم بالجزيرة ـ بعثهما إلى صاحب بدليس البطريق (سروند بولس) يدعوانه إلى ما أرسلهما به الأمير عياض إليه، فدخلا إلى حصنه وقصره، «فقال له عبد اللّه يوقنا ـ بالكلام الرومي ـ: إن أمير المسلمين عياض بن غَنْم الأشعري أرسلنا إليك ندعوك إلى توحيد اللّه ورسالة نبيّه، ولكم ما لنا وعليكم ما علينا، واعتبر بمن تقدّم من الملوك وأصحاب الأقاليم فقد أصبحوا هالكين. فقال البطريق: إنّي كنتُ أردتُ أن أُرسل إلى أميركم في طلب الصلح وأعطيه شيئاً معلوماً على أن أبقى على ديني ومَنْ أراد مِنْ أهل بلدي أن يدخل دينكم فلستُ أمنعه. ـ فأخبر يوقنا قيس بن مكشوح بكلام البطريق ـ ثم قال يوقنا للبطريق: كم يطيب قلبك أن تدفع في صلحك على بدليس وما تحت يدك من البلاد؟ فإننا إذا أمضينا لك الصلح فقد رضيت به العرب. فقال: أعطيهم مائة ألف دينار وخمسمائة زرد وألف فرس، على أن لا يُولّى على مملكتي غيري حتى أموت، وأن يكون أمري نافذاً في رعيتي، ومن أسلم يكون أمره من قِبَلكم وما يكون لي عليهم حكم. فقال له عبد اللّه يوقنا ـ [باسمه وباسم الصحابي قيس بن مكشوح المرادي] ـ أمضينا صلحك وأتممنا عهدك على ما ذكرت. .»[1] ثم أتى الأمير عياض والذين معه إلى بدليس، وأمضى الأمير عياض الصلح مع البطريق وأقام في بدليس شهراً، وقد اكتمل فتح ذلك الإقليم صلحاً.

ثم تقدّم الأمير عياض بن غَنْم الأشعري والصحابة والجيش الذي معه إلى إقليم أرمينية الذين منه «خلاط» قال البلاذري: «كانت شمشاط، وقاليقلا، وخلاط، وأرجيش، وباجنيس، تُدعى أرمينية الرابعة. . ويقال بل كانت شمشاط

(١) فتوح الشام ـ أبو عبد اللّه الواقدي ـ ص ١٠٤ ـ ١٠٨ جـ ٢.

وحدها أرمينية الرابعة، وكانت قاليقلا، وخلاط، وأرجيش، وباجنيس تُدعى أرمينية الثالثة». [ص١٩٧].

فبعث الأمير عياض وفداً من القادة الصحابة إلى ملك خلاط واسمه (يوسطيوس)، وكان الوفد ٣٥ من الصحابة، فيهم المقداد بن الأسود البهراني، وقيس بن مكشوح، والمسيب بن نجبة، وعمرو بن معدي كرب، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وحبيب بن مسلمة الفهري، وصفوان بن المعطل، وشرحبيل الكندي، ومعهم عبد اللّه يوقنا.. قال الواقدي: «.. فَلَمَّا وصلوا خلاط ونظرت إليهم الروم والأرمن قالوا: إنهم رُسُل، فأعلموا بذلك الملك وأنهم رسل العرب، فأمر بدخولهم، فأتتهم الحُجابُ إلى باب رومية فأدخلوهم وأخذوهم إلى دار الإمارة وأبلغوا الملك يوسطيوس فأُمر بحضورهم، فَلَمَّا توسطوا الدهليز أراد الحرس أن يأخذوا أسلحتهم، فقالوا: إنّا قومٌ لا نُسلم سيوفنا.. فدخل الحُجاب وأعلموا الملك بذلك، فقال: دعوهم يدخلون كيف شاؤوا.. فدخلوا فسلّموا عليه، فَلَمَّا استقر بهم الجلوس، قال لهم ترجمانه: بم أتيتم إلينا؟ فقال عبد اللّه يوقنا: إن أمير جيوش المسلمين بأرض بدليس ـ عياض بن غنْم الأشعري ـ قد بعثنا إليكم رسلاً ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً عبده ورسوله أو تؤدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فأعلم الترجمانُ الملكَ بما قاله يوقنا ـ وكان الترجمان بينهم لأن الملك أرمني لا يفهم إلا بلسان الأرمن ويوقنا كان رومياً لا يفهم لسانهم ـ فَلَمَّا أعلم الترجمانُ الملكَ غضب وقال: وحتى المسيح والإنجيل لا نعطيهم شيئاً ولا ندخل في دينهم حتى نموت عن آخرنا.. وقال لهم الملك: بيتوا عندنا الليلة وفي غد تنصرفون ـ بالجواب ـ وأمر بنزولهم في المكان الفلاني فخرجوا من عنده إلى المكان الذي أمر به فنزلوا به ينتظرون ما يكون». [ص١١٠/٢] ـ ويبعث الملك يوسطيوس من يومه إلى (باسلاغورس ملك المرج. وإلى دوفشيل صاحب أرزن، وإلى صاحب خوي وسلوس) بأن يقدموا إليه بعساكرهم ليكونوا يداً واحدة ويصدون العرب على أعقابهم.. وفي اليوم التالي أبلغ الملك يوسطيوس الوفد العربي (إنكم مكرمون عندنا، وقد رأينا في يوم عيدنا الأكبر ندبر أمرنا ـ بحضور ملوك وأصحاب بلادنا وبطارقتنا ـ فإما أن نصالحكم، وإما أن نقاتلكم» فمكث الوفد عنده بانتظار يوم العيد الأكبر.. قال ابن إسحاق: «لَمَّا وجّه عياض بن غنم الرُسل إلى ملك أرمينية وهي خلاط استبطأهم وساءت به الظنون، فارتحل بجيشه من بدليس ونزل بالمرج، ووجّه عيونه إلى خلاط، فغابوا أياماً، وعادوا إليه بخبر القوم».. وذلك إنهم اجتمعوا يوم عيدهم الأكبر وتعاهدوا جميعاً على قتال المسلمين وضربوا خيام عسكرهم بظاهر مدينة خلاط، فسار عياض

قاصداً مدينة خلاط. . وبينما هو في الطريق، وقعت فتنة بين الأرمن بمدينة خلاط، حيث اغتيل الملك يوسطيوس، وتولّت الحكم ابنته طاريون، واتهمها بعض الأمراء والبطارقة بقتل أبيها، وحشدوا لقتالها. وبقي معها خمسة آلاف من جيش أبيها، وبعثت إلى يوقنا والوفد العربي من القادة الصحابة فانضموا إلى جيشها، وبعثوا سعيد بن زيد بالخبر إلى الأمير عياض، فَحَثَّ المسير بالجيش إلى مدينة خلاط، (فأشرف عليهم وقت الظهر، وقد نشبت الحرب بين طاريون والذين معها من جهة وبين البطارقة والذين معهم من القادة والجند من جهة أخرى، وهم العدو. قال الواقدي: «فكبّر عياض ومن معه فارتجّت منهم تلك الأرض والجبال، وحملوا على العدو، فقاتلوا قتالاً شديداً، حتى انقشع الغبار، وقد انهزم العدو، وولّوا الأدبار». ـ فتم بذلك فتح مدينة وبلاد خلاط. وأسلمت الأميرة طاريون بنت الملك يوسطيوس، وكان زوجها أميراً بطريقاً اسمه (يرغون) فأصبح هو بطريق خلاط، بمعنى أمير خلاط ونائبها وليس بمعنى البطريرك (الديني المسيحي) وقد ذكر البلاذري: «أن عياض بن غنم أمَّنَ بطريق خلاط على نفسه وماله وبلاده، وقاطعه على أتاوة، وكتب له بذلك كتاباً»[1]. بينما ذكر الواقدي أنه أسلم مع زوجته طاريون، وقد يكون أسلم فيما بعد. وقد صالحه عياض على خلاط وأرجيش وباجنيس.

وبعث الأمير عياض عشرة رجال إلى دفشيل صاحب أرزن يدعونه هو وقومه إلى الإسلام «فأسلم دفشيل ثم طلب أكابر الناس ودعاهم إلى الإسلام، فأسلم من أسلم منهم، وبقي من بقي على النصرانية، على أن يؤدوا الجزية، وأقام العشرة يعلّمون الناس شرائع الإسلام والقرآن. وسَلّمَ صاحب أرزن القلاع والحصون التي كانت لأخلاط إلى المسلمين»[2].

قال الواقدي: «وبعث عياض إلى خوى وسلوس وما يلي تلك الأرض، فأسلم أهلها إلا القليل، وبعث من المسلمين رجالاً يعلمونهم الشرائع». ـ فقول الواقدي (وما يلي تلك الأرض) قد يكون المقصود أرض شمشاط ويقال لها أرمينية الرابعة. وقد ذكر ابن الأثير أنه: «لَمَّا فتح عياض شمشاط بعث حبيب بن مسلمة إلى ملطية ففتحها». وقال البلاذري: وجه عياض بن غنم حبيب بن مسلمة من شمشاط إلى ملطية ففتحها». [ص١٨٩].

وقد أتم عياض بن غنم فتح أرمينية وأرض أرزن الروم سنة٢١هـ ثم عاد منها ـ سنة٢٢هـ ـ إلى الجزيرة الفراتية.

---

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ١٨٠. (٢) فتوح الشام ـ الواقدي ـ ص ١١٢ جـ ٢.

قال الإمام أبو عبد اللّه الواقدي: «لَمَّا فتح اللّه أرمينية للمسلمين على يد عياض بن غنم الأشعري.. ارتحل عياض من أرمينية إلى الجزيرة.. وكتب إلى عمر بن الخطاب يقول: بسم اللّه الرحمن الرحيم. من عياض بن غنم الأشعري إلى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين. سلام اللّه عليك ورحمته وبركاته. أما بعد، فالحمد للّه الذي أيّد الإسلام بنصره وأدحض الشرك بقهره. فقد أوْرَدنا الأعداءَ موارد المهالك وضَيّقْنا عليهم المسالك، ولم يجدوا في الأرض نفقاً ولا في السماء مُرْتَقى، فأظهروا الجنوح إلى السلم، فأقررناهم على ذلك، ومنهم من أسلم وبايع. وقد نشر اللّه أعلامنا وأعزّ ديننا وقهر عدونا وأعلى كلمتنا وأظهر شريعتنا.. والسلام عليك وعلى جميع المسلمين»[١]. وقد توفي عياض بالشام بعد سنة٢٢هـ.

* * *

٣ ـ عُمَير بن سعد الأنصاري أمير الجزيرة والثغور (٢٠ ـ ٣٠هـ):

هو الصحابي الأمير عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان الأوسي الأزدي الأنصاري. قال الحافظ ابن حجر في ترجمته بكتاب الإصابة: «عُمير بن سعد.. قال البغوي في معجم الصحابة: كان يُقال له نسيج وحده.. وأخرج ابن عائذ أن عمر بن الخطاب هو الذي كان يسميه بذلك لإعجابه به.. ثم قال: صَحِبَ رسول اللّه ﷺ.. وقال البخاري وابن أبي حاتم: له صُحبة.. وشهد عمير بن سعد فتوح الشام.. وذكره ابن سميع في الطبقة الأولى ممن نزل حِمْص من الصحابة..»[٢].

وشهد عمير فتح الجزيرة الفراتية مع عياض بن غنم حيث امتنعت مدينة عين الوردة وهي رأس العين فتركها عياض وسار إلى أرمينية. قال البلاذري: «قال الواقدي: حدثني من سمع إسحاق بن أبي فروة يُحدث عن أبي وهب الجيشاني: إن عمر بن الخطاب كتب إلى عياض يأمره أن يوجّه عمير بن سعد إلى عين الوردة، فوجّهه إليها، فقَدّم الطلائع أمامه فأصابوا قوماً من الفلاحين وغنموا مواشي من مواشي العدو ثم إن أهل المدينة أغلقوا أبوابها ونصبوا العرادات عليها، فقُتل من المسلمين بالحجارة والسهام بشر، وطلع عليهم بطريق من بطارقتها فشتمهم وقال: لسنا كمن لقيتم»[٣].

وفي سنة٢٠هـ ولّى الخليفة عمر بن الخطاب الصحابي عمير بن سعد

---

(١) فتوح الشام ـ الواقدي ـ ص ١١٣ جـ ٢.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٣٢ جـ ٣.

(٣) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ١٨١.

الأنصاري الجزيرة الفراتية. قال البلاذري: «امتنعت رأس العين على عياض بن غنم ففتحها عمير بن سعد وهو والي عمر على الجزيرة بعد أن قَاتَل أهلُها المسلمين قتالاً شديداً فدخلها المسلمون عنوة، ثم صالحوهم بعد ذلك على أن دُفعت الأرض إلى المسلمين ووُضعت الجزية على أهلها على كل رأس أربعة دنانير ولم تُسب نساؤهم ولا أولادهم. قال ابن أبي منيع: وقد سمعتُ مشايخ من أهل رأس العين يذكرون أن عميراً لَمَّا دخلها قال لهم: لا بأس، لا بأس، إليّ إليّ، فكان ذلك أماناً لهم. وجلا خلق من أهل رأس العين - [أي من الروم الذين كانوا بها]- واعتمل المسلمون أراضيهم وازدرعوها بإقطاع.. وأخذ (عُمير) الزيت والخل والطعام (من أهلها) لمرفق المسلمين بالجزيرة مدة ثم خفف عنهم واقتصر بهم على ثمانية وأربعين درهماً وأربعة وعشرين واثني عشر، وكان على كل إنسان مع جزيته مُدًّا قمح وقسطان من زيت وقسطان من خل.

ولَمَّا فتح عمير بن سعد رأس العين سلك الخابور وما يليه حتى أتى قرقيسيا وقد نقض أهلها (الصلح الذي كان عياض صالحهم عليه) فصالحهم عمير على مثل صلحهم الأول. ثم سار إلى حصون الفرات حصناً حصناً ففتحها على ما فُتحت عليه قرقيسيا ولم يلق في شيء منها كثير قتال، وكان بعض أهلها ربما رموا بالحجارة. فَلَمَّا فرغ عمير من تلبس وعانة أتى النأوسة وألوسة وهيت، فوجد عمار بن ياسر وهو يومئذ عامل عمر بن الخطاب على الكوفة قد بعث جيشاً يستغزي ما فوق الأنبار عليه سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري وقد أتاه أهل هذه الحصون فطلبوا الأمان فأمَّنَهم واستثنى على أهل هيت نصف كنيستهم، فانصرف عمير إلى الرّقة» ـ وكان عمار بن ياسر والياً للكوفة سنة١٩ ـ ٢١هـ ويدل ذلك على أن فتح عمير بن سعد للمناطق المذكورة من بلاد الجزيرة الفراتية كان سنة٢٠هـ فقام بتوطيد السلطة فيها وعاد إلى مدينة الرَّقّة وهي بمثابة المدينة الرئيسية ـ العاصمة ـ لبلاد الجزيرة الفراتية. وكان عياض بن غنم لَمَّا فتح الرَّقة وضع الجزية على أهلها النصارى (على كل رجل منهم ديناراً في كل سنة). قال البلاذري: «ويقال: إن عياضاً ألزم كل حالم من أهل الرَّقّة أربعة دنانير، والثبت أن عمر بن الخطاب كتب بعد إلى عمير بن سعد وهو واليه: أنْ ألزِم كل امرىء منهم أربعة دنانير كما ألزم أهل الذهب». وقال: «بَنَى المساجد بديار بكر وربيعة عمير بن سعد». [ص١٨٢].

قال البلاذري: «ووجّه عمر بن الخطاب في سنة٢١هـ عمير بن سعد الأنصاري إلى بلاد الروم في جيش عظيم وولّاه الصائفة ـ وهي أول صائفة كانت ـ

وأمره أن يتلطف لجَبَلَة بن الأيهم ويستعطفه بالقرابة بينهما ويدعوه إلى الرجوع إلى بلاد الإسلام على أن يؤدي ما كان بذل من الصدقة ويقيم على دينه ـ إن شاء ـ فسار عمير بن سعد حتى دخل بلاد الروم، وعرض على جَبَلَة ما أمره عمر بعرضه عليه، فأبَى إلا المقام في بلاد الروم. وانتهى عمير ـ في تلك الغزوة ـ إلى موضع يعرف بالحمار، وهو واد، فأوقع بأهله ـ الروم ـ وأخربه، فقيل: أخرب من جوف حمار». [ص١٤٢/ فتوح البلدان].

وقال البلاذري في أنباء الثغور: «. . وقد اختلفوا في أول من قطع الدرب ـ إلى أرض الروم ـ وهو درب بغراس، فقال بعضهم: قطعه ميسرة بن مسروق العبسي. . وقال بعضهم: أول من قطع الدرب عمير بن سعد حين توجه في أمر جبلة بن الأيهم».

وفي سنة٢٢هـ سار عمير بن سعد إلى عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة للتشاور معه في أمور منها أمر عربسوس في الثغور المتصلة بأرض الروم. قال البلاذري: «وكان من أمرها أن عمير بن سعد قال لعمر بن الخطاب وقَدِم عليه: إنّ بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عربسوس وأنهم يخبرون عدونا بعوراتنا ولا يُظهِرُونَا على عورات عدونا. فقال عمر: خَيِّرهم أن تعطيهم مكان كل شاة شاتين ومكان كل بقرة بقرتين ومكان كل شيء شيئين فإذا رضوا بذلك فأعْطِهم إياه وأجْلِهم وأخْرِبها، فإن أبوا فانبذ إليهم وأجّلْهم سنة ثم أخْرِبها. فانتهى عمير إلى ذلك ـ [أيّ عَرَض عليهم ذلك بعد عودته من عند عمر] ـ فأبوا، فأجَّلَهم سنة ثم أخربها. . قال مخلد بن الحسين. . عَرَضَ عليهم ضعف ما لهم على أن يخرجوا منها أو مهلة سنة بعد نبذ عهدهم إليه، فأبوا الأولى، فأُنظِروا سنة ثم أُخْرِبت». [ص١٦١/ فتوح البلدان] ـ فيكون إجلاء أهل مدينة عربسوس وإخرابها سنة٢٣هـ.

وفي تلك الفترة أيضاً (سنة٢٢ ـ ٢٣هـ) قام الأمير عُمير بن سعد الأنصاري ببناء المساجد في مدائن بلاد الجزيرة الفراتية وثغورها الممتدة إلى أرمينية. وجاء في ترجمة عُمير بن سعد بكتاب الإصابة في تمييز الصحابة: «قال الواقدي: كان عمر بن الخطاب يقول: وددتُ أن لي رجالاً مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين. وأخرج ابن مندة بسند حسن عن عبد الرحمن بن عمير بن سعد قال، قال لي عبد اللّه بن عمر: ما كان بالشام أفضل من أبيك. قال ابن سعد (صاحب الطبقات) مات عمير بن سعد في خلافة عمر، وقال غيره: مات في خلافة عثمان». [ص٣٢/ ٣].

والأصوب أن عمير بن سعد استمر والياً للجزيرة الفراتية والثغور في أوائل

خلافة عثمان، وقد ذكر البلاذري في فتوح البلدان ما يلي نصه: «لَمَّا أُستُخلف عثمان بن عفان كتب إلى معاوية بولايته الشام وولَّى عمير بن سعد الأنصاري الجزيرة. ثم عزله، وجمع لمعاوية الشام والجزيرة وثغورهما». [ص١٨٨] ـ ويستفاد من ذلك أن عمير بن سعد استمر والياً لبلاد الجزيرة وثغورها إلى أرمينية فترة من خلافة عثمان وولاية معاوية للشام. وقد ذكر البلاذري في أنباء غزو معاوية لجزيرة قبرص في خلافة عثمان سنة٢٨هـ أنه: «غزا قبرص مع معاوية، أبو أيوب الأنصاري، وأبو الدرداء، وأبو ذر، وعبادة بن الصامت، وفضالة بن عبيد الأنصاري، وعمير بن سعد بن عُبيد الأنصاري.. والمقداد، وجبير بن نفير الحضرمي» [ص١٥٩] ويدل ذلك على أن عمير بن سعد كان ما يزال من الأمراء القادة سنة٢٨ ـ ٢٩هـ. وكان عبد اللَّه بن قيس الكندي أمير وقائد الأسطول البحري في ذلك الغزو والفتح لجزيرة قبرص. ولَمَّا عاد عمير بن سعد من قبرص أقام بمدينة حِمْص إلى أن مات فيها بعد سنة٣٠ هجرية.

* * *

٤ ـ سفيان بن عوف.. أمير الثغور والصوائف (٣٠ ـ ٥٣هـ):

هو القائد الصحابي سفيان بن عوف بن مغفل بن عوف الغامدي الأزدي. مِن رجالات منطقة السراة بأعالي اليمن الذين وفدوا إلى رسول اللَّه ﷺ وصحبوه سنة١٠هـ ثم عاد إلى منطقة السراة باليمن وانطلق منها إلى الشام في جيش الفتح العربي الإسلامي فشهد فتح الشام مع أبي عبيدة الجراح في خلافة عمر بن الخطاب واستقرَّ بها.

قال الحافظ ابن حجر في ترجمته بكتاب الإصابة في تمييز الصحابة: «سفيان بن عوف.. الغامدي الأزدي.. صحب النبيّ ﷺ. وكان له بأس ونجدة وسخاء.. قال ابن عساكر: شَهِد سفيان بن عوف فتح الشام. وبعثه أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب بكتاب.. واستعمله معاوية على الصوائف وكان يُعظمه..» [ص٥٧ جـ٢]. وجاء في ترجمته بكتاب الجامع: «سفيان بن عوف الغامدي الأزدي: قائد، صحابي، من الشجعان الأبطال.. ولَّاهُ معاوية الصائفتين: صائفة الغزو في الصيف، وصائفة القوم ومعناه مَيْر القوم في الصيف. فظفر واشتهر». [ص٢٤٠].

وقد تولَّى سفيان بن عوف قيادة وإمرة الثغور والصوائف إلى أرض الروم (تركيا) منذ ولاية معاوية للشام في خلافة عثمان بن عفان سنة٣٠هـ. قال البلاذري في فتوح البلدان: «إن سفيان بن عوف لَمَّا غزا الروم سنة٣٠هـ رحل من قِبَلِ

(منطقة) مرعش، فساح في بلاد الروم. وبنى معاوية مدينة مرعش وأسكنها جنداً». [ص٩٢].

وتواصلت قيادة سفيان بن عوف للصوائف في خلافة معاوية. قال ابن الأثير: «وفي سنة٤٩هـ سيّر معاوية جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم للغزاة وجعل عليهم سفيان بن عوف. وأمر معاوية ابنه يزيد بالغزاة معهم، فتثاقل واعتلّ، فأمسك عنه أبوه» [ص٢٢٧/ ٤ ـ الكامل] ـ وكان ذلك الجيش الكثيف الذي سار بقيادة الأمير سفيان بن عوف أكبر وأعظم جيش ولم يكن ذلك المسير من غزوات الصوائف وإنما كان أكبر مواجهة عسكرية في تاريخ الصراع مع الروم، وسار سفيان بن عوف بالجيش من الثغور واجتاح مدن ومعاقل الروم في تركيا الواحدة بعد الأخرى. وفي سنة٥٠هـ وصل إلى مشارف مدينة القسطنطينية (استنبول) عاصمة امبراطورية الروم وحاصرها. قال صاحب الجامع: «سار سفيان بن عوف إلى بلاد الروم فأوغل فيها إلى أن بلغ أبواب القسطنطينية» [ص٢٤٠] ـ وقال ابن الأثير: «أوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية». وقد دارت معارك كبيرة على مشارف القسطنطينية «وأقسم معاوية على ابنه يزيد ليلحقن بسفيان بن عوف في أرض الروم، فسار ومعه جمع كثير» وكذلك انضم إلى جيش سفيان بن عوف عدد كبير من الصحابة والقادة، ومات أبو أيوب الأنصاري عند القسطنطينية فدفن عند سورها. وجاء في كتاب الإصابة (إن سفيان بن عوف أغار على باب الذهب، حتى خرج أهل القسطنطينية فقالوا: واللّه ما ندري أخطأتم الحساب أم كذب الكتاب، فإنّا وأنتم نعلم أنها ستُفتح ولكن ليس هذا زمانها» ـ وقد امتنعت القسطنطينية فرجع الجيش إلى الشام.

قال الطبري وابن الأثير: «وفي سنة٥٢هـ. غزا سفيان بن عوف أرض الروم وشتى بها». ثم في سنة٥٣هـ قاد سفيان بن عوف آخر صوائفه إلى بلاد الروم حيث ـ كما جاء في ترجمته ـ «مات سفيان بن عوف في مكان يُسمى الرّنداق، ولَمّا بلغ الخليفة معاوية وفاته كتب إلى أمصار المسلمين وأجناد العرب ينعاه، فبكى عليه الناس في كل مسجد».

* * *

٥ ـ مالك بن عبد اللّه الخثعمي.. قائد السرايا وأمير الصوائف (٤٦ ـ ٨٠هـ):

هو الأمير القائد اليماني مالك بن عبد اللّه بن سنان الخثعمي. كان من رجالات قبيلة خثعم اليمنية الذين وفدوا إلى رسول اللّه ﷺ وصحبوه ثم عادوا إلى منطقتهم بالسراة في أعالي اليمن. ثم انطلق مالك مع فرسان بَجيلة وخثعم ومذحج

في جيوش الفتح إلى الشام، فشهد مالك موقعة اليرموك سنة١٥هـ وهو يومئذ شاب، وشهد فتوح دمشق وفلسطين واستقر بها. . قال الحافظ ابن حجر في ترجمته بكتاب الإصابة في تمييز الصحابة: «مالك بن عبد اللّه بن سنان بن سرح الخثعمي. قال البخاري وابن حِبان: له صُحبة. . وأخرج أحمد من طريق الشعيثي عن ليث بن المتوكل عن مالك بن عبد اللّه الخثعمي قال، قال رسول اللّه ﷺ: «مَنِ اغبرَّت قدماه في سبيل اللّه حرَّمه على النار. .» قال ابن حجر: «وكان يعرف بمالك السرايا. .» [ص٣٤٧/ ٣] وقال الحافظ ابن عبد البر في ترجمته بكتاب الاستيعاب «. . كان مالك بن عبد اللّه الخثعمي أميراً على الجيوش في خلافة معاوية وقبل ذلك». [ص٣٧٥/ ٣].

تولَّى مالك قيادة السرايا الحربية في ثغور الجزيرة الفراتية إلى أرمينية وفي ثغور الشام إلى أرض الروم منذ ولاية معاوية للشام في خلافة عمر وعثمان، ثم في خلافة معاوية وغزا أرض الروم (في وسط وغرب تركيا) سنة٤٦هـ وباسمه سميت (رهوة مالك) في تركيا. قال البلاذري في فتوح البلدان: «كان مالك بن عبد اللّه الخثعمي الذي يُقال له مالك الصوائف غزا بلاد الروم سنة٤٦هـ وغنم غنائم كثيرة، ثم قَفَلَ، فَلَمَّا كان من درب الحدث على خمسة عشر ميلاً بموضع يدعى الرهوة أقام فيها ثلاثاً فباع الغنائم وقَسَّم سهام الغنيمة فسميت تلك الرهوة رهوة مالك». [ص١٩٥].

وأصبح مالك أميراً للصوائف وتولَّى قيادة الصوائف بعد وفاة سفيان بن عوف ـ سنة٥٣هـ ـ واشتهر بلقب (مالك الصوائف) فقاد غزوات الصائفة إلى أرض الروم (في تركيا) حتى وفاة معاوية ـ سنة٦٠هـ ـ ثم في خلافة يزيد بن معاوية (٦٠ ـ ٦٤هـ) ثم في خلافة عبد الملك بن مروان. قال الحافظ ابن حجر في ترجمته بكتاب الإصابة: «. . كان مالك يلي الصوائف حتى عرفته الروم. قال عطية بن قيس: وُلِّي مالكٌ الصوائفَ زمن معاوية ثم يزيد ثم عبد الملك. ولَمَّا مات كسروا على قبره أربعين لواء» [ص٣٤٧/ ٣] وجاء في ترجمته بكتاب الجامع أنه: «مات غازياً في أرض الروم فكسَرَ المسلمون على قبره أربعين لواءً حِداداً عليه». ـ وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان، ربما سنة٨٠هـ.

* * *

٦ ـ عَدِيّ بن عَدِيّ الكِنْدي. . أمير أرمينية (٩٦ ـ ١٠١هـ):

هو الأمير الفقيه القاضي عَدِي بن عَدِي بن عَميرة بن فروة بن زرارة بن الأرقم الكِنْدي الحضرمي اليماني. كان أبوه عَدِي بن عَمِيرة الكندي صحابياً،

وشَهد الفتوحات، واستقر مع عشيرة بني الأرقم الكندية جميعها بمدينة الرُّهاء في الجزيرة الفراتية، ومات بها سنة٤٠هـ.. وفي بلاد الجزيرة تألق نجم ابنه عَدِي بن عَدِي بن عُميرة.. قال الحافظ ابن حجر في ترجمته بكتاب الإصابة: «عَديّ بن عدي بن عميرة الكندي سَيّدُ أهل الجزيرة.. وهو المراد بقول البخاري في صحيحه: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي.. وقال مَسْلَمَة بن عبد الملك: إن في كندة لثلاثةٌ ينزل اللَّه بهم الغيث فذكر فيهم عدي بن عدي بن عميرة الكندي» [ص١٦٥/ ٣]- وكان عدي بن عديّ من أعلام قادة الدولة بالجزيرة الفراتية في خلافة عبد الملك بن مروان وولاية أخيه محمد بن مروان للجزيرة الفراتية، فبالرغم مما جاء في ترجمة عدي بكتاب الجامعّ أنه «كان ناسكاً فقيهاً» فقد ساهم في التصدي لحركة الخوارج الصُفرية سنة٧٦ ـ ٧٧هـ. قال الحافظ ابن كثير: «في سنة٧٦هـ اجتمع الخوارج الصُّفرية فمالوا إلى دواب محمد بن مروان أمير الجزيرة فأخذوها فنفروا بها، وأقاموا بأرض دارا، وتحصن منهم أهل دارا ونصيبين وسنجار، فبعث إليهم محمد بن مروان عدي بن عدي بن عميرة في خمسمائة فارس ثم زاده خمسمائة أخرى، فسار في ألف فارس من مدينة حرّان إليهم». [ص١٢/ ٩ ـ البداية والنهاية]- ويدل ذلك على أنه كان من رجال الدولة.

وفي سنة٨٤ ـ ٩٦هـ ساهم عدي بن عدي في إعادة سلطة دولة الخلافة إلى أرمينية وتولّى القضاء بها. وكانت السلطة الإسلامية قد زالت من أرمينية منذ أيام فتنة ابن الزبير ـ سنة٦٤هـ ـ قال ابن كثير: «في سنة٨٤هـ غزا محمد بن مروان أرمينية فقتل منهم خلقاً وأحرق كنائسهم». وقال البلاذري: «لَمّا كانت فتنة ابن الزبير إنتقضت أرمينية وخالف أحرارهم وأتباعهم، فَلَمّا وُلِّي محمد بن مروان مِن قِبَلِ أخيه عبد الملك أرمينية حاربهم فظفر بهم فقتل وسبى وغلب على البلاد.. واجتمع ـ من بقي منهم ـ في كنائس من عمل خلاط فأغلقها عليهم وحرّقهم.. ويُقال: إن الذي جدد بناء برذعة محمد بن مروان في أيام عبد الملك. وقال الواقدي: بَنَى عبد الملك مدينة برذعة على يد حاتم بن النعمان الباهلي» [ص٢٩٧] ـ وأصبحت مدينة برذعة بالبيلقان عاصمة المسلمين بأرمينية. وكان محمد بن مروان هو الوالي على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان ولَمّا مات عبد الملك وتولّى الخلافة الوليد بن عبد الملك ـ سنة٨٦ هجرية ـ عزل محمد بن مروان وولّى مكانه أخاه مسلمة بن عبد الملك وهو الذي قال: «إنّ في كندة ثلاثةٌ ينزل اللَّه بهم الغيث، منهم عديّ بن عديّ الكندي» قال ابن كثير: «وفي سنة٩١هـ غزا مَسْلمة بن عبد الملك بلاد الخزر حتى بلغ مدينة الباب من ناحية أذربيجان ففتح مدائناً

وحصوناً كثيرة» [ص٨١ جـ٩] ـ وجاء في ترجمة عَدِي بن عدي الكندي أنه «ولّاه سليمان بن عبد الملك قضاء الجزيرة وأرمينية وأذربيجان» والأصوب أن الذي ولّاهُ مسلمة بن عبد الملك لأنه كان الوالي عليها. وكان سليمان في تلك الفترة (٨٦ ـ ٩٦هـ) ولياً لعهد الخليفة الوليد بن عبد الملك وقد يكون توليته القضاء بمشورة سليمان. ثم مات الوليد سنة٩٦هـ وتولّى الخلافة سليمان بن عبد الملك.

وفي سنة٩٦ ـ ٩٩هـ أصبح عدي بن عدي والياً لأرمينية. قال البلاذري: «ولّى سليمان بن عبد الملك أرمينية عديّ بن عَدِي بن عَميرة الكندي» [ص٢٠٨] ومكث عدي والياً لأرمينية إلى وفاة سليمان واستخلاف عمر بن عبد العزيز سنة٩٩هـ.

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١هـ) كان عَدِي بن عَدِي هو الوالي على أرمينية حيث قال البلاذري: «ثم ولّاهُ إياها عمر بن عبد العزيز، وهو صاحب نهر عَدِي بالبيلقان». [ص٢٠٨] ـ ونهر عدي هو نهر فرعي شَقّه الأمير عدي بن عدي في البيلقان بأرمينية في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة١٠٠هـ وكانت مدينة برذعة بالبيلقان عاصمة الولاية ومقر الوالي عدي بن عدي الكندي ـ قال الحافظ ابن حجر في ترجمة عدي بكتاب الإصابة ـ «استعمله عمر بن عبد العزيز. وهو المراد بقول البخاري في الإيمان من صحيحه: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي». [ص١٦٥/ ٣] ـ وقد كتب عمر بن عبد العزيز ذلك الكتاب إلى عدي سنة١٠١هـ ـ قال الحافظ ابن كثير: «قال البخاري في صحيحه، كَتَبَ عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً مَنْ استكملها استكمل الإيمان فإنْ أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها وإنْ أمُت فما أنا على صحبتكم بحريص». ثم ما لبث أن مات عمر في رجب سنة١٠١هـ فانتهت ولاية عدي لأرمينية. ومات بالجزيرة سنة١٢٠هـ.

* * *

٧ ـ معلّق بن صَفّار البهراني ـ أمير أرمينية (١٠١ ـ ١٠٣هـ):

هو الأمير مُعَلّق بن صفار البهراني القضاعيّ الحِميري. من بني بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير. قال الشاعر:

بَـلِـيٌ وبَـهْـرَاءُ وخـولانُ إخـوة   لعمرو ابن حافٍ فرعُ مَنْ قد تَفَرعا

كان معلّق بن صفار من الشخصيات القيادية، ولَمّا توفي الخليفة عمر بن عبد العزيز وتولّى الخلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان في رجب سنة١٠١هـ كان عدي بن عدي الكندي والياً لأرمينية، قال البلاذري: «ثم ولّى يزيد بن عبد الملك

معلّق بن صفار البهراني، ثم عزله. وولّى الحارث بن عمرو الطائي فغزا أهل اللكز. ففتح رستاق حسمدان» [ص٢٠٨] ـ ولم يذكر البلاذري زمن انتهاء ولاية البهراني ـ. وقال ابن الأثير: «في سنة١٠٣هـ أغارت الترك على اللان» ـ يعني إقليم اللان في أرمينية الأولى والذين أغاروا هُم الترك الخزر الذين بأعالي القوقاز ـ ثم قال: «في سنة١٠٣هـ دخل جيش للمسلمين بلاد الخزر من أرمينية وعليهم ثُبيت البهراني، فاجتمعت الخزر في جمع كثير وأعانهم قفجاق وغيرهم من أنواع الترك، فلقوا المسلمين في مكان يُعرف بمرج الحجارة فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتِل من المسلمين بشر كثير واحتوت الخزر على معسكرهم وغنموا ما فيه. وأقْبَلَ المنهزمون [يعني القادة] إلى الشام فقَدِموا على يزيد بن عبد الملك وفيهم ثُبيت، فوبخهم يزيد على الهزيمة، فقال ثُبيت: يا أمير المؤمنين ما جبنتُ ولا نكبتُ عن لقاء العدو، ولقد لصقتُ الخيلَ بالخيل والرجُلَ بالرجلِ ولقد طاعنتُ حتى انقطع سيفي غير أن اللَّه تبارك وتعالى يفعل ما يريد». [ص١٨٦/ ٤ ـ الكامل].

إن ثُبيت البهرانيّ هذا قد يكون هو نفسه مُعَلّق بن صَفّار البهراني فقد يكون لقبه (ثُبيت) واسمه (مُعلق) وقد يكون اسمه (ثبيت) واشتهر بلقب (مُعلق)، وقد يكونا أخويْن أحدهما قائد الجيش (ثُبيت) في ولاية أخيه (مُعلق) لأرمينية. ونستنتج من ذلك أن عزل مُعلّق بن صفار البهراني من ولاية أرمينية كان سنة١٠٣هـ. قال ابن الأثير: «لَمَّا تمت الهزيمة المذكورة على المسلمين طمع الخزر في البلاد فجمعوا وحشدوا واستعمل يزيد بن عبد الملك الجَرّاح بن عبد اللَّه الحكمي حينئذ على أرمينية» بينما يدل نص البلاذري على أن الجرّاح تولّى بعد الحارث الطائي حيث قال البلاذري: «ولّى يزيد بن عبد الملك معلّق بن صفار البهراني ثم عزله وولّى الحارث بن عمرو الطائي فغزا اللكز ففتح رستاق حسمدان. وولّى الجراح بن عبد اللَّه الحكمي. .» فيكون الطائي هو الذي تولّى بعد البهراني.

* * *

٨ ـ الحارث بن عمرو الطائي. . أمير أذربيجان وأرمينية (١٠٣/ ١٠٧ ـ ١١٠هـ):

«الحارث بن عمرو الطائي: والٍ من القادة. وُلِّي إمرة البلقاء في خلافة عمر بن عبد العزيز. ثم وُلِّي أرمينية. .» [ص١٥٠/ الجامع].

وقد تولّى الحارث بلاد أرمينية مرتين: المرة الأولى في خلافة يزيد بن عبد الملك بعد معلق البهراني سنة١٠٣هـ ـ حيث ذكر البلاذري أنه: «وُلِّي الحارث بن عمرو الطائي أرمينية فغزا أهل اللكز ففتح رستاق حسمدان». [ص٢٠٨ ـ الفتوح].

ثم إن الخزر أغاروا على منطقة اللان وطمعوا في البلاد فجمعوا وحشدوا جموعاً كثيرة لغزو الأقاليم الإسلامية في أرمينية وبقية أقاليم القوقاز، وانتقضت بعض المناطق الداخلية التي يؤدي أهلها الجزية، ولَمّا بلغ الخليفة يزيد بن عبد الملك خطورة الأوضاع ـ وربما كتب إليه الحارث بذلك ـ قام بتولية الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي وضمّ إليه جيشاً فسار الجرّاح وتولاها في أواخر سنة١٠٣هـ وبذلك انتهت الولاية الأولى للحارث بن عمرو الطائي. وبات الحارث من نواب وعُمال الجرّاح بتلك البلاد ـ وربما بأذربيجان بالذات ـ ومكث الجرّاح والياً حتى سنة١٠٧هـ. وكان هشام بن عبد الملك قد تولّى الخلافة سنة١٠٥هـ وأقرّ ولاية الجرّاح لأرمينية وأذربيجان وقام بتولية مسلمة بن عبد الملك على الجزيرة الفراتية. ثم في سنة١٠٧هـ جمع هشام ولاية الجزيرة وأذربيجان وأرمينية لمَسْلَمة بن عبد الملك وعزل الجرّاح، فولّى مسلمة الحارث بن عمرو الطائي على أذربيجان وأرمينية وهي ولايته الثانية.

قال ابن الأثير: «في سنة١٠٧هـ عزل هشامُ الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي عن أرمينية وأذربيجان واستعمل عليها أخوه مَسْلمة بن عبد الملك فاستعمل مسلمة على أذربيجان وأرمينية الحارث بن عمرو الطائي.. وفي سنة١٠٨هـ سار ابن خاقان ملك الترك (الخزر) إلى أذربيجان فحصر بعض مدنها فسار إليه الحارث بن عمرو الطائي فالتقوا فاقتتلوا فانهزم الترك، وتبعهم الحارث حتى عبر نهر الرُس. ثم عاد إليه ابن خاقان فعاود الحرب، فانهزم ابن خاقان، وقُتِل من التُرك خلقٌ كثير». [ص١٩٩/ ٤ ـ الكامل] ـ وقال الحافظ ابن كثير: «في سنة١٠٨هـ زحف خاقان ملك الترك (الخزر) إلى أذربيجان وحاصر مدينة ورثان ورماها بالمجانيق، فسار إليه أميرها الحارث بن عمرو نائب مسلمة بن عبد الملك فالتقى مع خاقان فهزمه وقُتِل من جيشه خلق كثير وهرب الخاقان..» [ص٢٥٦/ ٩ ـ البداية والنهاية].

وفي سنة١٠٩ ـ ١١٠هـ غزا الحارث الطائي مع مُسْلمة بن عبد الملك. قال ابن الأثير: «في سنة١٠٩هـ ـ غزا مسلمة بن عبد الملك التُرْك، فغنم وسبى وعاد سالماً. ثم غزا إلى باب اللان فلقي خاقان في جموعه فاقتتلوا قريباً من شهر. وأصابهم مطر شديد، فانصرف خاقان، ورجع مَسْلمة. ثم غزت الترك إلى أذربيجان فلقيهم الحارث بن عمرو فهزمهم». [ص٢٠٧/ ٤].

وكان الغزو الخزري الأخير الذي صدّه الحارث بعد رجوع مَسْلمة إلى الجزيرة سنة١١٠هـ فهزمهم الحارث، ثم عاودوا الغزو مع ملكهم خاقان ـ أو ابن خاقان ـ فهزمهم الحارث وهرب خاقان فلحقهم الحارث. وجاء في ترجمته بكتاب

الجامع أنه «أغار عليه الترك سنة١١١هـ فهزمهم بعد قتال شديد واستباح عسكرهم» ـ قال ابن كثير: «وقُتِل الحارث شهيداً». قال ابن الأثير: «استعمل هشام ـ سنة١١١هـ ـ الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي على أرمينية وعزل أخاه مَسْلمة» [ص٢٠٧/ ٤] وبذلك عاد الجرّاح والياً لأرمينية وأذربيجان بعد استشهاد الحارث بن عمرو الطائي.

* * *

٩ ـ الجرّاح بن عبد اللّه الحَكَميّ. . أمير أرمينية وأذربيجان (١٠٤ ـ ١٠٧هـ/ ١١١ ـ ١١٢هـ):

هو الأمير اليماني الفاتح الجرّاح بن عبد اللّه بن جُعَادة بن أفلح بن الحارث الحكمي المذحجي. قال نشوان بن سعيد الحميري في شمس العلوم: «حَكَم: حيٌّ من اليمن من مذحج. وهُم ولد حكم بن سعد العشيرة من مذحج». [ص٥٤/ جـ١] وديار حكم منطقة وادي مور في تهامة ـ لواء الحديدة ـ باليمن. ومنها انطلق فرسان حكم إلى ميادين الفتوحات واستقرت فرقة منهم في دمشق والشام. وكان منهم عبد اللّه بن جعادة الحكمي، والد الجراح. فنشأ الجراح بمدينة دمشق وتولّى العديد من المناصب الإدارية والقيادية، وأصبح أميراً للبصرة سنة٨٦ ـ ٩٦هـ في خلافة الوليد بن عبد الملك، ثم نائباً ليزيد بن المهلّب أمير العراق (٩٦ ـ ٩٩هـ) ثم والياً لخراسان سنة٩٩ ـ ١٠٠هـ في خلافة عمر بن عبد العزيز ثم أميراً لإقليم كرمان في أوائل خلافة يزيد بن عبد الملك وعاد إلى الشام سنة١٠٢هـ ثم ولّاه يزيد بن عبد الملك أرمينية وأذربيجان بعد الأمير معلّق بن صفّار البهراني والأمير الحارث بن عمرو الطائي حين غزا الترك (الخزر) إقليم اللان في أواخر سنة٢٠٣ هجرية.

وفي أوائل سنة١٠٤هـ (الموافق ٧٢٣م) دخل الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي بلاد أرمينية وأذربيجان (القوقاز) في جيش عربي إسلامي من جند الشام والجزيرة الفراتية ـ غالبيتهم من اليمانية ـ وكان جيش ملك الخزر يحاصر بعض الأقاليم الإسلامية فَلَمّا دخل الجرّاح تلك البلاد تقهقروا منها. قال ابن الأثير: «سار الجرّاح بجيش كثيف، وتسامع الخزرُ به فعادوا حتى نزلوا بالباب والأبواب. ووصل الجرّاح إلى برذعة فأقام حتى استراح هو ومن معه». [ص١٨٧/ ٤].

وكانت مدينة برذعة في البيلقان بأرمينية هي عاصمة الولاية والسلطة العربية الإسلامية ببلاد أرمينية، فتسلّم الجرّاح مقاليد الحكم ـ (من الحارث بن عمرو الطائي) ـ وقام بعمل شيء هام تناقلته الأجيال حيث قال البلاذري:

«وُلِّيَ الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي من مذحج أرمينية، فنزل برذعة، فرُفع إليه اختلاف مكاييلها، فأقامها على العدل والوفاء، واتخذ مكيالاً يُدعى الجراحي، فأهلها يتعاملون به حتى اليوم». [ص٢٠٨].

وفي حوالي شهر صفر سنة١٠٤هـ سار الأمير الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي لفتح أرض شروان ومدينة الباب والأبواب وهي من بلاد جبل القوقاز وتطل على بحر قزوين. وكان بحر قزوين يُسمى (بحر الخزر) وجبل القوقاز يُسمى (جبل القبخ). قال المسعودي في مروج الذهب: «أما جبل القبخ، فهو جبل عظيم، وصقعه صقع جليل، قد اشتمل على كثير من الممالك والأمم، وفي هذا الجبل اثنتان وسبعون أُمة. وهذا الجبل ذو شِعاب وأودية، ومدينة الباب والأبواب على شعب من شعابه، بناها أنوشروان وجعلها بينه وبين بحر الخزر وجعل سُورَها من جوف البحر على قدر ميل منه ماداً إلى البحر ثم على جبل القبخ ماداً في أعاليه ومنخفضاته وشِعابه نحواً من أربعين فرسخاً، وكان على كل ثلاثة أميال من السور باباً من حديد، وعند كل باب من الأبواب أمة ترعى ذلك الباب وما يليه من السور ليدفعوا أذى الأمم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللّان والسرير وغيرهم من أنواع الترك. وجبل القبخ يكون في المسافة طولاً وعرضاً نحواً من شهرين بل وأكثر.. وكانت مدينة الباب والأبواب والبقاع والمواضع التابعة لها يُقال لها (أرض) شروان..» [ص١٧٦/ ١].

وكان مسلمة بن عبد الملك قد غزا بلاد الباب والأبواب في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة٩١هـ ثم سيطر عليها الخزرُ والذين معهم حتى قدوم الجراح بن عبد اللّه الحكمي والياً لأرمينية وأذربيجان سنة١٠٤هـ، فتجمع الخزر بالباب والأبواب، قال ابن الأثير: «سار الجراح نحو الخزر، فعبر نهر الكرّ، فسمع بأن بعض من معه من أهل تلك الجبال قد كاتب ملك الخزر يخبره بمسير الجرّاح إليه، فحينئذ أمر الجرّاح مناديه فنادى في الناس: إن الأمير مقيم ههنا، فاسْتَكْثِرُوا من الميرة [أي الطعام والمؤن] فكتب ذلك الرجل إلى ملك الخزر يُخبره أن الجرّاح مُقيمٌ ويشير عليه بترك الحركة لئلا يطمع المسلمون فيه، فَلَمَّا كان الليل أمر الجرّاح جيشه بالرحيل، فسار مُجدّاً حتى انتهى إلى الباب والأبواب فدخل البلد وبثّ سراياه بالغارة على ما يجاوره». [ص١٨٧/ ٤ ـ الكامل].

وبعد أن فتح الجرّاح الباب والأبواب ـ وهي دربند ـ سار منها إلى أرض مملكة خيزان ـ الخزرية ـ قال المسعودي في مروج الذهب: «ويُبادي أهل الباب والأبواب مملكة يقال لها خيزان، وهذه الأمة داخلة في جملة ملوك الخزر، وقد

كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يُقال لها سمندر..» [ص١٧٨/ ١] ـ وكان ملك الخزر يقال له خاقان ـ. قال البلاذري: «ثم إن الجرّاح عَبَرَ نهر الكرّ، وسار حتى قطع النهر المعروف بالسمور وصار إلى الخزر فقتل منهم مقتلة عظيمة». وقال ابن الأثير: «سار الخزر إلى الجرّاح وعليهم ابن ملكهم فالتقوا عند نهر الران واقتتلوا قتالاً شديداً، وحرّض الجرّاح أصحابه واشتد القتال فظفروا بالخزر وهزموهم، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فقُتِل منهم خلقٌ كثير، وغنم المسلمون جميع ما معهم. ثم سار المسلمون حتى نزلوا على حصن يعرف بالحصين فنزل أهله بالأمان على مال يحملونه، فأجابهم الجراح، ونقلهم عنها» [ص١٨٨/ ٤] وقال البلاذري: «قَاتَل الجرّاحُ أهل بلاد حمزين ثم صالحهم على أن نقلهم إلى رستاق خيزان وجعل لهم قريتين منه». [ص٢٠٨] قال ابن الأثير: «ثم سار الجرّاح إلى مدينة يرقوا، فأقام عليها ستة أيام وهو مُجِدٌّ في قتالهم، فطلبوا الأمان، فأمَّنَهم، وتسلم حصنهم، ونقلهم منه». [ص١٨٨/ ٤].

وفي شهر ربيع سنة١٠٤هـ سار الأمير الجرّاح بجند الإسلام إلى حصن بلنجر وهو أمنع حصون بلاد الخزر في القوقاز حيث كما ذكر ابن الأثير: «سار الجراح إلى بلنجر وهو حصن مشهور من حصونهم، فنَازَله، وكان أهل الحصن قد جمعوا ثلاثمائة عجلة فشدّوا بعضها إلى بعض وجعلوها حول حصنهم ليحتموا بها وتَمْنَعَ المسلمين من الوصول إلى الحصن، وكانت تلك العجل أشد شيء على المسلمين في قتالهم فَلَمَّا رأوا الضرر الذي عليهم منها، انتدب ـ الجرّاح ـ جماعة منهم نحو ثلاثين رجلاً وتعاهدوا على الموت وكسروا أجفان سيوفهم وحملوا حملة رجل واحد وتقدموا نحو العِجل، وجَدّ الكفار في قتالهم ورموا من النشاب ما كان يحجب الشمس فلم يرجع أولئك حتى وصلوا إلى العجل وتعلقوا ببعضها وقطعوا الحبل الذي يمسكها وجذبوها فانحدرت وتبعها سائر العجل لأن بعضها كان مشدوداً إلى بعض، وانحدر الجميع إلى المسلمين ـ (وحَمَلَ المسلمون) ـ والتحم القتال واشتد، وعظم الأمر على الجميع حتى بلغت القلوب الحناجر، ثم إن الخزر انهزموا، واستولى المسلمون على بلنجر عنوةً، وغَنَموا جميع ما فيه، وذلك في ربيع الأول. فأصاب كل فارس [من المسلمين من الغنائم] ثلاثمائة دينار، وكانوا بضعة وثلاثين ألفاً. ثم إن الجرّاح أخذ أولاد صاحب بلنجر وأهله، وأرسل إليه وأحضره وردّ إليه أمواله وأهله وحصنه وجعله عيناً لهم ـ أي للمسلمين ـ يخبرهم بما يفعله الكفار» [ص١٨٨/ ٤].

وقال الحافظ ابن كثير في كتاب البداية والنهاية: «ـ في سنة١٠٤هـ ـ غزا

الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي نائب أرمينية وأذربيجان أرضَ الترك، ففتح بلنجر وهَزَم التُرك وأغرقهم في الماء وسَبَى منهم خلقاً كثيراً، وافتتح عامة الحصون التي تلي بلنجر، وأجْلَى عامة أهلها، والتقى هو والخاقان الملك فجرت بينهم وقعة هائلة آل الأمر فيها إلى انهزام خاقان، وتبعهم المسلمون فقتلوا منهم خلقاً كثيراً لا يحصون». [ص٢٣٠/ ٩].

وقال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «ـ في هذه السنة ـ وهي ١٠٤هـ ـ غزا الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي وهو أمير على أرمينية وأذربيجان أرضَ التُرك، ففتح اللّهُ على يديه بلنجر، وهَزَم التركَ وغَرَّقهم في الماء وسبوا ما شاؤوا. وفَتَح الجرّاح الحصون التي تلي بلنجر، وجلا عامة أهلها». [ص١٧٤/ ٩].

وقد أجلى الجرّاح المقاتلين من الخزر، ونشر الحاميات العسكرية العربية الإسلامية في أرض مملكة خيزان وأرض حصن بلنجر وما يليها من حصون، وأعطى شعوب وحكام تلك البلاد الأمان على أداء الجزية وعلى الطاعة.

* * *

وفي سنة١٠٥هـ (٧٢٤ ميلادية) تقدَّم الأمير الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي إلى حصن (الوبندر) وبلاد (اللّان) ـ في الشمال الغربي لبلاد القوقاز حيث تقع حالياً جمهورية جورجيا وما يليها من بلاد اللّان وأعالي القوقاز.

قال ابن الأثير: «سار الجرّاح من بلنجر فنزل على حصن الوبندر، وبه نحو أربعين ألف من الترك، فصالحوه على مال يؤدونه».

وقال الحافظ ابن كثير: «في سنة١٠٥هـ غزا الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي بلاد اللان، وفتح حصوناً كثيرةً وبلاداً متسعة الأكناف، من وراء بلاد بلنجر، وأصاب غنائم جمّة، وسَبَى خلقاً من أولاد الترك». [ص٢٣١/ ٩].

وقال ابن الأثير: «في سنة١٠٥هـ غزا الجرّاح بلاد اللان حتى أجاز ذلك إلى مدائن وحصون وراء بلنجر ففتح بعض ذلك، وأصاب غنائم كثيرة. وتجمع أهل تلك البلاد وأخذوا الطرق على المسلمين، فكتب صاحب بلنجر إلى الجراح يُعلمه بذلك، فعاد مُجِدّاً حتى وصل إلى رستاق ملّيْ، وأدركهم الشتاء فأقام المسلمون به، وكتب الجراح إلى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح اللّه عليه ويسأله المدد، فوعده يزيد بإنفاذ العساكر إليه، فأدركه أجله قبل إنفاذ الجيش..» ـ وكان موت يزيد في شوال سنة١٠٥هـ وتولّى الخلافة هشام بن عبد الملك ـ قال ابن الأثير: «وأرسل هشام إلى الجرّاح، وأقرّه على عمله، ووعده بالمدد». [ص١٩٣/ ٤].

* * *

وفي خلافة هشام بن عبد الملك تواصلت فتوح الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي أمير أرمينية وأذربيجان ببلاد القوقاز في أرض اللّان وما يليها من بلاد الخزر. قال الحافظ ابن كثير: «في سنة١٠٦هـ ـ أوغلَ الجرّاح في أرض الخزر فصالحوه وأعطوه الجزية والخراج، وغزا اللان فقتل خلقاً كثيراً ـ (ممن قاتلوه) ـ وغنم، وسَلِم». [ص٢٣٤/ ٩ ـ البداية والنهاية].

وقال ابن الأثير: «في سنة١٠٦هـ غزا الجراح بلاد اللان فَصالَحَ أهلها، فأدوا الجزية». [ص١٩٦/ ٤].

وشملت فتوح الجراح بلاد اللّان وأرض غوميك التي ذكر المسعودي أنها: «.. مملكة يقال لها غوميك وأهلها نصارى لا ينقادون إلى ملك ولهم رؤساء، وهم مهادنون لمملكة اللان» حيث ذكر البلاذري في فتوح البلدان ما يلي:

«أوقع الجراح بأهل غوميك، وسبى منهم». [ص٢٠٨] ـ وفرض الجرّاح على أهل غوميك وبلاد اللان والأبخاز والجورية أداء الجزية إلى عامله في تفليس التي أعاد الجرّاح فتحها أيضاً في تلك السنة. وقد ذكر المسعودي ما يلي:

«.. وتلي بلاد اللان أُمة يقال لها الأبخاز منقادة إلى دين النصرانية. ثم يلي الأبخاز ملك الجورية وهي أمة تُدعى خرزان وجرجين. وكانت الأبخاز والجورية تؤدي الجزية إلى صاحب ثغر تفليس منذ فُتحت تفليس وسكنها المسلمون». [ص١٩٤/ ١] وقد أعاد الجرّاح فتح تفليس وكتب لأهلها كتاب عهد ذكره البلاذري قائلاً ما يلي:

«كتب الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي لأهل تفليس كتاباً نُسْخَتُه: بسم اللّه الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الجرّاح بن عبد اللّه لأهل تفليس من رستاق منجليس من كورة جرزان، أنه أتوني بكتاب أمان لهم من حبيب بن مَسْلمة على الإقرار بصغار الجزية وإنه صالحهم على أرضين لهم وكروم وأرحاء يُقال لها واري وسابينا من رستاق منجليس وعن طعام وديدونا من رستاق قحويط من جرزان، على أن يؤدوا عن هذه الأرحاء والكروم في كل سنة مائة درهم لاتانية، فأنفذتُ لهم أمانهم وصلحهم، وأمّرْتُ الإيراد عليهم، فمن قرىء عليه كتابي فلا يتعدّ ذلك فيهم إن شاء اللّه». [ص٢٠٥].

ومضى الجرّاح من تفليس عائداً إلى مدينة برذعة ـ عاصمة المسلمين بأرمينية ـ فأقام بها، وقد استكملت سائر بلاد القوقاز طاعة له وإجابة.

وفي سنة١٠٧هـ انتهت الولاية الأولى للجرّاح بن عبد اللّه الحكمي على

أرمينية وأذربيجان. قال ابن الأثير: «في سنة١٠٧هـ عزل هشام بن عبد الملك الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي عن أرمينية وأذربيجان واستعمل عليها أخوه مَسْلمة بن عبد الملك فاستعمل مسلمة على أذربيجان وأرمينية الحارث بن عمرو الطائي..» [ص١٩٨/ ٤ ـ الكامل] ـ فتولّى الحارث أذربيجان وأرمينية وقد ذكرنا أنباء عهده إلى استشهاده سنة١١٠هـ. قال ابن الأثير: «فاستعمل هشام بن عبد الملك الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي على أرمينية سنة١١١هـ وعزل أخاه مسلمة».

***

في مطلع سنة١١١هـ (٧٢٠م) عاد الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي والياً لأرمينية وأذربيجان، فقام بضبط الأمور ثم سار إلى بلاد الخزر في أرض اللان وأعالي القوقاز. حيث كما ذكر ابن الأثير: «دخل الجرّاح بلاد الخزر من ناحية تفليس، ففتح مدينتهم البيضاء، وانصرف سالماً». [ص٢٠٧/ ٤] ـ ومدينتهم البيضاء هي آمل، قال المسعودي: «وهي ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يَرِدُ من أعالي بلاد الترك ـ [من جهة روسيا] ـ ويتشعب منه شعبة نحو بلاد البرغز، وتَصُبُّ في بحر مايطس ـ [وهو البحر الأسود] ـ وهذه المدينة جانبان، وفي وسط النهر جزيرة فيها دار ملك الخزر» [ص١٧٨/ ١].

ففتح الجرّاح تلك المدينة، وانصرف سالماً. قال البلاذري في فتوح البلدان: «ثم قَفَلَ الجرّاح فَنَزَل ـ منطقة ـ شكى وشتا جنده ببرذعة والبيلقان». [ص٢٠٨].

وقام الجرّاح بشق نهر فرعي في منطقة (دبيل) وبناء جسر هناك، وقد أشار إليه البلاذري في قوله: «فسُمّي ذلك النهر نهر الجرّاح، ونُسب جسر عليه إلى الجرّاح أيضاً». [ص٢٠٨].

قال ابن الأثير: «وفي سنة١١٢هـ اجتمع الخزر والترك من ناحية اللان، فلقيهم الجرّاح فيمن معه من أهل الشام، فاقتتلوا أشد قتال رآه الناس، فصبر الفريقان، وتكاثرت الخزر والترك على المسلمين، فاستشهد الجرّاح..» [ص٢٠٧/ ٤ ـ الكامل].

وقال ابن كثير: «سارت الترك من بلاد اللّان، فلقيهم الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي فيمن معه من أهل الشام وأذربيجان، فاقتتلوا قبل أن يتكامل جيشه، فاستشهد الجرّاح رحمه اللّه وجماعة معه بمرج أردبيل». [ص٣٠٣/ ٩ ـ البداية والنهاية].

وقال البلاذري: «جاشت الخزرُ وعبروا نهر الرُس، فحاربهم الجرّاح في صحراء ورثان، ثم انحازوا إلى ناحية أردبيل ـ [والأصوب ناحية دبيل] ـ فواقعهم

على أربعة فراسخ مما يلي أرمينية، فاقتتلوا ثلاثة أيام، فاستشهد ومن معه، فسُمّي ذلك النهر نهر الجراح، ونُسب جسر عليه إلى الجرّاح أيضاً». [ص٢٠٨ ـ فتوح البلدان].

وقد وقع التباس في القول بأن الجرّاح استشهد في (مرج أردبيل) وأردبيل في جنوب أذربيجان، والأصوب أنه استشهد في (مرج دبيل) على بعد أربعة فراسخ مما يلي أرمينية ـ بأعالي القوقاز ـ وكان الجرّاح يشرف على شق نهر وبناء جسر هناك، فهاجمه العدو، فقاتلهم بمن معه، فاستشهد ـ رحمه اللّه ـ وجماعة معه سنة١١٢هـ الموافق ٧٢١م. قال ابن الأثير: «وكان الجرّاح خيّراً فاضلاً، من عمال عمر بن عبد العزيز، ورثاه كثيرٌ من الشعراء». وقال الواقدي: «كان البلاءُ بمقتل الجرّاح على المسلمين عظيماً، فبكوا عليه في كل جُند». [ص١٣٣/ الجامع].

١٠ ـ سعيد بن عمرو الحرشي . . أمير أرمينية (١١٤ ـ ١١٥هـ):

هو ـ كما جاء في ترجمته بكتاب الجامع ـ «سعيد بن عمرو الحرشي، نسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة، من قيس مذحج: قائد من الولاة الشجعان. . ولّاه هشام غزو الخَزَر (وهي كما يذكر ياقوت بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدَّربند) سنة١١٢هـ فرحل إلى أرمينية». [ص٢٣٧] وقال البلاذري: «إن هشام بن عبد الملك ولّى مسلمة بن عبد الملك أرمينية، ووجّه على مقدمته سعيد بن عمرو الحرشي، فواقع سعيد الخزر وقد حاصروا ورثان فكشفهم عنها وهزمهم». [ص٢٠٩] ـ فغضب مسلمة لأنه حارب الخزر وانتصر عليهم قبل أن يصل مسلمة فأمر بحبسه في مدينة برذعة فأمر هشام بإخراجه من السجن وعاد إلى الشام.

قال البلاذري: «ثم ولّى هشام بعد مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عمرو الحرشي فأقام بالثغر سنتين» ـ أي بأرمينية والياً عليها سنة١١٤ و١١٥هـ ـ وجاء في ختام ترجمته بكتاب الجامع: «ثم أمره هشام بالعودة إليه، فعاد. قال ابن حزم: وولده بأرمينية. وكان تقياً بطلاً». وقد توفي بالشام في أوائل العصر العباسي.

الحسن بن قَحْطَبة الطائي..
أمير أرمينية وبطل الثغور في العصر العباسي (١٣٦ ـ ١٦٧هـ)

هو الأمير اليماني القائد الحسن بن قَحْطَبة بن شبيب بن خالد بن معدان النبهاني الطائي. من بني نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء بن أدد بن زيد بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن النبي هود عليه السلام. قال المتنبي يمدح شجاع بن محمد الطائي النبهاني:

إلى واحد الدنيا إلى ابنِ مُحمّدٍ شُجاعَ الذي لِلَّهِ ثُمَّ لهُ الفَضلُ
إلى الثَّمَرِ الحُلْوِ الذي طيّئٌ لهُ فُروعٌ وقَحْطانُ ابنُ هُودٍ لها أصلُ

قال اليازجي في شرح البيت: «طيىء: قبيلة الممدوح. وقحطان بن هود: أبو قبائل اليمن. والضمير في لها لطيىء، يقول إنه ثمر قد خرج من غصون هي طيىء وهذه الغصون قد خرجت من أصل هو قحطان»[(١)].

أنباء الحسن بن قحطبة قبل ولايته لأرمينية:

كان الحسن مع أبيه قحطبة بن شبيب الطائي في الجيش العربي المرابط بخراسان عند ظهور الدعوة العباسية، فانضوى قحطبة وابناه الحسن وحميد ورجالات طيىء الذين هناك في الدعوة. فكان قحطبة من النقباء الاثني عشر، والحسن وحميد من نظراء النقباء الذين تم اختيارهم من السبعين الذين دخلوا في الدعوة العباسية بخراسان وكانت غالبيتهم من قادة الجيش العربي المرابط هناك حيث قال صاحب أخبار الدولة[(٢)]: «تسمية نظراء النقباء. بعضهم من السبعين. وهم: خازم بن خزيمة، محمد بن الأشعث، محمد بن سليمان بن كثير، حُميد بن قحطبة، الحسن بن قحطبة، أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي.. مقاتل بن حكيم العكّي..».

وكان من السبعين أيضاً عشرة من طيىء وهم: «.. أبو غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي، سَلَمة بن محمد الطائي، الأشعث بن يحيى الطائي، أبو العباس

---

(١) ديوان المتنبي ـ شرح ناصف اليازجي ـ ص ٣٩.
(٢) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق عبد العزيز الدوري ـ ص ٢٢٢.

الفضل بن سليمان الطائي الطوسي، سعيد بن يحيى الطائي، أبو غانم النضر بن غانم الطائي، سيف بن نحا الطائي، المخارق بن غفّار الطائي، عبد اللّه بن عثمان الطائي، حياش بن حبيب الطائي..».

وفي سنة ١٣٠هـ سيطرت الدعوة العباسية على خراسان حيث كما قال د. فاروق عمر: «.. نجحت الثورة العباسية في السيطرة على خراسان، وتقدمت جيوش العباسيين نحو العراق بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي»[(١)].

وقد تجلّى الدور القيادي للحسن بن قحطبة منذ المعارك التي دارت في جُرجان وأقاليم إيران لتأسيس الخلافة العباسية. حيث توجه قحطبة إلى إقليم جُرجان وكان به جيش مرواني كبير بقيادة نباتة بن حنظلة القيسي.

قال الطبري: «أقْبَلَ قَحْطبة إلى جُرجان في ذي القعدة.. وعلى ميمنته موسى بن كعب، وعلى ميسرته أُسيد بن عبد اللّه الخزاعيّ، وعلى مقدمته الحسن بن قَحْطبة.. وأقْبَلَ الحسن بن قحطبة حتى نزل تخوم جُرجان. ووجّه الحسنُ عثمان بن رفيع ونافعاً وأبا خالد ومسعدة الطائي إلى مسلحة لنباتة بن حنظلة عليها رجل يُقال له ذؤيب فبيّتوه فقتلوه وسبعين رجلاً من أصحابه، ثم رجعوا إلى عسكر الحسن»[(٢)] ـ وقال صاحب أخبار الدولة: «وجّه قحطبة إلى جرجان الحسن بن قحطبة، وواقع الحسن بعض مسالح نباتة فقتلهم وأخذ خيلهم وسلاحهم، وكتب بذلك إلى قحطبة، فسار قحطبة إلى ـ مدينة ـ جُرجان» [ص٣٢١]. واندلعت المعركة مع الجيش المرواني بجرجان. قال الطبري: «فناهضهم قحطبة وعلى ميمنته الحسن بن قحطبة» قال صاحب أخبار الدولة: «فانهزم القوم ودخل الحسن بن قحطبة ومقاتل العكي المدينة.. ولم يلبث قحطبة أن فتح الباب الذي كان نباتة واقفاً عليه، ودخل الجند فقتلوا نباتة.. واستولى قحطبة على المدينة من يومه وهو يوم السبت لثلاث خلون من ذي الحجة، وأمر برفع السيف عن الناس، وهرب أكثر قوّاد نباتة، ونُودي في الناس بأمانهم، وأُخذت البيعة عليهم.. وأقام قحطبة بجرجان بقية ذي الحجة سنة ١٣٠هـ وشهر المحرم سنة ١٣١هـ حتى جَبَى شيئاً من خراج جُرجان ـ وطبرستان ـ وقسّمه فيمن كان معه».

وفي محرم سنة ١٣١هـ سار الحسن بن قحطبة إلى إقليم قومس وثان فيه

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٣.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٠٦ جـ ٩.

نصر بن سيار عامل مروان بن محمد. قال صاحب أخبار الدولة: «وجّه قحطبة وهو بجُرجان الحسن بن قحطبة على مقدّمته إلى قُومس، فَشَخَصَ في أول محرم سنة١٣١هـ فسار حتى نزل بسطام مدينة قومس [وكان اسم عاصمة قومس بسطام] - وبعث الحسن بن قحطبة خازم بن خزيمة إلى سمنان ينزل بها ولا يبرحها، وضمّ إليه ثلاثة آلاف رجل، فأقام بها نحواً من عشرين ليلة. وبعث نصر بن سيّار مسالح - [من جنوده] - فبعث الحسن بن قحطبة إليهم خيلاً، فبيّتوهم، وغنموا ما كان معهم من دوابهم وسلاحهم. وبلغ ذلك نصراً فارتحل إلى الرّيّ.. وكتب الحسن إلى أبيه قحطبة بما كان، فبعث إليه قائداً من قوّاده، وأعلمه أنه قادم وأمره ألا يتحرك ـ من قومس ـ. واستخلف قَحْطبةُ على جُرجان أبا مالك أسيد بن عبد اللّه الخزاعي، وشَخَصَ قحطبةُ يريد الرّيّ، فَلَمَّا قَدِم مدينة قومس وبها الحسن بن قحطبة، أمره أن يتقدّم فيمن معه إلى الخوار..» [ص٣٣٢].

وفي صفر ١٣١هـ تقدّم الحسن بن قحطبة إلى إقليم الرّيّ فنزل منطقة الخوار من إقليم الرّيّ. قال الطبري: «وكان نصر بن سيار ارتحل من قومس إلى الخوار وأميرها أبو بكر بن كعب العقيلي.. وسار نصر حتى نزل الرّي، وكان العامل على الرّيّ حبيب بن بُديل النهشلي.. وكان بالرّيّ عُطيف بن بشر الأسدي وجّهه ابن هبيرة (أمير العراق) في ثلاثة آلاف، فنزل الرّي.. فقال أبو بكر بن كعب وعطيف لنصر بن سيار: أقِمْ ونحن معك حتى نلقى هؤلاء القوم فإن جماعتنا حَسَنة.. فأبَى أن يقيم، ومضى إلى هَمَذَان.. وقَدّم قحطبةُ ابنه الحسن إلى الرَّي، وبلغ حبيب النهشلي ومن معه مسير الحسن فخرجوا عن الرّي ودخلها الحسن فأقام بها حتى قَدِم أبوه». [ص١١٣/ ٩].

ولَمَّا قَدِم قحطبةُ الرَّي أقام بها واتخذها قاعدة ومقراً، ووجّه منها الحسن بن قحطبة مع فرقة من الجيش إلى إقليم هَمَذَان ـ في شرق شمال إيران، ويتاخم إقليم هَمَذان من الشمال أذربيجان ومن الشرق العراق ـ. قال الطبري: «وجّه قَحْطَبةُ ابنه الحسن بعد نزوله الرّي بثلاث إلى هَمَذَان، ولَمَّا توجّه الحسن إلى هَمَذَان خرج منها مالك بن أدهم الباهلي ومن كان بها من أهل الشام وخراسان إلى نهاوند». [ص١١٣/ ٩] وجاء في كتاب (أخبار الدولة العباسية) تحت عنوان: (فتح هَمَذَان) ما يلي: «بَلَغ قَحْطبةَ إقبال مالك بن أدهم فيمن أقْبَلَ معه من جند الشام وانضمام سيار بن نصر بن سيار وعلي بن معقل في أصحاب نصر إليه، وما اجتمعوا عليه من التوجه إلى هَمَذَان. فتوجَّه الحسن بن قحطبة على طريق المحجّة إلى همذان، في قوّاد فيهم خازم بن خزيمة وخفاف والأغلب وغيرهم فشَخَصَ الحسن وقد أقْبَلَ

مالك يريد هَمَذَان، فَلَمَّا بلغوا قلعة التُستَر أتاهم أن الحسن قد نزل همذان فيمن معه، فعدلوا إلى نهاوند ودخلوا مدينتها وتحصنوا فيها. . وانتهى إلى الحسن خبرهم، فكتب إلى قحطبة يخبره بذلك، وكتب إليه قحطبة يأمره بالمسير إليهم وبمحاصرتهم، وأمدّه بألفي رجل فيهم الجهم بن العلاء في ألف وثلاثمائة رجل. . وسار الحسن حتى نزل نهاوند وحاصر القوم بها. . ثم شَخَصَ قحطبة إلى نهاوند في آخر شعبان، وقد حاصرها الحسن قبل قدوم أبيه بنحو من خمسين ليلة، فَلَمَّا قَدِم قحطبةُ وجّه الحسنَ فيمن معه إلى قرماسين، وأمره أن يقيم بها، ويفرِّق مسالحه ويحتفظ بالطرق ويبذرق القوافل. .» [ص٣٥٣] ـ فسار الحسن إلى منطقة قرماسين المتاخمة لمنطقة حُلوان بالعراق فسيطر عليها ونشر المسالح العسكرية في الطرق، بينما حاصر قحطبة نهاوند إلى أن استولى عليها في ٥ ذي القعدة سنة١٣١هـ فباتت أقاليم إيران جميعها تحت سلطة قحطبة والدعوة العباسية.

وفي ذي الحجة ١٣١هـ تقَدّم الحسن بن قحطبة من قرماسين إلى منطقة حُلوان بالعراق. قال صاحب أخبار الدولة: «لَمَّا فرغ قَحْطبةُ من نهاوند شَخَصَ إلى قرماسين، وكتب إلى الحسن يأمره بالتقدم إلى حُلوان، فقَدّم خازماً أمامه، ونزل الحسن بحلوان، وألْفَى بها موسى بن السري الهَمْدَاني وقد سوّد وغَلَب على حُلوان، فوجّهه الحسن إلى خانقين ـ مسلحة ـ وأقْبَلَ قَحْطَبة ونزل حُلوان في ذي الحجة سنة١٣١هـ».

وفي أوائل محرم ١٣٢هـ سار قحطبة بالجيش إلى الأنبار والفرات قاصداً الكوفة، وعَسْكَرَ قحطبة في غربي الفرات لخمس خلون من المحرم، وأقْبَل ابن هبيرة أمير العراق فعسكر بحذائه. وفي ٨ محرم أعْبَرَ قحطبةُ قادته وجنوده من غربي الفرات إلى معسكر ابن هبيرة. فجاء في تاريخ الطبري أنه: «قدّم قحطبةُ ابنه الحسن على مقدمته، ثم أمر عبد اللّه بن عثمان الطائي ومسعود بن علاج وأسد بن المرزبان وأصحابهم بالعبور فعبروا ـ المخاضة ـ عند العصر. . وأمر قحطبةُ المخارق بن غَفّار وعبد اللّه بن بسام وسلمة بن محمد فعبروا عند المغرب. . ثم عبر قحطبة بفرسانه، وواقَعَ قحطبةُ محمد بن نباتة ومن معه فهزمهم قحطبة حتى ألحقهم بابن هبيرة، وانهزم ابن هبيرة بهزيمة ابن نباتة، وخلوا عسكرهم وما فيه من الأموال والسلاح وغير ذلك. .» ـ وكان انتصار قحطبة وانهزام ابن هبيرة ليل الأربعاء ٨ محرم ١٣٢هـ، ومضى ابن هبيرة وفلول جيشه باتجاه الكوفة. ومات قحطبة بن شبيب الطائي في ذلك الليل، وكان واقفاً على جرف بشاطىء الفرات فانهار الجرف وسقط في الفرات فغرق ومات. قال الطبري: «وأصبح أصحابُ

قحطبة وقد فقدوه فلم يزالوا في رجاء منه إلى نصف النهار ثم علموا بغرقه، فأجمع القوّاد على الحسن بن قحطبة فولّوه الأمر وبايعوه، فقام بالأمر وتولّاه، وأمر بإحصاء ما في معسكر ابن هبيرة ووكّلَ بذلك رجلاً يكنى أبا النصر، وأمر بحمل الغنائم في السفن إلى الكوفة». [ص١٢٠/٩] وقال صاحب أخبار الدولة أنهم «أجمعوا على الرضا بحميد بن قحطبة فبايعوه وسلموا له الأمر» [ص٣٧١] ـ وقال الطبري في رواية ثانية: «وجدوا قحطبة فدفنه أبو الجهم، فقال رجل من عرض الناس: من كان عنده عهداً من قحطبة فليخبرنا به، فقال مقاتل العكيّ: سمعتُ قحطبة يقول: إن حدث لي حدثٌ فالحسن أمير الناس، فبايع الناس حُميداً للحسن، وأرسلوا إلى الحسن فلحقه الرسول دون قرية شاهي ـ [وكان يتتبع فلول جيش ابن هبيرة] ـ فرجع الحسن فأعطاه أبو الجهم خاتم قحطبة وبايعوه، وقال الحسن: إن كان قَحْطَبةُ مات فأنا ابن قحطبة». [ص١٢٠/٩].

وبذلك أصبح الحسن بن قحطبة قائد جيش الدعوة العباسية ـ في ٩ محرم ١٣٢هـ ـ وكان محمد بن خالد القسري قد ثار بالكوفة وتغلب عليها وخَلَع مروان بن محمد وهزم نائب ابن هبيرة بالكوفة. قال الطبري: «وكتب محمد بن خالد إلى قحطبة ـ وهو لا يعلم بموته ـ يُعلمه أنه قد ظفر بالكوفة، وبعث بكتابه مع فارس، فقَدِم على الحسن بن قحطبة فَلَمَّا دفع إليه كتاب محمد بن خالد قرأه على الناس ثم ارتحل نحو الكوفة». قال الطبري «وكان قحطبة قال قبل موته: إذا قدمتم الكوفة فوزير الإمام أبو سلمة الخلال فسلموا الأمر إليه» قال صاحب أخبار الدولة: «وقَدِم الحسن بن قحطبة إلى الكوفة بالجنود.. وأقْبَلَ حُميد بن قحطبة يسير بالناس حتى نزل دير الأعور ثم دخل العباسية ـ بظاهر الكوفة ـ فنزلها يوم الجمعة، يوم عاشوراء، وصلّى بالناس بالكوفة يومئذ محمد بن خالد وقال وهو يدعو على المنبر: اللهم أصلح الإمام من آل محمد، ولم يسمّه. وأرسل أبو سلمة إلى حميد بن قحطبة ـ [والحسن] ـ أن يدخل الكوفة بأحسن هيئة، وأن يظهروا زينتهم وسلاحهم وأعلامهم وقوتهم، ففعل، وعبّأ الجند، ووجّههم كراديس [الكردوس: ألف مقاتل ولكل كردوس قائد] حتى توافوا بنهر بني سليم ـ [داخل الكوفة] ـ وأرسل إلى محمد بن خالد..» فالتقوا.. قال الطبري: «ودخل الحسن بن قحطبة ـ يوم الاثنين ـ فأتوا أبا سلمة وهو بمنزله، فخرج إليهم، فقدّموا له دابة من دواب قحطبة فركبه، حتى وقف في جبانة السبيع» ـ وهو مكان المعسكر ـ واستقبله القوّاد وبايعوه وزيراً يقوم بالأمر حتى قدوم وظهور الخليفة أبي العباس، قال الطبري: «فمكث أبو سلمة يقال له وزير آل محمد، واستعمل محمد بن خالد

القسري على الكوفة وكان يُقال له الأمير حتى ظهور أبي العباس». فبدأ بذلك عصر الخلافة العباسية بالعراق.

وبعد توزير أبي سلمة ـ (في ١٣ محرم ١٣٢هـ) ـ أصبح الحسن بن قحطبة أميراً قائداً للجيش العباسي في جنوب غرب العراق حيث تقع مدينة واسط التي انسحب إليها وتحصن بها ابن هبيرة وجيشه المرواني. بينما أصبح حميد بن قحطبة أميراً قائداً في المدائن ومحور شمال العراق. قال صاحب أخبار الدولة: «وجّه أبو سلمة الحسن بن قحطبة إلى واسط في ثلاثين قائداً مثل العكي وخازم وأشباههما، وأمره أن يُؤمن الناس جميعاً خلا ابن هبيرة ومن معه، وبلغ ذلك ابن هبيرة فتحصّن بواسط وقد أعدّ فيها ما أعدّ، فأناخ الحسن بن قحطبة على واسط في الناحية الغربية ووجّه الفضل بن حميد المرادي إلى فم النيل مسلحة بها فيما بينه وبين الحسن. ووجّه حميد بن قحطبة إلى المدائن في عشرة من القوّاد، وأمضاه على شط الفرات إلى الجزيرة، فنفذ حُميد إلى المدائن..» [ص٣٧٧] ـ وقال الطبري: «وجّه أبو سَلْمَة الحسنَ بن قحطبة إلى ابن هبيرة بواسط، وضمّ إليه قوّاداً منهم خازم بن خزيمة، ومقاتل بن حكيم العكّي، وخفاف بن منصور، وسعيد بن عمرو، وزياد بن مشكان، والفضل بن سليمان الطوسي الطائي، وعبد الكريم بن مسلم، وعثمان بن نهيك العكيّ، وزهير بن محمد الأزدي الغامدي، والهيثم بن زياد، وأبو خالد المروزي، وغيرهم، ستة عشر قائداً، وعلى جميعهم الحسن بن قحطبة.. وكتب أبو سلمة إلى الحسن بن قحطبة أن يوجّه إلى سَلْم (بن قتيبة عامل البصرة) من أحبّ من قوّاده، وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلّبي بعهده على البصرة وأمَره أن يظهر بها دعوة بني العباس». [ص١٢١ و١٢٢ جـ٩].

وقد ثار سفيان بن معاوية المهلّبي ورَوْح بن حاتم المهلّبي بالبصرة وأظهرا الدعوة العباسية في شهر صفر ١٣٢هـ وحاربا سَلْم بن قتيبة عامل البصرة والجيش الذي معه. وبعث الحسن بن قحطبة قوة إلى البصرة بقيادة أبي مالك أسيد بن عبد الله الخزاعي فخرج سَلْم بن قتيبة من البصرة ودخلها أبو مالك الخزاعي وأتاه سفيان ورَوْح بن حاتم فأكرمهما وعظمهما. قال الطبري: «قَدِم البصرة أبو مالك الخزاعيّ فوُليها خمسة أيام فَلَمّا قام أبو العباس ولّاها سفيان بن معاوية المهلّبي» [ص٩/١٢٢] ـ وكان قيام أبي العباس السفاح بالخلافة في ١٣ ربيع الثاني سنة١٣٢هـ.

وكان الحسن بن قحطبة الطائي يحاصر ابن هبيرة والقادة والجيش المرواني الذين معه بواسط، حيث ـ قال الطبري ـ «خندق الحسن وأصحابه ونزلوا فيما بين

الزاب ـ [الباب ؟] ـ ودجلة، وضرب الحسن سرادقه حيال باب المضمار، فأول وقعة كانت بينهم يوم الأربعاء، خرج ابن هبيرة وعلى ميمنته ابنه داود ومعه محمد بن نباتة، فالتقوا وعلى ميمنة الحسن بن قحطبة خازم بن خزيمة، وابن هبيرة قبالة باب المضمار، فحمل خازم على ابن هبيرة، فهزموا ـ أصحابه ـ حتى ألجؤوهم إلى الخنادق، وبادر الناس باب المدينة حتى غَصَّ باب المضمار، ورمى أصحاب العرّادات بالعرادات، والحسن واقف وأقبل الحسن يسير في الخيل فيما بين النهر والخندق، ورجع القوم فكرّ عليهم الحسن فحالوا بينه وبين المدينة واضطرّوهم إلى دجلة فغرق منهم ناسٌ كثيرٌ فتلقوهم بالسفن فحملوهم ـ [أي انقذوهم] ـ وألقى ابن نباتة يومئذ سلاحه واقتحم فتبعوه بسفينة فركب وتحاجزوا، فمكثوا سبعة أيام ثم خرجوا إليهم يوم الثلاثاء فاقتتلوا، فحمل رجل من أهل الشام (أصحاب ابن هبيرة) على أبي حفص هزار مرد[١] فضربه وانتمى أنا الغلام السلميّ وضربه أبو حفص وانتمى أنا الغلام العكيّ فصرعه وانهزم أصحاب ابن هبيرة هزيمة قبيحة فدخلوا المدينة فمكثوا ما شاء اللّه لا يقتتلون إلّا رمياً. .

وقَدِم أبو نصر مالك بن الهيثم الخزاعي من ناحية سجستان، فأوفَدَ الحسن بن قحطبة وفداً إلى أبي العباس ـ الخليفة ـ بقدوم أبي نصر عليه، وجعل على الوفد غيلان بن عبد اللّه الخزاعي. وكان غيلان واجداً على الحسن لأنه سرّحه إلى رَوْح بن حاتم المهلّبي مدداً له. فَلَمَّا قَدِم غيلان إلى أبي العباس قال: أشهد أنك أمير المؤمنين وأنك حبل اللّه المتين وأنك إمام المتقين، قال: حاجتك يا غيلان؟ فقال: يا أمير المؤمنين ولّ علينا رجلاً من أهل بيتك، قال: أوَليس عليكم رجل من أهل بيتي الحسن بن قحطبة؟ قال: يا أمير المؤمنين مُنّ علينا برجل من أهل بيتك، فقال أبو العباس مثل قوله الأول، فقال: يا أمير المؤمنين مُنّ علينا برجل من أهل بيتك ننظر إلى وجهه وتَقِرُّ أعيننا به، قال: نعم يا غيلان. فبعث أخاه أبا جعفر ـ المنصور ـ وجعل غيلان على شرطته، فَقَدِم أبو جعفر واسطاً. . وقيل: إن أبا العباس لَمَّا وجّه أبا جعفر إلى واسط لقتال ابن هبيرة كتب إلى الحسن بن قحطبة: إن العسكرَ عسكُرك والقوّادَ قوّادُك ولكن أحببتُ أن يكون أخي حاضراً فاسمعْ له وأطعْ وأحسِن مؤازرته. وكتب إلى أبي نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك. فكان الحسن المدبر لذلك العسكر بأمر أبي جعفر المنصور.

ولَمَّا قَدِم أبو جعفر واسطاً تحوّل له الحسن عن حجرته [سرادقه]، ومكث

---

(١) هو أبو حفص عمر بن حفص المهلّبيّ الأزدي الذي أصبح والياً لأفريقيا الشمالية سنة ١٥١ ـ ١٥٤هـ.

غيلان أياماً على الشُرط ثم قال لأبي جعفر: لا أقوَى على الشُرط ولكني أدلك على من هو أجْلَدُ مني، قال: من هو؟ قال: جَهْوَر بن مَرّار.. فولّى جهوراً شرطته، وقال أبو جعفر للحسن بن قحطبة: أبغني رجلاً أجعله على حرسي، قال: مَنْ قد رضيته لنفسي عثمان بن نهيك العكّي، فولّاه الحرس». [ص١٤٣ و١٤٧/ ٩] - وتولّى أبو جعفر المنصور القيادة بواسط إلى أن استسلم القوم في نهاية سنة١٣٢هـ.

* * *

تأمير الحسن بن قحطبة على أرمينية.. وأنباء دوره القيادي في الثغور:

في سنة١٣٣هـ ولّى الخليفة أبو العباس السفاح أخاه أبا جعفر المنصور الجزيرة الفراتية وبلاد أرمينية، فسار إليها ومعه كوكبة من كبار القادة أبرزهم الحسن بن قحطبة الطائي ومقاتل بن حكيم العكّي، فكانا من نوابه هناك. ثم في أواسط سنة١٣٦هـ توجّه أبو جعفر المنصور من الجزيرة إلى أخيه الخليفة أبي العباس بالأنبار واستخلف مقاتل بن حكيم على الجزيرة الفراتية والحسن بن قحطبة على أرمينية. قال الطبري: «وكان أبو جعفر أميراً على الجزيرة. وكان الواقدي يقول: كان إليه مع الجزيرة أرمينية وأذربيجان. فاستخلف على عمله مقاتل بن حكيم العكي» ثم قال الطبري: «وكان خليفته بأرمينية الحسن بن قحطبة». [ص١٥٧/ ٩].

وفي ذي الحجة سنة١٣٦هـ توفي أبو العباس السفاح وتولّى الخلافة أبو جعفر المنصور، وكان عمه عبد اللّه بن عليّ أميراً للشام، ومقاتل بن حكيم العكّي أميراً للجزيرة الفراتية، والحسن بن قحطبة أميراً لأرمينية. فانتقض عبد اللّه بن عليّ العباسي أمير الشام ودعا لنفسه بالخلافة فبايعه القادة والجند بالشام رغبة أو رهبة، ثم سار إلى الجزيرة الفراتية وعاصمتها مدينة حرّان. قال الطبري: «فنزل عبد اللّه بن عليّ حرّان وبها مقاتل بن حكيم العكي وكان أبو جعفر استخلفه على الجزيرة، فأراد عبد اللّه بن عليّ مقاتلاً على البيعة فلم يجبه وتحصّن منه، فأقام عليه وحصره ـ أربعين يوماً ـ حتى استنزله من حصنه وقتله». ـ وذلك في شهر صفر سنة١٣٧هـ وسيطر عبد اللّه على الجزيرة الفراتية.

وعندئذ كتب الخليفة أبو جعفر المنصور إلى الحسن بن قحطبة الطائي أمير أرمينية بأن يتقدم بجيشه إلى الموصل وينضم إلى الجيش الذي بعثه المنصور من العراق بقيادة أبي مسلم الخراساني أمير خراسان ويسيرا معاً لقتال عبد اللّه بن عليّ والذين معه. وكان أبو مسلم يومئذ عند المنصور بالأنبار فأمره بالمسير بالجيش

لقتال عبد اللّه بن عليّ ولم يكن أبو مسلم راغباً في ذلك. قال الطبري: «ودعا أبو جعفر المنصور أبا مسلم فعَقَد له وقال له: سِرْ إلى عبد اللّه بن عليّ فقال له أبو مسلم: إن عبد الجبار بن عبد الرحمن وصالح بن الهيثم يعيبانني فاحبْسهما فقال أبو جعفر: عبد الجبار صاحب شرطتي وكان قبل على شرطة أبي العباس وصالح بن الهيثم أخو أمير المؤمنين من الرضاعة فلم أكن لأحبسهما لظنك بهما. فقال: أراهما آثر عندك مني، فغضب أبو جعفر، فقال أبو مسلم: لم أرد كل هذا. .[1] وسار أبو مسلم من الأنبار لم يتخلف عنه من القوّاد أحد، وبعث على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي، وكان معه حميد بن قَحْطبة. . وكتب أبو جعفر إلى الحسن بن قحطبة وكان خليفته بأرمينية أن يوافي أبا مسلم، فَقَدِم الحسن بن قحطبة على أبي مسلم وهو بالموصل». (أهـ).

وكان الحسن بن قحطبة لما أتاه كتاب الخليفة أبي جعفر المنصور بمدينة برذعة عاصمة ولاية أرمينية فاستنفر العمال والقادة بأرمينية وأذربيجان وسار بعسكره فوافى أبا مسلم والذين معه بمدينة الموصل. قال الطبري: «قال مسلم بن المغيرة: كنت مع الحسن بن قحطبة بأرمينية، فَلَمَّا وجّه أبو جعفر أبا مسلم إلى الشام كتب أبو جعفر إلى الحسن أن يوافيه ويسير معه، فقَدِمنا على أبي مسلم وهو بالموصل، فأقام أياماً، فَلَمَّا أراد أن يسير - [لقتال عبد اللّه بن عليّ في نصيبين]- قلتُ للحسن: أنتم تسيرون إلى القتال وليس بك إليّ حاجة فلو أذنتَ لي فأتيتُ العراق فأقَمْتُ حتى تعودوا إن شاء اللّه فقال: نعم لكن أعلمني إذا أردتَ المسير، قلت: نعم، فَلَمَّا فرغتُ وتهيأتُ أعلمتُه وقلتُ: أتيتُك أودّعُك، قال: قف لي بالباب حتى أخرج إليك، فخرجتُ ووقفتُ، فخرج فقال لي: إنّي أريد أن ألقي إليك شيئاً لتبلِغه أبا أيوب ولولا ثقتي بك لم أخبرك ولولا مكانك من أبي أيوب لم أخبرك، فأبْلغ أبا أيوب أنّي قد ارتبتُ بأبي مسلم منذ قِدمتُ عليه أنه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرأه ثم يلوي شِدْقه ويرمي بالكتاب إلى أبي نصر فيقرؤه ويضحكان استهزاءً، قلتُ: نعم قد فهمت. - فَمَضَيتُ إلى العراق - فلقيتُ أبا أيوب فأخبرته - [بما قال لي الحسن بن قحطبة]- فضحك وقال: نحن لأبي مسلم أشدّ تهمةً مِنّا لعبد اللّه بن عليّ». (أهـ).

---

(١) كان عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي وصالح ابن الهيثم يعيبان أبا مسلم الخراساني بالغدر لأنه غدر بالشيخ سليمان بن كثير الخزاعي نقيب نقباء الدعوة العباسية بخراسان وقتله. وغدر بعليّ بن جديع الكرماني الأزدي وقتله لينفرد بالسلطة في خراسان، وكان يضمر الغدر بأبي جعفر المنصور إذا عاد إلى خراسان فلم يأذن له المنصور بالعودة.

وفي منطقة نصّيبين بالجزيرة الفراتية التقى الجيشان، جيش الخليفة أبي جعفر المنصور بقيادة أبي مسلم الخراساني وعلى ميمنته الحسن بن قحطبة وعلى الميسرة أبو نصر خازم بن خزيمة، وجيش الأمير عبد اللّٰه بن عليّ العباسي وعلى ميمنته بكار بن مسلم العقيلي وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسدي وعلى خيله عبد الصمد بن عليّ، فتقاتلوا أشهراً قتالاً يسيراً ـ قال الطبري: «وكان قد عُمل لأبي مسلم عريش فكان يجلس عليه إذا التقى الناس فينظر إلى القتال.. فَلَمَّا كان يوم الثلاثاء أو الأربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة١٣٧هـ التقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً، فَلَمَّا رأى أبو مسلم ذلك أرسل إلى الحسن بن قحطبة وكان على ميمنته ـ [أي على ميمنة الجيش] ـ أن: أعرِ الميمنة وضُمَّ أكثرَها إلى الميسرة وليكُن في الميمنة حماة أصحابك وأشدّاؤهم، ـ ففعل الحسن بن قحطبة ذلك ـ فَلَمَّا رأوا ذلك ـ أصحاب عبد اللّٰه بن عليّ ـ أعروا ميسرتهم وانضمّوا إلى ميمنتهم، ثم أرسل أبو مسلم إلى الحسن: أن مُرْ أهل القلب فَلْيحملوا مع من بقي في الميمنة على ميسرتهم، فحملوا عليهم فحطموهم وجال أهل القلب والميمنة، فكانت الهزيمة على عبد اللّٰه بن عليّ وعسكره..» (أهـ).

ويتبيَّن من ذلك أن الحسن بن قحطبة كان قد ناقش تلك الخطة مع أبي مسلم قبل المعركة، ثم أثناء المعركة بعث إليه أبو مسلم التعليمات التنفيذية لمراحل الخطة، فقام الحسن بالتنفيذ الميداني حتى هزم عبد اللّٰه بن عليّ وجيشه فهرب عبد اللّٰه وبعض قادته ودخل جيش أبي جعفر المنصور بقيادة الحسن معسكرهم واحتووه، وأتى أبو مسلم إلى المعسكر فأمّنَ الناس وتمّ الكفّ عن الناس الذين كانوا مع عبد اللّٰه بن عليّ، وانتهت بذلك حركته أو فتنته في ٧ جمادى الثانية ١٣٧هـ.

قال الطبري: «وكتب أبو مسلم بذلك إلى أبي جعفر المنصور، فأرسل أبو جعفر أبا الخصيب مولاه يحصي ما أصابوا في عسكر عبد اللّٰه بن عليّ فغضب من ذلك أبو مسلم.. وافترى أبو مسلم على أبي الخصيب وهَمّ بقتله فَكُلِّم فيه وقيل له إنما هو رسول، فخلّى سبيله فرجع إلى أبي جعفر، فخاف أبو جعفر أن يمضي أبو مسلم إلى خراسان فكتب إليه كتاباً: إن قد وليتُك مصر والشام فهي خيرٌ لك من خراسان فوجّه إلى مصر من أحببت وأقمْ بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين، فَلَمَّا أتاه الكتاب غضب وقال: هو يوليني الشام ومصر، وخُراسان لي.. وشتم أبا جعفر.. وسار أبو مسلم من الجزيرة مجمعاً على الخلاف، وخرج من وجهه معارضاً يريد خُراسان». [ص١٦١/٩].

وقال د. فاروق عمر: «إن أبا مسلم كان يستهزىء برسائل الخليفة أبي جعفر

المنصور التي تَرِدُ عليه. ويقول الكوفي ـ صاحب كتاب الفتوح ـ إن الحسن بن قحطبة الطائي كتب إلى الخليفة عن تصرفات أبي مسلم رسالة قال فيها: يا أمير المؤمنين إن الشيطان الذي كان ينفخ في رأس عبد اللّه بن عليّ قد انتقل إلى رأس أبي مسلم»[١].

وكان أبو جعفر المنصور قد كتب إلى حميد بن قحطبة بتوليته على الجزيرة الفراتية وكتب إلى الحسن بن قحطبة بأن يعود إلى عمله والياً لأرمينية، وخاصة بعد أن سار أبو مسلم الخراساني من الجزيرة مجمعاً على الخلاف، ومضى إلى إقليم الرَّي معارضاً يريد خراسان فبعث إليه أبو جعفر المنصور جرير بن يزيد البجلي فخدعه وردّه إلى المنصور، فواجهه بعدة تُهم (أهمها قيامه بقتل سليمان بن كثير الخزاعي نقيب نقباء الدعوة العباسية وعليّ بن جديع الكرماني الأزدي بخراسان)[١] وأمر أبو جعفر المنصور عثمان بن نهيك العكي قائد الحرس وثلاثة من الحرس فوثبوا على أبي مسلم وقتلوه في ٢٥ شعبان سنة١٣٧هـ.

وقد عاد الحسن بن قحطبة إلى أرمينية وعاصمتها مدينة برذعة بالبيلقان فاستمر والياً عليها بينما تولّى أخوه حميد بن قحطبة الجزيرة الفراتية، وذلك إلى سنة١٤٠هـ.

وفي سنة١٤٠هـ كتب الخليفة أبو جعفر المنصور إلى الأمير الحسن بن قحطبة بأن يسير ـ بعسكره ـ ويوافي عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بالجزيرة ـ الفراتية ـ ويتوجها إلى ملطية وبقية الثغور الجُزرية المتاخمة لأرض الروم، وكان سبب ذلك أن الطاغية قسطنطين ملك الروم غزا ثغر ملطية وحصن قلوذية وثغر المصيصة. قال الطبري: «في سنة١٣٨هـ كان دخول قسطنطين طاغية الروم ملطية عنوةً وقهره لأهلها وهدمه سورها وعفوه عمّن فيها من المقاتلة والذرية..»[٢] وقال البلاذري: «.. هَدّم الرومُ ملطيةَ فلم يُبقوا منها إلا هريا، فإنهم شعثوا منه شيئاً يسيراً، وهدّموا حصن قلوذية.. وألّحت الرومُ على المصِّيصَة حتى أجلوا ـ المسلمين ـ عنها»[٣]. قال البلاذري: «وكتب المنصور إلى صالح بن عليّ يأمره ببناء ملطية وتحصينها ثم رأى أن يوجّه عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام والياً للجزيرة، فتوجّه ـ إلى ثغورها ـ سنة١٤٠هـ ومعه الحسن بن قحطبة الطائي، وقطع البعوث على أهل الشام والجزيرة فتوافى معه سبعون ألفاً، فعسكر على ملطية، وقد

---

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٩ و١٠٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٧١ جـ ٩.

(٣) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ١٩٠ ـ ١٩١.

جمع الفعلة (أي العمال) من كل بلد فأخذ في بناء ملطية، وكان الحسن بن قحطبة ربما حمل الحجر حتى يناوله البَنّاءَ وجعل يُغدِّي الناس وُيعشّيهم من ماله مُبرزاً مطابخه. فغاظ ذلك عبد الوهاب فكتب إلى أبي جعفر المنصور يُعلمه أنه يُطعمُ الناس وأن الحسن بن قحطبة يُطعم أضعاف ذلك التماساً لأن يطوله ويُفسد ما يصنع، ويهجنه بالإسراف والرياء وإن له منادين يُنادون الناس إلى طعامه. فكتب إليه أبو جعفر المنصور: يا صبيّ، يُطعمُ الحسنُ من ماله وتُطعمُ من مالي، ما أتيتَ ـ ما أتيت ـ إلا من صغر خطرك وقلة همتك وسفه رأيك. وكتب أبو جعفر المنصور إلى الحسن بن قحطبة: أن أطعم الناس ولا تتخذ منادياً. فكان الحسن بن قحطبة يقول: مَنْ سَبَق إلى بناء شرفة فله كذا، فجدّ الناس في العمل حتى فرغوا من بناء ملطية ومسجدها في ستة أشهر وبنوا للجند الذين أُسكنوها ـ وكانوا أربعة آلاف ـ لكل عرافة بيتان سفليان وعليتان فوقهما واصطبل، والعرافة عشرة نفر إلى خمسة عشر، وبنوا مسلحة على ثلاثين ميلاً منها، ومسلحة على نهر يدعى قباقب في الفرات ـ [بتركيا] ـ وبنوا حصن قلوذية.. ورجع أهل ملطية إليها». [ص١٩١].

وعلى الصعيد الحربي، ذكر الطبري وابن الأثير وابن خلدون أنه: «في سنة١٣٩هـ غزا من درب ملطية جعفر بن حنظلة البهراني، ولم يكن بعد ذلك للمسلمين صائفة ـ أي غزوة صيفية إلى أرض الروم ـ حتى سنة١٤٦هـ، إلا أن الحسن بن قحطبة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام سنة١٤٠هـ». قال البلاذري: «.. وكان مع عبد الوهاب في هذه الغزاة نصر بن مالك الخزاعي ونصر بن سعد الكاتب فقال الشاعر:

تكنفك النصران: نصرُ بن مالك ونصرُ بن سعد، عزّ نصرك من نصر

وأَقْبَلَ قسطنطين الطاغية في أكثر من مائة ألف فنزل جيحان فبلغه كثرة العرب فأحجم عنها» ـ أي عن ملطية والثغور الواقعة في جنوب تركيا. ثم توقفت الصوائف إلى أرض الروم حتى سنة١٤٦هـ وعاد الحسن بن قحطبة إلى أن كتب إليه أبو جعفر المنصور ـ سنة١٤٩هـ ـ بأن يوافيه إلى الموصل.

وفي سنة١٤٩هـ سار الخليفة أبو جعفر المنصور من بغداد إلى الموصل، ووافاه إليها الحسن بن قحطبة أمير أرمينية والعباس بن محمد أمير الجزيرة الفراتية، وكان مع المنصور أيضاً محمد بن الأشعث الخزاعي أمير أفريقيا السابق، فوجّههم المنصور إلى الثغور لغزو الروم وتحرير حصن كمخ وهو مما يلي ملطية من ثغور الجزيرة وكان الروم قد احتلوا كمخ في فترة سابقة. قال البلاذري في فتوح

البلدان: «لَمَّا كانت سنة١٤٩هـ شَخَصَ المنصور عن بغداد حتى نزل حديثة الموصل، ثم أغزى منها الحسن بن قحطبة وبعده محمد بن الأشعث وجعل عليهما أخاه العباس بن محمد وأمره أن يغزو بهم كمخ فمات محمد بن الأشعث بآمد، وسار العباس والحسن حتى صارا إلى ملطية فحملا منها الميرة ثم أناخا على كمخ، فأمر العباس ـ ومعه الحسن ـ بنصب المنجنيق عليه، فجعلوا ـ (أي الروم) ـ على حصنهم خشب العرعر لئلا يُضرُّ به حجارة المنجنيق، ورموا المسلمين فقتلوا منهم بالحجارة مائتي رجل، فاتخذ المسلمون الدبابات وقاتلوا قتالاً شديداً حتى فتحوه». [ص١٨٨] ثم عاد الحسن بن قحطبة إلى أرمينية.

***

وكانت مدينة برذعة بالبيلقان عاصمة السلطة العربية الإسلامية في أرمينية ومقر الأمير الحسن بن قحطبة الطائي، وقام الحسن بشق نهر في البيلقان وغير ذلك من الإنجازات العمرانية. وكان الاستقرار سائداً في عهده إلى أن وقعت حركة تمرد في أرمينية حوالي سنة١٥٣هـ حيث ذكر البلاذري في فتوح البلدان ما يلي:

«إن أهل أرمينية انتقضوا في ولاية الحسن بن قحطبة الطائي، ورئيسهم موشائيل الأرمني، فبعث المنصور إلى الحسن الأمداد وعليهم عامر بن إسماعيل، فَواقَعَ الحسنُ موشائيل فَقُتل وفُضّت جموعه، واستقامت الأمور للحسن، وهو الذي يُنسب إليه نهر الحسن بالبيلقان، والباغ الذي يُعرف بباغ الحسن ببرذعة». [ص٢١٢].

***

واستمر الحسن بن قحطبة والياً لأرمينية في خلافة المهدي بن أبي جعفر المنصور، ووجّهه المهدي لغزو أرض الروم في جيش عظيم سنة١٦٢هـ وكان سبب ذلك أن الروم بقيادة ميخائيل غزوا الثغور الإسلامية ـ سنة١٦١هـ ـ حيث: كما ذكر البلاذري: «أقْبَلَ ميخائيل من درب الحدث في ثمانين ألفاً فأتى عمق مرعش فقتل وأحرق وسبى من المسلمين خلقاً وصار إلى باب مدينة مرعش وبها عيسى بن عليّ وكان قد غزا في تلك السنة فخرج إليه موالي عيسى وأهل المدينة ومقاتلتهم فرشقوه بالنبال والسهام فاستطرد لهم حتى إذا نحاهم عن المدينة كَرّ عليهم فقتل من موالي عيسى ثمانية نفر واعتصم الباقون بالمدينة فأغلقوها فحاصرهم بها ثم انصرف فنزل جيحان، وبلغ الخبر ثمامة بن الوليد العبسي وهو بدابق، وكان قد وُلّي الصائفة سنة١٦١هـ فوجّه إليه خيلاً كثيفة فأُصيبوا إلا من نجا منهم. فأحفظ ذلك المهدي واحتفل لإغزاء الحسن بن قحطبة في العام المقبل وهو سنة١٦٢هـ» وقال البلاذري: «كان حصن الحدث مما فتح أيام عمر فتحه حبيب بن مسلمة من قِبَل عياض بن غنم وكان معاوية يتعهده بعد ذلك.. ولَمَّا كان زمن فتنة

مروان بن محمد خرجت الروم فهدمت مدينة الحدث وأجْلَتْ عنها أهلها، ثم لَمَّا كانت سنة١٦١هـ خرج ميخائيل إلى عمق مرعش، ووجّه المهدي الحسن بن قحطبة» [ص١٩٣] ـ وقد ذكر الطبري أنه: «في سنة١٦٢هـ غزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثلاثين ألفاً سوى المطّوّعة فبلغ حَمّة أذْرُولِيَة.. في بلاد الروم، وسمّته الروم التنين» وذكر البلاذري في فتوح البلدان ما يلي نصه:

«غزا الحسن بن قحطبة الطائي بلاد الروم سنة١٦٢هـ في أهل خراسان وأهل الموصل والشام وأمداد اليمن ومطوّعة العراق والحجاز. وكان الحسن قد أبلى في تلك الغزاة بلاء حسناً ودوّخ أرض الروم حتى سمّوه الشيتن».

«ولمّا وجّه المهديُّ الحسن بن قحطبة ـ سنة١٦٢هـ ـ ساح في بلاد الروم فثقلت وطأته على أهلها حتى صوّروه في كنائسهم، وكان دخوله من درب الحدث، فنظر إلى موضع مدينتها، فأُخبر أن ميخائيل خرج منه، فارتاد الحسنُ موضع مدينته هناك، فَلَمَّا انصرف كلَّم المهدي في بنائها وبناء طرسوس فأمر بتقديم بناء مدينة الحدث». [ص١٩٤].

«لَمَّا خرج الحسن بن قحطبة من بلاد الروم ـ [أي عاد منها] ـ نزل مرج طرسوس فركب إلى مدينتها وهي خراب فنظر إليها وأطاف بها من جميع جهاتها وحزر عدّة مَنْ يسكنها ـ [أي مَنْ يمكن أن يسكنها إذا بُنِيت] ـ فوجدهم مائة ألف، فَلَمَّا قَدِم على المهدي وصف له أمرها وما في بنائها وتحصينها وشحنتها بالمقاتلة من غيظ العدو وكبته، وعزّ الإسلام وأهله وعظيم الغناء عن الإسلام. وأخبره أيضاً عن الحدث بخبر رَغَّبَه في بناء مدينتها، فأمره المهدي أن يبدأ بمدينة الحدث فبنيت، وأوصى المهدي ببناء طرسوس». [ص١٧٣].

* * *

وفي حوالي سنة١٦٧هـ انتهت ولاية الحسن بن قحطبة لأرمينية. وغالب الظن أنه استعفى المهدي من ولايتها، لأن ولايته قد طالت وصار كبيراً في السن، فأعفاه المهدي. وسكن الحسن بن قحطبة بالجزيرة الفراتية وهو من عشائر طيىء الذين سكنوا الجزيرة الفراتية منذ الفتوحات والعصر الأموي. وكان ابنه محمد بن الحسن من كبار القادة، وقد ولّى الخليفة هارون الرشيد ـ سنة١٨٠هـ ـ محمد بن الحسن بن قحطبة خراسان وسجستان.

وفي سنة١٨١هـ توفي الحسن بن قحطبة بالجزيرة الفراتية. قال الطبري: «في سنة١٨١هـ مات الحسن بن قحطبة». وقال ابن الأثير: «في سنة١٨١هـ توفي الحسن بن قحطبة وكان عمره أربعاً وثمانين سنة».

أمراء الثغور والصوائف إلى أرض الروم والولاة اليمانيون بعد الحسن بن قحطبة

١ ـ جعفر بن حَنْظَلة البهراني . . أول أمراء الصوائف بالعصر العباسي :

هو الأمير القائد اليماني جعفر بن حنظلة البهراني. من قبيلة بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير. قال الشاعر:

ألـم تـر أن الـحـيّ كـانـوا بـغـبـطـة ... بـمـأرب إذ كـانـوا يـحـلـونـهـا مـعـا
بَـلِـيٌّ وبـهـراءُ وخـولان أخـوة ... لعمرو ابن حاف فرع من قد تفرعا

وقد انتقلت بهراء من اليمن وسكنت بالشام والجزيرة الفراتية، وكان منهم معلَّق بن صفراء البهراني أمير أرمينية في خلافة يزيد بن عبد الملك سنة١٠١ ـ ١٠٢هـ، وجعفر بن حنظلة البهراني. وكان جعفر بن حنظلة من قادة الجيش العربي الذي دخل خُراسان في ولاية أسد بن عبد اللّه القسري سنة١١٦ ـ ١٢٠هـ ولَمَّا مات أسد استخلف جعفر بن حنظلة على خُراسان فمكث والياً عليها سنة١٢٠هـ، ثم انتقل إلى العراق فكان من القادة الأمراء بها حتى قيام الخلافة العباسية، ثم أصبح من مستشاري الخليفة أبي جعفر المنصور بالعراق وكان ممّن أيّد قتل أبي مسلم الخراساني لَمَّا حاول الانتقاض في شعبان سنة١٣٧هـ. ثم ولَّاه المنصور قيادة أول غزوات الصوائف إلى أرض الروم ـ في تركيا ـ في العصر العباسي سنة١٣٩هـ.

قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «في سنة١٣٩هـ غزا من درب ملطية جعفر بن حنظلة البهراني. وفيها كان الفداء الذي جرى بين المنصور وصاحب الروم فاستنقذ المنصور منهم أسرى المسلمين. ولم يكن بعد ذلك للمسلمين صائفة إلى سنة١٤٦هـ لاشتغال المنصور بأمر ابنيْ عبد اللّه بن الحسن. . إلّا أنّ الحسن بن قحطبة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام سنة١٤٠هـ. . ثم لم يكن بعدها إلى سنة١٤٦هـ صائفة». [ص١٧١/ ٩].

وبعد القضاء على فتنة ابنيْ عبد اللّه بن الحسن العلوي بالحجاز والبصرة في ذي القعدة سنة١٤٥هـ عادت الصوائف وكان جعفر بن حنظلة أول قادتها في هذه

المرحلة أيضاً حيث كما ذكر الطبري: «في سنة١٤٦هـ غزا الصائفة جعفر بن حنظلة البهراني». [ص٢٦٤/ ٩].

ولم يزل جعفر بن حنظلة من قادة ومستشاري المنصور. وتوفي حوالي سنة١٥٠هـ.

❋ ❋ ❋

٢ ـ جبريل بن يحيى البَجَلِي.. باني مدينة المَصِّيصَة في تركيا:

هو القائد اليماني جبريل بن يحيى بن قُرَّة البَجَلي: كان من قادة الجيش العربي بالثغور الشامية مع صالح بن علي العباسي حين وجّهه الخليفة أبو جعفر المنصور إلى ثغور الشام وأمره ببناء مدينة المَصِّيصَة التي كان الروم قد غزوها وأجلوا أهلها منها وأخربوها سنة١٣٣هـ. قال البلاذري في فتوح البلدان: «أَلَحَّ الروم على أهل المصِّيصة في أول أيام الدولة العباسية حتى جلوا عنها.. ثم لَمَّا أُسْتُخلف المنصور ودخلت سنة١٣٩هـ أمر المنصور بعمران مدينة المصِّيصة. فوجّه صالح بن عليّ جبريل بن يحيى البجلي إليها فعمرها وأسكنها الناس في سنة١٤٠هـ.. وكان حائطها متشعثاً من الزلازل وأهلها قليل في داخل المدينة، فبنى سور المدينة وأسكنها أهلها سنة١٤٠هـ وبَنَى فيها مسجداً جامعاً في موضع هيكل كان بها». [ص١٧٠]. وقال الطبري: «في سنة١٤١هـ فُرِغ من بناء المصيصة على يدي جبريل بن يحيى»[ص١٧٦/ ٩].

وذكر البلاذري: «الجسر الذي على طريق أذنة من المصيصة وهو على تسعة أميال من المصيصة» ثم قال: «بُنيت أذنة في سنة١٤١هـ أو سنة١٤٢هـ والجنود مُعسكرون عليها مع مَسْلمة بن يحيى البجلي ومالك بن أدهم، وجههما صالح بن عليّ». [ص١٧٢] ـ وأذنة هي مدينة أضنة في تركيا. فبينما قام جبريل ببناء مدينة المصيصة ساهم أخوه مَسْلمة في بناء مدينة أذنة، والمدينتان في جمهورية تركيا حالياً.

ومكث جبريل قائداً بالثغور المتاخمة لأرض الروم ولأرمينية حيث «في سنة١٤٧هـ أغار أسترخان الخزري في جموع الخزر والترك على منطقة تفليس [بأعالي أرمينية]، فوجّه المنصور جبريل بن يحيى البجلي وحرب بن عبد اللّه الرواندي لقتالهم، فقُتِل حرب بن عبد اللّه، وانهزم جبريل وانسحب من تفليس. وفي سنة١٤٨هـ وجّه المنصور حميد بن قحطبة لقتال أسترخان وقومه الذين عاثوا بتفليس ـ وانضم إليه جبريل ـ فهرب الخزر من تفليس.

وفي سنة١٥٠هـ انتقل جبريل إلى خراسان وكان من كبار القادة بها في ولاية حميد بن قحطبة الطائي لخراسان سنة١٥١ ـ ١٥٩هـ. قال ابن الأثير: «وفي

سنة١٥٩هـ مات حميد بن قحطبة بخراسان فولّى المهديُّ مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد، وولّى حمزة بن مالك سجستان، وولّى جبريل بن يحيى سمرقند فبنى سورها وحفر خندقها». [ص٥٣ جـ٥].

ومكث جبريل أميراً لسمرقند إلى خلافة هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور (١٧٠ ـ ١٩٣هـ) بينما أصبح ابنه إبراهيم بن جبريل البجلي من أمراء الثغور والصوائف إلى أرض الروم حيث قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك أنه: «في سنة١٨٨هـ غزا إبراهيم بن جبريل الصائفة ودخل أرض الروم من درب الصَّفصاف، فخرج لقتاله نقفور ـ ملك الروم ـ فورد عليه من ورائه أمرٌ صرفه عن لقائه فانصرف ومرّ بقوم من المسلمين فجُرح ثلاث جراحات وانهزم وقُتِل من الروم فيما ذُكر ـ في تلك الغزوة ـ أربعون ألفاً وسبعمائة، وأُخذ ـ منهم ـ أربعة آلاف دابة». [ص٩٥ جـ١٠].

ولم يزل إبراهيم بن جبريل من كبار القادة الأمراء بالثغور حتى وفاته بعد سنة٢٠٠هـ.

***

٣ـ معيوف بن يحيى الهَمْداني . . أمير الصوائف وفاتح قبرص (١٥٣ ـ ١٩٠هـ):

هو القائد اليماني أبو حميد معيوف بن يحيى الحَجُوريّ الهمداني: أمير وقائد الغزوات الصيفية إلى أرض الروم ـ في أعالي تركيا ـ منذ سنة١٥٣هـ وفاتح جزيرة قبرص مع ابنه حميد بن معيوف سنة١٩٠هـ.

كانت أول الغزوات التي قادها إلى أرض الروم في خلافة أبي جعفر المنصور سنة١٥٣هـ. قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «في سنة١٥٣هـ غزا الصائفة معيوف بن يحيى الحَجُوري فصار إلى حصن من حصون الروم ليلاً وأهله نيام فسبى وأسر من كان فيه من المقاتلة. ثم صار إلى اللاذقية المُحترقة ففتحها وأخرج منها ستة آلاف رأس من السبي سوى الرجال البالغين». [ص٢٨٤/ ٩] والأصوب أن المدينة التي فتحها معيوف اسمها (أنطاكية المحترقة). قال الطبري: «وفي سنة١٥٨هـ غزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب الحدث فلقي العدو ـ أي الروم ـ فاقتتلوا ثم تحاجزوا». [ص٣٤٧/ ٩].

واستمر معيوف في قيادة الصوائف في خلافة المهدي بن المنصور وخلافة الهادي بن المهدي (١٦٩ ـ ١٧٠هـ) حيث قال الطبري: «في سنة١٦٩هـ غزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب الراهب، فبلغ مدينة أشنَةَ فأصاب سبايا وأسارى». [ص٣٢/ ١٠].

وفي خلافة هارون الرشيد، وكما ذكر الطبري « ـ في سنة١٩٠هـ ـ ولَّى الرشيدُ حميد بن معيوف سواحل بحر الشام إلى مصر، فبلغ وغزا قبرص..» ثم قال الطبري نفسه: «نقض أهل قُبرُص العهد فغزاهم معيوف بن يحيى» [ص٩٩/ ١٠] ـ ويجمع القولين أن حميد بن عوف وأباه كانا معاً في ذلك الغزو والفتح لجزيرة قبرص سنة١٩٠هـ وكان حميد قائد وأمير الأسطول البحري بسواحل بحر الشام إلى مصر، وكان أسقف قبرص قد نقض عهداً بينه وبين دولة الخلافة بحيث ذكر الطبري وكذلك ذكر ابن الأثير في كتاب الكامل أنه في سنة١٩٠هـ: «نقض أهل قُبرص العهد فغزاهم معيوف بن يحيى وسبى أهلها». وذكر الطبري وابن الأثير أنه: «غزا حميد بن معيوف قبرص، وسَبَى من أهلها ستة عشر ألفاً، فأقْدَمَهُم الرافقة فبِيعُوا بها، وبلغ فداء أسقف قبرص ألفيْ دينار». [ص١٢٣/ ٥ ـ الكامل].

بينما قال البلاذري في فتوح البلدان: «غزا قبرص حميد بن معيوف الهمداني في خلافة الرشيد لحدث أحدثوه، فأسر منهم بشراً، ثم إنهم استقاموا للمسلمين فأمر الرشيد بردّ من أُسر منهم، فردُّوا». [ص١٥٩].

قال البلاذري: «وغزا حميد بن معيوف الهمداني في خلافة الرشيد جزيرة أقريطش ففتح بعضها». [ص٢٣٧] وجزيرة أقريطش هي جزيرة كريت باليونان. وقد وجّه عبد اللّه بن طاهر بن الحسين الخزاعي أمير الشام ومصر في خلافة المأمون بن الرشيد فرقة من عرب الأندلس الذين كانوا بالاسكندرية إلى جزيرة كريت سنة٢١٠هـ فامتلكوها واستقروا بها وحكموها مائة وأربعين سنة إلى سنة٣٥٠هـ الموافق ٩٦٠ ميلادية.

* * *

٤ ـ رَوْح بن حاتم المُهَلَّبيّ. أمير أرمينية (١٦٨ ـ ١٧٠هـ):

هو الأمير رَوْح بن حاتم بن قَبِيْصَة بن المهلَّب الأزدي. وقد ذكر البلاذري في فتوح البلدان أنه: «وُلِّي رَوْح بن حاتم أرمينية». [ص٢١٢].

ولم يذكر البلاذري زمن ولاية رَوْح بن حاتم لأرمينية سوى أنه ممّن وُلِّي أرمينية بعد الحسن بن قحطبة. وبما أن رَوْح بن حاتم كان والياً لولاية البصرة بالعراق والكوفة سنة١٦٥ ـ ١٦٨هـ ـ في خلافة المهدي بن المنصور ـ يكون قد وُلِّي أرمينية سنة١٦٨ ـ ١٧٠هـ في أواخر خلافة المهدي وفي خلافة الهادي بن المهدي (١٦٩ ـ ١٧٠هـ) حيث تعرضت مدينة الحدث لغزو الروم. قال البلاذري: «لَمَّا بلغ الهادي خبر مدينة الحدث قطع بعثاً مع المسيب بن زهير وبعثاً مع روح بن حاتم، وبعثاً مع حمزة بن مالك الخزاعيّ. فمات الهادي قبل أن ينفذوا ثم وُلِّي

الرشيد الخلافة ـ في شهر ربيع ١٧٠هـ ـ فأمر ببناء مدينة الحدث وتحصينها وشحنتها بالمقاتلة». [ص١٩٥]. وكان رَوْح بن حاتم آنذاك والياً لأرمينية، ثم ولّاهُ الرشيد فلسطين ثم ولّاه أفريقيا الشمالية (١٧١ ـ ١٧٤هـ) ومات بها في رمضان ١٧٤هـ.

* * *

٥ ـ العباس بن جعفر الخزاعيّ.. فاتح حصن سنان في تركيا:

هو الأمير اليماني العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث بن عُقْبة بن أهبان الخزاعي. حفيد الأمير محمد بن الأشعث والي أفريقيا الشمالية سنة١٤١ ـ ١٤٨هـ. وكان أبوه ـ جعفر بن محمد بن الأشعث ـ وزير ديوان خاتم الخليفة ببغداد ثم ولّاهُ الرشيد خراسان سنة١٧١ ـ ١٧٣هـ ثم استقدمه الرشيد وولّى مكانه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث فمكث العباس بخراسان والياً عليها سنة١٧٣ ـ ١٧٥هـ ثم استقدمه الرشيد إلى العراق.

وفي سنة١٨٧هـ وجهه الرشيد مع ابنه القاسم بن الرشيد لغزو أرض الروم. قال الطبري: «دخل القاسم بن الرشيد أرض الروم في شعبان ١٨٧هـ فأناخ على قرّة وحاصرها ووجّه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث فأناخ على حصن سنان حتى جهدوا فبعثت إليه الروم تبذل له ثلاثمائة وعشرين رجلاً من أسارى المسلمين على أن يرحل عنهم، فأجابهم إلى ذلك، ورحل عن قرّة وحصن سنان صلحاً». [ص٩١/ ١٠].

ثم كان العباس وأخوه عقبة بن جعفر من كبار القادة الذين غزوا أرض الروم مع الخليفة هارون الرشيد سنة١٩٠هـ حيث فتح الرشيد وأخرب حصن هرقلة وبث القادة والجيوش إلى حصون أرض الروم، فأناخ عبد اللّه بن مالك الخزاعي على قلعة ذي كلاع، وأناخ العباس على حصن سنان. قال الطبري: «وسار الرشيد إلى الطُّوّانَة فعسكر بها ثم رحل عنها وخَلَف عليها عقبة بن جعفر وأمره ببناء منازل هنالك. ثم بعث نقفور ـ ملك الروم ـ إلى الرشيد بالجزية عن سائر أهل بلده خمسين ألف دينار.. واشترط نقفور على الرشيد ألا يخرّب ذا الكلاع ولا حصن سنان، واشترط الرشيد عليه ألا يعمر هرقلة وأن يحمل نقفور ثلاثمائة ألف دينار» [ص٩٩/ ١٠] ـ فانعقد الصلح على ذلك سنة١٩٢هـ. ولم يزل العباس من كبار القادة، ووجّهه الرشيد مع المأمون إلى خراسان سنة١٩٣هـ. ومات حوالي سنة١٩٤هـ.

* * *

٦ ـ ثابت بن نصر الخزاعيّ. . أمير الثغور وفاتح مطمورة (في تركيا):

هو الأمير اليماني ثابت بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي. كان أبوه من كبار القادة الذين غزوا إلى أرض الروم مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام والحسن بن قحطبة الطائي سنة١٤٠هـ. قال البلاذري: «كان مع عبد الوهاب في هذه الغزاة نصر بن مالك بن الهيثم ونصر بن سعد الكاتب، فقال الشاعر:

تكنفك النصرانُ: نصرُ بن مالك ونصر بن سعد، عزّ نصرك من نصر»

وتولّى نصر بن مالك إمرة شرطة الخليفة المهدي بن المنصور ومات وهو أمير للشرطة سنة١٦١هـ. وكان أخوه حمزة بن مالك أميراً لسجستان سنة١٥٩هـ وغزا الصائفة سنة١٧٠هـ وولّاهُ الرشيد بن المهدي خراسان سنة١٧٦ ـ ١٧٧هـ وتوفي سنة١٨١هـ، فأصبح ثابت بن نصر بن مالك بن الهيثم من كبار الأمراء القادة. وولّاهُ الرشيد على الثغور المتاخمة لأرض الروم جميعها سنة١٩٢هـ. قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «في سنة١٩٢هـ ولّى الرشيد ثابت بن نصر بن مالك الثغور وغزا فافتتح مطمورة. وفيها ـ سنة١٩٢هـ ـ كان الفداء بين المسلمين والروم ـ في الأسرى ـ على يدي ثابت بن نصر» [ص١٠٨/ ١٠].

وقال ابن الأثير: «استعمل الرشيد على الثغور ثابت بن نصر بن مالك فافتتح مطمورة. وفيها ـ سنة١٩٢هـ ـ كان الفداء بين المسلمين والروم وكان القائم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي، وكان عدة الأسرى من المسلمين ألفين وخمسمائة أسير» [ص١٢٨/ ٥ ـ الكامل].

ومكث ثابت بن نصر أميراً للثغور إلى خلافة الأمين بن الرشيد وإلى أيام الفتنة والصراع على الخلافة بين الأمين والمأمون سنة١٩٤ ـ ١٩٥هـ بينما كان ابن عمه المطّلب بن عبد اللّه بن مالك والياً للموصل وأذربيجان سنة١٩٤ ـ ١٩٧هـ. ثم عاد ثابت بن نصر إلى بغداد وكان من كبار الأمراء القادة بها سنة٢٠١ ـ ٢٠٣هـ في خلافة المأمون.

* * *

٧ـ عبد اللّه بن طاهر الخزاعيّ. . أمير الجزيرة الفراتية والثغور (٢٠٤ـ ٢١١هـ):

هو الأمير اليمانيّ عبد اللّه بن طاهر بن الحسين الخزاعيّ. كان أبوه ـ الأمير طاهر بن الحسين الخزاعيّ ـ والياً للجزيرة الفراتية والموصل وما جاورها للخليفة المأمون بن الرشيد (سنة١٩٩ ـ ٢٠٤هـ) ثم استقدم المأمونُ طاهر بن الحسين إلى العراق فقَدِم إليها واستخلف عبد اللّه بن طاهر على الجزيرة الفراتية وعاصمتها

الرَّقّة. ودخل طاهر بغداد مع المأمون في صفر سنة٢٠٤هـ فولّاه المأمون جانبيْ بغداد وإمرة الشرطة والجزيرة الفراتية، فمكث عبد اللّه بن طاهر أميراً نائباً لأبيه بالجزيرة الفراتية سنة٢٠٤ ـ ٢٠٥هـ، وولّى المأمون على الموصل السيد بن أنس الأزدي وكانت أذربيجان ترتبط بوالي الموصل. ثم عاد عبد اللّه بن طاهر إلى بغداد سنة٢٠٥هـ وصار نائباً لأبيه على أعمال بغداد، ثم ولّى المأمونُ طاهر بن الحسين خراسان وآسيا الوسطى فسار إليها في ذي القعدة سنة٢٠٥هـ، وولّى المأمون عبد اللّه بن طاهر الجزيرة الفراتية والثغور في رمضان سنة٢٠٦هـ فمضى إلى الرَّقّة، وتولّى حكم الجزيرة الفراتية والثغور الممتدة في جنوب تركيا إلى تخوم أرض الروم، وكان الروم قد تغلّبوا على بعض تلك الثغور ومنها حصن كمخ ـ في جنوب تركيا ـ فقام عبد اللّه بن طاهر بتحريرها سنة٢٠٧هـ، حيث قال البلاذري في فتوح البلدان: «كان الروم قد تغلّبوا على حصن كمخ أيام هيج الأمين بن الرشيد فهرب أهله وغلبت عليه الروم ثم فتحه عبد اللّه بن طاهر في خلافة المأمون». [ص١٧٠].

وفي سنة٢٠٨هـ قام الأمير عبد اللّه بن طاهر بتوسيع وزيادة البناء في مدينة المصِّيْصَة ـ بتركيا ـ التي تم بناؤها في خلافة أبي جعفر المنصور سنة١٤١هـ. قال البلاذري: «. . لَمَّا استُخلِف المهدي بن المنصور فَرَضَ بالمصيصة لألفيّ رجل [يرابطون فيها]. ولم تزل الطوالع [طوالع المسلمين] تأتيها من أنطاكية في كل عام فكثر من بها وقوّوا، وذلك في خلافة المهدي. ثم زاد المأمون في بناء المصِّيْصَة أيام ولاية عبد اللّه بن طاهر بن الحسين». [ص١٨٥].

وقد استمرت ولاية عبد اللّه بن طاهر للجزيرة الفراتية والثغور والشام إلى أن سار إلى مصر سنة٢١٠هـ فشملت ولايته الجزيرة الفراتية والثغور والشام ومصر إلى أواخر سنة٢١١هـ. وكان عبد اللّه بن طاهر من أكابر الملوك الولاة في ذلك الزمان.

* * *

٨ ـ إبراهيم بن الليث التُجيبيّ . . أمير أذربيجان (٢٠٩ ـ ٢١١هـ):

هو القائد اليمانيّ إبراهيم بن الليث بن الفضل التجيبيّ الحضرمي: كان من القادة في ولاية المُوصل وثغور أذربيجان في عهد ولاية السيد بن أنس الأزدي للموصل منذ سنة٢٠٤هـ. قال الطبري: «وفي سنة٢٠٩هـ ولّى المأمون عليّ بن صدقة المعروف بزريق أرمينية وأذربيجان، وأمره بمحاربة بابك الخرّمي، وأقام بأمره ـ[أي بأمر قتال بابك] ـ أحمد بن الجنيد الإسكافي فأسره بابك. فولّى ـ المأمون ـ إبراهيم بن الليث بن الفضل التُجيبيّ أذربيجان». [ص٢٦٨/ ١٠].

وبينما تولَّى إبراهيم بن الليث أذربيجان، تمرد عليّ بن صدقة المعروف بزريق. قال ابن الأثير: «كان زريق عليّ بن صدقة الأزدي الموصلي قد تغلب على الجبال ما بين الموصل وأذربيجان وجرى بينه وبين السيد بن أنس أمير الموصل حروب كثيرة. فَلَمَّا كانت سنة٢١١هـ جمع زريق جمعاً كثيراً وسيّرهم إلى الموصل لحرب السيد، فخرج إليهم السيد في أربعة آلاف فالتقوا بسوق الأحد، فحين رآهم السيد حمل عليهم وحده، وحمل عليه رجل من أصحاب زريق فاقتتلا، فقتل كل واحد منهما صاحبه لم يُقتل غيرهما». [ص٢١٤/ ٥ ـ الكامل]ـ وكان ذلك سنة٢١١هـ الموافق ٨٢٦م.

* * *

٩ ـ محمد بن حميد الطائي.. أمير الموصل وأذربيجان (٢١٢ ـ ٢١٤هـ):

هو الأمير اليماني محمد بن حميد الطوسي النبهاني الطائي: كان من كبار القادة، ولَمَّا بلغ المأمون مقتل الأمير السيد بن أنس الأزدي ولَّى محمد بن حميد الموصل وأذربيجان وأمره بمحاربة زريق والمتغلبين بأذربيجان وبابك الخرّمي. قال ابن الأثير: «فسار محمد بن حميد إلى الموصل ومعه جيشه ـ (في أوائل سنة٢١٢هـ) ـ وجمع ما في الموصل من الرجال مِن اليمن وربيعة، وسار لحرب زريق ومعه محمد بن السيد بن أنس الأزدي، فبلغ الخبر إلى زريق فسار نحوهم فالتقوا على نهر الزاب، فراسله محمد بن حميد يدعوه إلى الطاعة فامتنع، فناجزه محمد واقتتلوا فانهزم زريق وأصحابه، ثم أرسل يطلب الأمان فأمَّنَه محمد بن حميد فنزل إليه، فسيّره إلى المأمون». [ص٢١٦/ ٥ ـ الكامل].

وفي سنة٢١٣هـ سار الأمير محمد بن حميد إلى بلاد أذربيجان، وكان قسم منها في الطاعة، وقسم منها بيد زعماء مسلمين متغلبين عليها، وقسم ثالث بأعالي أذربيجان بيد بابك الخُرّميّ وأصحابه الخُرّمَيّة غير المسلمين.

قال ابن الأثير: «سار محمد بن حميد إلى أذربيجان واستخلف على الموصل محمد بن السيد وقَصَدَ المخالفين المتغلبين على أذربيجان فأخذهم ـ أسرى ـ منهم يعلى بن مرّة ونظراؤه وسيّرهم إلى المأمون». [ص٢١٦/ ٥].

وفي سنة٢١٣ ـ ٢١٤هـ ـ وكما ذكر ابن الأثير: «سار محمد بن حميد نحو بابك الخُرّميّ، وقد جمع محمد العساكر والآلات والميرة فاجتمع معه عَالَمٌ من المتطوعة من سائر الأمصار، فسلك المضائق إلى بابك، وكان كلما جاوز مضيقاً أو عقبة ترك عليه من يحفظه من أصحابه إلى أن نزل بمدينة بهشتادسر وحفر خندقاً، ثم شاور في دخول بلد بابك، فأشاروا عليه بدخوله من وجه ذكروه له، فقَبِل

رأيهم، وعَبّى أصحابه. . وكان بابك الخرّمي يشرف عليهم من الجبل وقد كمن لهم الرجال تحت كل صخرة، فَلَمَّا تقدم أصحاب محمد وصعدوا في الجبل مقدار ثلاثة فراسخ خرج عليهم الكمناء وانحدر بابك إليهم فيمن معه، وانهزم الناس، وصبر محمد بن حميد مكانه فرأى جماعة وقتالاً فقصدهم فرأى الخرّمية يقاتلون طائفة من أصحابه، فحين رآه الخرّمية قصدوه فقاتلهم وقاتلوه، وضربوا فرسه بمزراق فسقط على الأرض، وأكبوا على محمد فقاتلوه وقاتلهم حتى استشهد. وكان محمد بن حميد ممدوحاً جواداً فرثاه الشعراء وأكثروا، منهم أبو تمام الطائي». [ص٢١٨/ ٥].

وجاء في كتاب الأغاني أنه: «قال أبو تمام في محمد بن حميد:

وما مات حتى مات مضروب سيفه ... من الضرب، واعتلت عليه القنا السُمرُ
وقد كان فوت الموت سهلاً، فردّه ... إليه الحفاظ المرُّ والخُلُقُ الوعرُ
فأثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت أخمصك الحشرُ
غدا غدوة والحمدُ نَسْجَ ردائه ... فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجرُ
كأنّ بني نبهان يوم مصابه ... نجوم سماء خرّ من بينها البدرُ
يُعَزّون في ثاوٍ يُعزى به العُلى ... ويبكي عليه البأسُ والجود والشعر»

[ص٩٩/ ١٥].

وكان استشهاده بأذربيجان سنة٢١٤هـ الموافق ٨٢٩م. وكان أخوه غانم بن حميد والياً للموصل في خلافة الواثق بن المعتصم بن الرشيد (٢٢٧ ـ ٢٣٢). قال ابن الأثير: «وفي سنة٢٣٢هـ كان أمير الموصل غانم بن حميد الطوسي». [ص٢٧٩/ ٥].

ومكث غانم بن حميد والياً للموصل إلى ما بعد سنة٢٣٣هـ وهو آخر الولاة اليمانيين للموصل في العصر العباسي.

* * *

١٠ ـ محمد بن حاتم الجَبَليّ. . أمير أذربيجان (إلى ٢٣٤هـ):

هو الأمير اليماني محمد بن حاتم بن هرثمة بن نصر الجبلي الكندي. كان جده الأمير هرثمة بن نصر والياً لمصر في خلافة المتوكل العباسي سنة٢٣٣ ـ ٢٣٤هـ بينما كان محمد بن حاتم بن هرثمة والياً لأذربيجان، ولم تذكر المصادر التي بأيدينا متى بدأت ولايته لأذربيجان، وربما بدأت في خلافة الواثق بن المعتصم بن الرشيد (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ) حيث كان غانم بن حميد الطوسي الطائي والياً للموصل سنة٢٣٠هـ. قال ابن الأثير: «وفي سنة٢٣٢هـ كان أمير الموصل

غانم بن حميد الطوسي» [ص٢٧٩/ ٥]ـ وقد مكث غانم أميراً للموصل إلى ما بعد سنة٢٣٣هـ في خلافة المتوكل العباسيّ الذي وُلّي الخلافة بعد الواثق بن المعتصم في ذي الحجة ٢٣٢هـ. وقد ذكر ابن الأثير في أحداث سنة٢٣٤هـ أنه: «. . كان الوالي على أذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة. .» [ص٢٨١/ ٥] ولم يذكر متى بدأت ولايته.

لقد كان محمد بن حاتم من آخر الولاة العرب اليمانيين لبلاد أذربيجان، وثالث ثلاثة أمراء يمانيين في ذلك العهد بأذربيجان وأرمينية وثغور الروم، وهُم:

ـ نصر بن حمزة بن مالك الخزاعيّ أمير الثغور: ولّاهُ الواثق بن المعتصم على الثغور سنة٢٣١هـ.

ـ عبد اللّه بن هشام الأنصاري أمير الباب والأبواب (دربند) وأرض شروان. قال المسعودي في مروج الذهب:

«ومَلِكُ الباب والأبواب وأرض شروان في هذا الوقت ـ سنة٢٣٥هـ ـ مَلِكٌ مُسلمٌ يقال له محمد بن يزيد وهو من ولد بهرام جور، وقد تَمَلّك محمد بن يزيد هذا بعد موت صهره عبد اللّه بن هشام، وكان عبد اللّه بن هشام رجلاً من الأنصار وكان فيهم إِمْرَة الباب والأبواب وقد كانوا قطنوا تلك الديار منذ دخلها مَسْلمة بن عبد الملك وغيره من أمراء الإسلام في صدر الزمان». [ص١٧٧ جـ١] ـ فكان عبد اللّه بن هشام الأنصاري آخر الأمراء العرب الذين حكموا الباب والأبواب وأرض شروان منذ فتحها مسلمة بن عبد الملك والجرّاح بن عبد اللّه الحكمي في صدر الزمان.

ـ محمد بن حاتم الجبليّ الكندي: كان والياً لأذربيجان إلى سنة٢٣٤هـ. وقد ذكر ابن الأثير في أحداث سنة٢٣٤هـ أنه: «هرب محمد بن البعيث إلى مرند وهي مدينة حصينة بأذربيجان، وأتاه من أراد الفتنة. . وكان الوالي بأذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة، فقَصّر في طلبه، فولّى المتوكل حمدويه السُّغدي (التركي) أذربيجان». [٢٨١/ ٥ ـ الكامل].

وبذلك انتهت ولاية محمد بن حاتم الجبلي الكندي وهو من آخر الولاة العرب الذين حكموا أذربيجان وأرمينية والذين كان أقدمهم الأشعث بن قيس الكندي سنة٢٢ ـ ٤٠هـ ومن آخرهم محمد بن حاتم الجبليّ الكندي سنة٢٣٤/ ٨٤٩م.

الولاة اليمانيون لبلاد السند (باكستان) في العصر العباسي

المبحث الأول

نبذة عن الفاتحين والولاة اليمانيين بالسند في العصر الأموي

١ ـ المُهلَّب بن أبي صُفرة الأزدي (٤٤ ـ ٤٦هـ):

هو الزعيم الفاتح المهلَّب بن أبي صُفرة الأزدي أمير وقائد أول فتح لثغور السند في خلافة معاوية بن أبي سفيان بالعصر الأموي. قال الحافظ ابن كثير: «غزا المهلَّب في أيام معاوية أرض الهند سنة٤٤ للهجرة»[١].

وقد شملت غزوات وفتوح المهلَّب منطقة (بنة) ومنطقة (الملتان) ومنطقة (لاهور) في ثغر السند والهند. وعن ذلك قال البلاذري: «غزا ذلك الثغر المهلَّب بن أبي صُفرة الأزدي في أيام معاوية سنة أربع وأربعين، فأتى المهلَّب بنّة واللاهوار، وهما ما بين الملتان وكابل، فلقيه العدو، فقاتلهم ومن معه. وفي (غزوة) بنة يقول الأزدي:

أَلَـمْ تَـرَ أن الأزد لـيـلـة بُـيِّـتـوا ببنَّة كانوا خير جيش المهلَّبِ»[٢]

ومنطقة (بنة) هي (بانو) حالياً ـ في شمال باكستان ـ ثم عبر المهلَّب نهر السند وغزا الملتان، وهي (ملتان) حالياً ـ في البنجاب الغربية ـ ثم غزا (اللاهوار) وهي (لاهور) حالياً ـ شمال شرق باكستان على تخوم الهند ـ فأذعنت تلك المناطق للمصالحة وأداء الجزية. ثم مضى المهلَّب سنة٤٥هـ إلى بلاد القيقان ـ وهي جنوب غرب باكستان على تخوم إيران ـ فدخل المهلَّب بلاد القيقان. قال البلاذري: «ولقي المهلَّب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً على خيل محذوفة، فقاتلوه، فقُتلوا جميعاً،

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٤٢ جـ ٩.
(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٤٢١.

وقال المهلَّب: ما جُعِل هؤلاء الأعاجم أولى بالتشمير منّا، فحذف الخيل، فكان أول من حذفها من المسلمين»[١].

ويتبيّن من ذلك أن المهلّب هو أول أمير قائد فاتح في بلاد السند، وكان بها إلى سنة٤٦هـ، وربما استقرت حاميات من الأزد بمكران والقيقان بثغر السند منذ ذلك الزمان.

* * *

٢ ـ راشد بن عمرو الجُديديّ (٤٧ ـ ٥١هـ):

هو الأمير القائد راشد بن عمرو الجُديديّ الأزدي: كان راشد أميراً قائداً لربع خراسان سنة٤٢ ـ ٤٤هـ وانتهت إمرته بخراسان سنة٤٥هـ فوفد إلى معاوية بدمشق. قال الحسن بن أحمد الهمداني في كتاب الإكليل:

«وَفَدَ راشد بن عمرو الجُديدي الأزدي إلى معاوية بن أبي سفيان، فاستشرفه، فأجلسه معه على السرير، وحَدّثَهُ طويلاً، فَلَمَّا نهض أتْبَعه بصره حتى خرج. ثم أقْبَل معاوية على من عنده من قريش، فقال: أيَسُركُم أن يكون هذا من قريش؟ قالوا: وما يسؤنا من ذلك؟ قال: لو كان من قريشٍ لنازعني الخلافة، وإنّي له الآن لخائف، وما الرأي إلا أن أرمي به نحر العدو، فولّاه وأغزاه بلاد السند»[٢].

وقد كتب معاوية إلى زياد بن أبي سفيان أمير العراق بأن يولي راشداً على السند لأن ثغر السند كان يرتبط بوالي العراق. قال البلاذري: «استعمل زياد على ثغر السند راشد بن عمرو الجديدي من الأزد، فأتى مكران وغزا القيقان فظفر». [ص٤٢٢].

وقال الحسن بن أحمد الهمداني: «فدخل راشد مكران والقيقان. وفيه قال الشاعر:

غزا السند ميمونُ النقيبةِ حازمٌ ... من الأزدِ جَلْداً للصعاليك رافعِ
ترى عينه ما لا يرون إذا سَمَا ... بعينيّ قطاميّ خضيبِ الأشاجعِ
وإن الجُدَيديّ بن عمرو على الكرى ... وغِبّ السُّرى صَقْرٌ بعلياء واقعِ»[٢]

وقد غزا وافتتح راشد مناطق من بلاد القيقان سنة٤٧هـ. ووجّه القادة والسرايا إلى مناطق من بلاد القيقان والقوقان وقصدار ـ سنة٤٨هـ ـ فظفروا. ومكث راشد أميراً لمكران وثغر السند «وغزا راشد إلى (هند مند) وعبر نهر السند إلى بلاد (ميد)

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٤٢١.
(٢) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ٢٢٨ جـ ٢.

فجاهد فيها العدو، واستشهد هناك». وذلك سنة٥١هـ. قال البلاذري: «فقام بأمر الناس سنان بن سلمة ـ (نائب راشد) ـ فولّاه زياد على ثغر السند فأقام سنتين وفتح قصدار ثم مات بها».

* * *

٣ـ عبد الرحمن بن الأشعث الكندي (٧٩ ـ ٨٠هـ):

هو الأمير عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكنديّ. كان من كبار القادة الأمراء اليمانيين بالكوفة والعراق. وكانت مشارق العراق إلى سجستان ومكران وثغر السند قد انتقضت في فترة الفتنة والصراع على الخلافة بين عبد الملك بن مروان وعبد اللّه بن الزبير، ثم دخلت العراق في طاعة عبد الملك بن مروان سنة٧١هـ ـ فكان المهلَّب بن أبي صُفرة وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من الأمراء القادة بالأهواز وفارس إلى أن عادت إلى الطاعة وتم القضاء على الخوارج بها على يد المهلَّب سنة٧٨هـ. ثم ـ بأمر عبد الملك بن مروان ـ ولَّى الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سجستان ومكران إلى ثغر السند سنة٧٩هـ. قال المسعودي:

«كان الحجاج قد استعمل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على سِجَسْتَان وبُسْتَ والرَحج، فحاربَ مَنْ هنالك من أمم الترك وهم أنواع يقال لهم الغوز والخلج، وحاربَ مَنْ يَلي تلك البلاد من ملوك الهند»[١].

وكان الشاعر أعشى هَمْدَان ممن سار مع ابن الأشعث في تلك الغزوات والفتوح إلى سِجَسْتان وما يليها من جنوب أفغانستان ثم إلى مكران وثغر السند. وتقع مكران حالياً في جنوب شرق إيران، وكانت آنذاك من ثغور بلاد السند، فقال أعشى همدان عند مسيرهم إلى مكران قصيدة منها قوله:

ولم تَكُ من حاجتي مكران ... ولا الغزو فيها ولا المتجرُ
وخُبِّرتُ عنها ولم آتها ... فما زلتُ من ذكرها أذعُرُ
بأن الكثير بها جائعٌ ... وإن القليل بها مُقتِرُ
وإن لِحَى الناس مِنْ حرّها ... تطولُ فتُجلَمُ أو تُضفرُ
وما كان بي من نشاط لها ... وإنِّي لذو عدّة مُوسرُ
ولكن بُعِثْتُ لها كارهاً ... وقيل انطلق كالذي يُؤمرُ
هو السيف جُرد من غمده ... فليس عن السيف مُستأخرُ

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ١٣٨ جـ ٣.

.. وقد قيل إنكم عابرون — بحراً لها لم يكن يُعْبَرُ
إلى السند والهند في أرضهم — هُمُ الجنُّ لكنهم أنكرُ
وما رام غزواً لها قبلنا — أكابِرُ عاد ولا حِمْيَرُ
ولا رام سابور غزواً لها — ولا الشيخ كسرى ولا قيصرُ
ومن دونها معبرٌ واسعٌ — وأجرٌ عظيمٌ لِمَن يُؤجرُ(١)

وقد دخل ابن الأشعث مكران ومنها ـ كما ذكر المسعودي ـ «غزا مَنْ يلي تلك البلاد من ملوك الهند» ـ وهم حكام مناطق السند، وكان نهر السند يقال له (نهر السند والهند) ـ فأذعن بعض حكام السند للطاعة وأداء الجزية، وأقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بسجستان أميراً عليها وعلى ما يليها من مكران والسند. وله قال أعشى همدان:

يا أيها القرم الهجان الذي — يبطش بطش الأسد اللابد
والفاعل الفعل الشريف الذي — يَنْمَى إلى الغائب والشاهد
.. تجبي سِجَسْتَان وما حولها — متكئاً في عيشك الراغد
لا ترهب الدهر وأيامه — وتجرد الأرض مع الجارد(١)

وفي سنة ٨٠هـ قاد عبد الرحمن ثورة ضد عبد الملك بن مروان وعامله على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي ونُودي عبد الرحمن بناصر المؤمنين وكانت له حروب عظيمة مع الحجاج وجيوش عبد الملك بالعراق، ثم أخفقت ثورته وانهزم جيشه سنة ٨٢ هجرية.

٤ ـ الأمير محمد بن الحارث العلافيّ (٨١ ـ ٨٣هـ):

هو الأمير محمد بن الحارث العلافيّ القضاعيّ الحميري أمير ثغر السند في فترة ثورة عبد الرحمن بن الأشعث الكندي، فَلَمَّا أخفقت الثورة بعث الحجاجُ سعيد بن أسلُم أميراً على ثغر السند. قال البلاذري: «.. فثار عليه محمد ومعاوية ابنا الحارث العلافيان، فَقُتِل سعيد بن أسْلُم، وغلب العلافيان على ثغر السند. واسم علاف: ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة». [ص٤٢٣] - فمكث محمد بن الحارث العلافيّ أميراً مع أخيه معاوية بمكران وثغر السند إلى سنة٨٣هـ.

ثم ولّى الحجاجُ مجاعة بن سعر التميمي ومات مجاعة بعد سنة بمكران، ثم

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٤٥ جـ ٥.

استعمل الحجاج بعد مجاعة محمد بن هارون النمري، فعرض لسفينته قوم من ميد الديبل فأخذوا السفينة بما فيها، ويبدو أن محمد بن هارون قُتِل بالديبل.

* * *

٥ ـ الأمير بديل بن طهفة البَجليّ (٨٥هـ):

قال البلاذري: «كتب الحجاج إلى بديل بن طهفة البجلي وهو بعمان يأمره أن يسير إلى الديبل» ـ فسار الأمير بديل من ساحل عمان بحراً إلى مكران أميراً للسند ـ ثم غزا الأمير بديل البجليّ أهل الديبل ـ «فَلَمَّا لقيهم نفر به فرسه فأطاف به العدو فقتلوه.. وبديل بن طهفة مُصور بقندابيل وقبره بالديبل». [٤٢٤].

ثم ولَّى الحجاجُ محمد بن القاسم الثقفي على السند في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦هـ) فغزا مناطق من بلاد السند وكان على مقدمته جهم بن زحر الجعفيّ المذحجيّ.. وغزا محمد بن القاسم ما يلي نهر مهران وحارب داهر وهو أكبر ملوك السند، فَقُتِل داهر. قال البلاذري: «قال ابن الكلبي: كان الذي قتل داهرَ القاسم بن ثعلبة بن عبد اللّه بن حصن الطائي.. وقال الشاعر:

نـحـن قـتـلـنـا داهـراً ودوهـرا والـخيـل تردي منسراً فمنسرا..»

وكان محمد بن القاسم الثقفي أشهر الأمراء الذين غزوا السند، ولكن غزوات وفتوح السند بدأت منذ ما قبل تأميره بأربعين سنة على يد المهلَّب. وتواصلت بعد انتهاء ولاية محمد بن القاسم الثقفي فلم يكن الأول ولا كان الأخير.

* * *

٦ ـ الأمير يزيد بن أبي كبشة (٩٦هـ):

هو الأمير اليماني يزيد بن أبي كبشة السكسكيّ. كان من كبار القادة بالشام والعراق، ولَمَّا مات الوليد بن عبد الملك وتولَّى الخلافة سليمان بن عبد الملك ـ في جمادى الثانية ٩٦هـ ـ عزل محمد بن القاسم وولَّى على السند يزيد بن أبي كبشة وأمره أن يبعث بمحمد بن القاسم مقيداً إلى العراق لأنه كان ممن خلع سليمان من ولاية العهد.

قال ابن خلدون: «لم يزل محمد بن القاسم على السند إلى أن وُلِّي الخلافة سليمان بن عبد الملك فعزله وولَّى يزيد بن أبي كبشة السكسكي على السند مكانه، فقيّده يزيد بن أبي كبشة وبعث به إلى العراق فحبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط وعَذّبه في رجال من قرابة الحجاج على قتلهم لأخيه، وكان الحجاج قتل أخاه آدم بن عبد الرحمن على رأي الخوارج،. ومات يزيد بن أبي كبشة بالسند لثماني عشرة ليلة

من مقدمه. فولّى سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلّب»[(١)].

***

٧ ـ حبيب بن المُهَلّب.. أمير السند (٩٦ ـ ٩٩هـ):

هو الأمير حبيب بن المهلّب بن أبي صُفرة الأزدي. ولّاه الخليفة سليمان بن عبد الملك بلاد السند ـ في شعبان ٩٦هـ ـ فانطلق من البصرة إلى السند. قال البلاذري: «استعمل سليمان بن عبد الملك حبيب بن المهلّب على السند فقَدِمها وقد رجع ملوك الهند إلى ممالكهم فرجع حليشة بن داهر إلى برهمناباذ»[(٢)] ـ والمقصود أنهم عادوا إلى السيطرة على مناطقهم في جهات نهر السند والهند ـ فاستقر حبيب بن المهلّب بمدينة قندابيل وكانت مدينة عاصمة لمكران وثغر السند، فأقام بها، وقد استقر بالديبل أربعة آلاف من الجند العرب وسادها الإسلام.

وفي سنة٩٧هـ سار حبيب بن المهلّب بجند العروبة والإسلام،. قال ابن خلدون: «فنزل حبيب على شاطىء مهران، وأعطاه أهل الرور، وحارب فظفر»[(١)]. ومهران نهر السند بباكستان وتأتي إليه أنهار من أعالي بلاد السند، قال المسعودي: «ثم تجتمع الأنهار بعد المولتان بثلاثة أيام في الموضع المعروف بدوسات، فإذا انتهى جميع ذلك إلى مدينة الرور من غربيها سُمّي هنالك مهران، ثم ينقسم قسمين ويصب كل من القسمين من هذا الماء العظيم المعروف بمهران السند في مدينة شاكرة في البحر الهندي، وذلك على مقدار يومين من مدينة الديبل، والمسافة من المولتان إلى المنصورة خمسة وسبعون فرسخاً سندية والفرسخ ثمانية أميال»[(٣)].

ومضى الأمير حبيب بن المهلّب إلى بلاد حليشة بن داهر والذين معه من ملوك الهند ـ وهم ببلاد السند ـ وكانت عاصمة حليشة بن داهر مدينة (برهمناباذ العتيقة وهي على رأس فرسخين من المنصورة)[(٣)] وقد ذكر البلاذري أنه: «حارب حبيب قوماً فظفر»[(٢)]. وقد أذعن حليشة بن داهر وأصحابه لأداء الجزية. ومكث حبيب والياً للسند إلى نهاية خلافة سليمان بن عبد الملك سنة٩٩هـ.

***

٨ ـ الأمير وَدَاع بن حميد الأزدي (١٠١ ـ ١٠٢هـ):

هو الأمير القائد وَدَاع بن حميد الأزدي أمير السند في ثورة يزيد بن المهلّب

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٤٠٨.
(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٤٢٨.
(٣) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ١٦٨ جـ ١.

على الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان سنة١٠١هـ حيث انضوت البصرة والبحرين وعمان وفارس إلى السند في ثورة يزيد بن المهلَّب، وولَّى وَدَاع بن حميد على السند وعاصمتها قندابيل. ثم بعث يزيد بن عبد الملك جيشاً من الشام بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك فسار إليهم يزيد بن المهلَّب بجيشه وقاتلهم في العقر بالقرب من الكوفة فانهزم جيش ابن المهلَّب، وقاتل يزيد بن المهلَّب حتى قُتل في موقعة العقر في صفر سنة١٠٢هـ وقُتل فيها أيضاً حبيب بن المهلَّب أمير السند السابق. قال أبو العباس المبرد: «قال المفضل بن المهلَّب:

هل الجود إلا أن نجودَ بأنفُسٍ ... على كلِّ ماضي الشَّفْرَتَين قضيبِ
وما خَيْرُ عَيْشٍ بعد قتل محمدٍ ... وبَعدَ يزيدَ والحَرونِ حبيبِ
ومن هَزَّ أطرافَ القَنَا خَشْيَةَ الرَّدى ... فليس لمَجْدٍ صالحٍ بكَسوبِ
وما هيَ إلّا رَقْدَةٌ تُورِثُ العُلى ... لِرَهْطِكَ ما حَنَّتْ رَوائمَ نيبِ

وقوله: الحرون، فإن حبيب بن المهلَّبِ كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يَريمُ مكانه، فكان يُلقَّبُ الحرون»[(١)].

قال الطبري: «وقد كان يزيد بن المهلَّب بعث وَدَاع بن حُمَيد الأزدي على قَنْدابيل أميراً وقال له: إني سائر إلى هذا العدو ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصة حتى تكون لي أو لهم فإن ظفرتُ أكرمتك وإن كانت الأخرى كُنتَ بقندابيل حتى يقدم عليك أهل بيتي فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً، أما إنّي قد اخترتك لأهل بيتي من بين قومي فكن عند حسن ظني. وأخذ عليه أيماناً غلاظاً ليناصحنَّ أهل بيته إن هم احتاجوا إليه ولجؤوا إليه. فَلَمَّا اجتمع آل المهلَّب بالبصرة بعد الهزيمة ـ ومقتل يزيد ـ اجتمعوا إلى المفضل، وحملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية ثم لججوا في البحر حتى إذا كانوا بحيال كرمان خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم بالدواب [إلى قنداييل] ولم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا إلى كرمان وبكرمان فلول كثيرة فاجتمعوا إلى المفضل، وبعث مسلمة بن عبد الملك مُدْرِك بن ضب الكلبي ـ بجيش ـ في طلب آل المهلَّب وفي أثر الفلّ، فأدرك مدركُ المفضل بن المهلَّب وقد اجتمعت إليه الفلول بفارس فتبعهم فأدركهم في عَقَبَةٍ فعطفوا عليه فقاتلوه واشتد قتالهم إياه، فقُتِل مع المفضل النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ومحمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث الكندي.. ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلَّب فطلبوا الأمان فأومنوا.. ومضى آل المهلَّب ومن

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرد ـ ص ١٨١.

سقط معهم من الفلول حتى انتهوا إلى قندابيل.. وبعث مَسْلمةُ إلى مُدْرك بن ضب الكلبي فردّه[١] وسرح في أثرهم هلال بن أحوز التميمي فلحقهم بقندابيل، فأراد آل المهلّب (والفلول) دخول قندابيل فمنعهم وَدَاعَ بن حميد، وكاتبه هلال بن أحوز ولم يُباين وداع آل المهلّب فيفارقهم، فتبيَّن لهم فراقه لما التقوا وصفّوا كان وداع على الميمنة وعبد الملك بن هلال على الميسرة وكلاهما أزديّ فرفع لهم هلال بن أحوز راية أمان فمال إليه وداع وعبد الملك، وارفضَّ عن آل المهلّب الناس فخلوهم.. ثم مشوا بأسيافهم فقاتلوا حتى قُتِلوا من عند آخرهم إلا أبا عيينة بن المهلّب وعثمان بن المفضل فإنهما نَجَوا فلحقا بخاقان ورتبيل»[٢]. وقال البلاذري: «هرب آل المهلّب إلى السند أيام يزيد بن عبد الملك فوجّه إليهم هلال بن أحوز التميمي فلقيهم فَقُتِل مَدْرك بن المهلّب بقندابيل وقُتل المفضل وعبد الملك وزياد ومروان ومعاوية بني المهلّب وقُتِل معاوية بن يزيد بن المهلّب في آخرين». [ص٤٢٩]. قال ابن خلدون: «ولحق المنهال بن أبي عيينة بن المهلّب وعمر بن يزيد بن المهلّب وعثمان بن المفضل برتبيل ملك الترك.. وأقام عمر وعثمان عند رتبيل حتى أمَّنهما أسد بن عبد اللّه القسري وقَدِما عليه بخراسان». ـ وذلك في ولاية خالد بن عبد اللّه القسري للعراق والمشرقين.

* * *

٩ ـ خالد بن عبد اللّه القسري أمير المشرقين.. ونوابه بالسند (١٠٥ ـ ١٢٠هـ):

في شوال سنة ١٠٥هـ (مارس ٧٢٤م) أصبح الزعيم اليماني خالد بن عبد اللّه القسري والياً للمشرقين. ولّاهُ الخليفة هشام بن عبد الملك العراق ومشارقها إلى السند وخُراسان وأقاليمها إلى تخوم الصين. وفيه قال الفرزدق:

وما الشَّمْسُ ضوءَ المشْرِقَيْن إذا انْجَلَتْ ... ولكنَّ ضَوْءَ المشْرِقَيْنِ بخالدِ
سَتَعْلَمُ ما أُثْنِي عَلَيكَ إذا انْتَهَتْ ... إلى حَضْرَمَوْتٍ جَامِحَاتُ القَصائِدِ[٣]

وقال جرير في قصيدة أثنى فيها على خالد بن عبد اللّه القسري:

لَقَدْ كانَ داءٌ بالعِراقِ فما لَقُوا ... طبيباً شَفَى أدْوَاءَهُمْ مِثْلَ خالِدِ
شَفاهُمْ بِحِلْمٍ خَالَطَ الدِينَ والتُّقَا ... ورأفَةَ مَهْدِيٍّ إلى الحقِّ قاصِدِ

---

(١) كان مدرك الكلبي من يمانية الشام وكان من المحتمل أن يعطي الأمان لآل المهلّب الذين بقندابيل ولذلك رده مسلمة بن عبد الملك وبعث هلال بن أحوز التميمي ليقضي عليهم.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٥٨ جـ ٨.

(٣) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص ٩٨٢ جـ ٢.

.. حَمَيْتَ ثُغورَ المسلِمينَ فلم تُضِعْ ... وما زلتَ رأساً قائداً وابْنَ قائِدِ
تُعِدُّ سَرابيلَ الحَديدِ مع القَنَا ... وشُعْثُ النَّواصِي كالضِّراء الطَّوارِدِ
وإنّك قد أُعطيتَ نصراً على العِدَى ... ولُقِّيتَ صَبْراً واحتساب المجاهِدِ
إذا جَمَعَ الأعداءُ أمر مكيدَةٍ ... لِغدْرٍ كفاكَ اللّهُ كيْدَ المُكايِدِ[1]

وقوله: (حميت ثغور المسلمين) يعني ثغور السند والهند، وقد تعاقب عليها في ولاية خالد ثلاثة نواب:

أ ـ الجُنيد بن عبد الرحمن (١٠٥ ـ ١٠٧هـ):

كان الخليفة يزيد بن عبد الملك قد ولّى الجنيد بن عبد الرحمن المري على السند سنة١٠٣هـ فأقام بقندابيل ـ قال البلاذري: «ثم ولّاه هشام بن عبد الملك ثغر السند فَلَمَّا قَدِم خالد بن عبد للّه القسري العراق ـ في شوال ١٠٥هـ ـ كتب هشام إلى الجنيد يأمره بمكاتبة خالد..» وقال ابن الأثير: «استعمل خالد القسري الجنيد بن عبد الرحمن على ثغر السند»[2].

قال البلاذري: «فأتى الجُنيد الديبل، ثم نزل شط مهران فمنعه حليشة بن داهر من العبور وأرسل إليه: إنّي قد أسلمتُ وولّاني الرجل الصالح بلادي ولستُ آمنك، فأعطاهُ رهناً وأخذ منه رهناً بما على بلاده من الخراج، ثم إنهما ترادّا الرهن، وكفر حليشة وحارب. وقيل: إنه لم يحارب ولكن الجنيد تَجَنى عليه». [ص٤٢٩] ـ وكان ذلك كما ذكر ابن الأثير سنة١٠٧هـ. فكتب الجنيد إلى خالد بأن حليشة كفر وحارب، فأمدّه خالد بقوة من الجنود ذوي الدروع والخيول الذين أشار إليهم جرير في قوله لخالد:

.. تُعِدُّ سَرابيلَ الحديد مع القَنَا ... وشُعْثُ النَّواصِي كالضِّراء الطَّوارِد

قال البلاذري: «فأتى حليشة بن داهر الهند فجمع جموعاً واتخذ السفن واستعد للحرب فسَار إليه الجنيد في السفن فالتقوا في بطيحة الشرقي، فأخذ حليشة أسيراً وقد جنحت سفينته، فقتله. وهرب صيصة بن داهر وهو يريد أن يمضي إلى العراق فيشكو غدر الجنيد ـ إلى خالد القسري ـ فلم يزل الجُنيد يؤنسه حتى وضع يده في يده فقتله.. وغزا الجنيد الكيرج وكانوا قد نقضوا فاتخذ كباشاً نطاحة فصكّ بها حائط المدينة حتى ثلمه ودخلها عنوة فقتل وسبى وغنم، ووجّه العمال إلى مرمد، والمندل، ودهنج، وبروص. ووجّه حبيب بن مرة في جيش إلى أرض المالية

(١) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص ٩٨٢ جـ ٢.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١٩٧ جـ ٤.

فأغاروا على أزين وغزوا بهريمد فحرقوا ربضها. وفتح الجنيد البيلمان والجزر. وحصل في منزله ـ من الغنائم ـ سوى ما أعطى زواره أربعين ألف ألف، وحمل مثلها إلى خالد». [ص٤٢٩].

ثم بلغ خالد القسري أن الجنيد غدر بصيصة بن داهر وإن القوم يجمعون الجموع للحرب، وربما كان ذلك سبب إعفاء الجنيد من إمرة السند في آخر سنة١٠٧هـ. وولّى خالد القسري تميم بن زيد على ثغر السند.

ب ـ تميم بن زيد العتبي (١٠٨ ـ ١٠٩هـ):

قال البلاذري: «ثم وُلّي تميم بن زيد العتبي وكان من أسخياء العرب، وجد في بيت المال بالسند ثمانية عشر ألف ألف درهم طاطريه، فأسرع فيها» ـ أي أنفقها وذلك لاستمالة أهل البلاد غالباً ـ قال البلاذري: «وكان خالد يقول: واعجباً ولّيتُ فتى العرب فَرُفض. يعني تميماً..» وذلك لأنه (في أيام تميم بن زيد خرج المسلمون عن بلاد الهند ورفضوا مراكزهم ـ أي تركوها ـ فضعف تميم ووهن. ومات قريباً من الديبل». ـ في أواخر سنة١٠٩هـ.

جـ ـ الحَكَمُ بن عوانة الكلبي أمير السند (١١٠ ـ ١٢٠هـ):

هو الأمير اليماني الحَكَمُ بن عوانة الكلبيّ القضاعيّ الحميريّ، كان من قادة الأمير أسد بن عبد اللّه القسري أمير خراسان. قال الطبري: «.. وقَفَل أسد إلى العراق في رمضان سنة١٠٩هـ واستخلف على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي».

ثم قَدِم الحَكَمُ بن عوانة إلى الأمير خالد بن عبد اللّه القسري بالعراق في أوائل سنة١١٠هـ فولّاه خالد على السند، فانطلق إليها في موكب من رجالات وفرسان قبيلة كلب اليمانية بينهم منصور بن جمهور الكلبي ونزل بمدينة قندابيل.

قال البلاذري ـ بعد خبر موت تميم بن زيد العتبي ـ «ثم وُلّي الحكم بن عوانة الكلبي ثغر السند.. ورضي الناس بولايته، وكان خالد القسري يقول: واعجبًا وليتُ أسخى العرب فرُفِض، يعني تميماً، ووليتُ أبخل الناس فَرُضيَ به». [ص٤٣١]ـ وقال ابن خلدون: «وُلّي الحكم بن عوانة بلاد السند.. ورضي الناس بولايته»[1].

وفي سنة١١١ هجرية سار الأمير الحكم بن عوانة بجند العروبة والإسلام إلى مناطق نهر السند والهند التي كان العدو قد تغلّب عليها وخرج منها المسلمون أيام

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٤٤٨.

تميم بن زيد بحيث قال ابن خلدون: «وُلِّي الحَكَمُ بن عوانة وقد كفر أهل الهند إلا أهل قصة، فاستخلص الحكمُ ما كان غلب عليه العدو»[١]. وقال البلاذري: «تخلص الحَكَمُ بن عوانة ما كان في أيدي العدو مما غلبوا عليه»[٢].

وفي سنة١١٢ ـ ١١٣هـ قام الحكَمُ بن عوانة الكلبي ببناء أول مدينة عربية إسلامية ببلاد السند، ولم يكن للمسلمين مدينة ولا حصنٌ فيما يلي نهر السند والهند. قال البلاذري: «وُلِّي الحكم بن عوانة الكلبي وقد كفر أهل الهند إلا أهل قصة، فلم ير للمسلمين ملجأ يلجؤون إليه، فبنى من وراء البحيرة مما يلي الهند مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى لهم ومعاذاً، ومَصَّرَهَا. وقال لمشايخ كَلْب من أهل الشام: ما ترون أن نسميها؟ فقال بعضهم: نسميها دمشق. وقال بعضهم: حمص[٣] وقال رجل منهم: سمها تدمر، فقال الحكم: دمر اللّه عليك يا أحمق ولكني أسميها المحفوظة. ونزلها»[١]. وقال ابن خلدون: «بَنَى الحَكَمُ مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى للمسلمين»[٢].

وفي سنة١١٥ ـ ١١٧هـ قام الحكم بن عوانة بتشييد مدينة عربية إسلامية عظيمة ببلاد السند وهي مدينة المنصورة التي أصبحت عاصمة بلاد السند ومقر ولاتها لأكثر من ثلاثمائة سنة. قال ابن خلدون: «وكان مع الحكم بن عوانة عمرو بن محمد بن القاسم وكان يفوض إليه عظائم الأمور وأغزاه من المحفوظة فَلَمَّا قَدِم عليه وقد ظفر، أمره الحكمُ فبنى مدينة وسماها المنصورة وهي التي كان أمراء السند ينزلونها»[١]. وقال البلاذري: «كان عمرو بن محمد بن القاسم مع الحكم بن عوانة وكان يفوض إليه ويُقلده جسيم أموره وأعماله فأغزاه من المحفوظة فَلَمَّا قَدِم عليه وقد ظفر، أمره فبَنَى دون البحيرة مدينة وسماها المنصورة وهي التي ينزلها العمال اليوم»[٢]. وكان الذي أشرف على إتمام بناء المدينة وتوطين الناس بها منصور بن جَمْهُور الكلبي إذْ أنه قال المسعودي: «وسُميت المنصورة باسم منصور بن جمهور الكلبي من عمال بني أُمية»[٤]. وقد بلغت المنصورة شأواً عظيماً حيث ذكر المسعودي الأنهار التي تأتي من أعالي بلاد السند إلى منطقة المولتان بالسند ثم قال: «وتجتمع الأنهار بعد المولتان بثلاثة أيام فيما بين المولتان

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٤٤٨.

(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٤٣١.

(٣) الذي قال: نُسميها دمشق أو حمص هو ـ غالباً ـ أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي الذي أصبح والياً لبلاد الأندلس سنة ١٢٤ ـ ١٢٨هـ فأسكن العرب مدينة أشبيلية SEVILLE وسماها حمص، ومدينة البيرة LVIRA وسماها دمشق.

(٤) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ١٦٨ جـ ١.

والمنصورة في الموضع المعروف بدوسات فإذا انتهى جميع ذلك إلى مدينة الرور من غربيها وهي من أعمال المنصورة سُمِّي هنالك نهر مهران ثم ينقسم قسمين ويصب كل من القسمين من هذا الماء العظيم المعروف بمهران السند في مدينة شاكرة من أعمال المنصورة في البحر الهندي وذلك على مقدار يومين من مدينة الديبل. والمسافة من المولتان إلى المنصورة خمسة وسبعون فرسخاً سندية، والفرسخ ثمانية أميال. وجميع ما للمنصورة من الضياع والقرى ثلاثمائة ألف قرية ذات زروع وأشجار وعمائر متصلة»(١).

وقد أصبحت المنصورة عاصمة بلاد السند (باكستان) منذ بناها الأمير الحكم بن عوانة الكلبي في عهد خالد بن عبد اللّه القسري أمير المشرقين ـ ما بين سنة١١٥ وسنة١٢٠هـ ـ وحتى القرن الثالث والقرن الرابع الهجري.

وقد مكث الحَكَم بن عوانة والياً للسند إلى أن استشهد وهو يجاهد العدو في جهات الهند حيث قال البلاذري: «ثم قُتِل الحَكَمُ بها». ولم يذكر سنة ذلك ولا إسم الذي حكم بعده في الفترة المتبقية من العصر الأموي. وقد كان منصور بن جمهور معه بالسند ثم عاد إلى دمشق وكان من كبار القادة بدمشق سنة١٢٢هـ، وربما كان منصور بن جمهور قد تولّى السند بعد الحكم بن عوانة إلى أن عاد إلى دمشق حيث كان من رؤساء اليمانية بدمشق والشام إلى أن تولّى الخلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان في جمادى الثانية ١٢٦هـ وولاه العراق ومشارقها، فولّى ابن غزان الكلبي بلاد السند.

* * *

١٠ ـ محمد بن غزان الكلبي أمير السند وسجستان (١٢٦ ـ ١٢٩هـ):

في حوالي سنة١٢٣هـ ولّى يوسف بن عمر الثقفي أمير العراق ومشارقها عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي بلاد السند، حيث قال الطبري: إن عمرو بن محمد بن القاسم كان عامل يوسف على السند فأخذ محمد بن غزان الكلبي فضربه وبعث به إلى يوسف فضربه وألزمه مالاً عظيماً يؤدي منه في كل جمعة نجماً وإن لم يفعل ضُرب خمسة وعشرين سوطاً فجفت بعض أصحابه. فَلَمّا تولّى منصور بن جمهور الكلبي العراق ـ في رجب ١٢٦هـ ـ ولّاهُ السند وسجستان، فأتى ابن غزان سجستان فبايع ليزيد بن الوليد ثم سار إلى السند فأخذ عمرو بن محمد الثقفي وأمر به حرساً يحرسونه وقام إلى الصلاة فتناول عمرو سيفاً من الحرس فاتكأ عليه

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ١٦٨ جـ ١.

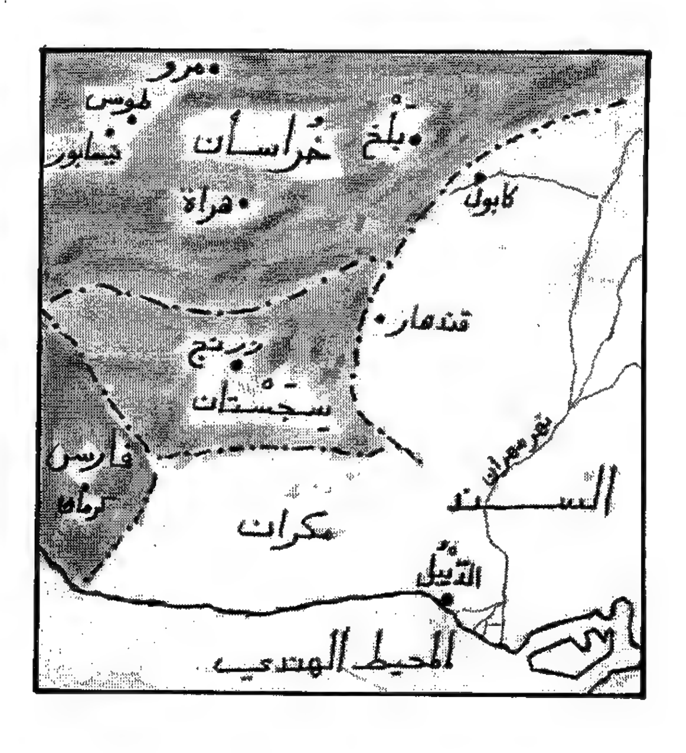
مسلولاً حتى خالط جوفه وتصايح الناس فخرج ابن غزان فقال له: ما دعاك إلى ما صنعت؟ قال: خفت العذاب، فقال: ما كنتُ أبلغ منك ما بلغت من نفسك، فلبث ثلاثاً ثم مات. وبايع ابن غزان ليزيد بن الوليد في بلاد السند وأقام بها»[1].

ومكث محمد بن غزان الكلبي والياً للسند وسجستان، ولَمَّا تولَّى الخلافة مروان بن محمد وتعصب ضد اليمانية كان منصور بن جمهور الكلبي من قادة المعارضة التي اندلعت بالعراق ضد خلافة مروان سنة١٢٧ ـ ١٢٩هـ وكان محمد بن غزان أمير السند من أصحاب منصور، ولذلك فإن منصور بن جمهور لَمَّا انهزمت المعارضة في أواخر سنة١٢٩هـ انسحب ومضى إلى السند وتولَّى حكمها ـ (بالمعارضة لخلافة مروان بن محمد) ـ إلى أن قامت الخلافة العباسية، وبما أن حكم منصور بن جمهور كان بصفة التغلب فإن محمد بن غزان الكلبي هو آخر ولاة السند في عصر الخلافة الأموية.

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٢٩ جـ ٩.

مَنْصُور بن جُمْهور..
أول ولاة السِّنْد في العصر العباسي
(١٣٠ ـ ١٣٤هـ)

أول ولاة السِّنْد في العصر العباسي هو الأمير اليماني مَنْصُور بن جُمْهور الكلبي الذي باسمه سُميت مدينة المنصورة عاصمة ولاية السند. قال المسعودي: «سُميت المنصورة باسم منصور بن جمهور الكلبي من عُمال بني أُمية»(١).



وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «منصور بن جُمْهُور بن حِصْن بن عمرو الكلبي القُضاعيّ: أمير، من الفرسان في العصر الأموي. كان من سكان المَزَّة من ضواحي دمشق. استولى على السِّنْد»(٢).

وقد غاب عن صاحب الجامع أن منصور بن جمهور ـ قبل أن يستولي على السند ـ كان والياً للعراق ومشارقها إلى السند وخراسان ثم كان قائداً للمعارضة التي امتدت إلى السند ضد خلافة مروان بن محمد فتغلب على السند حتى قيام الخلافة العباسية.

فأما ولايته للعراق ومشارقها إلى السند فكانت سنة١٢٦هـ في خلافة يزيد بن

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ١٦٨ جـ ١.
(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٥٩٤.

الوليد بن عبد الملك بن مروان. قال الطبري: «ولَّى يزيد بن الوليد على العراق منصور بن جُمهور. . وقَدِم منصور بن جمهور الحيرة في أيام خلون من رجب سنة١٢٦هـ فأخرج العطاء لأهل العطاء والأرزاق، واستعمل جرير بن يزيد بن جرير (البجلي) على البصرة، وأقام منصور وولَّى العمال وبايع ليزيد بن الوليد بالعراق وفي كُورها. . ولَمَّا وُلِّي منصور بن جمهور العراق ولَّى محمد بن غزان الكلبي السند وسجستان، فأتى سجستان فبايع ليزيد ثم سار إلى السند. . وبايع ابن غزان ليزيد بالسند. . ووجّه منصور أخاه منظور بن جمهور على الرَّيّ. . وولَّى منصور على الكوفة عبيد اللَّه بن العباس الكندي، وولَّى شرطته ثمامة بن حوشب ثم عزله وولَّى الحجاج بن أرطأة النخعيّ»[1]. ومكث منصور والياً إلى شوال ١٢٦هـ.

ولَمَّا تولَّى الخلافة مروان بن محمد سنة١٢٧هـ وأظهر التعصب للقيسية المُضَريَّة كان منصور بن جمهور من أبرز قادة حركات المعارضة التي اندلعت ضد خلافة مروان بن محمد، وكان الوالي على العراق عبد اللَّه بن عمر بن عبد العزيز فبعث مروان مكانه النضر بن سعيد والياً للعراق، فأيّد اليمانية بزعامة منصور بن جمهور وإسماعيل بن عبد اللَّه القسري عبد اللَّه بن عمر بن عبد العزيز وانضموا إليه. قال الطبري: «وكانت اليمانية من أهل الشام مع عبد اللَّه بن عمر بالحيرة، والمَضريَّة مع النضر بن سعيد، فهم يقتتلون فيما بين الكوفة والحيرة. . يطلب النضر أن يسلم إليه عبد اللَّه بن عمر ولاية العراق بكتاب مروان ويأبى عبد اللَّه بن عمر». (أهـ) ـ وبينما هم في ذلك جاء الضحاك بن قيس الشيباني في أربعة آلاف من الخوارج وسيطر على الكوفة في شعبان سنة١٢٧هـ واجتمع عبد اللَّه بن عمر والنضر بن سعيد ومنصور بن جمهور وأصحابهم إلى مدينة واسط. قال الطبري: «فأقْبَلَ الضحاك منقضاً في الشراة ـ الخوارج ـ إلى واسط، فَلَمَّا رأى ذلك ابن عمر والنضر نكلا عن الحرب بينهما وصارت كلمتهما عليه واحدة، فجعل النضر وقوّاده يعبرون الجسر فيقاتلون الضحاك وأصحابه مع ابن عمر ثم يعودون إلى مواضعهم ولا يقيمون مع ابن عمر فلم يزالوا على ذلك، فاقتتلوا يوماً من تلك الأيام فاشتدّ قتالهم فشدّ منصور بن جُمْهور على قائد من قوّاد الضحاك كان عظيم القدر في الشُراة يقال له عكرمة بن شيبان فضربه على باب القورّج فقطعه باثنين فقتله. وبعث الضحاك قائداً من قوّاده يُدعى شوالاً إلى باب الزاب وقال له: اضرِمه عليهم ناراً فقد طال الحصار علينا، فانطلق شوال ومعه الخيبري في خيلهم وعبد الملك بن علقمة وكان من قوّاد الضحاك أيضاً وكان أشد الناس، فانتهوا إلى الباب فأضرموه،

---

[1] تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٢٨ ـ ٣٤ جـ ٩.

فأخرج لهم عبد اللّٰه بن عمر منصور بن جمهور في ستمائة فارس من كلب فقاتلوهم أشد قتال، وجعل عبد الملك بن علقمة يشدُّ عليهم وهو حاسر فقتل منهم عدة فنظر منصور بن جمهور فغاظه صنيعه فشدّ عليه فضربه على حبل عاتقه فقطعه حتى بلغ حَرْقفته فخرّ ميتاً. . ثم إن منصوراً قال لابن عمر ـ في يوم من الأيام ـ: ما رأيتُ في الناس مثل هؤلاء قط ـ يعني الشراة ـ فَلِمَ نحاربهم ونشغلهم عن مروان أعْطِهم الرضا واجعلهم بينك وبين مروان فإنك إن أعطيتهم الرضا خلّوا عنا ومضوا إلى مروان فكان حدهم وبأسهم عليه، فقال ابن عمر: لا تعجل حتى نتلوم وننظر، فقال منصور: أي شيء ننتظر فما تستطيع أن تطلع معهم ولا تستقر وإن خرجنا لم نقم لهم فما انتظارنا ومروان في راحة وقد كفيناه حدّهم وشغلناهم عنه أما أنا فخارجٌ لاحق بهم، فخرج فوقف حيال صفهم وناداهم: إني جانح أريدُ أن أُسلم (أُسالم) وأسمع كلام اللّٰه، فلحق بهم فبايعهم ـ[وذلك في شهر رمضان] ـ ثم إن عبد اللّٰه بن عمر خرج إليهم في آخر شوال فبايع الضحاك»(١)، وقال القاضي سعدي أبو جيب: «بإيحاءٍ من منصور بن جمهور بايع عبد اللّٰه بن عمر الضحاك، ورجع النضر بن سعيد إلى مروان»(٢).

وكانت مبايعة منصور بن جمهور وعبد اللّٰه بن عمر للضحاك أقرب إلى التحالف في مواجهة الخلافة المروانية وتم الاتفاق على أن تكون الكوفة تحت إمرة الضحاك الشيباني وأصحابه ويبقى عبد اللّٰه بن عمر أميراً على ما بيده من العراق، وذكر الطبري أنه: «غَلَبَ منصور بن جمهور على الماهين وعلى الجبل أجمع» [ص٨٠/ ٩] ولَمّا سار الضحاك بن قيس الخارجي وأكثر أصحابه إلى الموصل والجزيرة الفراتية يحاربون السلطة المروانية هناك ـ سنة١٢٨هـ ـ «كان منصور بن جمهور يمدهم بالأموال من كُور الجبل»[ص٨١/ ٩].

وكان لمنصور بن جمهور دور في اندلاع حركة المعارضة للسلطة المروانية في خُراسان حيث كان نصر بن سيار القيسي عامل مروان على خُراسان فخالفه جُديع بن علي الكرماني الأزدي. وكان بداية ذلك ـ كما جاء في تاريخ الطبري ـ «إن نصر بن سيار غضب على جُديع الكرماني في مكاتبته بكر بن فراس البهرانيّ عامل جُرجان يُعلمه حال منصور بن جمهور، وحيث بعث عهد الكرماني مع أبي الزعفران مولى أسد بن عبد اللّٰه القسري فطلبه نصر فلم يقدر عليه» ـ ثم فيما بعد ـ «خطب نصر بن سيار وذكر ابن جمهور ـ أي شتمه ـ فغضب الكرماني لابن جمهور

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٦٢ جـ ٩.
(٢) مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية ـ القاضي سعدي أبو جيب ـ ص ١٣.

فأخذ في جمع الرجال والسلاح وكان يحضر الجمعة في ألف وخمسمائة وأكثر وأقلّ فيصلّي خارجاً من المقصورة ثم يدخل على نصر فيسلم ولا يجلس، ثم ترك إتيان نصر وأظهر الخلاف» [ص٤١/ ٩] ـ وانضوى الأزد وغيرهم من اليمانية بخراسان تحت لواء جُديع بن علي الكرماني فانتصر وسيطر على مرو ـ الرُّوذ ـ في رجب سنة١٢٨هـ.

ثم إن مروان بن محمد ولّى ابن هبيرة الفزاري على العراق ومشارقها وبعث معه جيشاً كثيفاً، فسار ابن هبيرة نحو الكوفة. قال الطبري: «وبلغ ذلك المثنى بن عمران العائذي عامل الضحاك على الكوفة فسار إليه فيمن معه من الشراة ومعه منصور بن جمهور فالتقوا ـ بعين التمر ـ فاقتتلوا قتالاً شديداً أياماً متوالية فقُتل المثنى وعَزير وعمرو وكانوا من رؤساء أصحاب الضحاك، وهرب منصور بن جمهور حتى دخل الكوفة فجمع بها جمعاً من اليمانية والصُّفْريّة ثم سار بهم حتى نزل الرَّوحاءَ وأقْبَلَ ابن هبيرة في أجناده حتى لقيهم فقاتلهم أياماً ثم هزمهم، وأقْبَلَ ابن هبيرة حتى نزل الكوفة ـ في رمضان سنة١٢٩هـ ـ ومضى منصور بن جمهور إلى الماهين، وسار ابن هبيرة إلى واسط فأخذ عبد اللّه بن عمر فحبسه، ووجّه نباتة بن حنظلة إلى سليمان بن حبيب بن المهلّب وهو متغلب على الأهواز، وبعث إليه سليمانُ داود بن حاتم المهلّبيّ فالتقوا بالمريان على شاطىء دجيل فانهزم الناس وقُتِل داود بن حاتم، وسار سليمان بن حبيب حتى لحق بعبد اللّه بن معاوية الجعفري بفارس، ووجه مروان بن محمد عامر بن ضبارة في جنود كثيرة. . وكان عبد اللّه بن معاوية بإصطخر ـ في فارس ـ فانهزم ابن معاوية ومضى من وجهه إلى سجستان ثم خراسان، ومضى منصور بن جمهور إلى السند» (أهـ).

وعندئذ ـ في أواخر سنة١٢٩هـ وأوائل سنة١٣٠هـ ـ «استولى منصور بن جمهور على السند». وكان ذلك بدون قتال لأن أميرها السابق محمد بن غزان الكلبي كان من أبناء عمومة منصور بن جمهور فسَلَّم إليه الأمور ـ غالباً ـ وكان مروان بن محمد قد قتل في وقت سابق ثابت بن نعيم الجذامي بالشام. قال الطبري: «وأفلت رِفاعة بن ثابت بن نعيم فلحق بمنصور بن جمهور ـ بالسند ـ فأكرمه وولّاه وخَلَفه مع أخ له يقال له منظور بن جمهور فوثب عليه فقتله، فبلغ منصوراً وهو متوجه إلى الملتان وكان أخوه بالمنصورة فرجع إليه فأخذه فَبَنَى له أسطوانة من آجرّ مجوفة وأدخله فيها ثم سمره إليها وبَنَى عليه». [ص٥٦/ ٩].

وبينما مكث منصور بن جمهور بالسند أميراً ـ متغلباً ـ عليها بالمعارضة للخلافة المروانية كان عامر بن ضبارة المري بإقليم كرمان المجاور لمكران والسند

ومعه خمسون ألفاً من الجيش المرواني بينما سيطرت الدعوة العباسية على خراسان وانطلق جيش الدعوة العباسية من خُراسان بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي فسيطر على نيسابور ـ في شعبان ١٣٠هـ ـ ومضى حتى سيطر على إقليم الرَّيّ ـ في محرم ١٣١هـ ـ فسار عامر بن ضبارة بالجيش المرواني من كرمان إلى أصبهان لقتال قحطبة، فهزمهم قحطبة والذين معه وسقط عامر بن ضبارة قتيلاً في موقعة جابلق بأصبهان في رجب ١٣١هـ، وتوجّه محمد بن الأشعث الخزاعي إلى إقليم كرمان وفارس ـ جنوب إيران ـ فدخل في طاعته ومكث أميراً على فارس، وكان منصور بن جمهور الكلبي على علاقة بأولئك القادة اليمانيين للدعوة العباسية ولا بد أنه انضوى في الدعوة العباسية عن طريق بعضهم، وقد يكون قحطبة بن شبيب الطائي بعث إليه عمر بن حَفْص المهلَّبيّ الأزدي إما من أصبهان ـ بعد انهزام ومقتل ابن ضبارة ـ وإما من نهاوند لَمَّا سيطر عليها قحطبة في ٥ ذي القعدة سنة١٣١هـ حيث «أرسل قَحْطبةُ الرُّسل إلى الناس يدعوهم». ثم دخل قحطبة العراق وهزم ابن هبيرة وجيشه المرواني بالفرات في ٨ محرم ١٣٢هـ وظهر أبو العباس السفاح وبويع بالخلافة في شهر ربيع الثاني ١٣٢هـ فولَّى وأقرَّ الولاة الأمراء على أقاليم العراق وفارس والسند وخُراسان، وكان منهم منصور بن جمهور الكلبي.

قال الطبري: «وكان العامل على البصرة في هذه السنة ـ وهي سنة١٣٢هـ ـ سفيان بن معاوية المهلَّبي وعلى قضائها الحجاج بن أرطأة النخعي. وعلى فارس محمد بن الأشعث. وعلى السند منصور بن جمهور. وعلى الجزيرة وأذربيجان وأرمينية عبد اللَّه بن محمد ـ وهو أبو جعفر المنصور ـ. وعلى خراسان والجبال أبو مسلم الخرأساني»[١].

قال د. فاروق عمر: «ثم دبّر أبو مسلم الخراساني أمر اغتيال سليمان بن كثير الخُزاعيّ نقيب النقباء وأهم شخصية في الدعوة العباسية، وبرّر ذلك بكونه شكّ في نوايا سليمان وتآمره ضد السلطة، والواقع أن أبا مسلم قتل سليمان الخزاعي وابنه لأنهما كانا ينافسانه الزعامة في خُراسان.. وما أن تمكّن أبو مسلم الخُراساني من الأمور حتى دبر أمر اغتيال عليّ بن جُديع الأزدي الكرماني زعيم قبائل الأزد اليمانية. والمعروف أن كسب ابن الكرماني للدعوة العباسية كان النقطة الفاصلة التي حددت مصير الثورة ووضعتها على طريق النجاح، ولكن بعد نجاح الثورة طالب ابن الكرماني أن يكون والياً على خراسان ولهذا دبر أبو مسلم أمر اغتياله

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٤٧ جـ ٩.

على يد أحد النقباء، وبذلك تخلّص من عائق آخر في طريق تحقيق طموحاته»[١].

وكانت طموحات أبي مسلم تمتد إلى السند ولكنها تحطمت على يد منصور بن جمهور. قال البلاذري: «لَمَّا كان أول الدولة العباسية ولّى أبو مسلم مغلساً البعدي ثغر السند فسار حتى صار إلى منصور بن جمهور الكلبي وهو بالسند فلقيه منصور فقتله وهزم جنده»[٢] ـ وكان ذلك أواخر سنة١٣٢هـ.

وقد استمر منصور بن جمهور والياً للسند سنة١٣٣هـ. قال الطبري في ذكره للولاة في نهاية أحداث سنة١٣٣هـ: «. . كان على فارس محمد بن الأشعث، وعلى السند منصور بن جمهور، وعلى خراسان والجبال أبو مسلم، وعلى قنسرين وحمص ودمشق عبد اللّه بن عليّ، وعلى فلسطين صالح بن عليّ، وعلى مصر عبد الملك بن يزيد أبو عون، وعلى الجزيرة عبد اللّه بن محمد المنصور. . وحج بالناس هذه السنة زياد بن عبيد اللّه الحارثي ـ أمير الحجاز، وكان الوالي على اليمن محمد بن يزيد الحارثي. .»[٣].

وقد مكث منصور بن جمهور والياً للسند إلى أواسط سنة١٣٤هـ حيث قال الطبري: «وجّه أبو العباس ـ السفاح ـ موسى بن كعب لقتال منصور بن جمهور» ـ بينما قال البلاذري: «إن أبا مسلم الخراساني عقد لموسى بن كعب التميمي ووجهه إلى السند فَلَمَّا قَدِمها كان بينه وبين منصور بن جمهور نهر مهران ثم التقيا فهزم منصوراً وجيشه. .»[٢].

وهذا يشير إلى أن أبا مسلم الخراساني كان وراء قيام أبي العباس السفاح بتوجيه موسى بن كعب لقتال منصور بن جمهور وإنه قام بتأليب أبي العباس ضد منصور بن جمهور، أما الذي وجّه موسى بن كعب فهو أبو العباس السفاح كما أجمع على ذلك الطبري وابن الأثير وابن خلدون بأنه: «في سنة١٣٤هـ وجّه أبو العباس السفاح موسى بن كعب التميمي إلى السند لقتال منصور بن جمهور وفَرَضَ لثلاثة آلاف رجل من العرب والموالي بالبصرة ولألف من بني تميم خاصة فسار موسى حتى ورد السند ولقي منصور بن جمهور في اثني عشر ألفاً، فانهزم منصور ومن معه، ومضى منصور فمات في الرمال»[٣] وذلك «بالصحراء الواقعة بين السند وسجستان» ـ سنة١٣٤هـ الموافق ٧٥١م.

ومن الملفت للانتباه أن قبيلة تميم كانت الأداة لمواجهة الزعامات اليمنية ففي

---

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٤.

(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٤٣١.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٤٨ و١٥١ جـ ٩.

زمن ثورة عبد الرحمن بن الأشعث الكندي بعث الحجاجُ مجاعةَ بن سعر التميمي إلى السند. وفي ثورة يزيد بن المهلَّب سنة١٠١ ـ ١٠٢هـ وجّه مَسْلَمة بن عبد الملك هلال بن أحوز التميمي لقتال بني المهلَّب والذين لاذوا معهم بالسند، وفي سنة١٣٤هـ وجّه أبو العباس السفاح موسى بن كعب التميمي لقتال منصور بن جمهور الكلبي بالسند وولّاه مكان منصور بن جمهور، وذلك لأن بين اليمنيين وتميم عداء تقليدي ولأن تميم كانت محرومة من الولاية فكانت تهتبل الفرصة للقيام بأي دور يقودها إلى ذلك، وقد أتاح ذلك لموسى بن كعب التميمي أن يكون أميراً للسند ومات موسى (سنة١٤١هـ) واستخلف ابنه عُيينة بن موسى فانتقض عُيينة فوجّه الخليفة أبو جعفر المنصور عمر بن حَفْص الأزدي والياً للسند والهند.

عمر بن حَفْص (هَزار مَرْدَ)

أمير السند والهند (١٤٢ ـ ١٥١هـ)

هو الأمير اليماني عمر بن حَفْص الأزدي المعروف بلقب هَزار مَرْدَ. قال ابن الأثير هو: «عمر بن حفص بن عثمان بن قَبِيْصة بن أبي صُفرة، المعروف بهزار مرد، يعني ألف رجل»[١]. وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «عمر بن حَفْص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة المهلَّبي: أمير، من الأبطال، كانت العجم تُسميه (هزار مرد) أي ألف رجل. وُلِّي أمارة السِّنْد في أيام المنصور العباسي..»[٢].

وكان عمر بن حفص من أعلام اليمانيين بالبصرة، وهو من الشخصيات القيادية الذين ساهموا في تأسيس الخلافة العباسية[٣]. قال البلاذري: «وكان المنصور به مُعجباً»[٤] وولَّاهُ المنصور بلاد السند سنة١٤٢هـ.

قال ابن الأثير: «في سنة١٤٢هـ خلع عُيينة بن موسى بن كعب ـ الطاعة ـ بالسند وكان عاملاً عليها، فَلَمَّا بلغ الخبر إلى المنصور سار بعسكره حتى نزل على جسر البصرة ووجّه عمر بن حفص عاملاً على السند والهند فحاربه عيينة فسار عمر حتى ورد السند فغلب عليها»[٥]. وقال الطبري: «.. خرج أبو جعفر المنصور لَمَّا أتاه الخبر عن عُيينة بن موسى بخلعه ـ الطاعة ـ حتى نزل بعسكره من البصرة عند جسرها الأكبر، ووجّه عمر بن حفص عاملاً على السند والهند محارباً لعيينة بن موسى فسار حتى ورد السند والهند وغَلَبَ عليها»[٦].

وقد استقر الأمير عمر بن حفص بمدينة المنصورة ـ عاصمة ولاية السند ـ والياً للسند وما كان إليها من أطراف الهند. ومكث عمر والياً للسند تسع سنين،

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٠ جـ ٥.

(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٤٠٦.

(٣) ذكرنا دوره في المبحث الخاص بولايته لأفريقيا الشمالية.

(٤) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٢٣٤.

(٥) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٦٨ جـ ٤.

(٦) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٧٨ جـ ٩.

ودوخ الثغر وحَكَمَ أموره، فسماه العجم (هَزار مَرْدَ) أي ألف رجل.

وكان النشاط السري للدعوة العلوية ـ الشيعية ـ لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن العلوي قد بدأ سنة١٤٠هـ وامتد إلى السند حيث جاء في تاريخ الطبري أنه: «في سنة١٤٠هـ قَدِم محمد بن عبد اللّه بن حسن البصرة متخفياً في أربعين نفراً، وأقام بالبصرة يدعو إلى نفسه سراً ستة أيام، ثم خرج، فبلغ أبا جعفر المنصور مقدمه البصرة فأقْبَلَ مُغذّاً، وكان محمد قد خرج من البصرة قبل مقدمه.. قال محمد بن حفص: وَجَلَ محمدٌ وأخوه إبراهيم من أبي جعفر فأتيا عدن ثم سارا إلى السند، ثم إلى الكوفة ثم عادا إلى المدينة» [ص١٨٣/ ٩]. وسار محمد بن عبد اللّه بن حسن وأخوه مرة ثانية إلى السند وقد أصبح عمر بن حَفْص والياً عليها حيث قال الطبري: «خرج محمد وإبراهيم إلى عدن، فخافا بها، وركبا البحر حتى صارا إلى السند، فَسُعيَ بهما إلى عمر بن حفص فخرجا من السند» [ص٢٤٣/ ٩] وكان خروجهما من السند براً إلى بلاد فارس وخراسان في إطار نشاطهما في الدعوة السِّرِّية لمحمد بن عبد اللّه بن حسن ثم عادا مع قوافل الحجاج إلى الحجاز.

وفي منتصف سنة١٤٥هـ خرج محمد بن عبد اللّه بن حسن وأصحابه بالمدينة المنورة وسيطروا عليها وبويع محمد بالمدينة وتلقب بالمهدي وبعث رُسله ودعاته إلى الأمصار التي كانت دعوته قد امتدت لها ليخرجوا ويثوروا فيها وكان منها السند حيث جاء في تاريخ الطبري: «إن المنصور ولّى عمر بن حفص الذي يقال له هزار مرد السند فأقام بها حتى خرج محمد بن عبد اللّه بن حسن بالمدينة وإبراهيم بالبصرة، فوجّه محمد بن عبد اللّه بن حسن ابنه عبد اللّه بن محمد الذي يُقال له الأشتر في نفر من الزيدية إلى البصرة وأمرهم أن يشتروا مهارة خيلٍ عِتاقٍ بها ويمضوا بها معهم إلى السند ليكون سبباً له إلى الوصول إلى عمر بن حفص لأنه كان فيمن بايعه ـ (أو لأنه) ـ كان له ميلٌ إلى آل أبي طالب، فقَدِموا البصرة إلى إبراهيم بن عبد اللّه فاشتروا منها مهارة، وليس في بلاد السند والهند شيءٌ أنفق من الخيل العتاق، ومضوا في البحر حتى صاروا إلى السند ثم صاروا إلى عمر بن حفص ـ بمدينة المنصورة ـ فقالوا له: نحن قوم نخاسون ومعنا خيل عتاق، فأمرهم أن يعرضوا خيلهم فعرضوها عليه فَلَمَّا صاروا إليه قال له بعضهم: أدنني منك أذكر لك شيئاً فأدناه منه فقال له: إنّا جئناك بما هو خير لك من الخيل وما لك فيه خير الدنيا والآخرة فأعْطِنا الأمان على خلتين إما أنك قَبِلْتَ ما أتيناك به وإما سترتَ وأمسكتَ عن أذانا حتى نخرج من بلادك راجعين، فأعطاهم الأمان، فقالوا: ما للخيل أتيناك ولكن هذا عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن الحسن أرسله أبوه إليك

وقد خرج بالمدينة ودعا لنفسه بالخلافة ـ (في رجب) ـ وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة وغلب عليها ـ (في أول رمضان) ـ فقال عمر بن حفص: بالرحب والسعة، ثم بايعهم له، وأمر به فتوارى عنده، ودعا أهل بيته وقوّاده وكبراء أهل البلد للبيعة فأجابوه، وهيأ لبسته من البياض يصعد فيها إلى المنبر ـ يوم الجمعة ـ وتهيأ لذلك يوم خميسٍ فَلَمَّا كان يوم الأربعاء إذا سفينة قد وافت من البصرة فيها رسول لخليدة بنت المُعارك امرأة عمر بن حفص بكتاب إليه تخبره بقتل محمد بن عبد اللّه بن حسن، [وكان مقتله في ١٤ رمضان] فدخل عمر إلى عبد اللّه فأخبره الخبر وعزاه ثم قال له: إني كنتُ بايعتُ لأبيك وقد جاء من الأمر ما ترى، فقال له: إن أمري قد شُهر ومكاني قد عُرف ودمي في عنقك فانظر لنفسك أو دع، فقال عمر: قد رأيتُ رأياً، ههنا ملك من ملوك السند والهند عظيم المملكة كثير التبع وهو على شركه أشدّ الناس تعظيماً لرسول اللّه ﷺ وهو رجلٌ وفيٌّ فأرْسِلُ إليه فأعقدُ بينك وبينه عقداً وأوجّهك إليه تكون عنده فلست ترامُ معه، قال: افعل ما شئتَ. ففعل ذلك، فصار عبد اللّه الأشتر إليه فأظهر إكرامه وبرَّه برّاً كثيراً وتسللت إليه الزيدية حتى صار إليه منهم أربعمائة إنسان من أهل البصائر»[1].

ولم تذكر الروايات أن ذلك كان خطة من الأمير عمر بن حفص لتجنيب السند فتنة حركة محمد بن عبد اللّه بن حسن بالحجاز وحركة أخيه إبراهيم بالبصرة والتي انتهت أيضاً بمقتل إبراهيم وكثير من الشيعة في ذي القعدة سنة١٤٥هـ، وقد حافظ الأمير عمر بن حفص على حياة عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه وأصحابه فلحقوا ببلد ملك من ملوك الهند، وتسلل إليهم بقية أشياعهم الذين بالسند حتى صار إليه منهم أربعمائة إنسان من أهل البصائر. وقد كتم الأمير عمر بن حفص بأنه خطط لأي شيء مما حدث بحيث جاء في تتمة رواية الطبري أنه: «لَمَّا قُتِل محمد وإبراهيم انتهى خبر عبد اللّه الأشتر بن محمد بن عبد اللّه بن حسن إلى أبي جعفر المنصور فكتب إلى عمر بن حفص يخبره بما بلغه، فجمع عمر بن حفص قرابته فقرأ عليهم كتاب المنصور وأخبرهم أنه إن أقرَّ بالقصة لم يُنظِره المنصور أن يعزله وإن صار إليه قتله وإن امتنع حاربَه، فقال له رجل من أهل بيته: ألقِ الذنبَ عليَّ واكتب إليه بخبري وخذني الساعة فقيّدني واحبسني فإنه سيكتب: أرسله إليّ فأرسِلْني إليه فإنه لن يَقْدِم عليَّ لموضعك في السند وحال أهل بيتك بالبصرة، قال: إنِّي أخاف عليك خلاف ما تظنّ، قال: إن قُتِلتُ أنا فنفسي فداؤك فإن حُييتُ فمن اللّه، فأمر به فقُيّد وحُبس وكتب إلى المنصور يخبره بذلك، فكتب إليه المنصور يأمره بحمله إليه فَلَمَّا صار إليه قدمه فضُرب عنقه»[1].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ جـ ٩.

وغالب الظن أن أبا جعفر المنصور عرف واستحسن ما قام به الأمير عمر بن حَفْص، أما قيامه بضرب عنق قريب عمر بن حفص فربما كان ذلك ظاهرياً وأن اختفاء ذلك القريب بعد وصوله إلى المنصور لم يدع مجالاً للشك في أن المنصور ضرب عنقه.

وقد استمر الأمير عمر بن حفص والياً للسند بعد تلك الحادثة أكثر من أربع سنوات فكان هو الوالي على بلاد السند في سنة١٤٧ وسنة١٤٨ وسنة١٤٩ وسنة١٥٠هـ بينما كان ابن عمه يزيد بن حاتم المهلّبيّ والياً لمصر وكان روح بن حاتم المهلّبي من الأمراء بمشارق العراق، وكان محمد بن الأشعث الخزاعي ثم المخارق بن غفّار الطائي والياً لأفريقيا الشمالية.

وفي أوائل سنة١٥١هـ كتب المنصور إلى عمر بن حفص بالقدوم إليه فَلَمَّا قَدِم إليه من السند ولّاهُ على أفريقيا الشمالية فانتقل من شرق دولة الخلافة إلى غربها، ومكث الأمير عمر بن حفص والياً لأفريقيا الشمالية حتى وفاته في منتصف ذي الحجة سنة١٥٤هـ.

الولاة اليمانيون لبلاد السند بعد عمر بن حَفْص

٣ ـ رَوْح بن حاتِم المهلَّبيّ أمير السند (١٥٩ ـ ١٦١هـ):

هو الأمير رَوْح بن حاتم بن قَبِيْصة بن المهلَّب. كان من الشخصيات القيادية بالبصرة. ولَّاهُ الخليفة أبو جعفر المنصور إمرة وقيادة مناطق من الأهواز وفارس وتخليصها من قوم من الخوارج عاثوا فيها فسار إليهم روح بن حاتم بجيش كان من المبعوثين فيه الشاعر أبو دلامة، فَلَمَّا تواجه الفريقان للقتال قال أبو دلامة:

إنِّـي أعــوذُ بِــرَوْحٍ أن يُـقــدِّمَــنــي ... إلى البراز فتخزى بي بنو أسدِ

إنّ المهلَّب حبَّ الموت أورثكم ... وما ورثتُ اختيار الموت من أحدِ

فأعفاه رَوْح من القتال، وهزم رَوْح أولئك الخوارج ومكث أميراً قائداً بتلك المنطقة، وتولَّى عدة مناصب إدارية وقيادية في خلافة المنصور. وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلَّب الأزدي: أمير، من الأجواد الممدوحين. كان جابياً للمنصور العباسي، وولّاهُ المهدي بن المنصور السِّند». [ص٢١٥].

وقد وُلِّي روح بن حاتم بلاد السند في أوائل سنة١٥٩هـ حيث قال الطبري: «ثم دخلت سنة١٥٩هـ وفيها وُلِّي حمزة بن مالك (الخزاعي) سجستان، ووُلِّي جبريل بن يحيى (البجلي) سمرقند. وفيها توفي معبد بن الخليل بالسند وهو عامل المهدي عليها فاستعمل مكانه رَوْح بن حاتم بمشورة أبي عبيد اللَّه وزيره». [ص٣٢٧/ ٩].

فسار الأمير روح بن حاتم إلى بلاد السند وتولَّى حكمها، ثم وجّه الخليفة المهدي جيشاً إلى ثغر السند والهند لفتح مدينة بأربد بساحل الهند، ولا بد أن ذلك بطلب من روح بن حاتم لأنه الوالي فقد ذكر الطبري أنه: «وجّه المهدي عبد الملك بن شهاب المِسْمَعيّ في البحر إلى بلاد الهند وفرض معه لألفين من أهل البصرة من جميع الأجناد وأشْخَصَ معه من المطَّوّعة الذين كانوا يلزمون المرابطات ألفاً وخمسمائة رجل، ووجّه معه قائداً من جُند أهل الشام يُقال له ابن

الحُباب المذحجيّ في سبعمائة من جند أهل الشام، وخرج معه من مطّوّعة أهل البصرة بأموالهم ألف رجل فيهم الربيع بن صبيح، ومن الأسواريين والسَّبَابجة أربعة آلاف، فمضوا ـ بحراً ـ حتى أتوا مدينة بأربد من بلاد الهند في سنة١٦٠هـ، فناهضوها بعد قدومهم بيوم وأقاموا عليها يومين فنصبوا المنجنيق وناهضوها بجميع الآلة وتحاشد الناس وحضّ بعضهم بعضاً بالقرآن والتذكير ففتحها اللّه عليهم عنوة ودخلت خيلهم من كل ناحية حتى ألجؤوهم إلى بُدّهم ـ **[أي معبد صنمهم بوذا]** ـ فأشعلوا فيها النيران فاحترق منهم من احترق وجاهد بعضهم المسلمين فقتلهم اللّه أجمعين واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلاً وأفاءها اللّه عليهم». **[ص٣٢٧ و٩/٣٣٤]** ـ ثم إن المطوّعة عادوا مع الربيع بن صبيح بالسفن قاصدين البصرة فغرق أكثرهم، بينما أصبحت باربند تابعة لولاية السند وقد ذكر الطبري في نهاية أحداث سنة١٦٠هـ أسماء الولاة على الأمصار فقال: «كان على الكوفة إسحاق بن الصباح الكندي، وعلى البصرة محمد بن سليمان ـ وعلى السند روح بن حاتم، وعلى أفريقيا يزيد بن حاتم» **[ص٩/٣٣٧]**.

وفي سنة١٦١هـ انتهت ولاية الأمير روح بن حاتم للسند بتولية نصر بن محمد بن الأشعث فعاد روح بن حاتم إلى البصرة ثم أصبح والياً للبصرة (١٦٥ ـ ١٦٨هـ) ثم والياً لفلسطين (١٧٠ ـ ١٧١هـ) ثم والياً لأفريقيا الشمالية (١٧١ ـ ١٧٤هـ) حتى وفاته بالقيروان في رمضان سنة١٧٤هـ.

* * *

٤ ـ نصر بن محمد بن الأشعث . . أمير السند (١٦١ ـ ١٦٤هـ):

هو الأمير نصر بن محمد بن الأشعث بن عُقبة بن أهبان الخزاعيّ نجل الأمير محمد بن الأشعث الخزاعي الذي كان والياً لأفريقيا الشمالية سنة١٤١ ـ ١٤٨هـ ـ وتوفي سنة١٤٩هـ بثغور الشام في آمد بتركيا.

وكان نصر بن محمد بن الأشعث أميراً لفلسطين إلى سنة١٦١هـ حيث ذكر الطبري أنه: «في سنة١٦١هـ ظفر نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي بعبد اللّه بن مروان بالشام فقَدِم به على المهدي قبل أن يوليه السند فحبسه المهديّ في المطبق. وفيها ـ سنة١٦١هـ ـ وُلِّي نصر بن محمد بن الأشعث السند مكان روح بن حاتم، وشَخَص إليها حتى قَدِمها. .» **[ص٩/٣٤٠]**.

ثم إن الخليفة المهدي بن المنصور رأى أن يعود نصر بن محمد بن الأشعث والياً لفلسطين وأن يتولّى السند مكانه عبد الملك بن شهاب المسمعي فسار عبد الملك إليها وغادرها نصر وما هو إلا أن وصل ساحل السند حتى أتاه كتاب

من المهدي بالعودة والبقاء والياً للسند. قال الطبري: «في سنة١٦١هـ: وُلِّي نصر بن محمد بن الأشعث السند مكان روح بن حاتم، وشخص إليها حتى قَدِمها، ثم عُزِل، ووُجِّه إليها عبد الملك بن شهاب فقَدِمها على نصر، فبغته، ـ [فسلَّم إليه الولاية] ـ، فَشَخَص نصر حتى نزل الساحل على ستة فراسخ من المنصورة، فأتى نصر عهده على السند فرجع إلى عمله، وقد كان عبد الملك أقام بها ثمانية عشر يوماً فلم يعرض له فرجع عبد الملك إلى البصرة».

ومكث نصر والياً لبلاد السند سنة١٦١ وسنة١٦٢هـ. قال ابن الأثير: «وفي سنة١٦٣هـ كان ـ الوالي ـ على السند نصر بن محمد بن الأشعث». [ص٦٣/ ٥ ـ الكامل].

ولم يزل نصر والياً للسند حتى وفاته في أواخر سنة١٦٤هـ. قال الطبري: «وفيها ـ أي سنة١٦٤هـ ـ توفي نصر بن محمد بن الأشعث بالسند». [ص٣٤٥/ ٩].

ولَمَّا مات نصر تولَّى السند (سطيح بن عمرو) لم تذكر الروايات أكثر من ذلك، وقد كان نصر بن محمد بن الأشعث رابع الولاة اليمانيين الذين حكموا بلاد السند في العصر العباسي وتوفي بمدينة المنصورة.

* * *

٥ ـ المُغِيْرة بن يزيد بن حاتم.. أمير السند (ـ إلى سنة١٨٣هـ):

هو الأمير المغِيْرة بن يزيد بن حاتم بن قَبِيْصة بن المهلَّب. نجل الأمير يزيد بن حاتم الذي كان والياً لمصر (سنة١٤٣ ـ ١٥٢هـ) ثم والياً لأفريقيا الشمالية (سنة١٥٤ ـ ١٧٠هـ) وكان المغيرة خامس خمسة أمراء من أبناء يزيد بن حاتم، وهُم: خالد، وداود، وعبد اللَّه، والمغيرة، ومحمد. كان خالد أميراً لإقليم الرَّيّ في سنوات ولاية أبيه لأفريقيا. وكان داود مع أبيه في أفريقيا (تونس) فَلَمَّا مات أبوه ـ في رمضان سنة١٧٠هـ ـ أصبح داود والياً لأفريقيا الشمالية وحكمها تسعة أشهر (إلى رجب ١٧١هـ) ثم ولَّى الخليفة هارون الرشيد عمه رَوْح بن حاتم على أفريقيا فعاد داود إلى البصرة ثم ولّاه الرشيد على مصر (سنة١٧٤ ـ ١٧٥هـ). وكان المغيرة بالبصرة فولّاه الرشيد على بلاد السند. ولم تذكر المصادر التي بأيدينا العام الذي أصبح فيه المغيرة والياً للسند، فقد يكون سنة١٧١هـ وقد يكون سنة١٧٥هـ.

ومكث المغيرة والياً لبلاد السند إلى سنة١٨٣هـ فاندلعت في السند وكرمان حركة خوارج أشعلها الذين بالسند من قبيلة تميم والخوارج فقاتلهم المغيرة فأصابوه في كمين وقتلوه. قال أبو العباس المبرّد في كتاب الكامل في اللغة والأدب: «قال عبد اللَّه بن محمد بن أبي عُيينة بن المهلَّب:

أفْنَى تميماً سَعْدَها ورِبابَها ... بالسِندِ قَتْلُ مُغيرةَ بن يزيد

.. وفي المغيرة قال في قصيدة مطولة:

إذا كَـرَّ فـيـهـم كـرَّةً أفـرجـوا لـه فِـرار بُغاث الطير صادَفنَ أجدَلا
وما نِيلَ إلّا مِنْ بعيدٍ بحاصِبٍ من النَّبْل والنُّشابِ حتى تَجَدَّلا
وإنـي لـمُـثْـنٍ بـالـذي كـان أهـلَـهُ أبـو حـاتِـم إن نـاب دَهـرٌ فـاعـضـلا
فتىً كان يستحيي من الذَمّ أن يَرى لـه مَخْرجاً يوماً عـليـه ومَدْخـلا
وكان يَظنُّ الموتَ عاراً على الفتى يَدَ الدهر إلا أن يُصابَ فيُقْتلا
مَـنـيَّـةُ أبـنـاء الـمـهـلَّـبِ إنـهُـمْ يَـرَوْنَ بـهـا حـتـماً كـتـاباً مُعَـجَّـلا
وقد أطلقَ اللّهُ اللسانَ بقتل مَنْ قـتَـلـنـا بـه مـنـهـم ومَنَّ وأفـضـلا
أنـاخ بـهـم داودُ يـصـرِفُ نـابَـهُ ويُلقي عليهم كَلْكَلاً ثم كلْكَلَا»

[ص٢٥٨/ ١].

وكان مقتل الأمير المغيرة بالسند في أواخر سنة١٨٣هـ وتغلّبت تميم والخوارج على البلاد، فوجّه وولّى الخليفة هارون الرشيد أخاه داود على بلاد السند.

* * *

٦ ـ داود بن يزيد بن حاتم.. أمير السند (١٨٤ ـ ٢٠٥هـ):

هو الأمير داود بن يزيد بن حاتم بن قَبِيْصة بن المهلَّب، كان والياً لأفريقيا الشمالية سنة١٧٠ ـ ١٧١هـ ثم والياً لمصر سنة١٧٤ ـ ١٧٥هـ، فَلَمَّا انتهت ولايته لمصر عاد إلى البصرة فأقام بها وكان من أعلام الشخصيات، بينما كان أخوه المغيرة والياً للسند، فوقعت بالسند حركة الخوارج وعشائر تميم الذين بالسند فَقُتِل المغيرة وسيطر الخوارج وتميم على السند إلى كرمان ـ في أواخر سنة١٨٣هـ ـ وعندئذ ولّى الخليفة هارون الرشيد داود بن يزيد بن حاتم بلاد السند ـ في أوائل سنة١٨٤هـ ـ.

قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «ثم دخلت سنة١٨٤هـ وفيها ولّى هارون الرشيد داود بن يزيد بن حاتم المهلّبيّ السند» [ص٧١/ ١٠].

ويتبيَّن من قصيدة عبد اللّه بن محمد بن أبي عيينة أن داود بن يزيد انطلق من بغداد على رأس فرقة من الفرسان القحطانيين اليمانيين وفي طليعتهم فرسان آل المهلّب والعتيك الأزديين، فدخلوا منطقة كرمان وكان بها الشراة (الخوارج) فاستلحموهم، ومضوا منها إلى السند حيث عشائر تميم (سعد والرباب) وكان عبد اللّه بن محمد بن أبي عيينة مع الأمير داود في ذلك المسير، قال أبو العباس

المبرد في كتاب الكامل في اللغة والأدب: (قال عبد الله بن محمد بن أبي عُيينة

أَبَتْ إلا بُكاءً وانتِحابا ... وذكراً للمُغيرةِ واكتِئابا
ألم تَعْلمْ بأن القتل وِرْدٌ ... لنا كالماء حين صفا وطابا
وقلتُ لها قِري وثِقي بقولي ... كأنكِ قد قرأتِ به كتابا
فقد جاء الكتابُ به فقُولي ... ألا لا تَعْدَمِ الرأي الصوابا
جَلَبْنا الخيلَ من بغداد شعثاً ... عَوابِس تَحْمِلُ الأسْد الغِضابا
بكلِّ فتىً أغرَّ مُهَلَّبيٍّ ... تخال بضَوءِ صورته شِهابا
ومِنْ قَحْطانَ كلَّ أخي حِفاظٍ ... إذا يُدْعى لنائبةٍ أجابا
فما بلغَتْ قرى كَرْمانَ حتى ... تَخَدَّدَ لحمُها عنها فذَابا
وكان لهُنَّ في كرمانَ يومٌ ... أمَرَّ على الشُراة بها الشَرابا
وإنّا تاركون غداً حديثاً ... بأرض السِندِ سَعْداً والرِبابا»

ومضى داود والذين معه إلى السند إلى حيث عشائر تميم الخوارج، وعن ذلك قال ابن أبي عيينة:

أناخ بهم داودُ يَصرفُ نابَهُ ... ويُلقي عليهم كَلْكَلاً ثم كَلْكلا
يُقَتِّلُهُمْ جوعاً إذا ما تَحَصَّنوا ... وتَفْرِيهُمْ هوجُ المجانيقِ جَندلا

قال أبو العباس المُبرِّد: «وقال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة في قَتْل داود بن يزيد بن حاتم مَنْ قَتَلَ بأرض السِندِ بدم أخيه المُغيرة:

أفنى تميماً سَعْدَها ورِبَابها ... بالسِندِ قَتْلُ مُغيرةَ ابن يَزيد
صَعَقَتْ عليهم صَعقةٌ عَتَكيَّةٌ ... جعلت لهم يوماً كيوم ثمود
ذاقَتْ تميمٌ عَرْكَتينِ عذابَنا ... بالسندِ مِن عُمَرٍ ومِن داود
قُدْنا الجيادَ من العِراقِ إليهمُ ... مثلَ القَطا مُسْتَنَّةً لوُرودِ
يَحْمِلْنَ من ولد المهلَّبِ عُصبةً ... خُلِقَتْ قلوبُهُمُ قلوب أُسودِ»

[ص٢٥٨/ ١].

وكان داود حسن السيرة شجاعاً شهماً كريماً، اتسم عهد حكمه الطويل لبلاد السند بالأمن والاستقرار فقد مكث والياً للسند من سنة١٨٤هـ إلى وفاة هارون الرشيد سنة١٩٣هـ واستمر والياً للسند في خلافة الأمين بن الرشيد (١٩٣ ـ ١٩٦هـ) ثم في خلافة المأمون بن الرشيد إلى أن توفي بالسند وهو والٍ عليها سنة٢٠٥هـ الموافق ٨٢٠م. فكانت مدة حكمه لبلاد السند زهاء إحدى وعشرين سنة.

* * *

٧ ـ بِشْر بن داود المهلَّبي أمير السند (٢٠٥ ـ ٢١٦هـ):

هو الأمير بِشر بن داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب. ولّاه المأمون بن الرشيد بلاد السند بعد وفاة أبيه الأمير داود سنة٢٠٥هـ. قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: ـ «في سنة٢٠٥هـ مات داود بن يزيد عامل السند فولّاها المأمون بِشر بن داود على أن يحمل إليه في كل سنة ألف ألف درهم». [١٠/٢٥٧].

فتولّى الأمير بشر حكم بلاد السند. قال أبو العباس المبرد في كتاب الكامل: «وإبراهيم السوّاق هو الذي يقول لبشر بن داود بن يزيد بن حاتم:

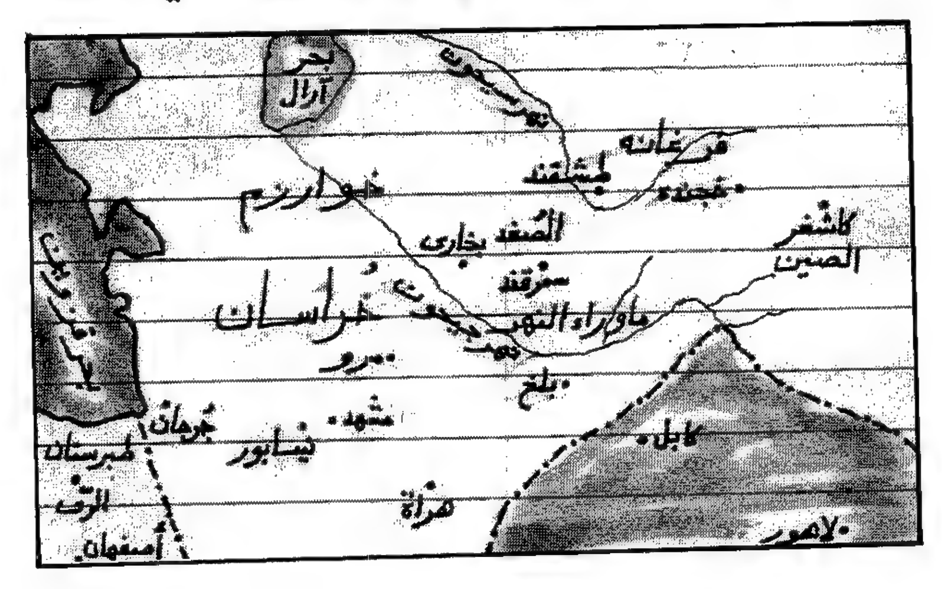
سَمـاؤكَ تُمْطِرُ الذهبا ... وحَرْبُكَ تَلْتَظِي لَهَبا

وأيُّ كتيبةٍ لاقتْكَ ... لم تَسْتحسن الهَرَبا»

[ص٢٥٠/١].

وفي سنة٢١١هـ بدأت المشاكل بين الأمير بشر والخليفة المأمون وكان سبب ذلك أن الأمير بشر لم يبعث إلى المأمون في تلك السنة مبلغ الألف ألف درهم لأن إيرادات البلاد لم تسمح بذلك. قال الطبري: «في سنة٢١١هـ ولّى المأمون حاجب بن صالح الهند فهزمه بشر بن داود فانحاز إلى كرمان. . وفي سنة٢١٣هـ خالف بشر بن داود المأمون وجبى الخراج فلم يحمل إلى المأمون شيئاً. .» (أهـ) وقال البلاذري: «إن بشر بن داود عصى وخالف المأمون فوجّه إليه غسان بن عباد وهو رجل من أهل سواد الكوفة فخرج بشر إليه في الأمان وورد به مدينة السلام». وكان قدوم بشر مع غسان بن عباد إلى المأمون سنة٢١٦هـ دليلاً على أنه لم يخالف وإنما موارد السند لا تحتمل الأموال التي يريدها المأمون. وقد تولّى السند بعد داود عدة عمال في وقت واحد لكل منطقة أمير وكانوا من الموالي. فكان بشر بن داود ـ وهو سابع الولاة اليمانيين ـ آخر الولاة العرب الذين حكموا بلاد السند، ومات بالبصرة بعد سنة٢٢٠هـ (٨٣٤ ميلادية).

الولاة اليمانيون لخُراسان وآسيا الوسطى في العصر العباسي



بلاد خراسان وما وراء النهر

المبحث الأول

بلاد خُراسان وأقاليمها

لقد كانت خراسان ولاية كبيرة تمتد في أرجاء آسيا الوسطى. ويتكون اسم خراسان من كلمتين بلغة أهل تلك البلاد وهما كلمة (خرا) وكلمة (سان) ومعناهما (الشمس المشرقة). فمعنى بلاد خراسان هو بلاد الشمس المشرقة. وكانت خراسان عشرة أقاليم، منها أربعة أقاليم فيما دون النهر وستة فيما وراء النهر، نهر جيحون.

فأقاليم خراسان التي ما دون النهر هي:

١ ـ **إقليم مرو الشاهجان**: وهو الإقليم الذي كانت تقع فيه مدينة (مرو) عاصمة ولاية خراسان، إذْ أنه كانت بخراسان مدينتان اسمهما مرو وهما (مرو الشاهجان) و(مرو الرُّوذ) قال الفرزدق:

بكت جزعاً مَرْو خُراسان إذْ رأت بـهـا بـاهـلـيـاً بـعـد آل الـمـهـلَّـب

وكانت مرو الشاهجان هي العاصمة وتقع في جمهورية تركمنستان حالياً.

٢ ـ **إقليم مَرْو الرُّوذ**: وهو إقليم خراسان الواقع في شمال إيران حالياً، وكان يضم عدة مناطق (كُور) أهمها: منطقة الطبسين، ومنطقة نيسابور، ومنطقة أَبَرْشهر، ومنطقة ومدينة مرو الرُّوذ، وكانت مرو الروذ عاصمة ذلك الإقليم، وبها توفي الزعيم اليماني الفاتح المهلَّب بن أبي صُفرة الأزدي أمير خراسان سنة٨٢هـ، فقال الشاعر نهارُ بن تَوْسِعة يرثيه:

ألا ذهَـبَ الـغَـزْوَ الـمُـقَـرِّبُ لـلـغِـنَـى وماتَ النَّدَى والجودُ بعد المهلَّب

أقـامـا بـمَـرْو الـرُّوذِ رهـن ضـريـحـه وقـد غُـيِّـبا مِـنْ كـل شـرقٍ ومـغـربِ

٣ ـ **إقليم هَرَاة وبَلْخ**: وهو شمال أفغانستان إلى تاجيكستان حالياً. وكان يشمل مناطق كثيرة منها: هَرَاة، والبروقان، وبلخ، وباذغيس، وغورين، ونمرون، وقرقيسيان. قال الطبري: «وكانت البروقان منزل الأمراء» أي مقر الأمراء العرب لذلك الإقليم إلى أن قام الأمير اليماني أسد بن عبد اللّه القسري أمير خراسان بتشييد مدينة بَلْخ سنة١٠٧هـ ونقل العرب من البروقان إلى بلخ وجعلها مدينة عاصمة سنة١٠٨هـ قال الطبري: «فقال أبو البريد البكري في بنيان أسد مدينة بَلْخ:

إنّ الـمـبـاركـةَ الـتـي حَـصّـنْـتَـهـا عُـصِـم الـذلـيـلُ بـهـا وقَـرَّ الـخـائـفُ

.. يا خير مَلْك ساس أمر رعيةٍ إنِّـي عـلـى صـدق الـيـمـين لـحـالـفُ

الـلَّـهُ أمَّـنـهـا بـصـنـعـك بـعـدَمـا كـانـت قـلـوبٌ خـوفـهـنّ رواجـفُ»

٤ ـ **إقليم جُرْجان**: ويقع في شمال غرب إيران وفي شرق تركمنستان حالياً. وكان يضم جُرجان، ودهستان، والبحيرة. وقد افتتحها يزيد بن المهلَّب سنة٩٨هـ. قال ابن الأثير في كتاب الكامل: «وبَنَى يزيد بن المهلَّب مدينة جُرجان ولم تكن بُنيت قبل ذلك». [ص١٥٠ جـ٤] وقال الشاعر أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلَّب وهو بجرجان:

ألا خـبّـروا إن كـان عـنـدكـم خـبـر أَنَقْفِلُ أم نثوي على الهمّ والضَجَرْ

فإن أشك من ليلي بجرجان طوله لقد كنتُ أشكو فيه بالبصرة القِصَرْ

وأما أقاليم ما وراء النهر فكانت تشمل:

١ ـ **إقليم الصُغد (السُغد)**: وهو إقليم كبير يقع في جمهورية أوزبكستان حالياً. وكانت حاضرتاه مدينتا سمرقند وبُخارى. قال الكميت:

كانت سمرقند أحقاباً يمانيةً والیوم تحسبها قيسيةً مُضَرا

٢ ـ **إقليم خوارزم:** ويقع غرب بلاد الصُغد على حافتي نهر جيحون. قال البلاذري: «خوارزم ثلاث مدائن يحاط بها فارقين ومدينة الفيل أحصنها». وقال الأصفهاني: «فيل: هو حصن خوارزم، يقال له الكهندر، والكهندر: الحصن العتيق». ولَمَّا فتحها يزيد بن المهلَّب قال حاجب الفيل:

رَمَتْكَ فيلٌ بما فيها وما ظلمت من بعد ما رامها الفجفاجة الصَّلفُ

٣ ـ **إقليم الصغانيان:** ويقع في الجنوب الشرقي من إقليم الصُغد، فيما يلي بَلْخ شمالاً. ويتصل بالصغانيان إقليم زمّ ـ أو حصن زمّ ـ وقد أسلم حاكم زمّ على يد المهلَّب بن أبي صُفرة سنة٨٠ هجرية.

٤ ـ **إقليم الخُتَّل:** وهو إقليم شاسع ببلاد طخارستان في القسم الشرقي من بلاد ما وراء النهر، وكان ملك الخُتَّل يقال له (السَبْل). قال البلاذري: «تولّى خراسان المهلَّب بن أبي صُفرة سنة٧٩هـ وفَتَح بلاد الخُتَّل.. وفتح خُجَنْده». وكانت بلاد الخُتَّل تنتقض ثم تُفتح إلى أن غزاها وفتحها أسد بن عبد اللّه القسري فقال ثابت قُطنة:

أرى أسداً في الحرب إذ نزلت به وقَارَعَ أهل الحرب فاز وأوجبا

تناول أرض السَبْل، خاقان ردؤه، فحرّق ما استعصى عليه وخرّبا

وأرض السَبْل هي بلاد الخُتَّل.

٥ ـ **إقليم فرغانة:** ويقع في المنطقة الشرقية الشمالية من بلاد ما وراء النهر، وفيه مدينتا فرغانة وخُجَنْده. وكان الشاعر اليمني أعشى هَمْدَان في أول جيش غزا خُجنده سنة٦٢هـ فانهزم ذلك الجيش فقال أعشى همدان:

لَيْت خيلي يوم الخُجَنْدة لم تُهـ ـزم وغُودرت في المكرّ سليبا

تشهدُ الطير مصرعي وتروحـ ـتُ إلى اللّه بالدماء خضيبا

ثم افتتح خُجَنْدة المهلَّب بن أبي صُفرة سنة٨١هـ على يد يزيد بن المهلَّب.

٦ ـ **إقليم الشاش:** وهو أبعد وآخر أقاليم ما وراء النهر، وفي ذلك الإقليم كان خاقان ملك الترك والكفار الأعظم ومما قيل في تلك البلاد، قال الشرعبي الطائي اليماني:

تَذَكرْتُها والشاش بيني وبينها وشِعْبُ عِصامِ والمنايا تَطلّعُ

بلادٌ بها خاقانُ جمٌّ زُحُوفُه ونيلان في سبْعين ألفاً مُقَنّعُ

وكانت الشاش وبلاد خاقان آخر أقاليم ما وراء النهر من بلاد خراسان.

أنباء أعلام الولاة اليمانيين لخراسان في العصر الأموي

لقد فتح العرب أغلب بلاد خُراسان في العصر الأموي، وكان للأمراء الولاة العرب اليمانيين دور كبير في فتوحات خراسان وفي نشر الإسلام في تلك البلاد وتأسيس وترسيخ عصرها وتاريخها العربي الإسلامي. وكان من أعلام الفاتحين والولاة في العصر الأموي:

١ ـ الربيع بن زياد الحارثي أمير خراسان (٥١ ـ ٥٣هـ):

هو الزعيم اليماني الفاتح الصحابي الربيع بن زياد بن أنس بن الديان الحارثي المذحجي.. قال الشاعر:

إن تلق حيّ بني الديان تلقهم ... شمّ الأنوف إليهم غُرّة اليمن
ما كان في الناس للديان من شبهٍ ... إلّا رعين وإلا آل ذي يزن

وكان الربيع من قادة فتوح العراق وفارس، وفيه قال الشاعر الصحابي الفاتح عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

ومضى ربيعٌ بالجياد مُشرِّقاً ... ينوي الجهاد وطاعة الرحمن
حتى استباح بلاد فارس بالقنا ... والسهل والأجبال من كرمان

ثم افتتح الربيع بن زياد بلاد سجستان في خلافة عثمان بن عفان سنة٢٩ ـ ٣٣هـ، وتولّى الربيع حكم سجستان مرة ثانية في خلافة معاوية سنة٤٥ ـ ٥٠هـ وبلغت فتوحاته كابول في أفغانستان.

وفي أول سنة٥١هـ وُلّي الربيع خُراسان فكان أهم الذين تولوا خراسان من الأمراء الفاتحين العرب الأوائل لأنه سار إليها في خمسين ألفاً من العرب بعيالاتهم وأوطنهم بخُراسان. ولذلك قال د. ناجي حسن:

«وللربيع هذا أهمية كبيرة في استيطان العرب مناطق خراسان»[1].

فبموجب تعليمات الخليفة معاوية بن أبي سفيان قام زياد بن أبي سفيان أمير

(١) القبائل العربية في المشرق ـ د. ناجي حسن ـ ص ١٧٧.

العراق بتولية الربيع بن زياد الحارثي على خراسان وسيّر معه خمسين ألفاً من العرب الذين كانوا قد انتقلوا من اليمن والجزيرة العربية إلى البصرة والكوفة، فانطلقوا مع الربيع بعائلاتهم إلى خراسان. وعن ذلك قال الطبري:

«ولّى زيادُ الربيعَ بن زياد الحارثي خُراسان في أول سنة إحدى وخمسين فنقل الناس بعيالاتهم إلى خُراسان، ووُطّنُوا بها. قال المدائني: بعث زيادُ الربيع الحارثي في خمسين ألفاً، من البصرة خمسة وعشرين ألفاً ومن الكوفة خمسة وعشرين ألفاً»[١].

وقال البلاذري: «ولّى زيادُ الربيعَ بن زياد الحارثي سنة٥١هـ خراسان، وحوَّل معه من البصرة والكوفة زهاء خمسين ألفاً بعيالاتهم، وأسكنهم الربيع دون النهر»[٢].

وقد أوطن الربيع الحارثي الخمسين ألفاً من العرب بعائلاتهم في أقاليم ما دون النهر، وبالذات في مدينة وإقليم مرو الشاهجان وفي مدينة وإقليم مرو الرُّوذ، وفي إقليم هراة وبلخ. وكان لذلك أثره السريع في تغيير معالم الواقع السياسي والسكاني والديني وصيرورة خراسان من أهم الولايات في دولة الخلافة العربية الإسلامية.

قال ابن خلدون: «وغزا الربيع بَلْخ ففتحها صلحاً..»[٣] وذكر الطبري وابن خلدون أنه: «فتح الربيعُ قُوهستان عنوةً، وهزم واستلحم من كان بناحيتها من الترك»[٣]. فأصبحت أقاليم ما دون النهر بيد السلطة العربية جميعها.

وفي سنة٥٢هـ غزا الربيع ما وراء النهر في أربعة وعشرين ألفاً من العرب. وكان ذلك بداية خطة للتقدم إلى بلاد ما وراء النهر. قال الطبري: «غزا الربيع بن زياد، فقطع النهر، فغنم وسلم». [ص١٦١/ ٥].

وفي سنة٥٣هـ مات الربيع بن زياد الحارثي رضي اللّه عنه بمدينة مرو الشاهجان ودُفن فيها.

***

٢ ـ عبد اللّه بن الربيع الحارثي أمير خراسان (٥٣هـ):

هو الأمير عبد اللّه بن الربيع بن زياد الحارثي. قال البلاذري: «مات الربيع سنة٥٣هـ واستخلف عبد اللّه ابنه، فغزا أهل آمل وهي أموية وزمّ، ثم صالحهم (على أداء الجزية) ورجع إلى مرو. فمكث بها شهرين. ثم مات بها»[٢] وكانت وفاته في أواخر سنة٥٣هـ.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٦١ جـ ٥.

(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٤٠٠ و٤٠١.

(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٣٦٥.

٣ ـ المُهَلَّب بن أبي صُفرة الأزدي.. والي خُراسان (٧٨ ـ ٨٢هـ):

هو الزعيم الفاتح المهلَّب بن أبي صُفرة العتكيّ الأزدي: كان المهلَّب أول من غزا وافتتح بلاد السند في خلافة معاوية سنة٤٤ ـ ٤٦هـ. ثم دخل خراسان وغزا مع الحكم بن عمرو الغفاري سنة٤٨ ـ ٤٩هـ مناطق الصغانيان وطخارستان وفتح جبل الأشل. ولم يزل المهلَّب من كبار القادة بخراسان حيث تولَّى خراسان سعيد بن عثمان بن عفان (٥٦ ـ ٥٩هـ) فغزا سمرقند ومعه المهلَّب وقثم بن العباس بن عبد المطلب فحاصروا سمرقند وقاتلوا حاكمها (قهندز سمرقند) ثلاثة أيام. قال البلاذري: «وكان أشد قتالهم في اليوم الثالث ففقئت عين سعيد بن عثمان والمهلَّب بن أبي صفرة الأزدي»[١]. حيث أُصيب المهلَّب بسهم بالقرب من عينه، ثم أذعن حاكم سمرقند للصلح، وفي تلك الغزوة مات قثم بن العباس بسمرقند وما زال قبره معروف ومشهور بسمرقند حتى اليوم.

ثم تولَّى خراسان سلم بن زياد بن أبي سفيان (٦٠ ـ ٦٤هـ) فكان المهلَّب أميراً قائداً لبعض أقاليم خراسان في ولايته. قال ابن الأثير: «وعبر سَلْم بن زياد النهر غازياً، فألحّ عليه المهلَّب بن أبي صُفرة وسأله التوجه إلى مدينة خوارزم، فوجّهه في ستة آلاف، فحاصر خوارزم، وصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف». [ص٣٠٥/ ٣].

وقد انتهت تلك المرحلة من الفتوح العربية بخراسان سنة٦٤هـ. وعاد المهلَّب إلى البصرة، واندلع الصراع على الخلافة بين عبد الملك بن مروان وعبد اللّه بن الزبير (٦٥ ـ ٧٢هـ) ولَمَّا استتب أمر الخلافة لعبد الملك بن مروان ولَّى المهلَّب أقاليم فارس والأهواز ومحاربة الخوارج المتغلبين عليها، فحاربهم المهلَّب وأعاد سلطة دولة الخلافة إلى الأهواز وفارس وكرمان وتولّاها إلى سنة٧٨هـ. ثم عاد المهلَّب إلى البصرة، وكان أمير العراق يومئذ الحجاج بن يوسف الثقفي، ضمّ عبد الملك بن مروان ولاية خراسان إلى الحجاج أمير العراق وأمره بتولية المهلَّب على خراسان فوجّه المهلَّب ابنه حبيب بن المهلَّب إلى خراسان في شهر ربيع ٧٨هـ حيث قال الطبري وابن الأثير: «وَلّى الحجاجُ المهلَّبَ على خراسان، فسيَّر المهلَّبُ ابنه حبيباً إليها.. فسار حبيب على بغلة خضراء وأصحابه على البريد (دواب البريد) عشرين يوماً حتى وصل خراسان، فَلَمَّا دخل باب مرو لقيه حمل حطب، فنفرت البغلة، فعجبوا من نفارها بعد ذلك التعب

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٤٠٠ و٤٠١.

وشدة السير. . وأقام حبيب عشرة أشهر حتى قَدِم عليه المهلَّب سنة٧٩ هجرية»[١].

وجاء في ترجمة المهلَّب بكتاب الجامع أنه: «. . ولَّاهُ عبد الملك بن مروان على خراسان فقَدِمها سنة٧٩هـ»[٢].

وكان وصول المهلَّب إلى مرو عاصمة خراسان في حوالي شهر صفر ٧٩هـ فولَّى العمال على أقاليمها وقام بتنظيم الأعمال الإدارية والدواوين. ومنذ عهده ازدهر الشعر العربي بخراسان. قال أبو علي القالي: استعمل المهلَّبُ يزيدَ على حرب خُراسان، والمغيرةَ على خراجها، ولم يولِّ البَخْتَريَّ بن المغيرة بن أبي صُفرة، فكتب إليه:

إقْرِ السَّلامَ على الأمير وقُلْ له ... إنّ المُقَام على الهَوانِ بلَاءُ
. . أُجفى ويُدْعى مَنْ ورائي جالساً ... ما بالكرامة والهوانِ خفاءُ

فوجَدَ عليه المهلَّب وألزمه منزله، فكتب إليه:

جَفَاني الأميرُ، والمغيرةُ قد جَفَا، ... وأمْسَى يزيدُ لي قد إزْوَرّ جانِبُهْ
. . فيا عَمِّ مهلاً، واتَّخِذني لِنَوْبةٍ ... تُلِمُّ فإن الدهرَ جَمٌّ نوائبُهْ

فرضي عنه وعزل المغيرةَ وولَّاهُ على الخراج»[٣].

وقال الجاحظ: «قال ثابتُ قُطنةَ في رجل كان المهلَّب ولَّاهُ على بعض خُراسان:

ما زالَ رأيُكَ يا مهلَّبُ فاضِلاً ... حتَّى بَنيتَ سُرادقاً لوكيع
. . لَوْ رَا أبُوهُ سُرادِقاً أحدثتَهُ ... لبكى وفاضت عينُه بدموعِ»[٤]

ووكيع هذا هو وكيع بن أبي سود التميمي، وثابت قُطنة هو ثابت بن كعب الأزدي.

وعن سياسة آل المهلَّب بخراسان قال د. ناجي حسن في كتاب القبائل العربية في المشرق:

«أدرك آل المهلَّب طبيعة الأوضاع القبلية بخراسان نتيجة خبرتهم الواسعة في

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٢٨١ جـ ٧.
والكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٧١ جـ ٤.
(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٥٥٩.
(٣) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٣١٣ جـ ٢.
(٤) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص ٥١ جـ ٤.

هذا الميدان، فأكّدوا العلاقة الوثيقة مع ربيعة بحلف عُقد لهذه الغاية حتى كان المهلَّب وابنه يزيد ينزلان هاتين القبيلتين في محلهما. ويظهر من بعض الروايات أن آل المهلَّب بالغوا في إظهار الودّ نحو ربيعة حتى كانوا يُقلدونها الأعمال السّنية وإن كانوا في الوقت نفسه قد اتَّبعوا سياسة يمانية صَرْفة»[١].

وفي سنة ٨٠هـ استخلف المهلَّب على العاصمة مرو الشاهجان وسائر أعمال خُراسان المغيرة بن المهلَّب، وعلى إقليم هراة وبَلْخ الرُقاد بن عُبيد العتكيّ، وسار المهلَّب بجند العروبة والإسلام فقطع نهر جيحون ودخل أقاليم ما وراء النهر التي كان النفوذ العربي الإسلامي قد انحسر عنها. قال الطبري: «في سنة ٨٠هـ قطع المهلَّبُ نهر بلخ، ونزل على كشّ. .» قال البلاذري: «فغزا المهلَّبُ غزوات كثيرة، غزا كشّ، وفتح بلاد الخُتَّل وكانت قد انتقضت، وفتح خُجنده، وأدّت إليه السُغدُ الأتاوة، وغزا نَسَف»[٢].

وقد بدأ المهلَّب بدخول إقليم آمل حيث «أسلم على يد المهلَّب غزوان أسكاف صاحب زم» ثم دخل المهلَّب بلاد الصُغد، فغزا إقليم كشّ وحاصر عاصمتها قلعة كشّ حصاراً طويلاً، وأقام المهلَّبُ ببلاد كشّ، ووجّه جيشاً بقيادة حبيب إلى سمرقند وبُخارى، وجيشاً بقيادة يزيد بن المهلَّب إلى إقليم الخُتَّل وإقليم خُجَنْدة بفرغانة. وبينما المهلَّب في كشّ مدحه الشاعر كعب بن معدان الأشقري الأزدي بقصيدة منها:

طَـربْـتُ وهَـاجَ لـي ذاكَ إدكـارا ... بـكـشّ قـد أطـلـتُ بـهـا الـحـصـارا
. . لَقَوْميَ الأزد في الغمرات أمْضَىَ ... وأوفـى ذمـةً وأعـزًّ جـارا
هُـمُ قـادوا الـجـيـاد عـلـى وَجَـاهَـا ... مِـن الأمـصـار يـقـذفـنَ الـمـهـارا
فَـهُـنّ يُـبِـحْـنَ كـل حِـمَـىً عـزيـزٍ ... ويَـحـمِـيـنَ الـحـقـائـق والـذمـارا
طـوالات الـمـتـون يُـصِـبْـنَ إلَّا ... إذا سـار الـمـهـلَّـبُ حـيـث سـارا

ومنها أبياتٌ ذكرها أبو الفرج الأصفهاني قائلاً: «كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء: تُشَبّهوني مرةً بالأسد، ومرةً بالبازي ومرةً بالصقر، ألا قلتم كما قال كعب بن معدان في المهلَّب وولده:

بَـرَاكَ الـلَّـهُ حـيـن بَـرَاكَ بـحـراً ... وفَـجَّـرَ مِـنْـكَ أنـهـاراً غِـزَارا
بـنـوكَ الـسـابـقـون إلى الـمـعـالـي ... إذا مـا أعـظـم الـنـاسُ الـخِـطـارا

(١) القبائل العربية في المشرق ـ د. ناجي حسن ـ ص ١٩٩.
(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٤٠٧.

ملوكٌ ينزلون بكل ثغرٍ إذا ما الهامُ يوم الرَوْع طارا
رِزانٌ في الأمور، تُرَى عليهم مِنَ الشيخ الشمائل (والوقارا)
نجومٌ يُهتدى بِهِمُ إذا ما أخو الظلماء في الغمرات حارا»[١]

وبينما المهلَّب في كش ـ وكما ذكر الطبري ـ «وجّه المهلَّبُ ابنه حبيباً، فسار إلى رِبنجَنْ، فوافى صاحب بُخارى في أربعين ألفاً، فدعا رجل من المشركين للمبارزة، فبرز له جَبَلة غلام حبيب فقتل المشرك، وحَمَل حبيب على جمعهم، فقتل ثلاثة نفر» ـ وعندئذ انهزم جيش صاحب بُخارى ـ قال ابن الأثير: «فنزل جماعة من العدو قرية، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف، فقاتلهم، فظفر بهم، وأحرق القرية فسُميت المحترقة». وأما طرخون صاحب سمرقند فأذعن للطاعة وأداء الجزية مع سائر بلاد الصُغد بحيث كما ذكر البلاذري: «أدت السُغدُ الأتاوة إلى المهلَّب».

وفي سنة٨١هـ وجّه المهلَّب جيشاً بقيادة يزيد بن المهلَّب لفتح إقليم الخُتَّل وإقليم خُجَنْدة. وفي ذلك قال الطبري: «أتى المهلَّبَ وهو نازل على كشّ ابن عم ملك الخُتَّل، فدعاه إلى غزو الخُتَّل. فوجّه المهلَّب معه ابنه يزيد. فنزل يزيد في عسكره ناحية ونزل ابن عم الملك ناحية، وكان ملك الخُتَّل يومئذ اسمه السَبَلُ، فبيّت السَبَلُ ابن عمه فكبّر في عسكره، فظن أن العرب غدروا به وأنهم خافوه على الغدر حين اعتزل عسكرهم، فأسره السَبَلُ فأتى به قلعته فقتله. فحاصر يزيد قلعة السبل حتى صالحوه..»[٢] واستكمل يزيد فتح بلاد الخُتّل صلحاً على أداء الجزية وما صولحوا عليه من مال سنوياً، ثم غزا وفتح خجندة بإقليم فرغانة ولم يسبق فتحها، بحيث كما ذكر البلاذري: «فَتَحَ المهلَّب الخُتَّل وكانت قد انتقضت، وفتح خُجَندة، وغزا نَسَف». وكان ذلك على يد يزيد بن المهلَّب، وفي غزوة نَسَفَ سنة٨٢هـ قال الراجز:

يزيدُ يا سيف أبا سعيدْ قد علم الأقوام والجنودْ
والجمع يوم المجمع المشهودْ إنَّك يوم الترك صلب العودْ

وفي رجب سنة٨٢هـ مات الأمير المغيرة بن المهلَّب بمدينة مرو الشاهجان عاصمة ولاية خراسان. قال الحافظ ابن كثير: «كان المغيرة بن المهلَّب جواداً مُمدحاً شجاعاً. له مواقف مشهورة»[٣]. قال الطبري: «.. فجزع المهلَّب على المغيرة حتى

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٤٣ جـ ٩.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٣ جـ ٨.
(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٤٣ جـ ٩.

ظهر جزعه عليه، فدعا يزيدَ فوجَّهه إلى مرو ـ الشاهجان ـ فجعل يوصيه بما يفعل ودموعه تنحدر على لحيته، وكتب الحجاج إلى المهلَّب يعزيه في المغيرة، وكان سيداً». ـ وقد عاد المهلَّب من بلاد ما وراء النهر إلى إقليم بَلْخ، فمكث فترة، ثم سار قاصداً مرو ـ الشاهجان ـ فَلَمَّا وصل مرو الرُّوذ مرض ومات بها. فقال الشاعر نهار بن توسعة:

ألا ذهب الغزو المُقرِّبُ للغنى ... وماتَ النَّدَى والحَزْمُ بعد المهلَّب
أقاما بمَرْو الرُّوذ رَهْن ضَريحه ... وقد غُيِّبا عن كل شرق ومغرب
إذا قيل أيّ الناس أولى بنعمة ... على الناس قلناهُ ولم نتهيب
تُطيفُ به قحطان قد عصبتْ به ... وأحلافها من حيّ بكرٍ وتغلبِ
وحيّا مَعَدٌّ عُوَّذٌ بلوائه ... يُفَدّوُنَه بالنفس والأم والأب

وكانت وفاة المهلَّب في ذي الحجة سنة٨٢ هجرية.

* * *

٤ ـ يزيد بن المهلَّب.. والي خُراسان (٨٢ ـ ٨٥هـ):

هو الأمير الفاتح يزيد بن المهلَّب بن أبي صُفرة الأزدي، كان قائداً للجيش في عهد ولاية أبيه لخراسان، فَلَمَّا توفي أبوه استخلفه على الولاية ـ في ذي الحجة ٨٢هـ ـ فأقرّه الخليفة عبد الملك بن مروان والحجاج أمير العراق، وكان يزيد بن المهلَّب أميراً قائداً شجاعاً جواداً كريماً. قال فيه الشاعر كعب بن معدان الأشقري:

فهل كسيب يزيدٍ أو كنائله ... إلّا الفراتُ وإلّا النيلُ حين طمّا
ليسا بأجود منه حين مَدّهُما ... إذْ يعلوان جِدابَ الأرض والأكَمَا

ووفد إليه الشاعر حاجب الفيل، واسمه حاجب بن ذبيان المازني فقال:

إليك امتطيت العيس تسعين ليلةً ... أرجى نَدى كفيك يا ابن المهلَّب
وأنت امرؤٌ جادتْ سماء يمينه ... على كلّ حيّ بين شرق ومغربِ

فأمر له يزيد بحصان وسلاح وبألفيْ درهم، فاستقر حاجب بخراسان.

وكان من أعلام الشعراء العرب بخراسان ثابت قُطنة الأزدي. قال عنه أبو الفرج الأصفهاني: «ثابت قُطنة: شاعر، فارس، شجاع. كان في صحابة يزيد بن المهلَّب، وكان يوليه أعمالاً من أعمال خُراسان فيُحمد فيها لكفاءته وشجاعته. وصعد المنبر ذات يوم جمعة، فتعذر عليه الكلام وحُصِر فقال: سيجعل اللَّهُ بعد عُسر يُسراً وبعد عيٍّ بياناً، وأنتم إلى أمير فعال أحوجُ منكم إلى أمير قوال. ثم قال:

وإلّا أكُنْ فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جدَّ الوغى لخطيبُ

فبلغت كلماته خالد بن صفوان فقال: واللّه ما علا ذلك المنبر أخطب منه في كلماته هذه ولو أن كلاماً استخفني فأخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له لأخرجتني هذه الكلمات».

وكانت ليزيد بن المهلّب غزوات وفتوحات كثيرة. قال البلاذري: «مات المهلّب بن أبي صُفرة الأزدي واستخلف ابنه يزيد بن المهلّب فغزا مغازي كثيرة، وفتح البتم على يد مَخْلد بن يزيد بن المهلّب». [ص٤١٤].

وفي سنة٨٣ ـ ٨٤هـ غزا وافتتح الأمير يزيد بن المهلّب بلاد باذغيس ـ في شرق شمال أفغانستان وتاجيكستان ـ حتى بلغ قلعة نيزك وكانت مقر الملك نيزك ملك باذغيس. قال ابن الأثير: «كانت قلعة نيزك بباذغيس من أحصن القلاع وأمنعها، وكان نيزك إذا رآها سجد لها تعظيماً لها» ـ وقد فتح يزيد بن المهلّب مناطق باذغيس ـ سنة٨٣هـ ـ ومضى إلى قلعة نيزك المنيعة فحاصرها حتى فتحها سنة٨٤هـ ونفى الملك نيزك وأسرته منها. فقال الشاعر كعب بن معدان الأشقري في قصيدة مدح فيها يزيد بن المهلّب بمناسبة ذلك الفتح:

نَفَى نيزكاً عن باذغيس ونيزكٌ بمنزلة أعيا الملوك اغتِصَابُها
مُحلّقة دون السماءِ كأنّها غمامة صيفٍ زلّ عنها سحابُها
ولا يبلغ الأروى شماريخُها العُلَى ولا الطيرُ إلا نسرُها وعُقابُها
وما خُوِفت بالذئب ولدان أهلها ولا نبحتْ إلا النجومَ كلابها

ويبدو من ذلك الوصف أن قلعة نيزك ربما كانت في أعالي جبال بادكشان التاجيكستانية حيث توجد (هضبة بامير) ويبلغ ارتفاعها (٦٩٧٥م) فوق سطح البحر، وفيها (قلعة بنجه) وتطل على الصين.

وعن كيفية فتحها قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «في سنة٨٤هـ فتح يزيد بن المهلّب قلعة نيزك بباذغيس، وكان الملك نيزك ينزل بالقلعة، فتحيَّن يزيدُ غزوة بالقلعة، ووضع عليه العيون، فبلغه خروجه، فخالفه يزيد إليها، وبلغ نيزك فرجع، فصالحه على أن يدفع إلى يزيد ما في القلعة من الخزائن ويرتحل عنها بعياله. فقال كعب بن معدان في فتح يزيد بن المهلّب باذغيس وقلعة نيزك ـ قصيدة منها:

وباذغيس التي مَنْ حَلَّ ذُرْوَتَها عَزَّ الملوكَ فإنْ شا جار أو ظَلَما
مَنيعة لَمْ يَكِدْها قبله مَلِكٌ إلا إذا واجَهَتْ جيشاً له وجَمَا

تـخـالُ نـيـرانـهـا مـن بُـعـدِ مـنـظـرهـا بعض النجوم إذا ما ليلُها عَتَما
لَـمَّـا أطـاف بـهـا ضـاقـت صُـدورُهـم حتى أقرّوا له بالحكم فاحتَكَما
فـذلّ سـاكـنُـهـا مـن بـعـد عـزّتـه يُعطى الجِزَى عارفاً بالذلّ مُهتَضَما»

[ص٣٩/٨].

وتتبع يزيد العدو حتى هربت فلولهم إلى أودية كاشغر وغيرها بالصين، وعاد بالنصر والغنائم من تخوم الصين إلى مرو عاصمة خراسان ـ في رمضان سنة٨٤هـ ـ قال الطبري: «وكتب يزيد بن المهلَّب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي بالفتح ـ: إنّا لقينا العدوّ فمنحنا اللَّهُ أكتافهم، فقتلنا طائفةً، وأسرنا طائفة، ولحقت طائفةٌ برؤوس الجبال وعراعر الأودية وأهضام الغيطان وأثناء الأنهار».

وفي أوائل سنة٨٥هـ غزا يزيد بن المهلَّب خوارزم وكان يزيد قد وصفها في رسالة إلى الحجاج بأنها: «شديدة الكلَب قليلة السلب» فكتب إليه الحجاج «لا تغز خوارزم فإنها كما وصفت». ولكن يزيد بن المهلَّب غزاها حتى لا يُقال أنه عجز عن فتحها (وكان أُمية بن عبد اللَّه بن خالد بن أسيد غزا مدينة فيل وهي حصن خوارزم فعجز عن فتحها، ثم غزاها يزيد بن المهلَّب فحاصرها ففتحها سنة٨٥هـ). وقد زعمت رواية ذكرها الأصفهاني في كتاب الأغاني ما يلي: «غزا يزيد بن المهلَّب خوارزم في أيام ولايته فلم يقدر على فتحها ثم ولّي قتيبة بن مسلم فحاصرها ففتحها، فقال كعب بن معدان يمدحه ويهجو يزيداً:

رَمَتْكَ فيلُ بما فيها وما ظلمت من بعد ما رامها الفجفاجةُ الصَّلِفُ»

والصحيح أن الذي رام فتحها وعجز عن ذلك هو أُمية بن عبد اللَّه بن خالد بن أسيد القيسي، ثم غزاها يزيد بن المهلَّب فحاصرها وفتحها صلحاً. حيث ذكر الطبري وكذلك ذكر ابن الأثير ما يلي:

«في سنة٨٥هـ غزا يزيد بن المهلَّب خوارزم فصالحه أهلها». [ص٩٧/ ٤ ـ الكامل].

وكان كعب بن معدان وحاجب الفيل وثابت قطنة مع يزيد بن المهلَّب لَمَّا فتح فيل وهي مدينة خوارزم. فقال كعب بن معدان يذم أمية بن عبد اللَّه القيسي ويمدح يزيداً:

أعطتك فيلُ بأيديها وما ظُلمت من بعد ما رامها الفجفاجة الصَّلِف

ووقع للشاعر حاجب بن ذبيان المازني شيءٌ بمدينة فيل فسماها ثابت قطنة (حاجب الفيل) حيث قال حاجب شعراً فقال له ثابت قطنة:

هيهات ذلك بيتٌ قد سَبَقْتُ له   فاطلُب له ثانياً يا حاجب الفيل

وعاد يزيد بن المهلّب من مدينة فيل وإقليم خوارزم إلى مدينة مرو عاصمة خراسان واستقر في دار الإمارة، وقد ذكر الأصفهاني عن ابن الصباح قال: «دخل حاجب الفيل إلى يزيد بن المهلّب وعنده ثابت قُطنة وكعب بن معدان وكانا لا يفارقان مجلسه، فوقف بين يديه، فقال له: تكلم يا حاجب، قال: يأذن لي الأمير أن أنشده أبياتاً، فقال: هات فما زلتُ مُجيداً محسناً، فقال (قصيدة منها):

كَمْ من كميّ في الهَيَاج تركْتَهُ   يَهوي لِفيهِ مُجَدّلاً مَقْتُولا
جَلّلْتَ مفرق رأسه ذا رَوْنَقٍ   عضْب المهزة صارماً مَصْقُولا
قُدْتَ الجيادَ وأنت غَرّ يافعٌ   حتى اكتهلت ولم تزل مأمولا
كم قد جَرّبْتَ وقد جبرت معاشراً   وكم امْتَنَنْتَ وكم شفيتَ غليلا

فأمر له يزيد بخمسة تخوت ثياباً وخمسة آلاف درهم وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبرذون، فقال:

شِم الغيثَ وانظُر ويك أين تبعجت   كَلَاهُ تجدها في يد ابن المهلّب
يداهُ: يدٌ يخزي بها اللّه من عَصَى   وفي يده الأخرى حياة المعصب»

وفي ربيع الثاني سنة٨٥هـ انتهت ولاية يزيد بن المهلّب لخُراسان وتولّاها أخوه المفضل، فغادر يزيد بن المهلّب خُراسان متوجهاً إلى البصرة وسط مشهد لم يعرف التاريخ له مثيل لحاكم معزول، فقد ذكر ابن الأثير أنه:

«خرج يزيد بن المهلّب من خراسان في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين فكان لا يمرُّ ببلدٍ إلا فرش أهلُها له الرياحين، وتولّى خُراسان المفضّل»[1]. وقد تولّى يزيد بن المهلّب خُراسان مرة ثانية سنة٩٧هـ. كما سيأتي.

* * *

٥ ـ المُفَضّل بن المهلّب. أمير خُراسان (٨٥ ـ ٨٦هـ):

هو أبو غسان المفضل بن المهلّب. ولِّي خراسان بعد أخيه يزيد في ربيع الثاني سنة٨٥هـ. وفيه قال ثابت قُطنة:

كان المفَضّل عزاً في ذوي يَمَنٍ   وعصمةً وثمالاً للمساكينِ

وكان المفضل أميراً قائداً شجاعاً فاتحاً. وكانت ببلاد باذغيس منطقة لم يسبق فتحها. فغزاها وفتحها المفضل في ولايته لخراسان سنة٨٥هـ. ثم غزا وفتح بلاد

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٩٧ جـ ٤.

أخرون وشومان فيما وراء النهر. قال الطبري: «وُلِّي المفضل خراسان سنة٨٥ فغزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنماً فقسمه بين الناس فأصاب كل رجل منهم ثمانمائة درهم - [وهو سهمهم من الغنائم] - ثم غزا آخرون وشومان فظفر وغنم وقسم ما أصاب بين الناس. فقال كعب بن معدان الأشقري يمدح المفضل:

ترى ذا الغنى والفقرِ من كلّ معشَرٍ ... عصَائِبَ شتّى ينتوون المفضّلَا

فمن زائر يرجو فواضلَ سَيْبهِ ... وآخَرَ يقضي حاجةً قد ترجَّلَا

إذا ما انتوينا غيرَ أرضِك لم نَجِد ... بها منتوَى خيراً ولا مُتَعَلَّلَا

إذا ما عَدَدنا الأكرمين ذوي النُّهى ... وقد قدّموا من صالح كنتَ أولا

لعَمْري لقد صال المفضَّلُ صَوْلة ... أباحت بشُومان المناهل والكلا

ويوم ابن عباس تناولت مثلما ... فكانت لنا بين الفريقين فَيْصَلا

صَفَتْ لك أخلاقُ المهلَّبِ كُلُّها ... وسُرْبِلْتَ من مَسْعاتِه ما تَسَرْبلا

أبوك الذي لم يَسعْ ساعٍ كسعيِه ... فأوْرَثَ مَجْداً لم يكن مُتَنَحَّلا»[١]

وقال البلاذري: «فتح المفضل بن المهلَّب آخرون وشُومان، وأصاب غنائم قسمها بين الناس»[٢].

وفي آخر سنة٨٥هـ وجّه المفضل أخاه مَدْرك بن المهلَّب عامل هراة وبلخ إلى مدينة الترمذ بإقليم الصُغد وكانت بيد بعض المتغلبين، فأعادها إلى سلطة ولاية خراسان ودولة الخلافة.

وفي صفر سنة٨٦هـ انتهت ولاية المفضَّل وعاد هو وآل المهلَّب الذين بخراسان إلى البصرة، وولَّى الحجاج بن يوسف الثقفي على خراسان قتيبة بن مسلم الباهلي، فذرفت خراسان الدموع. قال د. ناجي حسن:

«كان يزيد بن المهلَّب قد استمال قلوب الناس بكرمه وإحسانه وعطاياه، وإلى هذا يشير الفرزدق موضحاً الفرق بين يزيد وقتيبة، فيقول:

بَكَتْ جَزَعاً مَرْوَ خُراسان إذْ رأتْ ... بها باهلياً بعد آل المُهَلَّبِ

تَبَدّلَتَ الظُّربي القصير أنوفهِ ... بكل فَنِيق يرتدي السيفَ مُصْعَبِ»[٣]

قال الفيروزآبادي: «الظُّرُبّي: القصير الغليظ. . وكالهِرَّة - الظِرِّبي - مُنْتِنَةٌ. . وفسا بينهما الظَّرِبانُ أي تقاطعوا لأنها إذا فَسَتْ في ثوبٍ لا تَذْهَبُ رائحته حتى

(١) تاريخ الأمم والملوك - الطبري ص ٤٤ جـ ٨.
(٢) فتوح البلدان - البلاذري - ص ٤٠٧.
(٣) القبائل العربية في المشرق - د. ناجي حسن - ص ١٩٢.

يَبْلَى»(١) وقد وصف الفرزدق آل المهلَّب بأنهم (كل فنيق يرتدي السيف مُصعب) قال الفيروزآبادي: «أَفْنَقَ: تَنَعَّمَ. والتَّنْفنيقُ: التَّنْعِيمُ. وتَفَنَّقَ: تَنَعَّمَ. . والـمُصْعَب الفَحْلُ. . والصَّعْبُ: العَسِرُ والأبيّ والأسد»(١).

وقال البلاذري في فتوح البلدان: «قال نهار بن توسعة التميمي:

كانت خُراسان أرضاً إذْ يزيدُ بها ... فكل باب من الخيرات مفتوحُ

فاستبدلت قتباً جعداً أنامله ... كأنّما وجهه بالخلّ منضوحُ»

وكانت عشيرة بني الأهتم العراقية هربت من الحجاج إلى خراسان في عهد يزيد بن المهلَّب فأمَّنهم. قال النضر بن الحديد: «كتب الحجاج إلى يزيد بن المهلَّب يأمره بقتل بني الأهتم، فكتب إليه يزيد: إن بني الأهتم أصحاب مقال وليسوا بأصحاب فعال فلا نقدر أن تُحدث فيهم ضرراً وفي قتلهم عار وسبّة. ثم تولّى المفضل بن المهلَّب فكتب إليه الحجاج يأمره بقتلهم، فكتب إليه المفضل بمثل ما كتب أخوه» ـ فعاش بنو الأهتم في أمن بخراسان وأحسن إليهم يزيد ثم المفضل، فَلَمَّا تولّى خراسان قتيبة بن مسلم جحدوا بني المهلَّب وباتوا من أصحاب قتيبة، ثم «كتب الحجاج إلى قتيبة يأمره بقتل بني الأهتم، فقتلهم جميعاً، فقال كعب بن معدان الأشقري في ذلك:

قُلْ للأهاتم من يعودُ بفضله ... بعد المفضّل والأغرّ يزيد

ردّا على الحجاج فيكم أمره ... فَجَزيْتُمُ إحسانهم بجحود

فاليوم فاعتبروا فراق أخيكم ... إن القياس بجاهل ورشيد»

وفي جمادى الثانية سنة٩٦هـ تولّى الخلافة سليمان بن عبد الملك فولّى يزيد بن المهلَّب على العراقين وخراسان وعادت عهود آل المهلَّب إلى الشروق في ربوع خراسان.

* * *

٦ ـ يزيد بن المهلَّب . . أمير العراقين وخُراسان (٩٦ ـ ٩٩هـ):

في رجب سنة٩٦هـ أصبح يزيد بن المهلَّب والياً للعراقين ومشارقها إلى سجستان وخراسان، فنشر في ربوع العراقين الأمن والاستقرار بعد طغيان الحجاج وعهده المرير، فقال كعب بن معدان يثني على يزيد بن المهلَّب:

شَفَيْتَ صدوراً بالعراقين بعدما ... تَجَاوبَ فيها النائحاتُ الصوادحُ

---

(١) القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي ـ مادة ظربي (ص ١٠٣/ ١) ومادة فنيق (ص ٢٨٧/ ٣) ومادة صعب (ص ٩٥/ ١).

مددت الندى والجود للناس كلهم فهُم شُرعٌ فيها صديقٌ وكاشحُ

وقد ولّى سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلّب العراق والبحرين وعمان وبلاد فارس وسجستان إلى منتهى بلدان المشرق، فولّى يزيد أخاه زياد بن المهلّب على عُمان، وولّى سفيان بن عبد الله الكندي على البصرة والأهواز وفارس، قال البلاذري: «وولّى يزيد أخاه مَدْرك بن المهلّب سجستان».

وكان قتيبة بن مسلم الباهلي والياً لخراسان فتمرد وخلع طاعة الخليفة سليمان بن عبد الملك، فعارضه القادة العرب بخراسان وتولّى قيادتهم وكيع بن أبي سود التميمي فحاربوا قتيبة وقتلوه بفرغانة في ذي الحجة ٩٦هـ وتولّى الأمر والقيادة وكيع بن أبي سود حتى قدوم مخلد بن يزيد بن المهلّب نائباً لأبيه على خراسان في أوائل سنة٩٧هـ، وكان أول من دخل إلى مخلد بن يزيد بن المهلّب عند قدومه إلى مرو عاصمة خراسان واستقراره بدار الإمارة الشاعر نهار بن توسعة وكان قد اعتزل الحياة العامة ولزم منزله في ولاية قتيبة، حيث ذكر أبو علي القالي في كتاب الأمالي: (إنّ نهار بن توسعة كان دخل على قتيبة بن مسلم في ولايته لخراسان وهو يعطي الناس العطاء فقال له: من أنت؟ قال: نهار بن توسعة، قال: أنت القائل:

ألا ذهبَ الغزو المقرّبُ للغِنَى ومات الندى والحزم بعد المهلّب

قال: نعم وأنا القائل:

وما كان مُذْ كُنّا ولا كان قبلنا ولا كائنٌ من بعد مثل ابن مُسلم

فقال له قتيبة: إن شئتَ فاقْلِلْ وإن شئت فاكثِرْ وإن شئتَ فذُمّ وإن شئت فامدح، لا تُصيب مني خيراً أبداً، يا غلام اقْرِضْ اسمه من الدفتر. فلزم نهار منزله حتى قُتِل قتيبة ووُلّي يزيد بن المهلّب، فدخل عليه نهار بن توسعة وهو يقول:

إن كان ذَنْبي يا قتيبة أنني مدحتُ امرءاً قد كان في المجد أوْحَدا
أبا كل مَظْلوم ومَنْ لا أبا لَهُ وغيثُ مُغِيثات أطَلْن التّلددا
فشأنك إنّ اللّه إنّ سُؤتَ مُحْسنٌ إليّ إذا أبقى يَزيدَ ومَخلَدا

قال: احتكم، قال: مائة ألف درهم، فأعطاه أياها. وقال أبو عبيدة: بل كان الممدوح مخلد بن يزيد وكان خليفة أبيه على خراسان. فكان نهار يقول بعد موته: رحم اللّه مخلداً فما ترك لي بعده من قول»[1].

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٩٨ جـ ٢.

وكان مَخْلَد من قادة الفتوح في عهد الولاية الأولى ليزيد بن المهلّب حيث افتتح إقليم البتم سنة٨٤هـ ثم أعاد فتح البتم سنة٩٧هـ. قال البلاذري: «فتح يزيد البتم على يد مخلد بن يزيد بن المهلّب ثم نقضوا بعده، فتركهم ومال عنهم فطمعوا في انصرافه، ثم كرّ عليهم حتى دخلها، ودخلها (معه) جهم بن زَحر الجعفيّ (المذحجيّ) وأصاب بها مالاً وأصناماً من ذهب، فأهل البتم ينسبون إلى ولائه»[١].

ووفد إلى مخلد بن يزيد بن المهلّب بخراسان الشاعر حمزة بن بيض الحنفي والشاعر الكميت بن زيد الأسدي وكان ذلك فيما ذكر الأصفهاني: ومخلد بن يزيد نائب لأبيه على خراسان. يعني سنة٩٧ هجرية.

ومدح الشاعر حمزة بن بيض الحنفيّ مخلد بن يزيد في وفادته الأولى بقصيدة منها قوله:

فإنك في الفرع من أُسرة ... لها خَضَعَ الشرقُ والمغربُ
وفي أدب منهم ما نَشَأت ... ونِعم لعَمْرك ما أدبوا
بَلَغْت لَعَشْرٍ مَضَتْ مِن سنيك ... ما يبلغُ السيدُ الأشيب
فَهَمُّكَ فيها جسام الأمور ... وهَمُّ لِداتِكَ أن يلعبوا[٢]

بينما مدح الكميت بن زيد الأسدي مخلداً بقصيدة مطلعها:

هَلَا سَألتَ مَعالم الأطلال ... والرَسمَ بعد تَقَادُمِ الأحْوَالِ

وقال فيها يمدح مَخلداً:

قادَ الجيوش لخمس عشرة حجة ... ولِداتُه عن ذاك في أشْغَالِ
قَعَدَتْ بهم هماتهم، وسَمَت به ... هِمَمُ الملوكِ وسورةُ الأبطالِ
فكأنّما عاش المهلَّبُ بينهم ... بأغرّ قاس مثاله بمثال
في كفّه قصبات كل مقلّد ... يوم الرهان وقوت كل نصال
ومتى أزِنْكَ بمعشرٍ وأزِنْهُمُو ... بك ألفَ، وزنك أرجح الأثقال

قال الأصفهاني: «وكان قُدام مخلد دراهم يقال لها الرويجة فقال للكميت: خُذْ وقْرَكَ منها، فقال: البغلة بالباب وهي أجلدُ مني، فقال: خُذ وقرها. فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم. فقيل لأبيه في ذلك، فقال: لا أردُّ مكرمة فعلها ابني»[٢].

---

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٤١٤.
(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٥ وص ١٢٢ جـ ١٥.

ووفد الشاعر حمزة بن بيض مرة ثانية إلى مخلد بن يزيد فوعده مخلد أن يصنع به خيراً، ثم شُغل عنه، فبعث إليه حمزة بأبيات أولها:

أمَخْلَدُ إنّ اللّه ما شاء يَصْنعُ ... يجودُ فيعطي ما يشاء ويَمنعُ
وإنّي قد أمّلتُ منك سحابة ... فجادت سراباً فوق بيداء تلمعُ

وبعث حمزة الأبيات مع رجل فَلَمَّا قرأها مخلد بن يزيد بن المهلّب استدعاه إلى دار الإمارة، فَلَمَّا دخل إليه قال له: لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب أخوانك. فقال حمزة: أجل واللّه ولكن مَنْ لي بمثلك يعتبني إذا استعتبته، ثم أنشده قصيدة منها قوله:

وأبيضُ بهلولٌ إذا جئتُ دارهُ ... كفاني وأعطاني الذي جئتُ أسألُ
.. فللّه أبناء المهلّب فتية ... إذا لقحت حربٌ عوانٌ تأكلُوا
همو يصطلون العرب والموتُ كانعٌ ... بسُمر القنا والمشرفية عسلُ
ترى الموت تحت الخافقات أمامهم ... إذا وردوا عَلّوا الرماح وأنهلوا
يجودون حتى يحسب الناس أنّهم ... لجودهمُ نذرٌ عليهم يحللُ
فذلك ميراث المهلّب إنّه ... كريمٌ نماهُ للمكارم أولُ
جرى وجرت آباؤه فتمجدوا ... من أقدم في عيطاء لا يتوقلُ

فأمر له مخلد بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب..

* * *

وفي أواسط سنة٩٧هـ توجّه يزيد بن المهلّب أمير العراق ومشارقها إلى خراسان في جيش من فرسان العرب بالشام والعراق غالبيتهم من اليمانية. قال ابن خلدون: «كان يزيد بن المهلّب يريد فتح جُرجان وطبرستات لأنهما كانتا للكفار وتوسطتا بين العراق وفارس وخراسان ولم يصبهما الفتح». وقال الطبري: «لَمَّا وُلّي يزيد بن المهلّب لم يكن له همّة غير فتح جُرجان.. وكان أهل جُرجان قد حالوا بين الناس والطريق الأعظم إلى خراسان فلم يكن أحد من المسلمين يسلك طريق خراسان إلا على خوف ووجل، ولذلك كان طريق المسلمين من فارس إلى كرمان ثم إلى مرو خراسان». ولَمَّا سار يزيد بن المهلّب إلى خراسان «استخلف يزيد بن المهلّب على واسط الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي، وعلى الكوفة بشير بن حسان النهدي، وعلى البصرة سفيان بن عبد اللّه الكندي»[1].

قال الطبري: «وأقام يزيد بن المهلّب بخراسان ثلاثة أشهر أو أربعة،

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٤٠٨.

واستخلف على خُراسان مَخْلَد بن يزيد، واستعمل على سمرقند وكشّ ونَسَفْ وبُخارى معاوية بن يزيد بن المهلَّب، وعلى طخارستان حاتم بن قَبِيصة بن المهلَّب.. وسار يزيد إلى دِهستان وجرجان في عشرين ومائة ألف، منهم من أهل الشام ستون ألفاً.. قال هشام بن الكلبي: سار مع يزيد بن المهلَّب من أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل خراسان والريّ مائة ألف سوى الموالي والمماليك والمتطوعة». وقال ابن خلدون: «سار يزيد بن المهلَّب إلى جرجان في مائة ألف من أهل العراق والشام وخراسان سوى الموالي والمتطوعة»[١] ـ ومضى يزيد بن المهلَّب إلى أقاليم دهستان ثم البحيرة ثم جرجان، وكان فتحها من أهم الفتوحات العربية الإسلامية بآسيا الوسطى.

فتح دِهِستَان: قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «نزل يزيد بن المهلَّب بدِهستان وكان أهلها من الترك ـ أي التركمنستان ـ فأقام عليها وحاصرها، فكان الترك يخرجون فيُقاتلون المسلمين فلا يلبثهم المسلمون أن يهزموهم فيدخلون حصنهم ـ أي مدينة دِهستان ـ ثم يخرجون أحياناً فيُقاتلون فيشتدّ قتالهم. وكان جَهْم بن زَحر الجعفيّ المذحجيّ وحَمَّال بن زَحر الجعفيّ من يزيد بن المهلَّب بمكان وكان يكرمهما. وكان محمد بن أبي سبرة الجعفيّ المذحجيّ ذا لسان وبأس، وكان إذا نادى المنادي: يا خيل اللّه اركبي وأبشري كان هو أول فارس من العسكر يبدر إلى موقف البأس عند الروع، فنُودي ذات يوم في الناس، فبدروا، وخرج الترك، فاقتتلوا أشد قتال، فحمل ابن أبي سبرة على قائد تركي قد صدّ الناس عنه، فاختلفا ضربتين، فثبت سيف التركي في بيضة ابن أبي سبرة ـ أي في خوذته ـ وضربه ابن أبي سبرة فقتله، ثم أقْبَل وسيفه في يده يقطر دماً وسيف التركي في بيضته، فنظر الناسُ إلى أحسن منظر رأوه من فارس، ونظر يزيد بن المهلَّب إلى ائتلاق السيفين والبيضة والسلاح، فقال: للّه ابن أبي سبرة أيُّ رجل هو.. ثم ألح يزيد على دِهستان، وأنزل الجنود من كل جانب حولها، وقطع عنها المواد، فَلَمَّا جهدوا وعجزوا عن قتال المسلمين واشتد عليهم الحصار والبلاء، بعث دهقان دِهستان إلى يزيد: إنّي أصالحك على أن تؤمنني على نفسي وأهل بيتي ومالي وأدفعُ إليك المدينة وما فيها وأهلها، فصالحه يزيد وقَبِل منه ووفّى له، ودخل المدينة». ـ وبذلك تم فتح دِهستان وذلك في شهر محرم ٩٨هـ، وكان يزيد قد بثّ السرايا إلى المناطق التابعة لدهستان ومنها البياسان، وكذلك أندرستان ـ فتم فتحها. قال الطبري: «واستعمل يزيد بن المهلَّب على دِهستان والبياسان

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٤٠٨.

عبد اللَّه بن معمر اليشكري وخَلَّف معه أربعة آلاف من المسلمين. . واستعمل على أندرستان أسد بن عبد اللَّه بن ربعة وخَلَّف معه أربعة آلاف. وسار إلى أدنى جرجان من جهة طبرستان ونزل آمد، واستعمل راشد بن عمرو في أربعة آلاف». وقال ابن الأثير: «استعمل يزيد على أيزوسا راشد بن عمرو وجعله في أربعة آلاف» وكذلك قام يزيد بتوجيه فرقة عسكرية إلى إقليم جُرجان، وثلاث فرق عسكرية إلى طبرستان. وسار هو إلى البحيرة.

فتح البحيرة: قال ابن خلدون: «وسار يزيد بن المهلَّب إلى البحيرة، جزيرة في البحر على خمسة فراسخ من دهستان فحاصر الملك صول» وقال الطبري: «سار يزيد بن المهلَّب في ثلاثين ألفاً إلى البحيرة، فأناخ على صول، وتَمَثَّلَ حين نزل بهم:

فخرَّ السيفُ وارْتَعَشَتْ يداهُ ... وكان بنفسِهِ وقِيَتْ نُفُوسُ

فحاصرهم يزيد، فكان يخرج إليه صول في الأيام فيقاتله ثم يرجع إلى حصنه بالبحيرة، فمكث صول والترك محصورين يخرجون فيقاتلون ثم يرجعون إلى حصنهم بالبحيرة ستة أشهر. . ثم أرسل صول يطلب الصلح، فقال يزيد: لا إلّا أن ينزل على حُكْمي. فأرسل إليه صول: إني أصالحك على نفسي ومالي وثلاثمائة من أهل بيتي وخاصتي على أن تؤمنني فتنزل البحيرة، فأجابه يزيد إلى ذلك فخرج صول بماله وثلاثمائة ممن أحبّ وصار مع يزيد، فدخل يزيد البحيرة». ـ ثم عاد يزيد إلى دهستان حيث «غنم يزيد بن المهلَّب ما كان في دهستان من الأموال والكنوز، وكتب بخبر فتح دهستان والبحيرة إلى سليمان بن عبد الملك» ـ وذلك في حوالي جمادى الثانية سنة٩٨هـ.

فتح طبرستان: قال الطبري: «وجّه يزيد بن المهلَّب إلى طبرستان أخاه أبا عُيينة من وجه، وخالد بن يزيد بن المهلَّب من وجه، وأبا الجهم الكلبيّ من وجه، وقال: إذا اجتمعتم فأبو عيينة على الناس» ـ وكان ذلك في محرم سنة٩٨هـ فدخلوا إقليم طبرستان من ثلاث جهات، واستنفر إصبهبذ طبرستان أهل بلاده والديلم فحارب المسلمين وحُوصر أبو عيينة وقواته في منطقة الجبل وانحازوا بمنطقة من طبرستان وكتبوا إلى يزيد وهو يحاصر البحيرة فبعث يزيدُ حيانَ النبطيّ إلى إصبهبذ طبرستان يدعوه إلى المصالحة ويحذره ممّا سيحلُّ به وبقومه عند قدومه، فمال الإصبهبذ إلى المصالحة، ثم أقبل يزيد من البحيرة ودِهستان إلى طبرستان ففتحها صلحاً ـ في رجب ٩٨هـ ـ قال الطبري: «أقام يزيد بن المهلَّب على الإصبهبذ في أرضه حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم، وأربعمائة ألف نقد، وأربعمائة حمار

موقرة زعفران، وأربعمائة رجل على رأس كل رجل برنس، على البرنس طيلسان وجام من الفضة وقطعة حرير وكسوة». قال ابن خلدون: «فأرسل يزيد من قبض صلحهم المذكور». وكذلك ترك يزيد حامية عسكرية بطبرستان إلى جانب راشد بن عمرو قائد حامية آمد، وتوجّه يزيد من طبرستان إلى جُرْجان.

فتح جُرجان: لَمَّا فتح يزيد بن المهلَّب طبرستان وصالح أصبهبذها سار منها إلى جُرجان.. قال الطبري وابن خلدون: «.. ولَمَّا بلغ المرزبان ـ مُرزبان جُرجان ـ أن يزيد بن المهلَّب قد صَالَح أصبهبذ طبرستان وتوجه إلى جُرجان، جَمَع أصحابه وأتى (وجاه) فتحصن فيها، وصاحبها لا يحتاج إلى عدّة من طعام ولا شراب، وأقْبَلَ يزيد حتى نزل عليهم وهم متحصنون فيها وحولها غياض، فليس يُعْرَفُ لها إلا طريق واحد، فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونه ويرجعون إلى حصنهم، فأقام يزيد لا يقدر منهم على شيء ولا يعرف لهم مأتَى إلا من وجه واحد».

ثم خرج رجل من عسكر يزيد بن طيىء يتصيَّد ـ ومعه الهياج بن عبد الرحمن الأزدي ورجل من العجم ـ فأبصر الطائيُّ وعلاً يرقى في الجبل، فاتّبعه، وقال لمن معه: قِفوا مكانكم. ووَقل الطائي في الجبل يقتص الأثر، فما شعر إلا وهو عند عسكرهم ـ بحصن وجاه ـ فرجع، فجعل يخرق قباءه ويعقد على الشجر علامات حتى وصل إلى أصحابه ثم رجع إلى عسكر يزيد فأتى إلى عامر بن أينم الواشجي صاحب شرطة يزيد فمنعه من الدخول إليه، فصاح: إن عندي نصيحة، فانطلق به ابنا زَحر بن قيس حتى أدخلاه على يزيد، فأعلمه الخبر، فأمر له يزيد بأربعة آلاف درهم، وسأله عن عدد الجند الذين تسعهم تلك الطريق، فقال: الطريق لا تحمل إلا ثلاثمائة لالتفاف الغياض. وسأله يزيد: متى تَصِلون إليهم إذا خرجتم وقت كذا؟ قال: غداً عند العصر بين الصلاتين. فاختار يزيد أربعمائة مقاتل واستعمل عليهم جهم بن زحر الجعفي وبعث معه ابنه خالد بن يزيد. وقال لهم يزيد: امضوا على بركة اللّه فإنّي سأجهد على مناهضتهم غداً عند صلاة الظهر، فإذا بلغتم المدينة فانتظروا حتى إذا كان في السَحَر فكبروا ثم انطلقوا نحو باب المدينة فإنكم تجدوني وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها. فَلَمَّا قارب انتصاف النهار من غَدٍ، أمر يزيد عسكره أن يشعلوا النار في حطبٍ كانوا جمعوه، فصيّره آكاماً، فأضرموه ناراً، حتى صار حول عسكره أمثال الجبال من النيران، ونظر العدو إلى النار فهالهم ما رأوا من كثرتها، فخرجوا إليهم، وأمر يزيدُ الناس فصلّوا فجمعوا بين الصلاتين ثم زحفوا إلى العدو فاقتتلوا. وكان جهم بن زحر والذين معه قد بلغوا

المدينة ـ حصن وجاه ـ حتى إذا كانت الساعة التي أمره يزيد أن ينهض فيها مَشَى جهم بأصحابه فهجموا على عسكر التُرك قبيل العصر وهُمْ آمنون من ذلك الوجه ويزيد يُقاتل من هذا الوجه، فما شعروا إلا بالتكبير من ورائهم فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم، وسمع يزيد التكبير فوثب بالعسكر إلى الباب، فوجدهم قد شغلهم جهم بن زَحر عن الباب، فاقتحم يزيد الباب ودخل الحصن، فانهزم العدو وركبهم المسلمون، فأعطوا بأيديهم، ونزلوا على حكم يزيد».

قال الطبري: «وكتب يزيد بن المهلَّب إلى سليمان بن عبد الملك: أما بعد، فإن اللَّه قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً وصنع للمسلمين أحسن صنع فلربنا الحمد على نعمه وإحسانه، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان وقد أعيًا ذلك سابور وكسرى بن قباذ وكسرى بن هرمز وأعيًا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومَنْ بعدهما مِنْ خلفاء اللَّه حتى فتح اللَّه ذلك لأمير المؤمنين كرامة من اللَّه له وزيادة في نعمه عليه»[١] .

وقام يزيد بن المهلَّب بتشييد مدينة جُرجان، وأنفق في تشييدها ما غنم من أموال في فتح دهستان والبحيرة وطبرستان وجُرجان وذلك زهاء أربعة آلآف ألف درهم. قال الطبري: «بنى يزيد بن المهلَّب مدينة جرجان ولم تكن بُنيت من قبل، واستعمل على جُرجان جهم بن زحر الجعفي»[١] .

وعاد يزيد من جرجان إلى مدينة مرو عاصمة خراسان وبينما هو هناك مات الخليفة سليمان وتولَّى الخلافة عمر بن عبد العزيز في صفر سنة٩٩هـ فأخذ يزيد بن المهلَّب البيعة لعمر بن عبد العزيز بخراسان[١] . ثم كتب عمر إلى يزيد بن المهلَّب أن يستخلف على أعماله ويقدم إليه فاستخلف مخلداً ابنه، وسار إلى دمشق، ثم عزل عمر يزيداً ومخلداً فانتهت بذلك عهود آل المهلَّب الذين عن عهودهم قال د. ناجي حسن: «.. إن آل المهلَّب بالغوا في إظهار الودّ نحو ربيعة حتى كانوا يقلدونها الأعمال السَنية وإن كانوا في الوقت نفسه قد اتّبعوا سياسة يمانية صرفة. غير أن مجيء عمر بن عبد العزيز وعزله لآل المهلَّب حال دون استمرار تمكن الأزد من خراسان، إلا أن الروح اليمانية استمرت تتحكم بخراسان بعد آل المهلَّب إذ تولاها الجرّاح بن عبد اللَّه الحكمي وهو من سعد العشيرة تلك القبيلة اليمانية المعروفة»[٢] .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٢٥ جـ ٩ وص ١٣٨ جـ ٨.

(٢) القبائل العربية في المشرق ـ د. ناجي حسن ـ ص ٢٠٠.

٧ ـ الجرّاح بن عبد اللّه الحكميّ أمير خُراسان (٩٩ ـ ١٠٠هـ):

هو سابع الولاة اليمنيين لخراسان في العصر الأموي، الأمير الجرّاح بن عبد اللّه بن جُعَادة بن أفلح بن الحارث الحكميّ المذحجيّ. جاء في ترجمته بكتاب الجامع: «الجَرّاحُ بن عبد اللّه الحَكَمِيُّ. نسبة إلى قبيلة حَكَم بن سعد العشيرة، من مَذْحج من القحطانية. أمير خُراسان، وأحد الأشراف الشجعان. وُلِّي خُراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز. .»[١] وقد كان الجراح نائباً ليزيد بن المهلَّب بمدينة واسط عاصمة ولاية العراق لما سار إلى خراسان سنة٩٧هـ حيث ذكر الطبري وابن خلدون أنه: «استخلف يزيد بن المهلَّب على واسط الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي» فمكث الجرّاح نائباً ليزيد بن المهلَّب على العراق حتى وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك في صفر سنة٩٩هـ واستخلاف عمر بن عبد العزيز، ثم انتهت ولاية يزيد بن المهلَّب لخراسان وولّى عمر بن عبد العزيز عليها الجرّاح بن عبد اللّه الحكمي في جمادى الثانية أو رجب سنة٩٩هـ.

قال الطبري: «كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبد اللّه الحكمي فسرّحه إلى خُراسان. . وكانت ولاية الجرّاح بخراسان سنة وخمسة أشهر، قَدِمها سنة٩٩هـ. .» قال الطبري: «وكان يزيد بن المهلَّب ولَّى جهم بن زَحر الجعفيّ جُرجان، فَلَمَّا كان من أمر يزيد ما كان [أي انتهاء ولايته] وجّه عامل العراق من العراق والياً على جُرجان، فقَدِم الوالي عليها من العراق فأخذه جهم بن زحر فقيّده وقيّد رهطاً قَدِموا معه، ثم خرج جهم في خمسين من اليمن يريد الجراح بن عبد اللّه بخراسان، فأطلق أهل جرجان عاملهم، فقال الجرّاح لجهم: لولا أنك ابن عمي لم أسوّغك هذا، فقال جهم: ولولا أنك ابن عمي لم آتِك. فقال له الجرّاح: خالفتَ إمامك وخرجت عاصياً فاغزُ لعلك أن تظفر فيصلح أمرك عند خليفتك. فوجّهه إلى الخُتَّل. . فأصاب مغنماً، وكتب الجرّاح بذلك إلى عمر»[٢].

وفي سنة١٠٠هـ «كتب عمر إلى الجرّاح: انظر من صلّى قِبَلك إلى القبلة فَضَعْ عنه الجزية ـ [يعني من أسلم] ـ فسارع الناس إلى الإسلام. فقيل للجرّاح: إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام نفوراً من الجزيّة فامْتَحِنْهُمْ بالختان، فكتب الجرّاح بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: إن اللّه بعث محمداً ﷺ داعياً ولم يبعثه خاتناً»[٢].

وقال البلاذري: «كان عامل عمر بن عبد العزيز على خراسان الجرّاح بن

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٣٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٣٣ جـ ٨.

عبد اللّه الحكمي.. ورفع عمر الخراج على من أسلم بخراسان، وفرض لمن أسلم، وابتنى الخانات»[1]. وكان ذلك على يد الجراح. ثم أعفاه عمر من الولاية وعاد إلى دمشق في رمضان سنة١٠٠هـ. وقد وُلّي الجرّاح بعد ذلك كرمان ثم أرمينية وأذربيجان.. ومات سنة١١٢هـ.

٨ ـ عبد الرحمن بن نعيم.. أمير خراسان (١٠٠ ـ ١٠٢هـ):

هو ثامن الولاة اليمانيين لخراسان في العصر الأموي، الأمير عبد الرحمن بن نعيم الأزدي الغامدي،. قال د. ناجي حسن في كتاب القبائل العربية في المشرق: «.. إن الروح اليمانية استمرت تتحكم بخراسان بعد آل المهلَّب إذْ تولّاها الجرّاح بن عبد اللّه الحكميّ وهو من سعد العشيرة تلك القبيلة اليمانية المعروفة، ولكنه لم يبق في منصبه هذا سوى سنة وخمسة أشهر حين عزله عمر ليتولاها يمانيّ آخر هو عبد الرحمن بن نعيم الغامدي الذي ينتمي في جده الأعلى إلى الأزد. وهكذا لم تخرج خراسان طيلة هذه الفترة عن سيطرة الأزد خاصة واليمانية بوجه عام حتى سنة١٠٢ هجرية». [ص٢٠٢].

وقد ولّى الخليفة عمر بن عبد العزيز الأمير عبد الرحمن بن نعيم على خراسان في رمضان سنة١٠٠هـ. وذكر الطبري: «أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم: أما بعد، فكن عبداً ناصحاً للّه في عباده ولا يأخذك في اللّه لومة لائم فإن اللّه أولى بك من الناس وحقُّه عليك أعظم فلا تولِينّ شيئاً من أمر المسلمين إلا بالمعروف والنصيحة لهم والتوفير عليهم وأداء الأمانة فيما استُرعيت، وإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحق فإن اللّه لا يخفى عليه خافية ولا تذهبنّ عن اللّه مذهباً فإنه لا ملجأ من اللّه إلّا إليه». [ص١٣٥/٨].

«وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال مَنْ وراء النهر من المسلمين بذراريهم. فأبوا، وقالوا: لا يَسعنا مرو، فكتب إلى عمر بذلك، فكتب إليه عمر: اللهم إنّي قد قضيتُ الذي عليّ فلا تغزُ بالمسلمين فحسبهم الذي قد فتح اللّه عليهم». [ص١٣٦/٨].

«ولم يزل عبد الرحمن بن نعيم ـ والياً ـ على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز ـ في رجب سنة١٠١هـ ـ وبعد ذلك، في خلافة يزيد بن عبد الملك حتى قُتِل يزيد بن المهلَّب (في صفر سنة١٠٢هـ) ووجّه مَسْلَمة بن عبد الملك سعيد (خذينة)، فكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم أكثر من سنة ونصف، وُلّيها في شهر

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٤١٥.

رمضان من سنة١٠٠هـ وعُزل سنة١٠٢هـ. قال عليّ بن محمد: كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهراً». [ص١٣٥/٨].

* * *

٩ ـ سعيد بن عمرو الحرشيّ.. أمير خُراسان (١٠٣ ـ ١٠٤هـ):

هو الأمير (سعيد بن عمرو بن الأسود بن مالك بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة). جاء في ترجمته بكتاب الجامع لبامطرف: «سعيد بن عمرو الحريشي. نسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة، من قيس مَذْحج. قائد من الولاة الشجعان. ولّاهُ ابن هبيرة خراسان سنة١٠٣ هجرية». [ص٢٣٧].

وكان مَسْلَمة بن عبد الملك قد ولّى سعيد خذينة القريشي خراسان بعد عبد الرحمن بن نعيم سنة١٠٢هـ. ثم عزل الخليفة يزيد بن عبد الملك مَسْلَمة عن ولاية العراق ومشارقها وولّى عمر ابن هبيرة. قال الطبري: «ثم دخلت سنة١٠٣هـ وفيها عزل عمر بن هبيرة سعيد خذينة عن خراسان.. فكتب يزيد بن عبد الملك إلى عمر بن هبيرة: ولِّ الحرشي خراسان، فولّاه. وكان سعيد خذينة غاز بباب سمرقند فبلغ الناس عزله، فقفل خذينة وخَلَف بسمرقند ألف فارس، فقال نهار بن توسعة:

فـمـن ذا مُـبْـلـغٌ فـتـيـانَ قـومـي ... بـأنَّ الـنَّـبـلَ ريـشَـتْ كُـلَّ رَيْـشِ
بـأنَّ الـلَّـه أبْـدلَ مـن سـعـيـدٍ ... سـعـيـداً، لا الـمُـخَـنَّـثَ مـن قـرَيـشِ

ثم قَدِم سعيد الحرشيّ خراسان سنة١٠٣هـ والناس بإزاء العدو وقد كانوا نكبوا، فخطبهم وحثهم على الجهاد وقال: إنكم لا تقاتلون عدو الإسلام بكثرة ولا بعدّة ولكن بنصر اللّه وعزّ الإسلام فقولوا لا حول ولا قوة إلا باللّه». [ص١٦٨/٨]. وسار الأمير سعيد الحرشي بجند الإسلام لقتال العدو بأرض السُغد فهزمهم وعاد بالنصر والظفر.

وفي سنة١٠٤هـ غزا الأمير سعيد الحرشيّ إلى خُجندة وأرض فرغانة، ووجّه جرير بن هميان، والحسن بن أبي العَمَرَّطة الكندي، ويزيد بن أبي زينب، وثابت قُطنة الأزدي، بالسرايا، فانهزم الأعداء هزيمة كبيرة وغنم المسلمون غنائم وافرة. قال الطبري: «فأخرج سعيد الحرشي الخُمس وقَسّم الأموال، وقال ثابت قطنة يذكر ما أصابوا من عظماء العدو:

أقـرَّ الـعَـيْـنَ مَـصْـرَعُ كـارَزنـج ... وكـشَـيـنٍ ومـا لاقـى بـيـارُ
ودَيـواشْـنـي، ومـا لاقـى جـلـنـجُ ... بـحـصـن خُـجَـنَـدْ إذ دَمَـروا فـبـاروا

. . وكتب الحرشي بالفتح إلى يزيد بن عبد الملك ولم يكتب إلى عمر بن هبيرة فكان هذا مما وجد فيه عليه عمر بن هبيرة» وجاء في ترجمة سعيد الحرشي بكتاب الجامع أنه: «بلغ ابن هبيرة أن سعيداً يكاتب الخليفة ولا يعترف بإمارته، فعزله وسجنه - [في آخر سنة١٠٤هـ] - ثم أخرجه خالد بن عبد اللّه القسري وأكرمه، فعاد إلى الشام». [ص٢٣٧] - وقد وُلِّي سعيد الحرشي أرمينية في خلافة هشام بن عبد الملك، وكان تقياً بطلاً، ومن القادة الفاتحين.

وكان عمر بن هبيرة لَمَّا عزل سعيد الحرشي ولَّى على خراسان مسلم بن سعيد القيسي - في أواخر سنة١٠٤هـ - ثم ما لبث أن تولَّى الخلافة هشام بن عبد الملك في شعبان سنة١٠٥هـ فعزل عمر بن هبيرة عن العراق وما كان إليه من عمل المشرق وولَّى ذلك كله خالد بن عبد اللّه القسري في شوال، فولَّى خالد أخاه أسداً على خُراسان.

* * *

١٠ - أسد بن عبد اللّه القَسْري . . أمير خُراسان (١٠٦-١٠٩هـ/ ١١٦-١٢٠هـ):

هو عاشر الولاة اليمانيين لخراسان في العصر الأموي وآخر عظماء الفاتحين بآسيا الوسطى. الأمير أبو المنذر أسد بن عبد اللّه القَسْريّ البجليّ اليماني. ولَّاهُ أخوه خالد بن عبد اللّه القسري أمير العراق والمشرقين على خراسان في أوائل سنة١٠٦هـ (٧٢٥م) فمضى أسد إلى مرو خراسان، ثم انطلق منها فعبر نهر جيحون إلى سمرقند. قال الطبري: «. . قطع أسد النهر فأتى بلاد السُّغد، فنزل مَرْجَها، وكان على سمرقند هانىء بن هانىء فخرج في الناس يتلقى أسداً، فأتوه بالمرج وهو جالس على حجر، فتفاءل الناس وقالوا: أسد على حجر. . ثم سار أسد بالناس فدخل سمرقند». [ص١٨٧/٨].

ومكث الأمير أسد فترة بسمرقند، وقام بتنظيم الأمور في أقاليم ما وراء النهر، وولَّى على الجُند وعلى بلاد الجوزجان عبد الرحمن بن نعيم الغامدي الأزدي، وولَّى على سمرقند الحسن بن أبي العَمَرَّطة الكندي ومعه الشاعر ثابت قطنة الأزدي نائباً له بسمرقند. ثم عاد الأمير أسد إلى مدينة مرو عاصمة خراسان، فقام بتولية العمال وتنظيم الأمور بأقاليم ما دون النهر، ثم ولَّى الأمير أسد على مرو الحسن بن شيخ الأزديّ، وسار بجند العروبة والإسلام إلى جهات هراة وبَلْخ، حيث كما ذكر الطبري في تاريخ الأمم والملوك:

«في سنة١٠٧هـ غزا أسد بن عبد اللّه جبال نمرون ملك الغَرْشِسْتان مما يلي جبال الطالقان، فصالحه نمرون وأسلم على يديه، فهُم إلى اليوم يتولّون اليمن.

وفيها ـ سنة١٠٧هـ ـ غزا أسدُ الغور وهي جبال هراة فعمد أهلها إلى أثقالهم فصيّروها في كهف ليس إليه طريق، فأمر أسد باتخاذ توابيت ووضع فيها الرجال ودلّاها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه. فقال ثابت قُطنة الأزدي ـ في فتوح أسد تلك السنة:

أرى أسَداً تَضَمَّنَ مُفْظِعاتٍ … تَهَيَّبَها الملوكُ ذَوُو الحِجابِ
سَمَا بالخيل في أكنافِ مروٍ … تُوفِزُهُنَّ بين هلّا وهابِ
إلى غُورينَ حيثُ حَوى أزَبٌّ … وصكَّ بالسُّيوف وبالحرابِ
ملاحِمُ لم تَدعْ لِسراةِ كلبٍ … مهاترة ولا لبني كِلَابِ
ألم يزُرِ الجبالَ جِبال مُلْحٍ … ترى من دونها قِطَعَ السَّحابِ
بِأرعَنَ لم يدع لهم شَريداً … وعاقَبَها المُمِضّ من العقاب

وملع من جبال خُوط فيها تعمل الحزم الملعيّة». [ص١٨٩/٨].

وفي أواسط سنة١٠٧هـ بدأ الأمير أسد بعمل تاريخي كان أهم من كل الغزوات وهو تشييد مدينة بَلْخ، وقد ذكر الطبري ذلك قائلاً: «وفي هذه السنة ـ سنة١٠٧هـ ـ نقل أسد من كان بالبروقان من الجُند إلى بَلْخ.. وقَسَّم لعمارة مدينة بَلْخ الفعلة على كلّ كورة على قدر خراجها.. وكان البروقان منزل الأمراء، وبين البروقان وبين بلخ فرسخان». وقد ذكر د. حسين عطوان في كتاب (الشعر العربي في خرسان) أنه:

«اختار أسد بن عبد اللّه القسري أرضاً مستوية تتوسطها الأنهار، ثم ألزم أهل كل مدينة وناحية من خراسان ببناء جزء من مدينة بلخ. ثم جعل على المدينة سوراً له سبعة أبواب، وبعد السور الأول سورين يبعدان عنه ١٢ فرسخاً، ويُحيطان بقراها ومزارعها.. وبعد أن تم بناء المدينة ـ (سنة١٠٨هـ) ـ نقل أسد إليها العرب والمسلمين من البروقان، وأقطع كل من له بالبروقان مسكن مسكناً بقدر مسكنه ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكناً، وخلط بين السكان منعاً للعصبية».

وقال الحافظ ابن كثير: «أمر أسد بجمع ما حول بلخ إليها وبناها بناءً جيداً جديداً محكماً، وحصنها، وجعلها معقداً للمسلمين».

قال الطبري: «.. فقال أبو البريد البكري في بنيان أسد مدينة بَلْخ:

إنَّ المباركة التي حَصَّنْتَها … عُصِمَ الذّليلُ بها وقرَّ الخائِفُ
فأراك فيها ما رأى مِنْ صالحٍ … فتحاً وأبوابُ السماءِ رَواعِفُ
فَمضَى لك الاسمُ الذي يَرضى به … عنك البصيرُ بما نويتَ اللاطفُ

يا خَيْرَ مَلْكٍ سَاس أمر رعيّةٍ إنّي على صدق اليمين لحالِفُ
اللّه أمّنها بِصُنعِكَ بعدَما كانت قلوبٌ خوفهن رواجفُ»

ولم تزل مدينة بلخ معقلاً من معاقل الإسلام بأفغانستان وآسيا الوسطى منذ بناها الأمير أسد القسري وحتى اليوم.

قال الطبري: «وفي سنة١٠٨هـ غزا أسد بن عبد اللّه الختّل.. ورجع إلى بلخ فقال الشاعر في ذلك يمدح أسد بن عبد اللّه:

نَديْت لي من كلّ خُمسٍ ألفين من كلّ لحاف عيضِ الدَّفّين

.. ثم دخلت سنة١٠٩هـ وفيها غزا أسد بن عبد اللّه غورين وأرض السبل ملك الختل، فقال ثابت قطنة:

أرَى أسَداً في الحرب إذْ نَزَلَتْ به وقَارَعَ أهْلَ الحربِ فازَ وأوجَبَا
تَنَاوَلَ أرضَ السَّبْلِ خاقانُ رِدؤهُ فَحَرَّق ما استعصى عليه وخرَّبا
أتَتْكَ وفُودُ التُرْك ما بينَ كابُلٍ وغُورِينَ إذْ لم يهربوا مِنْكَ مَهْرَبا
.. ألم يَكُ في الحصنِ المبارك عصمَةٌ لِجُندك إذْ هابَ الجبانُ وأرهبا
بَنَى لك عبدُ اللّهِ حصناً ورِثْتَهُ قَدِيماً إذا عُدّ القديمُ وأنجبا»

[ص١٩١/٨].

وفي رمضان سنة١٠٩هـ استأذن خالد بن عبد اللّه القسري الخليفة هشام بن عبد الملك لأخيه أسد بن عبد اللّه في الحج، فقفل أسد إلى العراق ومعه دهاقين خراسان في رمضان ١٠٩هـ واستخلف أسد على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي. وبذلك انتهت الولاية الأولى لأسد بن عبد اللّه على خراسان وأقام بالعراق نائباً لأخيه الأمير خالد بينما تعاقب على خراسان عدد من الأمراء النواب لخالد بن عبد اللّه القَسْري أمير العراق والمشرقين.

وفي محرم سنة١١٦هـ فصل هشام بن عبد الملك خراسان عن ولاية خالد القسري للعراق والمشرقين، وولّى هشام على خراسان عاصم بن عبد اللّه الهلالي القيسيّ، وكان الحارث بن سريج التميمي يقود حركة سرية واسعة في خراسان، وقد استجاب له من بخراسان من قبيلة تميم وبعض الأزد وسائر الموالي ودهاقين العجم، فسيطر الحارث بن سريج على بَلْخ والجوزجان وغيرها ـ في شهر ربيع ١١٦هـ ـ وزحف إلى مرو العاصمة فلم يتمكن منها: قال الطبري: «غَلَب الحارث بن سريج على بلخ والجوزجان والفارياب ومرو الرُّوذ والطالقان، ولم يبق بيد عاصم الهلالي من خراسان إلا مرو وناحية أبرشهر. وكانت ولاية عاصم أقل

من سنة. وقيل: سبعة أشهر. ولَمَّا بلغ هشام خبر الحارث بن سريج كتب إلى خالد بن عبد اللّه القسري: ابعث أخاك ـ أسداً ـ يُصلح ما فَسَد فإن كانت رجّته فلتكن به». [ص٢٢٦/٨].

فعاد أسد بن عبد اللّه القسري إلى خراسان في رمضان سنة١١٦هـ ومعه قوة من فرسان الشام وكذلك قوة من فرسان الكوفة والعراق بقيادة محمد بن مالك الهمداني الخيواني، فَلَمَّا وصل أسد إلى الريّ بعث قواته لمحاربة الحارث بن سريج بمنطقة نهر الدندانقان من بلاد مرو، فانضم إليهم الذين بخراسان من قبيلة ربيعة بقيادة يحيى بن الحضين، فهزموا ابن سريج فتقهقر من نهر الدندانقان إلى مرو الرُّوذ وآمل وبَلْخ. قال الطبري: «وعَظَّم أهل الشام يحيى بن حضين لِمَا صنع، وكتبوا كتاباً وبعثوه مع محمد بن مسلم العنبري ورجل من أهل الشام، فلقوا أسد بن عبد اللّه بالريّ، ويُقال لقوه ببيهق. فقال لهم: ارجعوا فإنّي أُصلح هذا الأمر، فقال له محمد بن مسلم: هُدمت داري، فقال: أبنيها لك، وأردُّ عليكم كل مظلمة».

ثم دخل الأمير أسد مدينة مرو ـ العاصمة ـ في مستهل سنة١١٧هـ ـ «وكان على مرو أيوب بن أبي حسان التميمي فعزله أسد واستعمل خالد بن شديد ابن عمه. وسار أسد إلى آمل وبلخ.. ووجّه أسدُ عبد الرحمن بن نعيم الغامدي في جند الكوفة وجند الشام في طلب الحارث بن سُريج إلى مرو الرُّوذ، وسار أسد بجند وأهل خراسان إلى آمل، وكان عليها خالد الهجري صاحب ابن سريج، فنزل عليهم أسدُ وحاصرهم ونَصَبَ عليهم المجانيق، فطلبوا الأمان، فأعطاهم أسد الأمان.. واستعمل أسد على مدائن آمل يحيى بن نعيم الشيباني. ثم سار أسد في طريق زَمّ يريد مدينة بَلْخ» ـ وكان عبد الرحمن بن نعيم الغامدي قد دخل مرو الرُّوذ ومناطقها وهرب الحارث بن سريج إلى بَلْخ، فتوجّه أسد إلى بلخ فهرب الحارث بن سريج من بَلْخ إلى الترمذ ـ بإقليم السُغْد ـ فيما وراء النهر، فدخل أسد مدينة بَلْخ ـ في أوائل سنة١١٧هـ ـ قال ابن الأثير والطبري: «اتخذ أسدُ بن عبد اللّه سُفناً وسار من بَلْخ إلى الترمذ، فوجد الحارث بن سريج محاصراً لها، وبها سنان الأعرابي، ومع سنان بنو الحجاج بن هارون وبنو زُرعة وبنو عطية في أهل الترمذ، ومع الحارث السّبْل ملك الخُتّل، فنزل أسد دون نهر الترمذ، ووضع سريره على شاطىء النهر وجعل الناس يعبرون..» فوقعت مواجهات ثم «خرج أهل الترمذ إلى الحارث بن سريج فهزموه.. وتركه السُبْل وسار إلى بلاده.. وهرب الحارث بن سريج في نحو ألف رجل إلى طخارستان».

وكان المشركون قد تغلّبوا على سمرقند أيام فتنة ابن سريج، فَلَمَّا تم هزيمته

بترمذ «سار أسد إلى سمرقند» قال الطبري: «وحمل أسد معه طعاماً من بُخارى وساق معه شِياه كثيرة [جمع شاة] ثم سار فارتفع إلى وَرَغسر، وماء سمرقند منها، فسكَّرَ الوادي وصَرَفه عن سمرقند، وكان يحمل الحجارة بيديه حتى يطرحها في السكر». قال ابن خلدون: « ـ ثم ـ أعطاهم أسد الأمان على تسليم سمرقند، فأنزلهم على الأمان». وبذلك أتمّ الأمير أسد القضاء على الفتنة وعاد إلى مدينة بلخ في رجب سنة١١٧هـ.

قال الطبري: «ثم دخلت سنة١١٨هـ.. وفيها اتخذ أسد بن عبد اللّه مدينة بلخ داراً، ونقل إليها الدواوين، واتخذ المصانع ثم غزا طخارستان ثم أرض جيغويه ففتح وأصاب سبياً». [ص٢٣٠/٨].

قال الحافظ ابن كثير في كتاب البداية والنهاية: «ثم دخلت سنة١١٩هـ وفيها قتل أسدُ بن عبد اللّه القسري مَلِكَ الترك الأعظم خاقان. وكان سبب ذلك أن أسد بن عبد اللّه أمير خراسان سار بجيوشه إلى مدينة خُتَّل ففتحها، وتفرقت في أرضها جنوده يقاتلون ويأسرون ويغنمون، فجاءت العيون إلى ملك الترك خاقان أن جيش أسد قد تفرّق في بلاد خُتَّل، فاغتنم خاقان هذه الفرصة فركب من فوره في جنوده قاصداً إلى أسد، وتزود خاقان وأصحابه سلاحاً كثيراً وقديداً وملحاً، وساروا في حنق عظيم. وجاء إلى أسد عيونه فأعلموه بقصد خاقان له في جيش عظيم كثيف، فتجهّز لذلك وأخذ أهبته، فأرسل من فوره إلى أطراف جيشه فلمّها.. فقصد أسد بجيشه نحو خاقان، وصلّى بالناس ركعتين أطال فيهما، ثم دعا بدعاء طويل ثم انصرف وهو يقول: نُصرتم إن شاء اللّه، ثم سار بمن معه من المسلمين فالتقت مقدمته بمقدمة خاقان، فقتل المسلمون منهم خلقاً وأسروا أميرهم وسبعة أمراء معه.. فَلَمّا أقبل الناس هربت الأتراك من كل جانب، وانهزم خاقان، فتبعهم أسد، فَلَمّا كان عند الظهيرة انخذل خاقان في أربعمائة من أصحابه، عليهم الخز ومعهم الكؤوسات، فَلَمّا أدركه المسلمون أمر بالكؤوسات فضربت ضرباً شديداً ضرب الانصراف ثلاث مرات فلم يستطيعوا الانصراف، فتقدم المسلمون فاحتاطوا على معسكرهم فاحتازوه بما فيه من الأمتعة العظيمة والأواني من الذهب والفضة والنساء والصبيان، مما لا يحدّ ولا يوصف لكثرته وعظمه وقيمته وحسنه.. وهرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن فتحصن بها، فاتفق أنه لعب بالنرد مع بعض الأمراء فغلبه الأمير فتوعده خاقان بقطع اليد، فحنق عليه ذلك الأمير ثم عمل على قتله، فقتله. وبعث أسد إلى أخيه خالد يعلمه بما وقع من النصر والظفر بخاقان، وبعث إليه بطبول خاقان وبشيء كثير من حواصله وأمتعته،

فأوفدها خالد إلى أمير المؤمنين هشام ففرح بذلك فرحاً شديداً، وأطلق للرسل أموالاً جزيلة كثيرة من بيت المال. وقد قال بعض الشعراء - [وهو ابن السجف المجاشعي] - في أسد بن عبد اللّه يمدحه على ذلك:

لَوْ سِرْتَ في الأَرْضِ تَقِيسُ الأرضا	تَقِيسُ منها طولها والعَرْضا
لَمْ تَلْقَ خيراً مِرَّةً ونَقْضا	مِنَ الأميرِ أَسَدٍ وأَمْضا
أَفْضَى إلينا الخيرُ حين أَفْضَى	وجَمَّعَ الشَّمْلَ وكان رَفْضا
ما فاته خاقانُ إلّا ركضا	قد فَضَّ من جموعه ما فَضَّا»

[ص٣٢١ - ٣٢٣/ ٩].

وفي شهر محرم أو صفر سنة ١٢٠هـ (٧٣٨م) قَدِم دهاقين خُراسان وما وراء النهر إلى الأمير أسد بمناسبة يوم المهرجان - وهو مهرجان النيروز أي الربيع - فقَدِموا إلى الأمير أسد بمدينة بَلْخ. قال الحافظ ابن كثير: «لَمَّا كان مهرجان هذه السنة - سنة ١٢٠هـ - قَدِمَت الدهاقين من سائر البلدان بالهدايا والتحف على أسد بن عبد اللّه القسري، وكان فيمن قَدِم نائب هَرَاة، ودهقان هَرَاة واسم دهقانها خراسان شاه، فقَدِم بهدايا عظيمة وتحف عزيزة، وكان من جملة ذلك قصر من ذهب وقصر من فضة وأباريق من ذهب وصحاف من ذهب وفضة، وتفاصيل من حرير تلك البلاد ألوانٌ ملونة، فوُضع ذلك كله بين أيدي أسد حتى امتلأ المجلس». [ص١٢٤/ ٩].

وقال الطبري: «في سنة ١٢٠هـ حضر أسد بن عبد اللّه المهرجان وهو ببلخ، فقَدِم عليه الأمراء والدهاقين بالهدايا فكان مِمّن قَدِم عليه إبراهيم بن عبد الرحمن عامله على هَرَاة، وخراسان - شاه - دهقان هراة. فَقَدِما بهدايا قُوِّمت بألف ألف. فكان فيما قَدِما به قصران: قصر من فضة وقصر من ذهب وأباريق من ذهب وأباريق من فضة وصِحاف من ذهب وفضة، فأقبلا وأسد جالس على السرير، وأشرافُ خراسان على الكراسي، فوضعا القصرين والأباريق والصحاف والديباج المَرْوي والقوهي والهروي وغير ذلك حتى امتلأ السماط» - ثم كما ذكر الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «قام دهقان هراة خطيباً، فقال: أصلح اللّه الأمير، إنّا معشر العجم أكلنا الدنيا أربعمائة سنة، أكلناها بالحلم والعقل والوقار ليس فينا كتابٌ ناطقٌ ولا نبيٌّ مُرسل. وكانت الرجالُ عندنا ثلاثة: ميمون النقيبة أينما توجَّه فتح البلاد، والذي يليه رجلٌ تمّت مروءته في بيته فإن كان كذلك رحِّبَ وحيّ وعُظّم وقُوّد وقُدِّم، ورجلٌ رَحُب صدره وبَسَط يده فرُجيَ فإذا كان كذلك قوِّد وقُدِّم. وإن اللّه جعل صفات هؤلاء الثلاثة فيك أيها الأمير، وما نعلمُ أحداً هو أتمّ كَتْخُذائية

منك، إنّك ضبطت أهل بيتك وَحَشمك ومواليك ـ وعمالك ـ فليس منهم أحد يستطيع أن يتعدّى على صغير ولا كبير ولا غنيّ ولا فقير فهذا تمام الكتخذانية، ثم بَنَيْتَ الإيوانات في المفاوز فيجيءُ الجائي من المشرق والآخر من المغرب فلا يجدان عيباً إلّا أن يقولا سبحان اللّه ما أحسن ما بَنَى، ومِنْ يُمْنِ نقيبتك أنك لقيت خاقان وهو في مائة ألف فهزمته وفللته وقَتَلْتَ أصحابه وأبحتَ عسكره، وأما رحب صدرك وبسط يدك فإنّا ما ندري أيّ المالَين أقرَّ لعينك أمال قَدِم عليك أم مالٌ خرج من عندك بل أنت بما خرج أقرّ عيناً». [ص٢٤٧ جـ٨] وقال الحافظ ابن كثير: «قام دهقان هراة خطيباً، فامتدح أسداً بخصال حَسَنة على عقله ورياسته وعدله، وعلى منعه أهله وخاصته أن يظلموا أحداً من الرعايا بشيء قلّ أو كثر، وإنه قهر الخاقان الأعظم وهو في مائة ألف فكسره وقتله، وإنه يفرح بما يَفِد إليه من الأموال وهو بما خرج من يده أفرح وأشد سروراً. فأثنى عليه أسد وأجلسه. وفرّق أسد جميع تلك الهدايا والأموال وما هناك أجمع على الأمراء والأكابر بين يديه حتى لم يبق منه شيء». [ص٩/٣٢٤].

وفي شهر ربيع سنة١٢٠هـ توفي الأمير أسد بن عبد اللّه القسري بمدينة بلخ، فقال ابن عرس العبدي يرثيه:

نعى أسدَ ابن عبد اللّه ناعٍ ... فريعَ القلبُ للملك المُطاعِ
ببلخ وافقَ المقدارُ يسري ... وما لقضاء ربكَ مِنْ دفاعِ
.. سُقِّيت الغيث إنك كنتَ غيثاً ... مريعاً عندَ مرتاد النجاعِ

واستخلف أسد بن عبد اللّه على خراسان جعفر بن حنظلة البهراني اليماني فمكث أميراً أربعة أشهر حتى انتهاء ولاية خالد بن عبد اللّه القسري للعراق والمشرقين ـ في جمادى الثانية سنة١٢٠هـ ـ ثم وُلِّي خراسان جديع بن علي الكرماني الأزدي ـ في رجب ١٢١هـ ـ وكانت ولايته عدة أشهر وكان هو آخر الولاة اليمانيين على خراسان في العصر الأموي.

الولاة اليمانيون لخُراسان في العصر العباسي وأنباء عهودهم

١ ـ عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي . . والي خراسان (١٤٠ ـ ١٤٢هـ)

هو أول الولاة اليمانيين لبلاد خراسان في العصر العباسي. الأمير عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي. وهو أحد السبعين الذين كانوا أول من دخلوا في الدعوة العباسية بخراسان حيث جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية أنه: «كان منهم من أهل أبيورد سبعة رجال: عثمان بن نهيك العكّي، عيسى بن نهيك العكي، الفضل بن سليمان الطائي، عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، يزيد بن عبد الرحمن الأزدي، أبو الخطاب الهيثم بن معاوية العتكي، زهير بن محمد الأزدي الغامدي»[(١)]. وكانوا جميعاً من اليمانية، من الجيش العربي في خراسان.

وفي جمادى الثانية سنة١٣٠هـ سيطرت الدعوة العباسية على مرو خراسان. . وسار الأمير قحطبة بن شبيب الطائي بقوّاد وجيش الدعوة العباسية من مدينة مرو إلى طوس ونيسابور ـ في شعبان سنة١٣٠هـ ـ ومعه ـ فيما ذكر الطبري ـ «جماعة من القوّاد. . وجعل على ميمنته مقاتل بن حكيم العكي وأبا عون عبد الملك بن يزيد وخالد بن برمك، وعلى ميسرته أسيد بن عبد اللّه الخزاعي والحسين بن قحطبة والمسيب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن»[(٢)]. فهزم قحطبةُ الجيش المرواني في طوس. قال صاحب أخبار الدولة: «واستخلف قحطبة على طوس عبد الجبار بن عبد الرحمن»[(١)] فمكث عبد الجبار أميراً قائداً لمنطقة طوس بخراسان إلى أن سار قحطبة إلى جُرجان. قال الطبري: «وأقبل قحطبة إلى جرجان في ذي القعدة من سنة١٣٠هـ ومعه أسيد بن عبد اللّه الخزاعي وخالد بن برمك وأبو عون عبد الملك بن يزيد وموسى بن كعب والمسيب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي»[(٢)]. فهزم قحطبة الجيش المرواني ودخل مدينة جُرجان في مستهل ذي الحجة سنة١٣٠هـ فتمت بذلك السيطرة على سائر أقاليم بلاد خراسان ولم يزل عبد الجبار من كبار القادة إلى أن دخل جيش الدعوة العباسية العراق وظهر

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق عبد العزيز الدوري ـ ص ٢١٨ وص ٣٢٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٠٥ جـ ٩.

أبو العباس السفاح وبويع بالخلافة في ربيع الثاني ١٣٢هـ وقامت الخلافة العباسية. فاستقر عبد الجبار بالعراق وأصبح قائداً لشرطة الخليفة أبي العباس السفاح (١٣٢ ـ ١٣٦هـ) ثم قائداً لشرطة الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٧ ـ ١٣٩هـ). بينما كان عثمان بن نهيك العكي قائداً لحرس أبي جعفر المنصور.

وكان عبد الجبار من الناقمين على أبي مسلم الخُراساني أمير خراسان لقيامه بقتل عليّ بن جديع الكرماني الأزدي زعيم الأزد بخراسان وسليمان بن كثير الخزاعي نقيب نقباء الدعوة العباسية بخراسان وقد قتلهما لأنهما كانا ينافسانه الزعامة بخراسان. ولَمّا جاء أبو مسلم إلى العراق في أواخر سنة١٣٦ هجرية وتمرَّد عبد اللّٰه بن عليّ العباسي ضد أبي جعفر المنصور بالشام ـ في أول سنة١٣٧هـ ـ وكما ذكر الطبري: «دعا أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني وقال له: سِرْ إلى عبد اللّٰه بن عليّ، فقال له أبو مسلم: إن عبد الجبار بن عبد الرحمن وصالح بن الهيثم يعيبانني فاحبْسهما، فقال أبو جعفر: عبد الجبار على شُرطتي وكان قبل على شُرطة أبي العباس، وصالح بن الهيثم أخو أمير المؤمنين من الرضاعة فلم أكن لأحبسهما لظنك بهما، قال: أراهما آثر عندك مني، فغضب أبو جعفر، فقال أبو مسلم: لم أرد كل هذا». [ص١٦٠/٩] ـ ثم سار أبو مسلم الخراساني مع حميد بن قحطبة وكثير من القادة لقتال عبد اللّٰه بن عليّ بالجزيرة الفراتية فَلَمّا تمت هزيمة عبد اللّٰه بن عليّ ـ في جمادى الثانية ١٣٧هـ ـ أراد أبو مسلم العودة إلى خُراسان لأنه أميرها وكتب إليه أبو جعفر المنصور بالبقاء في الشام وتوليته عليه فغضب وأظهر الخلاف وسار من الجزيرة قاصداً خراسان، فكتب الحسن بن قحطبة الطائي إلى أبي جعفر المنصور رسالة قال فيها: «يا أمير المؤمنين، إن الشيطان الذي كان ينفخ في رأس عبد اللّٰه بن عليّ قد انتقل إلى رأس أبي مسلم»(١). وبعث أبو جعفر المنصور جرير بن يزيد البجلي إلى أبي مسلم فخدعه ورده إلى أبي جعفر المنصور، فأمر أبو جعفر المنصور عثمان بن نهيك العكي قائد الحرس وثلاثة من الحرس فوثبوا على أبي مسلم الخراساني وقتلوه في مجلس المنصور في شعبان سنة١٣٧هـ. ولم يكن هناك من الولاة أحد من غير العرب آنذاك إلا أبو مسلم الخراساني أمير خراسان حتى مقتله، ثم ولّى أبو جعفر المنصور خالد بن إبراهيم الشيباني ـ وهو من ربيعة ـ على خراسان فهلك سنة١٤٠هـ فولّى المنصور عليها عبد الجبار بن عبد الرحمن.

وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «عبد الجبار بن عبد الرحمن

---

(١) التاريخ الإسلامي ـ د. فاروق عمر ـ ص ٩٩.

الأزدي: أمير، من القادة الشجعان الأشداء الجَبّارين، ولذا لقب بالجبار الأزدي. عاش في صدر العهد العباسي. ولّاه المنصور إمرة خراسان سنة١٤٠هـ فقتل كثيراً من أهلها بتهمة الدعاء لولد علي بن أبي طالب»[١]. والذين قتلهم عبد الجبار كانوا ثلاثة نفر فقط من العمال القادة بخراسان إذْ إنه ظهرت آنذاك الدعوة السِّرِّية العلوية الشيعية لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وامتدت من الحجاز والبصرة إلى السند وخراسان. قال الطبري: «في سنة١٤٠هـ هلك خالد بن إبراهيم عامل خراسان.. وولّى أبو جعفر المنصور عبد الجبار بن عبد الرحمن خُراسان فقَدِمها، فأخذ بها ناساً من القوّاد ذُكر أنّه اتهمهم بالدعاء إلى ولد عليّ بن أبي طالب منهم مجاشع بن حريث الأنصاري صاحب بُخارى، وأبو المغيرة مولى بني تميم وهو صاحب قوهستان، والحريش بن محمد الذُّهلي، فقتلهم. وحبس الجنيد التغلبيّ ومعبد بن الخليل وعدة من وجوه قوّاد أهل خراسان، وألَحّ على استخراج ما على عمال خالد بن إبراهيم من بقايا الأموال»[٢].

وكان قدوم عبد الجبار إلى خراسان والياً عليها في ١٠ ربيع الأول سنة١٤٠هـ (لعشر خلون من ربيع الأول، ويقال لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول». وذكر الطبري أسماء الولاة في نهاية سنة١٤٠هـ فقال: «كان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها إلا خراسان فإن عاملها كان عبد الجبار بن عبد الرحمن». ـ وذكر في السنة التي قبلها أنه ـ «كان على مكة والمدينة زياد بن عبيد اللّه الحارثي، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية المهلّبيّ» ـ وكذلك «كان الوالي على اليمن الربيع بن عبد اللّه الحارثي، وعلى مصر عبد الملك بن يزيد أبو عون، وعلى الجزيرة الفراتية حميد بن قحطبة، وعلى أرمينية الحسن بن قحطبة، وعلى فارس محمد بن الأشعث الخزاعي».

وفي سنة١٤١هـ قام الأمير عبد الجبار بن عبد الرحمن بقتل من سلف ذكرهم بتهمة الدعوة لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن العلوي، وحبس عدّة من وجوه قوّاد أهل خُراسان كان بعضهم من أصحاب أبي مسلم الخراساني من العجم ففتك بهم. وكان من الولاة نهاية سنة١٤١هـ «على المدينة المنورة محمد بن خالد بن عبد اللّه القسري، وعلى مكة الهيثم بن معاوية العتكي، وعلى اليمن الربيع بن عبد اللّه الحارثي، وعلى مصر وأفريقيا محمد بن الأشعث الخزاعي، وعلى البصرة وأعمالها

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٢٩٩.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٧٣ جـ ٩.

سفيان بن معاوية المهلَّبي، وعلى خراسان عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي وعلى أرمينية والثغور الحسن بن قحطبة الطائي».

وفي سنة١٤٢هـ سعى البعض بعبد الجبار بن عبد الرحمن عند الخليفة أبي جعفر المنصور وقالوا له: «إن عبد الجبار قد أفنى رؤساء أهل خراسان وما فعل هذا إلا وهو يريد أن يخلع الطاعة. وقال أبو أيوب الخوزي لأبي جعفر المنصور: اكتب إليه إنك تريد غزو الروم وأن يوجه إليك الجنود من خراسان، فكتب بذلك إليه، فأجابه عبد الجبار: إن الترك قد جاشت وإن فرّقتُ الجنود ذهبت خراسان. فكتب إليه المنصور: إن خراسان أهمُّ إليّ من غيرها وأنا موجّه إليك الجنود من قِبَلي، ثم وجّه إليه الجنود ليكونوا بخراسان فإذا همّ بخلع أخذوا بعنقه. فَلَمَّا ورد على عبد الجبار الكتاب كتب إليه: إن خراسان لم تكن قط أسوأ حالاً منها في هذا العام وإن دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من غلاء السعر. فَلَمَّا أتى المنصور كتابه قال له أبو أيوب الخوزي: قد أبدى صفحته وقد خلع الطاعة فلا تناظره. فوجّه إليه المنصور ابنه محمد المهدي بن المنصور في جيش كبير فنزل محمد بالرّيّ وبعث جيشاً إلى عبد الجبار فقاتلوه فهزموه، وكانت هزيمته يوم السبت لست خلون من ربيع الأول سنة١٤٢ هجرية، وتم أخذه أسيراً، فبعث المهدي به وبولده إلى المنصور. قال الطبري: «فأمر المنصور بقطع يدي عبد الجبار ورجليه وضرب عنقه، ففُعل به ذلك، وأمر المنصور بتسيير ولده إلى دَهْلَك وهي جزيرة على ضفة البحر بناحية اليمن فلم يزالوا بها.. ونجا منهم من نجا، فكان ممن نجا منهم واكتتب في الديوان وصحب الخلفاء عبد الرحمن بن عبد الجبار وبقي إلى أن توفي بمصر في خلافة هارون الرشيد في سنة١٧٠ هجرية».

٢ ـ أبو عون عبد الملك الأزدي.. والي خُراسان (١٤٢ ـ ١٥٠هـ) و(١٥٩ ـ ١٦٠هـ)

هو أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي ثاني الولاة اليمانيين لخراسان في العصر العباسي، كان أبو عون من قادة الجيش العربي في جُرجان ـ ببلاد خراسان ـ ثم كان من كبار القادة الذين أسسوا الخلافة العباسية وأول ولاة مصر في العصر العباسي، وُلِّي أبو عون مصر في خلافة أبي العباس السفاح (١٣٢ ـ ١٣٦هـ) ثم في خلافة أبي جعفر المنصور سنة١٣٧ ـ ١٤١هـ ولَمَّا انتهت ولايته لمصر عاد إلى العراق وسكن بالبصرة، ثم ولّاه أبو جعفر المنصور خُراسان فسار إليها وتولّى حكمها منذ أواسط سنة١٤٢هـ.

وقد ذكر الطبري أول خبر عن ولايته في أحداث سنة١٤٤هـ حيث قام أبو جعفر المنصور بحبس عدد من أقارب محمد بن عبد اللّه بن الحسن العلوي وكان بينهم محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان، وكانت الدعوة العلوية السِّرِّية لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن قد انتشرت في العديد من الأمصار. قال الطبري: «كان محمد بن عبد اللّه بن عمرو محبوساً عند أبي جعفر المنصور وهو يعلم براءته حتى كتب إليه أبو عون من خراسان: أُخبِرُ أمير المؤمنين إن أهل خراسان قد تقاعسوا عني وطالهم أمر محمد بن عبد اللّه بن حسن. فأمر أبو جعفر عند ذلك بمحمد بن عبد اللّه بن عمرو فضُربت عنقه وأرسل برأسه إلى خراسان وأقسم لهم أنه رأس محمد بن عبد اللّه.. بعث برأسه إلى خراسان وبعث معه الرجال يحلفون باللّه أنه محمد بن عبد اللّه وأن أمّه فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ..»[1] وقال الطبري في رواية ثانية: «مات محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان في الحبس فأخذ المنصور رأسه فبعث به مع جماعة من الشيعة إلى خراسان فطافوا في كور خراسان وجعلوا يحلفون باللّه إن هذا رأس محمد بن عبد اللّه يوهمون الناس أنّه رأس محمد بن عبد اللّه بن حسن الذين كانوا يجدون خروجه على أبي جعفر في الرواية». [ص٢٠١/٩].

ثم خرج محمد بن عبد اللّه بن حسن بالمدينة المنورة في رجب سنة١٤٥هـ وبويع بالخلافة وتلقَّب بالمهدي، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة وتغلب عليها في أول رمضان ١٤٥هـ ولم يخرج شيعتهم بخراسان وما إليها لأنهم كانوا يظنون أنه قد قُتِل سنة١٤٤هـ حيث نجحت تلك الخديعة بخراسان وبلاد فارس. ثم انتهت حركة محمد بن عبد اللّه بن حسن بمقتله بالمدينة في رمضان سنة١٤٥هـ ومقتل أخيه إبراهيم بالبصرة في ذي الحجة، قال الطبري: «وكان عون بن أبي عون خليفة أبيه بباب أمير المؤمنين المنصور فَلَمَّا قُتِل محمد بن عبد اللّه بن حسن وجّه أبو جعفر المنصور برأسه إلى خراسان إلى أبي عون مع محمد بن أبي الكرم وعون بن أبي عون فَلَمَّا قَدِم به ارتاب أهل خراسان وقالوا: أليس قد قُتِل مرّة وأُتينا برأسه ثم تكشَّف لهم الخبر حتى علموا حقيقته فكانوا يقولون لم يطَّلع من أبي جعفر على كذبة غيرها»[1].

وفي سنة١٤٥ ـ ١٤٩هـ كان من الولاة الأمراء «يزيد بن حاتم المهلَّبي على مصر، محمد بن الأشعث الخزاعي على أفريقيا ـ الشمالية ـ، الحسن بن قحطبة على أرمينية، حميد بن قحطبة بثغور الجزيرة، عمر بن حفص الأزدي على السند،

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٩٨ جـ ٩.

أبو عون على خراسان» ـ قال الطبري: «ثم دخلت سنة ١٥٠هـ فمِمّا كان فيها خروج أستاذيس في أهل هراة وباذَغيس وسجستان وغيرها من كُور خراسان وكان فيما ذُكر في زهاء ثلاثمائة ألف مقاتل، وساروا حتى التقوا هم وأهل مرو الرُّوذ فخرج إليهم الأجثم في أهل مرو الروذ فقاتلوه قتالاً شديداً حتى قُتل الأجثم وكثر القتل في أهل مرو الرّوذ، وهزم عدّة من القوّاد منهم معاذ بن مسلم وجبريل بن يحيى البجلي وحماد بن عمرو وأبو النجم السجستاني وداود بن كراز ـ [وكانوا عُمال وقوّاد أبي عون بتلك المناطق من خراسان، وكان أبو عون في طخارستان ببلاد ما وراء النهر] ـ فوجّه أبو جعفر المنصور خازم بن خزيمة إلى المهديّ ـ بالرّي ـ فولّاه المهدي محاربة أستاذيس وضمّ القوّاد إليه.» ـ [ص٢٧٦/ ٩] ـ فسار خازم وانضمّ إليه القوّاد والجند فحاربوا وهزموا وحاصروا أستاذيس في جبل عند قدوم أبي عون بالجند الذين معه من طخارستان ـ قال الطبري: «فحاصر خازم أستاذيس وأصحابه حتى نزلوا على حكم أبي عون ولم يرضوا إلا بذلك. فَلَمَّا نزلوا على حكم أبي عون حكم فيهم أن يُوثق أستاذيس وبنوه وأهل بيته بالحديد وأن يُعتق الباقون وهم ثلاثون ألفاً، فأنفذ ذلك خازم من حكم أبي عون وكسا كلّ رجل منهم ثوبين، وكتب بما فتح اللّه عليه وأهلك عدوّه إلى المهدي فكتب بذلك المهدي إلى أمير المؤمنين المنصور. وذكر محمد بن عمر أن أستاذيس هُزِم في سنة١٥١هـ». [ص٢٧٨/ ٩].

وفي سنة١٥١هـ ولّى المنصور حُميد بن قحطبة الطائي على خراسان فانتهت بذلك ولاية أبي عون، ومكث حميد بن قحطبة والياً لخراسان. ومات أبو جعفر المنصور في ذي الحجة ١٥٨هـ وتولّى الخلافة المهدي بن أبي جعفر المنصور فاستمر حميد والياً لخراسان. قال ابن الأثير: «وفي سنة١٥٩هـ مات حُميد بن قحطبة وهو على خُراسان واستعمل المهدي بعده عليها أبا عون عبد الملك بن يزيد»[١].

وبذلك عاد أبو عون والياً لخراسان سنة١٥٩هـ، وفيها ولّى حمزة بن مالك الخزاعيّ سجستان، وولّى جبريل بن يحيى البجلي سمرقند فبنى سورها وحفر خندقها»[١]. وذكر ابن الأثير في أسماء الولاة سنة١٥٩هـ أنه: «كان على الكوفة إسحاق بن الصباح الكندي، وعلى اليمن رجاء بن رَوْح، وعلى اليمامة بشر بن المنذر البجلي، وعلى خراسان أبو عون عبد الملك بن يزيد. وكان على الجزيرة الفضل بن صالح، وعلى أفريقيا يزيد بن حاتم. وعلى السند رَوْح بن حاتم المهلّبي».

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٥٣ جـ ٥.

قال الطبري: «وفي سنة١٦٠هـ عُزل أبو عون عن خراسان عن سخطه»[١]. وبذلك انتهت ولاية أبي عون لخراسان سنة١٦٠هـ وكان قد بلغ من الكبر عتياً فسكن بالبصرة وزاره الخليفة المهدي وهو مريض مرض الموت بالبصرة. ومات بها سنة١٦٤هـ.

٣ ـ حُمَيْد بن قَحْطَبة الطائي.. والي خُراسان (١٥١ ـ ١٥٩هـ)

هو ثالث الولاة العرب اليمانيين لخراسان وآسيا الوسطى في العصر العباسي، الأمير حُميد بن قَحْطَبة بن شبيب بن خالد بن معدان النبهاني الطائي. كان هو وأبوه من كبار القادة المؤسسين للخلافة العباسية. ووُلّي حُميد إقليم الأردن بالشام (١٣٢ ـ ١٣٦هـ) ثم ولّاهُ أبو جعفر المنصور الجزيرة الفراتية (١٣٧ ـ ١٤٠هـ) ثم مصر (١٤٢ ـ ١٤٣هـ) وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «حُمَيْدُ بن قحطبة بن شبيب الطائي: أمير. من القادة الشجعان. وُلّي إمرة مصر سنة١٤٣هـ ثم إمرة الجزيرة. ووُجِّه لغزو أرمينية سنة١٤٨هـ ولغزو كابول سنة١٥٢هـ ثم جُعل أميراً على خراسان». [٨٥ ـ الجامع].

وقد وُلّي حميد بن قحطبة خراسان سنة١٥١هـ. ولّاهُ الخليفة أبو جعفر المنصور، فانطلق حُميد إلى خُراسان واستقر بعاصمتها مدينة مرو، وولّى العمال على أقاليمها. ثم سار إلى مناطق هراة وباذغيس وكابول بأفغانستان وكانت قد انتقضت حين تمرد أستاذيس والذين معه من العجم سنة١٥٠هـ وتغلبوا على تلك الجهات وتم القضاء على حركة أستاذيس في ولاية أبي عون سنة١٥١هـ ثم ولّى المنصور حميداً على خراسان.

قال ابن الأثير: «ثم دخلت سنة١٥٢هـ وفيها غزا حميد بن قحطبة كابل، وكان قد استعمله المنصور على خراسان سنة إحدى وخمسين ومائة». [ص٣٦/ ٥ ـ الكامل].

ومكث حميد بن قحطبة والياً لخراسان ثماني سنين والبلاد مستقرة. ثم في أوائل سنة١٥٩هـ ظهرت ببلاد ما وراء النهر بإقليم الصُغد حركة جماعة من المبيضة ـ وهم الشيعة العلوية ـ بِبُخارى والصُغد، وظهر المُقنع بخراسان. قال ابن الأثير: «وكان المقنع رجلاً أعور قصيراً من أهل مرو ويسمى حكيماً، وكان اتخذ وجهاً ـ أي قناعاً ـ من ذهب فجعله على وجهه لئلا يُرى فسُمّي المقنع وادعى الألوهية ولم يُظهر ذلك إلى جميع أصحابه، وكان يقول: إن اللّه خلق آدم فتحوّل في صورته ثم

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٣٣٤ جـ ٩.

في صورة نوح وهلمَّ جراً إلى أبي مسلم الخُراساني ثم تحول إلى هاشم، وهاشم في دعواه هو المقنع، ويقول بالتناسخ، وكان يعتقد أن أبا مسلم الخراساني أفضل من النبي ﷺ. وتابعه خلق من ضلال الناس وتحصنوا في قلعة بسيام وسنجردة وهي من رساتيق كش ـ [بإقليم الصغد] ـ وظهرت المبيضة ببُخارى والصغد متعاونين له، وأعانه كفار الأتراك وأغاروا على أموال المسلمين، واجتمعوا بكش وغلبوا على بعض قصورها وعلى قلعة نواكث.. وأنفذ حُميد إليهم جبريل بن يحيى البجلي وأخاه يزيد فاشتغلوا بالمبيضة الذين كانوا ببُخارى فقاتلوهم أربعة أشهر في مدينة بوجكت فَقُتل منهم سبعمائة ولحق منهزموهم بالمقنع وتبعهم جبريل وحاربهم». [ص٥٢/ ٥].

ثم مات الأمير حميد بن قحطبة وهو والٍ على خراسان سنة١٥٩هـ ـ الموافق ٧٧٦م ـ ووُلِّي خراسان أبو عون، وتولّى سعيد بن عمرو الحرشي قتال المقنع وأتباعه فهزمهم وقتل المقنع وبعث برأسه إلى المهدي سنة١٦٣هـ.

٤ ـ الفضل بن سليمان الطوسيّ.. والي خراسان وسجستان (١٦٦ ـ ١٧٠هـ)

هو الأمير أبو العباس الفضل بن سليمان. ذكرته روايات الطبري باسم (أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسيّ) مما يوحي بأنه طوسيّ أعجميّ من أهل طوس بخراسان، بينما هو عربي يمانيّ من قبيلة طيىء، كان من قادة الجيش العربي بمنطقة أبيورد في خراسان عند ظهور الدعوة العباسية حيث جاء في كتاب أخبار الدولة العباسية أن:

«منهم مِنْ أهل أبيورد سبعة رجال: عثمان بن نهيك العكي، عيسى بن نهيك العكي، أبو العباس الفضل بن سليمان الطائي، عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، يزيد بن عبد الرحمن الأزدي، أبو الخطاب الهيثم بن معاوية العتكي، زهير بن محمد الأزدي الغامدي»[١].

وقد اشتهر الفضل بن سليمان الطائي بلقب (الطوسيّ) لأنه أقام بمدينة طوس وكان قائداً فيها، وهو من قادة جيش الدعوة العباسية الذي انطلق بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي ودخل العراق في محرم سنة١٣٢هـ وكان أمير العراق يومئذ يزيد بن هبيرة الفزاري القيسي فتحصن مع فلول جيشه بمدينة واسط في جنوب شرق العراق، فتوجه إليه الحسن بن قحطبة في كوكبة من القادة بينهم الفضل بن سليمان الطوسي الطائي، حيث ذكر الطبري أنه:

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق الدوري ـ ص ٢١٨.

«وجّه أبو سلمة الحسن بن قحطبة إلى ابن هبيرة بواسط وضمّ إليه قوّاداً منهم: خازم بن خزيمة، ومقاتل بن حكيم العكيّ، وحفاف بن منصور، وسعيد بن عمرو، وزياد بن مشكان، والفضل بن سليمان، وعبد الكريم بن مسلم، وعثمان بن نهيك، وزهير بن محمد، وغيرهم، ستة عشر قائداً، وعلى جميعهم الحسن بن قحطبة»[١]. فتم هزيمة ابن هبيرة والذين معه بواسط.

وكان أبو العباس الفضل بن سليمان من القادة الذين استقروا بالعراق حيث أصبح عثمان بن نهيك العكيّ اليماني قائداً لحرس أبي جعفر المنصور وكان الفضل من قادة الحرس. قال الطبري: «ومات عثمان بن نهيك ـ سنة١٤١هـ ـ فصلّى عليه أبو جعفر المنصور وصيّر مكانه على حرسه عيسى بن نهيك فكان على الحرس حتى مات، فجعل ـ المنصور ـ على الحرس أبا العباس الطوسي». [ص١٧٤/ ٩] ـ فمكث أبو العباس الفضل بن سليمان قائداً لحرس الخليفة في بغداد بينما تولّى خراسان حُميد بن قحطبة الطائي (١٥١ ـ ١٥٩هـ) ثم أبو عون (١٥٩ ـ ١٦٠هـ) ثم معاذ بن مسلم والمسيب بن زهير.

قال الطبري: «وفي سنة١٦٦هـ اضطربت خراسان على المسيب بن زهير فولّاها المهديُّ الفضل بن سليمان الطوسيّ أبا العباس، وضمّ إليه معها سجستان». [ص٨/ ١٠] ـ فكان الفضل بن سليمان أول من جُمعت له ولاية خراسان وولاية سجستان في العصر العباسي.

وذكر الطبري في أسماء الولاة على الأمصار سنة١٦٦هـ أنه: «كان على البصرة رَوْح بن حاتم المهلّبيّ، وعلى خراسان وسجستان الفضل بن سليمان الطوسيّ. وعلى طبرستان والرّويان وجُرجان يحيى الحرشي»[٢].

ثم ذكر الطبري في أسماء الولاة سنة١٦٧هـ أنه: «كان على اليمن سليمان بن يزيد الحارثي.. وعلى الكوفة رَوْح بن حاتم. وعلى خراسان وسجستان الفضل بن سليمان الطوسيّ. وعلى مصر موسى بن مصعب ـ الخثعمي ـ. وعلى أفريقيا يزيد بن حاتم»[٢]. وكذلك في سنة١٦٨ وسنة١٦٩هـ وفيها مات الخليفة المهدي بن المنصور ـ في شهر محرم ١٦٩هـ ـ وتولّى الخلافة موسى الهادي بن المهدي بن المنصور.

واستمر الفضل بن سليمان والياً لخراسان وسجستان في خلافة الهادي (١٦٩

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ١٢١ جـ ٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٨ وص ٥١ جـ ١٠.

ـ ١٧٠هـ) ثم مات الهادي وتولّى الخلافة هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور ـ في منتصف ربيع الأول سنة١٧٠هـ ـ ومكث الفضل بن سليمان والياً لخراسان إلى نهاية سنة١٧٠هـ وأوائل سنة١٧١هـ.

قال الطبري: «ثم دخلت سنة١٧١هـ فمِمّا كان فيها قدوم أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسيّ مدينة السلام منصرفاً عن خراسان، وكان خاتم الخلافة حين قَدِم مع جعفر بن محمد بن الأشعث فَلَمّا قَدِم أبو العباس الطوسي أخذه الرشيد منه فدفعه إلى أبي العباس»(١).

وبذلك انتهت ولاية أبي العباس الفضل بن سليمان لخراسان وولّى الرشيد مكانه جعفر بن محمد بن الأشعث بينما بات أبو العباس الفضل بن سليمان وزيراً لديوان خاتم هارون الرشيد بمدينة السلام ـ بغداد ـ حتى وفاته بها حوالي سنة١٧٢هـ الموافق ٧٨٨م.

٥ ـ جعفر بن محمد بن الأشعث.. والي خُراسان (١٧١ ـ ١٧٣هـ)

هو خامس الولاة اليمانيين لخراسان وآسيا الوسطى في العصر العباسي، الأمير جعفر بن محمد بن الأشعث بن عُقبة الخزاعيّ. كان أبوه ـ الأمير محمد بن الأشعث ـ والياً لأفريقيا الشمالية سنة١٤١ ـ ١٤٨هـ ومات وهو سائر للجهاد في أرض الروم ـ بتركيا ـ سنة١٥٩هـ. وكان أخوه الأمير نصر بن محمد بن الأشعث والياً لفلسطين ثم والياً لبلاد السند (سنة١٦١ ـ ١٦٤هـ) في خلافة المهدي بن المنصور، ومات الأمير نصر بالسند وهو والٍ عليها سنة١٦٤هـ. أما جعفر بن محمد بن الأشعث فكان صاحب ديوان خاتم الخليفة بمدينة السلام ـ بغداد ـ وهو منصب (وزير الخليفة) ثم ولّى الخليفة هارون الرشيد الفضل بن سليمان الطوسي الطائي ديوان خاتم الخليفة وولّى جعفر بن محمد بن الأشعث خراسان في أوائل سنة١٧١هـ، فانطلق جعفر إلى خراسان ومعه ابنه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث.

قال ابن الأثير: «في سنة١٧١هـ قَدِم أبو العباس الفضل بن سليمان الطوسي من خُراسان واستعمل الرشيد عليها جعفر بن محمد بن الأشعث، فَلَمّا قَدِم خُراسان سيّر ابنه العباس إلى كابُل فقاتل أهلها حتى افتتحها ثم افتتح سانهار وغنم ما كان بها»(٢).

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٨ وص ٥١ جـ ١٠.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٨٥ جـ ٥.

ومكث جعفر بن محمد بن الأشعث والياً لخراسان، وكانت ولاية خراسان تشمل بالتسميات الحالية: أفغانستان، وتاجيكستان، وأوزبكستان، وتركمانستان، وإقليم خراسان ونيسابور في شمال إيران. فمكث الأمير جعفر والياً لبلاد خراسان سنة١٧١ وسنة١٧٢هـ حتى سنة١٧٣هـ.

قال الطبري: «وفي سنة١٧٣هـ أقدم الرشيدُ جعفر بن محمد بن الأشعث من خراسان وولّاها ابنه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث»[(١)].

فعاد الأمير جعفر إلى هارون الرشيد بالعراق ولم يزل من كبار رجال الدولة والقادة حتى وفاته بها حوالي سنة١٨٠هـ.

٦ ـ العباس بن جعفر الخُزاعيّ.. والي خُراسان (١٧٣ ـ ١٧٥هـ)

هو الأمير اليمانيّ العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعيّ، سادس الولاة العرب اليمانيين لبلاد خراسان وآسيا الوسطى في العصر العباسي.

دخل العباس بن جعفر خراسان مع أبيه ـ الأمير جعفر بن محمد بن الأشعث ـ سنة١٧١هـ، وولّاه أبوه قيادة محور بلخ ـ كابول، وكان يحكم كابول وجهاتها ملك يُقال له رتبيل فغزا العباس بن جعفر كابُل فقاتل ملكها وقومه المشركين حتى افتتحها وأذعن ملكها وقومه للطاعة وأداء الجزية، ثم افتتح العباس سانهار وغنم ما كان بها.

وفي سنة١٧٣هـ ولّى الخليفة هارون الرشيد العباس بن جعفر على خراسان فمكث والياً عليها سنة١٧٣هـ ثم سنة١٧٤هـ إلى أواسط سنة١٧٥هـ.

قال الطبري: «وفي سنة١٧٥هـ عزل الرشيد عن خُراسان العباس بن جعفر وولّاها خاله الغطريف بن عطاء». [ص٥٣/ ١٠].

فعاد العباس بن جعفر إلى العراق وكان من كبار القادة فيها، ووجّهه الرشيد مع ابنه القاسم بن الرشيد لغزو أرض الروم سنة١٨٧هـ. قال الطبري: «دخل القاسم بن الرشيد أرض الروم في شعبان ١٨٧هـ فأناخ على قرّة وحاصرها ووجّه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث فأناخ على حصن سنان حتى جهدوا فبعثت إليه الروم تبذل له ثلاثمائة وعشرين رجلاً من أسارى المسلمين على أن يرحل عنهم، فأجابهم إلى ذلك. ورحل ـ القاسم والعباس ـ عن قرّة وحصن سنان صلحاً». [ص٩١/ ١٠].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ص ٥٢ جـ ١٠.

وفي سنة١٩٠هـ غزا الخليفة هارون الرشيد أرض الروم فافتتح وأخرب قلعة هرقلة: «وسار الرشيد إلى الطُّوَافَة فعسكر بها ثم خَلَف عليها عُقبة بن جعفر بن محمد بن الأشعث وأمره ببناء منازل هنالك». [ص٩٩/ ١٠].

وفي صفر سنة١٩٣هـ وجّه الرشيدُ ابنه المأمون إلى خُراسان والياً عليها ومعه كوكبة من الأمراء القادة بينهم العباس بن جعفر. قال الطبري: «وجّه الرشيدُ ابنه المأمون ـ قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة ـ إلى مرو ومعه عبد اللّه بن مالك ويحيى بن معاذ وأسد بن يزيد والعباس بن جعفر بن محمد الأشعث والسنديّ بن الحرشيّ». [ص١١٠/ ١٠].

وذكر ابن الأثير في أسماء الولاة بخراسان أنه: «كان على الخراج ـ بخراسان ـ العباس بن جعفر، عاملاً للمأمون بها». [ص١٣١/ ٥ ـ الكامل]. فيكون ذلك في ولاية المأمون لخراسان وخلافة الأمين بن الرشيد، ثم في خلافة المأمون لأنه مكث بخراسان إلى سنة٢٠٢هـ. وربما مات العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث بعد سنة٢٠٣هـ وقد ذكر ابن الأثير أنه: «في سنة٢٥٢هـ كان الوالي على الموصل عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعيّ». وكان عقبة هذا آخر الولاة من آل محمد بن الأشعث الخزاعي.

٧ ـ الغِطْرِيف بن عطاء الجُرشيّ (١٧٥ ـ ١٧٦هـ):

هو الأمير اليماني الغطريف بن عطاء الجُرشيّ الأزدي، مِن بني أسامة الأزديين بمنطقة السراة بأعالي اليمن، وهو خال هارون الرشيد. وكان الغطريف والياً لليمن سنة١٧٠هـ١٧٤هـ. ثم ولّاهُ الرشيد على خراسان سنة١٧٥هـ حيث قال الطبري: «في سنة١٧٥هـ عزل الرشيد عن خراسان العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث وولّاها خاله الغطريف بن عطاء». [ص٥٣/ ١٠].

وقال ابن خلدون: «في سنة١٧٥هـ ولّى الرشيد خاله الغِطْرِيف على خُراسان وجُرجان وسجستان، فقَدَّم الغطريف خاله داود بن يزيد، وبعث عثمان بن عمارة عاملاً على سجستان. وفي أيامه خرج حصين الخارجي مولى قيس بن ثعلبة ـ بسجستان ـ وبعث عثمان بن عمارة الجيوش إليه فهزمهم حصين وسار إلى باذغيس وبوشنج وهراة فبعث إليه الغطريف اثني عشر ألفاً من الجند فهزموهم». [ص٥٣٦].

ومكث الغطريف والياً لخراسان وسجستان إلى أن أعفاه الرشيد من ولايتها سنة١٧٦هـ فعاد إلى الرشيد ولم يزل من أعلام شخصيات الدولة حتى وفاته حوالي سنة١٨٠هـ.

* * *

٨ ـ حَمْزَة بن مالك الخزاعيّ أمير خُراسان (١٧٦ ـ ١٧٧هـ):

هو ثامن الولاة اليمانيين لخراسان، الأمير حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعيّ. كان حمزة بن مالك والياً لسجستان سنة١٥٩هـ حيث ذكر الطبري أنه: «في سنة١٥٩هـ وُلّي حمزة بن مالك سجستان». [ص٣٢٦/ ٩] ـ فمكث حمزة والياً لسجستان وكان أخوه نصر بن مالك بن الهيثم قائداً لشرطة الخليفة المهدي بن المنصور. قال ابن الأثير: «وفي سنة١٦١هـ توفي نصر بن مالك من فالج أصابه، وولّى المهدي بعده على شرطته حمزة بن مالك» [٦١/ ٥].

ثم أصبح حمزة والياً لخراسان في خلافة الرشيد سنة١٧٦ ـ ١٧٧هـ حيث ذكر الطبري أنه: «في سنة١٧٦هـ عزل الرشيد الغطريف بن عطاء عن خراسان وولّاها حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعيّ، وكان حمزة بن مالك يُلقب بالعروس». [ص٦٠/ ١٠].

ومكث حمزة والياً لخراسان إلى أن أعفاه الرشيد من ولايتها في أواخر سنة١٧٧هـ، فانصرف من خراسان. قال الطبري: «وفي سنة١٨١هـ توفي الحسن بن قحطبة وحمزة بن مالك». [ص٦٩/ ١٠].

وكانت وفاتهما سنة١٨١هـ الموافق ٧٩٧ ميلادية.

* * *

٩ ـ منصور بن يزيد الحمْيري أمير خُراسان (١٧٩ ـ ١٨٠هـ):

هو الأمير اليمانيّ منصور بن يزيد بن منصور الحِمْيَريّ. كان منصور والياً لليمن في خلافة المهديّ سنة١٦٤ ـ ١٦٦هـ. ولَمَّا انتهت ولايته لليمن سار إلى العراق وكان من مستشاري الخليفة المهدي حتى وفاة المهدي سنة١٦٩هـ. ولم يزل منصور من رجال الدولة إلى أن ولّاه الخليفة هارون الرشيد بن المهدي خُراسان سنة١٧٨هـ أو سنة١٧٩هـ.

قال الطبري: «ثم دخلت سنة١٧٩هـ وفيها ولّى الرشيد على خُراسان منصور بن يزيد بن منصور الحميري». [ص٦٥/ ١٠].

فسار منصور إلى خراسان وتولّى حكمها سنة١٧٩هـ. وهو تاسع الولاة اليمانيين لخراسان، وانتهت ولايته بتولية محمد بن الحسن بن قحطبة سنة١٨٠هـ. فعاد منصور إلى البصرة ومات بها بعد سنة١٨٢هـ.

* * *

١٠ ـ محمد بن الحسن بن قحطبة أمير خُراسان وسجستان (١٨٠ ـ ١٨١هـ)

هو الأمير محمد بن الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائي. كان عمه الأمير حميد بن قحطبة والياً لخراسان سنة١٥١ ـ ١٥٩هـ بينما كان أبوه الأمير الحسن بن قحطبة والياً لأرمينية إلى سنة١٦٧هـ في خلافة المنصور ثم المهديّ بن المنصور ثم اعتزل الحسن بن قحطبة الولاية لأنه بلغ من الكبر عتياً.

وفي سنة١٨٠هـ ـ كما ذكر الطبري ـ «ولّى محمد بن الحسن بن قحطبة خراسان وسجستان». [ص٦٨/ ١٠]. وذلك بعد منصور بن يزيد الحميري، فكان محمد بن الحسن عاشر الولاة اليمانيين لخراسان في العصر العباسي ومكث والياً عليها سنة١٨٠ وسنة١٨١هـ.

قال الطبري: «ثم دخلت سنة١٨٢هـ فكان فيها بيعة الرشيد لابنه عبد اللّه المأمون بعد إبنه محمد الأمين وأخذ البيعة له بذلك، وولّاه أبوه خُراسان وما يتصل بها إلى هَمَذَان وسمّاه المأمون». [ص٦٩/ ١٠].

وبذلك أصبح المأمون والياً لخُراسان وآسيا الوسطى وشمال إيران منذ سنة١٨٢هـ. وبات عُمال خُراسان نواباً للمأمون يرتبطون به وليس بالخليفة الرشيد، فقد تولّى خراسان عليّ بن عيسى بن ماهان كعامل للمأمون (١٨٢ ـ ١٩١هـ) ثم ولّيها هرثمة بن أعين الحضرمي (١٩١ ـ ١٩٣هـ) ثم سار المأمون إلى خراسان وتولّاها بنفسه ـ منذ شهر صفر سنة١٩٣هـ ـ ومكث المأمون بخراسان والياً عليها وعلى ما يتصل بها في خلافة أخيه الأمين بن الرشيد واندلع الصراع على الخلافة بينه وبين الأمين سنة١٩٥هـ فبويع المأمون بالخلافة في خراسان وإقليم الرّيّ ـ في شعبان ١٩٥هـ ـ ولم يزل المأمون مقيماً بخراسان حتى بعد أيلولة الخلافة إليه فاستمرت خراسان تحت حكمه المباشر إلى أن أَقْبَلَ منها إلى العراق سنة٢٠٣هـ ودخل بغداد واستقر بها في صفر سنة٢٠٤هـ. ثم ولّى على خراسان طاهر بن الحسين الخزاعيّ.

١١ ـ طاهر بن الحسين الخزاعيّ.. والي خُراسان والمشارق (٢٠٥ ـ ٢٠٧هـ)

هو ذو اليمينين طاهر بن الحسين بن مُصْعب الخُزاعيّ. كان أبوه الحسين بن مُصعب عاملاً لإقليم بوشنج وباذغيس بخراسان، فوُلد طاهر بن الحسين في بوشنج سنة١٥٩هـ ثم أصبح عاملاً لبوشنج وباذغيس منذ حوالي سنة١٨٠هـ ثم صار من كبار عمال وقوّاد المأمون بن الرشيد بخراسان وما وراء النهر إلى أن ولّاه المأمون إقليم الرّيّ سنة١٩٤ ـ ١٩٥هـ. وقد زعم بعض من يجهل نسبه وبعض ذوي

الأهواء بأنه مولى خُزاعة يطعنون بذلك في نسبه أو يوهمون بأنه ليس في الأصل من العرب. والصحيح أنه عربيٌ يمانيٌ قحطانيٌ من أرفع بيوت قبيلة خُزاعة اليمانية اليعربية القحطانية، وإنما كان أبوه عاملاً بخُراسان ولذلك وُلد ونشأ وعاش طاهر بن الحسين في خُراسان. ويدل على ذلك نسبه العريق فهو (طاهر بن الحسين بن مُصعب بن رُزيق بن أسعد بن عامر بن بياضة الخزاعيّ اليمانيّ القحطاني) وله قال عبد اللَّه بن محمد بن أبي عُيينة بن المهلَّب الأزدي:

أَحَلَّكَ اللَّهُ من قَحْطان منزلةً   في الرأسِ حيثُ أحلَّ السَمْعَ والبَصَرا

وهذا الشعر شاهد لا تخطىء دلالته في تأكيد نسبه العربي اليماني القحطاني العريق.

وكان طاهر بن الحسين أمير جيش المأمون في محاربة الأمين، وسمّاه المأمون (ذا اليمينين) وولّاه على العراق ومشارقها سنة١٩٦ ـ ١٩٨هـ. وله قال الشاعر عمرو الورّاق:

يا طاهرَ الظّهرِ الذي   مثالُهُ لم يُوجدِ
يا سيدَ ابنَ السيدِ ابنَ   السيدِ ابنِ السيدِ

ثم ولّاه المأمون الجزيرة الفراتية سنة١٩٩ ـ ٢٠٣هـ فَلَمَّا عاد المأمون من خراسان إلى العراق كتب إلى طاهر بن الحسين فوافاه طاهر إلى النهروان ودخل المأمون بغداد ومعه طاهر بن الحسين في صفر سنة٢٠٤هـ. قال الطبري: «وولّى المأمون طاهر بن الحسين الجزيرة والشُرَط وجانبيْ بغداد ومعاون السّواد». [ص٢٥٥/ ١٠]ـ ثم جمع له المأمون ولاية مشارق العراق وخُراسان.

قال الحافظ ابن كثير في كتاب البداية والنهاية: «ثم دخلت سنة٢٠٥هـ وفيها ولّى المأمون طاهر بن الحسين نيابة بغداد والعراق وخراسان إلى منتهى عمل المشرق، ورضي عنه ورفع منزلته جداً». [ص٢٥٥/ ١٠].

ومكث طاهر بالعراق وكان نائبه بخراسان غسان بن عباد (٢٠٤ ـ ٢٠٥هـ) ثم ـ كما ذكر الطبري ـ «عَقَدَ المأمون لطاهر بن الحسين على خُراسان والجبل من حُلوان إلى خُراسان، وكان المأمون ولّى على خراسان غسان بن عباد حتى بلغه خروج عبد الرحمن النيسابوري المطوّعي بنيسابور فأشخَصَ طاهر بن الحسين إلى خراسان.. وكان شخوصه من بغداد يوم الجمعة لليلة بقيت من ذي القعدة سنة٢٠٥هـ». [ص٢٥٧/ ١٠].

وأصلح طاهر بن الحسين أمور خراسان وآسيا الوسطى وتولّى حكمها إلى أن

توفي بخراسان يوم الجمعة لخمس بقين من جمادى الأولى سنة٢٠٧هـ الموافق ٨١٢ ميلادية.

١٢ ـ طَلْحة بن طاهر الخزاعيّ.. والي خُراسان (٢٠٧ ـ ٢١٣هـ):

هو الثاني عشر من الولاة اليمانيين لخراسان وآسيا الوسطى في العصر العباسي، الأمير طلحة بن طاهر بن الحسين بن مُصْعب بن رُزيق بن أسعد بن عامر بن بياضة الخزاعيّ. جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي:

«طلحة بن طاهر بن الحسين الخزاعي: أمير خراسان، وابن أميرها. ولّاه عليها المأمون العباسي بعد وفاة أبيه طاهر سنة٢٠٧هـ فاستمر فيها إلى أن توفي سنة٢١٣». [ص٢٨٥].

وقد وُلّي طلحة بن طاهر خُراسان بعد وفاة أبيه في ٢٥ جمادى الأولى سنة٢٠٧هـ. فَلَمَّا وصل نبأ وفاة طاهر إلى المأمون كتب إلى طلحة بولايته على خراسان وما كان إلى أبيه من البلاد. قال الطبري: «وأقام طلحة والياً على خراسان في أيام المأمون سبع سنين بعد موت طاهر». [ص٢٦٥/ ١٠].

وكان من أنباء عهد طلحة بن طاهر أنه: «وجّه طلحة أحمد بن أبي خالد إلى ما وراء النهر، فافتتح أشروسنة. وأسر كاوسَ بن خاراخره وابنه فضل، وبعث بهما طلحة إلى المأمون، ووهب طلحةُ لابن أبي خالد ثلاثة الآف ألف درهم وعروضاً بألفيْ ألف، ووهب لكاتبه إبراهيم بن عباس خمسمائة ألف درهم».

وكانت سلطة الأمير طلحة بن طاهر تمتد إلى فرغانة وأشروسنة في منتهى شرق بلاد ما وراء النهر المتاخمة للصين، وإلى كرمان المتاخمة لبلاد السند، وكان الوالي على بلاد السند الأمير بِشْر بن داود بن يزيد بن حاتم المهلَّبيّ (٢٠٥ ـ ٢١٣هـ).

وبينما كان طلحة بن طاهر والياً لخراسان وآسيا الوسطى كان أخوه الأمير عبد اللّه بن طاهر والياً للجزيرة الفراتية والثغور المتاخمة لأرضْ الروم وبلاد الشام جميعها. وفي سنة٢١٠هـ توجّه عبد اللّه بن طاهر من الجزيرة الفراتية قاصداً مصر فَلَمَّا صار بحمص لقاه البَطين الشاعر الحمصي فقال لعبد اللّه بن طاهر:

مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً ... بابن ذي الجودِ طاهر ابن الحُسينِ
.. ما يُبالي المأمونُ أيّدهُ اللّه ... إذا كُنتُما له باقيَينِ
أنتَ غَرْبٌ وذَاكَ شرقٌ مقيماً ... أيّ فتىً أتى منَ الجانبَيْنِ

[يعني بقوله: وذاكَ شرقٌ مقيماً طلحة بن طاهر]:

وحقيقٌ إذْ كُنتُما في قديمٍ لِزُرَيقٍ ومُصعبٍ وحُسينِ
أن تنالا ما نلتُماهُ من المجدِ وأن تعلُوَا على الثَّقلينِ

ومكث عبد اللَّه بن طاهر بمصر والياً لمصر والشام سنة ١١٠ وسنة ١١١هـ وأخوه طلحة والياً لخراسان وآسيا الوسطى ثم عاد عبد اللَّه من مصر إلى بغداد وبينما هو في الدينور مات أخوه طلحة بن طاهر أمير خُراسان، وذلك سنة ٢١٣هـ الموافق ٨٢٨م، فولَّى المأمونُ الأمير عبد اللَّه بن طاهر على خُراسان.

١٣ ـ عبد اللَّه بن طاهر الخزاعيّ.. والي خُراسان وآسيا الوسطى (٢١٣ ـ ٢٣٠هـ)

هو الأمير العربيّ اليمانيّ الكبير عبد اللَّه بن طاهر بن الحسين بن مُصعب الخزاعيّ. قال عنه الحافظ الذهبي في دول الإسلام: «كان عبد اللَّه بن طاهر من كبار الملوك» وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: «كان عبد اللَّه بن طاهر كريماً جواداً.. ولَمّا ولّاه المأمون نيابة الشام ومصر صار إليها وقد رُسم له بما في ديار مصر من الحواصل، فحُمل إليه وهو في الطريق ثلاثة آلاف ألف دينار ففرّقها كلها في مجلس واحد». [ص ٣٠٢/ ١٠] وقال ابن الأثير في كتاب الكامل: «كان عبد اللَّه بن طاهر أديباً شاعراً، وكان من أكثر الناس بذلاً للمال مع علم ومعرفة وتجربة» [ص ٢٧١/ ٥].

وقد استوفينا أخبار عبد اللَّه بن طاهر منذ مولده سنة ١٨٢هـ إلى عهد ولايته للجزيرة الفراتية والشام ومصر (٢٠٦ ـ ٢١٢هـ) في المبحث الخاص بعهد ولايته للجزيرة والشام ومصر، وأن المعتصم بن الرشيد والعباس بن المأمون بن الرشيد سعيا إلى أن يوليهما المأمون مكانه. فأبدى عبد اللَّه بن طاهر عدم الحرص على البقاء والياً للشام ومصر فكتب إليه المأمون بالقدوم إليه. وأنه ـ كما ذكر الطبري ـ «قَدِم عبد اللَّه بن طاهر مدينة السلام فتلقاه العباس بن المأمون والمعتصم بن الرشيد وسائر الناس.. ثم دخلت سنة ٢١٣هـ وفيها ولَّى المأمون أخاه المعتصم الشام ومصر، وولَّى ابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور، وأمر لكل واحد منهما ولعبد اللَّه بن طاهر بخمسمائة ألف دينار» [٢٧٩/ ١٠].

وفي سنة ٢١٣هـ كان عبد اللَّه بن طاهر أميراً قائداً بمنطقة الدِّيْنَوَر ـ في غرب إيران ومشارق العراق ـ وكان يبعث منها الإمدادات إلى محمد بن حميد الطوسيّ الطائي أمير الموصل وأذربيجان لمحاربة بابك الخُرَّمي. وبينما هو بالدينور مات

أخوه طلحة بن طاهر أمير خُراسان. قال الطبري: «في سنة٢١٣هـ مات طلحة بن طاهر بخراسان.. وولّى المأمون عبد اللّه بن طاهر خُراسان وكان يتولّى حرب بابك الخرّمي فأقام بالدينور ووجه الجيوش، ووردت وفاة طلحة بن طاهر على المأمون فبعث إلى عبد اللّه بن طاهر القاضي يحيى بن أكثم يعزّيه في أخيه ويهنئه بولاية خراسان». وقال ابن الأثير: «لَمَّا مات طلحة بن طاهر وُلِّي خراسان عليّ بن طاهر خليفة لأخيه عبد اللّه. وكان عبد اللّه بالدينور يجهز العساكر إلى بابك الخرّميّ». [ص ٢١٩/ ٥].

ومكث عبد اللّه بن طاهر بالدَّيْنَوَر إلى سنة٢١٤هـ وكان أخوه عليّ بن طاهر نائباً له بخراسان. ثم «إن الخوارج بخُراسان أوقعوا بأهل قرية الحمراء وأكثروا فيهم القتل، وبلغ ذلك المأمون» وعندئذٍ وقع ما ذكره الطبري أنه «في سنة٢١٤هـ بعث المأمون إلى عبد اللّه بن طاهر ـ بالدَّينَوَر ـ إسحاق بن إبراهيم (الخزاعي صاحب الشرطة) ويحيى بن أكثم (القاضي) يُخيّرانه بين ولاية خُراسان والجبال وبين أرمينية وأذربيجان ومحاربة بابك، فاختار خُراسان وشَخَصَ إليها».

وسار الأمير عبد اللّه بن طاهر من الدَّينَوَر إلى مدينة الرَّي ـ في ربيع الثاني ٢١٤هـ ـ فأقام أياماً في قصر الإمارة بالرّي، ويبدو أن اسمه (شاذَمَهْر). قال أبو العباس المبرد في كتاب الكامل في اللغة والأدب:

«أنْشَدَني الأمراءُ لشاعر من أهل الرَّيِّ يكنى أبا يزيد شعراً يقوله لعبد اللّه بن طاهر أحسَنَ فيه وأصَابَ الفَصّ، وقصَدَ بالمدح إلى مَعْدَنِه، واختاره لأهله ـ والشعر هو ـ:

إشْرَبْ هَنيّاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً ... في شاذَمَهْرَ ودَعْ غُمْدانَ لليمَنِ

فأنتَ أوْلى بتاج المُلْكِ تَلبَسُهُ ... مِن هَوْذَةَ بن عليٍّ، وابن ذي يَزَنِ

.. وإنما ذكر ابن ذي يزنِ لقول أُميّة بن أبي الصَلْتِ الثَقَفِيِّ حيث يقول:

إشْرَبْ هَنياً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً ... في رأس غُمْدانَ داراً منكَ مِحْلالا»

[ص ٢٤٨/ ٢]

وأما هوذة بن علي الحنفي فلم يكن متوجاً وإنما كان قومه يضعون على رأسه خزارات حين مَلّكوه على عشيرته بالجاهلية.

وهذا الشعر الذي قاله أبو يزيد في الأمير عبد اللّه بن طاهر فيه تلميح إلى تولية العباس بن المأمون الجزيرة الفراتية وتولية المعتصم بن الرشيد مصر والشام مكان عبد اللّه بن طاهر، فرَمَز إليهما الشاعر بهوذة بن عليّ وسيف بن ذي يزن،

ورمَزَ إلى ولاية مصر بقصر غُمدان، ويعني ـ فيما نرى ـ أن ولاية الرَّيّ وأقاليم شمال إيران وبلاد خُراسان أعظم من مصر والشام. بل إن حكم الرَّيّ وبلاد خُراسان هو المُلْك الأعظم، لأن عبد اللّه بن طاهر أصبح والياً ـ ملكاً ـ لبلاد خُراسان بأقاليمها التي كانت تشمل آنذاك ست دول بالتسميات الحالية وهي جمهوريات تركمنستان، وأوزبكستان وأفغانستان، وتاجيكستان، وقرغيزيا، وكازاخستان. وكذلك إقليم نيسابور الخُراساني بشمال إيران، وأضاف المأمون إلى عبد اللّه بن طاهر أيضاً أقاليم الجبل وطبرستان والرَّيّ وكرمان، وهي أغلب أقاليم إيران. ولذلك كان وأصبح عبد اللّه بن طاهر من كبار الملوك.

وقد مضى موكب الأمير عبد اللّه بن طاهر من مدينة الرَّي وقصر (شاذَمَهْرَ) إلى مدينة نيسابور الخُراسانية، قال ابن الأثير: «لَمَّا قَدِم عبد اللّه بن طاهر نيسابور كان أهلها قد قحطوا، فمطروا قبل وصوله إليها بيوم واحد ـ[أو بساعة واحدة] ـ فَلَمَّا دخلها قام إليه رجل بزاز فقال:

قد قَحَطَ الناسُ في زمانهم ... حتى إذا جئت جئتَ بالدُرر

غيثان في ساعة لنا قَدِما ... فمرحباً بالأمير والمطرِ

فقال له عبد اللّه بن طاهر: أشاعِرٌ أنت؟ قال: لا، ولكني سمعتها بالرَّقة فحفظتها. فأحسن إليه وجعل إليه أن لا يُشترى له ثياب إلا بأمره» [ص ٢١٨/ ٥].

ومضى عبد اللّه بن طاهر من نيسابور إلى مدينة مرو عاصمة خراسان فاستقر بدار الإمارة، وولَّى عُماله على أقاليم خراسان وما وراء النهر إلى فرغانة وأشروسنة والشاش. قال البلاذري في فتوح البلدان:

«وأغزى عبد اللّه بن طاهر ابنه طاهر بن عبد اللّه بلاد الغوزية، ففتح مواضع لم يصل إليها أحد قبله» [ص ٤٢٠]. ـ وانتشر الإسلام إلى تلك الآفاق الممتدة إلى أعالي الصين وإلى منتهى بلاد ما وراء النهر شمالاً.

وكان عبد اللّه بن طاهر عادلاً في سيرته حازماً مع عماله. قال ابن الأثير: «لَمَّا وُلّي عبد اللّه بن طاهر خُراسان استناب بنيسابور محمد بن حُميد الطاهري فبنى داراً وخرج بحائطها في الطريق، فَلَمَّا قَدِمها عبد اللّه بن طاهر جمع الناس وسألهم عن سيرة محمد فسكتوا، فقال أحد الحاضرين: سكوتهم يدل على سوء سيرته، فعزله عنهم وأمره بهدم ما بنى في الطريق».

ولعبد اللّه بن طاهر أخبار كثيرة مع الأدباء والشعراء في عهد ولايته لخراسان وآسيا الوسطى التي دامت ٢٣ سنة فقد مكث عبد اللّه بن طاهر والياً حتى وفاة

المأمون سنة٢١٨هـ ثم طيلة خلافة المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ) ثم في خلافة الواثق بن المعتصم إلى سنة٢٣٠هـ. وكان الشاعر أبو تمام الطائي كثير الوفادة إلى الأمير عبد اللّه بن طاهر. قال الحافظ ابن كثير: «وقد كان أبو تمام يمدحه.. وصنَّف له كتاب الحماسة». (اهـ) فكتاب ديوان الحماسة لأبي تمام صنفه للأمير عبد اللّه بن طاهر الخزاعيّ. وقد ذكر الأصفهاني في كتاب الأغاني من روائع شعر أبي تمام في عبد اللّه بن طاهر قوله:

«تقولُ في قومس صحبي وقد أخذت ... منا السرى وخطيّ المهرة القُودِ
أمطلع الشمس تبغيْ أن تؤم بنا؟ ... فقلتُ كلا ولكن مطلع الجُودِ»

[١٥/٩٩]

وذكر الأصفهاني عن محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ قال: عمل جدي كتاباً في الأغاني وأهداه إلى عبد اللّه بن طاهر» [٦/١٦].

قال ابن الأثير: «وكان عبد اللّه بن طاهر أديباً شاعراً.. وكان يقول: ينبغي أن يُبذل العلم لأهله وغير أهله فإن العلم أمنع لنفسه من أن يصير إلى غير أهله. وكان يقول: سُمن الكيس ونُبل الذكر لا يجتمعان» (اهـ).

وذكر أبو علي القالي في كتاب الأمالي من شعر عبد اللّه بن طاهر قوله:

يَزيدُنِيَ البُعْدُ شوقاً إليكِ ... وطُولُ صُدودك حِرصاً عليكِ
ولو كنت أمْلِك ما تَمْلِكين ... من الصبر ما طال شوقي إليكِ

وقال عبد اللّه بن طاهر:

ألا مَنْ لِقَلْبٍ مُسْلَم للنّوائب ... أطافت به الأحزانُ من كل جانب
يُخَبِّر يوم البَيْن أنَّ اعتزامه ... على الصَّبْر من إحدى الظّنُون الكواذبِ

وكتب أبو السمراء إلى عبد اللّه بن طاهر يخبره بخبر جارية شاعرة، فكتب إليه عبد اللّه بن طاهر: أن ألْق عليها هذا البيت فإن أجابت فاشْتَرِها ولو بخَرَاج خُراسان؛ والبيت:

بَعِيد وَصْلٍ قَريب صَدٍّ ... جَعَلْتُه منه لي مَلَاذا

فألقاه أبو السمراء عليها فقالت في سرعة:

وعاتَبُوه فَذَاب عشْقَا ... ومات وَجْداً فكان ماذا

فاشتراها بألف دينار وحَمَلها إليه فماتت في الطريق قبل أن تصِل إليه.

وجاء في كتاب الأمالي: «قال ابن مُحَلِّم: كنتُ آتي عبد اللّه بن طاهر في كل

سنة وكانت صِلَتي عنده خمسة آلاف درهم، فأتيته آخر ما أتيته فشكوت إليه ضعفي ثم أنشدته:

أفـي كـلِّ عـام غُـربَـةٌ ونُـزُوح ... أمـا لـلـنَّـوى مِـنْ ونْـيَـةٍ فـتُـرِيـحُ
لقد طَلَّح البَيْنُ المُشِتُّ ركائبي ... فـهـل أرَيَـنَّ الـبـيـن وهـو طَـلِـيـح
وأرَّقَـنـي بـالـرَّيِّ نَـوْحُ حـمـامـة ... فَنُحْتُ وذو الشَّجْو الحزينُ ينوح
عـلـى أنـهـا نـاحـت ولـم تُـذْر دَمْـعـةً ... ونُـحْـتُ وأسـراب الـدمـوع سُـفُـوح
وناحت وفَرْخَاها بحيث تراهما ... ومِـنْ دُون أفـراخـي مَـهَـامِـهُ فِـيـح
عسى جودُ عبد اللّه أن يَعْكِس النَّوَى ... فتُضْحِي عصا التَّسْيار وهي طَرِيح
فإن الغِنَى مُدْنِي الفَتَى من صديقه ... وعُـدْم الـفـتـى بـالـمُـقْـتِـريـن نَـزُوح

فتوجَّع له عبد اللّه وقال: صِلَتُك عشرةُ آلاف درهم في كل سنة ولا تَتْعبَنَّ إلينا فإنها توافيك في منزلك إن شاء اللّه. ففعل» [ص ١٣٠/١].

وجاء في كتاب الأمالي: «إن عوف بن مُحَلِّم الخُزاعي دخل على عبد اللّه بن طاهر، فسَلَّم عليه عبد اللّه فلم يسمع، فأُعلِم بذلك، فقال ـ ارتجالاً ـ:

يـا ابْـنَ الـذي دان لـه الـمـشـرقـان ... طُـرّاً وقـد دان لـه الـمـغـربـان
إنَّ الـثـمـانـيـن وبُـلِّـغْـتَـهـا ... قد أحْوَجَتْ سَمْعي إلى تَرْجُمان

إلى آخر الأبيات ـ [ص ٥٠/١ ـ الأمالي].

ومن أنباء الأمير عبد اللّه بن طاهر في خلافة المعتصم بن هارون الرشيد (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ) ذكر ابن الأثير في كتاب الكامل أنه: في سنة٢١٩هـ ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان يدعو إلى الرضا من آل محمد. وكان يأتيه النفر بعد النفر يبايعونه ففعل ذلك مدة، فَلَمَّا رأى كثرة من بايعه أظهر أمره بالطالقان، وكانت بينه وبين قوّاد عبد اللّه بن طاهر وقعات بناحية الطالقان وجبالها فانهزم هو وأصحابه وخرج هارباً فَلَمَّا صار بنَسَا أخذه عامل نَسَا وبعث به إلى عبد اللّه بن طاهر فسيّره إلى المعتصم فورد إليه في منتصف ربيع الأول فحبسه عند مسرور الخادم فَلَمَّا كان ليلة عيد الفطر اشتغل الناس بالعيد، فهرب من الحبس ولم يعرف له خبر.

وذكر البلاذري في فتوح البلدان: إن كاوس ملك أشروسنة ـ من بلاد ما وراء النهر بخراسان ـ اعتنق الإسلام ووفد إلى المأمون ببغداد فأظهر الإسلام ومَلّكه المأمون على بلاده ثم مَلَك بعده ابنه حيدر وهو الأفشين وكان المأمون ثم المعتصم يكتب إلى عامل خراسان بغزو من لم يكن على الطاعة والإسلام من أهل ما وراء

النهر، ويوجه رسله فيفرضون لمن رغب في الديوان وأراد الفريضة من أهل تلك النواحي وأبناء ملوكهم ويستميلهم بالرغبة فإذا وردوا بابه شرفهم وأسنى صِلاتهم وأرزاقهم حتى غلب الإسلام على ما هنالك، وأغزى عبد اللّه بن طاهر ابنه طاهر بن عبد اللّه بلاد الغوزية ففتح مواضع لم يصل إليها أحد قبله. [ص ٤٢٠] ـ وقد استكثر الخليفة المعتصم اتخاذ القادة والجند والموالي من أهل بلاد ما وراء النهر من السُغد والفراغنة والأشروسنة وأهل الشاش وغيرهم، ويقال لهم (الترك) نسبة إلى أنهم من الجنس التركي اليافثي. وهم من أوزبكستان وتركمنستان وتاجيكستان وقرغيزيا. ولعل (قرغيزيا) أو (قرغيزستان) هي بلاد الغوزية التي فتحها عبد اللّه بن طاهر.

وكان من أبرز القادة الذين اتخذهم المعتصم حيدر الأفشين بن كاوس، ووجّهه المعتصم فهزم بابك الخُرميّ بأذربيجان وأتى به أسيراً إلى المعتصم بسامرا سنة٢٢٣هـ. وكان المعتصم قد بنى مدينة سامرا واتخذها عاصمة له بدلاً عن بغداد. قال ابن الأثير: «فَلَمَّا ظفر الأفشين ببابك وعظم محله عند المعتصم طمع في ولاية خراسان فكتب إلى (مازيار بن قارن بن وندادهر/ مرزبان طبرستان) يستميله ويظهر له المودة ويعلمه أن المعتصم قد وعده ولاية خُراسان ـ وأنه إذا خالف مازيار سيره المعتصم إلى حربه وولّاه خُراسان ـ فحمل ذلك مازيار على الخلاف وترك الطاعة ومنع جبال طبرستان سنة٢٢٤هـ، فكتب المعتصم إلى عبد اللّه بن طاهر يأمره بمحاربته، وكتب الأفشين إلى مازيار يأمره بمحاربة عبد اللّه بن طاهر وأعْلَمَه أنه يكون له عند المعتصم كل ما يحب، ولا يشك الأفشين أن مازيار يقوم في مقابلة عبد اللّه بن طاهر وأن المعتصم يحتاج إلى إنفاذه وإنفاذ عساكر غيره. فَلَمَّا خالف مازيار دعا الناس إلى البيعة فبايعوه كرهاً، ثم أمر قائداً له يقال له سرخستان فأخذ أهل آمل وأهل سارية جميعهم فنقلهم إلى جبل فحبسهم فيه وكانت عدتهم عشرين ألفاً فَلَمَّا فعل ذلك تمكن أمره، وبنى سرخاستان سوراً من طميس إلى البحر مقدار ثلاثة أميال وجعل له خندقاً، ففزع أهل جرجان وخافوا فهرب بعضهم إلى نيسابور، فأنفذ عبد اللّه بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب في جيش كثيف لحفظ جُرجان وأمره أن ينزل على الخندق الذي عمله سرخستان فسار حتى نزله وصار بينه وبين سرخستان الخندق. ووجه أيضاً عبد اللّه بن طاهر حيّان بن جبلة في أربعة آلاف إلى قومس فعسكر على حد جبال شروين» ـ ثم اقتحم أصحاب الحسن بن الحسين بن مصعب خندق ومعسكر سرخستان فهزموهم واستولوا على معسكر سرخستان وأسر أخوه شهريار فقتله الحسن وهرب سرخستان وتبعته خيل الحسن فأسروه وأتوا به الحسن فقتله وبعث

برأسه إلى عبد اللّه بن طاهر. . ثم سار الحسن بجيشه وقد ذكرهم ابن الأثير بلفظ (عسكر العرب) إلى (هرمزاباذ) فأحرق قصر مازيار وأنهب ماله، وسار إلى (خرماباذ) وأخذ أخوة مازيار فحُبسوا هنالك ووكل بهم، وسار إلى مدينة سارية وأخذ مازيار وحبسه وأقام بها. وكتب عبد اللّه بن طاهر إلى الحسن بتسليم مازيار وأهله إلى محمد بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي ليسير بهم إلى المعتصم. . وكان لمازيار ابن عم يقال له قوهيار وعرف الحسن منه بمكاتبة الأفشين لمازيار وكتب قوهيار كتاباً بذلك، فأنفذ الحسن كتاب قوهيار إلى عبد اللّه بن طاهر، فأنفذه عبد اللّه إلى المعتصم. وقيل: إن الحسن سيّر مازيار إلى عبد اللّه بن طاهر، فوعده عبد اللّه بن طاهر إن هو أظهره على كتب الأفشين أن يسأل فيه المعتصم ليصفح عنه، فأقرّ مازيار بذلك وأظهر الكتب عند عبد اللّه بن طاهر فسيّرها إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي ـ وهو صاحب شرطة المعتصم ـ وأمره أن لا يسلمها إلا من يده إلى يد المعتصم ففعل إسحاق ذلك. وسيّر عبد اللّه بن طاهر مازيار إلى المعتصم فسأله المعتصم عن الكتب فأنكرها فضربه حتى مات وصلبه. وقيل: إنه اعترف بالكتب على ما نذكره. ثم قال ابن الأثير: «في سنة١٢٥هـ كان وصول مازيار إلى سامرا فخرج إسحاق بن إبراهيم فأخذه من الدسكرة وأدخله سامرا على بغل، فأمر المعتصم أن يجمع بينه وبين الأفشين وكان الأفشين قد حُبس قبل ذلك بيوم، فأقرّ مازيار أن الأفشين كان يكاتبه ويُحسن له الخلاف والمعصية، فأمر بردّ الأفشين إلى محبسه، وضرب مازيار أربعمائة وخمسين سوطاً وطلب ماء للشرب فسقي فمات من ساعته» [ص ٥/٢٥٩].

وعلى صعيد آخر كان نوح بن أسد بن سامان عامل الأمير عبد اللّه بن طاهر على سمرقند وما وراء النهر، وكان سامان من وجهاء سمرقند وأسلم على يد الأمير أسد بن عبد اللّه القَسْري اليماني أمير خُراسان سنة١١٦ ـ ١٢٠هـ فسمى سامان ابنه (أسد) تيمناً بأسد القسري وكان بنو سامان يوالون اليمانية، فكان نوح بن أسد بن سامان عامل عبد اللّه بن طاهر بسمرقند وما وراء النهر. «وفي سنة١٢٤هـ ـ وبأمر عبد اللّه بن طاهر ـ فتح نوح بن أسد كاسان وأورشت بما وراء النهر وكانتا قد نقضتا الصلح، وافتتح أيضاً أسبيجاب وبنى حوله سوراً يحيط بكروم أهله ومزارعهم».

وكان الأفشين أيام محاربة بابك الخرّمي بأذربيجان وأرمينية لا تأتيه هدية من أهلها إلا وجّه بها إلى أشروسنة فيجتاز ذلك بعبد اللّه بن طاهر، فكتب عبد اللّه إلى المعتصم يخبره بأن الأفشين يوجه بأموال إلى هناك، فكتب إليه المعتصم يأمره بإعلامه بجميع ما يوجه به الأفشين ففعل عبد اللّه ذلك. فأنفذ الأفشين مرة مالاً

كثيراً إلى أصحابه من الهمايين بنيسابور ليحملوه إلى أشروسنة، فوجّه الأمير عبد اللّٰه بن طاهر ففتشهم فوجد المال في أوساطهم فقال: مِنْ أين لكم هذا المال؟ فقالوا: للأفشين، فقال: كذبتم لو أراد الأفشين أن يرسل مثل هذه الأموال لكتب يعلمني بذلك لآمر بتسييره وإنما أنتم لصوص. وأخذ عبد اللّٰه المال فأعطاه الجند.. ثم كان من أمر الأفشين وتحريضه مازيار على الخلاف ما تقدم ذكره، فتغير المعتصم على الأفشين فحبسه قبل يوم واحد من قدوم محمد بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي بمازيار إلى سامرا ووقوع ما تقدم ذكره. قال ابن الأثير: «وكتب المعتصم إلى عبد اللّٰه بن طاهر في الاحتيال على حسين بن الأفشين، وكان حسين بن الأفشين قد كثرت كتبه إلى عبد اللّٰه بن طاهر يشكو من نوح بن أسد الأمير بما وراء النهر وتحامله على ضياعه وناحيته ـ [فكتب عبد اللّٰه بن طاهر كتاب تولية لحسين بن الأفشين] ـ وكتب عبد اللّٰه إلى نوح يُعلمه ما كتب به المعتصم في أمر حسين بن الأفشين ويأمره أن يجمع أصحابه ويتأهب له فإذا قَدِم عليه بكتاب ولايته أخذه وأوثقه وحمله إليه، وكتب عبد اللّٰه بن طاهر إلى حسين يُعلمه أنه قد عزل نوحاً وأنه قد ولّاه ناحيته، ووجّه إليه بكتاب عزل نوح وولايته، فخرج ابن الأفشين في قلة من أصحابه وسلاحه حتى ورد على نوح وهو يظن أنه أمير الناحية فأخذه نوح وقيّده ووجهه إلى عبد اللّٰه بن طاهر فوجّه به عبد اللّٰه إلى المعتصم». [ص ٢٦٠/ ٥] ـ ومكث الأفشين في الحبس إلى أن مات.

ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن الخليفة المعتصم بن الرشيد بالرغم من أنه انتهج سياسة الاعتماد على الترك الموالي وتأميرهم على بعض الولايات والمراكز القيادية إلا أن تأثيرهم الأعجمي على دولة الخلافة لم يكن كبيراً بدليل ما وقع للأفشين والقضاء على حركة مازيار التي يمكن القول أنها كانت محاولة كبيرة لنقل حكم خراسان وآسيا الوسطى من العرب إلى العجم، فلم يكن الأفشين مجوسياً وإنما كان مسلماً يريد أن يكون والياً ملكاً لتلك البلاد.

إن الدور العربي القيادي في حكم الولايات وفي المراكز القيادية لدولة الخلافة قد بدأ يضعف منذ عهد المعتصم ولكنه كان ما يزال باقياً، فقد كان من الولاة الأمراء العرب اليمانيين في ذلك العهد:

أ ـ الأمير عبد اللّٰه بن طاهر بن الحسين الخزاعي أمير خراسان وآسيا الوسطى. قال الطبري: «وكان إلى عبد اللّٰه بن طاهر خُراسان وأعمالها والرِّيّ وطبرستان وما يتصل بها وكرمان. وكان خراج هذه الأعمال [في أيامه سنوياً] ثمانية وأربعين ألف ألف درهم» (اهـ). فالبلاد التي كان يحكمها تشمل آسيا الوسطى وشمال وشرق إيران جميعها.

ب ـ الأمير مالك بن عليّ الخُزاعيّ أمير حلوان وطريق خُراسان. قُتِل في الحرب مع الخوارج سنة٢٢٢هـ فرثاه الشاعر بكر بن النطاح بقصيدة مطلعها:

يا عين جودي بالدموع السجام ... على الأمير اليمني الهمام

على فتى الدنيا وصنديدها ... وفارس الدين وسيف الإمام

إلى آخر القصيدة [ص ١٥٨/ ١٧ ـ الأغاني].

جـ ـ الأمير عبد اللّه بن السيد بن أنس الأزدي أمير ولاية الموصل. ذكر ابن الأثير أنه «في سنة٢٢٤هـ استعمل المعتصم عبد اللّه بن السيد بن أنس الأزدي على الموصل» [ص ٢٥٨/ ٥] ـ وله خبر في التصدي لتمرد بعض الأكراد آنذاك.

د ـ إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي أمير الشرطة بالعراق أيام المأمون وأيام المعتصم. وكان من كبار القادة «وفي سنة٢١٨هـ دخل كثير من أهل الجبال وهَمَذَان في دين الخُرميَّة وتجمعوا فعسكروا في عمل هَمَذَان ـ بالقرب من أذربيجان ـ فوجّه إليهم المعتصم العساكر مع إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وعقد له على الجبال فسار إليهم فأوقع بهم في أعمال هَمَذَان فقتل منهم عدة آلاف وهرب الباقون إلى بلد الروم. وقُرِىء كتابه بالفتح يوم التروية». وكذلك كان أخوه محمد بن إبراهيم بن مصعب من كبار القادة وكان على مقدمة المعتصم في غزوة وفتح عمورية سنة٢٢٣هـ. وقيل سنة٢٢٤هـ. ومكث إسحاق بن إبراهيم أميراً للشرطة حتى وفاة المعتصم سنة٢٢٧هـ ثم في خلافة الواثق بن المعتصم.

ولم يزل عبد اللّه بن طاهر والياً لخراسان وآسيا الوسطى إلى أن توفي بخراسان في خلافة الواثق سنة٢٣٠هـ، قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك:

«في سنة٢٣٠هـ توفي عبد اللّه بن طاهر بن الحسين وكان إليه خُراسان وأعمالها، والرّيّ، وطبرستان وما يتصل بها، وكرمان. وكان خراج هذه الأعمال يوم مات ثمانية وأربعين ألف ألف درهم. فولّى الواثق أعمال عبد اللّه بن طاهر كلها ابنه طاهراً» (اهـ). قال ابن الأثير: «. . وأكثر الشعراء في مراثيه» ـ وجاء في كتاب الأغاني أنه: «قال عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر: دخل إلينا علي بن الجهم بعقب موت أبي والمجلس حافل بالمعزين، فمثل قائماً وأنشدنا يرثيه:

أيّ ركن وَهَى من الإسلام ... أيّ يوم أخْنَى على الأيام

جلّ رزء الأمير عن كل رزء ... أدركته خواطر الأوهام

سلبتنا الأيام ظلاً ظليلاً ... وأباحت حمىً عزيز المرام

يا بني مُصْعب حللتم من النا ... س محل الأرواح في الأجسام

فـإذا رابـكـم مـن الـدهـر ريـبٌ ... عـمّ مـا خـصـكـم جـمـيـع الأنـام
انـظـروا هـل تـرون إلا دمـوعـاً ... شـاهـداتٍ عـلـى قـلـوب دوامـي
مَـنْ يـداوي الـدنـيـا ومَـنْ يـكـلأ ... المُلك لدى فادح الخطوب العظام
نـحـن مـتـنـا بـمـوتـه وأجـلّ الـ ... ـخطب موت السادات والأعـلام
لـم يـمـت والأمـيـر طـاهـر حـيٌّ ... دائـم الانـتـقـام والإنـعـام
وهـو مـن بـعـده نـظـام الـمـعـالـي ... وقـوام الـدنـيـا وسـيـف الإمـام»

[ص ١١٠/ ٩]

وكانت وفاة الأمير عبد اللّه بن طاهر يوم الاثنين ١١ ربيع الأول سنة ٢٣٠هـ الموافق ٨٤٤ ميلادية.

١٤ ـ طاهر بن عبد اللّه بن طاهر.. أمير خراسان وآسيا الوسطى (٢٣٠ ـ ٢٤٨ هـ)

هو الرابع عشر من الولاة العرب اليمانيين الذين حكموا خُراسان وآسيا الوسطى في العصر العباسي، الأمير طاهر بن عبد اللّه بن طاهر بن الحسين بن مُصْعب بن رُزيق بن سعد بن عامر بن بياضة الخزاعيّ. كان طاهر من نواب وقوّاد أبيه بخُراسان، فقد ذكر البلاذري في فتوح البلدان أنه: «أغزى عبد اللّه بن طاهر ابنه طاهر بن عبد اللّه بلاد الغوزية ففتح مواضع لم يصل إليها أحد قبله» [ص ٤٢٠].

ولَمَّا توفي عبد اللّه بن طاهر في ١١ ربيع الأول ٢٣٠هـ أصبح طاهر بن عبد اللّه بن طاهر والياً لخراسان وآسيا الوسطى، حيث قال الطبري: «ولّى الواثق أعمال عبد اللّه بن طاهر كلها ابنه طاهراً». قال ابن الأثير في كتاب الكامل: «.. فَمِن أحسن ما قيل في رثاء عبد اللّه بن طاهر وفي ولاية ابنه طاهر قول أبي الغمر الطبري:

فـأيـامـك الأعـيـاد صـارت مـآتـمـاً ... وساعاتك الغضّات صارت خواشعا
عـلـى أنـنـا لـم نـفـتـقـدك بـطـاهـر ... وإن كان خطباً يقلق القلب رايعا
وما كُنْتَ إلا الشمس غابت وأطلعت ... على أثرها بدراً على الناس طالعا
ومـا كُـنْـتَ إلا الـطـود زال مـكـانـه ... وأثـبـت فـي مـثـواه ركـنـاً مـدافـعـا
فـلـولا الـتُـقـى قـلـنـا تَـنَـاسَـخْـتُـمـا مـعـاً ... بـديـعـيّ مـعـان يـفـضـلان الـبـدائـعـا»

[ص ٢٧١/ ٥]

ولم تقتصر ولاية طاهر على خُراسان فقد ذكر الطبري أنه «توفي عبد اللّه بن

طاهر بن الحسين وكان إليه خُراسان وأعمالها، والرَّيّ وطبرستان وما يتصل بها، وكرمان. فولَّى الواثق أعمال عبد اللّه بن طاهر كلها ابنه طاهراً» ـ [ص ١٣/ ١١] ـ ويشمل ذلك بالتسميات الحالية جمهوريات تركمنستان، وأوزبكستان، وأفغانستان، وتاجيكستان، وقرغيزيا. وكذلك أقاليم الرَّيّ وطبرستان وما يتصل بها وهي أقاليم شمال إلى شرق إيران، وإقليم كرمان وسجستان وهو غرب إيران.

أما جنوب إيران إلى المحيط الهندي والساحل الإيراني على الخليج فكان ولاية يُقال لها (فارس) وقد ولَّى الخليفة الواثق على فارس الأمير محمد بن إبراهيم بن مُصْعب الخزاعيّ وهو أمير فارس سنة٢٣٢ ـ ٢٣٦هـ.

وغني عن البيان أن الواثق بن المعتصم هو تاسع الخلفاء العباسيين (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ) وقد كان من الولاة العرب اليمانيين أيضاً في عهده: الأمير غانم بن حُميد الطوسيّ الطائي أمير ولاية الموصل، قال ابن الأثير: (في سنة٢٣٢هـ كان على الموصل غانم بن حُميد الطوسي) (اهـ). وكذلك (في سنة١٣١هـ ولَّى الواثق على الثغور نصر بن حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعيّ) (اهـ) فكان نصر بن مالك أمير الثغور الشامية ومنها طرسوس وغيرها في جنوب تركيا وساحل أعالي الشام على البحر الأبيض المتوسط. قال ابن الأثير: «وفي سنة٢٢٨هـ سار الفضل بن جعفر الهَمْداني في البحر فنزل مرسى مسينا ـ بجزيرة صقلية ـ وبث السرايا، واستأمن إليه أهل نابل وفتح البلد» [ص ٢٦٧/ ٥] ـ وافتتح الأمير الفضل بن جعفر الهَمْداني مناطق واسعة من جزيرة صقلية وأقام بها إلى سنة٢٣٢هـ واستتب الحكم العربي لجزيرة صقلية.

وفي أواخر ذي الحجة ٢٣٢هـ مات الواثق وتولَّى الخلافة المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وهو عاشر الخلفاء العباسيين وكانت خلافته (من ذي الحجة ٢٣٢ـ شوّال ٢٤٧هـ) واستمر الأمير طاهر بن عبد اللّه بن طاهر والياً لخراسان وآسيا الوسطى طيلة خلافة المتوكل. وذكر الأصفهاني في كتاب الأغاني: أن جماعة من جلساء المتوكل سعوا بالشاعر علي بن الجهم وأبلغوه أنه هجاه فنفاه المتوكل إلى خراسان وكتب إلى الأمير طاهر بن عبد اللّه بن طاهر بأن يصلبه إذا وردها يوماً إلى الليل فَلَمَّا وصل إلى الشاذياخ حبسه طاهر بن عبد اللّه بن طاهر بها ثم أُخرج فصُلب يوماً إلى الليل مجرداً ثم أُنزل فقال في ذلك:

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية الاثنين مسبوقاً ولا مجهولا
نصبوا بحمد اللّه ملء قلوبهم شرفاً وملء صدورهم تبجيلا

ـ إلى آخر الأبيات ـ» [ص ١٠٢/ ٩].

ويبدو أن محمد بن عبد اللَّه بن طاهر لَمَّا قَدِم من خُراسان إلى الخليفة المتوكل سنة٢٣٧هـ كلَّمه بشأن علي بن الجهم. وقد ذكر الأصفهاني أنه: «كتب المتوكل إلى طاهر بن عبد اللَّه بإطلاق علي بن الجهم فَلَمَّا أطلقه قال:

أطاهر أني عن خُراسان راحلٌ ... ومُسْتَخْبَرٌ عنها فما أنا قائلُ

أأصدق أم أكني عن الصدق أيما ... تخيّرتَ أدّته إليك المحافل

وسارت به الركبان واصطفقت به ... أكفّ قيانٍ واجتبته القبائلُ

وأنّي بعالي الحمدِ والذمِّ عالمٌ ... بما فيهما نامي الرمية ناضلُ

وحقاً أقولُ الصدق أنّي لمائلٌ ... إليك وإن لم يحظ بالودّ مائلُ

ألا حرمة تُرعى ألا عقد ذمة ... لجارٍ ألا فعل لقول مشاكلُ

ألا مُنصفٌ إن لم نجد متفضلاً ... علينا ألا قاضٍ من الناس عادلُ

فلا تقطعن غيظاً عليّ أناملاً ... فقبلك ما عضت عليّ الأناملُ

أطاهر إن تُحسن فإنّي مُحْسِنٌ ... إليك وإن تبخل فإنّي باخلُ

فقال له طاهر: لا تقل إلا خيراً فإني لا أفعل بك إلا ما تحبّ، فوصله وحمله وكساه». [ص ٩/١٠٢].

وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعيّ ـ وهو ابن عم طاهر بن الحسين ـ قائداً للشرطة ومتولياً لأعمال بغداد منذ أيام خلافة المأمون إلى خلافة المتوكل فمات إسحاق بن إبراهيم في ذي الحجة سنة٢٣٥هـ فولّى المتوكل مكانه ابنه محمد بن إسحاق.. قال ابن الأثير: «وقَدِم محمد بن عبد اللَّه بن طاهر من خُراسان في شهر ربيع الأول سنة٢٣٧هـ فولّاه المتوكّل الجزية والشرطة وخلافة المتوكل ببغداد وأعمال السواد. وأقام بها» (اهـ).

وبذلك، وبينما استمر طاهر والياً لخراسان وآسيا الوسطى وشمال وشرق إيران، أصبح أخوه محمد بن عبد اللَّه بن طاهر أميراً للشرطة وأميراً نائباً للخليفة المتوكل ببغداد وأميراً لمناطق سواد العراق وهي المناطق الممتدة شرق نهريّ الفرات ودجلة إلى الأهواز وتخوم بلاد فارس، وكان أمير فارس محمد بن إبراهيم بن مصعب الخزاعيّ فمات سنة١٣٦هـ ووُلّي مكانه ابن عمه الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مُصعب، وكذلك وُلّي محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعيّ اليمامة والبحرين ـ أي منطقة شرق الجزيرة العربية والخليج العربيّ ـ سنة١٣٦هـ أو عندما وُلّي محمد بن عبد اللَّه بن طاهر بغداد والشرطة وأعمال السوّاد. وكان محمد بن عبد اللَّه بن طاهر شجاعاً كريماً جواداً أديباً

شاعراً. ذكر الأصفهاني في كتاب الأغاني عن محمد بن أبي عون قال: حضرت عند المتوكل وعنده محمد بن عبد اللّه بن طاهر وقد أحضر حسين بن الضحاك للمنادمة فأمر المتوكل خادماً كان واقفاً على رأسه فسقاه وحيّاه بتفاحة عنبر وقال لحسين بن الضحاك: قُل في هذا شيئاً فقال:

وكالدرة البيضاء حيّا بعنبر … وكالورد يسعى في قراقط كالورد
له عبثات عند كل تحية … بعينيه تستدعي الحليم إلى الوجد
تمنيت أن أُسقى بكفيه شربة … تذكرني ما قد نسيتُ من العهد
سقى اللّه عيشاً لم أبت فيه ليلة … من الدهر إلا من حبيب على وعد

فقال المتوكل: يُحمل إلى حسين لكل بيت مائة دينار، فالتفت إليه محمد بن عبد اللّه بن طاهر كالمتعجب وقال: لِمَ ذاك يا أمير المؤمنين فواللّه لقد أجاب فأسرع وذكر فأوجع وأطرب فأمتع ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تُطاولها يدٌ لأجزلتُ له العطاء ولو أحاط بالطارف والتالد، فخجل المتوكل وقال: يُعطى حسين بكل بيت ألف دينار» [ص ١٧٨/٦].

وذكر الأصفهاني عن محمد بن أحمد المكي قال: عمل جدي كتاباً في الأغاني وأهداه إلى عبد اللّه بن طاهر فبقي في خزانته ثم وقع إلى محمد بن عبد اللّه بن طاهر فدعا أبي وكان إليه محسناً وعليه مُفَضلاً فعرض عليه الكتاب فقال له: إن في هذا تخليطاً كثيراً ولكني أعمل لك كتاباً أصحح هذا وغيره فيه، فعمل له كتاباً فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه فوصله محمد بن عبد اللّه بن طاهر بثلاثين ألف درهم. [ص ١٦/٦].

وجاء في كتاب الأغاني: أن المتوكل حبس الشاعر الكاتب إبراهيم بن الأدبر فطال حبسه فلم يكن لأحد في خلاصه منه حيلة حتى تَخَلّصَه محمد بن عبد اللّه بن طاهر وجوّد المسألة في أمره وبذل أن يحتمل في ماله كل ما يطالب به فأعفاه المتوكل من ذلك ووهبه له. وكان إبراهيم استغاث بمحمد بن عبد اللّه بن طاهر ومدحه فقال:

دعوتُك مِن كربٍ فَلَبَّيْت دعوتي … ولم تعترضني إذ دعوتُ المعاذر
إليك وقد جليتُ أو ردت همتي … وقد أعجزتني عن همومي المصادر
نَمَى بك عبد اللّه في العز والعلا … وحازَ لك المجدَ المؤثلَ طاهرُ
فأنتم بنو الدنيا وأملاك جوها … وساستُها والأعظمون الأكابرُ
مآثر كانت للحسين ومُصْعب … وطلحة لا تحوي مداها المفاخرُ

إذا بذلوا، قِيل: الغيوث البواكر وإن غضبوا، قِيل: الليوث الهواصرُ
تطيعكموا يوم اللقاء البواتر وتزهو بكم يوم المقام المنابرُ
وما لكمو غير الأسرة مجلس ولا لكمو غير السيوف مخاصر»

[ص ١١٦/٩]

ومن المفيد الإشارة إلى أنه كان من الولاة العرب اليمانيين أيضاً في ذلك العهد: هرثمة بن نصر الجبلي الكندي الحضرمي أمير مصر سنة٢٣٣ ـ ٢٣٤هـ. ثم حاتم بن هرثمة بن نصر أمير مصر سنة٢٣٤هـ وكان أخوه يحيى بن هرثمة أمير طريق مكة سنة٢٣٤هـ. وذكر ابن الأثير في أحداث سنة٢٣٤هـ أنه «كان الوالي على أذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة، فعزله المتوكل وولّى حمدويه السُغدي» ـ وقد تزامن ذلك مع عزل حاتم بن هرثمة عن ولاية مصر في رمضان ٢٣٤هـ ـ ثم تولّى مصر عدد من الموالي الأتراك، ثم تولّاها الأمير العربي اليماني عبد الرحمن بن يحيىٰ بن منصور بن طلحة الخزاعي سنة٢٣٦ ـ ٢٣٨هـ وهو آخر الولاة العرب الذين حكموا مصر في العصر العباسي. وقد ازداد اعتماد المتوكل على الأتراك الموالي وولّاهم مصر والشام وأذربيجان وغيرها واتخذ منهم العديد من القادة والجند ـ وخاصة بمدينة سامرا ـ ثم وثبوا على المتوكل وقتلوه في شوّال سنة٢٤٧هـ فرثاه يزيد بن محمد المهلّبي الأزدي بقصيدة من عيون الشعر أوردها (المبرّد) في كتابه (الكامل) ومنها قوله لبني العباس:

لمّا اعتقدتم أُناساً لا حُلوم لهم ضعْتُمْ وضَيّعْتُمُ مَنْ كان يُعْتَقَدُ
ولو جعلتم على الأحرار نِعمَتكُمْ حَمَتْكُمُ السادةُ المذكورةُ الحُشُدُ
إذا قريشٌ أرادوا شدَّ مُلكِهُمُ بغير قحطانَ لم يَبْرَحْ به أَوَدُ
قومٌ همُ الجِذْمُ والأنسابُ تجمعهم والمجْدُ والدينُ والأرحامُ والبلدُ

وكانت بلاد خُراسان وسجستان قد شهدت حركة تمرد حيث ذكر ابن الأثير أنه «في سنة٢٣٧هـ تغلب إنسان من أهل بست يقال له صالح بن النضر على سجستان ومعه يعقوب بن الليث فعاد طاهر بن عبد اللّه بن طاهر أمير خُراسان واستنقذها من يده» (اهـ) ـ ولم يزل طاهر بن عبد اللّه والياً ملكاً قوياً لخراسان وآسيا الوسطى وسجستان، ومحمد بن عبد اللّه بن طاهر أميراً لبغداد وسواد العراق إلى أن مات المتوكل ثم في خلافة المنتصر بن المتوكل (٢٤٧ ـ ربيع ٢٤٨هـ) ثم تولّى الخلافة المستعين (في ربيع الآخر ٢٤٨هـ) ومات الأمير طاهر بن عبد اللّه بن طاهر بمدينة نيسابور بخراسان ـ وهو والٍ لخراسان ـ في رجب سنة٢٤٨هـ الموافق ٨٦٢ ميلادية.

١٥ ـ محمد بن طاهر الخُزاعيّ . . آخر الولاة العرب لخراسان وآسيا الوسطى (٢٤٨ ـ ٢٧٩هـ)

هو الأمير محمد بن طاهر بن عبد اللَّه بن طاهر بن الحسين بن مُصعب بن زريق بن سعد بن عامر الخزاعيّ، وهو الخامس عشر من الولاة العرب اليمانيين الذين حكموا خُراسان وآسيا الوسطى في عصر الخلافة العباسية.

وُلّي محمد بن طاهر خُراسان بعد وفاة أبيه في رجب سنة٢٤٨هـ. قال ابن الأثير: «في سنة٢٤٨هـ وَرَدَ على المستعين وفاة طاهر بن عبد اللَّه بن طاهر بخراسان في رجب فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر على خُراسان، ولمحمد بن عبد اللَّه بن طاهر على العراق وجعل إليه الحرمين والشرطة ومَعَاون السوّاد» [ص ٣١١/ ٥].

وغني عن البيان أن المستعين بن محمد بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور هو الثاني عشر من الخلفاء العباسيين، تولّى الخلافة سنة٢٤٨هـ وخلع نفسه وسلم الخلافة إلى المعتز بن المتوكل في محرم ٢٥٢هـ. وكان المعتز بن المتوكل الثالث عشر من الخلفاء العباسيين (محرم ٢٥٢ ـ رجب ٢٥٥هـ) ثم تلاه المهتدي بن الواثق بن المعتصم (رجب ٢٥٥ ـ جمادى الثانية ٢٥٥هـ) ثم المعتمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ) وهو الخامس عشر من الخلفاء العباسيين، وقد استمر محمد بن طاهر والياً لخراسان وآسيا الوسطى من خلافة المستعين إلى خلافة المعتمد، وكان محمد بن طاهر الخامس عشر من الولاة اليمانيين وآخر الولاة العرب لخراسان وآسيا الوسطى، وكان من معالم ذلك العهد العروبي الأخير ما يلي:

ـ كان محمد بن طاهر والياً لخراسان وآسيا الوسطى وسجستان والرّي وطبرستان، وكان عمه محمد بن عبد اللَّه بن طاهر والياً أميراً على العراق وإليه الحرمين الشريفين، وفيه قال الشاعر الموسوس:

ملكٌ قلَّ النظير له ... زانه الغُرُّ البهاليل
طاهريٌّ في مواكبه ... عُرْفُه في الناس مبذولُ
دَمُ مَنْ يشقى بصارمه ... مَعْ هبوب الريح مغلولُ

[ص ١٧٥/ ٤ ـ مروج الذهب].

وكان من الولاة اليمانيين أيضاً الأمير عُقْبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعيّ أمير الموصل. قال ابن الأثير في أحداث سنة٢٥٢هـ «كان الوالي

على الموصل عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الأشعث بن أهبان الخزاعيّ، وأهبان يُقال أنه مُكلِّم الذئب، وله صُحبة» [ص ٣٣٤/ ٥].

وكان من الولاة على اليمن في ذلك العصر محمد بن عبد اللّه بن زياد أمير زبيد ومناطق اليمن التهامية والساحلية إلى حضرموت وظفار سنة٢٠٤ ـ ٢٤٥هـ ثم ابنه إبراهيم ٢٤٥ ـ ٢٨٩هـ) وكان بمخاليف صنعاء الأمير محمد بن يعفر الحوالي الحميري (٢٤٧ ـ ٢٥٩هـ) ثم ابنه محمد بن يعفر أمير صنعاء ومخاليفها (٢٥٩ ـ ٢٧٩هـ) وذلك في إطار الخلافة العباسية.

ـ وقد اندلعت سنة٢٥٠هـ حركات علوية شيعية عنيفة ضد دولة الخلافة في بعض أقاليم إيران التابعة لولاية محمد بن طاهر أمير خراسان، وفي مناطق من جنوب العراق التابعة لولاية محمد بن عبد اللّه بن طاهر. فقد خرج بجبال طبرستان الحسن بن زيد بن محمد العلويّ، وخرج بإقليم الرَّي محمد بن جعفر العلويّ وجّهه الحسن بن زيد وتغلّب على الرَّيّ. قال ابن الأثير: «ووجّه محمد بن طاهر بن عبد اللّه بن طاهر ـ أمير خراسان ـ قائداً من عنده يقال له محمد بن ميكائيل في جمع من الجند إلى الرَّي فأسر محمد بن جعفر وانهزم جيشه.. ولَمَّا كان هذه السنة يوم عرفه ظهر بالريّ أحمد بن عيسى ـ العلوي ـ فحاربه محمد بن علي بن طاهر فانهزم محمد بن عليّ وسار إلى قزوين». وقال المسعودي في مروج الذهب: «ظهر بالرَّي سنة٢٥٠هـ محمد بن جعفر بن الحسن ودعا الحسن بن زيد بن محمد وكانت له حروب بالرَّي فأُسر وحُمل إلى نيسابور إلى محمد بن طاهر، فمات في محبسه بنيسابور» [ص ١٥٣/ ٤].

بينما في العراق خرج يحيى بن عمر العلوي بالكوفة ـ قال ابن الأثير ـ «..وكان بالكوفة أيوب بن الحسن الهاشمي عامل محمد بن عبد اللّه بن طاهر، فكتب صاحب البريد بخبر يحيى بن عمر إلى محمد بن عبد اللّه بن طاهر ـ ببغداد ـ فكتب محمد إلى أيوب عامله على الكوفة وعبد اللّه بن محمود عامله على معاون السواد يأمرهما بالاجتماع على محاربة يحيى بن عمر.. ثم وجّه محمد بن عبد اللّه لمحاربته الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسين بن مُصعب ـ الخزاعيّ ـ فقاتله في رجب سنة١٥٠هـ وانكشف عسكر يحيى بن عمر، وقُتِل يحيى بن عمر وأدّعى قتله غير واحد، وسيّر الحسين بن إسماعيل رأسه ورؤوس من قُتِل والأسرى إلى محمد بن عبد اللّه بن طاهر فحبسوا ببغداد، وكتب محمد بن عبد اللّه إلى المستعين يسأله العفو عنهم وأن تُدفن الرؤوس، فأمر المستعين بتخليتهم وأن تُدفن الرؤوس ولا تُنصب، ففعل ذلك». وذكر المسعودي أنه «دخل

الناس إلى محمد بن عبد اللّه بن طاهر يهنئونه بالفتح» ـ والمقصود بالفتح انتهاء تلك الحركة والفتنة.

وذكر ابن الأثير أنه «في سنة ٢٥٠هـ وجّه محمد بن طاهر ـ أمير خراسان ـ بفيلين وأصنام أُتيت من كابُل» ـ وقد وجّهها وأهداها إلى الخليفة المستعين.

ـ وفي سنة ٢٥١هـ استفحل أمر الحسن بن زيد بن محمد العلوي بطبرستان وربما كان أغلب الذين بايعوه من العجم الذين كانوا مع (مازيار) لَمَّا خرج عن الطاعة وخالف بتدبير (الأفشين) فقضى عبد اللّه بن طاهر على حركته بطبرستان آنذاك. ثم لَمَّا ظهر الحسن بن زيد بن محمد العلوي بطبرستان سنة ٢٥٠ ـ ٢٥١هـ تغلّب عليها وانسحب سليمان بن عبد اللّه بن طاهر الخزاعي عامل طبرستان إلى جُرجان فأمره محمد بن طاهر بالرجوع إلى طبرستان فرجع إليها بجمع كثير وسلاح وخيل فتنحى الحسن بن زيد عن طبرستان ولحق بالديلم. ثم سار الأمير محمد بن طاهر إلى الرَّي وإلى قزوين وبلاد الديلم. قال ابن الأثير: «وفيها ـ سنة ٢٥١هـ ـ انهزم الحسن بن زيد من محمد بن طاهر وكان لقيه في ثلاثين ألفاً وقتل من أصحابه أعيان الحسن ثلاثمائة وأربعين رجلاً» [ص ٣٣٠/ ٥].

بينما في العراق انقلب على المستعين العديد من القادة الأتراك والموالي وبايعوا المعتز فحاربهم الأمير محمد بن عبد اللّه بن طاهر، وطالت الحرب وأخبارها كثيرة، ثم إن أكثر بني العباس أيدوا المعتز، قال المسعودي في مروج الذهب: «فَلَمَّا رأى محمد بن عبد اللّه بن طاهر ذلك كَاتَبَ المعتز وجَنَحَ إليه ومال إلى الصلح على خلع المستعين، وقد كانت العامة ببغداد ـ حين علمت ما قد عزم عليه من خلع المستعين ـ ثارت مُنكرة لذلك متحيزة إلى المستعين ناصرة له، فأظهر محمد بن عبد اللّه المستعين على أعلى قصره، فخاطب العامة وعليه البردة فأنكر ما بلغهم من خلعه وشكر محمد بن عبد اللّه بن طاهر. ثم ـ وبعلم المستعين ـ التقى محمد بن عبد اللّه بن طاهر بأبي أحمد الموفق ـ وهو أخو المعتز ـ فاتفقا على خلع المستعين على أن له الأمان ولأهله وولده وما حوته أيديهم من أملاكهم.. فخلع المستعين نَفْسَه من الخلافة يوم ٣ محرم ٢٥٢هـ» ـ وكان المستعين ببغداد منذ بدأ الصراع بينه وبين المعتز سنة ١٥١هـ وكان المعتز بسامرا، فَلَمَّا خلع المستعين نفسه في محرم ٢٥٢هـ ـ «قَدِم على المعتز عبيدُ اللّه بن عبد اللّه بن طاهر أخو محمد بن عبد اللّه بالبرْدِ والقضيب والسيف وبجوهر الخلافة» ـ [ص ١٦٥/ ٤] ـ وبذلك انتهت خلافة المستعين وآلت الخلافة إلى المعتز في محرم ٢٥٢هـ. واستمر محمد بن عبد اللّه بن طاهر أميراً بالعراق وبغداد.

ـ قال المسعودي: «وفي سنة ٢٥٣هـ ـ وذلك في خلافة المعتز ـ مات

محمد بن عبد اللّه بن طاهر، للنصف من ذي القعدة، وكان من الجود والكرم وغزارة الأدب وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وملوكية المُجالسة على ما لم يكن عليه أحد من نظرائه.. وكان موته للنصف من ذي القعدة والقمر مكسوف ـ وفيه يقول الحسين بن عليّ بن طاهر من قصيدة له:

كَسَفَ البدر والأمير جميعاً فانجلى البدرُ والأمير غَمِيدُ
عاود البدرُ نوره لتجليه ونور الأمير ليس يعودُ
يا كسوفين ليلة الأحد النـ ـحس أحلتكما هناك السعود
واحدُ كان حدّه مثل حد الـ ـسيف والنار شُبَّ فيها الوقودُ»

[ص ٤/١٧٢]

وقام مكانه ببغداد أخوه عُبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر.

ـ واستمر محمد بن طاهر بن عبد اللّه بن طاهر والياً لخراسان وآسيا الوسطى في خلافة المعتزّ بن المتوكل إلا أن ولاية محمد بن طاهر كانت تشمل أيضاً سِجستان والرَّي وجرجان وطبرستان من أقاليم إيران، فتغلب على سجستان يعقوب بن الليث الصفار وهو من أهل سِجستان غير العرب وولّاه المعتز عليها، وتغلّب على طبرستان الحسن بن زيد بن محمد العلوي وأخرج عامل محمد بن طاهر عليها وهو سليمان بن عبد اللّه بن طاهر سنة٢٥٣هـ ثم تفاقم أمر الحركة العلوية الشيعية واستولى الحسن بن زيد على جُرجان سنة٢٥٦هـ ولكن خراسان وآسيا الوسطى استمرت بيد الأمير محمد بن طاهر ومكث محمد والياً عليها، بينما انتهت خلافة المعتز بخلعه في رجب ٢٥٥هـ وتنصيب المهتدي بن الواثق ثم قُتل المهتدي في رجب ٢٥٦هـ وتولّى الخلافة المعتمد على اللّه بن المتوكل بن محمد بن المعتصم بن الرشيد.

ـ ولم يزل الأمير محمد بن طاهر والياً قوياً مُهاباً لخراسان وآسيا الوسطى في الفترة (١٥٥ ـ ١٥٩هـ) من خلافة المعتمد، مِمَّا جعل محمد بن طاهر يوجّه سليمان بن عبد اللّه بن طاهر مع العديد من القادة وكتائب من الجنود إلى العراق للمشاركة في التصدي للفتن والحركات التي اندلعت بها، وقد وُلّي سليمان بن عبد اللّه بن طاهر إمرة الشرطة ببغداد. وفي سنة٢٥٩هـ كان الضعف قد أصاب سلطة الأمير محمد بن طاهر بخراسان وكانت مدينة نيسابور هي مقر الأمير محمد بن طاهر، فسار يعقوب بن ليث الصفار بجيش من سجستان إلى نيسابور في شوّال ١٥٩هـ وزعم أن المعتمد وجّهه إليها فركب محمد بن طاهر إليه في معسكره بمشارف نيسابور ليعرف سبب قدومه،

فَلَمَّا صار في مجلسه اعتقله يعقوب ثم قبض على جميع المرافقين له وكانوا نحواً من مائة وستين رجلاً وبعث بهم إلى سجستان وسيطر على نيسابور. وكتب إلى المعتمد بأن أهل خراسان سألوه المسير إليهم، بينما قال لأهل نيسابور وخراسان أن المعتمد ولّاه وأمره بالقبض على محمد بن طاهر.

وبالرغم من انتهاء حكم محمد بن طاهر عملياً ومسيره فيما بعد إلى المعتمد بالعراق، فإن أغلب أقاليم خراسان استمرت بيد عمال محمد بن طاهر بالمعارضة ليعقوب الصفاري. وقد ذكر الطبري وابن الأثير أنه «كان أحمد بن عبد اللّه الخجستاني من عمال محمد بن طاهر ـ في هراة من أعمال باذغيس ـ» وأنه «كان أحمد بن محمد بن طاهر بخوارزم والياً عليها» وأنه «كان بأصبهان الحسين بن طاهر أخو محمد بن طاهر» وأنه «لَمَّا أراد يعقوب العود إلى سجستان استخلف على نيسابور عزيز بن السريّ» ثم «سار أحمد بن عبد اللّه الخجستاني إلى نيسابور وبها عزيز بن السري فهرب عزيز واستولى أحمد على نيسابور يدعو إلى الطاهرية وذلك أول سنة١٦٢هـ» وأنه «قَدِم محمد بن طاهر بغداد سنة١٦٢هـ» وأنه «كان بنيسابور الحسين بن طاهر أخو محمد بن طاهر قد وردها من أصبهان سنة١٦٢هـ» ـ ثم وقعت أحداث وصراعات ـ «وفي سنة١٦٣هـ سار الحسين بن طاهر إلى مرو، وبها ابن خوارزم شاه يدعو لمحمد بن طاهر، ثم وافاها الحسين بن طاهر فأحسن فيهم السيرة ووصل إليه نحو عشرين ألف ألف درهم من الخراج»... ويمكن القول بإيجاز أنه لم تكن هناك سلطة واحدة بخراسان إلى سنة١٧١هـ وهو ما ينطبق على أغلب الولايات في ذلك العهد، فقد كانت حركات العلويين والخوارج والمتغلبين شائعة وكان من أشدها حركة الزنج بالبصرة. وكان يعقوب بن ليث الصفاريّ قد مات وقام مكانه بفارس وسجستان عمرو بن ليث الصفاريّ. قال ابن الأثير: «وفي سنة١٧١هـ أدخل المعتمد إليه حجاج خراسان وأعلمهم أنه قد عزل عمرو بن ليث عمّا كان قلده [من ولاية فارس وجهاتها] وأخبرهم أنه قلّد محمد بن طاهر خُراسان وأمر أيضاً بلعن عمرو بن ليث على المنابر فلُعن. وفي سنة١٧١هـ استخلف محمد بن طاهر رافع بن هرثمة على خُراسان» [ص ٥٨/٦].

ـ وقد تواصلت ولاية محمد بن طاهر لخراسان سنة١٧١ ـ ١٧٩هـ ولكنه لم يتوجه إليها وإنما «أقام محمد بن طاهر ببغداد واستخلف محمد على خراسان رافع بن هرثمة سنة١٧١هـ». ولم يزل كذلك إلى أن مات الخليفة المعتمد بن المتوكل العباسي في رجب سنة٢٧٩هـ وتولّى الخلافة المعتضد

أحمد بن طلحة فعزل رافع بن هرثمة عن خراسان وبما أنه كان نائباً لمحمد بن طاهر فقد انتهت بذلك ولاية محمد بن طاهر وهو آخر الولاة العرب الذين حكموا خُراسان وآسيا الوسطى. ومات محمد بن طاهر ببغداد سنة ٢٩٨هـ الموافق ٩١١ ميلادية.

انتهى الكتاب والله الموفق

محمد حسين الفرح

صنعاء ـ ٢٢ صفر سنة ١٤٢٤ هجرية

الموافق ٢٤/ ٤/ ٢٠٠٣ ميلادية

فهرس المحتويات

الفصل الأول
الدور العربي في تأسيس الخلافة العباسية

الفصل الثاني

الولاة اليمانيون لولاية اليمن في العصر العباسي

الفصل الثالث

الولاة اليمانيون للحجاز واليمامة في العصر العباسي الأول

الفصل الرابع
الولاة اليمانيون لأقاليم العراق ومشارقها في العصر العباسي ومعالم تاريخهم

الفصل الخامس

الولاة اليمانيون لمصر في العصر العباسي وأنباء عهودهم

الفصل السادس

الولاة اليمانيون لأفريقيا الشمالية (بلاد المغرب العربي) في العصر العباسي

الفصل السابع

الولاة اليمانيون لأذربيجان وأرمينية والثغور الرومية في العصر العباسي

الفصل الثامن

الولاة اليمانيون لبلاد السند (باكستان) في العصر العباسي

الفصل التاسع

الولاة اليمانيون لخُراسان وآسيا الوسطى في العصر العباسي


SANA'A 2004
صنعاء عاصمة للثقافة العربية 2004
Sana'a 2004 the arab cultural capital
الجمهورية اليمنية
وزارة الثقافة والسياحة
صنعاء - ص.ب.: (٣٦)-(٢٣٧)- هاتف: ٢٣٥١١٤ - فاكس: ٢٣٥١١٣
بريد الكتروني moc@y.net.ye